

الانفليس

في

مَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَبَيِّنَاتِ أَعْلَامِ
بِتَفْسِيرِ الْقِرَاقِ

للدكتور

محمد محمود سعيد



الناشر دار الفد العربي

النفس

فى معانى الأسماء - وبيان الأعلام

وتفسير القرآن

قام عليه وأعدّه

خادم الكتاب إن شاء الله

الدكتور/ محمد محمود سعيد

الناشر

دار الغد العربى

٣ ش دانن - العباسية - القاهرة

ب: ٢٨٥٦١٢٢ - ٢٨٤٣١١٥ - ٤٨٢٤٣٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

السيد الأستاذ / مدير دار الفند العربي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
نشأه على الطبع القديم منكم بشأن نص القرآن الكريم
النفس في معاني الأسماء وبيان الإعلام للذكر / محمد محمود سعيد
المصدر الأصيل والتلخيص بالطبع دار الفند العربي
تفيد أنه مراجعة القرآن الكريم تبين أنه سليم من جوهر القرآن
الكريم ولا مانع من نشره وتداوله مع مراعاة الدقة التامة في طبع
الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحصيرا في ١ -

١٤١٠ / ٧ / ٢١ هـ

١٩٩١ / ١٠ / ٢١ م

م

مدير عام
البحوث والتأليف والترجمة

٩٦ / ٤
السيد عبد الفتاح غنيم



حقوق الطبع محفوظة

شعبان ١٤٢٠ / نوفمبر ١٩٩٩ م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٩٩ / ١٦٧٠١

بسم الله الرحمن الرحيم
تابع تفسير سورة الأحزاب

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ
يَوَدُّوَالُو أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا
فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في بيان مدى جبن المنافقين وخوفهم من القتال، يتساوى في هذا المستأذنون والمحرضون المعوقون، كما هو في بيان عدم الانتفاع بهم فيما لو كانوا بين صفوف المقاتلين المؤمنين .

فيذكر تعالى أنهم من فرط جبنهم حسبوا - بعد انهزام الأحزاب عن المؤمنين - أنهم لم يذهبوا عنهم وأنهم باقون على القرب منهم يتهددونهم. ثم يذكر تعالى - على سبيل الفرض - أنه لو عادت الأحزاب لقتال المسلمين فإن المنافقين لا يتمنون إلا أن يكونوا في البداية مع الأعراب بعيدين عن الخندق وعن مكان المعركة مكتفين بالسؤال عن أخبار المؤمنين من قدم من مكان قريب من المعركة أو عرف شيئاً عنها، وهم في سؤالهم يتمنون أن تكون قد حاقت بهم الهزيمة من الأحزاب.

ثم إنه تعالى يذكر- في ذات الفرض الجدلى- أنه لو كان المنافقون مع المسلمين عند عودة الأحزاب لقتالهم لما قاتلوا مع المسلمين إقليلا، والمعنى أنهم لا يقاتلون إلا للمراءة فقتالهم قتال غير مثمر مثل الرمي بالنبال عن بعد في اتجاه العدو دون تصويب، ليقال إنهم قاتلوا، وليس لتحقيق نصر.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

أولا: الأسماء:

الأسوة: في قوله تعالى «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» هي الخصلة، وهي الحالة التي يكون عليها الإنسان، وقد يكون المراد بها- في معنى الآية- هو القدوة، وما يتأسى به.

ثانيا: التفسير:

يتصور أن يكون الخطاب- في الآية- إلى المؤمنين الذي خلص إيمانهم، ويتصور أن يكون للمتخلفين من المؤمنين عن القتال. وعلى الأول يكون القول حثا للمؤمنين على الاقتداء برسول الله ﷺ، وعلى الثاني يكون القول متضمنا معنى اللوم لعدم أداء الواجب وهو الاقتداء برسول الله ﷺ، الذي هو أسوة حسنة يتأسى بها في كل شيء، فقد كان ﷺ أثبت الناس في القتال شجاعة وجرأة عن إيمان، وكان أصبرهم على الأذى، فقد شج وجهه الكريم وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة فما وجد إلا صابرا محتسبا.

ثم إنه تعالى يبين أن الذي يتمثل رسول الله ﷺ ويتخذه قدوة حسنة هو من يرجو أن يلقى الله تعالى مؤمنا، ومن يصدق بالبعث ويعمل للأخرة عملها، ومن ذكر الله كثيرا خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه. وهذا هو حال المؤمن الصحيح الإيمان، الذي أخلص دينه لله تعالى.

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى ما يكون من المنافقين من مظاهر الجبن حتى إنهم يحسبون الأحزاب لم يذهبوا عنهم رغم انهزامهم عن المؤمنين، فإنه تعالى يذكر - على المقابل - حال المؤمنين الذين صح إيمانهم عندما رأوا الأحزاب وما صدر عنهم من قول يعبر عن مكنون أفئدتهم. فيذكر تعالى أنهم قالوا «هذا ما وعدنا الله ورسوله» والمراد بالوعد هو الوعد بالجنة يكون لمن يقاتل في سبيل الله فيغلب أو يقتل، أو هو وعده تعالى ووعد رسوله المذكور في سورة البقرة بقوله تعالى «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم نبي الذين خلوا من قبلكم» ثم إنهم يقولون «وصدق الله ورسوله» فهم يستبشرون بما وعدهم به الله ورسوله، فرحين به حتى أنهم يؤكدون حدوثه لأنفسهم بذكرهم صدقه تعالى وصدق رسوله.

ثم إنه تعالى يذكر بصريح العبارة أن رؤية المؤمنين الأحزاب لم تحدث معهم إلا زيادة إيمانهم بالله ووعد، وتسليمهم بقضائه وقدره والرضا به. فيكون الفرق واضحاً بينهم وبين المنافقين.

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ
 مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

أولاً: الأسماء:

النحب: في قوله تعالى «فمنهم من قضى نحبه» هو النذر المحكوم بوجوبه، وشاع

استعماله بمعنى الموت. والمراد به - فى معنى الآية - هو الشهادة لأن الشهيد يلتزم الموت شهيدا بالتزام أسبابه، فيكون مثل من ألزم نفسه الوفاء بنذره .

ثانياً : التفسير :

بعد أن بين تعالى موقف المؤمنين لدى مشاهدة الأحزاب وما يكون عليه حالهم، فإنه تعالى أخبر عن المؤمنين الذين أخلصوا إيمانهم لله تعالى، فذكر أن منهم رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه من ثبات مع رسول الله ﷺ فى القتال، ثم ذكر تعالى أن هؤلاء فئتان، فئة قاتلت فى سبيل الله ثابتة على الحق إلى أن قتلت فى سبيل الله، وفئة أخرى لم تقتل فى سبيل الله، فهى تنتظر يوماً تجاهد فيه فى سبيل الله، ترتقب الشهادة أو النصر وفى كل خير.

وقد وصف تعالى هؤلاء الذين صدقوا ما عاهدوه عليه بأنهم لم يبدلوا عهدهم مع الله ولم يغيروه فى كثير ولا قليل، فيكون القول تعريضاً بالمنافقين الذين ولوا الأدبار بعد أن عاهدوا لا يولون الأدبار، لبيان الفرق بين المؤمن وبين المنافق .

لَيَجْزِيَنَّ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾

التفسير :

بعد أن بين تعالى الفرق بين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ على القتال وبين المنافقين الذين عاهدوا لا يولون الأدبار ثم أخلفوا عهدهم، فإنه تعالى أوضح - فى الآية - أنه يجزى الذين صدقوا الله ما عاهدوه عليه بسبب صدقهم هذا، لم يذكر تعالى ماهية الجزاء لكونه معلوماً أنه ثوابه تعالى مع إتاحة المجال للخيال للتفكير فى مبلغ عظمته ليكون الثواب أكثر بإذن الله .

كما أوضح تعالى أنه يجازى المنافقين بنفاقهم وخلفهم ما عاهدوا الله ورسوله عليه عذاب الآخرة، ثم جاء قوله تعالى «إن شاء أوتوب عليهم» فيكون التعذيب معلقاً على المشيئة وقد يكون ذلك لبيان أنه ليس عليه تعالى ما يعتبر واجباً، فالأمر رهن مشيئته تعالى، وقد تكون مشيئته هي أن يتوب على المنافق، فيتوب عن النفاق ويؤمن ويصح إيمانه ويعمل صالحاً، ويكون منه ذلك قبل فوات وقت التوبة.

ولهذا جاء قوله تعالى «إن الله كان غفوراً رحيماً» لبيان أنه إذا قبل تعالى توبة المنافق، فإنه يغفر له ذنبه، ثم يدخله برحمته في رحمته فيجزيه خيراً بأعماله الصالحة .

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

كَفَرُوا بَعِيثَهُمْ لَدُنَّا لَوْ آخِرًا وَكُنِيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لَقِتَالٌ وَكَانَ اللَّهُ
قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسٍ وَنَافِرًا ۝

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - الذين كفروا : المراد بهم - فى معنى الآية - أبو سفيان وأصحابه، أو كفار العرب عموماً، وقيل هم الأحزاب، وقيل هم المشركون واليهود الذين تحزبوا.

٢ - الذين ظاهروا : فى قوله تعالى «وأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» هم الذين عاونوا الأحزاب من اليهود وهم بنو قريظة، وقيل بنو النضير.

٣ - الصياصى : فى قوله تعالى «من صَيَاصِيهِمْ» جمع، مفردة «صيصة» وهى الحصون، أو كل ما يمتنع به.

ثانياً : التفسير :

القول - فى الآيتين - عوذ إلى ذكر ما كان فى واقعة الخندق .

فيذكر تعالى - فى الآيتين - ما كان منه مع الكافرين الذين اجتمعوا وتحزبوا على رسول الله ﷺ والمؤمنين ، وما كان منه مع الذين ناصروهم من اليهود . فيذكر تعالى أنه رد الكافرين من محل اجتماعهم حول المدينة حيث تحزبوا على رسول الله ﷺ إلى مساكنهم بعد أن أرسل عليهم الريح فى معسكرهم وبث فيهم الملائكة جنوداً له أثاروا فيهم الفزع فانهزموا عن رسول الله ﷺ متلبسين بغيطهم دون أن يظفروا بشيء مما كانوا يطمعون فيه ويحسبونه خيراً لهم . فكان منه تعالى أن وقى المسلمين قتالهم وكف عنهم أذاهم . فعل تعالى ذلك مع الكافرين بحكم كونه القوى على كل ما يريد ، والعزيز الغالب على أمره الذى لا يدفع بأسه .

ثم يذكر تعالى أنه أنزل اليهود الذين ناصروا كفار العرب وتحزبوا معهم على رسول الله ﷺ من حصونهم ، وقذف الرعب والخوف العظيم فى قلوبهم من المسلمين إلى الدرجة التى أسلموا معها أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر . وقد كان القتل للرجال وكان الأسر للنساء وللذرية .

وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَيْتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّه تَطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

التفسير :

بعد أن ذكر تعالى ما فعل باليهود الذين ظاهروا كفار العرب وناصروهم على رسول الله ﷺ وتحزبوا معهم عليه ، خاطب تعالى المؤمنين فى الآية ذاكرًا ما أنعم به عليهم فما كان لهؤلاء الذين ظاهروا الكافرين ومن غيرهم . فذكر تعالى أنه أورث المسلمين أرضهم ومزروعاتهم ، وحصونهم ومساكنهم وأموالهم من نقد ومنقولات وبهائم . ثم ذكر تعالى أنه أورث المسلمين

أيضا أرضا لم يطؤها من قبل ، قيل إنها خير التي فتحت بعد بنى قريظة ، وقيل إنها أرض الروم وأرض فارس ، وقد يكون الصحيح أنها كل أرض فتحها الله على المسلمين .

وجاء قوله تعالى - في ختام الآية - «وكان الله على كل شيء قديرا» بيانا لواقع أنه تعالى الذي فعل ما فعل بمن تحزبوا على رسول الله ﷺ ، وأنه الذي أورث المسلمين ما أورثهم مما كان لليهود الذين ظاهروا الكافرين ، وأورثهم ما أورثهم مما فتح عليهم من البلاد . وتذكيرا بأنه فعل هذا بحكم كونه تعالى القادر على كل شيء .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن
كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحُسْنَى
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩

أولا : الأسماء :

السراح : المزاينة - في معنى الآية - هو الطلاق .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - في الآيتين - انتقال إلى موضع آخر ، والخطاب - في مبتدأ القول - موجه إلى رسول الله ﷺ ، ومناسبة نزول القول - على ما قيل - هو أن أزواجه ﷺ سألته الثياب التي يتزين بها وزيادة النفقة .

وفي الآية الأولى يخاطب تعالى رسوله ﷺ بقوله «يا أيها النبي» لتعلم نساؤه أنهن زوجات نبي ولسن زوجات ملك يملك في الدنيا مظاهرها ومتاعها . ثم يأمره تعالى أن يسأل زوجاته

عما إذا كن يردن التمتع بنعم الحياة الدنيا وما يتزين به فيها، فإن كان أمرهن كذلك فليدعهن إلى ما طلبن بأن يطلقهن ويعطينهن متعة المطلقة التي يرى البعض أنها واجبة لمن لم يدخل بها ومستحبة لمن دخل بها، ويرى البعض أنها واجبة للمطلقة عموماً. ويكون قوله ﷺ في شأن الطلاق بيان أنه يكون سراجاً جميلاً بمعنى أنه يكون خالياً من الضرر حتى لا يكون عرضه عليهن موجبا خوфهن منه أو من اختياره .

كما أمره تعالى أن يسألهن عما إذا كن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة، والمعنى أنهن يزهدن في متع الدنيا ويقبلن بديلاً عنها رضا الله وجانب رسوله ﷺ، ويكون محل الرجاء والمنى لديهن هو ثواب الآخرة. فإن كان أمرهن كذلك فإنهن يكن قد وعدن ما أعدّه الله مقابل إحسانهن من الأجر العظيم الذي لا تستقصى عظمته.

فيكون مفاد القول في الآيتين أنه ﷺ يخير زوجاته بين متع الدنيا وزيتها وبين حسن ثواب الآخرة، فإن اخترن الحياة الدنيا وزيتها يكن منه تعالى تطليقهن مع إعطائهن نفقة المتعة، وإن اخترن الحياة الآخرة يكن منه ﷺ الإبقاء عليهن. والمراد هو مجرد إخبارهن بذلك لأنهن أمهات المؤمنين لم يكن متصوراً فيهن إلا اختيار جانب الله ورسوله والدار الآخرة.

يُنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ
يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

التفسير:

القول - في الآية - هو قوله تعالى، والخطاب موجه إلى نساء النبي ﷺ ومضمون القول هو التهريب من مقارفة الفاحشة التي تفصح بذاتها عن جسامة إثم ارتكابها ببيان تشديد عقوبة فاعلتها بسبب ضعفها لتكون مثلى عقوبة غيرهن من النساء. فالمراد بـ «الضعف» في معنى

الآية هو المثل.

وفى معنى الفاحشة فإنه لما كان الله تعالى قد عصم رسوله ﷺ من الزنى، فإنه يكون قد عصم أهل بيته منه بالتبعية، فيكون مستبعدا من معنى «الفاحشة» فى عبارة النص... ونرى - والله أعلم - أن توجيه الخطاب إلى زوجات رسول الله ﷺ بصفتهم «نساء النبى» مع ما هو معلوم من أن عصيان أمر النبى فاحشة إذا ما وقع من عموم الأفراد، وكانت الواحدة من نساء النبى تجمع - إلى صفتها واحدة من الأفراد - صفة أنها من نسائه ﷺ بما استوجب تشديد عقوبتها، أن المراد بـ «الفاحشة» فى معنى النص هو عصيان رسول الله ﷺ، يكون إذا ما وقع من إحداهن فاحشة مبينة .

وقوله تعالى - فى ختام الآية - وكان ذلك على الله يسيرا مفاده أن اختصاص نساء النبى بحكم خاص حال ارتكاب إحداهن فاحشة مبينة هو أمر سهل عليه تعالى لاثحول صفتهم دون تشريعه والعمل به.

وَمَنْ يَفْتِنَنَّ مِنْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَيُغْوِئْهُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْغِيَاثِ فَاعْلَمْ أَنَّهَا جُرْهًا مَرَّتَيْنِ
وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن عقاب من ترتكب فاحشة مبينة من نساء النبى يكون مثلى عقاب غيرها من النساء إن ارتكبته، فإنه يثبت فى الآية - استثناء للخطاب - أن من تخشع منهن لله ورسوله وتخضع وتقرن خشوعها هذا بعمل الصالحات التى يثاب فاعلها يكون لها مثلاً الثواب الذى يحصل عليه فاعلها، أو أنها تعطاه مرتين، وقد يكون هذا لأن إحداهن تكون قدوة لغيرها من النساء فى عمله فتثاب بعملهن، وقد يكون تكريماً من الله بأن جعل فى مقابل مضاعفة العقاب مضاعفة الثواب .

ثم إنه تعالى يخبرهن أنه قد أعد للخاشعات منهن لله ورسوله، العاملات صالح الأعمال
رزقا عظيما في الجنة يؤتونه فيرضيهن .

يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِّنَ
النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ
وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

أولا : الأسماء :

الذى فى قلبه مرض: المراد به - فى معنى الآية - الذى لم يسلم قلبه من الفجور أو نية
الفجور وشهوة الإثم .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان كيفية تعامل نساء النبى ﷺ مع الرجال، بدأ تعالى
القول ببيان انتفاء المساواة فى الدرجة بين نساء النبى وبين غيرهن من النساء، بمعنى أنهن
- بصلفتهن جماعة واحدة - لا تماثلهن جماعة من النساء - وأن الواحدة منهن لا تماثلها
واحدة من جنس النساء، والمعنى هو أفضلية نساء النبى ﷺ على غيرهن من النساء .

ثم إنه لما كانت هذه الأفضلية مستوجبة اختلاف حكمهن عن حكم غيرهن، فقد جاء
قوله تعالى «إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» والقول هو نهى عن الخضوع بالقول، أو هو نهى
عن التأثر بحديث لين يقوله رجل كما هو نهى عن الحديث بلين لدى مخاطبة رجل على
نحو ما تخاطب المرأة زوجها، ويتصور فى القول معنيان أولهما «إِنِ اتَّقَيْتُنَّ اللَّهَ لَا تَغْضَبُونَهُ فَلَا
تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» والثانى هو «إِنِ اتَّقَيْتُنَّ رَجُلًا أَوْ اسْتَقْبَلْتُنَّ رَجُلًا فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ»، إذ
يكون لفظ «اتَّقَيْتُنَّ» من «التقوى» كما يكون من «التلقى» ونرى - والله أعلم - أنه لما كانت
تقوى الله هى صفة ملازمة أمهات المؤمنين فإن المعنى المقبول يكون «إِنِ اسْتَقْبَلْتُنَّ رَجُلًا فَلَا

تخضعن بالقول»

ثم بين تعالى علة النهي عن الخضوع بالقول بقوله تعالى «فيطمع الذي فى قلبه مرض» فتكون علة النهي هى درء ظن السوء بالمتحدثة باللين لدى من أصاب قلبه المرض بان تمكن فيه الفجور فيكون منه الطمع فى الحرام. فالنهي هو من قبيل قطع الأسباب أو سد الذرائع.

ثم إنه لما كان يخشى من أن يكون النهي عن اللين فى القول مع بيان سببه سببا للغلظة فيه خوفا من أن يكون الحديث من قبيل القول اللين الممنهى عنه، فقد أمر تعالى نساء النبی أن يكون حديثهن بالقول المعروف، البعيد عن اللين، والبعيد عن الغلظة، ليكن فى هذا قدوة لغيرهن من النساء.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

أولا : الأسماء :

١ - التبرج : سبق بيان معناه. وقيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو المشى بتختر وتكسر وتغنج. وقيل هو إظهار ما يكون ستره أحسن، أو إظهار ما يثير شهوة الرجال.

٢ - الجاهلية الأولى : قيل إنها الفترة ما بين آدم ونوح عليهما السلام، كانت المرأة خلالها تراود الرجل عن نفسه، وقيل هى الفترة ما بين نوح وإبراهيم كان فيها بغايا يلبسن أزرق اللباس ويمشين فى الطرقات، وقيل هى زمان داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس ثوبا غير مخيط من الجانيبين يظهر أثناء سيرها فتخذيها وسوء نيتها، وقيل هو زمان كانت المرأة فيه تجمع بين الزوج والعشيق. والذي نراه - والله أعلم - أنه الزمان ما بين آدم ونوح عليه السلام،

درست فيه ونسيت القواعد الأخلاقية والدينية التي أرساها آدم - وهى العلم - فكانت الجاهلية، وهو ما يعرف بعصر ما قبل التاريخ، كانت فيه المجتمعات الإنسانية تعيش فى حالة شيوعية جنسية، لا يختص الرجل بامرأة معينة، ولا تختص المرأة برجل معين، فكل نساء العشيرة أو القبيلة لرجالها، فلم يكن وجوب لأن تخفى المرأة شيئاً عن أحد من الرجال.

التفسير:

قوله تعالى «وقرن فى بيوتكن» هو خطاب موجه إلى نساء النبي ﷺ، وإلى جميع نساء المؤمنين بالتبعية، وعلى ما تظهره أحكام القرآن العظيم، وهو أمر، قيل إن مضمونه هو أن تكون نساء النبي وقورات فى بيوتهن، وقيل إن مضمونه هو السكن فى البيوت ولزومها أخذاً بمعنى «الوقار» وهو السكن. والذي نراه - والله أعلم - هو أن مضمون الأمر هو الاستقرار فى البيوت وليس كونهن وقورات فى بيوتهن؛ وذلك لأن الأمر إنما يكون بفعل أو بالانتهاء عن فعل، والوقار أو الاحترام هو حالة وليس فعلاً فلا يكون محلاً لأمر.

وقد أتبع تعالى أمره هذا بالنهاى عن التبرج تبرج الجاهلية الأولى، والمراد به إظهار إحداهن مفاتها التى تثير الرجال وعدم حفظ نفسها عن غير حليها كما كان عليه حال المجتمعات البدائية، وسبحان الله العظيم كأن النص يشير إلى ما هو كائن اليوم فيما يسمى «مستعمرات العراة» التى يتعري فيها جميع من يدخلها من رجال ونساء خلال الفترة التى يقضونها فيها، وإلى ما يشاهد فى ساحات الرقص حيث يتبادل الرجال نساءهم فراقص كل منهم زوجة الآخر يلتصق بها وتلتصق به برضاء الزوج.

ومن أسف أن كثيرين من سرة المتسيين للإسلام هم من رواد هذه الأماكن .

وبعد هذا جاء أمره تعالى بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أو الأمر بالعبادات الإيجابية أو المتضمنة أداء، وذلك لأن أداء العبادة المفروضة إنما يكون من بعد الانتهاء عن المعاصى، وفى النص ذكر تعالى عبادة بدنية وعبادة مالية ليكون المعنى هو أداء جميع العبادات .

ثم بين تعالى علة النهي والأمر في قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» وهي أنه تعالى أراد لنساء النبي أهل بيت سكناه ﷺ المنادين بالقول «أهل البيت» بمعنى «يا أهل البيت» أن يذهب عنهم الإثم والنقائص، وأن يحلهم بالتقوى وبصيانة النفس، والقول هو مدح لهم باعتبارهن المصونات العفيفات قدوة المؤمنات.

وقيل إن معنى «أهل البيت» هم عموم أسرته ﷺ، وقيل هم أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

أولا : الأسماء :

الحكمة : المراد بها - في معنى الآية - هو سنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية .

ثانيا : التفسير :

يأمر تعالى - في الآية - نساء النبي ﷺ أمرا آخر هو تلاوة القرآن العظيم الذي يتلى في بيوتهن وتذكر أحكامه، وكذا تذكر سنته ﷺ وهي كل ما قال وكل ما فعل بصفته نبيا، والمراد بالتذكر هو الإيمان والعمل بالقرآن وبالسنة .

وقوله تعالى - في ختام الآية - «إن الله كان لطيفا خبيرا» .

مفاده أنه تعالى قد تطف بهن إذ نهاهن عما نهى عنه وأمرهن بما أمر به، وأنه العليم بجدارتهن أن يكن من أهل بيته ﷺ فناسب أمرهن بما أمر دواعي حكمته.



إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾

التفسير:

قيل إن مناسبة نزول الآية أن أم عمارة الأنصارية أتت رسول الله ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت الآية.

وبقطع النظر عن مدى صحة الرواية، فإننا نرى - والله أعلم - أن ذكر النساء في الآية قد كان لارتباط الآية في بعض معناها بما سبق وروده في شأن نساء النبي ﷺ وهن القدوة والأسوة الصالحة لنساء المؤمنين، ولأن نساءه ﷺ قد توافرت فيهن الصفات المذكورة في الآية فقد ورد ذكر النساء فيها لبيان أنهن مطالبات بتمثل أمهات المؤمنين في هذه الصفات.

والآية هي في بيان ما أعده الله تعالى للذين أسلموا واجتمعت فيهم شمائل المسلمين وفعالهم، جاءت «إن» في مبتدأ القول للتأكيد، ثم ذكر تعالى المسلمين والمسلمات، فبين أن الأمر المخبر عنه يتعلق بالمسلمين والمسلمات.

فيكون المراد بهم - في معنى الآية - هم الذين اتخذوا الإسلام الذي أرسل به محمد ﷺ ديناً والقرآن كتاباً ومحمداً رسولاً نبياً بمعنى أنهم الذين اعتنقوا الإسلام بمعناه الخاص، فلم يكونوا من الملاحدة، ولا من المشركين، ولا من أهل الكتاب الذين بقوا على دينهم بعد بعثة

رسول الله ﷺ، ثم ذكر تعالى صفات لهم وأفعالا تعتبر بمشابهة شروط يجب توافرها فيهم ليكون لهم المخبر عنه في نهاية النص، تطلب تعالى أن يكونوا مؤمنين ومؤمنات بمعنى أن يكونوا مؤمنين بما يجب الإيمان به من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والغيب، وتطلب أن يكونوا قانتين وقانتات بمعنى أن يكونوا مداومين على الطاعات، وأن يكونوا صادقين وصادقات في إيمانهم وفي قولهم وفي موافقة أفعالهم أقوالهم، وأن يكونوا صابرين وصابرات على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، وأن يكونوا متصدقين ومتصدقات بما فرض التصديق به وبغيره في سبيل الله تطوعا، وأن يكونوا صائمين وصائمات يؤدون الصوم المفروض ويصومون نفلا، وأن يكونوا حافظين فروجهم وحافظات عن الحرام، وأن يكونوا ذاكرين الله كثيرا وذاكرات بالسنتهم وقلوبهم.

أما المخبر عنه أنه يكون لهم أمرا معدا سلفا فهو مغفرة ذنوبهم التي قارفوها قبل إيمانهم، والصغائر التي ارتكبوها في إيمانهم تكون لهم منه تعالى غير معلقة على شرط تكفير الحسنات إياها، وهو الأجر العظيم، وهو الثواب بين تعالى أنه يكاد يكون حقا لهم بوصفه أنه أجر، ثم بين عظمه بوصفه بذلك «وأجرا عظيما».

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ
الْخِيفَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو بيان لحكم عام مفاده أمران: أولهما أنه ﷺ إنما يقضى في الأمور ويحكم بقضاء الله تعالى فيكون قضاؤه هو قضاء الله.

وثانيهما: أن قضاءه ﷺ في الأمر يفيد انتفاء حق الاختيار فيما يكون لدى من صدر قضاؤه ﷺ بشأنه أو في شأن من شئونه، فلا يكون منه إلا الرضوخ لقضاء رسول الله ﷺ.

ثم إنه تعالى بين حكم من لا يرضى بقضاء رسول الله ﷺ ويعمل برأيه ذاته فيما كان فيه القضاء، وصفه النص بأنه يكون عاصيا لله ورسوله، ثم ذكر أنه يكون قد ضل الطريق إلى رضا الله، وأنه يكون ضلاله واضحا مستبيناً:

وقيل في مناسبة نزول الآية أنه عندما خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ابنة عمة لمولاه زيد بن حارثة قالت «لا أرضاه لنفسى» وأيدها في ذلك أخوها عبد الله فنزلت الآية، فرضيا وسلمنا فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً. وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أول امرأة هاجرت من النساء، وهبت نفسها لرسول الله ﷺ فزوجها زيداً فقالت هى وأخوها «إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده».

وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ
وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخَوِّفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ
أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ
أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

أولاً: الأسماء والأعلام:

الذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه: هو زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أنعم الله عليه بتوقيفه للإسلام، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بتربيته في كنفه ثم بعثه.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في واقعة طلاق زينب بنت جحش من زيد بن حارثة وزواج

رسول الله ﷺ منها. يذكر تعالى رسوله ﷺ بما كان منه مع زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه بتوقيفه للإسلام والذي أنعم عليه رسول الله ﷺ بتربيته عنده وبتخاذه مولى له، وذلك عندما أعلنه ﷺ زيد برغبته في طلاق زينب بنت جحش لافتخارها عليه بشرف نسبها واشتداد لسانها عليه، وما كان من أمر رسول الله ﷺ إياه بإمساكها عليه بمعنى الإبقاء عليها زوجة وعدم إجراء طلاقها، وأمره باتقاء الله في أمرها بعدم التذرع بما ذكر من أسباب حجة لطلاقها حين يكون قد قصد بالطلاق الإضرار بها .

ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه كان يفعل ذلك مع زيد حال إخفائه في نفسه أمرا يخالف المأمور به. وعن هذا الأمر فقد قال البعض إنه هو حب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش. وهو قول يكذبه واقع أنه ﷺ كان في مقدوره أن يتزوجها من قبل ولا يزوجه زيدا وهو ما لم يفعل، ويكذبه نص الآية الذي أثبت علة تزويجه ﷺ إياها، فيكون الأمر المخفى في نفسه ﷺ هو علمه - بطريق الروحي - أنه تعالى يزوجه زينب لحكمة لديه تعالى، فيكون في هذا الزواج إبداء لحكمه تعالى في الأمر وإظهار.

كما يبين تعالى لرسوله ﷺ أنه كان يخفى في نفسه ما أعلمه به الله من أنه يتزوج زينب لأنه كان يخشى حديث الناس في الأمر أن يقولوا «تزوج محمد زوج ابنه زيد» ويعلمه أن خشيته الناس كانت خطأ منه، وأنه يجب ألا يخشى غير الله تعالى.

ثم إنه تعالى يذكر لرسوله ﷺ ما كان من الأحداث بعد ذلك، وهو أنه بعد أن قضى زيد حاجته من زوجه زينب بنت جحش، أو بعد أن أنهى زواجه منها بطلاقها، زوج تعالى رسوله ﷺ منها، وقيل في هذا إنه ﷺ تزوجها بغير واسطة عقد، بعث إليها زيدا يخطبها له، ثم دخل عليها ﷺ وهي مكشوفة الشعر فقالت: «هذا من السماء دخلت يارسول الله بلا خطبة ولا شهادة» فقال «الله تعالى المزوج وجبريل الشاهد»، ونرى - والله أعلم - أن إرساله ﷺ زيدا لخطبتها يثبت أنه كان هناك خطبة بما يعنى أنه كان هناك عقد، وأنه لما كان زواجه ﷺ بزينب بنت جحش قد أريد به التشريع للمسلمين، فإنه يصعب أن يكون هذا الزواج قد تم على نحو يخالف ما عليه التشريع في أمر الزواج، مما مفاده أنه كان هناك عقد.

ثم إنه تعالى بين علة تزويجه رسوله ﷺ زينب بقوله تعالى «الكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا» فصرح بأن علة ذلك هي أن يكون زواجه ﷺ ممن كانت زوجا لمن كان يدعوها ابنا له قبل تحريم التبنى بمثابة تشريع بطريق «السابقة» لمشروعية الزواج بزواج الابن بالتبنى، يرفع عن الناس الحرج من فعل ذلك لمخالفته ما كان عليه العرف السائد من قبل، مادام قد وقع طلاقهن من أزواجهن الذين قضوا منهن أوطارهن، وكانت عدتهن قد انقضت .

ثم بين تعالى أن ما أوراده هو الكائن والمحقق (وكان أمر الله مفعولا) وهو زواجه ﷺ ممن كانت زوجا لديه، وتشريعه زواج الرجال بمن كن زوجات لأدعيائهم .

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾
الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۚ
وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه زوج رسوله ﷺ زينب بنت جحش، فإنه تعالى أوضح فى الآية الأولى أمرين، أولهما هو عدم مرافقة الحرج مما شرعه الله للنبي وأباح له على وجه الاختصاص دون باقى المؤمنين للصحيح من الأمور والمعنى أنه لا حرج عليه ﷺ من مباشرة ما قدره الله له، وما اختص به دون سائر المؤمنين من زواج بأكثر من أربع نساء أو زواج بغير مهر أو غير ذلك. والثانى هو أن هذا الاختصاص بأحكام خاصة للأنبياء هو سته التى سارت فيمن سبقوه عليه الصلاة والسلام من الأنبياء والرسل، ومنهم داود وسليمان عليهما السلام،

وقد سبق بيان ما كان لكل منهما من الأزواج ومن الجوارى. فيكون القول مبينا أنه إنما يختص تعالى أنبياء بهذه الأحكام الخاصة لعل جرت بها حكمته ولأسباب اختصوا بها لا تتوافر في غيرهم.

ويكون القول - بهذا المعنى - متضمنا الرد على ما يثيره المبطلون من أنه ﷺ كان كثير الزوجات حبا منه للنساء .

ثم ذكر تعالى ما يبين منه أنه ما اختص به رسوله ﷺ من أحكام خاصة، هو قدره المحكوم بنفاذه. فأرجع الأمر إليه تعالى وحده بما يتقضى أن يكون الأمر بدافع من نفس الرسل والأنبياء .

وفي الآية الثانية وصف تعالى هؤلاء الأنبياء الذين خلوا من قبل والذين جرت سنته تعالى فيهم أن يختصوا بأحكام خاصة بأنهم الذين يبلغون رسالات الله، فدل على أن اختصاصهم بأحكام خاصة لا يتعارض مع رسالاتهم والإبلاغ بها، وأنه متعلق بها وإن كانت حكمة ذلك قد تغيب عن كثيرين، كما وصفهم بأنهم يخشون الله ولا يخشون أحدا إلا الله.

فدل على أن مباشرتهم ما أحل لهم دون غيرهم لا يتعارض مع خشية الله، ثم بين بذكره أنهم لا يخشون أحدا إلا الله، أن مباشرتهم ما أحل لهم دون غيرهم هو من قبيل خشيتهم الله وعدم خشيتهم أحدا إلاه، فكانهم في مباشرتهم ما أحل لهم مأمورون بفعل ما قد ينكره عليهم البعض وأنهم يفعلون ما يؤمرون.

وقوله تعالى - في ختام الآية - وكفى بالله حسيبا هو من قبيل حث رسوله ﷺ على عدم التأثر بأقوال المرييين، فهو تعالى الذى يحاسب بالأفعال وفقا لما انطوت عليه الصدور.

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝

تَجِيئُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ٤٤

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يرحم المؤمنين، فإنه في الآية يظهر من هذه الرحمة ما يكون لهم في الآخرة يوم يلقونه، يكون منه تعالى أنه يحييهم بالسلام، قيل إنه تعالى يقول لهم «سلام عليكم عبادي، أنا عنكم راض، فهل أنتم راضون» فيقولون «يا ربنا إنا راضون كل الرضا». وقيل إن الملائكة تحييهم بالسلام إذا دخلوا الجنة.

كما ذكر تعالى أنه هباً لهم الثواب الحسن ينتظرهم ليلاقوه.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا أَوْ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ٤٦ وَبَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ٤٧ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ
أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ٤٨

التفسير:

الخطاب - في الآيات - إلى رسول الله ﷺ، ناداه ربه بقوله «يا أيها النبي» ثم أوجز ما بعث به فذكر أنه أرسله شاهداً على أمته يراقب أحوالهم ويشهد أعمالهم ويشهد لهم أو عليهم بتصديقهم إياه أو بتكذيب المكذبين، فيكون عليهم شاهداً يوم القيامة كما أرسله ليبشر المؤمنين الطائعين بثواب الله وجزته، وينذر الكافرين والعصاة بعذاب الله وناره.

كما يخبر تعالى أنه أرسله ﷺ داعياً إلى الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، يكون من

ذلك بتيسير الله له سبيل الدعوة، ذلك أنه لما كان تعالى قد سبق أن ذكر أنه أرسله بالدعوة بما يعنى أنه أذن له بذلك، فإن المراد بالإذن في قوله تعالى «وداعيا إلى الله بإذنه» يكون هو التيسير والتوفيق، وبين تعالى أنه ﷺ يكون بدعوته إلى الله للناس مثل الميراج المنير يستضاء به فيهدى، كذلك يكون ﷺ للناس هاديا يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

ثم إنه تعالى طلب من رسوله ﷺ أن يبشر الذين يؤمنون بدعوته إلى الحق بما أعد لهم من الله تعالى من جزيل العطاء الذى يتفضل به عليهم وهو روضات الجنات لهم فيها ما يشاءون.

وأعقب تعالى طلبه هذا بنهيه رسوله ﷺ عن إطاعة الكافرين والمنافقين، والمراد بهذا إطاعتهم فيما طلبوه من عدم التعريض بالهة المشركين، ومداراتهم. وبأمره بعدم المبالاة بإيذائهم إياه، والمراد هو أن يواصل إنذاره إياهم بشر المال غير ملتفت إلى ما يأترون عليه من إيذائه، وبأن يتوكل عليه تعالى فى كل أمره. ثم إنه تعالى طمأن رسوله ﷺ إلى أنه كافيه أذى الكافرين بقوله «وكفى بالله وكيلًا».

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَلْقَمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ
عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهُنَّ وَأَنْتُمْ تَعْرِفُوهُنَّ وَمَرَا حَاجِبًا ۝٤٩

أولاً: الأسماء:

العِدَّة: فى قوله تعالى «فما لكم عليهن من عدة تعتدونها» المراد بها - فى معنى الآية - هو الأيام المعدودة التى بانقضائها يحل للمطلقة أن تتزوج.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - عود إلى ذكر أحكام الزواج أو ما تعلق من الأحكام بالنساء،

والخطاب موجه إلى رجال المؤمنين، وهو في شأن الطلاق قبل الجماع، وظاهر النص يفيد أن الخلوة لا تأخذ بحكم الجماع، وفي ذلك خلاف. والمستفاد من عبارة النص هو أن المراد بالنيكاح هو عقد الزواج وليس الوطء.

فيكون معنى القول الموجه إلى المؤمنين أنه إذا عقدتم على المؤمنات وتزوجتموهن ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعهن فإنه لا يكون لكم عليهن عدة الأيام التي يترصن خلالها بأنفسهن إلى تمامها.

والقول - بهذا المعنى - يشير إلى أمرين:

أولهما هو أفضلية زواج المؤمن بمؤمنة - مع إباحة الزواج من الكتابية - بدلالة قوله تعالى «إذا نكحتم المؤمنات» مع أن الحكم يسرى في شأن الكتابيات.

والثاني هو تعلق الحق في العدة بالزوج، وإن كان هذا لا يمنع قبول المعروف من أن للشرع حقا في هذا كما أن للولد حقا فيه، فإن كانت هناك عدة بسبب الدخول لم يكن للزوج الذي طلق إسقاطها.

ثم إن النص يبين أن يكون للمطلقة من قبل الدخول بها ما يعرف بـ «المتعة» وهي قميص وخمار وملحفة أو إزار يعتد فيهم بحال الزوجين من الغنى والفقر فإن كانت المطلقة قد فرضت لها فريضة أو حدد لها مهر فإنه يكون لها نصف المهر، والظاهر أنه لا تكون لها المتعة لقوله تعالى «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم» وفيه لم يرد ذكر المتعة.

ثم إنه تعالى أمر الرجال بتسريح نسائهم المطلقات قبل الدخول سراحا جميلا بمعنى أن يخرجوهن من منازلهم لعدم وجود عدة لهم عليهن يعتدونها دون الإساءة إليهن بالفعل أو بالقول، وقيل دون مطالبتهن بما آتوهن.



يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ اللَّيْءِ آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ بِمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ
وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَءَهُ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ
نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ
عَلَّمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - أزواج النبي اللاتي آتى أجورهن : فى قوله تعالى «إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن» قيل إن المراد بهن - فى معنى الآية - هو زوجاته ﷺ اللاتي كن فى عصمته وقد آتاهن مهورهن، مثل عائشة وحفصة، وسودة.

٢ - ما ملكت يمينه ﷺ : فى قوله تعالى «وما ملكت يمينك مما آفأ الله عليك» قيل إن المراد بما ملكت يمينه ﷺ - فى معنى الآية - هو ريحانة اصطفاها ﷺ لما فتح قريظة فكانت عنده حتى توفيت، وقيل هو صفيه وجورية .

ثانياً : التفسير :

الخطاب - فى الآية - موجه إلى رسول الله ﷺ، بدأ القول ببيان أنه تعالى قد أحل له ﷺ أزواجه اللاتي آتى أجورهن - أي مهورهن - ولما كان مفاد قوله تعالى «أحللنا» أن الأمر يتعلق بشيء كان محرماً عليه ﷺ من قبل ثم جاء النص بتحليله ، فإنه يتصور أن يكون النص متعلقاً بغير من كن فى عصمته ﷺ من النساء، لأنهن لم يكن محرمات عليه، ويكون فى شأن

غيرهن من النساء، على ما قيل من أنه لما خير ﷺ نساء بين الله ورسوله وبين الحياة الدنيا وزيتها، فاخترته حرم تعالى عليه التزوج بغيرهن مكافأة لهن على اختيارهن، ثم جاء النص ليحل له ما كان قد حرم عليه من الزواج بأجنبيات عموماً، ولا يمنع من قبول هذا المعنى أن الفعل في قوله تعالى «أتيت أجورهن» جاء في صيغة الماضي، لأنه أريد به تأكيد شرط الحل وهو أداء المهر. ويفيد النص معنى أفضلية تعجيل أداء المهر على تأجيله. وقيل إن الأزواج في قوله تعالى «إنا أحللتنا لك أزواجك» هن الكائنات عنده ﷺ اللاتي اخترته والدار الآخرة على الدنيا وزيتها. ثم إن النص بين أنه أحل لرسوله ﷺ ما ملكت يمينه من الجوارى مما أفاء الله عليه، والمعنى هو وجوب صحة سبب العبودية أو السبي. وقد استشكل في شأن هذا الشرط بمارية القبطية التي لم تكن مسيحية بل كانت مهداة من أمير القبط بمصر وإلى الإسكندرية، ورد على هذا بأن هدايا أهل الحرب تأخذ حكم الفداء. كما استشكل فيه بجارية أهدتها زينب بنت جحش لرسول الله ﷺ، والرد على هذا أنه قد يكون ﷺ قد تحقق من مشروعية مبدأ عبوديتها وما جرى عليها، كأن تكون مما أفاء الله به عليه فأهداها زينب بنت جحش ثم وهبته إياها.

ويذكر النص أنه تعالى أحل لرسوله ﷺ الزواج من بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، يدخل فيهن بنات عمه العباس وبنات غيره من أولاد عبد المطلب، وبنات أولاد بنات عبد المطلب، وبنات الخال من ولد بنات عبد مناف بن زهرة. واشترط لهذا أن يكن قد هاجرن مع رسول الله ﷺ بمعنى أن يكن قد أسلمن، أو قد هاجرن إلى المدينة. وقد جاء ذكر هؤلاء مع دخولهن في عموم الأزواج اللاتي أوتين أجورهن تشرifa لهن بخصهن بالذكر. ثم إن مفاد النص هو مجرد إحلال الزواج بالمذكورات أو جوازه بما لا يستدعى وجوب وقوعه، والمشهور أنه عند نزول النص لم يكن تحته ﷺ واحدة من بنات عمه، ولا من بنات عماته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته. وبين النص أنه أحل أيضاً لرسول الله ﷺ - بالعطف على أحللتنا المرأة المؤمنة التي تهب نفسها له ﷺ من غير صداق، ومن النص يبين أنه يشترط في المرأة التي أحلها تعالى لرسوله بناء على هبته نفسها وقبوله ﷺ الهبة أن تكون مؤمنة.

كما يبين من النص أن الخل معلق على قبوله ﷺ هبتها نفسها له «إن أراد النسي أن يستكحها» فإرادته ﷺ النكاح يكون قبولاً بإعلانه للإيجاب المعروض منها، لأن الهبة لا تتم إلا بقبول الموهوب له.

كما يبين النص أنه بقبوله ﷺ هبة المؤمنة نفسها له وإرادته نكاحها تكون واهبة نفسها قد خلصت له ﷺ من دون المؤمنين، كما أنه يستفاد من القول «خالصة لك من دون المؤمنين» معنى آخر، هو اختصاصه ﷺ وحده دون سائر المؤمنين بالنكاح بطريق الهبة، بمعنى أن هبة المرأة نفسها لرجل لا تجوز ولا يتم بها نكاح.

ومعلوم أنه ﷺ قد فرضت عليه أشياء لم تفرض على غيره، وحُرمت عليه أفعال لم تحرم على غيره، وحللت له أشياء لم تحلل لغيره، ومن هذه الأخيرة النكاح بطريق الهبة.

وقوله تعالى - في ختام الآية - «قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم» لكيلا يكون عليك حرج، وكان الله غفورا رحيما» مفاده أنه تعالى قد فرض ما فرض على المؤمنين من قواعد النكاح ومنه عدم الزواج بأكثر من أربع نسوة يجمع بينهن، وأن يكون الزواج بمهر وبنية وولى، فرض ذلك بعلمه تعالى أن فيه مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، وأنه خص رسوله ﷺ بأحكام خاصة تخالف هذه المشروعة لرجال المؤمنين بعلمه أنه يحقق صالحا جرت به حكمته، ثم أنه لما كان مفاد خصه ﷺ بهذه الأحكام الخاصة قد يكون سببا للحديث فيه بما يتصور معه أنه ﷺ لم يكن قدوة للمؤمنين في هذا الشأن، فإنه تعالى أعلمه أنه أنزل النص وبين ما بين فيه لرفع الحرج عنه إذ يعلم أنه ﷺ إنما كانا منقادا لحكم ربه، ثم إنه لما كان أناس من المؤمنين قد حادثوا أنفسهم أو حادث بعضهم بعضا في أمر اختصاصه ﷺ بأحكام خاصة في شأن الزواج والتسرى بالجوارى فإنه تعالى طمأن هؤلاء إلى أنه بعد علمهم بالحق واقتناعهم به وتوبتهم عن الحديث فيما تحدثوا به من قبل، يكون منه تعالى أنه يغفر لهم ما كان منهم ويدخلهم برحمته في رحمته.

وجدير بالذكر أن تشير إلى أنه قيل إنه لم يكن عنده ﷺ موهوبة، وقيل إنه كان عنده أكثر من موهوبة اختلف في شأنهن فقيل هن: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة

أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم وقيل غير ذلك.

هَرُجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ
وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ
أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا تَخْزَنَ وَرُضَيْنَ بِمَا آيَتْهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - تنمة ما خاطب به تعالى رسوله ﷺ فى الآية السابقة، فيتصور فيه أن يكون فى شأن المؤمنات اللاتى يهبن أنفسهن له ﷺ، يخوله النص أن يرجى منهن من يشاء فيترك نكاحهن إرجاء للفصل فى هبتهن أنفسهن له ﷺ، وقيل إنه ﷺ أرجأ الفصل فى أمر نساء وهبن أنفسهن له ولم يقربهن إلى أن توفى فلم ينكحن بعده، ويخوله النص أن يقبل منهن من يشاء يؤويها إليه ينكاحها.

ويتصور فى النص أن يكون فى شأن نسائه ﷺ، ويكون معنى القول على أحد أمرين، حاصل أولهما أنه يكون له ﷺ أن يؤخر من يشاء منهن فلا يضاجعها، وأن يضم إليه من يشاء منهن فيضاجعها..

وحاصل الثانى هو أنه يكون له ﷺ الخيار فى أزواجه بين أن يقسم لهن من نفسه وماله وبين ألا يقسم، وقيل إنه كان منه ﷺ أن أوى عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وقسم لهن، وكان منه إرجاء سودة وجويرية وأم حبيبة وميمونة وصفية، كان يقسم لهن ما شاء.

ثم إنه تعالى بعد أن خيره فى أمر الواهبات أنفسهن له أو فى أمر نسائه ﷺ، بين له حقه فى أن يؤوى إليه - من بعد العزل من القسمة، والإرجاء، من رغب أن يؤويها إليه، دون أن يعتبر

ذلك منه ﷺ ميلا عن الحق يستوجب المؤاخذه أو اللوم .

وبعد أن ذكر تعالى ما خول رسوله من حق الخيار في التعامل مع الواهبات أنفسهن له ﷺ أو مع نسائه جاء قوله تعالى «ذلك أدنى أن تقرر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن» بمعنى أن صدور الخيار منه تعالى من شأنه أن يجعل الواهبات أنفسهن جميعا أو نساء جميعا مطمئنات إلى أن اختياره ﷺ هو من عند الله تعالى وإن كان ظاهره أنه من عند نفسه فلا يكون ممن أرجأ ﷺ أمرهن وعزلهن ولم يؤوهن الحزن على ما فاتهن مما كن يرجون، ولا يكون ممن آوى إليه ﷺ وقسم ، طمع في مزيد، وعدم رضا بما قسم لهن أو بتفضيل بعضهن على البعض .

وقوله تعالى - في ختام الآية - «والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حلِيمًا» هو خطاب له ﷺ ولأزواجه وللواهبات أنفسهن له .

مفاده أنه تعالى يعلم ما في قلبه ﷺ من ميل إلى بعض نسائه أكثر من البعض، كما يعلم أن نساءه ﷺ والواهبات أنفسهن له راضيات عما قدره تعالى من تفويض الأمر - في شأن التعامل معهن - إليه ﷺ .

فيكون القول مدعاة لصفاء قلوب نساؤه ﷺ والواهبات أنفسهن له . كما أن القول يؤكد علمه تعالى بما هو في قلوب نسائه ﷺ وقلوب الواهبات أنفسهن له، وأنه يصفح بحلمه عما يكون قد غلب على قلوب بعضهن من الغيرة أو أدى إلى التلفظ بما غلب على القلب من الميول .

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ
مِنْ بَعْدٍ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ٥٢

أولاً: الأسماء :

النساء : المراد باللفظ - في معنى الآية - هو الحرائر بحكم العرف، وبما أظهره استثناء الإماء منهن بقوله تعالى «إلا ما ملكت يمينك» .

ثانياً: التفسير :

الخطاب - في الآية - موجه إلى رسول الله ﷺ، وقد تضمن نص الآية حكماً شرعياً خاصاً به ﷺ.

وقد اختلف فيما إذا كان هذا الحكم قد نسخ أم لا، فقيل إنه قد نسخ على ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت «لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء من شاء» وهو ما قد يكون المراد به هو قوله تعالى «ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء» لا يمنع من هذا أن الآية السابقة - في ترتيب المصحف - على النص الوارد بالحكم. وقيل إنه لم ينسخ، لأنه لما اختار نساء النبي ﷺ الله ورسوله قصره تعالى عليهن وحرم عليه الزواج بغيرهن .

وفي قوله تعالى «لا يحل لك النساء من بعد» جاء الفعل «يحل» بالياء وليس بالتاء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي لأنه لا مفرد له من مثله. ومعنى القول هو أنه لم يعد له ﷺ من بعد التسع اللاتي في عصمته عند نزول النص أن يتزوج بامرأة من الحرائر - على ما جرى به العرف في استعمال لفظ «النساء» - فيكون معنى «لا يحل» هو التحريم، كما جاء بالنص بتحريم تبديل زوج بزواج ممن هن تحته ﷺ، وفي هذا قيل إنه كان قد جرى العمل في الجاهلية على أن يقول الرجل للرجل «انزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزديك» فجاء النص بنهى رسول الله ﷺ عن هذا.

وهذا غير صحيح فلم يثبت هذا عن العرب في الجاهلية، والمراد بالقول هو تحريم طلاق إحدى نسائه ﷺ والزواج بأخرى بدلامنها حتى لا يزيد عدد نساؤه على التسع اللاتي كن تحته عند نزول النص.

فيكون النص قد تضمن حكيمين هما تحريم الزيادة وتحريم الاستبدال. وفي النهي عن الاستبدال جاء قوله تعالى «ولو أعجبك حسنهن» مفيدا قطعية التحريم وأنه لا يؤثر فيه سبب شخصي لديه ﷺ من إعجاب بحسن امرأة من النساء. والقول يفيد جواز النظر إلى المخطوبة.

ثم إنه تعالى استثنى من جنس النساء اللاتي حرم عليه ﷺ الزواج بهن - زيادة أو بدلا - ما ملكت يمينه أي الإماء اللاتي أفاء الله عليه بهن. فيكون له ﷺ التسرى بهن. وقيل في هذا إنه حرم عليه ﷺ بالنص الزواج بغير المسلمات حتى لا تكون كافرة أما للمؤمنين، وإنه أحل له التسرى بهن إن كن مما ملكت يمينه .

وقوله تعالى - في ختام الآية - «وكان الله على كل شيء رقيبا» هو للمؤمنين جميعا، يعلمهم ربهم أنه مطلع على ما في قلوبهم، عليم بما يكون من أعمالهم فيحاسبهم به، فيكون القول تحذيرا من تعدى حلاله إلى حرامه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا

بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِزٍ مِنْهُ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَلَئِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا آيَاتِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

أولاً: الأسـماء:

الأنسى: فى قوله تعالى «غير ناظرين إناه» هو ما آن أوانه، وهو- بالنسبة للطعام- تمام نضجه، يكون أوان أكله. وقيل إن المراد به- فى معنى الآية- هو الإناء أو السوءاء الذى يوضع فيه الطعام.

ثانياً: التفسـير:

الخطاب- فى الآية- إلى المؤمنين، والقول هو فى بيان ما يجب على المؤمنين مراعاته فى تعاملهم مع رسول الله ﷺ وهو فى بيته، وفى التعريف بحرمة بيته ﷺ وما يجب مراعاته فى هذا الشأن بما يعتبر من قبيل حقوقه ﷺ التى لا يعتدى عليها، كما أنه فى بيان كيفية تعامل المؤمنين مع أزواجه ﷺ، فى حياته وما يجب عليهم نحوه- فى نسائه- بعد موته.

بدأ قوله تعالى بالنداء على المؤمنين «يا أيها الذين آمنوا» فيبين أن المأمور به والمنهى عنه هو من شعب الإيمان. ثم بدأ بالنهى عن دخول بيوت النبي ﷺ، وهو نهى تحريم، بمعنى أن الأصل العام هو تحريم دخول بيوت النبي على المؤمنين لأى سبب من الأسباب.

ثم استثنى تعالى حالة الإذن منه ﷺ بالدخول «إلا أن يؤذن لكم»، وقوله تعالى «إلى طعام» مفعول مع قوله تعالى «ولكن إذا دعيتم فادخلوا» مفاده هو النهى عن دخول بيوت النبي ﷺ من أجل الطعام بغير دعوة إلى الطعام؛ ولهذا جاء قوله تعالى «غير ناظرين إناه» ليبين منه أن القول تعلق بالثقلاء الذين كانوا يدخلون بيوت النبي ﷺ فى مواعيد تناول الطعام ينتظرون نضجه ويتربصون ذلك ليأكلوا، فنهاهم القول عن هذا الفعل نهى تحريم ما لم يدعوا إلى تناول الطعام من جانبه ﷺ فيكون دخولهم بيوته وأكلهم من طعامه بناء على دعوته.

ثم إنه تعالى أمر المؤمنين بأن يكون منهم- بعد دخول بيوته والأكل من طعامه بناء على دعوته- مغادرة البيوت والانتشار فى الأرض بمجرد الانتهاء من تناول الطعام، وذلك على ما يبين من «فاء التعقيب» فى قوله تعالى «فانتشروا»، لا يمنهم عن هذا استئناس بعضهم لحديث البعض، أو تسمع حديث أهل البيت.

ثم بين تعالى علة أمره المؤمنين بالانصراف من بيوت النبي ﷺ بمجرد تناول الطعام ونهيه إياهم عن الاستئناس بالحديث سبباً للمكوث بعد تناول الطعام، فذكر أن وقوع هذا وذاك منهم كان يؤذى مشاعره ﷺ إذ يكون مقيد التصرف في بيوته ومع أهله حال وجود المؤمنين فيها.

ثم ذكر تعالى أن الحياء كان يمنعه ﷺ من أن يطلب منهم ما هو حق له عليهم وهو الخروج من البيوت والانصراف عنها وعدم الاستئناس للحديث، وأنه تعالى أمرهم بهذا لأنه الحق الذي لا يستحي منه تعالى.

وبعد هذا فإنه تعالى بين ما يكون عليه تعامل المؤمنين مع زوجات النبي ﷺ حال كونهم في بيوت النبي وفيها أزواجه، فأمرهم بأن يكون سؤالهم أو سؤال أحدهم نساءه ﷺ شيئاً مما يتمتع به من الطعام والشراب أو غيره، أن يكون ذلك من وراء ستريحجب السائل عن المستولة.

ثم ذكر تعالى علة الأمر بالحجاب ببيان أنه تكون به طهارة القلوب من الخواطر التي يوسوس بها الشياطين للرجال وللنساء لدى نظربعضهم إلى بعض والحديث مع الرؤية، والمراد بهذا هو التعليم لأنه لا يتصور في حق أمهات المؤمنين أن تجول بقلوبهن خواطر من هذا النوع.

ثم بين تعالى للمؤمنين أن أفعالهم المتمثلة في دخول بيوته بغير إذن وترقب الطعام والاستئناس بالحديث هي إيذاء له ﷺ في مشاعره أو هي أسباب لذلك لاتليق بهم ولا يصح صدورها عنهم.

ثم أتبع هذا ببيان تحريم أزواجه ﷺ على المؤمنين بعد وفاته بما يتمتع معه الزواج بهن، والراجع أن هذا التحريم خاص بالمدخول بهن، ويبدوأنهن قد اعتبرن - حكماً - أزواجه ﷺ بعد وفاته بدلالة أنه ﷺ أبقى عليهم النفقة والسكنى مدة حياتهن .

وفي ختام الآية بين تعالى جسامته إثم إيذاء رسول الله ﷺ بفعل شيء مما نهى المؤمنين

عن فعله، وكذا التزوج بزوجاته بعد وفاته المعتبر من الكبائر يقوله تعالى «إن ذلكم كان عند الله عظيماً» فيكون القول حثاً على التزام أوامره تعالى ونواهيه الواردة فى الآية، وتهديداً لمن يخالف عن أمره أو نهيه فيها .

إِنْ بُدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - مرتبط بما سبق بيانه فى الآية السابقة من تحريم نساء رسول الله ﷺ على المؤمنين لا ينكحوهن بعد وفاته، فجاء القول إنذاراً للمؤمنين بالعقاب على إبداء الرغبة فى الزواج منهن أو إبداء العزم على هذا بالقول كما حدث من رجل قال - بعد نزول آية الحجاب - «أنهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب، لئن مات محمد لتتزوجن نساءه»، وإنذاراً بالعقاب على انتواء هذا فى النفس دون التصريح عنه بالقول، فمفاد علمه تعالى بكل شيء ومنه إبداء القول المذكور أو إسراره فى النفس هو المحاسبة به والعقاب .

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ
وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَتَيْنَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٥٥

التفسير:

وزدت عبارة الحكم الشرعى فى نص الآية تقريرية لم تخاطب بها أمهات المؤمنين مع أن

حكم النص متعلق بهن، ثم أتبع تعالى حكمه الوارد فى النص بمخاطبتهن بالمأمور به ترتباً على الحكم .

فالحكم الذى ورد به النص هو عدم إيجاب احتجاب نساء رسول الله ﷺ على الذكور المذكورين فى النص من الأقارب بالنسب أو الرضاة وجميعهم ذوو رحم محرم، لم يذكر منهم العم والخال مع كونهما ذوى رحم محرم اكتفاء بذكر أبناء الإخوة وأبناء الأخوات بما يفيد أن علة عدم لزوم الحجاب هى العمومة والخولة، لكون نساء النبى عمات لبنات الإخوة وخالات لأبناء الأخوات، وقيل إنه يحتجب عنهما - وهذا ضعيف - حتى لا يكون منهما وصفهن لأبنائهن وهم من غير المحارم .

كذلك أثبت النص عدم إيجاب الاحتجاب على إماء نساء رسول الله ﷺ ومن يخالطنهن من النساء .

والمراد بهن المؤمنات دون الكافرات والكتائيات، وذلك لأن غير المؤمنات لا يتورعن عن وصفهن للغير دون أن يكون لهن وازع من الدين يردعهن عن هذا .

كما أثبت عدم إيجاب الاحتجاب على ما ملكت الأيمان، وقيل إنه رغم أن ظاهر النص يتعلق بالعبيد والجوارى فإن المراد به هو الإماء فقط. وقيل إنه الإماء والمكاتبين لا يكون ضرب الحجاب دونهم .

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «واتقين الله إن الله كان على كل شىء شهيداً» هو أمر إلى نساء رسول الله ﷺ قدوة نساء المؤمنين بتقوى الله تكون بالتزام ما أمرهن به تعالى وما نهاهن عنه، وهو إعلام بعلمه تعالى ما يصدرن من أفعال علم شاهد الأمر، فيكون علمه بمدى إطاعتهم أو أمره ومحاسبته بموجب ما علم .

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - تشریف لرسول الله ﷺ وبيان لعلو قدره في الدنيا والآخرة بما
يثبت فساد ظن كل من ظن به أو نسائه ﷺ سوءاً أو أرحف بهذا .

وفي النص يثبت تعالى أنه يصلي على نبيه ﷺ برحمته إياه وبرضائه عنه، كما يثبت أن
ملائكته يصلون عليه ﷺ بالاستغفار له، وقيل إنه تعالى شرف ملائكته بسبب صلاتهم على
النبي ﷺ فجمع بينه تعالى وبينهم في قوله تعالى «إن الله وملائكته»، وقيل إنه ليس هناك
جمع بين ذكر الله تعالى وذكر الملائكة، وإن في الكلام حذفاً تقديره «إن الله يصلي وملائكته
يصلون» .

وبعد أن أثبت تعالى واقع صلاته تعالى وصلاة ملائكته على نبيه ﷺ، أمر تعالى عباده
بالصلاة عليه ﷺ، والمجمع عليه هو أن الصلاة على رسول الله ﷺ فرض في العمر مرة، وأنها
- في كل حين - سنة مؤكدة، رأى البعض أنها واجبة كلما جرى ذكره ﷺ ورأى آخرون أنها
مندوب إليها، وعن كفيتهما فالمشهور أنها تكون بقول: «اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد» . كما أمرهم تعالى
بالتسليم عليه ﷺ، يكون بقول «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، ويكون السلام
من المؤمنين - بعد وفاته ﷺ عند حضور قبره وعند ذكره .

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ
أَحْمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٥٨

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في بيان جسامته إثم المؤذنين بغير الحق، وفي بيان ما أعد لهم من العذاب جزاء على إيدائهم.

تعلق القول - في الآية الأولى - بالذين يؤذون الله ورسوله، ومن القول - وفق عبارته - تبين عدة معان:

منها: أن كل ما يتضمن إيذاء الله تعالى يكون متضمنا إيذاء لرسوله ﷺ، كما أن كل ما يتضمن إيذاء لرسول الله ﷺ يكون متضمنا إيذاء لله تعالى. وذلك مفهوم لأن إيذاه تعالى إنما يكون بالكفر به تعالى أو بالإشراك به أو بالقول فيه غير الحق بما لا يليق بذاته، فيكون منه قول اليهود «يد الله مغلولة» وقول بعضهم «إن عزيرا ابن الله»، وقول فريق من النصارى «إن المسيح ابن الله» وقول المشركين إن الملائكة بنات الله، وإن الأصنام شركاؤه تعالى. وهذا جميعه يؤذي النبي ﷺ لأنه يخالف عقيدة التوحيد التي بعث بها.

كذلك فإن كل إيذاء لرسول الله ﷺ يعتبر متضمنا إيذاء لله تعالى، لأن إيذاه ﷺ يجد سببه في قيامه ﷺ على إيلاغ الرسالة والدعوة لله، فيكون من قبيل إيذائه ﷺ تكذيبه لأنه يعنى التكذيب بالقرآن العظيم الذي ينذر به ﷺ، وفي ذلك إيذاء لله تعالى، كما يكون من قبيل إيذائه ﷺ القول فيه إنه شاعر أو ساحر أو كاهن أو مجنون، وذلك لانطوائه على تكذيب قوله تعالى فيه إنه خاتم النبيين، كذلك يكون من قبيل إيذائه إيذاؤه في سلامة جسمه أو إيذاؤه بالتعريض به، على نحو ما كان من كسر رياعته ﷺ وشج وجهه الشريف في أحد، والطعن في نكاح صفية بنت حيى. لأنه اعتداء على الرسول فيكون اعتداء على مرسله، وإنه تعالى أعلم أين يضع رسالته.

ثم إن القول يثبت أن كل إيذاء لله ولرسوله ﷺ هو اعتداء بغير الحق، أو إنه لا يتصور فيه أن يكون بحق. ولهذا جاء قوله تعالى - في ختام الآية - مبثبا أنه قد طرد هؤلاء المؤذنين من رحمته في الدنيا والآخرة وأنه أعد لهم سلفا عذابا يذللهم ويهينهم في الآخرة.

ثم جاء قوله تعالى في الآية الثانية في شأن الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، والمعنى أن الإيذاء كان بغير سبب يوجهه من ارتكاب جرم عن عمد أو عن خطأ، فيكون إيذاء المؤذين ظلماً للمؤمنين والمؤمنات. ذكر تعالى أن هؤلاء المؤذين يحملون فعلاً شنيعاً يماثل الكذب الذي يبهت المكذوب عليه لجسامته، كما يحملون إثماً عظيماً بظلمهم، فيكون القول مشيراً إلى تعذيبهم العذاب الذي يناسب جسامته ما قرفوا من الإثم.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ
وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ
فَلَا يُؤْذَيْنَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥٩

أولاً : الأسماء :

الجلابيب : في قوله تعالى «يدنين عليهن من جلابيبهن» جمع، مفردة الجلاب، ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، وقيل هو الرداء، وهو الثوب الذي يستر جميع البدن.

ثانياً : التفسير :

بعد أن توعد تعالى الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالعقاب على ما حملوا من البهتان والإثم المبين، وكان من صور إيذاء المؤمنات التعرض لهن بما يחדش حياءهن من فعل ومن قول فإنه تعالى أمر في الآية بما يكون منه - على الغالب - تجنب المؤمنات التعرض لهن في الطرقات إذا ما خرجن لحاجة لهن، أمر رسوله ﷺ أن يقول لأزواجه ولبناته ونساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن، فالأمر هو أمره تعالى والمبلغ به هو رسول الله ﷺ، ومضمونه هو إرخاء الجلابيب على الأجساد، وقيل إنه يكون بتقنع النساء، يسترن رؤوسهن ووجوههن بجزء من الجلاب مع إرخاء الباقي على بقية البدن.

ثم بين تعالى علة الأمر بقوله «ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين» وفيه قيل إن من شأن هذا التقنع وإرخاء الجلابيب معرفة الحرائر اللاتي يفعلن هذا من الإماء اللاتي لا يفعلنه، فلا يكون التعرض للحرائر بما يؤذيهن، فيكون معنى «نساء المؤمنين» في عبارة النص هو الحرائر. ونرى - والله أعلم -.

أنه يدخل في معنى «نساء المؤمنين» الإماء المؤمنات، وذلك لأن التعرض بما يخذش الحياء أو بالتصرفات المشينة يكون - على الغالب - مع المتبرجات تتساوى في هذا الحرائر والإماء، ثم إنه لما كانت الغاية من التقنع هي منع الأذى عن المؤمنات يتعرف عليهن من إرخائهن جلابيبهن على رؤوسهن ووجوههن وأبدانهن، ومن نتيجة ذلك التيقن بأنهن لا يستجبن للتعرض لهن، وكانت العلة متوافرة في الأمة المؤمنة كما هي متوافرة في الحرة المؤمنة، وهي الإيمان وتجنب المؤمنة التعرض لأذى الفاسقين، وكانت مصلحة مجتمع المؤمنين تتطلب عدم شيع الفتنه والفساد فيه، فقد لزم - في رأينا - القول بسريان الأمر على الإماء المؤمنات.

وقوله تعالى - في ختام الآية - «وكان الله غفورا رحيمًا» مظهره أنه تعالى يغفر ذنب من وقع منها شيء من التفريط في الأمر بالتستر دون إصرار على ما وقع منها، وأنه تعالى يثيب من امتثلت أمره ولم تفرط فيه بما هو أهل له، يكون ذلك منه تعالى بوافر رحمته.

هـ. لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ
لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ١٥ مَلْعُونِينَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا لَتَأْخُذُوا
وَقَتْلُوا نَفْسِيًّا ١٦ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ١٧

أولاً: الأسماء:

المرجفون : جمع، مفردة «المرجف» اسم فاعل من «أرجف - يرجف» وهو الذي يردد الأكاذيب الملققة التي تؤذي المشاعر أو تسبب الأذى، من «الرجفة» وهي الزلزلة، لأن الأخبار الكاذبة تكون متزلزلة في نفسها غير ثابتة .

ثانياً: التفسير:

الخطاب - في الآيات - إلى رسول الله ﷺ، وهو تحذير لهؤلاء الذين عادوا رسول الله ﷺ في مدينة رسول الله ﷺ مستترين تحت عباءات مختلفة والذين هم من ضعف إيمانهم مترددون فيكون منهم في حين ممالة أعداء رسول الله ﷺ .

ومضمون التحذير هو أنه إذا لم ينته المنافقون الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإيمان عن نفاقهم وهو أذى، وإذا لم ينته ضعفاء الإيمان عن تردددهم بين المؤمنين وبين المنافقين الذين يسمعون لهم، وإذا لم ينته اليهود الذين يجاورون هؤلاء ويجاورون المسلمين عن ترديد الأكاذيب في حق رسول الله ﷺ والمؤمنين، فإنه تعالى سيكون منه دعوة رسوله ﷺ إلى قتالهم وإجلالهم عن مواقعهم ومساكنهم في المدينة.

فيكون منه تعالى تسليط رسوله ﷺ عليهم، فيكون مؤدى هذا هو مفارقتهم جوار رسول الله ﷺ في المدينة جبراً عن خواطرهم، فلا تستمر مجاورتهم إياه فيها إلا زماناً يسيراً هو الذي يلتقطون فيه عيالهم ويأخذون غالى أموالهم قبل مبارحتهم المدينة.

ثم إنه تعالى يذكر حال المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرحفين لدى مفارقتهم المدينة أو خالهم وقد فقدوا جوار رسول الله ﷺ، وهو أنهم يكونون مطرودين من الرحمة في الدنيا كما هم في الآخرة، فيكون من أثر هذا أنهم حشماً عثر عليهم ووقع الظفر بهم أخذوا أسارى وقتلوا أبلغ القتل.

ثم يذكر تعالى أن ما يكون لهؤلاء من الأسر والقتل هو ما جرت به سنة تعالى فيمن كانوا على شاكلتهم من الأمم السابقة، وهي سنة لا تغيير لها ولا تبديل، لأن أحداً لا يقدر على تبديل

ما جرت به إرادته تعالى في خلقه .

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ
تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾

أولاً: الأسماء :

الناس : المراد بهم - في معنى الآية - هؤلاء الذين كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة لأسباب في النفوس المريضة وليس يقصد العلم . وكانوا ثلاث فئات : كان المشركون يسألون عن استهزاء بالإخبار عن الآخرة، وكان المنافقون يسألون تعتا، وكان اليهود يسألون لاختباره ﷺ لعلمهم من التوراة أن أحدا من خلقه تعالى لا يعلم متى تكون .

ثانياً: التفسير :

القول - في الآية - موجه إلى رسول الله ﷺ، يخبره تعالى بما هو حاصل من المشركين ومن المنافقين ومن اليهود من سؤاله ﷺ عن وقت قيام الساعة، أو القيامة . ثم يأمر تعالى رسوله أن يرد على السائلين بما يفيد أنه تعالى وحده الذي يعلم متى تكون، وأنه استأثر بعلم هذا لم يُطلع عليه أحد من خلقه .

ثم إنه تعالى يخاطب رسوله ﷺ بقوله «وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً» وفيه أخبر أنه ﷺ لا يدري متى يكون، ثم أفاد احتمال كون وقوعها قريباً في عمر الزمان، ليكون المعنى هو إنذار السائلين باحتمال قرب موعد سؤالهم وتعذيبهم .

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ
وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - هو توعّد للكافرين عموماً، من جهر منهم بالكفر ومن نافق فستره، ومضمون ما توعّدوا به هو لعنة الله تكون لهم فيكونون مطرودين من رحمته، كما يكون لهم العذاب فى الآخرة سعير جهنم أعد لهم سلفاً .

ثم ذكر تعالى أن حالهم فى السعير يكون هو الخلود فيه للأبد منفردين عن الولي والناصر فلا يكون لهم راع يحفظهم ولا ناصر يدفع العذاب عنهم .

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۖ ﴿٦٦﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن الكافرين يلقون فى السعير وأنهم فيه يخلدون لا يجدون ولياً ولا نصيراً، جاء قوله تعالى «يوم تقلب وجوههم فى النار» ظرفاً لعدم وجودهم الولي والنصير فيه تقلب وجوههم فى النار بفعل الحرارة، ويتصور أن تكون «الوجوه» تعبيراً عن الأجساد، ويكون منهم الندم على ما كان منهم من الكفر فى دنياهم فيتمنون لو كانوا قد أطاعوا الله وأطاعوا الرسول وآمنوا وأصلحوا، لعلمهم أن ذلك كان من شأنه أن ينجيهم مما هم فيه من العذاب .

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ۚ رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعَفَيْنَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْغَنَمُ لَعْنَا كَبِيرًا ۖ ﴿٦٧﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيتين - ما يكون من الكافرين حين يشتد بهم العذاب ويعلمون أنه

جزاء على كفرهم الذى دفعهم إليه سادتهم من ذوى السلطان عليهم ورؤساؤهم الذين قادوا أفكارهم وزينوا لهم الكفر، فيكون منهم القول الذى يحاولون فيه إظهار خفة خطيئهم بالقياس إلى خطأ سادتهم وقادتهم، فيقولون إنهم كفروا تابعين هؤلاء مطيعين ما أمرهم به من الكفر فكان أن أضلهم سادتهم وكبرائهم عن السبيل الحق الموصل إلى رضا الله وجنته .

ولما كان قولهم هذا ينبىء عن كراحتهم - فى الآخرة - سادتهم وكبراءهم فى الدنيا، ويظهر قصد التشفى فيهم، فقد ذكر تعالى قولهم الذى يدعون فيه ربهم أن يضاعف لسادتهم وكبرائهم العذاب، ليكون منه العذاب على ضلالهم فى أنفسهم ، والعذاب على إضلالهم، كما يكون منهم الدعاء عليهم بأن يلعنهم الله لعنا كثيرًا، يخرجهم من رحمته ، مع المبالغة فى الطلب، والمبالغة فى اللعنة المدعوبها على الذين أضلوهم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا
وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

أولا : الأسماء :

الذين آذوا موسى : قيل إنهم الذين آذوه عليه السلام بالقول فزعموا أن فى جسمه عيبا من برص أو ورم فى خصيته هو سبب حرصه على ستر جسمه كله، ثم ظهر لهم خطأ قولهم حين تحرك الحجر بشيابه التى وضعها عليه ليغتسل فتبعه موسى إلى أن شاهده قومه .

وقيل إنهم الذين اتهموه بقتل أخيه هارون حين مات وهو على الجبل مع موسى عليه السلام، فأمر تعالى الملائكة فحملته وأتت به بنى إسرائيل ثم أخبرتهم بموته . وقيل إنهم الذين قالوا له « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » . والذى نراه - والله أعلم .

أنهم الذين قالوا فى موسى غير الحق من بنى إسرائيل بسبب زواجه من المرأة الكوشية، وذلك بالنظر إلى أن الذين آذوا رسول الله ﷺ بالقول هم الذين قالوا فيه غير الحق بسبب

زواجه من زينب بنت جحش، وقد برأ الله موسى بقوله إن عبده موسى ليس كما قالوا وأنه أمين في كل بيته. وهذا ثابت في التوراة التي بين أيدينا اليوم في الإصحاح الثاني عشر من سفر العدد.

ثانياً : التفسير :

نزلت الآية - على المشهور - لما كان من قول بعض المؤمنين غير الحق في رسول الله ﷺ حين تزوج من زينب بنت جحش، فنهاهم الله تعالى عن أن يكونوا جاهلين يؤذون رسول الله ﷺ بالقول مثل من سبقوهم من بنى إسرائيل الذين قالوا غير الحق في موسى عليه السلام حين تزوج المرأة الكوشية، فأعلن تعالى براءته عليه السلام مما قالوه فيه ورفع قدره ومنزلته عنده تعالى بأن جعله مستجاب الدعوة أو بان دعاء كليم الله، أو بغير هذا .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١

التفسير :

بعد أن نهى تعالى المؤمنين عن التمثل بالذين آذوا موسى عليه السلام بالقول من قومه الذين آمنوا له، يكون بقولهم غير الحق في رسول الله ﷺ، على نحو ما كان حين تزوج زينب بنت جحش، فإنه تعالى أمرهم باتقاء غضبه يكون بارتكاب ما يكره ومنه إيذاء رسوله ﷺ بالقول، كما أمرهم أن يكون كلامهم بما يقصد به وجه الحق (وقولوا قولاً سديداً) وهو أمر يزيد على مجرد الامتناع عن قول الباطل.

ثم إنه تعالى بين ما يترتب على تقواه وعلى التكلم بالسديد من القول - جاء في صيغة

جواب الشرط - وهو أنه يكون منه تعالى إصلاح أعمال المتقين بقبولها والإثابة عليها ويكون منه مغفرة الذنوب .

ثم إنه تعالى أطمع المؤمنين في الفوز العظيم الذي لا يعلم قدره يكون لهم إذا ما التزموا طاعة الله ورسوله، فكان القول حثا لهم على التزام طاعة الله فيما أمره وما نهى عنه، ومنه النهى عن إيذاء رسول الله ﷺ، والأمر بالتقوى، والتزام طاعة رسول الله ﷺ. ليكون لهم الفوز العظيم الموعود به.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

أولا : الأسماء :

الأمانة : قيل إن المراد بها - في معنى الآية - هو جميع وظائف الدين، وقيل هي الفرائض التي اتّمن الله عليها عباده وأشدّها أمانة المال، ومنها اتّيمان المرأة على فرجها. والذي نراه - والله أعلم - هي حرية الاختيار بالإرادة الحرة بدون قسر ولا جبر.

ثانيا : التفسير :

لما كان منه تعالى أنه بين شأن الذين يطيعون الله ورسوله ﷺ وما يكون لهم، كما بين شأن الذين يعصون الله ويعصون رسوله ﷺ وما توعدهم به من العذاب المعد لهم، وكان ربك لا يظلم أحدا مما مفاده أن الذين وجب عليهم العذاب قد استحقوه بأفعالهم التي نجمت عن سوء اختيارهم الذي كانوا فيه أحرارا غير مجبرين.

فإنه تعالى ذكر أن الإنسان منذ البدء هو الذي قبل بإرادته أن يكون مخيرا بين الخير والشر،

كما قبل أن يكون مسئولاً عما يختار طائعاً، فيقول تعالى ما مفاده أنه عرض الأمانة وهي الحقوق الواجبة المراعاة نحو النفس، والعباد، والخالق، يكون حملها بالتكليف، ويكون تزويد المكلف بالعقل الذي يفهم وبحرية الاختيار، وتكون مساءلته عما يختار ويفعل بالتبعية. عرض تعالى الأمانة على هذا النحو على السماوات وعلى الأرض وعلى الجبال فكان منهم إبداء عدم القبول بها وتفضيلهن القسر والجبر مع عدم المساءلة عليها إشفافاً على أنفسهن من نتيجة المساءلة عن الاختيار، وأنه تعالى عرض الأمانة على الإنسان فقبلها. وقد يكون المراد بهذا ما قيل من أنه تعالى عرض الأمانة على آدم فقال: «وما هي؟» قال تعالى «إن أحسنت أجرتك وإن أسأت عذبتك» فقال: «قد تحملتها يارب».

وقد يكون المراد بها هو الميثاق الذي أخذه تعالى على الناس وهم في ظهور آبائهم حين سألهم «ألست بربكم قالوا بلى».

ثم إنه تعالى وصف الإنسان بأنه كان لدى قبوله الأمانة مبالغاً في ظلم نفسه لأنه أخضعها للمساءلة، كما كان جاهلاً أشد درجات الجهل فلم يدر أن غالب أفراده يسيئون الاختيار فيكون لهم العذاب. وقيل إن المراد بـ «الإنسان» في معنى الآية هو الكافر والمنافق والعاصي.

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ قَلِيلًا
وَكَثِيرًا ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٣﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن الإنسان قد قبل أن يحمل الأمانة وأن يجزى بها أو بعمله فيها خيراً أو شراً، فإنه تعالى بين أن عاقبة ذلك كانت تعذيبه تعالى الذين خانوا الأمانة وفروا فيها من

المنافقين والمنافقات ومن المشركين والمشركات. جاء ذكرهم على وجه الخصوص لأنهم ولأنهم أئمة الكفر وأمثلة سوء الاختيار.

كما بين أن عاقبة ذلك هي توبته على المؤمنين والمؤمنات، بقبول توبتهم عما يرتكبون من المعاصي التي لم يخرجوا بها عن نطاق الإيمان إلى الكفر.

ثم بين تعالى أنه يفعل هذا مع المؤمنين والمؤمنات بحكم كونه الغفور الذي يغفر للتائبين ذنوبهم، وبحكم كونه الرحيم الذي يبذل سيئات الذين آمنوا وعملوا الصالحات حسنات.



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ① يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ②

التفسير:

يثبت تعالى أنه وحده الذى له الحمد بحكم كون كل ما فى السماوات والأرض له بحكم الخلق والإيجاد، وبحكم المالكية، وبحكم التصرف.

ويبين من قوله تعالى «وله الحمد فى الآخرة» أنه تعالى هو المحمود فى الدنيا على ما أنعم به فيها على مخلوقاته ومنها الإنسان، وأنه — بالنص — يكون له الحمد فى الآخرة، يكون له بفرقه بين المؤمن والكافر فى المصير، وبمعاملته الكافر بعدله، وبإنعامه على المؤمنين بنعم الجنة التى يقولون معها «الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء».

وقوله تعالى «وهو الحكيم الخبير» يفيد أنه تعالى أحكم بحكمته أمور الدنيا وأمور الآخرة على النحو الذى أوجب على العباد حمده وشكره، وأن علمه أحاط بكل شىء فكان إحكامه أمور الدنيا والآخرة عن علم وافر غير منقوص.

ثم ذكر تعالى — فى الآية الثانية — بعضاً مما أحاط به علمه، فذكر تعالى أنه يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها، يدخل فيما يلج فى الأرض قطرات ماء المطر، وأجساد الموتى، وما يسقط على الأرض من نيازك وشهب تحترق سطحها وتغوص فى أعماقها، وما يخترق سطحها من أنواع الأشعة. ويدخل فيما يخرج منها النبات والمعادن.

كما ذكر تعالى أنه يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، فدخل فيما ينزل من السماء الملائكة والصواعق وأقدار العباد والنيازك والشهب، ويدخل فيما يعرج فيها الأبخرة والأدخنة والأشعة الناجمة عن التفجيرات الذرية وأعمال العباد وأدعيتهم، وغير ذلك مما لم يحط به علم الناس بعد.

وجاء قوله تعالى «وهو الرحيم الغفور» لإثبات أنه تعالى يشب الحامدين برحمته ويغفر للغافلين غفلتهم عن الحمد إذا ما كان منهم التنبه إلى الحق من بعد الغفلة.



وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

التفسير:

قيل في مناسبة نزول الآية إنه لما نزل قوله تعالى في سورة الأحزاب «ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات» قال أبو سفيان لكفار مكة «كأن محمدا يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت ويتخوفنا بالبعث واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدا ولا نبعث فنزل قوله تعالى «قل بلى وربى لتأتينكم».

فيكون تعالى قد ذكر قول الكافرين، لم يقصدوا أن الساعة لا تأتيتهم بذواتهم وإنما كانوا بالقول إنها لا تأتى أحدا على الإطلاق ممن عاصروهم أو من غيرهم، فيكون قولهم هو إنكار للساعة - وهي القيامة - والآخرة وحسابها وما يكون فيها من جنة ونار.

وجاء قوله تعالى أمرا لرسوله ﷺ أن يرد عليهم قولهم وأن يثبت ما نفوه وهو إتيانهم الساعة وتأكيده ذلك بالقسم «بلى وربى لتأتينكم» .

ثم يجيء قول رسول الله ﷺ «عالم الغيب» بدلا من المقسم به يبين أنه تعالى وحده هو عالم الغيب ومنه وقت قيام الساعة، والذي لا يخرج عن علمه ولا يبعد شيء يكون منه فعل لم يجاوز حجمه حجم الذرة أولم يجاوز وزنه وزنها ، ولا يخرج عن علمه شيء يصدر منه فعل يكون أصغر من هذا المذكور أو يكون أكبر، فكل ما يكون من مخلوق صغر أو كبر هو داخل في علمه تعالى مسطور في اللوح المحفوظ، الذي هو الكتاب المبين ما يكون من العباد إلى يوم الدين .



لِيَجْزِيَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ①
وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيَّ الْيَتَامَىٰ مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ الْإِيمِ ②

التفسير:

بعد قول رسول الله ﷺ للمكذبين بالساعة «بلى وربى لتأتينكم»، يجىء قوله تعالى مينا
علة مجىء الساعة يفصح عنها قوله «ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات»، بمعنى أنه
تعالى يكافئهم على إيمانهم وعلى عملهم الصالحات.

ثم يبين هذاء الجزاء فى إجمال بأن يشير إليهم بـ «أولئك» ويخير عنهم أنه تكون لهم
مغفرة ما يكون قد صدر عنهم من الذنوب، كما يكون لهم الرزق الوافر من جميع الخيرات
ينالونه دون تعب ولا جهد.

كما يبين تعالى أن من علة مجىء يوم الدين تعذيب المكذبين الذين سعوا بين الناس
بالتكذيب بآيات الله تعالى ينالون منها بالقول السىء فيها محاولين النيل منها بالقول بعجزها
عن إثبات ما تدعيه، أو عجزها عن الرد عليهم، ومعجزين الناس عن الإيمان بها.

وفى تعذيب هؤلاء فإنه تعالى يشير إليهم «أولئك» ثم يخبر أنه يكون لهم - بسبب سعيهم
فى آياته معاجزين - عذاب من سىء العذاب أليم.

وَرَبِّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَهُدًى
إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ③

أولاً : الأسماء :

الذين أوتوا العلم : المراد بهم - فى معنى الآية - كل من أوتى العلم الصحيح فى شأن العقيدة، فبدخل فى هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ومن حصل العلم الصحيح من أمته ﷺ إلى يوم الدين، كما بدخل فيهم أهل الكتاب الذين علموا الحق من كتبهم فآمنوا به لما جاءهم فآمنوا برسول الله ﷺ.

ثانياً : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى تعذيبه المكذبين يوم القيامة الذين زعموا أنه لا يجرى ، فإنه تعالى أثبت فى الآية أن الذين أوتوا العلم الصحيح فى شأن العقيدة يعلمون أن القرآن العظيم الذى أنزل إلى رسول الله ﷺ من ربه هو الكتاب الحق الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ولهذا فإنهم يؤمنون به، كما أنهم يعلمون أنه يهدى إلى دين الله الذى هو الطريق الموصل إلى رضائه تعالى وإلى جنته، جاء وصفه تعالى بأنه العزيز الحميد لبيان أنه غالب المكذبين بعزته، وأنه المحمود على إثابته أولى العلم الذين عملوا ليوم القيامة الذى آمنوا به ترتيباً على إيمانهم بأن القرآن هو الحق من الله، ليكون ذلك مقابلاً سوء مصير المكذبين بالقرآن الكريم ويوم البعث العظيم.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَنِىْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفَرَأَيْتُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۝

التفسير :

بعد أن ذكر تعالى رأى الذين أوتوا العلم فى القرآن العظيم الذى يدعوه رسول الله ﷺ،

فإنه تعالى يذكر رأى الذين كفروا فيما يدعوا إليه رسول الله ويقول به، يبين من ذكرهم فى مقابل الذين أوتوا العلم أنهم على جهل. ورأى الذين كفروا نبىء عنه قبول بعضهم لبعض فى رسول الله إنه رجل يقول بالبعث يكون من بعد تحلل الأجساد فى القبور وصيورتها ترابا، والمعنى أنه يقول بشىء لا يقبله عقل، مع ادعاء الجهل به ﷺ على ما يبين من الإشارة إليه بأنه محض رجل من الرجال مع تمام معرفتهم به وعلو شأنه بينهم.

ثم يذكر تعالى باقى قول الكافرين فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم يقولون ما معناه أنه إما أن يكون مفترى على الله الكذب، يزعم أنه يكون بعد الموت وبعد فناء الأجساد قيام لها وحياة وينسب ذلك إلى الله تعالى، وإما أن يكون قد أصابه الجنون فقال بما لا يقبله عقل.

ثم يظهر تعالى باطل اعتقاد الكافرين الذين ينكرون البعث ولا يؤمنون بالآخرة بذكره أن مصيرهم بما يعتقدون هو العذاب يكون جزاء على سيرهم فى الضلال إلى المدى البعيد.

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 إِنَّ نَّشَأَنَهُمْ بِمِ الْأَرْضِ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٩

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى إثبات جهل منكرو البعث وبيان مدى ابتعادهم عن العقل ومقتضيات العمل به. فهو تعالى ينكر عليهم أنهم يعتقدون عدم قدرته تعالى على إعادة بناء أجسادهم بعد الفناء وإعادة الأرواح إليها مع أنهم يرون ما يحيط بهم من السماء والأرض هو من العظم فى الخلق إلى الدرجة التى يكون معها البعث أقل خطرا وأهون شأنًا.

كما أنه تعالى ينكر عليهم أنهم لم يعتبروا بما علموا من قصص المكذبين من قبلهم التي تدل على قدرته تعالى أن يفعل بهم مثل ما فعل بالمكذبين من قبلهم، كأن يخسف بهم الأرض على نحو ما فعل بقارون أو أن يسقط عليهم قطعاً من السماء تهلكهم كما فعل مع أصحاب الأيكة.

ثم إنه تعالى يبين أنهم لا يعقلون الآيات الدالة على قدرته على بعث الأجساد وإعادة الحياة إليها للحساب، بذكره أن فيما يحيط بالكافرين من خلق السماء والأرض، وما علموا من إهلاكه تعالى المكذبين من قبلهم آيات تدعو كل من يرجع إلى العقل - سبيلاً يهدي إلى الحق - إلى الإيمان بالبعث، فيكون المعنى أنهم ليسوا كذلك .

وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ^طيَجِبَالُ
أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ^ط ۚ إِنَّ أَعْمَلَ سَابِغٍ وَقَدَّرُ
فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صِلًا ^طإِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ^ط ۝

أولاً : الأسماء :

١ - السابغات : في قوله تعالى « أن اعمل سابغات » هي الدروع تسبغ على الأجساد لتقيها إصابة السلاح .

٢ - السرد : هو النسج، والمراد به - في معنى الآية - هو نسج الدروع يكون بوصل حلقاتها بعضها ببعض .

ثانياً : التفسير :

لما بين تعالى أن الكافرين قد أنكروا البعث لما رأوه مخالفاً ما جرت به العادة، فإنه تعالى

بين لهم أنه قد كان منه تعالى ما هو عجيب مخالف ما جرت به العادة مما أجراه على أيدي رسله الكرام.

فذكر تعالى ما كان منه تعالى مع داود عليه السلام الذي كان عبدا منيا فتفضل تعالى عليه بنعيمه وإحسانه، ثم خص تعالى من هذه النعم بالذكر أنه جعل الجبال تردد معه عليه السلام تسبيحه الله كلما سبجه، تفعل هذا بصوت منسوج معلوم، وقيل إن الجبال كانت تدفعه عليه السلام إلى تسبيح الله إذا ما نظر إليها وتأمل في خلقها.

كما ذكر أنه سخر له الطير تسبح معه عليه السلام، وأنه الآن له الحديد يكون بين يديه مثل الشمع لنا يشكله على نحو ما يشاء بغير حاجة إلى تار مما لا يكون لأحد من البشر.

ثم بين تعالى علة إلاته الحديد لداود عليه السلام وجعله بين يديه لنا، بذكره أنه أمر داود أن يصنع منه الدروع التي تحمي المحاربين في الحروب، وأن يعمل بفكره ويديه في جعلها حلقات يتصل بعضها ببعض في نسج تشكّل به هيئتها.

ثم أتبع تعالى هذا ببيان أنه أمر داود وقومه بنى إسرائيل الذين استفادوا مما أنعم به تعالى على داود عليه السلام بتليين الحديد له ليصنع منه الدروع بأن تكون أعمالهم صالحة، وأنه أعلمهم أنه مجازيهم بأعمالهم.

فيكون المعنى أن عملهم الصالحات من قبيل شكر النعمة.

وَالسَّالِمِينَ الرِّيحَ

عُدُّوْهُمَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلُنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمَنْ أَلْحِنَ
مَنْ يَفْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ

عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٣﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - ما تفضل به على سليمان عليه السلام مما يعد من المعجزات المخالفة لما جرت عليه العادة. فيخبر تعالى عن تسخيره الريح له كان يركبها على بساطه فتقطع به في الغدو إلى الزوال مسافة مسيرة شهر، وتقطع به في الرواح من بعد الزوال إلى الغروب مسافة مسيرة شهر، كما يخبر تعالى عن إرساله له عين القطر، بمعنى أنه تعالى أوجد عيناً في الأرض على نحو العيون التي يخرج منها الماء، يخرج منها النحاس سائلاً، أو مذاباً، قيل إنه تعالى أجراها له ثلاثة أيام، وقيل كان تعالى يجريها له ثلاثة أيام في الشهر، كان النحاس يخرج منها سائلاً مذاباً بارداً فيصنع منه ما يصنع من النحاس. كذلك فإنه تعالى يخبر عن تسخيره لسليمان من جنس الجن من سخر له ليعمل بين يديه ما يريد عمله من الأعمال التي أذن له ربه بعملها، وأنه تعالى كان يعاقب من يعدل من الجن عن طاعة سليمان عليه السلام التي أمره بها الله بعذاب دنيوى قيل إنه كان ضربه بسوط من نار في يد سليمان عليه السلام، وقيل إنه عقاب الآخرة يكون نار السعير.

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ
كَالْجُحَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ۚ أَعْمَلُوا لِي دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾

أولاً: الأسماء:

- ١ - المحارِب: المراد بها - في معنى الآية - هو القصور.
- ٢ - التماثيل: المراد بها - في معنى الآية - صور حيوانات توضع في القصور من قبيل الزينة. وقيل إنها كانت للملائكة والأنبياء والصالحين، توضع في المعابد ليتخذهم الناس

قدوة لهم فيتمثلونهم في عبادة الله تعالى .

٣ - الجفان : جمع، مفردة الجفنة، وهى «القصة» أو الوعاء الذى يوضع فيه الطعام .

٤ - الجواب : جمع، مفردة «الجابية» وهى الحوض، فيكون معنى «الجواب» هو الحياض .

ثانياً : التفسير :

يذكر تعالى - فى الآية - أن الجن الذين أمرهم الله تعالى بإطاعة سليمان فيما يأمرهم به والذين كانوا يعملون بين يديه، كانوا يقيمون له ما يشاء من القصور والمعابد، وأنهم كانوا يصنعون له التماثيل التى تزين بها القصور - ولم يكن ذلك محرماً فى الشريعة وقتذاك - وأوعية الطعام العظيمة الحجم التى تشبه الحياض فى سعتها، والقصور الضخمة التى يطهى فيها الطعام، كانت من فرط ضخامتها ثابتات على الأثافي - وهى قواعدها - لا تتحرك ولا تنزل عنها .

وربما جاء ذكر الجفان قبل ذكر القصور لأن من يدخل على الملك قصره يكرم بإطعامه فيكون منه النظر إلى وعاء الطعام دون الاهتمام بملاحظة القدر الذى أتضح فيه وطهى .

ثم بين تعالى أن النعمة تستوجب من العباد الشكر عليها بذكره أنه أمر آل داود عليه السلام ومنهم سليمان وأهله بشكره تعالى والعمل بالنعمة خيراً يكون شكراً عليها . كما بين أن الذين يشكرونه تعالى على ما أنعم به عليهم من عباده قليلون . يكون هذا فى كل زمان وكل مكان .

فَلَمَّا قُضِيَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْنِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ
تَأْكُلُ مِنْ سَعَانِهِ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْجُنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا
فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ⑭

أولاً: الأسماء:

١ - دابة الأرض : هي «الأرض»، وتسمى «سرفة» بضم السين وإسكان الراء، وهي دويبة من جنس الحشرات تأكل الخشب.

٢ - المنسأة : فى قوله تعالى تعالى «تأكل منسأته» هى العصا، من «نسأ - ينسأ» بمعنى طرد، لأنه يطرد بالعصا ويزجر.

ثانياً: التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية - هو أن الجن بقيت مسخرة فى خدمة سليمان تصنع له ما أمرها أن تصنعه له إلى ما بعد نفاذ ما قضى به تعالى عليه من الأزل أن يموت حين يأتى أجله، ويبين من قوله تعالى «ما دلهم على موته إلهادابة الأرض تأكل منسأته» .

عدة أمور، منها أنه عليه السلام كان يراقب الجن يباشرون أعمالهم له واقفا متكئا على عصاه، وأن الجن كانت من خشيته أو خشية عقابه مستمرة فى عمل ما أمرها أن تعمله بأمر ربه، وأنها لم تعرف خبر موته عليه السلام إلا حين رآته يسقط هاويا على الأرض بعد أن أكلت الأرضة العصا التى كان يتكىء عليها، فكان سقوطه على الأرض بعد زمان طويل من موته - قيل إنه عام - هو مبدأ علمها بموته عليه السلام، وأنه عليه السلام لم تتغير هيئته بالموت بل ظل على هيئته التى كان عليها فى حياته.

ثم بين تعالى أن الجن - وقد يكون المراد بهم العاملون - علموا حين تبين لهم أن سليمان عليه السلام قد مات منذ فترة طويلة أن كبراءهم كاذبون فى ادعائهم أنهم يعلمون الغيب بدلالة أنهم لم يعلموا الواقع وهو موت سليمان، وأنهم وكبراءهم لو كانوا يعلمون الغيب لما استمروا فى العمل الشاق الذى كلفهم به سليمان عليه السلام من بعد موته، والذى هو إذلال لهم ولكبريائهم .



لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ
وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾

أولاً: الأسماء والأعلام:

سبأ: المراد بها - في معنى الآية - هو القبيلة أو الحي، واسم القبيلة أو الحي مستمد من اسم الجد القديم لها وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد سبق ذكره وبيان أبنائه والقبائل المتفرعة عنهم.

ثانياً: التفسير:

بعد ذكره تعالى أخبار المنعم عليهم الشاكرين لله على أنعمه ومنهم داود وسليمان عليهما السلام فإنه تعالى ذكر في الآية حال قوم من الذين أنعم عليهم فكفروا بأنعمه. لعله يكون في ذكرهم وما آل إليه حالهم موعظة لقريش.

فيذكر تعالى أنه كان لقبيلة سبأ في المكان الذي اتخذوه لسكناهم، أو في بلدتهم آية من الآيات التي تبدل على قدرة الله الخالق المنعم، تمثلت في جنتين، كانت إحداهما على يمين بلدتهم والأخرى على شمالها، وقد تكونت كل منهما من مجموعة من الحدائق والبساتين شأن الجنان.

فكانه قيل لهم من قبل ربهم بالمعابنة، أو إنه قيل لهم من نبي لهم أن يتمتعوا بما أنعم عليهم ربهم من النعم التي هي من رزقه وأن يشكروا له ما أنعم به عليهم «كلوا من رزق ربكم واشكروا له» وأنه حثا لهم على الاستجابة له وصف البلد بأنه بلد طيب، ووصف الله بأنه ربهم ليبين لهم اعتناؤه بهم ورعايته إياهم، وبأنه غفور بمعنى أنه يغفر لهم عدم شكرهم من قبل أنعمه إذا ما تابوا وشكروا.



فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ السَّيْلَ الْعَرِمَ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ
ذَوَاتِیْ أُكُلِ خَطَمٍ وَأَثَلٍ ۚ وَشِئْنَا مِنْ سَدْرِ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾

أولاً: الأسماء والأعلام:

١ - العرم: هو الصعب، وهو الشديد، وإضافة «السيْل» إليه هي من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة. وقيل هو المطر الشديد.

وقيل هو اسم الحيوان القارض المعروف باسم «الخلد» الذي أحدث النقب في السد فاجتاحهم السيل:

وقيل إن اللفظ هو جمع «عومة» في لغة الخجاز، وهي كل ما بنى ليمسك الماء.

٢ - الخمط: في قوله تعالى «ذَوَاتِیْ أُكُلِ خَمَطٍ» هو الحامض، وهو المر. وقيل هو الأراك.

٣ - الأثل: هو أحد أنواع النباتات «الطرفاء» التي تكون أوراقها حادة الطرف ذات شوكة، لا ينبت البرى منها ثمارا وينبت ما يزرع منه في البساتين ثمارا لا تؤكل.

٤ - السدر: هو شجر النبق.

ثانياً: التفسير:

يقول تعالى - في الآية - إن أهل سبأ قد أعرضوا عن شكر الله على أنعمه أو عما طلب منهم بواسطة نبي لهم من شكره تعالى، فيكون المعنى أنهم كفروا نعمة الله عليهم، أو أنهم كفروا به تعالى شأنه.

ثم يذكر تعالى أنه كان منه أن أزال عنهم نعمته عليهم بأن أرسل عليهم السيل الشديد الذي اجتاحت جنتيهم فأزالهما، فأحل تعالى محلهما بستانين كان ثمرهما مما لا يؤكل فهو حامض مر لا ذع، وهو نوع مما تنبت أشجار «الطرفاء» لا يؤكل، وشيء قليل من النبق يكون فيه

تذكيراً لهم بما كانوا فيه من النعيم من قبل الذي أذهب عنهم كفرانهم النعمة وعدم أداء حقها من الشكر.

ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ يَكْفُرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ١٧

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى فعله بأهل سبأ من تبديل بجنّتهم آخرين لانفع فيهما، بين تعالى أن فعله هذا كان مجازاة بالكفور..

ثم جاء قوله تعالى «وهل يجازى إلا الكفور» استفهاماً أريد به إنكار أنه تعالى يجازى بمثل هذا النوع من العقاب إلا الكافرين الذين لا يكفر الله عنهم سيئاتهم، فيخرج عنهم عصاة المؤمنين، وقيل إن ورود الفعل «نجازى» يفيد أن الجزاء كان بعد الحساب، وأن من حوسب فقد هلك، وأن المؤمن يجزى ولا يجازى.

فيكون المعنى أن ما فعل الله بهم كان ترتيباً على محاسبتهم بكفرهم وبكفرانهم النعمة.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ
الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا فُؤًى ظَهْرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَاءٍ
وَأَيُّهَا مَاءِ امْنِينِ ١٨ فَقَالُوا رَبَّنَا بُعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ١٩

. أولاً: الأسماء:

١ - القرى التى باركنا فيها: هى القرى الموجودة فى الشام والأردن وفلسطين، بورك فيها بالشجر والتمر والماء.

٢ - القرى الظاهرة: هى القرى الصغيرة الواقعة على الطريق من اليمن إلى الشام، كانت متقاربة بعضها من بعض، أو كانت ظاهرة لوقوعها على مرتفعات من الأرض تظهر معها للسائرين .

ثانياً: التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - الأولى بعضاً من النعم التى أنعم بها على سبأ قبل مجازاتهم بكفرانهم النعمة.

ثم يذكر تعالى - فى الآية الثانية - مظهراً من مظاهر بطرهم وكفرانهم النعمة وبعضاً مما كان منه تعالى معهم .

فالمستفاد من قوله تعالى فى الآية الأولى - بغير النص الصريح - أنه كانت لهم تجارة واسعة مع دول الشام التى بارك تعالى فيها، وأن هذه التجارة استوجبت منهم السفر من بلادهم إلى الشام.

والمذكور بصريح العبارة هو أنه تعالى قد خفف عليهم معاناة مشاق السفر بأن أوجد فى الطريق من بلادهم إلى الشام قرى صغيرة متقاربة ظاهرة، يستريحون فيها ويقضون حاجاتهم ويستوفون زادهم، يكون السير من إحداها إلى أخرى فى وقت قصير مقدراً أنه فى مقدور المسافر، فلم يكن ليصيبهم تعب من سفرهم ولا نصب.

فيكون الحال قولاً منه تعالى - على المقدر - بأن يسيروا فى سفرهم ، فى الليل أو فى النهار آمنين أن يصيبهم تعب أو جوع أو ظمأ.

ثم يذكر تعالى - فى الآية الثانية - ما كان منهم من البطرحين سئموا الراحة وتمنوا المشقة، طلبوا من الله تعالى أن يباعد بين أسفارهم، فكأنهم سئموا أن تكون بين القرية

والأخرى على الطريق مسافة قصيرة لا يشعرون معها بأخطار التعب والجوع والعطش تهتددهم، فطلبوا بعد المسافات بين إحداها والأخرى ليشعروا بما يشعر به المسافرون من التعب والجوع والظما.

ويدعم هذا المعنى قوله تعالى «وظلموا أنفسهم» لأنهم بطلبهم هذا ظلموا أنفسهم بطلب تعريضها لما يشق عليها بدلا من أمنها وسلامتها.

وقيل في المعنى قول آخر وهو أن البطر تمثل في عدم رضائهم عما فعله تعالى من التقريب بين القرى الواقعة على الطريق على النحو الذي جعلها تعالى عليه، وأنهم طلبوا أن يكون التقريب بينها أكثر من هذا.

ثم يذكر تعالى ما جازاهم به على بطرهم هذا في عبارة موجزة «فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق»، والمعنى أنه تعالى بما فعله فيهم جعلهم موضوعا للحديث بين الناس للتمثيل بحال الكافرين بالنعم المتبشرين بها وعليها. ثم يفصح عن فعله معهم ببيان أنهم قد تفرقوا وتشتتوا في البلدان.

والمعنى أنه قد ضاق عليهم عيشهم في بلدتهم وصعب عليهم مباشرة تجارتهم مع دول الشام بعد أن شق عليهم السفر، فاضطرت كل جماعة منهم إلى الانتقال إلى بلدة من البلدان.

كما حدث عندما لحقت الأنصار بيثرب. وغسان بالشام، والأسد بعمان، وخزاعة بتهامة، فضربت العرب بتمزقهم هذا المثل بقولهم «تفرقوا أيدي سبأ». وجاء قوله تعالى «إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور».

ليبان أن في قصة سبأ آية يفيد منها كل مداوم على الصبر على الطاعة، دائم الشكر لله تعالى على أنعمه، فهو الذي يستفيد من معرفتها ومن تذكرها دون غيره من الملوك الكافرين أنعم الله عليهم.



وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
 فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ
 مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٢١﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - في الآية الأولى - أن إبليس قد وجد ظنه في بنى آدم أنهم يصغون إليه ويعصون الله محققا في أهل سبأ، ويقبل القول أن يكون ظنه قد تحقق في بنى آدم على العموم. وتفصيل ذلك هو ما جاء بقوله تعالى «فاتبعوه إلا فریقا من المؤمنين» والمعنى أن أهل سبأ أو بنى آدم قد استجابوا للوسوسة إبليس لهم بالعصيان، لم يمتنع عليه غير فريق منهم هم المؤمنون.

ثم بين تعالى - في الآية الثانية - أن الأصل أنه ليس لإبليس سلطان يقسره أهل سبأ أو يقسر أبناء آدم على طاعته والاستجابة لوسوسته، وأنه تعالى قد أذن أن تكون منه هذه الوسوسة ليميز بين المؤمن بالآخرة عن يقين فيخشى الله فلا يعصاه، وبين الضعيف الإيمان الذي يتناسى الآخرة فكانه منها في شك فيأتى المعصية تكون بإطاعته إبليس.

وجاء التعبير عن هذا بقوله تعالى «لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك» وليس المراد أنه أذن بهذا لكي يعلم، فسبحانه وتعالى ثبت في علمه الأزلى كل شيء، وإنما المراد هو لكي يستبين للناس الأمر فيكون العلم بهذا وبذاك، أوليكون ما يشهد بالحال وتكون به إقامة الحجة على من يستجيب للشيطان ويعصى الله.

وقوله تعالى «وربك على كل شيء حفيظ» مقاده أنه تعالى يحفظ على العبد كل ما يصدر عنه من طاعة أو عصيان، وأنه يجازيه عليه.

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

أولاً : الأسماء :

الشرك : فى قوله تعالى «وما لهم فيها من شرك» المراد به - فى معنى الآية - هو الشراكة أو المشاركة فى الأمر أو فى الشيء ، تكون فى ملكيته أو فى التصرف فيه .

ثانياً : التفسير :

الخطاب - فى الآية - لرسول الله ﷺ ، يأمره ربه أن يطلب من مشركى مكة الذين ذكر لهم قصة سبأ والكافرين بأنعم الله تعالى أن يدعوا الذين زعموا أنهم آلهة من دون الله ليدفعوا عنهم الضر - قيل إنه القحط الذى أصاب مكة وقتذاك - أو لي جلبوا لهم الخير . فىكون الطلب للتوبيخ والتعجيز لأن عاقبته معلومة وهى عدم قدرة معبودات المشركين على دفع الضر عنهم أو جلب النفع لهم .

ثم إنه تعالى بين أن مآل الطلب معلوم سلفاً بذكره تعالى واقع الأمر من قبل تحقق نتيجة الطلب ، وهو أن الذين يدعونهم آلهة لا يملكون مما هو فى السماوات والأرض شيئاً على الإطلاق ، جاء بيان هذا ببيان أنهم لا يملكون ما يزن وزن الذرة من المادة أو حجمها .

كما ذكر تعالى أنهم لا يشاركونه ملكية شىء مما خلق فى السماوات أو فى الأرض ، وأنه ليس له منهم معين ولا مساعد .

والمعنى أنهم لا يملكون ، وأنهم لا يفيدون ، أى أنهم فى حكم ما هو معدوم الوجود ، لا تكون منهم فائدة ، ولا يخشى منهم ضرر .



وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن معبودات المشركين لا يملكون من الأمر شيئا، وأنهم لا ينفعون ولا يضررون بذواتهم شيئا، فإنه تعالى انتقل في الآية إلى إثبات شيء آخر هو أنهم لا يملكون أن يشفعوا لديه تعالى في أحد، فيكون في هذا رد على قول القائلين إنهم شفعاءهم عند الله أو إنهم يقربونهم عند الله زلفى. جاء ذلك مستفادا من قوله تعالى «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» فبين أنه لا يؤذن لمعبودات المشركين أن يشفعوا لأحد عند الله إذ الإذن بالشفاعة لا يكون إلا للملائكة والأنبياء والمستأهلين مقام الشفاعة من الصالحين. وليس من هؤلاء معبودات المشركين. ثم إن المشركين مطرودون من رحمة الله فلا تجوز فيهم شفاعة ولا يؤذن لشافع أن يشفع فيهم.

فيكون القول مفيدا معنى أنه وإن كانت الشفاعة حقا إلا أنه لا يفيد منها المشركون لعدم استحقاقهم إياها ولا افتقاد ألهمتهم الصفات المتطلبة في الشافع.

أما باقى القول فيتعلق بشفاعة الشافعين فيمن تجوز لهم الشفاعة، فبعد أن بين تعالى أن الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذنه تعالى.

جاء القول ليبين أن كلا من الشافع والمشفوع فيه يكون حال انتظار الإذن من الله تعالى بالشفاعة في فزع وخوف من ألا يأذن تعالى بالشفاعة. فإذا ما أعلن تعالى الشافعين الطالبين الإذن بالشفاعة بإذنه بها أذهب بالفزع والخوف عن القلوب، فیسألهم المشفوع فيهم عما قال لهم ربهم ردا على طلبهم الإذن بالشفاعة فيجيبهم الشافعون بقولهم «قال الحق» وهو أنه تكون الشفاعة لمن أذن له، ثم يضيفون إلى هذا قولهم «وهو العلى الكبير» اعترافا منهم

بعظمة جناب العزة جل جلاله ودنو كل شيء عن بلوغ مقامه، وتقديرا لكون علو شأنه هو الذي كان سببا للإذن لهم بالشفاعة لمن هم في حاجة إليها.

هـ قُلْ مَنْ يُرِزُّكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَآلَاؤِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أُوفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن يسأل المشركين - تبكيثا لهم وإجارا على الإقرار بعجز آلهتهم عن فعل ما يفيد أو يضر - يسألهم عن الذي يرزقهم بما يفيض عليهم من السماء من ماء وما تخرج لهم الأرض من خيراتها. ثم إنه ﷺ لا ينتظر منهم إجابة لأنها معلومة، فيقول إنه الله تعالى الذي لم يجحد وجوده إلا المشركين.

ثم يكون منه ﷺ أنه يبين لهم أن أحد الفريقين - والمراد بهما المؤمنون والمشركون - لا بد أن يكون على الحق الذي اهتدى إليه وأن يكون الآخر على ضلال من الأمر.

والمفهوم من الإجابة هو أن المؤمنين هم الذين على الهدى لتوحيدهم الله، وأن المشركين هم الذين في ضلال مبين.

قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا أَجْرَمَنَا وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا نَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا فَتَضْحَكُنَا وَالْحَقُّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحْفَظُ بِهِمْ شُرَكَاءُ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

التفسير:

بعد أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمشركين إنهم والمؤمنين فريقان مختلفان عقيدة ومصيرا، وإن أحد الفريقين على هدى والآخر في ضلال مبين، فإنه تعالى أمره في الآيات الثلاث ثلاثة أقوال جاء الأول والثاني منهما تقريرا لواقع قصد الإعلام به، وجاء الثالث في صورة طلب لإثبات المطلوب الإقرار به.

فالقول الأول مفاده إثبات أن رسول الله ﷺ أنه لا يضره شركهم وأنهم يسألون به، جاء ببيان أن المشركين لا يسألون عما أجرم المؤمنون، وقد يكون المراد من وصف أخطاء المؤمنين بأنها إجماع إبراز أن هفوات المؤمنين تكون بالنسبة لهم بمثابة الأخطاء الجسيمة، وقد يكون المراد بها ما ارتكبوا من الذنوب قبل إيمانهم بدلالة ورود الفعل «أجرمنا» في صيغة الماضي، كما قد يكون وصف كفر المشركين وشركهم بأنه محض عمل مع ورود الفعل «تعملون» في صيغة المضارع لبيان أن الإشراك بالله وهو كبيرة الكبائر يبدو لدى المشركين هنا لإمعانهم في الضلال، وبيان استمرارهم عليه في الحاضر كما كانوا عليه في الماضي.

والقول الثاني مفاده أن الله تعالى يجمع بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة عند الحشر والحساب ثم يقضي بينهما بالشواب والعقاب يبين منه أن المؤمنين كانوا على الطريق المستقيم، وأن المشركين كانوا في الضلال المبين.

وأنه تعالى يفتح بقضائه ما انغلق من القضايا على فهم البعض فيكون قضاؤه فتجا بين به صحيح الأمور، ليكون قضاؤه قضاء بما علم، وقد وسع تعالى كل شيء علما.

والقول الثالث مضمونه طلب إظهار صفة معبودات المشركين التي سوغت لهم إلحاقهم بالله تعالى من حيث استحقاق العبادة، ولما كان مقدرا عجز المشركين عن إبراز هذه الصفة، فإن القول يكون تبكيثا لهم على اتخاذهم آلهة تعبد من دون الله تعالى وإظهارا لبطالان عقيدة الشرك؛ ولذلك يجيء قول رسول الله ﷺ «كلا» ردعا لهم عن أن يزعموا أن معبوداتهم آلهة أو أن لها صفات الآلهة، واتباعه هذا بقوله «بل هو الله العزيز الحكيم» يكون ذكرا للمراد الإقرار

به، وهو أنه ليس من إله غير الله تعالى الغالب القاهر، الذي له الحكمة في تقدير الأمور، المستحق وحده أن يعبد من الخلق أجمعين .

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ. جاء من بعد أن أمره تعالى أن يقول لمشركى العرب ما أمره ربه أن يقول لهم، ويبدو أنه قد أريد من القول إبعاد شبهة أنه تعالى قد أرسل لقومه فقط فجاء القول إثباتا لعمومية رسالته ﷺ، فجاءت «كافة» فى قوله تعالى «وما أرسلناك إلا كافة للناس» حالا من الناس قدمت عليها لبيان أهميتها.

فيكون المعنى «وما أرسلناك إلا للناس كافة» فيكون المعنى أنه بعث لجميع بنى آدم مع اختلاف ألوانهم وأماكنهم وأزمتهم.

وحال المفعول فى «أرسلناك» أنه بشير ونذير، بمعنى أنه يبشر من آمن لدعوته وأسلم بالثواب والجنة، وينذر من لم يؤمن له ولم يسلم بالعقاب على كفره .

ثم يثبت تعالى غفلة أغلب الناس عن الحق وجهلهم به بما يدفعهم إلى البقاء على الكفر بإثباته أن أكثر الناس لا يعلمون. بمعنى أنهم لا يعلمون الحق ولا يتبعونه.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَعْرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْقُدُونَ ﴿٣٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن أغلب الناس لا يعلمون الحق ولا يتبعونه وأنهم ييقن على كفرهم لا يردعهم عنه ما أنذروا به من العذاب عليه، فإنه تعالى ذكر أنه يكون منهم الاستهزاء بما أنذروا به يفصح عنه استعجالهم حلوله بهم قصد إثبات كذب المؤمنين الذين توعدوهم به وإثبات كذب رسول الله ﷺ فيما أنذرهم به.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم «لكم ميعة يوم» والمعنى هو حتمية وقوع العذاب الذى توعدوا به بهم، يكون فى يوم معلوم لديه تعالى وأن يعلمهم أن هذا اليوم يفجأهم، فإذا ما جاء عجزوا عن أن يستأخروا عنه ساعة عجزهم عن استقدامهم عليه ساعة. والمراد بهذا إثبات أنه يفجأهم وهم فى غيهم سادرون.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْجَعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ
أَسْضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا الْوَلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

أولاً: الأسماء :

الذين كفروا : قد يكون المراد بهم - فى معنى الآية - هم كفار العرب الذين أعلنوا كفرهم بالقرآن العظيم وكفرهم بالكتب السماوية التى أنزلت من قبل لتبشيرها برسول الله ﷺ ينزل عليه القرآن من ربه.

وقد يكون المراد بهم اليهود الذى أعلنوا عدم إيمانهم بالقرآن العظيم وعدم إيمانهم بالإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام .

ثانيا : التفسير :

بعد أن بين تعالى أن أكثر الناس لا يؤمنون لإصرارهم على الجهل بالحق، فإنه تعالى بين أن من هؤلاء كفار مكة الذين أعلنوا إصرارهم على الكفر بقولهم إنهم لن يؤمنوا بالقرآن العظيم الذى أُنذِرهم به رسول الله ﷺ، ثم ساء لهم أن علموا من أهل الكتاب عندما سألوهم عما إذا كانوا يجدون شيئا فى كتبهم عن رسول الله ﷺ وعن كتابه فأجابوهم بالإيجاب، فكان منهم إعلانهم أنهم لن يؤمنوا بما جاء بهذه الكتب - وهى التوراة والإنجيل - لتضمنها التبشير برسول الله ﷺ وبالقرآن العظيم.

فيكون المراد بـ «الذى بين يديه» هو التوراة والإنجيل . وقيل هو الإنجيل لدى من قال إن المراد بـ «الذين كفروا» هم اليهود.

ثم إنه تعالى خاطب رسوله، والقول لكل عاقل يقف على معناه مبينا له أنه لو قدر له أن يرى ما يكون عليه حال هؤلاء الكافرين فى الآخرة لرأى فيهم الأمر المهل، وصفهم تعالى بأنهم الظالمون لأنهم قارفوا الظلم فى حق الله تعالى وفى كتابه ورسوله وفى حق أنفسهم بتعريضها للعذاب، وذكر أنهم يكونون موقوفين عند ربهم للحساب وقد علموا أنهم معذبون، فيكون بين بعضهم البعض التحاور ومراجعة البعض قول آخرين، فيكون من التابعين المستضعفين فى الدنيا قولهم للذين علوا فوقهم فأضلّوهم ياتباعهم فى الكفر «لولا أنتم لكنا مؤمنين» .

والمعنى أنه لولا إضلالهم إياهم لكان منهم الإيمان لرسول الله ﷺ، والنجاة بهذا الإيمان من العذاب الذى ينتظرهم. فيكون معنى القول أنهم يحملون كبراءهم وزرما قرفوا من الكفر وعدم الإيمان .

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدٌ نَكْمُرُ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ

إِذْ جَاءَكُمْ بَلٌّ كُنْتُمْ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في صورة تخصم أهل النار يوم القيامة، فيذكر تعالى أنه بعد أن يحاول المستضعفون إلقاء عبء كفرهم على عاتق سادتهم وكبرائهم بقولهم لهم «لولا أنتم لكانا مؤمنين»، يذكر تعالى رد كبراء الكافرين على ضعفائهم، ورد الفعل «قال» في صيغة الماضي لبيان صدور القول منهم على وجه الحتم والإلزام وإن كان موعده صدوره هو يوم القيامة. ورد المستكبرين جاء في صيغة استفهام أريد به إنكار ما يدعيه المستضعفون من أن المستكبرين هم الذين صدوهم عن الإيمان للهدى وهو دعوة رسول الله ﷺ لهم بالإيمان، وإثبات أنهم هم الذين ضلوا عن الحق بإرادتهم؛ ولذلك وصفوهم بأنهم كانوا بكفرهم برسول الله ﷺ وبالقرآن الذي أنذرهم به مجرمين، لبيان أنهم فاعلو الجرم بإرادتهم وأنهم لم يقسروهم عليه.

وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ
أَنْدَادًا وَأَسْرُوا الدَّامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ
الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - ما يفيد أن المستضعفين أرادوا أن يظهروا بطلان قول المستكبرين إنهم لم يدفعوهم إلى الكفر وإنهم كفروا بمحض إرادتهم، وهذا هو ما يبين من قولهم لهم «بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا». فهم يقولون لهم «بل صدنا عن الإيمان مكرهم بنا ليلا ونهارا» فيكون القول مشيرا إلى ترغيب المستكبرين إياهم في

الكفر بتزيينه لهم أو بأمرهم إياهم به فى الليل والنهار، ثم إنهم بينوا هذا المكر الذى مكروه بهم ببيان أنهم كانوا يأمرونهم بالكفر بالله تعالى بكفرهم بما أرسل به رسول الله ﷺ، وأنهم كانوا يأمرونهم بعبادة غير الله تعالى يجعلونهم أندادا لله تعالى فى استحقاق العبادة .

ثم إنه تعالى يذكر أن كلا من المستكبرين والمستضعفين يسرفى نفسه الندامة على ما كان منه فى الدنيا ولا يفصح به للآخر لدى رؤية ما أعد له من العذاب، فالمستكبرون يندمون على ما كان منهم من إضلال المستضعفين، والمستضعفون يندمون على أنهم ضلوا عن الحق لما جاءهم . ويستركل منهم الندامة فى نفسه ولا يبيديها للآخر لأن كلا من الفريقين يتصل أمام الآخر من ذنبه فلا يفصح عما يجول فى نفسه من اعتراف بالذنب تمكسا منه بما قال دفعا للتهمة عن نفسه .

ثم يذكر تعالى أنه يأمر بوضع القيود فى أعناق المستكبرين والمستضعفين، وصفهم تعالى بأنهم الذين كفروا لتوافر صفة الكفر فى الفريقين، ثم يثبت تعالى أن ما يلقون من العذاب ليس غير العذاب الذى يستحقونه جزاء على ما عملوا يدخل فيه الكفر ويدخل فيه الفعل بالمعاصى .

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي
قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾

التفسير:

قد يكون قوله تعالى - فى الآية - لبيان دور المستكبرين فى إضلال المستضعفين وقد يكون لإبعاد الغم عن رسول الله ﷺ لرؤيته العداوة من كبراء قومه وأشرافهم، بإعلامه أنه كان هذا دأب المترفين فى كل قرية أرسل الله تعالى فيها رسولا .

فمعنى القول أنه تعالى لم يرسل فى قرية من القرى رسولا ينذربأمره تعالى من لا

يستجيب إلى دعوته إلى الإيمان بالله وتوحيده، إلا كان من مترفي هذه القرية الذين وسع لهم تعالى في الرزق إعلان هذا الرسول بكفرهم ليتبعهم في هذا المستضعفون - فيكون المعلوم أن فعل كبراء مكة الذين أعلنوا رسول الله ﷺ بكفرهم وجأهروه بعداوتهم لم يخرج عن هذا المألوف من أمثالهم.

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية الأولى - هو في بيان علة كون الذين وسع الله تعالى لهم في الرزق أول الكافرين برسول الله، يدخل في هؤلاء مترفو الأمم السابقة الذين ذكرهم النص في الآية السابقة كما يبين من السياق ومن رجوع الضمير المتصل في «وقالوا» إليهم ويدخل فيهم مترفو كفار مكة على ما يبين من أمره تعالى رسوله أن يقول لهم ما أمره ربه أن يقوله لهم مما ورد ذكره في الآية الثانية .

وعلة كفرهم بما يرسل به المرسلون هو توسعة الله عليهم في الرزق، وكثرة أولادهم وأتباعهم بما يعنى أن إنعام الله عليهم بالمال والأولاد وهما أسباب القوة هو سبب كفرهم والمجاهرة به اغترارا بقوتهم بدلا من شكر الله على نعمه. يعبر عن هذا قولهم «نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمُعذِّبين» فهم يرون في التوسعة عليهم في الرزق وفي الإنعام عليهم بالأولاد وكثرتهم دليلا على كرامتهم على الله تعالى بما يتنافى معه أنه يعذبهم.

ثم إنه لما كان هذا القول هو قول مترفي كفار مكة كما كان قول مترفي الأمم التي سبقتهم فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يبين لهم خطأ النتيجة التي توصلوا إليها من أن إنعامه تعالى عليهم بالنعم يفيد عدم تعذيبه إياهم، يكون ذلك منه ﷺ بأن يذكر لهم أنه تعالى يبسط الرزق

لمن شاء أن ييسر له فيه، وأنه يقدره على من شاء أن يقدره عليه دونما اعتداد بكون الشخص مؤمناً أو كافراً، ولو كان الأمر على خلاف هذا لكان كل المنعم عليهم والموسع لهم في الرزق من المؤمنين ولكان كل من قدر عليهم رزقهم من الكافرين.

ذلك أن حكمته تعالى قد تستدعي التوسعة في الرزق للكافر ليزداد كفراً فيضاعف له العذاب، يكون بكفره بريء، ويكون بكفره بأنعمه، وقد يكون بقصد رجوعه إلى الحق إذ يعلم أن المنعم عليه هو الله المستحق وحده الشكر على النعمة فيكون منه الإيمان. ولما كانت حكمته تعالى التي اقتضت أن يوسع في الرزق للبعض وأن يقدره على البعض هي من مآثرات علمه لا يعلمها أكثر الناس فقد جاء قوله تعالى «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» ليثبت أن قائلی القول المذكورهم من الذين لا يعلمون.

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا لَفِي الْإِمْنِ أَمِنْ وَعَمَلٍ
صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ أَضْعَافٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ۝ ٧٦

أولاً : الأسماء :

الغرفات : المراد بهاء في معنى الآية - هو غرفات الجنة .

ثانياً : التفسير :

القول - في الآية - هو قوله تعالى، والخطاب - على الظاهر - لمترفي الكافرين الذين اعتقدوا أنهم لكثرة أموالهم وأولادهم غير معذبين، أو هو لجميع الناس.

والقول إثبات لبطلان الاعتقاد في كون النعمة دليلاً على الكرامة على الله تعالى، فالقول ينفي أن تكون كثرة المال والمباركة في الولد دليلاً على القرب من الله تعالى والكرامة عليه.

وجاء قوله تعالى «إلا من آمن وعمل صالحا» لبيان أن ما يقرب من الله تعالى هو الإيمان الصحيح والعمل به، فهو ما يكون به القرب من رضا الله تعالى والكرامة عليه - وقد أشار تعالى إلى هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبر عنهم أنهم يكون لهم جزاء الضعف.

والمعنى يتصور فيه أن يكون هو المعنى العام الذي يفيد أنه تعالى يجزى بالحسنة عشر أمثالها، كما يتصور فيه أن يكون هو المعنى الخاص بالذين أنعم الله عليهم من الكافرين فيكون الإنعام عليهم سببا لعلمهم باستحقاقه تعالى الشكر على نعمه فيكون منهم الإيمان بالله وشكره بما يستوجب إثابهم على إيمانهم وإثابهم على شكره تعالى فيكون قد ضوعف لهم الجزاء بما عملوا.

ثم إنه تعالى يثبت أنه يكون لهؤلاء دخول الجنة ومسكنى غرفاتها ومنازلها العالية آمين من أن يصيبهم نصب أو تعب أو شىء مما يكرهون.

وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى ما ينتظر الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الخير فى الآخرة، فإنه يذكر - فى الآية - فى المقابل الذين كفروا بآياته تعالى وزادوا على هذا سعيهم فى آياته تعالى بمحاولة إبطال صحتها والتدليل على وهنها وضعفها بجهلهم ليصدوا الناس عن الإيمان بها يحسبون أنهم ينالون منها، أشار إليهم تعالى شأنه وأخبر عنهم أنهم يحضرون فى جهنم التى يلقون فيها ليحضرهم زياتيتها فيكون لهم العذاب الأليم.

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٩﴾

التفسير:

القول - فى الآية - قوله تعالى، وهو أمر لرسوله ﷺ أن يكرر ما سبق قوله من أنه تعالى يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره على من يشاء من عباده.

ثم إنه لما كان المتيقن منه أنه ﷺ قد قال القول - من قبل - للكافرين فإنه يكون متصورا أن يكون القول فى هذه المرة أو أن يكون تكرار قوله هو للمؤمنين وللكافرين، فيكون للقول معنيان بالنظر إلى الغاية منه بحسب الموجه إليه فيكون للكافرين مفيدا ذات المعنى وهو أنه ليس مفاد الإنعام عليهم بالتوسعة عليهم فى الرزق هو رضا الله عليهم وكرامتهم عليه كما أنه ليس مفاد إمساكه تعالى عن رزق أحدهم هو هوان أمره عليه تعالى وعدم رضائه عنه.

ويكون للمؤمنين مفيدا معنى وجوب شكر الله على نعمة التوسعة فى الرزق يكون أظهر ما يكون بالإتفاق فى سبيل الله.

ومعنى وجوب الرضاء بما قسم الله تعالى من الرزق لمن قدر عليه رزقه وعدم القنوط من رحمته تعالى

يدعم هذا النظر قوله تعالى «وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه» إذ يشير القول إلى أن المخاطبين به هم المؤمنون، فمعنى القول هو أن ما أنفقتم من المال الذى وسع به تعالى عليكم فى وجه من وجوه الخير فإنه تعالى يخلفه عليكم بأن يجازيكم به.

وإذا كان متصورا أن يكون إنفاق المال فى وجه من وجوه الخير من المؤمن ومن الكافر على سواء، فإن خلفه على المتفق بالثواب فى الآخرة لا يكون إلا للمؤمن دون الكافر، ويدل على أنه أريد بالرزق الذى يخلفه تعالى على المتفق رزق الآخرة وهو الجنة.

قوله تعالى «وهو خير الرازقين» لأن خير الرزق هو رزق الآخرة فوجب أن يكون خير الرازقين هو الرازق رزق الآخرة بما يعنى أن المخاطبين بقوله تعالى «وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه» هم المؤمنون.



وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ
يَقُولُ لِلَّذِينَ أَهْمَلُوا آيَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ
أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ
مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

التفسير:

القول - فى الآية - قوله تعالى، والخطاب إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، ومضمون القول متصل بقوله تعالى «ولو ترى إذ الظالمون موقفون» فيه تفصيل لما يكون مع الكافرين، وقد يكون القول متعلقا بفئة منهم هي التى قالت إن الملائكة بنات الله وأنهم يعبدون الملائكة - وهم فيما قيل قوم من خزاعة كانوا يزعمون أن الجن تتراعى لهم وأنهم ملائكة فعبدوها .

فذكر تعالى أنه يحشر هؤلاء المشركين فى جملة المحشورين إليه يوم القيامة ثم يسأل الملائكة فى مراجعتهم توبيخا للمشركين عما إذا كان المشركون قد عبدوهم حقا فى دنياهم .

ثم يذكر تعالى إجابة الجن على سؤاله تعالى إياهم، يستهلون القول بتنزيهه تعالى عن أن يشرك به «قالوا سبحانك»، ثم يتبعون هذا بإقرارهم بأنه تعالى وحده هو ربهم المتولى جميع أمورهم والذى دانوا له بالعبادة والتسبيح، ويإنكارهم أنهم تولوا المشركين .

ثم يكون منهم الشهادة على المشركين بأنهم إنما كانوا يعبدون فى الدنيا إبليس وأعوانه من الجن الذين زينوا لهم الباطل فأطاعوهم، مثبتين أن أكثر المشركين آمنوا بصحة ما زينه إبليس وأعوانه لهم ثم اتبعهم الباقون، أو أن أكثرهم اعتقدوا أنهم يعبدون الملائكة حين كانوا يعبدون الجن، ثم صدقهم الآخرون .

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٦﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية - أنه يقال يوم القيامة للعابدين غير الله تعالى ولمعبودهم يدخل فى المعبودين الملائكة ويدخل فيهم الجن، إن أحدا منهم لا يملك للآخر نفعا ولا ضرا. فالمعبودون لا يملكون أن ينفعوا عابديهم بذواتهم لأسباب منها أنهم لا يملكون لهم شيئا بحكم كونهم مخلوقين وليسوا آلهة، ومنها أن الملائكة من المعبودين لم يرضوا بعبادة المشركين إياهم من دون الله، فلا يتصور منهم إرادة إفادتهم ومنها أن الجن الذين زينوا لهم الشرك يتبرؤون منهم يوم القيامة ويلقون بعبء الشرك عليهم. ومن هذه الأسباب أن المعبودين لا يملكون للعابدين الشفاعة، فالملائكة لا تستأذن فى الشفاعة لمشرك لأنه ليس لمشرك حق فى شفاعته، والجن لا تملك أن تشفع فى أحد فلا يتصور منها أن تستأذن فى الشفاعة مطلقا. كذلك فإن العابدين - وهم أفقر الخلق يوم القيامة لفقدانهم رحمة الله والأمل فيها - لا يملكون شيئا لمعبودهم: ثم إن الجميع عابدين ومعبودين لا يملك منهم أحد أن يضر الآخر بشيء، لأن جماع الأمر كله يوم القيامة لله تعالى.

ثم يذكر تعالى أنه يقول للكافرين الذى كذبوا بيوم الدين أو الذين لم يعملوا له فكانوا مثل المكذبين به «ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون» والمعنى أنه يقال لهم هذا القول زيادة فى إهانتهم وفى توبيخهم على ما فرطوا فى حق أنفسهم، وإظهارا لأن ما يلقون من عذاب هو مجرد جرعة أولى من العذاب المعد لهم كما يكون تذوق الشيء مبدأ الإحساس به قبل دخوله البطن، ويكون توبيخهم وتبكيتهم بتذكيرهم أنهم كانوا فى دنياهم يكذبون ما قيل لهم من أنهم معذبون، فيكون المعنى أنه يدخل فى زمرة من يقال لهم القول هؤلاء الذين لم ينكروا البعث والحساب، ولكنهم اعتقدوا أن إنعام الله عليهم بالمال والولد دليل على أنهم لا يعذبون، وعلى كرامتهم على الله تعالى.

وَإِذَا نَسَلُوا
عَلَيْهِمْ أَيْتَانِ يَنْتَبِهَاتِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا
يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَكٌ مَّفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُؤُنَا ۖ

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في الكافرين الذين أصروا على الكفر، والقول يفيد أنهم أصروا على الكفر دونما سند من فكر أو من نص، وأنهم لهذا قد تخطوا في وصف رسول الله ﷺ ووصف القرآن العظيم الذي كفروا به بما يدل على أنه لم يكن لديهم سبب يسيغ لهم أن يتشككوا في صحة كون القرآن العظيم كتابا منزلا من الله تعالى على نبي الله تعالى الحق.

فيثبت القول أنه حينما كان القرآن يتلى فيسمعه الكافرون وآياته واضحة الدلالة على أنها من عند الله، وأن ما فيها هو مما يعجز الخلق عن الإتيان بمثله، كان الكافرون يقولون في رسول الله ﷺ إنه ليس إلا رجل مثل سائرهم - أي أنهم يعلنون إنكارهم نبوته - وإنه لا يستهدف غير صد الناس عن عبادة الآلهة المصنوعة والموهومة التي كان آبائهم وأبلافهم يعبدونها من قبل. كما كانوا يقولون في آيات الله البينات إنها ليست سوى تلفيقات من رسول الله ﷺ نسبها كذبا إلى الله تعالى.

ثم يذكر تعالى أنهم كانوا يقولون في القرآن قولاً آخر، هو أنه سحر واضح، وهذا وإن كان مفاده تخطيهم فيما يقولون في القرآن العظيم بما يثبت كذب قولهم فيه، فإنه يثبت - من جهة أخرى - بملاحظة إدراكهم ما في القرآن من بلاغة تبعده عن أقوال السحرة والمشعوذين، أنهم إنما كانوا يقولون غير ما يعتقدون، وهذا دليل على إصرارهم على الكفر الذي اختاروه من قبل والذي استحقوا به ما أعد لهم من العذاب.

وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ
يَذُرُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ٤٤ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَمَا بَلَّغُوا عَشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥

أولاً : الأسماء :

المعشار : فى قوله تعالى «وما بلغوا معشار ما آتيناهم» . هو العشر فمعشار الشئ هو عشره، وقيل هو عشر العشر، بمعنى أنه جزء من ألف جزء من الشئ .

ثانياً : التفسير :

بعد أن بين تعالى أن المكذبين برسول الله ﷺ والقرآن العظيم يتخبطون فى أقوالهم لا يثبتون على قول واحد فيه ﷺ وفيما أنزل إليه من ربه نتيجة لانعدام حجتهم ولبعدهم عن الحق، فإنه تعالى أثبت - فى مقام أول - أنهم ليسوا على شئ من العلم حصلوه فيكون لهم فيه دليل على عدم صدق رسول الله ﷺ، ثم إنه لما كانت وسيلة تحصيل العلم هى الاطلاع على ما هو مدون فى الكتب أو الاستماع إلى ذى علم والأخذ عنه، فإنه تعالى قد أثبت أنهم عدموا الوسيطتين، فهو تعالى لم ينزل إليهم قبل القرآن العظيم كتباً درسوها فلم يجدوا فيها ما يخبر عن مجيئه ﷺ بالحق من ربه، كما أنه تعالى لم يرسل إليهم قبل رسول الله ﷺ رسولا أخبرهم أنه لا يبعث الله إليهم رسولا من بعده. فيكون المعنى هو افتقار المكذبين برسول الله ﷺ إلى دليل مقروء أو مسموع يؤيد تكذيبهم وكفرهم .

ثم إنه تعالى تهدد المكذبين بالعذاب إضماراً بغير تصريح بذكره أنه قد سبقهم إلى تكذيب الرسل أقوام آخرون كانوا قبلهم، ثم ذكر تعالى أن ما أتى تعالى هؤلاء المكذبين السابقين من أسباب القوة يفوق ما أتى المكذبين من قومه ﷺ من أسبابها من مال وبنين وسلطان، حتى أن ما أوتى كفار قومه ﷺ لا يبلغ معشار ما أوتى الذين من قبلهم. فلم ينفع

الذين من قبلهم ما أوتوا من أسباب القوة ولم يدفع عنهم عذابه تعالى الذى أشار إليه مينا شدته بقوله «فكيف كان نكير» بمعنى «فكيف كان عقابى» وهذا على نحو ما كان مع ثمود وعاد وغيرهما من المكذبين . فيكون القول تهديدا للمكذبين من كفار مكة بالعذاب الشديد.

وقيل إن الضمير فى قوله تعالى «وما بلغوا» يعود إلى المكذبين السابقين . وإن الضمير المتصل فى «آتيناهم» يعود إلى المكذبين من كفار مكة ، وإن المعنى هو أن ما أنعم به تعالى على المكذبين السابقين لم يبلغ معشار ما أنعم به على المكذبين من قومه ﷺ ، فيكون المراد من القول هو بيان درجة إثم كفار مكة الذين لم يقابلوا نعم الله العظيمة عليهم بشكر الله عليها ، وإنما قابلوها بالكفر بها وتكذيب رسول الله ﷺ ، وذلك لبيان استحقاقهم عقابا أشد من عقاب المكذبين من قبلهم .

قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفُودَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا
مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٤٦

التفسير:

الآية - فى رأينا ، والله أعلم - هى قمة الرأى العلمى فى بيان كيفية الوصول إلى رأى صحيح أو أقرب ما يكون إلى الصحة فى كل ما استشكل على المرء ، وإن تعلق الأمر - فى موضوع الآية - بدعوة رسول الله ﷺ كفار مكة إلى ترك عقيدة الشرك واعتناق الإسلام بتوحيد الله وعبادته.

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لقومه «إنما أعظكم بواحدة» بمعنى أنه ينصحهم بسماع كلمة واحدة وإطاعتها - والمراد بها كلمة التوحيد: لا إله إلا الله - فيكون سماع الكلمة وإطاعتها هو الأمر المطلوب اتخاذ القرار بشأنه.

ثم يحدد ﷺ سبيل الوصول إلى القرار الصحيح في المسألة أو القضية المطلوب التقرير بشأنها بقوله «أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا، ما بصاحبكم من جنة» ومعنى «القيام» هو التجرد للأمر المطلوب بحته، وكون القيام لله مفاده هو التجرد عن الآراء والأهواء وابتغاء وجه الحقيقة دون التأثير بالعواطف والأهواء.

فيكون المعنى هو أن تهيئوا لبحث الأمر غير مشغلين بغيره مبتغين فيه وجه الحق دون التأثير بالمصالح والأهواء. ثم إنه يبين كيفية بحث الأمر بأن يكون «مثنى وفردى» والمعنى هو التداول فيه والمناقشة بين المتداولين، ثم عرض الأقوال على النفس التي هي نفس الفرد مع استعراض السوابق من الأحداث والسوابق التاريخية لتكون مرشدا يساعد على الوصول إلى الرأي الصحيح في المسألة.

ثم ينتقل القول إلى تطبيق العام على الخاص، بمعنى بحث الدعوة الجديدة التي دعا بها رسول الله ﷺ، يكون استعراض السوابق فيها باستعراض ماضيه ﷺ وما عرف عنه من عقل حكيم أو جنون، ومن صدق أو كذب، ومن قراءة للكتب أو جهل بها، ومن اعتناق الحق أو لجوء إلى السحر والسحرة.

فإذا ما انتهى بحث هذه السوابق إلى حقيقة أنه قد عرف عنه ﷺ العقل والحكمة والاتزان، وعرف عنه التزام الصدق في كل أمره، وجهله القراءة بما لا يتصور معه تحصيل العلم الذي أبلغ به من الكتب، كما عرف عنه النأي عن السحر والسحرة، فإن القرار الصائب يكون بتصديقه ﷺ.

ولهذا جاء قوله تعالى - في ختام الآية - «إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» شهادة منه تعالى لرسوله ﷺ بأنه نذير من لدنه ينذر بالقرآن العظيم من يصر على الكفر أنه يكون له بكفره العذاب الشديد. ومشييرا إلى أن مضمون ما شهد به تعالى لرسوله هو ما يفترض أن يصل إليه الذين يتبعون السبيل الصحيح للوصول إلى قرار صحيح في كلمة التوحيد التي دعاهم إليها ﷺ.



قُلْ مَا سَأَلُكُمْ مِنْ أَجْرِ فِهْوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٤٧ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَٰلَمُ الْغُيُوبِ ٤٨ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ٥٠

التفسير:

أمر تعالى رسوله ﷺ فى الآيات الأربع بأقوال أربعة يقولها لكفار مكة الذين يدعوهم إلى كلمة التوحيد.

وقد يكون المراد بهذا - مقروءا مع الآية السابقة - هوييان وجوب سماع من يبحثون أمرا لاتخاذ قرار فيه قول من يبحثون أمره لتمام الإحاطة به قبل التقرير بشأنه، وقد يكون المراد به هو إظهار حق المتهم بشيء، أو من يبحث أمر فعل أو قول صدر منه فى أن يبدى أوجه دفاعه أو حججه قبل التقرير بشأنه.

ومضمون القول الأول الذى أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقوله لكفار مكة هو أنه لم يسألهم أجرا على تبليغه إياهم رسالة ربه بما يعنى أنه لم يستهدف صالحا خاصا به وإنما استهدف - مع أداء ما كلف به - صالحهم، فإن قال منهم قائل «إنه طلب أجرا» فإنه ﷺ يتنازل عنه ليكون لهم. ثم إنه ﷺ يبين لهم أن الذى يؤجره على إبلاغه ما أرسل به هو الله، يخبر عنه بأنه على كل شيء شهيد، يشهد عمله ويشهد أعمالهم، فيؤجره على عمله ويحاسبهم بأعمالهم.

والقول الثانى الذى أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقوله لقومه أول كفار مكة هو أن ربه علام الغيوب يقذف بالحق، والمعنى أنه تعالى ينزل القرآن وهو الحق، جاء التعبير عن إنزاله

بالقذف لأنه يصيب به الباطل فيزهقه، فيكون المعنى هو أن القرآن يقيم الحجة على بطلان عقيدة الشرك.

والقول الثالث الذي أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقوله لقومه أول كفار مكة هو أن الكتاب الحق الذي نزل بالحق وبالأدلة والبراهين الحق قد جاء من الله تعالى، وفيه إثبات لكون الله تعالى هو الخالق الموجد من العدم وهو الباعث من الموت للحساب والجزاء، وهو ما لا يفعله الباطل - وهو معبودات المشركين، والشيطان - فليس في مقدور آلهتهم ولا في مقدور إبليس اللعين أن يخلق شيئاً ولا أن يعيد - من بعد الموت - أحداً. فيكون القول مبيناً وجوب اتباع الحق.

والقول الرابع الذي أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقوله لقومه أول كفار مكة مفاده أن الضلال عن الحق إنما يكون من المرء وأن الهدى يكون من الله، والمعنى أنه تعالى لم يقسر أحداً على الضلال وإن جرت به مشيئته ترتيباً على علمه الأزلي أنه يكون من المرء اختيار الضلال. ومفاد قوله ﷺ هو أنه إن حدث منه أن ضل السبيل إلى الحق فإن حدوث هذا يكون مرجعه إلى خطئه، فإذا كان هذا هو شأنه ﷺ وهو الأكرم على الله من خلقه فإنه يكون حال جميع خلقه - من باب أولى - وإن كان منه الاهتداء إلى الحق فهو بمعونة ربه الذي أوحى إليه ما أوحى من القرآن العظيم فكان له ﷺ به الهدى. وقيل إن مناسبة نزول القول هي أن الكافرين قالوا له ﷺ «لقد تركت دين آبائك فضلت» فأمره ربه أن يقول لهم «إن كنت قد ضللت كما تزعمون فإنما أضل على نفسي» ونرى - والله أعلم - أن ارتباط القول بما سبقه أوضح من تعليق المعنى على مناسبة نزول النص المقول بها.

وقوله ﷺ «إنه سميع قريب» مفاده أنه تعالى يسمع ما يقول في شأن إبلاغ الرسالة ويعلم إن كان على ضلال أم على هدى، وأنه من القرب منه ومن يبلغهم رسالة ربه بحيث يعلم بجميع فعالهم ويعلم من هوفى ضلال ومن هو على الحق المبين، فيجازى كلا بما علم من أمره.



وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُوتَ وَلَاحِذُ وَأَمِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾

أولاً : الأسماء

الفوت : فى قوله تعالى « فلا فوت » المراد به - فى معنى الآية - هو النجاة ، أو المهرب .

ثانياً : التفسير :

قد يكون قوله تعالى - فى الآية - مرتبطاً بما سبق ذكره فى الآية السابقة من كونه تعالى قريباً من عباده يعلم من هو منهم على ضلال ومن هو على هدى من الأمر ، إذ بين القول أنه تعالى يأخذ الضالين بالعذاب من مكان قريب منهم تدليلاً على سرعة عقابهم .

والخطاب - فى هذه الآية - هو إلى رسول الله ﷺ ، وهو فى بيان حال المكذبين به الضالين حين يبين لهم وجه الحق ويتحققوا أنهم كانوا ضالين ، فقوله تعالى « ولو ترى إذ فرعوا » معناه أنه لو هب لك أن تراهم حين يتبين لهم وجه الحق لرأيت منهم الفرع الشديد .

يتصور أن يكون هذا هو حالهم عند نزول بأسه تعالى بهم فى دنياهم ، ويتصور أن يكون عند معاينتهم ملك الموت يقبض أرواحهم ، ويتصور أن يكون عند الصيحة وهم فى قبورهم ؛ ويتصور أن يكون عند خروجهم من قبورهم ويتصور أن يكون عند معاينتهم عقاب الله يوم القيامة .

ثم يذكر تعالى أنه لا يكون لهم لحظة فرعهم من هول ما تبينه سبيل إلى النجاة مما أعد لهم من البأس أو العذاب الشديد ، وعلة ذلك أنهم أخذوا بالعقاب من مكان قريب منهم هو حيث أحاط الله علماً بأعمالهم ، فلا يتيح لهم قرينة مسافة ولا وقت يتيح لهم النجاة من العذاب . فـ « قرب المكان » هو كناية عن انعدام الفرصة للهرب من العذاب .

وَقَالُوا أَمَّا بَعْدُ وَأَنَّىٰ لَهُمُ النَّائُوشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾

أولاً: الأسماء:

التناوش: هو الرجعة، وهو- في معنى الآية- الرجعة إلى الدنيا، أو التوبة، أو تناول الإيمان.

ثانياً: التفسير:

يخبر تعالى- في الآية- عما يكون من المكذبين يوم القيامة حين يعاينون- ما أعد لهم من العذاب، فيذكر تعالى أنهم يعلنون إيمانهم بما كذبوا به في دنياهم يعلنون إيمانهم بالله تعالى، أو بالقرآن العظيم، أو لمحمد ﷺ، وفي إعلان الإيمان بأيهم إعلان للإيمان بهم جميعاً. ثم يبين تعالى عدم استفادتهم شيئاً من إعلانهم إيمانهم يوم القيامة بما كفروا به في دنياهم بإثبات استحالة رجوعهم إلى الدنيا ليؤمنوا بما كفروا به من قبل، أو استحالة إفادتهم من إعلانهم توبتهم، أو من تناول الإيمان، وعلة ذلك أنهم قد أعلنوا إيمانهم أو طلبوا الرجعة أو أبدوا التوبة من مكان يبعد عن المكان الذي يكون فيه هذا ويكون مقبولا وهو مكانهم في الآخرة، إذ لا يكون إيمانهم ولا تكون توبتهم مقبولة إلا في الدنيا التي فارقوها وبعدوا عنها والتي إليها لا يرجعون.

وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن المكذبين بالدين يقولون يوم القيامة «آمنا به» بمعنى أنهم آمنوا بالله أو برسوله ﷺ أو القرآن العظيم، وأنهم يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا، وبعد أن بين تعالى استحالة تحقيق مطلبهم، فإنه تعالى- في الآية- بين أنهم قد كفروا من قبل في دنياهم بما يعلنون في آخرهم أنهم آمنوا به، ثم إنه تعالى يبين أن قولهم هذا لا يفيدهم بشيء بتشبيهه بالسهم أو بالحجر يقذف به من مكان بعيد فلا يصيب هدفاً، جاء تشبيه قولهم بالغيب لبيان انعدام حقهم فيه، وجاء تشبيه النطق به بالقذف من مكان بعيد لبيان أنه لا يصيب هدفاً،

وقيل إن المعنى هو أنهم رموا القرآن بغير الحق بقولهم إنه سحر وشعر وأساطير الأولين ، رموه من قلوب بعدت عن الإيمان فلم تعرف حقيقته .

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في تأكيد ذات المعنى ، وهو استحالة نجاة المكذبين بالدين مما أعد لهم من العذاب ، ذلك أن الذي يشتهونه ويتمنون تحقيقه هو النجاة من العذاب ، أو بلوغ الوسيلة التي تمكنهم من هذا مثل الرجوع إلى الدنيا لإعلان إيمانهم فجاء قوله تعالى مؤكدا أنه حيل بينهم وبين هذا الذي يتمنونه بمعنى أنه منع عنهم بلوغه أو أنهم منعوا من بلوغه ، ثم ذكر تعالى أنه قد فعل معهم مثل ما فعل بالذين شابهوهم وكانوا مثلهم من الأمم السابقة ، والمراد بهم الذين كذبوا الرسل من قبل ، تمنوا مثل ما تمنى هؤلاء الذين كذبوا برسول الله ﷺ فمنعوا من بلوغ ما تمنوا من النجاة من العذاب أو من بلوغ أسبابه ومنها التوبة ، لانقضاء وقتها .

ثم إنه تعالى بين علة استحقاقهم العذاب والحيلولة بينهم وبين النجاة منه ، هم والذين كذبوا من قبل بقوله تعالى « إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ » بمعنى أنهم كانوا في شك يستراب به من توحيد الله ومن صدق الرسل فيما أبلغوا به ومن تبشیر بالجنة وإنذار بالعذاب ، فيكون المعنى هو أنهم استحقوا العذاب بتكذيبهم الرسل .



مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا
مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

التفسير:

بعد ما ذكر تعالى من مظاهر قدرته ما ذكر مما يستوجب من الخلق أن يحمده، ويشكروه ، فإنه تعالى يذكر- في الآية - مظهر آخر من مظاهر قدرته في مقابلة مع عجز غيره عن رد ما جرت به مشيئته متعلقا بقدرته ، ليبين أنه تعالى وحده هو الله المستحق أن يعبد .

فَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ مَتَى أَرْسَلَ مِنْ رَحْمَتِهِ مَا يَشَاءُ عَلَى النَّاسِ ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ رَحْمَتَهُ عَمَّنْ أَرْسَلَهَا تَعَالَى إِلَيْهِ ، والمراد بالرحمة - في معنى القول - هي نعم الله يدخل فيها الإيمان ، والتوبة ، والمطر ، والرزق ، والولد ، وغير ذلك مما ينعم ، وجاء التعبير عن إرسالها بالفتح تشبيهها بالبالغالى من الأشياء يحتفظ به فى الخزائن مغلقة ليكون فتحها للإغداق منها .

كما يقول تعالى إنه إن أمسك شيئاً من رحمته أو من غيرها عن الناس أو عن أحد منهم فإنه لا يكون من بعد إمساكه من يرسل ما أمسك .

وجاء قوله تعالى « وهو العزيز الحكيم » بمثابة تعليل لنفاذ مشيئته وعدم قدرة أحد على منع نفاذها ، فهو تعالى العزيز الغالب على أمره الذى لا يغالب ، وهو الذى له الحكمة البالغة يكون قضاؤه بما قضت به حكمته .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ ﴿٣﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى من استهلال السورة بالحمد استحقيقه أن يحمد من جميع خلقه وبعد أن بين تعالى أن حمده يكون على جميع ما يكون منه ومنه الفتح من رحمته والإمساك فإنه تعالى بين وجوب شكره على ما أنعم به على الناس ، فأمره تعالى الناس بذكر نعمته عليهم هو أمر بأداء حق النعمة من الشكر .

وقوله تعالى « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض » هو استفهام أريد به إثبات أن الخالق هو الله ، وأنه تعالى يستحق الشكر على نعمة الخلق في حد ذاتها ، وقد يكون ذلك لأن المؤمن الذي يعمل الصالحات يكسب في آخره خيرا كثيرا ، وأنه تعالى يرزق الناس من السماوات والأرض ، يدخل في هذا الرزق المادى المحسوس من مطر ينزل من جهة العلويات ومعادن تخرج من الأرض ، ويدخل فيه الرزق العظيم الذى كان ينزل القرآن من السماء ، ونزول الملائكة بالرحمة على المؤمنين وبالنقمة على المكذبين تكون رزقا للذين آمنوا وعملوا الصالحات . كما أريد به نفى الألوهية عن غيره تعالى .

ثم إنه لما كان مفاد ذلك هو توحيد جل وعلا ، فقد أكد تعالى هذا المعنى المستخلص بصريح القول « لا إله إلا هو » .

ثم جاء قوله تعالى « فأنى تؤفكون » إنكارا على الذين يشركون به ولا يوحدون إشراكهم به ، وإظهارا لبطلان عقيدتهم وافتقادها سبب يؤيدها .

وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ ، وهو للتسرية عنه ﷺ بيان أنه ليس ببيان أنه ليس وحده من بين الرسل الذين كذبه قومه ومن أرسل إليهم ، فقد سبقه فى هذا رسل كذبتهم

أقوامهم . وقد اتبع تعالى القول بوعد للرسول ﷺ بالشواب ووعد للمكذبين بالعذاب بقوله تعالى « وإلى الله ترجع الأمور » لأن مرجع الأمور إليه تعالى مفاده هو الحساب والجزاء ، يكون لرسول الله ﷺ بالشواب . وللمكذبين به بالعقاب والعذاب .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرِّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ٥

التفسير:

خاطب تعالى الناس في الآية ، وذكر وعده ووعيده للذين تضمنهما قوله تعالى « وإلى الله ترجع الأمور » ذكرهما معاً ب « وعد الله » وأثبت أنه حق ، بمعنى أنه واقع محقق لا محال . ثم إنه تعالى برحمته نهى الناس عن أن تغرهم الحياة الدنيا بزيتها عن طاعة الله بما تلهيهم به من زخارفها ، ومن أن يغربهم الشيطان ، يوهمهم بأن جميع ذنوبهم مغفورة بحكم كونه تعالى الغفور الرحيم ليمادوا في المعصية معتمدين على رحمته إلى أن ينسوا ذكر الله فيموتوا على العصيان فيكون حسابهم بأعمالهم هو العذاب الأليم .

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِّنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٦

التفسير:

بعد أن نهى تعالى الناس عن الانصياع إلى الشيطان يغرهم بالله فإنه تعالى بين لهم موقف الشيطان منهم ليكون معهم ما يتفق مع حاله من الإنسان ، فأخبر تعالى عن الشيطان أنه

عدو للإنسان ، والمعنى أن عداوته قديمة وأنها دائمة مستمرة ، ثم إنه لما كان العدو لا يريد خيرا بمن يعاديه ، ويكون إيعازه إليه فعل شئ مستهدفا لإضراره ، فقد جاء نصحه تعالى بنى آدم باتخاذ الشيطان عدوا ، والمعنى هو معاملته على هذا النحو ، أى باعتباره عدوا بما يعنى عدم إطاعته فيما يوسوس به إليهم .

ثم إنه تعالى أوضح للناس أن الشيطان إنما يدعو شيعة - وهم الذين يستطيع أن يقوى عليهم - ليكونوا من أهل النار ، وهو بتزيينه الدنيا لهم ودفعهم إلى الاستجابة إلى شهواتهم يكون داعيا لهم إلى ورود نار جهنم . فيكون القول تحذيرا للناس من اتباع الهوى ، وبيانا لكونه من الشيطان عبوا الإنسان المبين .

الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الشيطان يدعو إلى عذاب السعير تحذيرا منه الناس من إطاعة الشيطان .

فإنه تعالى بين فى الآية ما يكون من الكافرين الذين أطاعوا الشيطان من عذاب شديد بكفرهم الذى أطاعوا فيه الشيطان .

ثم ذكر فى المقابل ما يكون للذين استجابوا لتحذيره تعالى إياهم من الشيطان فأمنوا وقرنوا إيمانهم بعمل الصالحات ، فبين تعالى أنه يغفر لهم ذنوبهم وأنهم يثابون بإيمانهم وعملهم الصالح .

أكد تعالى حصولهم عليه بتشبيهه بالأجر يكون حقا للعامل .



أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ
سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِم بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الشيطان عدو للإنسان حذر من طاعته ، وكان من الناس من يستعصى على الشيطان ، يطيع الله فيه فيتخذة عدوا ، ومنهم من لا يطيع الله فيه فيستجيب له ، فإنه تعالى أوضح - في الآية - انعدام المساواة بين الفريقين .

جاء التعبير عن الفريق الذى يطيع الشيطان بأنه من زين له سوء عمله فرآه حسنا ، فدل على أن العمل السيء من كفر وعصيان هو فى الأصل ما تهوى إليه نفس من يطيع الشيطان ، ولعل هذا يفسر قوله تعالى فى الشيطان « إنما يدعو حزبه » .

ثم بين القول أن دور الشيطان مع هذا هو تزوين العمل السيء الذى تافت له نفسه إليه ، ونتيجة ذلك هى رؤيته هذا العمل السيء عملا حسنا فيقارفه .

والفريق الثانى الذى لا يتساوى معه هؤلاء هو فريق من استقبح العمل السيء واجتنبه واختار الإيمان والعمل الصالح ، حذف من عبارة النفى لدلالة الكلام عليه .

وقوله تعالى « فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء » هو بيان لواقع أن الذين هفت نفوسهم إلى الكفر والمعصية وزين لهم الشيطان السوء فرآوه حسنا قد شاء لهم الله الضلال لما علمه منذ الأزل أنهم يختارونه ، وأن الذين استقبحوا الكفر والعصيان فلم يقدر عليهم الشيطان واختاروا الإيمان والعمل الصالح قد شاء لهم سبحانه وتعالى الهدى .



ثم إنه لما كان ﷺ حريصاً على إيمان القوم وأن يدخل الضالين في زمرة المؤمنين ، فإنه من بعد أن أنكر عليه تعالى هذا بقوله « أفمن زين له سوء عمله » جاء طلب إقرار رسول الله ﷺ بهذا الإنكار بقوله تعالى « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » بمعنى « فإذا كان الأمر كذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، لأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء » .

وقوله تعالى في - في ختام الآية - « إن الله عليم بما يصنعون » هو من قبيل الوعيد للكافرين والعصاة بمعاقبتهم على كفرهم وعصيانهم الذي هو معلوم لديه تعالى فيحاسبهم به ويجازيهم .

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسِّقَنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ٩

التفسير:

بعد أن توعد تعالى الكافرين والعصاة بمجازاتهم بكفرهم وعصيانهم على ما يبين من قوله تعالى « إن الله عليم بما يصنعون » وهي ما يفيد معنى النشور والبعث ، فإنه تعالى دلل بما جاء في الآية على قدرته على البعث والنشور ، فذكر حقيقة علمية مؤداها أنه تعالى يرسل الرياح فتثير سحاباً ، بمعنى أنها تؤدي إلى تكوين السحب وإظهارها - في مقام أول - ثم تحمله إلى مناطق التكثيف الباردة وتحمله وتنقله إلى حيث يشاء إليه لينزل مطراً على الأرض الميتة التي لا نبات فيها ، فيكون إحيائها وظهور النبات فيها بالمطر الذي أنزل عليها .

ثم إنه لما كان هذا جميعه إنما يتم بقدرة الله تعالى ، فقد بات مفهوماً أنه تعالى يقدر على البعث والنشور من بعد الموت ليكون الحساب والجزاء بالثواب والعقاب .



مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ
فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ
وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ①

التفسير:

يتصور في الخطاب أن يكون للكافرين والمنافقين ، ويتصور فيه أن يكون لعموم الناس ، فعلى الأول يكون رداً على الكافرين الذين نشدوا العزة في أصنامهم على ما جاء بقوله تعالى « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا » وعلى المنافقين الذين ابتغوا العزة لدى الكافرين على ما جاء بقوله تعالى « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتبعون عندهم العزة » وعلى الثاني يكون القول للذين يبحثون عن العزة - وهي الشرف والمنعة - جاء قوله تعالى « فله العزة جميعا » بمعنى فليكن طلب العزة من الله لأنها ليست لغيره تعالى ، ومن هذا نبيل المؤمنين لها بواسطة رسول الله ﷺ الذي حظى بها لقربه من الله تعالى الذي له العزة جميعا كما جاء بقوله تعالى « والله العزة لرسوله وللمؤمنين » وقيل إن معنى القول هو أن من أراد عز الدارين فليطع الله العزيز .

وقوله تعالى « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » هو بيان لكيفية طلب العزة من الله تعالى والفوز بها . تكون بالكلم الطيب ، وهو قول « لا إله إلا الله » يصعد بقائله عن إيمان إلى مصاف المؤمنين ، ثم يكون من قائل القول العمل الصالح يرفع القول إلى مقام التصديق الذي يكون بتصديق الفعل اللسان وتصديق اللسان القلب فتكون الطاعة سبيل نبيل العزة .

ثم إنه لما كان متصوراً أن يكون هناك مرأتين يقولون الكلم الطيب ويعملون العمل الصالح لغاية في نفوسهم وهذا من قبيل المكر السيئ أو المكر بالسيئات فإنه تعالى توعد هؤلاء بأنه بدلاً من أن تكون لهم العزة التي لا تكون إلا بموافقة العمل الكلم الطيب الخارج من اللسان بما هو في القلب ، بدلاً من هذا يكون لهم العذاب الشديد ، ويكون مكرهم إلى

البوار والفساد ، بمعنى أنه لا يحدث الأثر الذي ابتغى منه ، وقيل إن المراد بالذين يمكرون السيئات هم الذين مكروا برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة ، ونرى أن هذا لا يمنع المعنى العام للقول الذي سبق إيضاحه .

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا
تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ
مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

أولا : الأسماء :

المعمر : فى قوله تعالى « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره » هو من طال عمره وزاد عن المألوف فى زمانه ومكانه لعامة الناس ، ويتصور أن يكون هذا هو المراد به فى معنى الآية . ويتصور أن يكون كل شخص بالنظر إلى أن له عمرا محددا ينقص منه دوما بقدر ما يكون قد مضى منه فى الدنيا .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - فى الآية - فى ذكر دليل آخر على قدرته تعالى على البعث والنشور ، فيذكر تعالى أنه خلق الناس من طين ، والمراد بهذا مادة خلقه آدم عليه السلام أبى الناس جميعا ، ثم خلق ذريته من النطفة ، ثم جعل الإنسان أزواجا ذكورة وإناثا . ثم بين تعالى أنه ما من أنثى تحمل من ذكر وتضع مولودها إلا بعلمه تعالى ، وأنه ما يكون عمر أحد من الناس طويلا يزيد على المألوف أو على ما يطلق عليه متوسط عمر الإنسان فى مجتمع ما ، وما يكون عمر آخر قصيرا يقل عن المألوف أو عن ما يطلق عليه متوسط عمر الإنسان إلا وكان ذلك معلوما لديه تعالى مسطورا فى اللوح المحفوظ ، ثم إن القول يقبل أن يكون معناه أنه ما من إنسان يمضى من عمره ما يمضى حيا فينقضى به ما بقى له فى الحياة إلا كان ذلك

مسطورا فى اللوح المحفوظ ، ويقبل أيضا معنى جواز مد الله تعالى فى عمر إنسان بسبب عمل معين يعمل به وجواز إنقاصه ممن عمره إذا لم يعمل هذا العمل ، مع بيان ذلك جميعه .
مسطورا فى اللوح المحفوظ ، فيكون المعنى أنه تعالى علم سلفا أن هذا الشخص يعمل العمل الذى يزيد له به تعالى فى عمره أو أنه لا يعمل به فينقص له من عمره ، ثم يكون هذا مسطورا فى اللوح المحفوظ .

وجاء قوله تعالى - فى ختام الآية - « إن ذلك على الله يسير » بيان لكون هذا جميعه المذكور فى الآية هو - على عظم ما فيه - أمرا هينا عليه تعالى لا يحتاج لتحقيقه ولم يكن فى أى وقت محتاجا إلى أسباب ، فيكون المراد إثباته هو عدم صعوبة البعث والنشور عليه تعالى .

وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ
هَذَا عَذَبٌ فَرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً يَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ
لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى ذكر مظهر آخر من مظاهر قدرته يستدل بها على قدرته على البعث والنشور الذى ارتاب فيه بعض الكافرين . فقوله تعالى « وما يستوى البحرين » يفيد أنه تعالى الذى أوجد النوعين من البحار وهما الأنهار ، والبحار والمحيطات ، وأنهما مع كونهما مجمعين للمياه ، إلا أنهما غير متماثلين وليسا على سواء من الأمر .

ثم إنه تعالى ذكر شيئا من الاختلاف بين الأنهار والبحار الذى جعلهما غير متماثلين فبين

أن ماء الأنهار حلو طيب يزيل العطش لدى شربه ، وأنه تستسيغه النفس ولا تعافه بما يجعله صالحا للشرب .. هذا عذب فرات سائغ شرابه ... ، وأن الآخر طعمه مالح ، شديد الملوحة غير مستساغ الشرب منه « وهذا ملح أجاج » . ثم ذكر تعالى أنه مع اختلاف تكوين المياه في الأنهار عنها في البحار حيث تزيد نسبة كلوريد الصوديوم بما يجعل الماء مالحا طعمه ، فإن الناس يأكلون من الإثنين لحما طريا غضا - وهو السمك ، أو السمك وغيره من الكائنات البحرية - ويستخرجون حلية يلبسونها ، والمراد بهذا اللؤلؤ والمرجان يتحلى بهما الرجال والنساء مع اختلاف نوع التحلى . وقد يكون المراد بهذا - مع ما هو معلوم من أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من البحار وليس من الأنهار - أن حياة اللؤلؤ والمرجان في البحار تتطلب استمرار تدفق مياه الأنهار في البحار ، وقد يكون المعنى هو استخراج ما يتحلى به من البحار وخدها فيكون في النص إخبار عن أحد البحرين يعد جمعهما كما جاء بقوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » . وقد يؤيد هذا قوله تعالى - من بعد - وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ، وهو ما يكون في البحار خاصة إلا إذا شمل معنى « الفلك » الصغير منها الذي يسير في الأنهار ، يكون بها ابتغاء فضل الله بالصيد والتجارة .

ثم بين تعالى أن فيما جعل في البحرين من منافع للناس ما يوجب عليهم القيام بأداء حقوق الله تعالى بتوحيده وطاعته وشكره على نعمه « ولعلكم تشكرون » ليكون من لا يفعل نائيا عن العقل وما يوجبه .

يُوجِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ

وَيُوجِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَمَحَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾

أولاً: الأســماء :

القطمير: فى قوله تعالى « ما يملكون من قطمير » هو القشرة البيضاء الرقيقة بين التمر والنواة ، يضرب بها المثل فى الضآلة والحقارة وقلة القيمة .

ثانياً: التفسير :

بعد أن ذكر تعالى من مظاهر قدرته ووحدانيته خلقه الإنسان من تراب وما أعقب هذا الخلق ، وخلق الأنهار والبحار مختلفين ليستفاد منهما ذات الإفادة مع وجود الاختلاف بينهما ، فإنه تعالى وصف نفسه فى الآية بأنه فاعل الأفعال المذكورة فى نص الآية ، وهى إدخاله الليل فى النهار والنهار فى الليل ، وتسخير الشمس والقمر لصالح عمارة الأرض وما عليها وتحريكهما وسيرهما إلى حيث لا يعلم إلا الله على ما سبق بيانه فى شرح دوران الأجرام حول نفسها ودوران المجموعة الشمسية حول الشمس ودورانها جميعاً فى المجرة ، واتجاه المجرة فى سيرها إلى حيث لا يعلم إلا الله وهو الأجل المسمى .

ثم جاء قوله تعالى « ذلكم الله ربكم له الملك » مشيراً إلى فاعل هذه الأفعال العظيمة الشأن ، مخبراً أنه الله رب الناس والخلق أجمعين ، وصفته - فى النص - أنه الذى خلص له ملك كل شىء عظم أم حقير ، فليس مثله تعالى شىء ولا أحد ثم جاء قوله تعالى للمشركين الذين يعبدون غيره تعالى « والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير » تقريراً لانفرادة تعالى بملك كل شىء وبياناً لحال معبودات المشركين التى لا تملك من خلقه تعالى أحقر ما يتصور من المخلوقات ، فىكون القول تدليلاً على جهل المشركين ونأيهم عن العقل ومقتضياته .

إِنْ نَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَهُمْ سَمِعُوا
مَا اسْتَجَابُوا لَهُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ وَلَا يُنْشِكُكُمْ
مِثْلُ خَيْرٍ ۝١٤

التفسير:

الخطاب - في الآية - موجه إلى المشركين ، فبعد أن أخبرهم تعالى أن ما يعبدون من دونه لا يملكون من الخلق شيئاً ، جاء قوله تعالى - في نص الآية - بالتأنيج المترتبة على هذا مما يتعلق بالمشركين أنفسهم .

فذكر تعالى أنه إذا توجه المشركون إلى معبوداتهم بالعبادة أو الدعاء فإن معبوداتهم لا تسمع شيئاً من العبادة بالقول أو من الدعاء . وهذا مفهوم بالنسبة للأصنام والأجرام السماوية ، فهي لكونها من الجمادات لا تسمع شيئاً .

وبالنسبة لغيرها من الملائكة والرسول فإنه قد يكون المراد أنهم قد حفظهم الله من أن يسمعوا هذا الدعاء لقبحه وثقله على أسماعهم ، أو أنهم في شغل شاغل منعهم أن يسمعوه .

ثم يذكر تعالى أنه لو فرض سماع معبودات المشركين دعاءهم فإنه لا تكون منهم الإجابة بقول ولا بفعل ، قد يكون هذا لأنه ليس من وظائفهم إجابة الدعاء - بالنسبة للملائكة والأنبياء - وقد يكون لما في الإجابة بالقول من انتقاص من الخضوع لله . أما الأصنام فمعلوم عدم قدرتها على الإجابة بحكم كونها جمادات .

ثم إنه تعالى أخبر المشركين بما يكون من معبوداتهم يوم القيامة وهو أنهم يكفرون بشرك المشركين ، بمعنى أنهم يجحدونه وينكرونه عليهم .

قد يكون من الأصنام بأن ينطقها الله ، ويكون من الملائكة والأنبياء بتبرؤهم من المشركين ومن شركهم .

ثم بين تعالى أن ما أخبره هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لكونه صادراً منه تعالى الخبير العالم الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .



يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ ۝١٥ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
 بِعَزِيزٍ ۝١٧

التفسير:

لما كان تعالى قد دلل في الآيات السابقة على ألوهيته ووحدانيته وقدرته بما يفيد توجيهه الناس إلى توحيده وعبادته .

فإنه تعالى في الآيات بين للناس عدم حاجته إلى الناس وما يكون منهم من توحيده وعبادته .

وجه تعالى الخطاب إلى الناس وأخبرهم أنهم الفقراء إلى الله ، والمعنى أنهم الفقراء - في مقام أول - حتى لكأن غيرهم من المخلوقات لا يعد فقيراً إذا ما قيس بهم ، وذلك لتعدد احتياجات جنس الإنسان وتنوعها ، وأنهم فقراء إليه تعالى - في مقام ثان - بمعنى أنهم يحتاجونه تعالى ويرجون عونه وفضله .

كما أثبت تعالى أنه هو الغني الحميد . فهو تعالى غني عن العالمين ، وهو غني لديه ما يتفضل به على الناس - وهم المحتاجون - فيستحق أن يحمد على ما يتفضل به تعالى عليهم وينعم .

ثم إنه زيادة في إيضاح عدم حاجته تعالى إلى الناس أخبرهم أنه إذا شاء إذهبهم والإتيان بقوم آخرين من جنس غير جنس الإنسان فإنه تعالى يفعل هذا بغير معقب ، أو يذهب بالكافرين - في قول آخر - ويأتي بآخرين من جنسهم يوحدونه ويعبدونه .

ثم أثبت تعالى أن فعل ذلك عليه يسير أو أنه لا يمتنع عليه ولا يصعب ، ليكون القول في حث الناس على الإيمان بالله وتوحيده .

وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ نَدَعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَةٍهَا
لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ
الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في بيان مبدأ « شخصية العقوبة » المرتبط بالعدل ، وتطبيقه في الآخرة . فيذكر تعالى أن أية نفس أثمة لا تحمل إثم نفس أثمة أخرى فتعفيها من العقاب ، وقد يكون المراد بهذا أنها لا تحمل إثم نفس أخرى مختارة ، فهو تعالى يحمل المضلين إثم الضالين الذين أضلوهم ، وقد يكون القول رداً على من قال من الكافرين لبعض المؤمنين « اكفروا بمحمد وعلى وزركم » ثم إنه - تطبيقاً لذات المبدأ - ذكر تعالى إنه إذا دعت نفس أثمة نفساً أخرى لتحمل عنها ذنوبها شيئاً تعذب به بدلاً منها ، فإن النفس المدعوة ترفض الاستجابة لهذا الطلب ولو كانت ذات قربي من النفس الداعية .

ثم إنه تعالى خاطب رسوله ﷺ أنه إنما ينذر بهذه الآيات وبغيرها الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ، والمعنى أن الذين يتعظون بما ينذر به ﷺ وهم الذين يخشون ربهم غائباً عنهم بمعنى أنهم آمنوا به دون أن يروه وخشوا عذابه الذي لم يعاينوه لأنهم كمل إيمانهم فآمنوا بالغيب الذي حدث به رسول الله ﷺ . وجاء به القرآن العظيم ، وهم الذين أقاموا الصلاة ولم يهملوا فيها ، والمعنى أنهم عملوا بالطاعات .

ثم إنه تعالى بين أن تطهير النفس يكون بالعمل بالطاعات وباجتناب المعاصي وأن فعل هذا إنما يعود على المرء بالخير ولا يعود على الله بشيء « ومن تزكى فإنما يترقى لنفسه » والمستفاد من قوله تعالى - من بعد - « وإلى الله المصير » أنه يجازي الذين اتعظوا بإنذاره ﷺ فخشوا ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة وزكوا أنفسهم خيراً ، وأنه يجازي الذين أعرضوا

فحملوا أوزارهم عذاب الهون بما كانوا يعملون .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا
النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا
الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٌ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

أولاً : الأسماء :

الحرور : هى ريح السموم إذا كانت بالليل والنهار إذ الغالب أنها تكون بالنهار ، وهو شدة حرا الشمس ، وقيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو النار .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان الفروق بين المؤمنين والكافرين ، والقول فى الآية الأولى جاء معطوفا على قوله تعالى « وما يستوى البحران » ، مثل تعالى للكافرين بالأعمى وللمؤمن بالبصير وأثبت أنهما ليسا سواء أو أنهما غير متساويين ، ثم مثل للكفر بالظلمات ، وللإيمان بالنور وأثبت أنهما غير متساويين ، كما مثل لعاقبة الإيمان بالظل كناية عن الجنة ولعاقبة الكفر بالحر الشديد كناية عن نار جهنم وأثبت عدم تساويهما . ثم مثل للمؤمنين بالأحياء لأنهم قد سمعوا لما يحييهم ، ومثل للذين أصروا على الكفر بالأموات لأنهم أعرضوا عما يحييهم أو يحيى قلوبهم ، ثم ذكر تعالى أنه يسمع من يشاء ، والمراد أنه يسمع من يشاء سماع التدبر والتفكر الذى يؤدى إلى الإيمان . ثم ختم تعالى قوله بمخاطبة رسوله ﷺ فأعلمه أنه مهما بذل من جهد مع الذين ختم الله على سمعهم من الذين أصروا على الكفر فإنهم لن يؤمنوا له ، ولذلك شبههم تعالى بالأموات الذين فى القبور ، لا يسمعون قولا فيجيبون .



إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ
إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ أنه الذي يسمع من يشاء، والمعنى أنه الذي يهدي للإيمان من يشاء هدايته، وأن رسوله ﷺ لا يسمع من في القبور، والمعنى أنه لا يستطيع أن يهدي من لم يشأ الله هدايته، فإنه تعالى أوجز رسالة رسوله ﷺ في قول «إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ»، والمعنى أنه ليس عليه سوى أن ينذر بالقرآن، وأنه ليس عليه إيمان الناس .

ثم إنه تعالى بين أنه أرسل رسوله ﷺ مصحوبا بالقرآن العظيم وهو الحق لبشرا الذين يؤمنون بالجنة، وينذر الذين يصرون على الكفر بالنار والعذاب. ثم ذكر تعالى ما جرت عليه سنته في الأمم من البشر، وهو أنه ما من أمة منها إلا كان منه تعالى أن يرسل فيها من ينذر بعذاب الله يكون للكافرين والعصاة، وعموم اللفظ يفيد أنه لا يشترط فيه أن يكون نبيا، فقد يكون نبيا وقد يكون رجلا صالحا من أهل العلم .

وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ
أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ تَكْوِيرُ ﴿٢٦﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى لرسوله ﷺ أنه ليس عليه سوى الدعوة بالقرآن مبشرا به ومنذرا، فإنه تعالى - في الآية - الأولى يشير إلى أنه سيكون من قومه ﷺ من يكذبه .

ثم إنه تعالى سرى عنه فأعلمه أن من سبقوا قومه من الأمم قد كذبوا الرسل الذين بعثهم الله إليهم وقد جاءهم بالآيات الدالة على صدقهم وعلى نبوتهم - وهي المعجزات - كما جاؤهم بالصحف المنزلة من ربهم مثل صحف إبراهيم، وصحف موسى، والزبور، وعموم ما أنزل من الله تعالى.

كما جاءهم بالكتب جاء جمعها في صيغة المفرد «وبالكتاب المنير» لأن المراد بها هو التوراة والإنجيل وهما من جهة الشريعة كتاب واحد وشريعة واحدة، ولأن الإنجيل كان لتصحيح العقيدة كما وردت في التوراة بعد الانحراف عنها. ولهذا كان الكتابان بمثابة كتاب واحد.

وصفه تعالى بأنه منير لأنه يهدي إلى الحق في شأن العقيدة، ولتضمنه أحكام الشريعة، ولأنه يبشر برسول الله ﷺ ويخبر عن صفاته فيكون نوراً يهدي من آمن به إلى الإيمان لرسول الله ﷺ وما أرسل به.

ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه قد نصر - من قبل - رسله على الذين كذبوهم، ليكون القول طمأنة له أنه تعالى فاعل بالمكذبين به فعلة بمن سبقهم إلى تكذيب الرسل وهو أخذه تعالى إياهم بالعذاب، جاء التدليل على شدته بالاستفهام التعجبي «فكيف كان نكير» بمعنى: فكيف كان عقابي إياهم على تكذيبهم الرسل.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ شَجَرًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ
بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۖ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَأَلْأَنَعِمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

أولاً: الأسماء :

١ - الجُدُد : فى قوله تعالى «ومن الجبال جندد بيض وحممر» جمع، مفردة «النجدة» وهى الطريق.

٢ - الغرايب : فى قوله تعالى «وغرايب سود» جمع، مفردة «الغريب» هو ما أبعد فى السواد وأغرب فيه، بمعنى أنه يقال للشئ الشديد السواد.

ثانياً: التفسير :

الآيتان فيما نرى والله أعلم - من الآيات التى تجمع معانى كثيرة متنوعة فى عبارات موجزة فى بلاغة يعجز عنها البلغاء من البشر .

فهما - من جهة - يدلان على أن الاختلاف فى الطبع والطبيعة فى الجنس الواحد من المخلوقات هو ما جرت به سنته تعالى فى الخلق، فىكون القول مرتبطاً - من هذه الناحية - بما سبق ذكره من أن الناس يكون منهم مهتدون ويكون منهم ضالون مكذبون . وهما - من جهة ثانية - يأتیان بأدلة تعالين بطريق البصر وتعقل بإعمال العقل تثبت قدرته تعالى على إحداث الاختلاف حيث يجب أن يكون التوحد، فىكون القول متعلقاً بالبيانات التى تدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده وعدم تكذيب الرسل .

والخطاب - فى الآية - هو إلى رسول الله ﷺ - على الظاهر - وإلى كل ذى بصيرة فى حقيقة الأمر، فيه تنبيه إلى المشاهد من أنه تعالى ينزل الماء من السحاب من جهة العلو لتجرى به الأنهار وليغيب منه ما يغيب فى أعماق الأرض، ولتروى به الأرض مطراً ينزل عليها، ثم تكون ثماراً تنبت الأرض من أشجار ونباتات متنوعة مختلفة فى الشكل واللون والطعم والفائدة مع كونها جميعاً نتاج الأرض، والتى تسقى بماء واحد مما كان مفترضاً معه أن تكون متماثلة، فجاء الاختلاف دليلاً على قدرة لا يملكها إلا من ليس لقدرته حدود .

وفيه تنبيه إلى المشاهد من حال الجبال، فرغم أنها جميعاً تحفظ الأرض أن تميد بما عليها إلا أنها تختلف لونا، فمنها ما يكون الغالب على لونه البياض لتكون أحجاره من

الكالسيوم يكون بعضها من الحجر الجيري ويكون بعضه من الرخام، ومنها ما يغلب على لونه اللون الأحمر، سواء لاحتوائه على خام الحديد أم لغير ذلك من الأسباب، ومنها ما يغلب عليه اللون الأسود فيكون «غريباً» ثم جاء قوله تعالى «سود» بدلا من «غريب» وهو ما قد يكون لغلبة حجر البازلت الأسود على مكوناته أو لغير ذلك من الأسباب. فيكون في هذا الاختلاف بين الجبال الدليل على كمال قدرة الله تعالى بما يدعو إلى الإيمان به وتوحيده.

ويتصور أن يكون المراد بالاختلاف - في شأن الجبال - هو اختلاف لون الطرق التي تكون فيها عن اللون الغالب عليها ذاتها، أو اختلاف ألوان الجبال التي تنشأ بفعل الترسيبات مما تأتي به الأنهار من الجبال التي ينزل عليها المطر، وهذه التي تنشأ بفعل الثورات البركانية وما ماثلها في اللون عما هو موجود من قبل، فيكون اختلاف اللون مع أنها جميعا ما وجدت إلا لغاية واحدة دليلا على عظمة قدرة الخالق بما يستوجب الإيمان به وتوحيده.

كذلك فإن قوله تعالى - في الآية الثانية - يشير إلى اختلاف ألوان الناس مع أنهم جميعا من أصل واحد فهم أبناء آدم وحواء بما كان مفترضا معه أن يكونوا على لون واحد، فإذا منهم الأبيض والأسود والأصفر، فيكون اختلاف اللون دليلا على عظمة الخالق وقدرته بما يستوجب الإيمان به وتوحيده، كما أنه يشير أيضا إلى اختلاف ألوان الأنعام وصفاتها وإن كانت من فصيلة واحدة، وإنك لتشاهد الحصان العربي مختلفا في الحجم والهيئة والصفات وطول الساقين الأماميتين عن ذلك في الحصان الاسكتلندي مثلا، مما يجعل الأول أفضل في سباقات المسافات القصيرة، ويجعل الثاني أفضل في القفز فوق السدود، كما تشاهد الفرق في الجسم والقوة بين البغل في دول الشرق الأوسط وبين البغل الأسترالي، مع كون الاثنين من فصيلة واحدة ونوع واحد. وفي هذا دليل على عظم قدرة الخالق المصور يوجب الإيمان به تعالى وتوحيده.

ولهذا جاء قوله تعالى - من بعد - «إنما يخشى الله من عباده العلماء» بيانا لأنه كما يكون من المؤمنين الذين يخشون ربهم هؤلاء الذين يخشونه بالغيب استجابة لدعوة رسول الله ﷺ، فإنه يكون منهم من دفعهم إلى هذا الإيمان علمهم الذي حصلوه بالمعينة والتبصر لأنهم

يدركون مما يعاينون مبلغ قدرته تعالى فتكون منهم خشيته تعالى فلا تقبل نفوسهم الشرك به، ويكونون الأقرب إلى الإيمان الذي يدعوهم إليه رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى «إن الله عزيز غفور» هو تقرير لواقع كونه تعالى المستحق وحده أن يخشى عقابه لكمال قدرته على كل شيء، والجدير أن يرجى عفوه وغفرانه لمن يؤمن ويعمل صالحا. وقد تكون مناسبة ذكره بعد ما قيل هو التنبيه إلى أنه تعالى معاقب من يبقى على الكفر وتكذيب الرسول ﷺ بعزته، وأنه غافر ذنوب الذين يؤمنون .

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾
لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن الذين يخشونه هم العلماء، جاء قوله تعالى «إن الذين يتلون كتاب الله» فكان القول يبين أن خير وسيلة لتحصيل العلم النافع الذي يدعو إلى خشية الله هو العلم الناتج عن تلاوة القرآن العظيم كتاب الله بفهم وتدبر، فضلا عما يشير إليه القول من وجوب تلاوة القرآن العظيم تعبدا. ثم إن في قوله تعالى «وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية» ما يفيد أن قراءة القرآن العظيم دون الإيمان به لا تفيد من يقرأه أو يتلوه، ما لم تكن قراءته وتلاوته قصد تدبره وصولا إلى غاية هي الإيمان الصحيح . كما أن فيه ما يفيد وجوب العمل بما في كتاب الله فلا ينفع المرء أن يتلو كتاب الله ثم يعصاه فيما أمر به في الكتاب. ومما أمر به تعالى في كتابه إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله سرا فيما يكون فيه الإنفاق في السرا أفضل، وعلانية فيما يكون فيه الإنفاق في علانية أفضل ومنه الإنفاق المفروض وهو الزكاة. يكون الإنفاق - في الحالين - من رزق الله الحلال .

وقد أخبر تعالى عن هؤلاء الذين يتلون كتابه ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم سرا وعلاية بأنهم يكسبون ثوابا لا يفسد ولا يهلك ، جاء التعبير عن هذا بتشبيه إيمانهم وعملهم الصالحات وإنفاقهم فى سبيل الله بالتجارة مع الله ، يرجون فيها من الكريم الذى لا يرد سائلا عمل بالصالحات الكسب - وهو الثواب - يكون خيرا دائما لا يعتريه نقص ولا فساد .

ثم إنه تعالى أعلم مؤكدا أنه مجازيهم بإيمانهم وعملهم الثواب الذى وعدهم يكون لهم بمرتبة الحق - وإن لم يكن شئ عليه تعالى حقا - كما ذكر أنه تعالى يزيدهم على هذا ثوابا وخيرا تفضلا منه ورحمة .

ثم أتبع هذا بقوله «إنه غفور شكور» ليدل على أنه تعالى يغفر لهم ما يكون منهم من الذنوب ، وأنه يشكر لهم حرصهم على طاعته ، فيكون القول مشيرا إلى أن ما يقع منهم من ذنوب يكون عن غير قصد العصيان .

وَالَّذِينَ

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَعَلْتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَصَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا غُوبٌ ﴿٣٥﴾

أولا : الأسماء :

١ - المقتصد : فى قوله تعالى «وَمِنْهُمْ مَّقْتَصِدٌ» المراد به - فى معنى الآية - الذى يتردد بين العمل بالقرآن العظيم وبين مخالفته، فيكون منه التزامه حيناً ومخالفته حيناً دون إنكاره.

٢ - دار المقامة : هى الجنة لأن من يدخلها يقيم فيها خالدا لا يخرج منها فتكون هى المقام الدائم .

٣ - اللغوب : فى قوله تعالى «وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» هو الملل والفتور يكون من أثر التعب الجسمانى، فهو ما ينال النفس من أثر تعب الجسم .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو إيجاز شامل لبعثه تعالى رسوله ﷺ بالحق، وما يكون من شأن المؤمنين له ﷺ وبما أرسل به فى الدنيا والآخرة.

بدأ القول بمخاطبته تعالى رسوله ﷺ، فذكر له تعالى أن الذى أوحى به إليه - وهو القرآن العظيم - هو من الكتاب ، وأنه الحق مصدقا لما بين يديه . فهو من الكتاب باعتبار أن الكتاب يشمل التوراة والإنجيل - كما أنزلا - ويشمل القرآن العظيم . فهو منهم لأنهم جميعا جاءوا بعقيدة واحدة هى عقيدة التوحيد، وهو منهم لأن التوراة قد سبقته بإيراد شريعة كانت هى شريعة الإنجيل، ثم جاء القرآن بالشريعة التامة، ففسخ ما نسخ من شريعة التوراة وأبقى على ما أبقى منها باعتبارها شريعة الله فى القرآن فكان به وحدة العقيدة ووحدة الشريعة التى يكون بها ما أتى به هو الدين عند الله؛ ولهذا وصف تعالى القرآن بأنه الحق لأنه جاء بالدين مشتملا على العقيدة والشريعة التى هى دين الله إلى أن يرث تعالى الأرض وما عليها.

ثم إنه تعالى وصف القرآن العظيم بأنه مصدق لما بين يديه، والمراد بهذا أنه مصدق للتوراة والإنجيل بمعنى أنه لم ينكر نزول التوراة والإنجيل، كما أنه وافقهما فى شأن عقيدة التوحيد، وأنه جاء منزلا على النبی الأمى الذى يبعث فى مكة من نسل إسماعيل على نحو ما أخبرت به التوراة والإنجيل فكان بهذا المعنى تصديقا لما ورد فيهما من التبشير به .

وقوله تعالى «إن الله بعباده لخبير بصير» مفاده أنه لعلمه بأحوال عباده ألزمهم في كتبه جميعا عقيدة التوحيد، وغاير في أحكام الشريعة لتكون مناسبة أحوال الناس مع اختلاف الزمان، وأنه بصير بما يكون منهم في اتباع ما جاءت به الكتب فيحاسبهم بما يكون منهم.

وبعد هذا انتقل القول إلى موضوع آخر هو في بيان ما يكون من الناس من «دعوة رسول الله ﷺ إلى الدين الحق، وبيان أحوال الذين يؤمنون له ﷺ في الدنيا. فقوله تعالى «ثم أوزننا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا» مفاده أنه يكون من الناس من يؤمن لرسول الله ﷺ، ومن لا يؤمن له، وأن الذين يؤمنون له هم الذين اختار لهم الله الإيمان له فسهل عليهم وهداهم إليه. جاء التعبير عنهم بأنهم الذين أوزنهم الله الكتاب لبيان أن القرآن العظيم أصبح أمانة في أعناقهم فيفد هم كما يفيد الإرث الورثة، ويحفظونه في أنفسهم ومن الاعتداء عليه كما يخاف الوارث على ما ورث.

ثم إنه تعالى يذكر أحوال الذين آمنوا لرسول الله ﷺ وبالقرآن العظيم في الدنيا، أو إنه تعالى يذكر أحوال المسلمين من بعد رسول الله ﷺ في كل زمان ومكان، فيخبر تعالى أنه يكون منهم الظالم نفسه وهو الذي يقصر في العمل بالطاعات ويسرف على نفسه فيعمل بالمعاصي، يكون ظالما نفسه لأنه يعرضها للعذاب بالعصيان، ويدخل في عداد الظالمين أنفسهم الذين يظلمون غيرهم لاستحقاقهم العذاب بهذا الظلم.

كما يخبر تعالى أنه يكون منهم المقتصد الذي يعمل الصالحات ويعمل السيئات فهو تارة من الطائعين وتارة من العاصين مع بقاءه على الدين والملة غير منكر في العقيدة. ويخبر تعالى أيضا عن أنه يكون منهم من هو سابق بالخيرات، بمعنى أنه تقدم غيره في القرب من الله تعالى ونيل رضائه بسبب أعماله الصالحة - فهي الخيرات - بين تعالى أن أفعال هؤلاء وأعمالهم التي تنزلهم هذه المنزلة أو التي تقر بهم من الله إنما تكون بتوفيق الله إياهم إليها بقوله تعالى «بإذن الله».

ثم بين تعالى أن توفيق هؤلاء السابقين بالخيرات إلى ما هدوا إليه هو من فضله تعالى الكبير، وقيل إن الفضل الكبير منه تعالى يشمل توريث القرآن والاصطفاء لهذا، فيكون متعلقا

بجميع المسلمين الذين آمنوا لرسول الله ﷺ وبالقُرآن العظيم .

وقد يكون قوله تعالى «جنات عدن يدخلونها» مؤيدا - والله أعلم - ما قلناه من تعلق الفضل الكبير بالسابقين بالخيرات، إذ تكون «جنات عدن» بدلا من الخيرات، فهم يسبقون غيرهم من المسلمين إليها بالدخول وفيها يحلون من أساور من ذهب كما يحلون لسؤلوا ويلبسون ثيابا من حرير.

ويذكر تعالى أن هؤلاء السابقين بالخيرات يقولون لدى دخولهم الجنة «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور» يحمدون الله أن أدخلهم الجنة حيث لا يحزن فيها أحد ولا يخشى زوال نعمة، والذين أذهب عنهم من قبل حزن أهوال يوم القيامة والخوف من عدم قبول أعمالهم الصالحة، مقرين أنه كان منهم مقارفة الذنوب التي غفرها لهم سبحانه وتعالى والذي شكر لهم عملهم الصالح فأنابهم به.

ثم إنهم يصفون ربهم الذي حمدوه من قبيل الشكر له تعالى بأنه الذي أنزلهم الجنة مقاما دائما لا يخرجون منه، يتمتعون فيها بنعم الله دون أن تنال أجسادهم مشقة، ودون أن يعترى نفوسهم قلق. والمعنى أنه يكتمل لهم فيها نعيم الجسد ونعيم الروح .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ۝

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أحوال الذين آمنوا لرسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، فإنه تعالى ذكر في

الآيتين أحوال الذين كذبوا برسول الله ﷺ ولم يؤمنوا له، وأول ما يلاحظ في النص هو أنه تعالى لم يورد شيئاً عن أحوالهم في الدنيا ولا عن فئاتهم فيها، على نحو ما كان منه تعالى لدى الحديث عن المؤمنين، وقد يكون هذا لتساويهم في الكفر، وقد يكون لأنهم يجازون في الدنيا بأعمالهم ومنها أعمالهم الصالحة، مما لم يستدع بيان الحال لكونه معروفاً.

والذي يذكره النص هو أنه تكون لهم نار جهنم، فكانها قد أعدت سلفاً لتكون لهم مقاما. ثم يذكر النص أنهم لا يقضى عليهم فيموتوا، والمعنى أنهم يخلدون فيها أحياء لا يموتون موتة ثانية من أثر الحريق بل يبقون أحياء فيها معذبين. كما يذكر أنه لا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم شيئاً يدخل في هذا عذاب الحريق، إذ كلما خبت زادها الله سعيراً، ويدخل فيه عذاب الزمهرير.

ثم ثبت تعالى أنه على هذا النحو يكون منه الجزاء لكل كفور، والمعنى أنه يعذب على هذا النحو كل من كذب الرسل الذين كانوا من قبله ﷺ.

وبعد هذا يصف تعالى ما يكون من هؤلاء المكذبين حال تعذيبهم في نار جهنم فيذكر تعالى أنهم من فرط الألم يصرخون طالبين - يا ضمار القول أو بالقول الصريح - الخروج من النار والرجوع إلى الدنيا واعدن أن يكون منهم العمل الصالح الذي يقبل منهم بما يعنى إيمانهم بما كفروا به من قبل - وفي قولهم «نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل» إقرار بأن ما كان منهم في الدنيا هو عمل غير صالح.

ويذكر تعالى ما يجاب به المكذبون رداً على طلبهم «أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر» والمعنى هو: ألم نرزقكم عمراً يكفي لكي يتذكر فيه المرء ويعرف الحق ويميزه عن الباطل، والذي كان من البعض فيه أنهم تذكروا واختاروا الإيمان، فيكون الاستفهام متضمناً إنكار عدم تذكر المكذبين مع إتاحة الفرصة لهم للتذكر، ومتضمناً معنى التوبيخ لعدم التذكر. ثم إنه تعالى يبين جسامة إثمهم بذكره تعالى لهم فيما يقال لهم أنه قد جاءهم من الرسل من أندرهم بعاقبة التكذيب فلم يسمعو له. فيكون القول شاملاً الذين كذبوا بمحمد ﷺ، والذين كذبوا الرسل من قبل.

وآخر ما يقال للمكذبين في ذلك الموقف هو «فذوقوا فما للظالمين من نصير» وهو أمر لهم - في الظاهر - مفادة استمرار معاناتهم العذاب، يبين منه أن العذاب مترتب على عدم تذكرهم وعدم استماعهم للمنذرين، وأنهم الذين ظلموا أنفسهم بتكذيبهم الرسل فعرضوها للعذاب، وأنه ليس لهم من يدفع عنهم العذاب أو يخففه .

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

التفسير:

لما كان تعالى قد ذكر أنه يكون من المؤمنين من يتردد بين الطاعة والعصيان ولم يذكر تعالى بشأنه أنه يخلد في العذاب وإنما جاء القول مبينا اختلاف درجة المؤمنين في القرب منه تعالى ومن نيل رضائه، وكان قد ذكر أن المكذبين تكون لهم نار جهنم لا يموتون فيها ولا يخرجون، فإنه تعالى أثبت أن قضاءه في هؤلاء وهؤلاء هو الحق، لأنه إنما كان بحكم علمه تعالى بكل ما غاب عن الإنس والجن العلم به، ومنه العلم بما انطورت عليه الصدور، فيكون حسابه تعالى بالأعمال وبالنوايا، ليس فيه ظلم لأحد في مفهوم الناس أنفسهم .

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ
الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ
إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

التفسير:

يتصور في القول أن يكون المخاطب به هو جميع الناس يمين عليهم ربهم بأنه جعلهم خلفاء تعالى في الأرض يتصرفون فيها وينتفعون بها بإذنه، ويتصور أن يكون المخاطب به

أهل مكة ، يمن عليهم ربهم بأنه جعلهم خلفاء الذين سبقوهم من القبائل التي كانت تجوب المنطقة ثم دان الأمر لهم فيها من دون هؤلاء ، ويتصور أن يكون المخاطب به عموم الكافرين يمن عليهم ربهم بأنه أورثهم الأرض من بعد هلاك المكذبين من قبلهم ، فيكون الهدف من المن هو الاتعاظ بهلاك السابقين من المكذبين ليكون الإيمان بدلا من التكذيب .

ثم إنه تعالى أنذر المكذبين سوء المصير إذا ما أصرروا على تكذيب رسول الله ﷺ بذكره أن التكذيب يكون وبالا على المكذب يعذب به ، وأنه - وهو كفر بالله ورسوله وكتابه - يزيد الكافرين عند ربهم غضبا وبغضا فوق غضبه تعالى عليهم وبغضه إياهم . كما أنه يزيد الكافرين خسارة فوق خسارتهم لعدم إثابتهم بأفعالهم الحسنة ، وطردهم من رحمة الله ، وهذا هو الخسران الممين .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ أَيْنَهُمْ كِتَابٌ فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يَعْذِبُوا أَظْلَمُونَ بِغَضِّهِمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في التدليل على بطلان عقيدة الشرك بالله بطريق المحاجة بالعقل والمنطق خلوصا إلى النتيجة التي يقبلها العقل .

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يوجه نظر المشركين إلى معبوداتهم ثم يطلب منهم أن يظهروا له أي رقعة من الأرض خلقوها أو خلقوا ما عليها من كانت . ثم إنه لما كانت نتيجة الطلب معروفة وهي أن المشركين لن يدعوا أن ألهمهم خلقت رقعة من الأرض أو ما عليها من كائنات حية ، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يطلب من المشركين دليلا على أنهم شركاء لله تعالى في

ملك السماوات، ثم إنه لما كان معلوما أن المشركين لن يقدموا مثل هذا الدليل، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يطلب منهم تقديم محرر مكتوب من الله تعالى يثبت فيه أن معبوداتهم شركاء له في الملك يكون حجة للمشركين ولمعبوداتهم. ثم إنه لما كان غير متصور أن يأتي المشركون بمثل هذا الكتاب أو المحرر، فإنه لم يعد متصورا غير أمر واحد، هو أن معبودات المشركين ليست آلهة، وأن عبادتهم بزعم أنها آلهة أو بزعم أنها تشفع لعبادها عند الله تعالى ليس سوى باطل نقله السلف الضالون إلى الخلف، واتبع فيه التابعون سادتهم، اغتراروا بهم وبما وسوس به إليهم الشيطان.

وَإِنَّ لِلَّهِ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ زَوَلَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن معبودات المشركين لا تملك شيئا من السماوات ولا من الأرض، فإنه تعالى أثبت - في الآية - أنه من بعد إيجاد السماوات والأرض بالخلق يحفظهما من الزوال، وأنه تعالى لو قدر زوالهما فإن أحدا لا يستطيع أن يمسكهما.

وقيل إن المراد من «الزوال» في معنى الآية هو الانتقال من المكان، وقيل أن المراد به هو الدوران، وهذا غير صحيح علميا لما ثبت من تحقق حركة الأرض والأجرام السماوية، كان سبب الوقوع فيه عدم توافر العلم بهذا لدى الأقدمين.

والذي نراه - والله أعلم - أنه تعالى قد ذكر في الآية قدرته العظيمة على المحافظة على السماوات والأرض وعدم زوالهما إلا بحلول الأجل الذي جعله تعالى لزوالهما. وعظم قدرته تعالى تبين من معرفة أن سبب عدم زوال السماوات والأرض هو تساوى مادة الكون مع المادة المضادة، ومن وسائله تباعد النجوم والمجرات بعضها عن البعض بمسافات شاسعة تمنع

تتلاقى مادة الكون مع المادة المضادة لها وهو ما يؤدي إلى فناء الكون وزواله. بيان ذلك هو أنه اكتشف حديثاً أن للجسيمات الذرية العادية جسيمات ذرية مضادة، فالذرة العادية تتكون من نواة بها بروتونات موجبة الشحنة ونيوترونات متعادلة، ويدور حول النواة اليكترونات سالبة. أما الذرة المضادة فتتكون من الجسيمات المضادة، فالبروتون الموجب يقابله فيها بروتون سالب، والنيوترون يقابله نيوترون مضاد بعزم مغناطيسي معاكس، والالكترون السالب يقابله الكترون موجب يسمى «البوزيترون»، وإذا حدث التقابل وقع الفناء. ولما كان بعض النجوم والمجرات من نوع المادة العادية والبعض الآخر من نوع المادة المضادة، فإن التقاء النوعين أو قربهما معناه زوال السماوات والأرض، ولو حدث زوالهما فإنه لا يكون في مقدور غير الله إعادتهما.

لذلك كان قوله تعالى مثبتاً أن بقاء السماوات والأرض على حالهما هو فعله تعالى وحده، وأنه إن شاء زوالهما، لم يكن في مقدور أحد منهما من أن تزولا.

وقوله تعالى - في ختام الآية - «وكان الله حلماً غفوراً» هو في بيان أن حلمه تعالى جعله لا يعجل العذاب للمشركين، لعل منهم من يعدل عن الشرك إلى التوحيد فيؤمن لرسول الله ﷺ، فيغفر له تعالى ما تقدم من ذنبه قبل الإيمان.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ هُدًى مِّنْ إِحْدَى الْأُمُورِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمُ إِلَّا نُفُورًا ۖ أَسْتَجَارُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكُرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۚ ٤٣

أولاً: الأسماء:

الأمم: المراد بهم - في معنى الآية - الذين كذبوا موسى عليه السلام ممن بعث إليهم يدخل فيهم فرعون وقومه، وقارون ومن كذب موسى من بني إسرائيل، والذين كذبوا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من قومه بني إسرائيل فلم يؤمنوا له.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى في كفار مكة الذين بلغهم أنه قد كذب موسى كما كذب عيسى عليه السلام ممن بعثا إليهم من أهل الكتاب فلعنواهم لكفرهم أنبياءهم وأقسموا بالله أنه إذا أرسل تعالى فيهم رسولا من أنفسهم كما كانوا يتمنون، فإنه يكون منهم اتباعه فيكونون باتباعه أهدي من اليهود ومن النصارى الذين كان من كل منهما من كذب النبي المبعوث إليها.

ثم يذكر تعالى ما كان من كفار مكة حين بعث فيهم رسول الله ﷺ نذيراً بالقرآن، وهو ازدياد نفورهم من الحق والابتعاد عنه تمسكا بالضلال.

وبين تعالى أن نفور كفار مكة من الحق الذي بعث به رسول الله ﷺ كان استكباراً من أنفسهم أن يتركوا دين آبائهم ومكر السوء من جانبهم، بمعنى أن حالهم كان خداع الناس لصدهم عن الحق الذي دعا إليه رسول الله ﷺ.

وبعد أن بين تعالى مكرهم السوء برسول الله ﷺ، ذكر تعالى ما قضت به حكمته في شأن الذين يمكرون السوء «ولا يخيق المكر السوء إلا بأهله» فيبين أن الإيذاء الذي يضره من يمكر السوء ويريد إنزاله - عدواً - بالغير، لا يصيب غيره، وقد يكون من هذا ما حاق بالكافرين يوم بذر من مكرهم السوء.

ثم مخاطب تعالى رسوله ﷺ في شأن كفار مكة في استفهام عما ينتظر الكافرون تحققة لكي يؤمنوا بالحق الذي جاءهم، فالقول تعجب من عدم مبادرتهم إلى الإيمان، ثم يتوعدهم تعالى بالعذاب بتشبيههم بالمنتظرين أن يجرى تعالى شأنه فيهم ما جرت به سته في

المكذبين من قبلهم من تعذيبهم في الدنيا والآخرة. يؤكد تعالى وقوع عذابه بهم بيان أنه لا يكون منه أن يبدل بعذاب المكذبين رسلهم رحمة منه، كما لا يكون منه تحويل العذاب عنهم إلى غيرهم.

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
سَارُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا
كَانَ اللَّهُ بِمُجْزِئٍ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٤٤

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في التدليل على قدرته تعالى على تعذيب المكذبين رسلهم واستشهادا بكفار مكة ذواتهم الذين ساروا في الأرض وشاهدوا، والذين علموا مما سمعوا أنه تعالى قد أهلك عادا وثمود وأصحاب مدين وغيرهم الذين ملكوا من أسباب القوة أكثر مما ملك كفار مكة فلم تمنعهم قوتهم من بأش الله لما جاءهم.

ثم أثبت تعالى لذاته أنه ليس في السماوات ولا في الأرض من يحول بينه وبين إهلاك من قدر تعالى إهلاكه أو تعذيب من شاء تعالى أن يعذب.

وأعقب هذا بيان أنه إنما يهلك أو يعذب من يستحق ذلك بما ثبت في علمه تعالى، فيجري فيه عذابه بموجب قدرته التي لا يقف دونها أحد.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظُهُرِهِمْ دَابَّةً وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ٤٥ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ٤٥

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان جسامه ما يرتكب الناس من الذنوب والآثام، الأمر الذى كان مفترضا - حال مؤاخذته تعالى الناس بها فور مقارفتها - أنه تعالى يهلك كل ما على الأرض من كائن حتى دب عليها، كما فعل تعالى بإغراقه الأرض بالطوفان. وقيل إن المراد هو إهلاكه الجن والإنس، وقيل هو الإنس وحدهم - ثم بين تعالى أنه لم يشأ هذا فكان منه تعالى - من بعد بعثة رسول الله ﷺ - تأخير حساب الناس إلى أجل مسمى عنده تعالى فى اللوح المحفوظ هو يوم القيامة. يكون فيه حسابهم بما علم من أحوالهم وأفعالهم التى أحاط بها علمه تعالى إحاطة البصر بالمنظور.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يس ﴿١﴾ وَاقْرَأْ اِنْ أَحْكَمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ نَزِيلَ الْغَزْرِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾

التفسير:

افتتحت السورة بقوله تعالى «يس». وفيه قيل الكثير. قيل هو اسم أعجمي جعل اسما

للسورة ، وإن معنى القول هو «اذكريس». وقيل إن معناه هو «يا رجل» أو «يا إنسان»، وقيل هو اسم لمحمد ﷺ - بدلالة قوله تعالى «إنك لمن المرسلين» - وقيل هو اسم من أسماء الله، وقيل هو من الحروف المقطعة في أوائل السور. أتبع ذكره تعالى بالقسم بالقرآن الحكيم، وصفه تعالى بأنه ذو حكمة وجواب القسم في مخاطبته تعالى رسوله ﷺ بأنه من المرسلين من الله تعالى إلى عباده، وهو رد على الذين قالوا لرسول الله ﷺ «لست مرسلاً».

ثم أخبر تعالى عن رسوله ﷺ أنه على صراط مستقيم، أو أن حال المرسلين جميعاً - وهو منهم - أنهم على صراط مستقيم، أى على الطريق الهادى إلى رضا الله وحبته، ثم بين أن التنزيل ، أو القرآن هو من الله العزيز الرحيم، يعز به المؤمنين ويرحمهم.

لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ
فَهُمْ غَافِلُونَ ١ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢ ۝
إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا ۖ فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ٣ ۝

أولاً : الأسماء :

المقمحون : فى قوله تعالى «فهى إلى الأذقان فهم مقمحون» جمع، مفردة المقمح، وهو من رفع رأسه بطريق إمالتها للخلف فيكون معها غرض البصر، وهى فى الأصل حال من رفع رأسه لسف البر المتخذ من القمح.

ثانياً : التفسير :

مفاد القول أنه تعالى أنزل القرآن أو التنزيل على رسوله ﷺ لينذره - فى مقام أول - قومه وصفهم تعالى بأنهم لم ينذروا آبائهم من قبل رسول من الله تعالى، ولذلك فإنهم غفلوا عن الحق الذى لم يعلموا به، فيكون القول بمثابة تعليل لبعثه ﷺ فيهم وهو إنذارهم. وعلى هذا المعنى يكون المراد بابائهم هم الأذنون لأن الأبعدين منهم قد أنذرهم إسماعيل عليه السلام

وقيل إن المعنى هو «لتنذر قوما مثل ما أنذر آبائهم» وهو بعيد فيما نرى - والله أعلم - لقوله تعالى «وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» .

ثم أثبت تعالى في شأن قومه ﷺ أنه حق في أكثرهم قوله تعالى لإبليس «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين»، وأنهم لهذا لا يؤمنون ، بل يقولون على كفرهم الذى اختاروه .

ثم ذكر تعالى أنه جعل فى أعناق هؤلاء الذين لا يؤمنون أغلالا تكون إلى أذقانهم فيكونون مقمحين . وقيل إن القول نزل فى أبى جهل والوليد بن المغيرة ومخزومى آخر الذين أقسموا أن يرضخوا رأس رسول الله ﷺ بحجر، فلما رفع أبو جهل الحجر ليرمى به رسول الله ﷺ أوما إليه فرجعت يده إلى عنقه والتصق الحجر بيده، ولما رفع الوليد الحجر أعمى الله بصره، ولما رفع الثالث الحجر رجع القهقري ثم خبر على ففاه مغشيا عليه . وبقطع النظر عن صحة القصة المروية أو عدم صحتها، فإننا نرى - والله أعلم - أنها لا تفسر النص، لأن القول فى النص تعلق بأكثر قومه ﷺ، وهؤلاء ثلاثة نفر فقط من قومه . والذى نراه - والله أعلم - أن القول هو فى المكذبين من قومه ﷺ، وأن فى القول تشبيها، فإصرارهم على الكفر هو الأغلال التى فى أعناقهم، واستكبارهم فى أنفسهم الذى منعهم من الإيمان لرسول الله ﷺ، ومن مظاهر الاستكبار رفع الرأس هو المقامح التى تكون تحت الأذقان - وهى الحلقة الكبيرة فى نهاية الأغلال - فيكون القول فى المكذبين برسول الله ﷺ من قومه عموما الذين حق عليهم القول أن يملأ تعالى بهم جهنم والجنة أجمعين .

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ۖ وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ
فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ٩ ۖ وَسَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ۝
فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١

التفسير:

قيل إن الضمير في «أيديهم» و«خلفهم» يعود إلى الثلاثة الذين أرادوا شج رأس رسول الله ﷺ بالحجر، وقيل إنه يعود إلى أبي جهل وأمّية بن خلف، وعتبة وشيبة ابني ربيعة الذين ترصدوا رسول الله ﷺ لإيذائه فخرج عليهم يقرأ «يس» وفي يده تراب رماهم به وهو يقرأ «وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا» فأطرقوا حتى مر عليهم ولم يبصروه ..

ونرى - والله أعلم - أن القول هو في كفار مكة المصيرين على الكفر مثل تعالى لانحصارهم في دائرة الكفر بمن جعل أمامه سد عظيم ومن خلفه سد عظيم، والمراد بهذا هو إحاطته من جميع الجهات بما يمنع تحركه وخروجه عن البقعة من المكان التي هو فيها - والمراد بها في معنى الآية دائرة الكفر - ثم كان من أثر انحصار أبصارهم في المكان الضيق إصابتهم بالعشا وضعف البصر، والمراد أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه.

وقيل إن المراد بالقول هو أنه يضييهم العمى على الحقيقة في الآخرة لقوله تعالى «ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا»، وقول أحدهم «قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا» .

ثم إنه تعالى يبين لرسوله ﷺ أن قضاء تعالى فيهم أنهم يموتون كافرين بقوله له «وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» أن يتساوى في شأنهم إنذارهم وعدمه لاختيارهم الكفر وجريان مشيئته تعالى لهم به على ما اختاروا وثبت في علمه الأزلي.

ثم يخبر تعالى رسوله ﷺ بمن يؤتى الإنذار معه الأثر المرجوم منه وهو الإيمان، فيقول إنه من اتبع الذكر أي الذي آمن بالقرآن العظيم وعمل به بعد أن فتح الله قلبه للإيمان، وكان من شأنه أنه خشى الرحمن بالغيب دون أن يراه ولم يغتر برحمته فارتكب المعاصي متعللا بأن رحمة الله تعالى تنجيّه.

وقد أمر تعالى رسوله ﷺ أن يشير هذا بمغفرة ذنوبه التي ارتكبها قبل إيمانه، وبالثواب العظيم يكون أجرا عظيما له لا يضيع .

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في الفريقين: فريق المكذبين المصيرين على الكفر، وفريق الذين اتبعوا الذكر وخشوا الرحمن بالغيب، أو إن القول لهما، فهو وعيد الكافرين ووعد للمؤمنين. ومفاد القول أنه تعالى يحيى الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء، وأنه يحاسبهم بأعمالهم أحياء وبما خلفوا وراءهم بعد موتهم من آثار، فمن الآثار الحسنة كتاب مؤلف يستفاد به، وبناء يتنفع به، ومن الآثار السيئة سن قانون يشرع الظلم ونشر مذهب فاسد بين الناس.

وقيل إن المراد بالآثار هو آثار السير إلى المساجد.

ثم إنه تعالى يؤكد محاسبته الناس بكل أفعالهم وآثارهم بذكره أن كل شيء قد أحصاه تعالى عليهم وأثبت في شيء عظيم قيل إنه اللوح المحفوظ، وقيل هو القرآن العظيم.

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ أَنْتَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَمَزْنَا بِالنَّارِ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾

أولاً: الأسماء والأعلام:

١ - القرية: قيل إنها أنطاكية، وهى من المدن التى توجه إليها تلاميذ عيسى عليه السلام الحواريون للتبشير بدعوته بعد رفعه إلى السماء.

٢ - المرسلون: المراد بهم - في معنى الآية - رسل عيسى عليه السلام إلى الناس للدعوة بتوحيد الله.

٣ - الاثنان ، والثالث : قيل إن الاثنين هما: يوحنا وبولس ، وقيل هما توما وبولس ، وقيل شمعون ويوحنا ، وقيل هما صادق وصدوق ، وقيل نازوحى وماروحى .

وقيل إن الثالث هو شمعون الصفا الذى يقال له «سمعان» ، وقيل هو شلوم ، وقيل بولس . وفى سفر أعمال الرسل فى كتاب العهد الجديد الذى بين أيدينا اليوم أن الاثنين هما برنابا وشاول ، ذهب برنابا فى بداية الأمر وخذته ثم توجه إلى طرسوس وعاد منها بشاول توجه معه إلى أنطاكية ، وأن الثالث هو أغابوس .

ثانيا : التفسير :

الخطاب - فى الآية - موجه إلى رسول الله ﷺ ، يأمره به أن يضرب للمكذبين به مثلا من قصة حدثت لقوم ماثلوهم هم أصحاب القرية ، وهم - فيما قيل - أهل أنطاكية التى جاءها المرسلون ، وهم المرسلون من قبل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إلى الأمم بدعوته .

فيقول تعالى إنه أرسل إلى أهل المدينة اثنين من هؤلاء التلاميذ الرسل ، ولا يعنى هذا كونهما من الأنبياء ، فهما من الرسل بحكم كونهما رسولين من رسل الله ولأنه تعالى الأمر بإرسالهما والذى يسرلهما ذلك .

ويذكر تعالى أن أهل المدينة كذبوا الرسولين ، ويحتمل المعنى أن يكون التكذيب متعلقا بكونهما رسولين ، وأن يكون متعلقا بما أرسل به .

ثم يذكر تعالى أنه فرى الاثنين ثالث يدعوهم بما دعا به المسيح عليه السلام من توحيد الله ، وكان مبدأ قول الثلاثة لأهل القرية هو أنهم مرسلون إليهم برسالة كلفوا بها من الله ، لا يمنع من هذا من كونها بواسطة المسيح عليه السلام ، لأنها بأمره تعالى .



قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا هُمْ بِغَائِبِينَ إِنَّا نَعْلَمُ الْغُيُوبَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلَاغَ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى القصة - التى يروىها رسول الله ﷺ لكفار مكة بأمر به أن أهل القرية أعلنوا المرسلين بعدم تصديقهم وبسبب ذلك وهو كونهم بشرا مثلهم فكأنهم يطلبون ملائكة رسلا أو بشرا يفضلونهم فى شىء .

وهو الأمر المفتقد فى الرسل الثلاثة، كما أعلنوهم برأيهم وهو أنه تعالى لم ينزل كتابا على النبى الذى يدعون بدعوته بقولهم .

والمعنى أنهم أنكروا نبوة المسيح عليه السلام، ثم قرئوا هذا باتهامهم الرسل صراحة بالكذب .

ومن القول يبين أن أهل المدينة أو القرية كانوا يؤمنون بوجود الله تعالى، وأنهم كانوا يشركون بعبادته شأن مشركى مكة .

ثم يذكر تعالى أن الرسل الثلاثة استشهدوا على صدقهم بعلم الله تعالى بأمرهم وهو أنهم مرسلون إلى أهل القرية بدعوة المسيح عليه السلام بتوحيد الله تعالى وعبادته .

ثم أضافوا قولهم إنه ليس عليهم سوى واجب إبلاغ الدعوة على النحو الواضح الذى يتيح لمن له عقل أن يفهم ويعى فىكون منه الإيمان، وإنهم غير مكلفين بإلزام الناس الإيمان بما يدعون إليه .



قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ نَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ إِنَّ دُكْرَكُمْ
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ١٩

التفسير:

يذكر تعالى من أخبار القصة المروية أن أهل القرية عندما عدموا سببا يبدونه لتكذيب المرسلين يكون مقبولا عقلا كان منهم القول الجاهل وهو أنهم يتشاءمون بهم أو منهم، وقيل إن سبب ذلك أنه حبس عنهم المطر، وقيل أصابهم الجذام.

ثم إنهم هددوا المرسلين بأنهم ما لم يكفوا عن دعوتهم إلى التوحيد فإنهم سيقتلونهم رجما بالحجارة أو يعذبونهم بعذاب دون ذلك .

ثم يذكر تعالى أن المرسلين أجابوهم بأن سبب شؤمهم راجع إليهم بمعنى أن سبب ما أصابهم من الضر هو إشراكهم بالله وعملهم بالسيئات، وأنهم أتبعوا هذا بقولهم «أئن ذكركم» .

وهو استفهام وشرط، يكون فيه إجابة الاستفهام يستغنى به عن تقدير جواب الشرط.

فيكون المعنى «أئن ذكركم بالحق، ووعظتم بما فيه خيركم تطيرون وتتعدون» .

ثم إنهم أعلنوهم بحقيقة أمرهم وهى أنهم قوم مسرفون، من طبعهم الإسراف فى العصيان ومجاوزة الحد الذى هو سبب لحلول غضب الله تعالى عليهم .



وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ
يَقَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُسْتَدُونَ
﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ
إِلَهَةً إِنْ يَرِدْني الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ
﴿٢٣﴾ إِنْ أَدْنَىٰ ذَاتٍ لِي مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ أَمْسَتْ بُرُجُكُم فَاَنتُمْ كَوْنٌ ﴿٢٥﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

الرجل : فى قوله تعالى «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى»، هو رجل من أهل المدينة أو القبرية على ما يبين من قوله «يا قوم» قيل إن اسمه حبيب بن إسرائيل، وقيل ابن مري كان يعمل نجاراً، وقيل حراثاً، وقيل صانع أصنام.

وفى سفر أعمال الرسل فى كتاب العهد الجديد أنه الذى أتى هو بولس، ويبعد أن يكون هو المقصود بالقول فى عبارة النص لأنه لم يكن من أهل المدينة .

ثانياً : التفسير :

يخبر تعالى - فى الآيات - عن واقعة حضور رجل من أهل المدينة مجلس المحاجة بين الرسل وبين أهل المدينة ونصحه قومه أن يؤمنوا للرسل، ويذكر قوله لهم .

فيخبر تعالى عن رجل جاء من أبعد مواضع المدينة عن مكان المرسلين والقوم - حيث كان الجدل دائراً - يستحث السير ويسرع فيه، وأنه ما أن وصل إلى المكان حتى خاطب أهل المدينة بقوله «يا قوم» ثم نصحهم بتصديق المرسلين واتباعهم فيما دعوا إليه من توحيد الله تعالى «اتبعوا المرسلين»، ثم بين لهم دليل صدقهم ببيان أنهم لم يطلبوا منهم أجراً على ما

دعوههم إليه ، ومستشهدا بما هو ظاهر فيهم من ثبات على الهدى إلى وجه الحق «اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون» ثم إنه لام قومه وقرعهم على عبادة غير الله تعالى وإن كان قد تلطّف بهم قصد جذبهم إلى الإيمان بدعوة المرسلين، فسبب إلى نفسه ما ينكره على قومه من الإشراك بالله بقوله «ومالئ لا أعبد الذي فطرني» فكأنه ينصح نفسه بعبادة الذي أوجده من العدم.

والمراد هو نصحه قومه، ثم شفع قوله بتهديد قومه من الاستمرار على الشرك بالله بقوله «وإليه ترجعون» فيبين لهم أنهم يعيشون بعد الموت للحساب فيرجعون إلى ربهم يجازيهم على شركهم بالعذاب إذا بقوا على شركهم ويثيبهم إذا آمنوا للرسول والتزموا عقيدة التوحيد.

ثم كان منه العودة إلى تسفيه عقيدة الشرك بالله في قول جاء في صيغة الاستفهام المراد به إنكار الفعل - وهو الشرك - ونفى الألوهية عن المعبودات من دون الله تعالى، مع التلطّف مع قومه بنسبة الأفعال إلى شخصه بقوله «أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون» أنكر على نفسه أن يتخذ من دون الله معبودات لا حول لها ولا قوة حتى إنها لا تستطيع أن تدفع عنه ضررا أرادته الله به.

فيكون القول نافيا عنهم الألوهية، ثم أتبعه ببيان أنها لا قيمة لها عند الله حتى إنها لا تملك أن تشفع لدى الله في أحد من عابديها.

فضلا عن أنها لا تستطيع إنقاذ عابديها مما أعد لهم من العذاب وبعد هذا فإنه أعلنهم بالنتيجة المترتبة على ما عرض عليهم من فكر منطقي وهي أن من يشرك بالله تعالى يكون في ضلال واضح وخطأ بين «إني إذا لفي ضلال مبين».

وكانت خاتمة قوله لهم أنه أعلنهم بأنه آمن بالله تعالى ووحدته، وصفه بأنه ربهم بمعنى أنه الذي يرعاهم ، ثم طلب منهم أن يسمعوا له، والمراد سماع الإجابة، يكون بقبول قوله والسماع للرسول بالطاعة .

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى «قيل ادخل الجنة» يتصور فيه أمران، أحدهما أنه بشر بدخول الجنة في حياته، أو بشر بذلك من الملائكة لدى قبض روحه.

والثاني أن يكون قد مات عقب قوله ما قال لقومه فأدخل الجنة، بمعنى أنه بشر بدخولها مع دخالها يوم القيامة، أو بدخول روحه فيها دخول أرواح الشهداء.

والمشهور هو أن القوم وثبوا عليه فور الانتهاء من القول وقتلوه - قيل بالوطء بالأقدام، وقيل بالنشر - ثم ألقوه في بئر هي «الرس» فيكون القوم هم أهل الرس.

ويذكر النص أنه بعد أن بشر بالجنة أو بعد أن دخلتها روحه تمنى لو علم قومه ما آل إليه أمره من دخول الجنة أو من صيرورته إليها بحكم ما بشر به، وبما كان من الله تعالى معه من مغفرة ذنوبه والتفضل عليه بالكرامة السنية، ليكون منهم الإيمان مثله بالله وتوحيده ونيل الخير العظيم.

فيكون الرجل قد نصح لهم حبا مبتغيا مصلحتهم، وتمناها لهم بعد موته، شأن المؤمنين الذين يقابلون السيئة بالحسنة.

وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ
خَمْدُونَ ﴿٢٩﴾

التفسير:

يثبت تعالى - فى الآيتين - أنه أهلك قوم الرجل الذى قيل له «ادخل الجنة» وأنه من بعد موته أوقلته أو رفعه إلى السماء - فى قول - لم يرسل لإهلاك قومه ملائكة جنودا لإهلاكهم، وما كان منه تعالى أن ينزل ملائكة جنودا لإهلاكهم، وقد يكون ذلك تحقيرا لشأنهم، وقد يكون لبيان لرفعة شأنه ﷺ الذى أنزل تعالى الملائكة جنودا لنصره على الكافرين .

ثم يثبت تعالى أن هلاكهم إنما كان بصيحة واحدة، والمراد بها صيحة جبريل عليه السلام، صاح بها على باب المدينة فماتوا جميعا .

يَحْزَنُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾

أولا: الأسماء :

العباد : قيل إن المراد بهم - فى معنى الآية - هم الرسل الذين قتلهم المكذبون، وإن المتحسرين هم المكذبون تحسروا على قتلهم الرسل حينما عاينوا عذاب الهلاك .

وقيل إنهم المكذبون الرسل تتحسر عليهم الملائكة، أو يتحسر عليهم الرجل الذى قيل له ادخل الجنة، ونرى - والله أعلم .

أن المراد بهم - فى معنى الآية - هم القوم الذين كذبوا الرسل، يدل على هذا وصفهم بأنهم كانوا يستهزئون بالرسل .

ثانيا : التفسير :

مفاد قوله تعالى - فى الآية - أن المكذبين الرسل ومنهم هؤلاء أهل القرية جديرون أن يتحسر عليهم لما سينالهم من العذاب أو ما نالهم بالفعل .

ويتصور أن تكون الملائكة هى التى تحسرت عليهم أو تحسر عليهم الرجل الذى قيل له «ادخل الجنة» .

والمستفاد من قوله تعالى «ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون» أن القول هو - من جهة - بيان لحال المكذبين بالرسول عموماً، وهو من جهة ثانية بيان لسبب إهلاكهم بعذاب استدعى التحسر عليهم .

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ
إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

التفسير:

القول - في الآية الأولى - هو في أهل مكة.

والمراد بيانه هو وجوب علمهم بأن الذين يهلكهم الله بعذاب منه لا يرجعون إلى الحياة.

فيكون معنى القول هو: «ألم يروا أن القرون الذين أهلكناهم أنهم إليهم لا يرجعون».

وقيل إن مفاد القول أن الذي كان يتعين على أهل مكة تبينه هو أنه تعالى أهلك القرون التي كانت قبلهم لعدم الرجوع عن عقائدهم الفاسدة إلى الرسل وما دعوهم إليه.

ثم إنه تعالى أثبت - في الآية الثانية - أن الرجوع إنما يكون إليه تعالى في المحشر فليس من رجوع إلى الدنيا.

والرجوع إلى الله تعالى يكون للمهلكين من قبل ولكفار مكة رجوع العقاب.

فيكون القول دليلاً على أن المعذبين بالهلاك في الدنيا لا يعفون من عذاب الآخرة.



وَأَيُّهَا لَهُمْ

الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرِجْنَا مِنْهَا حَبًّا إِنَّهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ بُشْحَانَ الَّذِي
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - تناول الرد على منكرى البعث من بعد الموت وإقامة الدليل على هذا، ثم جاء فى الدليل ما هو من قبيل النعم التى أنعم بها تعالى على الناس ومنهم الذين كذبوا بالبعث.

ولهذا أوجب النص عليهم شكر الله وتوحيده ليكون ختام القول تنزيهه تعالى عما لا يليق بذاته ومنه إنكار البعث .

فالدليل الذى ساقه تعالى إلى منكرى البعث يتمثل فى الأرض الميتة التى عدمت النبات، فهى مثل الأموات من بنى الإنسان، يحييها تعالى بإنزاله المطر عليها فتنبت وتزهر وتثمر ويخرج منها الحب الذى يأكله الناس.

فلا يبعد على من يحيى الأرض أن ينشئ أجساد الموتى نشأة أخرى وأن يعيد إليها الروح فتكون فيها الحياة.

ثم إنه تعالى يذكر أن الأرض التى يحييها بعد الموات يجعل فيها جنات من نخيل وأعنان، وأنه يخلق فيها ما يكفل استمرار وجود جنات النخيل والأعنان وهو العيون يفجرها تعالى بالماء. ولا يبعد على من يفعل هذا أن يجعل من يبعث من الموت قادرين على فهم

ما يحاسبون عليه، وأن يتنعم منهم المؤمنون، ويعذب منهم الكافرون .

ثم إنه تعالى يجعل القول في شأن مكذبي البعث يذكر أنهم يأكلون من ثمار النخيل والأعناب التي نبتت بها الأرض التي كانت ميتا فأحيها الله، كما يأكلون مما تصنعه أيديهم من هذه الثمار من أنواع الشراب والحلوى.

فيكون القول متضمنا بيان دليل فوق دليل على قدرته تعالى إحياء الموتى ومتضمنا ذكر نعمة أنعم بها على الناس ومنهم المكذبون بالبعث والنشور؛ ولما كانت النعمة تستوجب شكر الله عليها يكون من بعد توحيده.

فقد جاء قوله تعالى «أفلا يشكرون» مبينا أنه كان مفترضا من معاينة هذا أن يؤمن المكذبون بوحدانية الله وقدرته على البعث والنشور، وأن يؤدوا حق النعمة من الشكر.

ويتصور أن يكون معنى «وما عملته أيديهم» أن ما أخرجت النخيل والأعناب من الثمار ليس من نتاج عمل الناس وإن قاموا بالزراعة وما تحتاجه وإنما هو فعله تعالى كان بقدرته، وهذا أيضا يستوجب شكره تعالى .

ثم إنه لما كان ما سبق بيانه من أدلة على قدرته تعالى على البعث والنشور، وما هو من قبيل النعم المنعم بها على الإنسان هو من العظم بمكان، فقد جاء قوله تعالى «سبحان الذي خلق الأزواج كلها» تنزيها له تعالى عن أن يظن به عدم القدرة على شيء وعن أن يترك شكره.

جاء وصفه تعالى ذاته بأنه الذي خلق الأزواج كلها، فيبين أن جميع المخلوقات أزواج، بمعنى أن لكل منها ما يماثله أو ما هو ضد له.

وبين أن المخلوقات منها ما يكون من الأرض من النبات، ومنها ما يكون من أنفسهم مثل خلق حواء من آدم وخلق الأبناء من الآباء، ومنها ما لم يحيطوا به علما، وما لم يحيطوا بكيفية خلقه من العدم علما. ولعله من هذا ما هو معروف حاليا عن مولد نجوم لم تكن موجودة لا يحيط الخلق بكيفية خلقها إلا بالنذر اليسير:

وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ
مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
تُدرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

أولاً : الأسماء :

١ - المنازل : فى قوله تعالى «والقمر قدرناه منازل» قد يكون المراد بها المنازل الثمانية والعشرون التى ينزل القمر كل ليلة بمنزلة منها وهى :

الشرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف،
والجبهة، والخراتان، والصرفة، والعواء، والسماء، والغفر، والزبانيان، والإكليل، والقلب،
والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والفرغ
المقدم، والفرغ المؤخر، وبطن الحوت.

وقد يكون المراد بها المنازل المعروفة للقمر فى الشهر القمري وهى :

الهلال الجديد فى الأفق الغربى، والتربيع الأول، والبدر، والتربيع الثانى، والهلال فى
الأفق الشرقى. والمحاق .

٢ - العرجون القديم : هو العذق المقوس أو السباطة اليابسة إذا مر عليها الحول
وجفت.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان آيات عظيمة من خلقه تعالى تعلقت جميعها بدورة
الفلك وما يترتب عليها، ثم إنها لما كانت متطورة ومرعية لأهل البادية ومنهم كفار مكة

والمكذبون بالبعث فإن ذكرها يعتبر من قبيل التدليل على وحدانيته تعالى وقدرته على كل شيء بما يستوجب توحيده والإيمان بالبعث .

ذكر تعالى أن للكافرين في الليل يسليخ منه النهار فيكونون في ظلام . وفي معناه قيل إنه تعالى جعل ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسليخ، فإذا جاءت الظلمة لفت الناس فكانوا مظلمين . والذي نراه - والله أعلم - غير هذا .

فالقول يذكر حقيقة علمية وهي أن الأصل الذي يلف السماء حول الكرة الأرضية هو الظلام ولا يكون منيرا من الغلاف الجوي المواجه للشمس أثناء النهار إلا ما يزيد سمكه على مائتي كيلومتر فالانسلاخ عن هذا الحيز من الغلاف الجوي يكون معناه هو الظلام، وبانسلاخ النهار على سطح الأرض تعود حالها للأصل وهو الظلام .

كما ذكر تعالى أن الشمس تجري لمستقر لها، وهذا إثبات لحقيقة علمية هي وجود مدار للشمس حول المجرة، وكون الشمس والمجرة يسيران إلى حيث لا يعلم إلا الله وهو مستقرها؛ ولذلك قال تعالى «ذلك تقدير العزيز العليم» جعل تعالى حركة الشمس وسيرها محكومة بقدرته وعلمه إلى أن يكون مستقرها في الأجل الذي حدده .

ثم يذكر تعالى نزول القمر في منازل الثمانية والعشرين، والمنزل هو المسافة التي يقطعها القمر في يوم وليلة إلى أن يصبح في نهاية الشهر مثل عذق النخلة المقوس أو السبابة اليابسة .

وقد يكون في القول إشارة إلى انعدام الحياة على القمر لتشيبيه بالعرجون القديم الذي ليس به حياة .

وقوله تعالى «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون» يشير إلى كروية الأرض بدليل كروية غلافها الجوي بليله ونهاره، وإلى عملية التبادل بين النهار والليل نتيجة دوران الأرض حول نفسها، وإلى وجود الليل والنهار في نفس الوقت حول الكرة الأرضية، فنصف الأرض المواجه للشمس يكون نهارا والنصف الآخر يكون

ليلا فيتعاقب الليل والنهار ولا يلتقيان ولذلك لا تدرك الشمس والقمر. ولكل منهما فلك يسبح فيه، فمدار القمر حول الأرض، ومدار الشمس حول المجرة. وسبحان الله العظيم ذكر القرآن العظيم هذه الحقائق العلمية قبل أن يصل إليها العلم الحديث بقرون عديدة.

وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ
مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْنُ فَرِّقَهُمْ فَلَا صِرَاطَ لَهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى في الآيات الثلاث آيات عظيمة له في الخلق هي من قبيل النعم ليكون للكافرين الاتعاض بها، ويكون بها إعلامهم بوجوب أداء حقها من الشكر، كما يذكر من مظاهر قدرته ما يعتبر بمثابة إنذار للكافرين بالإهلاك إذا ما بقوا على كفرهم.

فيذكر تعالى أنه حمل ذرية الناس في الفلك المشحون، وقد يكون المراد بالذرية هم الآباء والأجداد الذين حملهم تعالى شأنه في سفينة نوح.

وقد يكون المراد بها هم الناس عموماً أو أهل مكة، وقد يكون المراد بهم الأبناء الذين هم أضعف من أن يعتمدوا على أنفسهم في التنقل بذواتهم فسخر لهم الفلك ينقلهم إلى ما بعد من الأمكنة.

كما ذكر تعالى أنه خلق لهم ما يركبونه في البر على نحو ما جعل السفن ما يركبون في البحر، أو أنه تعالى خلق لهم من الفلك أنواعاً مختلفة الشكل والهيئة والحجم، وقد يكون في القول إشارة إلى البارج والغواصات كما فيه إشارة إلى القوارب الصغيرة. وهذا جميعه من النعم كما هو من الآيات الدالة على قدرته تعالى.

ثم يجيء الإنذار المستور فى صورة الإخبار بقوله تعالى «وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رجمة منا ومتاعا إلى حين». وفيه يبين تعالى أنه إن شاء إهلاك المكذبين وهم فى الفلك فإنه - وقد تكامل ما يحدث هلاكهم - قادر على هذا وإن شاء فإنه لا يكون لهم منقذ من دونه تعالى، ينقذهم برحمته إذا شاء فتكون نجاتهم من الهلاك إلى حين من الزمان ينتهى بانقضاء آجالهم التى حددها تعالى لهم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

انْفِقُوا مِمَّا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمِمَّا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا نَأْتِيهِمْ
مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
انْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعُمْ مِّنْ لَّوْ
يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى
هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى كفار مكة عموماً والمكذبين منهم بالبعث على وجه الخصوص، وفى أقوالهم وفعالهم، وما كانوا يردون به على المسلمين من قول يكون تعبيراً عما فى نفوسهم .

فيذكر تعالى إنه عندما كان ينصحهم المؤمنون - من أجل نيل رحمة الله - أن يتقوا ربهم فيما مضى من أمورهم باستغفاره عما قارفوا من الذنوب، وفيما هو آت منهم في مستقبل الأيام يكون بتجنب مقارفة المعاصي، فيكون المراد بما هو بين أيديهم هو ما مضى، والمراد بما خلفهم هو الآتى - وقيل العكس - عندما كان ينصحهم المؤمنون كانوا يعرضون عن القول وعن قائله، حذف الجواب نصاً لمعرفة وللإستدلال عليه بقوله تعالى «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين»، وهو يفيد - فضلاً عن هذا - أنهم كانوا حين يدعون لسماع آيات القرآن العظيم كانوا يعرضون عن الدعوة وعن الاستماع.

كذلك يذكر تعالى أنه عندما كان يطلب منهم الإنفاق على الفقراء مما وسع عليهم ربهم من الرزق كانوا يقولون للمؤمنين «أنطعم من لو يشاء الله أطعمه» فهم يستهزئون بالمؤمنين لقولهم إن الله هو الرزاق العليم، أو يستكبرون - بقولهم - أن يرزقوا من أفقره الله.

وقوله تعالى «إن أنتم إلا فئ ضلال مبين» يتصور فيه أن يكون قول الكافرين نسبوا إلى المؤمنين الذين طلبوا منهم الإنفاق مما رزقهم الله الضلال المبين بقولهم «لو شاء الله لأغنى المعوزين»، أو أنهم نسبوا إليهم الضلال المبين لاتباعهم رسول الله ﷺ. ويتصور فيه أن يكون قول المؤمنين للكافرين، أو قوله تعالى فيهم .

ثم يذكر تعالى أن الكافرين يسخرون من المؤمنين بقولهم «متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» والمراد هو الوعيد بالعذاب في الآخرة على المستفاد من قول المؤمنين لهم «اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم» فهم إما منكرون للبعث أو منكرون للعذاب الذى توعدوا به.

ثم إنه تعالى بين أن العذاب آت بهم بقوله «ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون» والمعنى أنهم لا ينتظرون - على الحقيقة - إلا نفخة الصعق التى ينفخها إسرافيل تأخذهم وهم على حالهم يخصمون فى أمور دنياهم فيموتون على الفور.

ثم بين تعالى أن النفخة تفجأ الناس أو تفجأ - فى معنى الآية الكافرين - بقوله «فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون»، بمعنى أن المرء لا يملك وقتاً يوصى خلاله بما يريد الإيضاء به، كما أن من كان خارج داره لا يجد وقتاً يرجع فيه إلى أهله، ومن كان يحدث

آخر لا يملك أن يرجع له قولا. وقيل إن المعنى أنهم متى ماتوا فإنهم لا يرجعون إلى أهلهم.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ
 ٥١ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ
 الْمُرْسَلُونَ ٥٢ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا
 مُحْضَرُونَ ٥٣ فَالْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا نُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ٥٤

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى ما يكون عليه الكافرون فى الآخرة منذ لحظة الخروج من القبور. يقول تعالى «ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» بمعنى أنه ينفخ إسرافيل النفخة الثانية التى هى للنشأة الأخرى يخرج الكافرون من قبورهم إلى حساب ربهم مسرعين. ثم إنهم حين يعلمون أنهم معذبون يصيحون بالويل والهلاك كأنهم يطلبون النظر إلى الويل الذى ينتظرهم والتعجب منه، ثم يتساءلون عن بعثهم من قبورهم. وقد يكون سبب هذا أنه يرفع عنهم العذاب فيما بين النفخة الأولى والنفخة الثانية.

فتكون لهم الإجابة على سؤالهم «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» يتصور أن تكون الإجابة من جهة الملائكة، أو أن تكون من جهة المؤمنين، يخبرونهم أن بعثهم هذا هو ما وعد الرحمن أنه يكون للحساب والجزاء، وهو الذى توعدهم به المرسلون وأنهم فيه يعذبون بكفرهم، ظهر الدليل على صدق المرسلين بوقوعه على نحو ما أخبروا به، كما يتصور أن تكون

الإجابة من بعض الكافرين قالوا بها عندما عاينوا الحق فأقروا بصدق المرسلين وخطئهم بتكذيبهم إياهم حيث لا ينفعهم إقرار بالذنب ولا توبة.

ثم إنه تعالى أكد أن بعثهم وإحياءهم كان بنفخة واحدة من إسرافيل، قيل إنها قوله «أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء».

ويذكر تعالى أنه يترتب على الصيحة أنهم يكونون جمعا واحدا، صفته أنه محضر عند ربه للحساب.

وفي شأن الحساب أثبت أن نفسا ما لا تظلم شيئا، والمعنى أنه لا ينقص لها من ثواب عمل، ولا يزداد لها في ذنب خطأ. مع ملاحظة أن النفس الكافرة تجزى بعملها الصالح في الدنيا وليس في الآخرة، فيكون الجزاء بما كان من الأعمال في الدنيا.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ
وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ
وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾

أولا : الأسماء :

١- الشغل : هو الشأن الذي يشغل المرء عن سواه، قد يكون لكمال المسرة فيه، وقد يكون لكمال المساءة.

٢- الفاكهون : في قوله تعالى «في شغل فاكهون» جمع، مفردة «الفاكه» وهو الطيب النفس الضحك، وهو الفرح.

٣- الأرائك : جمع، مفردة الأريكة، وهى كل ما يتكأ عليه، وهى السرير المنجد المزين

فى قبة أو فى بيت .

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى ما يكون عليه حال الكافرين فى الآخرة، فإنه تعالى انتقل فى الآيات إلى بيان حال المؤمنين الذين عملوا الصالحات، وصفهم بأنهم أصحاب الجنة، للتدليل على ملازمتهم إياها، ثم أخبر عنهم أنهم يكونون مبتهجين مسرورين بما يتمتعون به فيشغلهم عن أى شىء سواه لفرط ما فيه من لذة لهم. ثم أثبت تعالى أن هذا هو حالهم وأزواجهم، والمراد بهم أزواجهم المؤمنات فى الدنيا أو الحور العين اللاتى زوجهم الله إياهن فى الجنة، يكونون فى ظلال الجنة التى ليس فيها شمس ولا زهرير وقد أظلمهم الله برحمته فهم فى ظله وحماه أن ينالهم نصب متكئين على الأرائك فى راحة ودعة.

ثم ذكر تعالى أنه يكون لهم فى الجنة ما يتلذذون به من المأكول والمشرب وكل ما يطلبون لأنفسهم من شىء مادى أو نعيم روحى. ثم تكون غاية المنى نيلهم السلام من ربهم قولاً يقال لهم من جهته تعالى «سلام» بغير واسطة. وقيل يكون بواسطة الملائكة .

وَأَمْتَرُوا

أَلْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ، أَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا
الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾
هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾

أولاً: الأسماء:

الحِجْلُ: في قوله تعالى «ولقد أضل منكم جبلا كثيرا» هو الأمة العظيمة، وقيل هو الجماعة أو الأمة عموماً.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في أقوال يقولها تعالى للكافرين أثناء تعذيبهم أو حين يتأكد لهم أنهم معذبون، والمقبول أنها يقال لهم بواسطة الملائكة. أو بواسطة ملائكة العذاب، فتكون الأقوال من قبيل الإهانة التي يعذب بها الكافرون ليكون عذابهم مهيناً، وهذا ظاهر من كونها من قبيل التقرير، وارتباطها بالعذاب.

وصف تعالى الكافرين بأنهم المجرمون، وقد يكون هذا لدخول العصاة فيهم. وفي القول يأمرهم تعالى يوم الدين بالانفراد عن المؤمنين لاختلاف مصيرهم وهو النار عن مصير المؤمنين الجنة، فيكون قد تم التمييز بين الكافرين وبين المؤمنين، ويتصور في المعنى أن يكون مفيداً انفراد كل طائفة من طوائف الكافرين عن غيرها لتكون كل منها متميزة عن الأخرى لسبب لديه تعالى.

ثم إنه تعالى يبين لهم أن مخالفتهم عهده وأوامره وإطاعتهم الشيطان رغم تحذيره تعالى إياهم هو الذي أدى بهم إلى سوء المصير، وفي النص خاطبهم بأنهم بنو آدم تذكيراً لهم بعبادة الشيطان لآدم، وتوعده أبناءه بالإضلال ليكونوا من أصحاب السعير، وجاء التعبير عن إطاعة الشيطان بعبادته، لأن من مظاهر العبادة ومقوماتها الطاعة، مع دخول عبادة غير الله تعالى في مضمون عبادة الشيطان، ودخول الإلحاد أيضاً وإنكار وجود الله فيه. ويبين التقرير في القول من تذكيره تعالى الكافرين بأنه حذرهم من الشيطان ووصفه لهم بأنه عدو لهم واضحة عداوته، ويؤكد ويبين جسامته إثم الكافرين ارتباطاً بإطاعتهم الشيطان بعصيانهم الله، وارتباط عبادتهم الشيطان بكفرهم بالله، فمفاد قوله تعالى «وإن اعبدوني هذا صراط مستقيم» هو العلاقة المتناقضة بين عبادة الله وعبادة الشيطان وبين طاعة الله وطاعة الشيطان، فلا يكون متصوراً في الأمر الواحد أن يطاع الله تعالى وأن يطاع الشيطان. فإذا كان تعالى قد

أمر الناس بعبادته وبين لهم أن هذا هو الطريق المستقيم الموصل إلى رضائه والجنة، يخالف المجرمون عن أمره وعبدوا الشيطان وأطاعوه فإنهم يكونون قد أعرضوا بإرادتهم عن الطريق المستقيم إلى الطريق المعوج الموصل إلى غضب الله وعذابه، فيكونون قد استحقوا بفعلهم العذاب المهيئ.

ثم إنه تعالى زاد في تفریع الكافرين أو أنه يزيد في تفریعهم فيما يكون في الآخرة ببيانهم أنهم لم يتبينوا أنه قد أضل قبل المتأخرين منهم أقواما قبلهم حق عليهم العذاب ومنه عذاب الدنيا، مما كان مفترضا معه أن يحذروه، وهو ما لم يفعلوه ومن الاستفهام الإنكارى في قوله تعالى «أفلم تكونوا تعقلون» وفيه إنكار عدم تبصرهم وفهمهم من آثار المهلكين أن إطاعتهم الشيطان هي التي أوجبت فيهم عذابه تعالى يبين زيادة إثم اللاحقين على إثم السابقين لعدم اتعاضهم بما عاينوا وعلموا .

ثم يبين تعالى عاقبة أمر المجرمين بما يؤمرون به ويعلنون، إذ يشار إلى جهنم ويخبر عنها بأنها العذاب الذى توعدوا به فأذكروه فيكون في تعريفهم بأنها مصيرهم عذاب لأرواحهم، ثم يكون الأمر باللقاء لهم فيها والاصطلاء بتارها مع بيان سبب ذلك «اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون» فيكون سبب دخولهم النار والاصطلاء بها هو كفرهم بالله وكفرهم الرسل وما أرسلوا به ومنه كفرهم بيوم الدين وما يكون فيه من حساب وثواب وعقاب.

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - ما يكون وقت الحساب، فقوله تعالى «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ» معناه أنه تعالى يمنع المجرمين من أن يشهدوا لأنفسهم بالسستهم عن إرادة منهم، قد يكون

هذا بالختم على أفواههم على الحقيقة، وقد يكون القول كناية عن منعهم من التكلم بالسبّ عليهم ولا يمنع هذا من أن ينطق الله ألسنتهم وأفواههم بكلمة الحق شهادة منها على أصحابها تكون بغير إرادة من الكافرين، وقوله تعالى «وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» مفاده أن أعضاء أجسام الكافرين تشهد عليهم، جاء التعبير عن شهادة الأيدي بالكلام لأن أغلب الفعل يكون منها فكانها تخبر عما وقع منها من أفعال، وجاء التعبير عن كلام الأرجل بالشهادة لأنها في مرتبة من عاين الفعل فإن كانت قد سارت بصاحبها إلى طريق الإثم فقد كانت مقسورة على هذا فتكون بمرتبة الغريب عن أدائه يكون شاهداً. وموضوع كلام الأيدي وشهادة الأرجل وسائر الأعضاء هو ما اكتسب صاحبها من الأفعال في دنياه، ولما كانت أفعال الكافراتمة، فإن الشهادة تكون عليه.

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ
فَأَسْبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى
مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - في بيان أمرين هو وقوع الكافرين والمكذبين بالبعث في قبضته تعالى يوم القيامة على النحو الذي يقدره تعالى أن يعذبهم بعذاب من قبيل ما عذب به في الدنيا أو ما يكون به العذاب في الدنيا فضلاً عما هو مقدر لهم من عذاب الحريق وهو عذاب الآخرة. والثاني هو استحقاقهم العذاب.

فيذكر تعالى أنه لو شاء أن يمحو أبصارهم لكان منه مسح عيونهم وإزالتها بالكلية أو إذهاب أبصارهم، فيكون أنهم لو أرادوا الاستباق وسلوك طريق اعتادوا سلوكه من قبل، لعجزوا عن هذا لافتقادهم حاسة الإبصار.

كما يذكر تعالى أنه لو شاء أن يعاقبهم بالمسخ لكان منه هذا، يمسخهم قردة أو خنازير أو حجارة أو غير هذا. يكون منه هذا وهم في أماكنهم قائمون، فلا يستطيعون أن يمضوا إلى شيء أو مكان كانوا يقصدونه اختياراً بهيئاتهم، ولا أن يرجعوا إلى أماكنهم إن أبعدها عنها. وقيل إنهم لا يقدرّون على الرجوع إلى هيئتهم الأدمية.

وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى قدرته على مسخ الكافرين فإنه تعالى ذكر في الآية دليلاً على قدرته في الخلق وهي أنه إذا عمر شخصاً عمراً طويلاً فإنه ينكسه في الخلق، بمعنى أنه يضعف قواه الذهنية والبدنية من بعد قوة. وهذا معلوم علمياً بهلاك الخلايا الحية التي يتكون منها نسيج الجسم، وبما يعترى الذاكرة من ضعف نتيجة أمراض الشيخوخة ومتاعبها إلا من رحم ربك. وقوله تعالى - في ختام الآية - «أفلا يعقلون» هو استفهام إنكارى لعدم تعقل المراد إثباته، وهو أن القادر على تنكيس المعمر في الخلق قادر على مسخ من يشاء مسخه.

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في نفى قول بعض الكافرين في القرآن العظيم إنه شعر وإن رسول الله ﷺ شاعر، وفي آيات أن القرآن العظيم هو كتاب الله الذي أنزل على رسوله ﷺ لينذر به.

ففيه تعالى أنه علم الشعر رسوله ﷺ يفيد أنه ﷺ لم يكن شاعرا مطبوعا يقول الشعر دون أن يتعلم بحوره وكيفية نظمه، ويثبت أنه لم يتعلم الشعر، فيكون مفاد هذا أنه لم ينطق بشعر من عنده، كما أنه تعالى لم ينزل عليه شعرا علمه إياه فيكون القول نفيا لصفة الشعر عن القرآن العظيم. وهذا أمر يدركه العرب أرباب القوافي شكلا وموضوعا، فليس القرآن هو الكلام الموزون المقفى، وليس مضمونه هو الخيال والمبالغة والكذب، ولهذا بين تعالى أن القرآن العظيم دهر وقرآن مبين، فهو ذكر لله ولأحكامه المنزلة، وهو كلام الله المتلو المتعبد بتلاوته، والفصل بين الحق والباطل على نحو ظاهر.

ثم إنه تعالى بين أنه أنزل القرآن على رسوله ﷺ لينذره، يفيد من الإنذار من كان ذا عقل يعى ويتدبر، وصفه تعالى بأنه من كان حيا، لأن القرآن حياة النفوس، ويحق وقوع العذاب المنذره على الكافرين به، يكون المستفاد من المقابلة بينهم وبين الأحياء، هو بيان أنهم فى حكم الموتى لعدم سماعهم كلام الله.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا
فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان نعم الله التى أنعم على الناس بها بما يستوجب شكره تعالى عليها، والقول هو فى الكافرين عموما والمشركين بالله، جاء الاستفهام فى قوله تعالى «أولم يروا» للإنكار والتعجب والأمر الذى ينكره تعالى على الكافرين والمشركين أنهم لم يعتبروا بما عاينوه من أنه تعالى خلق لمنفعتهم مما خلق بذاته بغير واسطة أنعاما، ثم

خولهم سلطة عليها بأن ملكهم إياها .

كما ذكر تعالى أنه ذلل منا خلق من الأنعام للإنسان فأذهب عنها وحشية الطبع فتم استئناسها فتمكن منها الناس ومنهم هؤلاء الكافرون، فاتخذوا منها الركائب والمأكول .

كما بين تعالى أن للإنسان في الأنعام فوائد أخرى فوق ركوبها وأكلها، منها ما هو معروف اليوم ومنه الإفادة من جلودها وحوافرها، وشرب لبنها، ومنه ما قد يتبينه الإنسان مع تقدم العلم. ثم إنه لما كان هذا مستوجبا من الإنسان شكر الله تعالى على هذه النعم فقد جاء قوله تعالى «أفلا يشكرون» مبينا أنه كان على الكافرين شكر الله على هذه النعم، وأنهم قد قصروا في أداء حق هذه النعم من الشكر.

وَاتَّخَذُوا مِنْ

دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٥﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّنَا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى نعمه التي أنعم بها على الناس مما كان مستوجبا منهم شكره تعالى، فإنه - في الآيات - يبين موقف المشركين منه تعالى وقد نالوا من هذه النعم ما نالوا، فذكر تعالى أنهم - بدلا من توحيدته وشكره - تجاوزوه تعالى إلى معبودات لهم وصفوها بأنها آلهة معتقدين أنها تنصرهم بمعنى أنها تحقق لهم النفع وتمنع عنهم الأذى .

ثم يثبت تعالى أن معبودات المشركين لا تملك شيئا مما اعتقده المشركون فيها، فليس في مقدورها أن تحقق نصرهم الذي أملوه فيها. فكان واقع الحال أن المشركين قد جندوا

أنفسهم لخدمة هذه المعبودات حاضرين لعبادتها دونما نفع يعود عليهم من ذلك.
ثم إنه تعالى - بعد أن بين حال المشركين - خاطب رسوله ﷺ ناهياً إياه عن أن يحزن لما يسمع من قولهم. وقد يكون المراد بهذا قولهم إنه ﷺ شاعر، وقد يكون هو قولهم إن الله تعالى شركاء في الملك. ثم أتبع تعالى نهيه هذا بقوله «إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون» .
فذكر تعالى علة النهي عن الحزن، وهي أنه تعالى معذبهم بقولهم وبما انطوت عليه نفوسهم مما كان دافعاً لهم على القول .

أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ حُجِّبِهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - عود إلى بيان أدلة قدرته تعالى على البعث، فيكون القول رداً على منكرى البعث من الكافرين والاستهزام في قوله تعالى «أولم ير الإنسان» هو للإنكار والتعجب، فالقول ينكر على الكافرين أنهم لم يتبصروا مما ورد ذكره في النص قدرته تعالى على البعث. والأمر الذي كان مفترضاً الخلوص إليه هو أن من خلق الإنسان من نطفة من ماء مهين ثم كان منه بلوغ أشده فأصبح قادراً على المخاصمة والجدال بالحق والباطل، قادر على أن يبعث الأموات إلى الحياة في الآخرة .

ثم يذكر تعالى صورة من صور الجدال بالباطل للكافرين المنكرين البعث، وهي ضربهم مثلاً ليشبوا به زعمهم الباطل أنه تعالى لا يبعث من في القبور، وهو ما جاء به قولهم «من يحيى العظام وهي رميم» فكانهم يرون أنه ليس أخذ قادراً على هذا .

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يجيب سؤال المكذبين بالبعث بقوله لهم إن الذي يحيى العظام وهي رميم هو الذي خلقها أول مرة من العدم.

ثم أثبت تعالى أنه بكل خلقه عليم، ويتصور أن يكون هذا مما يقوله صلى الله عليه وسلم للمكذبين بأمر به.

الَّذِي

جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ
الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

أولاً : الأسماء :

الشجر الأخضر: قيل إن المراد به - في معنى الآية - هو «المرخ، والعفار» يتخذ من المرخ الزند العلوى ومن العفار الزند السفلى، ويسحق الأول على الثانى وهما خضروان فتندح النار.

ثانياً : التفسير :

جاء قوله تعالى - فى الآيات - بذكر دليل آخر على قدرته على البعث، وهو قدرته على توليد النار التى تحرق وليس مجرد شر النار من سحق العود من شجر المرخ على مثله من شجر العفار وهما خضروان يقطر منهما الماء. فالتناقض بين الماء الذى هو فى خضرة الشجر وبين النار يجعل خروج النار من الشجر الأخضر غير متصور، فيكون القادر على هذا قادراً

بالضرورة على إحياء الموتى.

كما أتبع تعالى هذا بذكر دليل آخر هو خلقه السماوات والأرض وما فيهن على عظمها وما يحكم عدم زوالها، وذلك لأن القدرة على هذا تفيد بالضرورة القدرة على إعادة خلق ما هو أهون من ذلك وأحقق وهو خلق الكافرين النشأة الأخرى.

وقد جاء بيان ذلك في صيغة استفهام منفي، «أوليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر؟» ثم أجاب تعالى على السؤال بقوله «بلى» والمعنى أنه تعالى قادر على أن يخلق مثل المكذبين ثانية من بعد الموت، وقوله تعالى «وهو الخلاق العليم» يفيد أنه تعالى قادر على خلق ما هو أعظم من ذلك.

ثم إنه تعالى بين أن ما يراه المكذبون شيئاً أجلاً على التحقق هو أمرهين عليه تعالى، بقوله «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» والمعنى أنه تعالى يوجد ما يريد إيجاداً بالكلمة وخذها، وكما أن الكلمة لا تصعب على المرء الصحيح البدن واللسان، فإن ما صعب من الخلق لا يبعد أن يكون كلمة تقال.

ولهذا فإنه تعالى نزه ذاته عن أن يتصور فيه العجز عن فعل شيء، وهو الذى بيده ملكوت كل شيء معلوم وغير معلوم. والذى يرجع إليه الناس للحساب يوم الدين. فهو مالك الدنيا والآخرة.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝
إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشْرِقِ ۝

التفسير:

أقسم تعالى بالملائكة فهم الصافات صفا وهم الزاجرات زجرا، وهم التاليات ذكرا. والتأنيث قد يكون لأن الواحد منها نفس وذات وهى مؤنثة، أو هو تأنيث لفظى.

ومعنى الصافات يقبل أن يكون لقيامهم على تنظيم صفوف الخلق، أولصفهم أنفسهم وفقا لدرجة قريهم من الذات. ومعنى الزاجرات هو أنهم الذين يزجرون العباد عن المعاصى، والشياطين عن استراق السمع، ومعنى التاليات ذكرا هو أنهم الذين يأتون بالكتاب من الله يتلونه على النبى ﷺ، والذين يتلون آيات الله وكتبه على أنبيائه ورسله.

وجواب القسم هو أن إله الخلق واحد، وأنه هو رب السماوات ورب الأرض وما بينهما ورب المشارق.

جاء اللفظ في صيغة الجمع لأن مشارق الشمس هي بعدد أيام السنة أو لأنها مائة وثمانون ، لأن المشارق تكون من رأس السرطان - وهو أول بروج الصيف - إلى رأس الجدى - وهو أول بروج الشتاء - متحدة معها من رأس الجدى إلى رأس السرطان، فباعتبارها كانت عليه وما عادت إليه تكون مائة وثمانين . أو لأن للشمس مشرقا كما أن للقمر مشرقا، أو لأنه نظرا لكروية الأرض تتعدد المشارق، أو لتعدد الشمس في السماء وتعدد مجموعاتها تتعدد المشارق.

إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحَفِظْنَا
مِّنْ كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۖ لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ
كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۙ

أولا : الأسماء :

١ - الدحور: في قوله تعالى «دحورا ولهم عذاب واصلب» هو الطرد والإبعاد .

٢ - الواصلب : هو الدائم الذى لا انقطاع له .

ثانيا : التفسير :

مفاد قوله تعالى أنه جعل الكواكب - والمراد بها الكواكب والنجوم المشاهد - فى السماء الدنيا، أى القرية من الأرض، وإنها بالنسبة لمن على الأرض إذا كانت السماء الدنيا لهم سقفا بمثابة الزينة لهذا السقف . كما أن من وظائفها منع المردة من الشياطين من بلوغ السماء وذلك لأن النيازك والشهب إنما تكون مما انفصل عن الكواكب، ولهذا جاء قوله تعالى «لا يسمعون إلى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب» بيانا للوسيلة التى يمنع بها مردة الشياطين عن بلوغ السماء وهى قذفهم بالهشيب والنيازك من كل جانب فلا يقتربون

من السماء ولا يكون في مقدورهم سماع الملائكة - وهم الملائكة الأعلى - فيكون الشياطين بفعل رجمهم مطرودين مدخورين، وليكون تعذيبهم بما يقدفون به دائما مستمرا كلما حاولوا الاقتراب من السماء إلى أن يكون عذابهم الدائم في الآخرة .

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١١﴾

أولا : الأسماء :

- ١ - الخطفة : المراد بها - في معنى الآية - هو الكلمة أو القول من كلام الملائكة
- ٢ - الثاقب : في قوله تعالى «فأتبعه شهاب ثاقب» المراد به - في معنى الآية - هو المضىء، كأنه يثقب بضوئه ظلام الغلاف الجوى للأرض .

ثانيا : التفسير :

استثنى تعالى من الحكم العام المذكور في الآية الشامنة وهو منعه على الشياطين الاستماع إلى حديث الملائكة من يختلس كلمة من حديث الملائكة ينزل بها إلى الأرض فيخبر بها الكهنة والسحرة مما يكون من أقدار الناس، فيقول بها هؤلاء بعد أن يضيفوا إليها من عندياتهم الكثير فيؤمن الناس لهم ويعتقدوا قدرتهم على التنبؤ .

ذكر تعالى أن من يفعل هذا من الشياطين يقذف أو يرمم بشهاب ثاقب يحرقه ولا يميته .

والمتصور أن ذلك كان مقدورا للشياطين قبل بعثة رسول الله ﷺ ثم امتنع عليهم بعد البعثة .

فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١٢﴾

التفسير:

لما كان تعالى قد بين قدرته على خلق ما عظم من الخلق، وأظهر سلطانه على الملائكة التي ترجم الشياطين بالشهب إذا ما اقربوا من السماء، وقدرته على مردة الشياطين إذ منعهم من استراق السمع، ولما كان الكافرون قد عتوا في أنفسهم عتوا كبيرا واعتقدوا قوتهم وجبروتهم، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يستخبرهم أهم الأقوى خلقا أم من خلق من الملائكة ومردة الشياطين.

فيكون المراد هو إظهار ضعفهم وهوانهم، وهو ما أثبتته تعالى بعد ذلك ببيان أنه خلقهم من طين لازب وهو الملتصق أو المتخمر.

بَلْ عَجَبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا
ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۝ وَقَالُوا
إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَمْ ذَا مِثْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوْءَا بَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝

التفسير:

الخطاب في الآيات إلى رسول الله ﷺ، وهو في شأنه تعالى مع المكذبين يوم الدين، فيقول له تعالى إنه ﷺ تعجب من أنه كان منهم بعد أن رأوا الآيات الدالة على قدرته تعالى على البعث أنهم أنكروه، وأنه كان من المكذبين في المقابل السخرية مما قيل لهم أنه يكون بعث بعد الموت، وسخرية مما قيل لهم في التذليل على هذا.

ثم أتبع تعالى هذا بذكره أن المكذبين إذا ما وعظوا بالإيمان بالبعث وأبديت لهم الأدلة

على حدوده وقدرته الله عليه، يكون منهم عدم الاتعاظ وعدم الاقتناع بالأدلة من فرط جهلهم وضلالهم. ثم يضيف تعالى قوله في فعل آخر لهم وهو أنهم إذا رأوا معجزة لرسول الله ﷺ أو دليلا على صدقه سخروا من المعجزة وسخروا من الدليل بقولهم فيه إنه سحر.

ثم يكون منهم إنكار البعث والنشور صراحة بقولهم «أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون» والمعنى أنهم ينكرون أن تكون قيامة لأجساد فنية وعظام بليت وبعث للروح فيها من بعد مفارقة لها. وينكرون بالمثل أن يبعث آباؤهم الأولون. وذلك لإنكار البعث أصلا.

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾
فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ
الَّذِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يجيب على سؤال المكذبين بالبعث عما إذا كانوا يبعثون من بعد الموت ويبعث آباؤهم الأولون بالإيجاب، ثم بين لهم أن هذا البعث يكون لهم صاغرين أذلاء. ثم بين تعالى أن البعث يكون أثرا لزجرة واحدة، والمراد بها هو النفخة الثانية في الصور يترتب عليها قيامهم من مراقدهم أحياء مبصرين.

ثم يذكر تعالى أنه يكون من هؤلاء المكذبين حال قيامهم من مراقدهم أنهم ينادون بالويل بعد علمهم بما يكون لهم من العذاب، ليكون قول الملائكة لهم تقريرا لهم وتوبيخا هو «هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون» بمعنى أنه اليوم الذي يقضى فيه بالحق والذي كذب به الكافرون الذين أنكروا يوم القيامة وما يكون فيه.



أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾
 التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات الثلاث - هو أمره تعالى للملائكة فيما يكون منهم مع المكذبين يوم الدين، ويتصور أن يكون من قول الملائكة بعضهم لبعض. ومضمون أمره تعالى إلى الملائكة أو قول بعض الملائكة لبعضهم الآخر هو مباشرة فعل حشر المكذبين بالدين وأزواجهم الذين هم على شاكلتهم من الكفر والتكذيب، ومعبوداتهم من الأصنام التى عبدوها من دون الله تعالى، ليكون دفعهم إلى الطريق الموصل إلى الجحيم، والقيام على حبسهم فى الموقف وذلك لتحقيق مسئوليتهم عن عقائدهم الزائفة وأعمالهم السيئة.

مَا لَكُمْ لَأَنَّا صَرُونَا
 ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
 ﴿٢٧﴾ قَالُوا لَكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْبَيِّنِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
 ﴿٢٩﴾ وَمَا كَان لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣٠﴾ فَخَيَّ عَلَيْنَا
 قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ
 يَوْمَ فِي الْعَذَابِ مُشْرَكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْجَائِمِينَ ﴿٣٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى باقى ما يكون مع المكذبين يوم القيامة وما يكون بين بعضهم والبعض وبين بعضهم وأوليائهم أو آلهتهم التى عبدوها من دون الله، وما يكون منه تعالى معهم.

يذكر تعالى أنه يقال لهم «ما لكم لا تناصرون» يقال لهم القول من الملائكة، أو يقال لهم ولمعبوداتهم، أولهم ولرؤسائهم الذين أضلوهم.

ومن القول بين أنهم كانوا في الدنيا يتناصرون وأنهم في الآخرة لا يتناصرون، ولهذا يتعجب الملائكة من حلول التناصر محل التناصر.

ثم يذكر تعالى أنه يكون منهم جميعا الاستسلام لما أريد بهم أو أن بعضهم يسلم البعض للهلاك. ويذكر ما يكون بينهم فيبين تعالى أنه يدور حوار بين التابعين والمتبوعين، يحاول فيه التابعون أن يلقوا بعة ضلالهم على المتبوعين فيقولون لهم إنهم كانوا يأتونهم عن اليمين، والمعنى أنهم يأتونهم من جهة الخير، بمعنى أنهم يزينون لهم الكفر ويظهرونه لهم خيرا، أو أنهم كانوا يفضلون عليهم بالخير لإغوائهم بالكفر.

ثم يذكر تعالى أن المتبوعين يجيبونهم بأنهم لم يكونوا مؤمنين أو قابلين للإيمان بذواتهم، والمعنى أنهم يتصلون من بعة الإلقاء باللوم عليهم ويلقون به على عاتق التابعين، ثم يؤكدون هذا بأنه لم يكن لهم على تابعيهم سلطان يقسرونهم به على إطاعتهم فيما يطلبونه منهم، ثم يتهمون التابعين بأنهم كانوا طاغين، جاوزوا الحد في الكفر مختارين.

وقول «فحق علينا قول ربنا، إنا لذائقون» هو قول المكذبين جميعا ضالين ومضلين، أو تابعين ومتبوعين، بعد أن تبين لكل من الفريقين أنه قد ظارف ما يستحق به العذاب. كذلك فإن القول «فأغويناكم إنا كنا غاوين» يفيد إقرار المتبوعين بأنه كان لهم دور في إغواء تابعيهم بالكفر فيكونون قد أغروهم كما غرّوا ليكون المستفاد هو استحقاق الفريقين العذاب؛ ولهذا جاء قوله تعالى «فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون» وهو بيان منه تعالى لاستحقاق الفريقين العذاب وحلوله بهما.

ثم بين تعالى أن هذا لم يخرج عما جرت به سنته تعالى وهي أنه يجازي الكافرين المكذبين - وصفهم بأنهم المجرمون - بما يكون منهم من كفر وعصيان.



إِنَّهُمْ
كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا
لَنَارِكُوهَا أَلْهِنَا شَاعِرٌ مَّتَّخُونٌ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

التفسير:

يبين تعالى - في الآيات - ما استحق به المكذبون أن يوصفوا معه بأنهم المجرمون.

فيذكر تعالى أنهم عندما كانت كلمة التوحيد تقال لهم بالدعوة والتلقين، كانوا يستكبرون في أنفسهم فلا ينطقون بها، ثم يبدون سبب إعراضهم عن النطق بها وهو رفضهم الانتهاء عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم تربية على نفى الألوهية عن آلهتهم، متهمين رسول الله ﷺ داعيهم إلى التوحيد بأنه شاعر مجنون .

ثم يذكر تعالى ماهية رسوله ﷺ ويشهد له قول الحق، وهو أنه جاء بالحق من ربه وهو القرآن العظيم ودين الإسلام، وأنه صدق المرسلين، آمن بهم أنبياء مبعوثين من الله، وجاء على نحو ما بشروا به أقوامهم فكان تصديقاً بصحة ما بشروا به.

إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُخْرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾

التفسير:

القول مما يقال لمكذبي الرسل الكافرين، ومعناه أنهم معذبون عذاباً أليماً لا خلاص لهم منه، وأنه ليس إلا الجزاء الذي يستحقونه على تكذيبهم الرسل وكفرهم وأعمالهم السيئة.

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ
وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾

التفسير:

بعد أن يعلن تعالى المكذبين الكافرين بأنهم ذائقو العذاب الأليم جاء قوله تعالى «إلا عباد الله المخلصين» استثناء من ذوق العذاب ، وفيه جاءت «إلا» بمعنى «لكن» لتبين أن المكذبين وحدهم هم ذائقو العذاب وليس عباد الله الذين أخلصوا دينهم ، ثم إنه تعالى يشير إلى عباده المخلصين ويخبر عنهم أن لهم رزقا معلوما بمعنى أن صفاته معلومة ، ومنها أنه لا مقطوع ولا ممنوع ، لذيق الطعم ، طيب الرائحة ، ثم بينه تعالى بأنه فواكه بمعنى أنه إنما يؤكل لمجرد التلذذ به وليس لاحتياج الجسم إليه ، يناله أصحاب الجنة وهم مكرمون لا يشقون من أجل الحصول عليه ولا يلحقهم بسبب ذلك هوان وعلة ذلك أنهم في جنات النعيم التي ليس فيها إلا ما يتنعم به وليس منه الشقاء ولا الهوان . ثم بين تعالى أحوال هؤلاء المكرمين في الجنة فذكر أنهم يكونون على سرر يقابل بعضهم بعضا للاستئناس بالحديث.

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيضَاءُ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا
عَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴿٤٧﴾

أولا : الأسماء :

الغول : في قوله تعالى « لا فيها غول » هو الغائلة - أى الفساد - والمراد به - في معنى الآية

- هو الضرر، وقيل هو الصداق، وقيل هو السكر.

ثانياً: التفسير:

مفاد قوله تعالى - في الآيات - أن أهل الجنة الجالسين على السرر متقابلين، يطاف عليهم بالشراب، والطائفون عليهم هم خدم أهل الجنة، أو هم الولدان المخلدون، يطوفون عليهم بكؤوس خمر مجلوب من عيون في الجنة «معين» وصف تعالى الكؤوس بأنها بيضاء لذة للشاربين، فهي بيضاء لشدة بياض لون الخمر الذي لا يشبه خمر الدنيا، وجاء وصفها بالمصدر «لذة» مبالغة في بيان أنها تلذ شاربيها. ثم وصفها تعالى بأنها لا تضر شاربيها ولا تذهب عقولهم «لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون»

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

أولاً: الأسماء:

العين: في قوله تعالى «قاصرات الطرف عين» جمع، مفردة «العيناء» وهي الواسعة العينين في جمال.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - في بيان نعمة أخرى يتنعم بها عباد الله المخلصون في الجنة والمراد بهم الذكور.

يذكر تعالى أنه يكون لديهم أزواج في الجنة يقصرن أبصارهن على أزواجهن المؤمنين، أو أن أحداً غير أزواجهن لا يمتد إليهن بصره، أو أنهن ذابلات الأجفان، ومن صفاتهن جمال عيونهن الواسعة التي تسر أنظار أزواجهن.

ثم إنه تعالى وصف صفاء لون بشرتهن ونقاءهن وعدم المساس بهن من قبل أحد قبل عباد الله المخلصين بالبياض الذي كنه الريش في العش، يكون محفوظاً من أن يتغير لونه

بشيء من الصفرة من أثر التعرض لاختلاف الضوء والظلمة عليه ومن العيب به من قبل جنس الحيوان.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾
 قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصْذِقِينَ ﴿٥٢﴾ أَوْ ذَا
 مُنَاوَكُنَا تَرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ
 ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ مُجْتَمِعٍ ﴿٥٥﴾

التفسير:

المستفاد من قوله تعالى - فى الآيات - أن القول يتعلق بما يدور من أحاديث بين أهل الجنة المتقابلين فى الجلوس على السرر خلال شربهم من خمر الجنة ، جاء فيه الفعل « يتساءلون » لإفادة تعليق الحديث - فى جانب منه - بتذكر ما كان فى الدنيا وسؤال من سبق فى الموت من تأخر عنه عما حدث من أمور بعد موته . كما جاء الفعل « أقبل » فى صيغة الماضى مع تعلقه بأمر مستقبل لبيان حتمية حصول المخبر عنه .

والوارد فى القول أن الحديث يدور على الشراب بين أهل الجنة ومنه سؤال وجواب ومنه أن أحدهم يقول إنه كان له صاحب فى الدنيا من المكذبين بالبعث يسخر منه لإيمانه بالبعث فينكر عليه ذلك بقوله « إنيك لمن المصدقين » ثم يبدى له حجته الدالة على عدم حدوث البعث - برأيه - بإظهار عدم تصور أن يكون من بعد الموت وصيرورة لحم الجسد ترابا وبقاء العظم إلى حين تحلله ، أن يكون من بعد هذا قيام للأجسام وبث الروح فيها ليكون حساب وجزاء ، وقوله تعالى « قال هل أنتم مطلعون » يتصور فيه أن يكون القائل هو الله أو أحد الملائكة بأمره تعالى ، ومعناه هو عرض مشاهدة حال المكذب بالبعث على

المتحدثين، ويتصور فيه أن يكون القائل هو ذات المتحدث المخبر عن الحدث عرض على إخوانه أن يريهم حال قرينه هذا الذي روى لهم قصته . وقد تكون رؤية أهل النار ممكنة لهم بوقوفهم على الأعراف أو بوجود طاقات في الجنة ينظرون منها فيشاهدون أهل النار، أو بغير ذلك من الوسائل التي أوجدها الله لهم .

ثم يذكر النص أن المتحدث اطلع على أهل النار، والمعنى أنه اطلع ومن كان يحادثهم في أمر قرينه ، فشاهد قرينه في الدنيا هذا في وسط الجحيم .

قَالَ تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتَرْدِينِ ﴿٥٦﴾
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْثُورِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا
الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾

أولاً : الأسماء :

المحضرون : في قوله تعالى « لكنت من المحضرين » المراد بهم - في معنى الآية - الذين أحضروا أوجىء بهم من أجل أن يعذبوا .

ثانياً : التفسير :

يذكر تعالى - في الآيات - قول المؤمن الراوى قصة قرينه ، الذى يقوله له حال رؤيته إياه فى سواء الجحيم ، يقسم له أنه كاد بما وسوس به إليه فى الدنيا أن يرديه فى هاوية التكذيب لولأن تداركه الله برحمته ، أشار إلى هذه الرحمة بوصفه إياها بأنها نعمة أنعم بها تعالى عليه ، وأنه لولأن أنعم الله بها عليه لكان شأنه أنه كان من الذين أحضروا للعذاب .

ثم يكون منه الاستهزاء بقرينه وتوبيخه على ما كان منه مبيها له فساد عقيدته وعلمه بهذا بمعابته العذاب ، وذلك عن طريق إعادة قوله الذى كان يقول فى الدنيا ، فى استفهام

إنكارى ، ينكر فيه عليه ما كان يقول من أنه لا تكون حياة بعد الموت ، ولا يكون حساب وعذاب ، وفى وصف الموتة بأنها الأولى « إلاموتتنا الأولى » قيل إن المؤمنين - حين يبعثون - يعتقدون أنهم يموتون من بعد البعث إلى أن يذبح الله الموت فيعلمون أنهم يخلدون ، فيكون القول من المؤمن قبل ذبح الموت . ولا نستطيع أن نقبل هذا - والله أعلم - لأن المؤمنين قد علموا فى دنياهم من الكتاب أنهم يخلدون . ونرى أن المؤمنين إنما يتحدثون عن الواقع الصحيح وهو أنه ليس سوى ميتة واحدة ، فلا يعنى وصفها بـ « الأولى » أن هناك ثانية ، أو أن الكافرين هم الذين اعتقدوا أنهم ما داموا قد حيوا ثانية فإنه لا بد أن يكون موت من بعد هذه الحياة ، فيكون القول مبينا جهلهم نتيجة عدم إيمانهم بالكتاب . ثم إن قول المؤمن « وما نحن بمعذبين » هو استهزاء آخر من المكذب بالبعث وتوبيخ على قوله فى الدنيا إنه لا يكون من بعد الموت نخساب وجزاء . يقوله له بعد أن تأكد المكذب من أنه وأمثاله معذبون .

إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِّمَن هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴿٦١﴾

التفسير:

يتصور فى القول أن يكون قول المؤمن تنمة لحديثه ، والأظهر أنه قوله تعالى يعلم فيه رسوله ﷺ أن جميع ما أخبر به أنه يكون للمؤمنين بدءا من قوله تعالى « أولئك لهم رزق معلوم » هو الفوز العظيم ، فيكون المشار إليه هو ما أعد للمؤمنين من خير فى الآخرة ، والمخبر عنه أنه هو الكسب الذى لا يعد معه أى كسب جديرا أن يدعى كذلك ، مع وصف هذا الخير المعد للمؤمنين بأنه عظيم .

ثم بين تعالى أن الصحيح هو أن يعمل الناس لنيل هذا الخير ، فلا يكون عملهم ابتغاء نفع غيره ، لأن كل نفع ينالهم غيره من خير الدنيا هو قليل بالقياس إليه ، ثم إنه زائل بالموت أو بانقضاء الدنيا ، حين أن خير الآخرة عميم ، وخالد لا يفنى .

أَذْلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقْوَمِ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهَا
فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۚ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۖ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ
رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۖ

أولاً : الأسماء :

شجرة الزقوم : هي شجرة تنبت في الأرض الجذباء ، معروفة في إقليم « تهامة » بالجزيرة العربية ، أوراقها صغيرة كريهة الرائحة إذا قطعت أو جرححت خرج منها سائل في لون اللبن إذا أصاب جسم الإنسان وزم والتهب .

ثانياً : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى ما أعد للمؤمنين من رزق معلوم في الآخرة ، فإنه تعالى قارن بينه وبين طعام الكافرين المكذبين في النار في الآخرة ، جاء الاستفهام في القول ، وموضوعه المفاضلة بين الطعامين من قبيل التهكم بالكافرين والتوبيخ لهم على اختيارهم هذا الطعام المؤذي وهو « شجرة الزقوم »

ثم قال تعالى إنه جعل شجرة الزقوم فتنة للظالمين ، وهم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وبتكذيبهم رسول الله ﷺ ، وقد كانت فتنة لهم في الدنيا لأنهم حين أخبروا أنها تنبت في الجحيم ليأكلوها منها ، سخروا من هذا لإنكارهم أن يكون هناك شجر في النار ومن صفاتها أنها تحرق الأشجار ، ثم إنها فتنة لهم في الآخرة لأن الأكل منها يكون محنة وعذاباً لهم .

ثم بين تعالى أن شجرة الزقوم المذكورة في النص تنبت في قاع الجحيم لتمتد أغصانها إلى دركاتهما ، ثم وصف طلوعها - وهو أول ما تخرج لإنتاج الثمار - بأنه يشبه رؤوس الشياطين ، والمراد بهذا هو إثبات قبح منظر الطلع ، لأن العرب كانت تقرب المثل في القبح برأس

الشیطان ولم يشاهده ، لأنه لما كان من الشیطان الضرر المحض ، كان تصور هیئته أنها القبح ذاته مجسدا .

فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَأَكُلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ
 ٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ٦٨

أولا : الأسماء :

الشوب : فى قوله تعالى « لشوبا من حميم » هو « الخليط » والمراد به - فى معنى الآية - هو الشراب المكون من سائل ومن حرارة شديدة أو شىء ذى حر شديد .

ثانيا : التفسير :

لما ذكر تعالى أنه جعل شجرة الزقوم عذابا للكافرين فى الآخرة ، فإنه يبين فى الآية أن التعذيب بها يكون بأكلهم منها إلى أن تمتلىء بطونهم - على ما يكون فى هذا من عذاب - قد يكون هذا لفرط جوعهم أو لإجبارهم على هذا .

ثم يذكر تعالى أنهم من بعد أكلهم منها يشربون على ما أكلوا شرابا ممزوجا بالحميم .

وقوله تعالى « ثم إن مرجعهم لى إلى الجحيم » قد يفيد معنى أن مصيرهم الدائم هو إلى الجحيم ، وقد يفيد معنى أنهم يخرجون من الجحيم إلى مكان يشربون فيه الحميم ثم يرجعون إلى الجحيم .

وقد يؤيد هذا المعنى قوله تعالى « هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن » .



إِنَّهُمْ أَفْوَاءُ أَبَاءُ هُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُسْرِعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُوا فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُّذَرِّينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُّخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى مبتدئه - هو فى كفار مكة المكذبين ، يذكر تعالى أنهم حين وجدوا فى الحياة صادفوا آباءهم ضالين عن الحق إلى الباطل ، والمعنى أنهم وجدوهم كافرين .

ثم يذكر تعالى أنهم أسرعوا فى الاقتداء بآبائهم دون أعمال عقولهم ، فكان إسراعهم إلى الاقتداء بآبائهم فى الكفر سببا حال بينهم وبين الإيمان لرسول الله ﷺ .

ثم ذكر تعالى أنه قد كان من قبل هؤلاء الكافرين المكذبين من قومه ﷺ من كذب الرسل وبقى على الكفر ، وأن هؤلاء المكذبين السابقين كانوا أكثر من المؤمنين .

ثم بين أنه تعالى قد بعث فى هذه الأمم السابقة رسلا منذرين ، وأن عاقبة الذين كذبوا رسلهم كانت إهلاكهم بالعذاب ، وهو معنى قوله تعالى « وما كنا بمعذبين حتى نبعث رسولا » .

والقول تضمن معنى طلب النظر فيما حاق بالمكذبين من العذاب نتيجة تكذيبهم الرسل والاعتبار به .

ثم بين النص أنه تعالى قد خلص من الهلاك بالعذاب عباده الذين أخلصهم له بتوفيقهم إلى الإيمان والعمل الصالح .



وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾
 سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعِلْمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى - في إجمال - أنه عاقب مكذبي الرسل في الأمم السابقة بالهلاك ،
 وأنه أنجى من الهلاك عباده المخلصين ، فإنه تعالى شرع في الآيات ، في ذكر قصة من
 قصص مكذبي الرسل المهلكين ، والناجين من العذاب من عباد الله المخلصين .

والقصة هي قصة نوح عليه السلام مع قومه ، كان البدء بذكرها من قصص المكذبين
 والمؤمنين لكونه عليه السلام أسبق المذكورين زمانا ، ولكون قومه أول المعذبين المذكورين
 بالهلاك .

ومفاد قوله تعالى هو أن نوحا عليه السلام نادى ربه داعيا على مكذبيه من قومه بالهلاك ،
 ولنفسه ولمن آمن له بالنجاة

وقوله تعالى « فلنعم المجيبون » معناه هو « فوالله لنعم المجيبون نحن » ، والمراد أنه تعالى
 أجابه إلى ما دعا به أحسن الإجابة .

ثم إنه تعالى أوجز نتيجة إجابته دعاءه ببيان أنه تعالى أنجاه وأهله - والمراد بهم الذين
 آمنوا له من قومه ومن أهل بيته - من الغم الشديد ، يشمل إساءة الكافرين لهم ويشمل عذاب
 الله الذي حل بالقوم وهو الأظهر ، لوصفه الكرب بأنه عظيم .

ثم أتبع تعالى هذا ببيان أنه جعل ذرية نوح عليه السلام هم الباقين ، وهم أبنائهم سام وحام ويافث وذرياتهم ، وقد يكون منهم ابن المغرق من ولده وذريته ، لدى من قال بوجوده في السفينة . ولدى من يقول إنه تعالى أهلك جميع من على الأرض إلا هؤلاء ، فإن جميع الناس يكونون من ذريته عليه السلام ، لدى من يرى أن الطوفان لم يشمل الأرض جميعها - لأنه عليه السلام لم يرسل للناس كافة - فإنه يكون من الناس من ليس من ذريته عليه السلام ، وعلى القولين فإن مفاد النص هو أن أبناء الذين كانوا مع نوح في الفلك لم يعقبوا خلفه أعقب نسلًا بقي بعد موتهم .

ثم ذكر تعالى أنه ترك على نوح عليه السلام « ثناء في الأمم الأخرى » ، إذ ينشئ عليه من اليهود والنصارى كما ينشئ عليه من أمة رسول الله ﷺ ، بل إننا لنجد في آداب الأمم القديمة إشارة إلى قصة الطوفان وإليه عليه السلام وإن لم يذكر باسمه مع الثناء عليه ، نجد ذلك في ملحمة جلجامش ، وفي الأدب السومري القديم ، والفارسي والهندي . ثم جاء سلامه تعالى على نوح عليه السلام « سلام على نوح في العالمين » مثبتا سلامه تعالى عليه في العالمين من الملائكة ومن الإنس والجن ، وذلك ليسلم الناس عليه اقتداء بربهم ، ثم ذكر تعالى علة سلامه عليه بقوله « إنا كذلك نجزي المحسنين » فيبين أنه من أهل الإحسان ، دعا إلى الله تعالى وصبر على أذى المكذبين كما بين أن هذا هو جزاء المحسنين ، ثم ذكر تعالى علة كونه عليه السلام من المحسنين بذكره أنه كان من عباد الله المؤمنين ، والمعنى الذين كمل إيمانهم ، فيكون القول مدحا لإخلاص الإيمان والعبودية لله تعالى .

ثم بين تعالى أن نجاة نوح والذين آمنوا من أهله وقومه كانت من الغرق الذي أهلك باقي قومه الكافرين « ثم أغرقنا الآخرين » وقيل إنه كذا كانت « ثم » - في القول - للتراخي فإنها تفيد أن نجاته عليه السلام ومن معه كانت متأخرة عن الإغراق ، ونرى عكس ذلك - والله أعلم - وهو أنها كانت بأسبابها - وهي الركوب في السفينة - سابقة على الإغراق ، ويتصور ألا تكون « ثم » للتراخي ، وإنما للتعدد .



وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ
 لِإِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝^(٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
 مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝^(٨٥) أَفَبِكُلِّ عِلْقٍ ذُوْنِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝^(٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ
 بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝^(٨٧) فَظَرَّ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝^(٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝^(٨٩) فَتَوَلَّوْا
 عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝^(٩٠)

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - في ذكر رسول من رسله الذين تعرضوا للتكذيب أقوامهم وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وصفه تعالى بأنه من شيعة نوح عليه السلام ، والمعنى أنه كان على عقيدته التي نادى بها وهى عقيدة إسلام الوجه لله وتوحيده ، أو أنه كان على شريعته إذ أنه تعالى أنزل على نوح شريعة - أنسيت من بعد - لم ينسخها سوى الشريعة التى أنزلت على موسى عليه السلام ، فكان عليها إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وقيل إن الضمير فى « شيعة » يعود إلى رسول الله ﷺ ، فيكون المعنى هو أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام من شيعة محمد ﷺ ، وهو بعيد المعنى ، والقول الأول أظهر .

وفى مشايعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام نوحا عليه السلام ، ذكر تعالى أنه جاء ربه بقلب سليم ، بمعنى أنه اتجه إلى الله تعالى وعبدته بقلب خال من الشرك والعقائد الباطلة ، أخلص لله .

ثم يذكر تعالى من أفعال إبراهيم عليه السلام التى أتاها بحكم سلامة قلبه ما كان منه مع أبيه وقومه ، وقد كان أبوه من عبدة الأصنام ، حين كان آخرون من قومه من عبدة الأجرام السماوية والكواكب والنجوم .

فيكون المستفاد من القول أنه عليه الصلاة والسلام اتجه بالقول إلى الفريقين . سألهم عما يعبدون ، ولما كان عالما بما يعبدون ، فقد ظهر أن السؤال هو لإنكار عبادتهم ما يعبدون ، وليان أن معبوداتهم ليست جديرة أن تعبد ثم كان منه صلى الله عليه وسلم تقيريهم على عبادتهم إياها مع بيان أنهم بعبادتها يقصدون إفكا ، أو إنهم يعدون أفاكين . ف قوله « أنفكا آلهة دون الله تريدون » معناه « أتريدون آلهة من دون الله لأجل الإفك » .

ثم أتبع هذا ببيان ضلالهم وعدم معرفتهم الله حق المعرفة ، ف قوله لهم « فما ظنكم برب العالمين » هو بمثابة تصريح بأنهم يعتقدون أنه تعالى له شركاء ، أو أنه يقبل شفاعة آلهتهم ، وكلا الاعتقادين خطأ وضلال ، فهم قد ظنوا في الله غير الحق .

وقوله تعالى « فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم » هو ذكر لحدث حدث أو واقعة وقعت منه عليه الصلاة والسلام .

قيل فيها إنه دعى إلى حضور عيد للمشركين فاعتذر من عدم حضوره بأن النجوم تخبر من أنه يصاب بمرض . ونرى - والله أعلم - أن ذلك كان منه عليه الصلاة والسلام تمهيدا لإثبات بطلان عقيدة تأليه الكواكب والنجوم وعبادتها .

فقد جرى منهجه في إثبات بطلان العقيدة من منطلق فعل ما يفعل المؤمنون بها كما فعل مع أصنامهم حين قال « بل فعله كبيرهم هذا » فكان منه أن فعل ما يفعله عبدة الكواكب الذين يعتقدون أنها تقدر أقدار البشر ، نظر إلى النجوم ثم قال إنها تدل على أنه سيصاب بمرض ، وذلك تمهيدا لما يكون منه مع ظهور الكوكب ثم القمر ثم الشمس وما يكون منه عند أفولها .

ثم يذكر النص أن قومه حين قال لهم هذا أعرض القوم عنه وتركوه ، وذلك لأنه لإيمانهم أن الكواكب تخبر عن الغيب اعتقدوا صحة مرضه فخشوا العدوى ، أو لشعورهم أنه عليه الصلاة والسلام أنهى حديثه معهم الذي لم يرق لهم فانصرفوا عنه .



فَرَاغَ إِلَىٰ إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ
لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾
قَالَ أَعْبُدُونِ مَا نَحْنُ بِأَعْبَادٍ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى الأصنام يذكر تعالى أنه ذهب إلى أصنامهم أو أنه مال إليها فى سيره ، ثم توجه إليها بسؤال كأنها مما يسمع ويعقل ويجيب - على ما جرى عليه فعله من البدء من نقطة انطلاق معينة هى فعل ما يفعل المؤمن بالعقيدة الباطلة توطئة إلى إثبات فسادها وبطلانها - وقيل إن القوم كانوا قد وضعوا أمام الأصنام طعاما .

والسؤال الذى وجهه إلى الأصنام هو « ألا تأكلون » ثم قال لها « ما لكم لا تنطقون » فأثبت أنها لا تأكل وأنها لا تنطق ، فهى ليست من الأحياء ، ثم أثبت عدم مقدرتها عن رد الأذى عن نفسها بأن مال عليها ضربا بيمينه التى هى القوية ، أو لكون اليمين موضع الحق والعدل .

وهذا هو الضرب الذى جعل الأصنام جذاذا أو فتاتا ، ثم أقبل عليه عابدو الأصنام يختالون فكان من جرأته فى الحق أنه لم يخش غضبتهم بل بادرهم بقوله « أتعبدون ما تنحتون » فهو ينكر عليهم أنهم يؤلهون ويعبدون ما تنحت أيديهم من أصنام .

وكان قوله هذا فيما يبدو ردا على قولهم « من فعل هذا بآلهتنا » ثم إنه لم يكتف بهذا بل سفه عقيدتهم وبين أن المنطق والمعلوم ينكرانها بقوله « والله خلقكم وما تعملون » فهم وأصنامهم المعبودة مخلوقون من الله ، فلا يحق لأحدهما أن يعبد الآخر من دون الله .

ثم إنهم هم الذين يصفون معبوداتهم ، فإذا كان لمعبود أن يشكر معبودا فإن واجب الشكر يكون على معبوداتهم لهم لأنهم الذين يصنعونها .

فيكون القول مثبتا حق الله تعالى وحده أن يعبد - بحكم المنطق - وفساد منطق عبادة المشركين ما يصنعون من أصنام .

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ
الْأَسْفَلِينَ ٩٨

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآيتين - أنه بعد أن انهال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ضربا على الأصنام ، وبعد أن وبخ عابدى الأصنام وعرض بهم وبيجلهم ، أن قومهم تأمروا عليه فقال بعضهم لبعض بوجوب بناء بنيان توقد فيه النار فيلقى فيها فتكون حوائطه أسوارا يحيط بالنار الموقدة والملقى فيها .

والظاهر من القول أنه قد وقعت الموافقة على هذا القول وجرى تنفيذه ، كان ذلك مكرا من المشركين بإبراهيم واحتبالا عليه ، فأنجاه الله مما فعلوا ، وجعلهم الأسفلين ، بمعنى أنهم المندحرون المغلوبون ، أو بمعنى أصحاب الدرك الأسفل من النار .

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبْ لِي
مِنَ الصَّالِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ١٠١

التفسير:

الواقعات التى أوردتها نصوص الآيات وقعت بعد نجاة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من

النار، قال إنه ذاهب إلى ربه سيهديه، أكد بقوله «سيهدين» أنه ذاهب إلى ربه وأنه تعالى سيهديه.

فيكون المستفاد أنه أوحى إليه بهذا من ربه. وفي ذهابه إلى ربه فلما أنه كان مع الله بقلبه وإيمانه، فيكون معنى ذهابه إلى ربه هو انتقاله إلى مكان آخر، قد يكون هو مصر وقد يكون هو الشام، إذ انتقل عليه الصلاة والسلام إلى المكانين. وذلك ليكون في هجرته إلى الله هداية له إلى ما يحبه تعالى ويرضاه.

ثم إنه سأل ربه أن يهبه بعض الصالحين يصدقونه ويتبعونه. وقد يكون المستفاد من «الفاء» في قوله تعالى «فبشرناه» أنه ترتيباً على دعائه ربه بهذا الدعاء بشرناه بأنه يكون له ولد حلیم، والمراد به إسماعيل عليه السلام، فيكون أمة من الصالحين وحده يعين أباه، ولا يمنع هذا أن يوهب له غيره من المؤمنين الصالحين.

وقد وصف تعالى الغلام المبشرين بالحلیم، والمعنى أنه يكون حلیمًا صبوراً وهو لا يزال غلاماً، وقد كان هذا خلق إسماعيل عليه السلام الذي أطاع أباه إلى حد الرضوخ للذبح.

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ
قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاقُوتَ
أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٥﴾

التفسير:

يفيد قوله تعالى - في الآية - أن البشارة بالولد تحققت وأن المولود بلغ حد السعي أي المرحلة السنية التي يستطيع فيها أن يسعى إلى رزقه، كما يفيد أنه آمن لأبيه عليه الصلاة والسلام فكان صالحاً، كما كان حلیمًا.

والمعنى أنه عندما بلغ الغلام مرحلة السعى كان سعيه مع أبيه، فهو سعى الله تعالى وفي سبيله، كان من إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه رأى في منامه رؤيا تمثلت في أنه قائم على ذبح ابنه فاعتبرها واقعا وأمر من الله لأن رؤيا الأنبياء حق، أو أنه رأى رؤيا يكون تأويلها ذلك، وأنه عليه الصلاة والسلام أخبر ابنه بهذا فطلب منه الرأي فيما يكون من أمر تنفيذ ما رأى في رؤياه، أو ليعد نفسه لما هو ملاقيه. فكان من ابنه أنه قال له «يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين» ومن القول يبين إيمان الابن لنبوة أبيه، وإيمانه بأن الرؤيا هي أمر من الله تعالى واجبة إطاعته، وأنه لشدة إيمانه لم يجزع لما علم أنه حادث به، بل إنه - فوق هذا - أخبر أنه سيصبر بإذن الله على الذبح.

فَلَمَّا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ
لِلْحَيِّينَ ۝ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ
نُخَوِّئُ الْمُحْسِنِينَ ۝

التفسير:

يقول تعالى - في الآيات - أنه عندما استسلم إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأمر الله بالذبح، وكان من إبراهيم أنه ألقى ابنه إلى الأرض وجبته إليها، نودى إبراهيم - والمعنى أنه ناداه ملك بأمره - وكان النداء باسمه، وفيه أعلن بأنه قد صدق الرؤيا، أي أنه قد انصاع لأمره مع ما فيه من شدة على النفس، وفيه بيان لعلو درجة إيمانه. ثم جاء قوله تعالى «إنا كذلك نجزي المحسنين» بمثابة تبشيرات انتهاء الاختبار بالمحنة، وبيان لعة ذلك وهي كونه عليه الصلاة والسلام من المحسنين الذين يجزيهم الله تعالى أحسن الجزاء.

وفي شأن الابن الذي أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبحه، قيل إنه «إسحاق» واستدل على هذا بأقوال للعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله، ولعبد الله بن مسعود، ولعلي بن أبي

طالب وعبد الله بن عمر، وقيل هو قول عمر رضى الله عنهم، كما استدلل عليه بأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنما بشر بإسحاق «وبشرناه بإسحاق»، فيكون المعنى أن الرؤيا قد وقعت قبل أن ينكح إبراهيم هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل. وقيل إنه إسماعيل عليه السلام، قال بهذا أبو هريرة، وروى عن ابن عمر وابن عباس، ويؤيده من الواقع أن واقعة الذبح كانت بمكة، ولم يحدث أن دخل إسحاق مكة.

كما يؤيده أنه تعالى وصف الابن بأنه «غلام حليم» أى أنه يكون صابرا، وأنه تعالى وصف إسماعيل بالصبر بقوله «وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين».

كما يؤيده أنه تعالى فى تبشير إبراهيم بإسحاق قال «وبشرناه بإسحاق نبيا» بمعنى أنه أعلم من البداية أنه يعيش حتى يوحى إليه ويصير نبيا» فلا يستقيم مع هذا أن يكون الأمر بذبحه غلاما.

كما أنه تعالى بشر سارة أنها تنجب إسحاق وأنه ينجب يعقوب «فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب» فلا يستقيم مع هذا أن يكون الأمر بذبح إسحاق غلاما.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾

أولا : الأسماء :

الذبح العظيم : فى قوله تعالى «وفدينا به ذبح عظيم» الذبح هو الحيوان الذى يذبح، والمراد به - فى معنى القول - هو الكبش الذى ذبحه إبراهيم عليه الصلاة والسلام بدلا من ابنه.

قيل إنه وصف بالعظم لأنه كان من عند الله، وقيل لأنه من كباش الجنة، وقيل لأنه جرت به السنة أن يذبح مثله إلى أبد الدهر.

ثانياً: التفسير:

يقول تعالى إن اختبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأمره أن يذبح ابنه كان اختباراً من الله تعالى وابتلاء ظاهراً.

ثم يذكر تعالى - في تفسير الجزاء الذي جعله للمحسنين - أنه فدى الغلام بحيوان يذبح بدلاً منه، هو الكبش الذي أنزله تعالى بواسطة ملك ليذبحه إبراهيم بدلاً من ابنه .

ثم يذكر تعالى أنه ترك لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مائة عند اللاحقين عليه أنهم يسلمون عليه تسليماً، فهذا ما يفعله المسلمون وما تقوم به اليهود والنصارى، إذ كل يتشرف بانتسابه إليه أو بانتماؤه إليه ويسلم عليه تسليماً.

ثم يذكر تعالى أن هذا هو جزاء المحسنين، ثم يخص إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالثناء مبيناً أنه من عباده المؤمنين .

وَبَشِّرْهُ
بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مَبِينٌ ﴿١١٦﴾

التفسير:

يقول تعالى إنه بشر إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه يولد له ولد يدعى إسحاق وأن حاله في قضاء الله وتقديره أنه يكون نبياً وأنه يكون من الصالحين .

ثم يذكر تعالى أنه تفضل بالبركات على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى إسحاق وهي

بركات الدنيا والآخرة، وجميعها ببركة الدين الحق إسلام الوجه لله وتوجيهه.

ثم بين تعالى أنه يكون من ذرية إبراهيم ومن ذرية إسحاق. من يكون مؤمنا ضلح عمله، ومن يكون كافرا ظلم نفسه بالكفر والعمل بالمعاصي. فيكون ظلمه نفسه واضحا ظاهرا.

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾
وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْنُؤُوا لَهُمُ
الْغُلَبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَايَيْنَاهُمَا الْكُتُبَ الْمُسْنِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَزَكَّاهُمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - في نبيين آخرين من أنبيائه تعالى الذين تعرضوا للتكذيب المكذبين الذين أوضح تعالى فعله بهم جزاء على تكذيبهم الرسل وعلى كفرهم كما أوضح نصره رسله.

فيذكر تعالى أنه من على موسى وهارون بنعمه الكثيرة، أجلها نعمة النبوة، ومنها المعجزات التي أيدهما بها، ثم بين تعالى أنه أنجاهما وقومهما من الكرب العظيم وهو استعباد فرعون القوم وقتله أبناءهم، وقد يكون منه الغرق الذي نجى منه بنو إسرائيل وأهلك فرعون ومن معه.

ثم ذكر تعالى أنه نصر موسى وهارون عليهما السلام أو نصرهما وقومهما على فرعون وجيشه، بإنجائه تعالى موسى وهارون وقومهما وإهلاكه فرعون وجيشه بالغرق، وبين أنه بنصره تعالى إياهم كانوا هم الغالبين، وأنه لولا هذا لغلبيهم فرعون وجنوده.

ثم يذكر تعالى أنه أتى موسى وهارون الكتاب الذى بين أحكام العقيدة والشرعة، والمراد هو التوراة التى أنزلت على موسى بعد أن أنجاه الله من فرعون، وبين تعالى أنه كان بها هداية قوم موسى وهارون إلى الطريق المستقيم لتضمنها عقيدة التوحيد وتبشيرها برسول الله ﷺ ودعوتها للإيمان له، فتكون بشارة بالإسلام الطريق المستقيم الموصول إلى رضا الله وجنته.

ثم يذكر تعالى أنه نزل على موسى وهارون سلام من يأتى بعدهم، وهم النصارى والمسلمون، فالنصارى يؤمنون أن شريعة موسى عليه السلام هى شريعتهم لم تنقض، فيسلمون على موسى وهارون، والمسلمون يؤمنون برسول الله وكتبه فيسلمون على موسى وهارون.

ثم يثبت تعالى أن هذا هو جزاء المحسنين عنده تعالى، ويبين أن موسى وهارون من عباده تعالى المخلصين الذين أخلصوا دينهم وإيمانهم.

وَإِنَّ
إِلْيَاسَ بْنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ أَتَدْعُونَ
بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۖ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ۖ

أولاً : الأسماء والأعلام :

إلياس : هو- فى قول - إلياس بن ياسين بن فتاح بن العياز بن هارون عليه السلام، من سبط «لاوى» من بنى إسرائيل.

وقيل إنه من أقارب يوشع بن نون. كان وجوده بعد وفاة يوشع بن نون، وبعد أن ملك بنو إسرائيل فلسطين. ومن النص يبين أنه تبنى أرسل إلى قومه.

ثانياً : التفسير :

يذكر تعالى - فى الآيات - أن إلياس عليه السلام هو من أنبياء الله الذين أرسلوا إلى أقوامهم برسالات من الله تعالى، وأنه أنذر قومه بعذاب الله تعالى إذا هم لم يتقوه ، طالبا منهم الانتهاء عما يغضب الله عليهم، وهو عبادتهم البعل وفى كتاب العهد القديم الذى بين أيدينا اليوم أن البعل «هو البعليم»، وأن بنى إسرائيل عبدوه وعبدوا «عشتاروت» معه - على ما جاء فى الإصحاح الثانى من سفر القضاة - ثم إنه عليه السلام وبخهم على عبادة البعل وتركهم عبادة الله تعالى، وصفه بأنه أحسن الخالقين، دون أن يعنى هذا أن هناك خالقين آخرين، وإنما فى إشارة إلى أنهم يصنعون البعل تمثالا ثم يعبدونه، فهم صانعوه صناعة ناقصة لأنه يخلو من الحياة، فيبقى تعالى وحده هو الخالق خلقا فيهم الحياة، ثم بين أنه تعالى هو ربهم ورب آبائهم الأولين، فهو الذى رعاهم وحفظهم من أعدائهم كما كان منه تعالى - من قبل - مع آبائهم السابقين .

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢٩﴾ إِنَّا كَذَّلَكْ
 بِحَبْرٍ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

إل ياسين : قيل هو إلياس عليه السلام، وإنه لغة فى الاسم ذاته، وقيل هو اسم أبيه، وقيل هو جمع «إلياس» فيكون المراد به هو التابعون لإلياس وهم قومه وذريته .

ثانياً : التفسير :

مفاد قوله تعالى - فى مبتدأ القول - أن قوم إلياس عليه السلام كذبوا أنه نبي من الله تعالى وأنهم لم يستجيبوا لدعوته، وأنه نالهم بسبب ذلك عذاب، جاء التعبير عنه بقوله تعالى

«فإنهم لمحضرون» لبيان أنهم أحضروا للعذاب أو أنهم يحضرون يوم القيامة للعذاب. وفي كتاب العهد القديم الذى بين أيدينا اليوم أن الله تعالى غضب عليهم فدفعهم إلى أيدي أقوام آخرين نهبوا أموالهم وأخذوهم أسرى، وباعوهم عبيدا، وأنهم لم يستطيعوا الوقوف أمام أعدائهم آنذاك، إلى أن تاب الله عليهم. ثم إنه تعالى استثنى من العذاب الذى عاقب به المكذبين هؤلاء الذين أخلصوا الله الدين.

ثم يذكر تعالى أنه ترك لإلناس حسن الذكر من أقوام آخرين يسلمون عليه، ومن ذلك تسليم المسلمين عليه بحكم إيمانهم بجميع الأنبياء والرسل وسلامتهم عليهم. كما بين أن هذا هو جزاء المحسنين عنده تعالى حسن الذكر، ثم أثبت له أنه عليه السلام من عباده المؤمنين الذين كمل إيمانهم.

وَإِنَّ لُوطًا لِّلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٢٤﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٢٥﴾

التفسير:

قوله تعالى — فى الآيات — انتقال إلى ذكر قصة نبي آخر ممن كذبوا، وبيان لما حاق بالمكذبين من العذاب جزاء على تكذيبهم رسولهم.

يثبت تعالى أن لوطا عليه السلام كان نبيا مرسلا، ثم يذكر تعالى أنه أنجاه وأهله جميعا إلا عجوزا نالها من العذاب ما نال القوم، والمراد بها زوجته عليه السلام.

ثم يبين من القول أن النجاة كانت من الدمار الذى أصاب الآخرين، وهم الذين كذبوه عليه السلام الذين أهلكوا بالعذاب.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْهِمْ مُصْحِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَإِلَّا لَبِئْسَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٣٨﴾

التفسير:

الخطاب - في الآيتين - لأهل مكة وهو توبيخ لهم لعدم اعتبارهم بما نال الذين كذبوا لوطا من العذاب المهلك، رغم معرفتهم به وبسببه، ومعابيتهم أثره لدى مرورهم بمكان قرية سدوم في سفرهم إلى الشام داخلين في الصباح، وفي المساء.

والمنكر عليهم الذي استحقوا به التوبيخ هو عدم تعقلهم الأمر، وعدم خشيتهم أن يصيبهم من العذاب مثل ما أصاب الذين كذبوا لوطا عليه السلام، إذا ما استمروا على تكذيب رسول الله ﷺ.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْهُورِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاءَ مَا فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسِيحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

١ - يونس: اسم علم، وهو نبي الله يونس، وهو يونس بن متى، وفي كتاب العهد القديم هو يونان. وقد سبق بيانه.

٢ - المدحضون: في قوله تعالى «فكان من المدحضين» جمع، مفردة «المدحض»، اسم مفعول من «دحض - يدحض» بمعنى غلب، والمعنى أنهم المغلوبون.

٣ - المليم: في قوله تعالى «وهو مليم» هو من دخل في الملامة، بمعنى أنه أتى بما يستحق به أن يلام.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى ذكر قصة يونس عليه السلام، أثبت تعالى - فى مبتدأ القول - أنه كان نبيا مرسلا من الله تعالى، ثم ذكر تعالى أنه هرب من قومه مبتعدا عنهم بغير إذن ربه على ما هو واجب على الأنبياء من أنهم لا يهاجرون إلا بأمر ربهم، كما بين أن هروبه كان إلى سفينة قد امتلأت بما هو مقدر لسعتها، وقوله تعالى «فساهم فكان من المدحضين» فيه إيجاز ما جرى فى السفينة حين توقفت عن السير ثلاث مرات - على ما قيل - أو أنها أوشكت على الغرق فقال البعض إن فيها من حل عليه غضب ربه أو إنه قيل إن حملها يزيد على طاقتها بما استوجب على الحاليين - إلقاء البعض منها، يكونون هم المغضوب عليهم من ربهم، أو الذين يجب التخلص منهم لنجاة السفينة، ثم كان إخراج هؤلاء بطريق القرعة بأن يلقى كل فرد سهمه ليخرج سهم المشؤوم أو الذى يجب التخلص منه.

ومن القول يبين أن يونس عليه السلام كان ممن خرجت سهامهم باعتبارهم الذين يجب التخلص منهم، وأنه ألقى فى البحر.

ثم يبين تعالى أنه من بعد إلقائه فى البحر ابتلعه الحوت وحاله أنه كان قد اقترب ما يستحق عليه اللوم، وأنه لولا أنه عليه السلام كان من الذين يسبحون الله كثيرا لما كانت له نجاة من بطن الحوت، والمراد بقوله تعالى «اللبث فى بطنه إلى يوم يبعثون» هو بيان طول الأمد الذى كان يظل فيه فى بطن الحوت، وقد يكون المعنى أنه يهضم كطعام للحوت، ثم يفنى بموت الحوت إلى أن يبعثه الله مع الخلق يوم القيامة .

فَبَدَّلَهُ

بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۖ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ۖ وَأَرْسَلْنَاهُ
إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۖ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۖ

أولاً : الأسماء :

١ - السقيم : فى قوله تعالى «وهو سقيم» هو من به سقم» من مرض أو ضعف. والمراد به ما كان بجلد جسمه عليه السلام من ضعف ووهن، قد يكون فيما نرى والله أعلم من آثار العصاره الهاضمة فى بطن الحوت .

٢ - اليقطين : فى قوله تعالى «شجرة من يقطين» هو القرع، من خصال شجرته أنها تصلح لأن يستظل بها ويحتمى لعظم ورقها، ولأن فيها برد الظل والملمس. وقد يكون غيرها، سماه الله تعالى باسمها فى الآية .

ثانياً : التفسير :

بدأ القول - فى الآيات - بذكر ما كان من بعد التقام الحوت يونس عليه السلام، ومن بعد ذكره تعالى أن تسيح يونس كان سبباً لنجاته من البقاء فى بطن الحوت .

والمذكور أنه تعالى نبذ يونس بالعراء وحاله حال المريض الضعيف. والمعنى أنه تعالى أمر الحوت أن يلفظه من جوفه ففعل فألقاه فى بقعة من الأرض جدياً، وهو فى حالة من الوهن والضعف ظاهرة قيل إنها تمثلت فى ضعف جلده وهو ما قد يكون من آثار العصاره الهاضمة التى تعمل على إذابة الطعام ليكون امتصاصه، وأنه تعالى أنبت عليه شجرة تظله من يقطين تحميه من الحرارة وتقوى جلده الواهن الضعيف حرارة الشمس .

إنه تعالى عاد إلى ذكر مبتدأ قصة يونس مع أهله وقومه من قبل واقعة التقام الحوت إياه، فذكر أنه تعالى أرسله نبياً إلى قوم يبلغ عددهم مائة ألف نسمة أو ما يزيد على هذا العدد. والذى نراه - والله أعلم - أن مفاد القول أنه تعالى بعثه من بعد هذا إلى هؤلاء القوم - وهم أهل نينوى - وأنه كان منهم الإيمان الصحيح بعد هذا الإرسال الثانى، لا يمنع منه أنهم آمنوا بعد أن رأوا علامات الهلاك. فى الإرسال الأول أو يكون الإيمان الثانى هو الإيمان الكامل وليس الإيمان المبني على الخوف من الهلاك ويؤيده قوله تعالى «فمعتناهم إلى حين» بمعنى أنه تعالى متعمهم إلى انتهاء آجالهم فى الدنيا، وهو ما كان من بعد الإرسال الثانى.

فَأَسْفَرْتَهُمْ
الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُيُوتُ ۝١٤٩ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ۝١٥٠

التفسير:

الخطاب - في الآيتين - إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر بتبكيك القائلين من الكافرين - بطريق الاستفتاء - أنه جعل الملائكة إنثاء، وأن الملائكة بنات الله، وهو قول قبائل جهينة وخزاعة وبنى سليم وبنى مليح.

لأن المعنى أنه يكون تعالى قد جعل للناس البنين وحرم نفسه ذلك، ثم بين أن قولهم هذا باطل وأنه لا سند لهم يدل على صحته، بدلالة أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة.

ثم إنه لما كان القول بأنه تعالى لا يتصور منه أن يختص ذاته بإنجاب البنات قد يعتقد فيه أنه لا ينفي أنه تعالى يتخذ البنين أولادا، فقد جاء نفى هذا بطريق القطع في الآيات اللاحقة.

أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْوَكَهُمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝١٥٢

التفسير:

جاءت الآيتان لإثبات إمعان القائلين باتخاذهم تعالى الولد في الإفك وقول الزور بإثباته أن القائلين بهذا يقولونه من فرط كذبهم، ثم يقطع تعالى بكذبهم.

فيكون المعنى هو نفى اتخاذه تعالى الولد على سبيل القطع .

أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾

التفسير:

بعد أن أثبت تعالى خطأ من يدعى أنه تعالى اتخذ ولداً، فإنه تعالى بين أن الذين يقولون إن الملائكة بنات الله من قبائل العرب قد جاوزوا العقل بما قالوا، لأن معناه أنه جعل صفوة خلقه الإناث، وأنه جعلهم لنفسه، ولما كان الأول غير صحيح، فقد لزم أن يكون الثاني غير صحيح أيضاً.

ثم أثبت تعالى مخالفة هذا القول للمعقول بقوله «ما لكم كيف تحكمون» وهو إنكار لما يقولون مما يخالف العقل، ثم ينكر عليهم عدم تبيينهم بطلان قولهم «أفلا تذكرون» .

ثم يبين تعالى أنه ليس لديهم دليل على ما يقولون ولا حجة، فيكون المراد بالاستفهام في قوله تعالى «أم لكم سلطان مبين» هو تقرير انعدام دليلهم على ما يقولون «أتبعه بتحديثهم أن يأتوا بدليل من كتاب لديهم يخبر عن هذا، وهو طلب تعجيزي، لأنه من المستحيل أن يأتوا بمثل هذا الدليل.

ولهذا يكون قوله تعالى «إن كنتم صادقين» هو من قبيل إقامة الحجة على كذبهم فيما يدعون على الله» .



وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ
الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ
اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾

أولاً : الأسماء :

١ - الجنة: قيل إن المراد بهم - فى معنى الآية - هم الملائكة ، لأنهم لا يرون ، أو لأنهم القائمون على الجنان. وقيل هم بطن من بطون الملائكة. وقيل هم الجان الذين قال بعض الكافرين إن الله تعالى صاهرهم فتزوج من بنات كبارهم وأنجب منهم الملائكة .

٢ - النسب : يتصور فيه أن يكون المصاهرة التى قال بها بعض الكافرين أنها كانت بزواجه تعالى من بنات الجن، ويتصور فيها أن تكون بمعنى قرابة النسب لدى القائلين بأنه تعالى وإبليس أخوان، كان تعالى للخير وكان إبليس للشر. وهذا القول متأثر بعقيدة المجوس من وجود إلهين: أحدهما للخير هو «هرمز» والآخر للشر وهو «هرمن»، ومتأثر أيضاً بالأسطورة المصرية القديمة التى جعلت من «أوزوريس» إلهاً للخير ومن أخيه «ست» إلهاً للشر.

ثانياً : التفسير :

يقول تعالى إن الكافرين المخصوصين بالنص الذين زعموا أن الملائكة بنات الله قد جعلوا بينه تعالى وبين الجن مصاهرة بتزوجه تعالى من بناتهم وإنجابه منهم الملائكة. أو أنه تعالى تزوج من الملائكة وأنجب فينه تعالى وبينهم علاقة مصاهرة، أو أنه وإبليس أخوان.

ويتصور أن يكون المراد بالنسب - فى معنى الآية - هو الصلة والمناسبة وهى استحقاق العبادة، أشركوا الجن فى العبادة بأن عبدوها معه تعالى.

ثم إنه تعالى يثبت أن الجنة علمت أنهم لمحضرون، والمعنى أنهم يحضرون للعذاب يوم القيامة. وعلى معنى أن الجنة هم الملائكة يكون المحضرون هم الذين زعموا أن بينه تعالى وبينهم نسا. وعلى معنى أن الجنة هم جنس الجن فإن المراد بالمحضرين يكون هو الجن الذين زينوا للكافرين هذا القول .

ثم إنه تعالى ينزه ذاته عن القول الباطل الذي قاله الكافرون فوصفوه تعالى بما لا يليق بذاته من زواجه من بنات الجن أو من الملائكة .

ثم إنه تعالى استثنى من المحضرين للعذاب عباد الله المخلصين، وهم الذين طهر الله قلوبهم من رجس الشرك والكفر، الذين عجز الشيطان عن إغوائهم بقوله «لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين» .

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ ﴿١٦٢﴾
إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِحُ الْحَجِيمِ ﴿١٦٣﴾

التفسير:

الخطاب - في الآيات - بدأ موجهاً إلى المشركين الذي عبدوا الأصنام والذين عبدوا الشياطين بإطاعتهم يخبرهم الله تعالى أنهم وما يعبدون من دون الله من أصنام وشياطين غير مستطيعين أن يغروا من الناس إلا من قدر تعالى أن يكون من المعذبين الذين يصلون الجحيم، فيكون القول تأكيداً لاستثنائه تعالى عباده المخلصين من المحضرين يوم القيامة للعذاب .

وَمَا مَتَّأِ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَلِنَا لَنَحْنُ السَّيِّئُونَ ﴿١٦٦﴾

أولاً : الأسماء :

١- الصافون : جمع، مفردة «الصاف» وهو من صف نفسه في مجموعة من جنسه أو من صف غيره.

٢- المسبحون : جمع، مفردة «المسبح» وهو من سبح الله تعالى بتزييه عما لا يليق به، أو القائل «سبحان الله». وقيل إن المراد بهم هو «المصلون».

ثانياً : التفسير :

القول هو قوله تعالى وهو ذكر لقول الملائكة، ذلك أنه تعالى لما كان قد ذكر في الآيات السابقة أن المشركين ومعبوداتهم في مرتبة واحدة من حيث إغوائهم الناس بالشرك، وكانت الملائكة هي من معبودات بعض المشركين، فقد جاء نص الآيات ليدل على خروجهم من زمرة معبودات المشركين المذكورة في الآية ١٦١، فأثبت تعالى أن الملائكة تقول إنه ليس منها ملك إلا له مقام معلوم عند ربه لا يجاوزه، أو له مكان للعبادة لا يستطيع مجاوزته وتخطيه .

ثم إنها وصفت نفسها بأنها التي تتم صفوفها الأولى وتراص في الصف وتستوى عند ربها عابدة. أو أنها التي تصف أجنتها في الهواء في انتظار ما تكلف به من أوامر، أو النصفة حول العرش.

كما وصفت نفسها بأنها المسبحة، بمعنى القائمة بتسبيح الله تعالى أو عبادته. فيكون قولها منظوياً على تكذيب القائلين إنها بنات الله .

وَأَن كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾

لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾

فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - عود إلى الحديث فى شأن كفار مكة، يثبت أنهم دأبوا على الكذب، فيذكر تعالى أنهم كانوا يقولون قبل أن يبعث تعالى رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق، أنه لو كان تعالى قد أنزل إليهم كتاباً مثل ما أنزل على الذين من قبلهم - وهم اليهود والنصارى - لكانوا قد آمنوا وأخلصوا لله دينهم.

ثم يذكر تعالى أنهم كفروا به، والمعنى أن الكتاب قد أتاهم وأنزل إليهم - وهو القرآن العظيم - وأنهم كفروا به، وهذا يخالف قولهم السابق، ثم توعدهم تعالى سوء العذاب يكون عاقبة كفرهم بالقرآن العظيم .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾
إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدْنَاهُمْ لَغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو تأكيد لحصول ما توعد به تعالى الكافرين من العذاب بتقريره تعالى أنه سبق به القول، وأن القول كان للرسل الذين لا ينطقون بالكذب.

فيكون المعنى أن قوله تعالى هو الحق. والقول هو أن الرسل ينصرون على الكافرين، والمعنى هو انتصار دعواتهم، وهو بحكم المآل، فإن مات أحد الأنبياء المرسلين قبل انتصاره على عدوه، فإن النصر يكون بانتشار دعوته بعد موته، يكون نصراً له.

فيكون القول وما بعده من أنه تعالى سبقت كلمته بانتصار جنده على الكافرين وعدا للمؤمنين بالنصر على الكافرين.

وفى القول نسب تعالى جنود المؤمنين إليه تعالى تشريفاً لهم وبياناً لأنهم يحاربون فى سبيل الله.

فَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٥﴾ وَأَبْصَرُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآيتين - إلى رسول الله ﷺ يأمره تعالى أن يعرض - صابرا - عن الكافرين إلى وقت معين، يتصور فيه أن يكون هو انتهاء مدة وقف القتال ويتصور أن يكون يوم بدر، أو يوم الفتح، ويتصور أن يكون يوم القيامة .

ثم يعلمه تعالى أنه سيبصرهم وهم فى أسوأ حال، وهو حال القتل والأسر أو حال العلم بالعذاب.

جاء التعبير عن هذا بصيغة الأمر بالإبصار، كما يعلمه تعالى أن الكافرين سيبصرون عند حلول أجل انتهاء الإعراض عنهم نصره ﷺ عليهم، أو ما أعد لهم من العذاب يوم القيامة .

أَفِعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ

﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَفَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

أولا : الأسماء :

الساحة : فى قوله تعالى «فإذا نزل بساحتهم» هى ساحة الدار، أو العرصة الواسعة فيه، وهى كل مكان واسع بالمعنى العام .

ثانياً: التفسير:

الخطاب - في الآيات - بدأ موجهاً إلى رسول الله ﷺ، جاء في صيغة استفهام عما إذا كان الكافرون يستعجلون وقوع العذاب الذي توعدوا به بهم، استخفافاً منهم بالوعيد، والمراد هو إنكاره تعالى عليهم استعجالهم العذاب وتوبيخهم عليه.

ثم بين تعالى جهلهم ببيان أنه متى حل بهم ونزل بساحتهم كان بش الصبح صباحهم وذلك لحلول العذاب الذي أنذروا به بهم - ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يعرض عنهم إلى حين وقوع العذاب بهم.

فيكون القول تأكيداً لوقوع العذاب بالكافرين. ثم جاء قوله تعالى «وأبصر فسوف يبصرون» تأكيداً آخر لوقوع العذاب بالكافرين وأنه ﷺ سيبصره أو يعلمه سواء أكان عذاب الدنيا أم كان عذاب الآخرة، كما أن الكافرين سيبصرون العذاب المعد لهم ويعرفونه.

ثم إنه تعالى نزه ذاته عن كل ما وصفه به المشركون مما ورد ذكره في السورة مما لا يليق بمقام ذاته. مينا أنه تعالى هو صاحب العزة وأنه العزيز بذاته، لا يؤثر فيه ولا ينتقص من قدره ما يصفه به المشركون، كما شرف الرسل بالسلام عليهم، وبين أن صفاته العليا جل جلاله تستوجب وتستتبع أن تكون فعاله بخلقه عظيمة في التفضل عليهم بالنعم بما يستوجب حمده وشكره؛ ولهذا جاء إثبات أن الحمد لله رب العالمين.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢

التفسير:

بدأت السورة بقوله تعالى «ص» وفي معناه قيل: إنه فعل أمر من الفعل صاد يصادى، والمعنى هو: عارض يعارض، وليست هي المعارضة بمعنى التضاد لكنها المعارضة التي تكون بالمماثلة، كما هو الحال في المعارضة في الشعر، بأن ينشأ الشاعر قصيدة من ذات البحر وبذات القافية وفي نفس المعنى ماثلة لقصيدة أخرى .

فيكون المعنى هو: ليكن عملك بالقرآن ماثلاً ما جاء فيه من الأوامر والنواهي، وقيل: إنها حرف من الأحرف أو من أسماء الأحرف الراجح في شأنها أنها من المتشابه من القرآن، ثم جاء قوله تعالى: «والقرآن ذى الذكر» قسماً بالقرآن، وصفه تعالى بأنه ذو الذكر.

والمعنى: أنه يرفع ذكر وشرف من يؤمن به ومن يتلوه مؤمناً به، فيه يرتفع ذكر المؤمن، ثم إن المقسم عليه هو أن الذين كفروا بالقرآن العظيم في عزة وشقاق.

والمعنى أنهم قد اغتروا في أنفسهم واعتزوا بها عن كذب وكبر، فكانوا في جانب وكان الحق في جانب آخر، أو أنهم في جانب وهو تعالى ورسوله ﷺ في جانب آخر.



كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَ أَوْلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣

أولاً : الأسماء :

المناص : فى قوله تعالى «ولات حين مناص» هو: الخلاص بمعنى الخلاص مما فيه شر أو ضرر، قد يكون بالتأخر، وقد يكون بالفرار أو بغير ذلك بالوسائل التى تؤدى إلى الخلاص.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآية - هو وعيد للكافرين الذين اغتروا فى أنفسهم بأنه تعالى معذبهم أو مهلكهم بعذاب من عنده جزاء لهم على كفرهم. مثل لهم بمن سبقهم من الأمم التى كفرت رسلها وكذبهم، ويبين من كم وهى للاستفهام عن العدد أن المراد بها هو بيان كثرة الأمم المهلكة بسبب كفرهم وتكذيبهم الرسل، ثم بين تعالى أنه كان منهم أنهم يستغيثون أو أنهم ينادون معلنين توبتهم ولكن حين لا تنفع استغاثة ولا تجدى توبة والمعنى هو ضرورة وقوع العذاب والهلاك بهم.

وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاثِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥

التفسير :

قوله تعالى هو فى كفار مكة ، يذكر تعالى أنهم قد أنكروا أن يكون المنذر بشرا من بينهم أو واحدا منهم وتعجبوا من ذلك، كما يذكر تعالى أنهم قد اتهموا رسول الله ﷺ بأنه ساحر كذاب، والمعنى أنه قد جاء بالقرآن الذى يشبه بزعمهم ما يكونه السحر أو أنه يفعل به فعل السحرة من التفريق بين الناس.

وأنه قد كذب على ربه إذ نسب القرآن العظيم إليه تعالى . ثم إنه تعالى يذكر من أقوالهم أنهم قد استفهموا منكربين عن جمعه الآلهة المتعبددين بزعمهم فى إله واحد، والمعنى هو: إنكارهم عقيدة التوحيد، ثم إنهم أبدوا تعجبهم من عقيدة التوحيد هذه بزعم أنها شيء عجاب، أى أنه مفروط فى كونه أمراً عجيباً .

وَأَنْطَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنْ مَشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ إِلٰهِنَا إِنَّ هَٰذَا شَيْءٌ يُرَادُ ۖ مَا سَمِعْنَا
بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ۝٧

أولاً: الأسماء :

١- الملأ: المراد بهم أشراف الكافرين، قيل إنهم أبو جهل وثيبة، وعتبة أبنا ربيعة بن عبد شمس وأمية بن خلف والعاص بن وائل، وأبو معيط .

٢- الملة الآخرة: قيل إن المراد بها فى معنى الآية هو النصارى باعتبار أن المسيح عيسى ابن مريم هو الرسول الذى سبق رسول الله ﷺ، وقيل: إن المراد هو آباء الكافرين الذين ماثلهم أبناؤهم .

ثانياً: التفسير :

مفاد قوله تعالى - فى الآية - أن أشراف قريش وكفار مكة انطلقوا مهاجرين بيت أبى طالب وذلك بعد أن طلبوا منه أن ينصفهم، فكان اجتماعهم فى داره برسول الله ﷺ، انطلقوا من البيت وهم يرددون فى أنفسهم بوجوب المشى والابتعاد عن البيت الذى دار فيه الحوار مع رسول الله ﷺ وذلك لما رأوا من إصراره ﷺ على الدعوة وعلى نشر دينه وعدم امتثاله لمقترحاتهم وإغراءاتهم ولذلك فإنهم تبادلوا بينهم بوجوب الصبر على عبادة آلهم وبرروا ذلك بأن إنهاء عبادتهم هو شيء يريده ويصر عليه رسول الله ﷺ ثم إنهم برروا إصرارهم

بالبقاء على الكفر أنهم لم يسمعوا بتوحيد الآلهة في إله واحد، لم يسمعوا بهذا في ملة النصارى المعاصرين لهم أو أنهم لم يسمعوا به في ملة آبائهم.

وقد يكون سبب ذلك أن النصرانية في وقتهم كان قد نالها التحريف ودخلتها عقيدة التثليث فابتعدت عن التوحيد وأن آباءهم كانوا يعبدون أصناماً متعددة، ثم أنهم قالوا إن القول بالتوحيد وما أنزل في القرآن متعلقاً بهذا ليس إلا مخض اختلاق منه ﷺ فهو إنكار لنبوته وإنكار لصحة العقيدة التي دعا إليها وهي عقيدة التوحيد.

أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ

بَيْنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ۝٨ أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝١٠ جُنْدٌ مَا هُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝١١

التفسير:

يذكر تعالى في مبتدأ القول قول الكافرين أو قول أشrafهم «أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنَا».

والمعنى أنهم ينكرون أن يكون الله تعالى قد اختصه واصطفاه من بينهم لينزل عليه القرآن العظيم، وعلة ذلك أنهم كانوا يرون أنهم أو أن منهم من هو يحكم غياه وزيادة أمواله من هو أجدر من رسول الله ﷺ بالاصطفاء بالنبوّة ويأنزل القرآن العظيم عليه، فالاستفهام في القول هو لإنكار أن يكون نزل القرآن عليه ﷺ من بينهم.

ثم يذكر تعالى واقع أمرهم وهو أنهم في شك من القرآن العظيم وذلك لأن قلوبهم لن تهيأ لأن يدخلها الإيمان وذلك لسبق اختيارهم الكفر.

ثم يذكر تعالى أنهم لم يذوقوا عذابه حتى هذه اللحظة، وأنهم لو كانوا قد ذاقوا عذابه تعالى، لكان منهم غير ذلك .

والمعنى أنهم ليسوا ممن يؤمنون بإرادتهم عن طوع وأنهم لا يؤمنون إلا إذا رأوا العذاب، فكأنهم يشبهون من سبقوهم ممن استغاثوا بعد فوات وقت الاستغاثة والتوبة .

وقوله تعالى «أم عنده خزائن ريك العزيز الوهاب» استفهام آخر أريد به إثبات بطلان منطقهم وفساد حججتهم فإنكارهم أن يكون ﷺ مصطفى من ربه لا يجد ما يبرره، فلا يبرره إلا أن يكون لديهم خزائن رحمة الله التي تنجلي في عظيم رحمته بالاصطفاء بالنبوة، بحكم كونه العزيز الذي لا يغلب على أمره والوهاب الذي يؤثر في الهبة وأجل ما يهب المؤمن هو الاصطفاء للنبوة .

ثم يذكر تعالى ما يفيد انتفاء الحجة لديهم التي تبرر إنكارهم اصطفاء ﷺ للرسالة لبيان أنه قد يكون لهم هذا إذا كان لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما لأن ملكها يفيد ملك ما فيها ومن فيها .

وحرية التصرف في أمورهم ثم إنه لإثبات أنه ليس لهم هذا قال تعالى «فليرتقوا في الأسباب» .

والمعنى: أنه طلب منهم إن ادعوا أن لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما أن يسيروا في معارج السماوات ليصلوا إلى حيث تقدر أمور العباد فلما كان ذلك محالاً فإنه تعالى يكون قد أثبت بطلان قولهم كما أثبت انعدام الحجة لديهم .

ثم إنه تعالى بين حقيقتهم بذكره أنهم محض جند والمراد أنهم جنود الشيطان، ثم بين أنهم إما أن يكونوا من الضعف بحيث أنه تعالى وصفهم بأنهم من الأحزاب، وإما أن يكونوا من الكثرة التي لا يجمعها جامع فكان حالها هو الضعف .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ
 وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ الْأَخْزَابِ ۝ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ
 الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِخْرَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا
 مِنْ فَوَاقٍ ۝

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن كفار مكة قد كذبوه ﷺ فإنه تعالى بين في الآيات أنه قد سبقهم ممن كذب الرسل من كانوا أقوى منهم وأنه تعالى أهلكهم بتكذيبهم الرسل، فذكر تعالى من المكذبين قوم نوح كما ذكر عادا وفرعون وصفه تعالى بأنه ذو الأوتاد فيكون المعنى أنه الذى ملك دواعى القوة فاستب ملكه فكان ملكه شبيها بالبناء الذى اتصل بالأرض عن طريق الأوتاد، وقيل إنه كان يعذب أعداءه بربطهم فى أوتاد أربعة وتركهم فى العراء للسباع ولللهوام.

كما ذكر تعالى من المكذبين ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وصفهم بعد ذلك بأنهم الأحزاب بمعنى أنهم الذين تحزبوا على الرسل، وفى الإشارة إليهم بـ «أولئك» ما يفيد التهوين من شأنهم وتحقيرهم ثم إنه تعالى وصف كلا منهم بأنه كان مكذبا الرسل وبين أنه استحق لتكذيبه الرسل ما حاق به من العذاب .

ثم إنه تعالى أشار إلى كفار مكة وقال بشأنهم إنهم لا ينتظرون إلا صيحة واحدة والمراد بها صيحة يوم القيامة فهى موعدهم مع العذاب، وصفها تعالى بأنها ليس لها من فواق، بمعنى أنها لا تستأخر عن موعدها فترة قصيرة ولو مائتة الفترة التى تكون بين حلب الناقة مرة وحلبها مرة ثانية. فيكون القول حتمية وقوع العذاب لكفار مكة .

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَاقَلْ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝١٦ أَصْبِرْ
 عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۝١٧ إِنَّ
 سَخِرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ
 كُلُّ لَهَا وَأَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثِنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ
 الْخِطَابِ ۝٢٠

أولاً : الأسماء :

القط : فى قوله تعالى «عجل لنا قطننا» المراد به - فى معنى الآية - هو جزء من العذاب، أو جزء من النعيم، وذلك لأن القط من الشيء هو الجزء منه أو القطعة.

ثانياً : التفسير :

يذكر تعالى قول الكافرين لرسول الله ﷺ حين سمعوه يتلو آيات الوعيد للكافرين أو آيات النعيم بالجنة للمؤمنين أن يعجل لهم نصيبهم من العذاب الذى توعدوا به أو أن يعجل لهم النعيم الذى وعده به المؤمنون فيكون قولهم من قبيل السخرية بما سمعوا والاستهزاء إذ طلبوا أن ينالهم شيء من الوعيد أو الوعد قبل يوم القيامة .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ بالصبر على إيذاء الكافرين له بالقول ، وعلى استهزائهم بالقرآن ثم إنه - على سبيل التسرية عنه - يذكر له ما كان من داود عليه السلام ، أو أنه يطلب منه ﷺ أن يذكر قصته للكافرين، وصفه بأنه ذو الأيدى بمعنى أنه ملك أسباب القوة .

فيكون المعنى أنه إذا نال النبى ذى القوة أذى من قومه فإنه يكون متوقعا منه ﷺ أن يلقى مثل ما لقى داود .

ثم إنه تعالى وصف داود بأنه أواب بمعنى أنه كان يرجع إلى الله تعالى بالاستغفار من الذنب دائماً فهو يتوب إليه ويرجع على الدوام. ثم إنه تعالى ذكر من بين ما قوى به داود أنه سخر الجبال تسبح معه بالعشى والإشراق بمعنى أنه كانت تسبح معه من زوال الشمس إلى الصباح وفي وقت الإشراق. كما ذكر تعالى أن حال الطير معه عليه السلام هو الحشر وذلك من أجل ترجيع تسيحه عليه السلام، وهذه من مظاهر دعمه من الله تعالى وتقويته.

ثم يذكر تعالى أنه قد دعم ملك داود وقواه بجميع أسباب القوة يدخل في هذا المقاتلون والمال والصناعة والعدة والسلطة كما أنه أتاه الحكمة وفضل الخطاب يدخل في الحكمة النبوة ويدخل فيها العلم بالشريعة والعلم النافع.

كما أثبت تعالى أنه أعطاه القدرة على أن يفصل في الخصومات بالحق، فالفصل في الخطاب أو فصل الخطاب هو القضاء في الخصومة ولما كان تعالى قد تفضل عليه بهذا فإنه يكون بالفصل في الخصومات بالحق.

وَهَلْ أُنْتُكَ نَبُوءُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ ﴿٢١﴾
إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا
عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَسْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾

أولاً: الأسماء

- ١- الخصم: هو الطرف في خصومة، يقال للواحد، وللاثنتين، وللجمع. وقيل إنهما ملكان ظهرا في صورة البشر، وقيل إنهما جبرئيل وميكائيل عليهما السلام.
- ٢- المحراب: المراد به - في معنى الآية - هو الغرفة التي في صدر مجلس الدار، أو هو اسم خاص لصدر المجلس.

ثانيا : التفسير :

الخطاب فى القول - إلى رسول الله ﷺ، والسؤال أريد به التشويق لسماع القصة ولروايتها أو تلاوة الآيات الخاصة بها، وهى عن أخصام كانوا اثنين أو أكثر على ما يبين من الفعل «تسوروا»، والمذكور أنه كان هناك خصوم اعتلوا محراب دار داود عليه السلام بأن علوا فوق سور المحراب.

ثم يذكر تعالى أن الخصوم دخلوا على داود عليه السلام حيث كان يجلس للعبادة على ما قيل من أن اليوم كان يوما خصصه للعبادة.

ويبين من القول أنه لم تكن هناك فترة زمنية طويلة بين تسورهم المحراب وبين دخولهم على داود .

ويذكر تعالى أن داود عليه السلام نال منه الفزع حين شاهد هؤلاء الأشخاص - حسب هيئاتهم - وقد اعتلوا سور المحراب الذى هو من الارتفاع بحيث لا يمكن أن يعلوه أحد، ثم وهم ينزلون منه ويدخلون عليه فى سرعة، شعربالخوف. قد يكون لاعتقاده أنهم يريدون به أذى، وقد يكون لمظنة هو أن أمره على رعيته حتى أنهم تجرأوا عليه فدخلوا عليه محرابه دون استئذان منه، أو لمظنة أن القائمين على الحراسة قد تغافلوا عن واجبهم.

ثم يذكر تعالى أن الذين دخلوا على داود عليه السلام المحراب طمأنوه إلى أنهم لا يريدون به شرا وأنهم متخاصمون إليه فى قضاء يفصل فيه بينهم.

وقولهما إنهما خصمان، ثم قولهما إن بعضهم قد بغى على بعض، قد يفيد معنى أنهما كانا اثنين، يمثل كل منهما جمعا من الأفراد أو قبيلة وقع من بعض أفرادها اعتداء على بعض أفراد الأخرى. وقد يفيد أن المتخاصمين كانوا جماعتين ناب عن كل منهما واحد فى الحديث باسمها.

وقد يفيد معنى أنهما كانا اثنين - والجمع هو اثنان فأكثر - فجاز أن يكون التعبير عن الواحد منهما بالبعض.

والظاهر من القول أنهما أبديا فى مبتدأ الأمر - فى إجمال - سبب حضورهما على هذا النحو وهو أن البعض من أتباع أحدهما اعتدى على البعض من أتباع الآخر، أو أن أحدهما اعتدى على الآخر، وأنهما حضرا إلى داود عليه السلام ليحكم بينهما، ثم طلبا منه أن يحكم بينهما بالعدل لا يتجاوز، دون شطط، وأن يهديهم بقضائه إلى وسط طريق الحق، بزجر المعتدى، والإرشاد إلى الطريق المستقيم .

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا
وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾

أولا : الأسماء :

النجعة : هى الأئمة من الضأن، ومن البقر الوحشى، والشاء الجبلى، والمراد بها - فى معنى الآية - على ما قيل - هو المرأة بطريق الاستعارة .

ثانيا : التفسير :

مفاد قوله تعالى - فى الآية - أن أحد الخصمين عرض القضية التى جاء للاحتكام فيها - من وجهة نظره - فذكر أن الآخر - وصفه بأنه أخوه لبيان أنه تجمعه به أخوة الدين، أو الأصل الواحد، أو لكون الاثنين ملكين - ذكر أن الآخر له تسع وتسعون نجعة، أو تسع وتسعون امرأة، إن كن زوجات فإن المعنى أن ذلك كان مباحا فى شريعة المتخاصمين، وإن كن إماء وسرارى فهو جائز.

كما ذكر أنه ليس له إلا نجعة واحدة أو امرأة واحدة. ثم قال إن الآخر طلب منه أن يملكه نجعته، أو أن يجعله المتكفل بأمر امرأته - بمعنى أن يطلقها، ويتركها حتى تنتهى عدتها، ليتزوجها هو، وأنه قد غلبه فى طلبه هذا بقوته فاستطاع أن يغلبه بأن يحقق ما ابتغاه من تملك النجعة أو الزوج بامرأته .

وقيل إن عرض القضية على هذا النحو أريد به بيان خطأ داود عليه السلام فيما فعله حين شاهد زوجة أحد ضباط جيشه وهو «أوريا الحثي» وهي تستحم فأعجب بجمالها، وأنها لما رآته استترت بشعرها فزادها جمالا أشعل حبها في قلبه فأمر أحد قواده بأن يجعل زوجها في موقع خطر من مواقع المعركة فقتل، فلما أكملت عدتها تزوجها داود عليه السلام.

والقصة - على هذا النحو - هي المذكورة في كتاب العهد القديم الذي بين أيدينا اليوم، ونقول - والله أعلم - .

إن النص القرآني لا يذكر شيئا عنها، بل إن طلب كفالة المرأة من زوجها بمعنى طلب تطبيقها ليتزوج منها الآخر - على المعنى المذكور في تفسير نص الآية استنادا إلى ما ورد في كتاب العهد القديم - يتنافى مع قصة زواج داود عليه السلام من زوجة أوريا الحثي، فلم يحدث - في القصة - أنه طلب ذلك من أوريا.

ثم إن الفعل نفسه وهو وضع زوج المرأة في موقع يتعرض فيه للقتل دون ابتغاء مصلحة عامة، بقصد الخلاص منه، هو مما لا يقع من شخص يتحلى بالأخلاق الفاضلة، فما بالنا بنبي؛ ولهذا فإننا لانقبل القصة .

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ
كَثِيرًا مِّنَ الْخَطَايَا لَيْبَغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَتْهُ فَاستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا
وَأَنَابَ ۝٦٤

أولاً : الأسماء :

الخلطاء : هم الشركاء الذين اختلطت أموالهم في عمل واحد أو تجارة واحدة، وهم أصحاب الحرفة الواحدة، والمهنة الواحدة .

ثانياً : التفسير :

مفاد قوله تعالى - فى الآية - أن داود عليه السلام فصل فى القضية بعد سماعه عرض المدعى .

فذكر أن خصمه المدعى عليه قد ظلمه بطلبه أن يضم نعجته إلى ما يملك من النعاج، وأنه برر قضاؤه بأن المعتاد هو أن الشركاء في عمل واحد أو تجارة واحدة يكون من أحدهم الافتيات على حقوق الآخرين، أو أن أصحاب الحرفة الواحدة أو المهنة الواحدة يحاول أحدهم سلب الآخر عملاءه ليفيد هو من التعامل معهم، وأنه استثنى من هذا الحكم العام الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم ذكر أنهم قليل .

وقيل إنه عليه السلام سأل الخصم المدعى عليه فلم يحرجوا، وقيل إنه أقرب بالفعل، لأن النبى لا يقضى بدون سماع أقوال أطراف النزاع .

ثم يذكر تعالى أن داود عليه السلام ظن أن الله تعالى قد ابتلاه، وأن المراد بالظن هو العلم، وأنه علم بهذا حين صعد الملكان إلى السماء وشاهدتهما في صعودهما .

واختلف فى ماهية الذنب الذى استغفر منه ربه فقيل إنه تطلعه إلى زوجة أوريا الحثى، وقيل هو أمره بوضعه فى مكان خطر فى تشكيل المعركة يتوقع فيه قتله، وقيل هو خطبته المرأة فوق خطبة أوريا لها .

وقال الذين ينكرون القصة أنه عليه السلام استغفر ربه لقضائه دون سماع دفاع المدعى عليه .

والذى نراه - والله أعلم - غير هذا، ذلك أن داود كان يرى أنه تعالى قد فضل إبراهيم عليه

الصلاة والسلام عليه، فأخبره ربه أن إبراهيم ابتلى بالرمى فى النار وبذبح ابنه، فاجتاز الابتلاء والاختبار فكان له من الله تعالى ما فضله به على النبيين من بعده إلا رسول الله ﷺ، فطلب داود أن يبتلى ويختبر.

ثم إنه لما كان عليه السلام قد أوتى فصل الخطاب بمعنى أنه أوتى فصل القضاء فى الخصومات بالحق.

فقد جعل تعالى ابتلاءه فى هذا المجال، فكان عرض القضية عليه من الخصمين، فكان فصله فيها على ما يبين من قوله «وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض».

هو فصل بناء على حكم عام حصله بطريق الخبرة من معاينة أحوال الناس، تأثر به فى قضائه، فلم يفعل ما كان واجبا عليه فعله من بحث الحالة الخاصة بالقضية المعروضة عليه، فكان قضاؤه فيها متأثرا بعلمه فى غيرها، أثر فى قضائه، وهو ما يجب أن يتحرز منه القاضى، ثم كان من داود عليه السلام عندما علم أن الخصمين ملكان، أو بعد أن فصل فى القضية، أنه اعتقد أن الأمر كان اختبارا من الله له، وتحقق أنه ظلم نفسه حين طلب أن يتعرض للاختبار معترضا على إرادة الله تعالى فى تفضيل بعض الرسل على بعض، فكان منه استغفار ربه لما وقع منه وخررا كعا - والمعنى أنه خر ساجدا - لأن الركوع يكون بداية للسجود، ورجع إلى الله تعالى تائبا.

فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَ الْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٥٥﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - أنه غفر لداود عليه السلام الخطأ الذى استغفر منه الله، كما يثبت أنه له من الله تعالى - من بعد المغفرة - قرب المكانة، وأن له حسن المرجع فى الآخرة وهو الجنة.

يَا دَاوُدُ
 إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ
 فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
 شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦١﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - فيما قال لدواد عليه السلام بعد أن غفر له ما استغفر منه ربه من الخطأ.

فيذكر تعالى أنه جعله خليفة في الأرض، بمعنى أنه تعالى جعله خليفة في الأرض التي حكمها ملكا «خلفا» للأنبياء الذين كانوا من قبله.

ثم بين علة ذلك بأمره أن يحكم بين الناس بالحق، فهو يحكم كونه ملكا يقضى بين الناس بسلطانه، ويحكم كونه نيا خليفة لأنبياء سبقوه يحكم بمقتضى الشريعة التي بعث للعمل بها وتعليمها الناس، ثم نهاه تعالى أن يحكم بالهوى.

وهو ما تهوى النفس، يكون سببا للبعد عن الحق، ولا يمنع كونه نيا من أن ينهى عن ذلك، فقد دعاه هوى النفس إلى فضل من الله يزيد على ما قدره له إلى طلب الاختبار، كما دعاه اعتزازه بعلمه بالسوابق إلى أن يقضى بها دون دراسة القضية التي عرضت عليه دراسة خاصة.

ثم إنه تعالى بين علة النهى عن اتباع الهوى ببيان أنه يؤدي إلى الضلال عن سبيل الله الموصل إلى رضائه.

ثم أعقب تعالى هذا بإنذاره الذين يضلون عن سبيل الله ومتهم القضاة الذين يحكمون

بالهوى، والذين لا يقضون بالحق عن عمد فيبين أنهم والضالين عن سبيل الله عموماً يكون لهم يوم القيامة العذاب الشديد جزاء على نسيانهم يوم الحساب، والمعنى أنهم عملوا ما عملوا متناسين أنهم محاسبون على أعمالهم فكان منهم البعد عن القصد وعن سواء السبيل.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾

التفسير:

لما نهى تعالى عن الحكم بالهوى، وبين أن الذين يضلون عن سبيل الله يعذبون عذاباً شديداً يوم القيامة الذى نسوه أو تناسوه.

جاء قوله تعالى لإثبات أنه تعالى قد خلق كل شيء بحكمة لديه تعالى، فلم يكن خلقه تعالى السماوات والأرض خلقاً باطلاً بغير حكمة، ولم يكن من قيل الله أو العبث، ولهذا فإنه تعالى يحاسب المكلفين مما خلق فى الآخرة، يؤمن بها الذين آمنوا فيعملون لها عملها وقد علموا أنه تعالى خلق الخلق لحكمة اقتضت أن يكون منه الحساب، ولا يذكرها الذين كفروا سواء لكفرهم بها أو لتناسيهم إياها، ولهذا توعدهم ربهم بعذاب النار.

فيكون القول مفيداً ترتب الويل للكافرين على ظنهم الباطل .

أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ
أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾

التفسير:

الاستفهام في الآية هو للإنكار، والذي ينكره تعالى هو المساواة بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين الذين كفروا، وصفهم تعالى بأنهم المفسدون في الأرض لأن فعل الكافر هو فساد يسعى به في الأرض.

ثم إنه لما كانت الدنيا هي مبلغ هم الكافرين فإنهم لا يتورعون عن فعل يتالون به خيراتهم؛ ولهذا فإن حالهم في الدنيا كثيرا ما يفضل حال المؤمنين الذين يعملون الصالحات.

فجاء قوله تعالى مثبتا أنه لا تكون بينهم مساواة في الآخرة في المصير، أو يكون رفع المؤمنين إلى أعلى عليين ورد الكافرين إلى أسفل سافلين.

ثم إنه تعالى أكد ذات المعنى بإثباته عدم المساواة بين أتقياء المؤمنين الذين خشوا الله فاتقوا غضبه، وبين الفجار أشقياء الكفرة في المصير يوم القيامة، فيكون النعيم للمتقين، ويكون العذاب للفجار الكافرين.

كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، يشير تعالى إلى القرآن العظيم ويخبر عنه بأنه كتاب أنزله إليه تعالى، فمعنى القول هو «هذا كتاب أنزلناه إليك»، ثم وصفه تعالى بأنه مبارك، والمعنى أنه كثير الخير، يجمع بين خير الدنيا وخير الآخرة.

ثم بين تعالى علّة إنزاله وهي تدبر آياته والعمل بها، كما بين أن الذين يفيدون منه هم أصحاب العقول الواعية لأنهم يؤمنون به ويعملون فيكون لهم به خير الدنيا والآخرة.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ
 إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٢٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفْتَ الْجِيَادُ ﴿٢١﴾ فَقَالَ إِنِّي
 أُحِبُّ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٢٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ
 قَطْفِقَ مَتَحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٢٣﴾

أولاً : الأسماء :

- ١- الصافات : جمع ، مفردة « الصافن » وهو من الخيل الذى يقف على مقدم حافر إحدى يديه أو رجليه . وقيل هو الواحد منها الذى يجمع يديه ويسويها .
- ٢- الجياد : جمع ، مفردة « الجواد » يقال للذكر وللأنثى ، وهو الطويل العنق من الجيد وهو العنق .
- ٣- الخير : هو المال الكثير ، ومنه الخيل فهى من الأموال ، ثم العرب تدعوها بالخير .

التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - عود لذكر قصص الأنبياء ، فبعد أن ذكر تعالى ما ذكر عن داود عليه السلام فإنه ذكر فى الآيات أنه وهب له سليمان ابنا صالحا ونبيا ، وصفه بأنه نعم العبد على سبيل المدح ، كما وصفه بأنه كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة .

ثم ذكر تعالى واقعة حدثت مع سليمان عليه السلام بعد أن خلف داود أباه فى الحكم والنبوة ، وهو أنه عرضت عليه خيل قيل إنها كانت فيثا ، وكان عرضها بالعشى بمعنى من وقت زوال الشمس إلى آخر النهار .

وصف تعالى هذه الخيل بأنها صافات جياد أى أنها كانت لإحسانها بجمالها تقف مختالة بنفسها كمادة الخيل ، وأنها كانت تتميز بطول أعناقها .

ويروى القول عن سليمان عليه السلام أنه قال «إني أحبيت حب الخير عن ذكر ربي» وفيه قيل إن عرض الخيل كان جميلا ، وأنه استهوى سليمان عليه السلام الذي كان يحب الخيل حتى شغله عن الصلاة وعن ذكر الله ، إلى أن غربت الشمس ، فلم يصل صلاة العصر ، أو إلى أن غابت الخيل عن نظره في السباق الذي كان يجري بينها ، فكان منه أن أسف لهذا ، وحزن أن تشغله الخيل وأن يشغله حبها عن ذكر الله وعن الصلاة .

واعتبر أنها كانت سببا لفتته ، فطلب رد الخيل عليه ، ثم أخذ يضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقطعها وفي محاولة لتبرير هذا الفعل المقول به قيل إنه جعلها قربانا لله تعالى .

والذي نراه - والله أعلم - هو أن معنى قوله عليه السلام «إني أحبيت حب الخير عن ذكر ربي» أنه قد تعلم حب الخيل عما ورد في كتاب ربه أو مما ورد في كتاب ربه وهو التوراة .

وليس كما قيل من أن حب الخيل شغله عن الصلاة وعن ذكر الله ، لأن مثل هذا لا يحدث من مؤمن صلح إيمانه ، فلا يكون متصورا أن يكون من نبي .

ثم إنه لا يتصور أن يكون درء الفتنة بالخيل هو قتلها ، وإنما يكون إصلاح الحال بإصلاح النفس بنهيها عن الانشغال عن ذكر الله ، وإلا لكان واجبا قتل جميع الخيل الموجودة في مملكته عليه السلام ، فضلا عن أن قتل الخيل - وهي أموال - هو نوع من تبذير المال يجاوز الإسراف المنهى عنه ، مع انعدام مسئولية الخيل عما خلقها الله عليه من الجمال حتى يكون الانتقام منها بقتلها .

ولا يتصور أن يكون التقرب إلى الله بقتل الخيل لأنه لا ينتفع بهذا ، فيكون المراد بالمسح بالسوق والأعناق هو مسحه عليها بيده وتربيته عليها .



وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٤٠﴾ فَتَحْنَاهُ الْوَيْحَ تَحْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾

أولاً: الأسماء :

الجسد : فى قوله تعالى «وألقينا على كرسيه جسدا». قيل إنه وَلَدٌ وَلَدَ سليمان عليه السلام ناقص التكوين، ألقته القابلة على كرسى سليمان.

وقيل إنه شيطان اتخذ شكل سليمان وهيئته وجلس على كرس الحكم.

وقيل إنه سليمان نفسه أصابه المرض فأضعف قواه الذهنية والبدنية فأصبح مجرد جسد بغير قوة روح وطاقه نفس.

ثانياً: التفسير :

مفاد قوله تعالى - فى الآيات - أنه عاقب سليمان عليه السلام على خطأ ارتكبه، فيكون معنى «ولقد فتنا» هو «ولقد عاقبنا»، وصورة العقاب هى إلقاء جسد على كرسيه.

قيل إنه كان ولادة ابن له ناقص التكوين، فكان نصف جسد، وقيل كان سيطرة شيطان على ملك سليمان لفترة زمنية هى مدة العقاب، اتخذ فيها شكل سليمان وجلس على كرسى

الحكم، وقيل هو مرض أضعف سليمان فلم تعد به قوة على الحكم، فأصبح مثل مجرد جسد يجلس على كرسى الحكم.

وقيل في الخطأ الذي ارتكبه سليمان فعوقب به، إنه كان زواجه من مشركة، وكان قد نهى عن الزواج من غير بنات إسرائيل، وقيل كان اعتكافه عن الحكم بين الناس لمدة ثلاثة أيام. وقيل كان قوله إنه سينجب من نسائه تسعين ولدا يحملون السلاح ويدافعون عن دين الله، دون أن يقرن ذلك بتعليق الأمر على مشيئة الله تعالى.

ثم يذكر تعالى أن سليمان رجع إلى الله، والمعنى أنه أقر بالذنب وثاب إلى الله ورجع إليه.

ثم بين تعالى أن رجوعه عليه السلام إليه كان باستغفاره، وأنه بعد أن غفر له ربه ذنبه سأل الله تعالى أن يهب له من فضله سلطانا لا يمنحه تعالى أحدا من بعده، وأنه تشفع إلى الله بصفته أنه الوهاب، الذي يكثر العطاء ويجزل فيه.

وبين تعالى استجابته لدعاء سليمان وبين ماهية السلطان الذي أعطاه ولم يعطه أحدا من بعده، وهو تسخير تعالى الرياح تطيعه فيما يأمرها به بأن تحمله ومن يشاء من جنوده إلى حيث قصد أن تذهب به وبهم، فيكون سيرها بهم إلى حيث يشاء لينة طيعة، وأنه منه تسخير تعالى الشياطين تطيعه فيما يأمرهم به، فكان منه عليه السلام أن جعل منهم من يبنى له ما شاء من الصروح والمحاريب، ومن يغوص في البحر فيأتي له بالؤلؤ والمرجان، كما مكنه تعالى من مردتهم فقيدهم بالقيود والأصفاد ليعملوا له الشاق من الأعمال غير قادين على الهرب.

ثم يذكر تعالى أنه خاطب سليمان - والراجح أن ذلك كان وحيا أو بواسطة ملك - فأخبره أن ما تمتع به سليمان من القوة هو عطاء الله له، وأنه تعالى خوله أن يمن أو أن يمسك عن المن، وفيه قيل إنه تعالى قد أعطى سليمان قوة غير عادية على الجماع، وأن معنى القول هو تخويله حق الاختيار بين أن يجامع وينزل المنى وبين ألا ينزل منيه في نسائه.

والذى نراه - والله أعلم - غير هذا، وهو أنه تعالى خيره بين أن يمن على عبده من الإنس والجن بالإعتاق وبين ألا يفعل هذا، يكون هذا منه دون محاسبة من الله تعالى عليه على اختياره أحد الأمرين دون الآخر.

ثم إنه تعالى بين حال سليمان عليه السلام ومرتبته عنده، فبين أنه له عنده تعالى قرب المكانة والمنزلة، وأن له فى الآخرة حسن الرجوع، وهو الجنة .

وَأَذْكُرُ

عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۖ ﴿٤١﴾
 أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۖ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ
 وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لَأُولَى الْأَلْبَابِ ۖ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ
 ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ
 أَوَّابٌ ۖ ﴿٤٤﴾

التفسير:

يأمر تعالى - فى الآيات - رسوله ﷺ أن يذكر لقومه قصة أيوب عليه السلام، ثم يذكر منها تعالى مناداته عليه السلام ربه مخبراً عن حاله فذكر أن الشيطان قد أصابه بما أرهقه وأتعبه وكان سبباً لعذابه.

وفى القول نسب أيوب ما أصابه إلى الشيطان، وهو من قبيل الأدب فى مخاطبة الله، وقد يكون مراده أنه عوتب على ذنب أطاع فيه وسوسة الشيطان، ويكون فى ذكر ما ناله من التعب والعذاب إشارة إلى ما أصابه من ألم نفسه بسبب فقد الولد والمال وما أصابه من ألم بسبب

المرض.

ويلاحظ في القول أن أيوب لم يسأل الله شيئاً بصريح القول لعلمه أنه تعالى يعلم ما في نفسه.

ثم يذكر تعالى أنه قال لأيوب اركض برجلك، وهو أمر بأن يضرب عليه السلام الأرض برجله، ويبين من القول أن أيوب عليه السلام فعل هذا وأنه خرج من الأرض ينبوع من الماء بارد يغتسل منه أيوب عليه السلام ويشرب.

وفي القول تعليم منه تعالى للناس إلى وجوب اتخاذ الأسباب توصلاً إلى تحقيق النتائج، ومنها الاستشفاء بالدواء، لأنه تعالى كان قادراً على أن يرى أيوب عليه السلام من علله دون استعمال الماء لكنه اضطره إلى استخدام الماء ليتعلم الناس أن يأخذوا بالأسباب مع التوكل على الله.

ثم يذكر تعالى أنه من بعد شفائه أيوب وهب له أهله الذين فقدهم بالموت، وقيل إنه تعالى أعادهم إلى الحياة، وإنه رزقهم الذرية فكانه تعالى وهب مثل عددهم معهم. وبين أن ذلك كان رحمة منه تعالى بأيوب، وأن فيه عبرة يعتبر بها أولوا الألباب فيعلمون أن الصبر على المكاره وعدم التبرم بقضاء الله مع التوكل عليه واللجوء إليه بالسؤال مع التذرع بالطاعات، وسيلة رفع الضرر عن المبتلين.

كما يذكر تعالى أنه أمر أيوب عليه السلام أن يأخذ ضغثاً، وهو حزمة من عيدان حطب قيل إنها مائة عود، وأمره أن يضرب بها.

وقيل إنه عليه السلام كان قد حلف على أن يضرب زوجته مائة ضربة لخطأ وقع منها، قيل إنه كان اتفاقاً مع الشيطان الذي ظهر لها في مظهر طيب مداو، أعطاه دواء لأيوب، على أن تقول أو أن يقول أيوب بعد شفائه إنه هو الذي شفاه.

وقيل إنه كان قصها شعرها ويبيعه دون إذن منه عليه السلام. ومعنى القول هو أن يأخذ حزمة الحطب المكونة من مائة عود، يضرب بها زوجته ضربة واحدة، فتكون بمثابة مائة ضربة

بعود واحد، فلا يكون قد حث بيمينه .

ثم إنه تعالى يثنى على أيوب عليه السلام، فيذكر أنه تعالى وجده صابراً، كما يمدحه بأنه نعم العبد، ويصفه بأنه أواب، يرجع إلى الله دائماً إن أخطأ أو لم يخطئ .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي
وَالْأَبْصَارِ ٤٥ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمْ
عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ٤٧

التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يذكر لأهل مكة قصص إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. وصفهم تعالى بأنهم عباد، والمعنى أنهم عباد المخلصون، كما وصفهم بأنهم أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ، بمعنى أنهم الذين أوتوا القوة في الدين وفي العقيدة بما آتاهم الله من النعم ومنها النبوة والمكانة العالية فكان منهم إرشاد الناس إلى الصواب، وأنهم أوتوا البصائر، والمراد هو الحكمة، بمعنى ترتيب النتائج على المقدمات، أي إنهم كانوا يخلصون إلى وجه الحقيقة في كل أمر بما آتاهم الله من حسن النظر في الأمور.

ثم يذكر تعالى أنه أخلصهم إليه فجعلهم من عباد المخلصين وبين وسيلة ذلك وهي تذكيرهم الدار الآخرة وما يكون فيها من الحساب، فكان عزوفهم عن متع الحياة الدنيا، وسعيهم إلى كسب الآخرة، فأخلصوا لله دينهم وكانوا من عباد المخلصين.

كما يثبت تعالى أنهم عنده من الذين اصطفاهم من بنى آدم للنبوة، وأنه اصطفاهم لهذا لكونهم - في أنفسهم من الأخيار، فهو تعالى لا يصطفى للنبوة إلا خير خلقه من بنى آدم .

وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يذكر لقومه قصص إسماعيل واليسع وذى الكفل - وقد سبق بيانهم - ثم وصفهم تعالى بأنهم من الأخيار. وهذا معلوم لأنه تعالى لا يصطفى للنبوّة إلا خير خلقه من الإنس .

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾
جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا
بَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْأَطْرَافِ أَرْزَابٌ ﴿٥٢﴾

أولاً: الأسماء:

الأتراب: جمع، مفردة «الترب» وهو الواحد من ضلوع الصدر. والمراد بها - فى معنى الآية - المتماثلات فى كل شىء، يدخل فى ذلك السن، والحسن.

ثانياً: التفسير:

يشير تعالى إلى ما سبق بيانه من قصص الأنبياء وما ورد بشأنهم فى القرآن العظيم، ويخبر عنه بأنه ذكر، والمعنى أنه شرف لهم وتعظيم لشأنهم.

ثم بين تعالى أن تشريفه إياهم هو من قبيل إحسانه للمتقين ومنه إحسانه لهم فى الآخرة بحسن المصير والمآل بأن تكون لهم الجنة.

ثم بين تعالى ماهية حسن المال بيان أنه جنات عدن التي وعد المتقون تكون أبوابها مفتحة لهم، حتى لكانه مقرر سلفاً أنهم يدخلونها بغير حساب.

يكون حالهم فيها أنهم يجلسون متكئين على السرر يتمتعون فيها بالفاكهة الكثيرة والشراب وفي ذكر الفاكهة، وهي مما يلتذ بتناوله إشارة إلى أنهم لا يأكلون في الجنة لحاجة أجسادهم للطعام، وإنما يأكلون للتلذذ بالطعام، والشراب.

ثم يذكر تعالى أنه يكون لهم في الجنة زوجات حسان متماثلات في الشباب يقصرن أنظارهن على أزواجهن في الجنة لا يصرفونها إلى غيرهم.

ثم إنه تعالى أطعم الناس في نيل ما ذكر من النعم التي تكون للمتقين، فأخبر عن أن ما ذكر من النعم هو ما وعد به المؤمنين أنه يكون لهم يوم القيامة.

ثم أخبر عنه بأنه رزقه الذي رزق المؤمنين المتقين ووصفه بأنه لا يتفد، والمعنى أنهم يخلدون في النعيم، وأن نعمه لهم لا تنقطع عنهم في الجنة.

هَذَا

مَا تَوْعَدُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا الرِّزْقَ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾
هَذَا أَوْ أَنَّ اللَّطِغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ بِهِمْ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾
هَذَا أَفَلَيْدُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مَنْ شَكَّلَهُ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾

أولاً: الأسماء:

١- الحميم: في قوله تعالى «حميم وغساق» هو الماء الحار.

٢- الغساق: هو صديد أهل النار.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - انتقال إلى بيان مصير الكافرين المكذبين، وصفهم تعالى بأنهم الطاغون، لأنهم طغوا بكفرهم واستكبروا على ما دعاهم إليه رسلهم من الإيمان.

بدأ القول بالإشارة إلى ما ذكر تعالى عما يكون للمتقين، والخبر عنه محذوف وتقديره أنه حق. ثم كان الانتقال إلى الإخبار عن حال الكافرين فبين أن مصيرهم هو شر المصير، بينه بأنه جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، ووصفها بالذم فيها بأنها شر مكان يتخذ مهذا .

ثم أشار تعالى إلى وجود الكافرين فى جهنم وأخبر أنهم يجبرون على تذوق العذاب حميماً وغساقاً - على ما يبين من فعل الأمر «فليذوقوه» فهم يجبرون على شرب الماء الحار وعلى شرب ما سيل منهم من الصديد، كما يذكر تعالى أنه يكون لهم عذاب آخر له ذات صفات شرب الماء الحار والصديد يكون أجناساً متماثلة ومتضادة. وفى إيهام هذا العذاب مزيد من الترويع منه. ليكون فى ذلك تحذير من الكفر والعصيان .

هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَاءَ لَهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا
بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَاءَ لَكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مُمِئْتُمْ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا
مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾

التفسير :

القول - فى الآيات - هو فيما يكون من بعد دخول بعض الكافرين النار. يذكر تعالى أن الملائكة تقول للذين دخلوا النار قبل غيرهم، ويتصور فيهم أنهم رؤساء الكفر «هذا فوج مقتحم معكم» والمعنى هو أنه يلقى فى النار معكم فريق من الكافرين أهل النار يقتحمونها عليكم ليقاسوا ما تقاسون فيها من العذاب.

، فيكون قول الرؤساء المتبوعين هو «لا مرحبا بهم» ثم إن الملائكة تبين جدارة الداخلين النار بالدعاء عليهم بقولهم «إنهم صالوا النار» بمعنى أنهم استحقوا أن يعذبوا بدخول النار.

ثم يذكر تعالى أن الأتباع الذين جئ بهم ليلقوا في النار يقولون للمتبعين رؤساء الكفر الموجودين فيها «بل أنتم لا مرحبا بكم» ثم يبينون لهم سبب الدعاء عليهم بهذا بيان أنهم الذين أغروهم على الكفر وزينوه لهم، وأن هذا هو ما يستحقون به أن يكون لهم سوء القرار. وأنهم يضيفون إلى هذا سؤالهم الله أن يزيد في عذاب رؤساء الكفر فيكون عذابهم في النار ضعف عذابهم، وذلك لأنهم الذين أضلوهم، فيكون تعذيبهم بإضلالهم وبضلалهم.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَارٍ
رِجَالًا كَنَاعِدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ١٤ اتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرًا أَمْ زَاغَتْ
عَنَهُمُ الْأَبْصَارُ ١٥ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ ١٦

التفسير:

يذكر تعالى - في الآيات - ما يفيد أن أهل النار يقولون فيها ما يفيد تعجبهم من عدم رؤيتهم أناسا كانوا يرون فيهم أنهم أشرار.

والمعنى أنهم لا يرون معهم في النار ضعفاء المؤمنين وفقراءهم الذين كانوا يحسبون في دنياهم أن الله تعالى لم يمن عليهم بالقوة والمال لأنهم أشرار يكون مصيرهم في الآخرة دخول النار.

ثم يكون منهم تبريرهم لأنفسهم عدم مشاهدتهم معهم في النار بذكر سببين لهذا، أولهما أن يكون قد وقع منهم خطأ في حق هؤلاء إذ سخروا منهم بغير موجب للسخرية .

والثانى هو أن تكون أبصارهم قد زاغت عنهم فلم يشاهدوهم مع وجودهم معهم فى النار.

ثم يشير تعالى إلى جميع ما ذكر من وقوع التخاصم بين المتبوعين والتابعين من أهل النار، ومن قولهم فيمن كانوا يحترقونهم ويسخرون منهم فى الدنيا هو حق والمعنى أنه يقع كما أخبر عنه تعالى .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا
مُنذِرٌ وَمَا مِنِّى إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٦٥ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا يَنبَغِيهِمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٦٦ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ٦٧ أَنْتُمْ عَنْهُ
مَعْرِضُونَ ٦٨ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٦٩
يُوحَى إِلَىَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٧٠

التفسير:

بدأ قوله تعالى - فى الآيات - بمخاطبة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لكفار مكة أنه ليس سوى منذر بالقرآن العظيم، فيكون قوله رداً على اتهمائه صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر وبأن القرآن العظيم هو سحر، ثم بأن يقول لهم فى إيجاز إن دعوته هى دعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده «وما من إله إلا الله» ووصف الله بأنه الواحد القهار، هو بيان لفساد عقيدة الشرك التى عليها كفار مكة ببيان أنه ليس من إله آخر غيره الواحد.

ووصفه تعالى بأنه القهار، هو إثبات لقدرته تعالى على الكافرين بنصر رسوله عليهم ويهلكهم بكفرهم .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام يصف ربه للكافرين بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما وأنه العزيز الغفار، ليسين لهم أنه مالك أمر كل ما في السماوات والأرض وما بينهما والمتصرف في أحوالهم وهم من هؤلاء الذين يملك التصرف في أمورهم بحكم قدرته وعزته، كما أنه الغفار، يغفر ذنوب الذين يتوبون عن الكفر وعن الذنوب، فيكون القول إطماعاً للكافرين في مغفرة الذنوب بالإيمان بالله وطرح الكفر والتكذيب .

كما يأمر تعالى رسوله أن يقول للكافرين إن ما أخبرهم به من أنه منذر بالقرآن وأن عقيدته التي دعا إليها هي عقيدة التوحيد هو نبأ عظيم الفائدة، تكون لمن يؤمن له، ثم أخبرهم بأنهم يحرمون أنفسهم من هذه الفائدة بإعراضهم عن تصديقه فيما أخبرهم به وعن الإيمان بالتوحيد الذي دعاهم إليه .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام يدلل لهم على صدقه فيما ذكره لهم من أنه منذر بالقرآن وأنه رسول من رب العالمين بإعلامهم أنه لم يعلم بما أخبرهم به عن وقوع الاختصاص في الملائكة الأعلى بين الملائكة وبين إبليس في أمر تنفيذ أمر الله تعالى بالسجود لآدم إلا عن طريق الوحي، إذ لم يقرأ ذلك في كتاب ولم يخبره به أحد من أهل الكتاب .

ثم إنه ﷺ يؤكد لهم أنه في كل ما يقول في أمر الدين يقول بما يوحى إليه من ربه، وأن مفاد ما يوحى إليه به من ربه هو أنه نذير يوضح الدين ويوضح جزاء المؤمنين وبين عذاب المكذبين فهو نذير مبين .

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۖ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۖ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ أَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ ﴿٧٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو ذكر لقصة اختصام الملائكة الأعلى الذى ذكر رسول الله ﷺ لأهل مكة أنه لم يعلم من أمرها شيئاً إلا ما علمه ربه بطريق الوحي، والمراد هو أن طريق علمه بها كان هو القرآن العظيم .

والقصة تبدأ - كما ورد فى الآيات - بإخباره تعالى الملائكة أنه سيخلق فى الأرض بشراً من طين، بمعنى أن يجعل مادة خلقه أو خلق أول جنسه من الطين . وطلبه منهم أن يكون بعد تسوية صورته فى الهيئة البشرية أو الإنسانية، ونفخ الروح فيه أن يخرؤاله ساجدين .

والمراد هو سجودهم لقدرة الله على خلقه على النحو الذى بينه وأنه كان بعد خلقه تعالى آدم على النحو الذى ذكره أن سجد الملائكة جميعهم دون أن يتخلف عنهم أحد مطيعين أمره تعالى .

ثم جاء استثناء إبليس من عداد الساجدين - وكان من الجن معدوداً فى زمرة الملائكة - ذكر تعالى أنه استكبر على السجود لآدم وعلى أمر ربه بالسجود، وعلّة ذلك أنه كان من الكافرين، فيكون المراد بهذا أنه كان مقدراً فى علمه تعالى أنه يكون من الكافرين، فكان عصيان أمر ربه هو أول ما ظهر به كفره .

قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ

لِمَا خَلَقْتُ بِيدِي أَتُكَبِّرُتُمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ
مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا فَإِنَّكَ
رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فيما كان منه تعالى من إبليس حين عصى أمرربه وفى رد إبليس اللعين عليه تعالى .

يذكر تعالى أنه أنكر على إبليس عصيانه الأمر بالسجود لآدم ووبخه على ذلك بسؤاله عما منعه من السجود لآدم وصفه تعالى بأنه ما خلق يديه تدليلاً على أنه تعالى شرف آدم بهذا ورفع قدره .

ثم إنه تعالى ذكر لإبليس سببين ليقول أيهما كان دافعه إلى عدم السجود، أولهما هو استكبار اللعين على آدم اعتقاداً منه أنه يفضلته مرتبة ومكانة، أو استكباره على أمرربه لما يعتقده من أفضليته على آدم.

والثانى هو كونه من العالين، ويتصور فيه أن يكون من العالين من الملائكة الذين لم يصدر إليهم الأمر بالسجود.

أو أنه هو استحقاقه العلو بالفعل ثم إنه لما كان معلوماً أنه ليس من العالين فإنه يكون واضحاً أنه استكبر على أمرربه وعلى ما خلق يديه .

ثم يذكر تعالى أن إبليس أجاب الله تعالى بقوله إنه خير من آدم، وعلل ذلك بأنه تعالى خلقه من نار وخلق آدم من طين، وأنه يرى أن النار أشرف من الطين فيكون هو بالتالى أعلى قدراً من آدم بما لا يستقيم معه السجود لآدم.

وفى الرد وقاحة لأن اللعين تجرأ على ربه فناقشه فى أمر جرت به حكمته، وكانت مناقشته على أساس من علمه المحدود لمن وسع علمه كل شىء .

ويذكر تعالى أنه كان منه تعالى أنه طرد إبليس من الجنة إذ أمره بالخروج منها كما أخبره أنه رجيم، بمعنى أنه مطرود وبأنه ذليل.

كما أخبره بأنه ملعون منه تعالى إلى يوم الدين؛ مطرود من رحمته، تلغنه الملائكة والمؤمنون من الإنس والجن .

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي
 إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ
 الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
 الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ
 وَمَنْ يُبْعَثُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

التفسير:

القول - فى الآيات - هو فى بيان باقى ما دار من حوار بينه تعالى وبين إبليس فى شأن امتناع إبليس عن السجود لآدم.

فيذكر تعالى أنه بعد أن أعلن إبليس بطرده من رحمته إلى يوم الدين، قال له إبليس «رب فأَنْظِرْنِي إلى يوم يُبْعَثُونَ» والمعنى أنه طلب من ربه أن يمهله إلى يوم يبعث الناس للحساب يوم الدين، فيحييه ولا يميته، لتكون له فرصة يتاح له فيها إغواء ذرية آدم بالفساد ليدلّل بهذا على عدم استحقاق أيهم آدم التكريم الذى كرمه الله به.

ثم يذكر تعالى أنه أمهل إبليس إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم النفخة الأولى وليس يوم البعث الذى طلبه إبليس، فيكون المعنى أن إبليس يموت مع من يكون حيا من الخلق ويموت عند النفخة الأولى.

ويذكر تعالى إن إبليس أقسم بعزة الله أن يغوى أبناء آدم أجمعين، ثم استثنى منهم عباد الله المخلصين. الذين أخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الغواية، وأنه تعالى قال له إن القول الحق، وإن المعلوم أن كل قوله حق، هو أنه يكون منه تعالى أن يملأ جهنم من إبليس وقبيله الكافرين ومن اتبعه من الناس، يملأ بهم جميعا جهنم جزاء لهم على عصيانه تعالى.

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّهُ هُوَ الْاَذْكُرُّ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمَنَّ بَنَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

التفسير:

يأمر تعالى - في الآيات - رسوله ﷺ أن يقول للكافرين - إثباتا لصدقه - إنه لم يسألهم على القرآن العظيم الذي أبلغهم به وأنذرهم شيئا من أجر الحياة الدنيا، كما أنه لم يعرف عنه أنه من المتكلفين الذين يتحلون بصفات ليست من صفاتهم.

فيكون هذا دليلا على أنه لم يدع النبوة كذبا، وأن يقول لهم إن حقيقة القرآن العظيم الذي ينذرهم به هو أنه ذكر للعالمين فهو يذكركم بما ينفعهم وهو الذي به وبالإيمان به يرتفع شأنهم ويتشرفون.

ثم يكون منه توعدهم بالعذاب لدى الإصرار على الكفر به. بما يفيد به قوله «ولتعلمن بناه بعد حين».

والمعنى أنهم سيعلمون صحة ما جاء به من وعد ووعيد في وقت إثابة المؤمنين وتعذيب المكذبين، يدخل في هذا عذاب الكافرين في الدنيا وعذابهم في الآخرة.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو خبر لمبتدأ محذوف بقديره هو «هذا القرآن» أو «هذه السورة»
فيكون المعنى هو أن هذا القرآن هو تنزيل من الله العزيز الحكيم، ويكون فى وصفه تعالى ذاته
بأنه العزيز إشارة إلى نصره تعالى دينه وكتابه، وفى وصفه تعالى ذاته بأنه الحكيم إشارة إلى
عظم ما تضمن القرآن العظيم من الأحكام التى استوجبتها حكمته .

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ١ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٢ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ٣

التفسير:

يخاطب تعالى رسوله ﷺ والمراد بالقول هو إعلام المؤمنين بمضمون المخبر به في القول، وهو أنه تعالى أنزل إلى رسوله ﷺ القرآن العظيم بالحق، فهو منزل من الحق ونزل بقول الحق وبالقول الحق .

ثم أتبع تعالى هذا بأمره الرسول والمؤمنين بعبادة الله مخلصين له الدين، بمعنى أن يخلصوا الدين في عبادتهم فلا يعبدون عن مراءاة ولا ابتغاء مصلحة، وإنما يستهدفون وجه الحق سبحانه وتعالى.

ثم يذكر تعالى أن له الدين الخالص، والمعنى هو أن الدين الذي أمر الناس أن يكونوا عليه هو الدين الصحيح المبرأ من كل شائبة باطلة. ثم إنه لما كانت الشوائب التي تشوب الدين الحق القائم على التوحيد هي شوائب الشرك فإنه تعالى بين أن من هذه الشوائب اتخاذ المشركين معبودات لهم، وتبريرهم فعلهم هذا بأن المعبودات يتولون أمورهم وجلب المنافع لهم ودفع الضر عنهم وذلك بالتشفع لهم لدى الله وتقريبهم منه .

ثم بين تعالى فساد عقيدة المشركين القائلين بهذا بيان أنه تعالى يفصل بينهم وبين المؤمنين الموحدين بالله تعالى بحكمه فيهم يوم القيامة بالشواب والعقاب، فيعلم المشركون أنهم كانوا على الضلال .

ثم بين تعالى أن الذين يصرون على الشرك لا يهديهم الله إلى طريق الإيمان، لأنهم جبلوا على الكذب والتكذيب، به كان كفرهم، وباختيارهم الكفر استحقوا ألا يكونوا من المهتدين .

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ^ج
سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^ح

التفسير:

القول فى الآية هو فى القائلين إنه تعالى اتخذ ولدا، يدخل فى هذا القائلون إن الملائكة بنات الله، والقائلون إن المسيح عليه السلام ابن الله.

ويبين من أداة الشرط «لو» امتناع إرادته تعالى أن يتخذ ولدا، وامتناع جواب الشرط بالتالى وهو اتخاذه الولد.

كما يبين منه أنه لو تحقق المستحيل وكانت إرادته تعالى قد اتجهت إلى اتخاذ الولد لكان قد تحقق ذلك بطريق اصطفاائه من خلقه من يشاء يقربهم منه ليكونوا بمنزلة الولد، وبالتالى فإنه لا يكون له ولد على الحقيقة، وإنما الكائن والمقدور هو أنه تعالى يصطفى ممن يشاء من يقربهم منه دون أن يكون قد أراد أن يجعلهم أولادا له ودون أن يكونوا كذلك .

ثم كان منه تعالى تنزيه ذاته عن قول المشركين بهذا وإثباته وحدانيته التى من مقتضاها نفى المماثلة ونفى أن يكون له ولد بالتالى، لأن الابن يماثل أباه، وإثباته أنه القهار الذى يقهر من يخرج عن دينه وعن طاعته ومن يشرك به.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝

التفسير:

يذكر تعالى من دلائل وحدانيته وقدرته خلقه السماوات والأرض بالحق، بيانا لما فى

خلقهما من تحقيق المصالح، وتكويره الليل على النهار والنهار على الليل، وقد سبق تفصيل هذا من الناحية العلمية وبيان علاقته بكروية الأرض ودورانها حول محورها، ويذكر منها أيضا تسخير الشمس والقمر وجريان كل منهما لأجل مسمى - وقد سبق شرح ذلك بالتفصيل من الناحية العلمية - ثم أتبع هذا ببيان أنه العزيز الغفار، تهديدا للمشركين بتعذيبهم بحكم كونه العزيز الغالب على أمره وحثا لهم على الإيمان والتوحيد ببيان أنه يغفر لهم شركهم إذا ما تابوا عن الشرك وآمنوا بالله ووحده .

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ
يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ①

التفسير:

الخطاب - في الآية - للناس جميعا، والقول هو في بيان آية أخرى من آيات قدرته تعالى ووحدانيته، فيقول تعالى للناس أنه خلقهم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، خلق حواء وزوجه من جسده ثم كان منهما الناس ذرية لهما، وأنزل لهم من الأنعام ثمانية أزواج، بمعنى أنه تعالى كان قد قدر في اللوح المحفوظ أن الأنعام تكون ثمانية أزواج من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين، كان تحقق ما ورد في اللوح المحفوظ في هذا على الأرض إنزالا لما قدر تعالى في السماء إلى الأرض فكان القول «وأُنزل لكم».

كما ذكر تعالى أنه يخلق الناس في بطون أمهاتهم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث.

وهو ما يكون من أمر الناس إذ يكونون نقطة فعلاقة فمضغة فعظاما عارية ثم مكسوة لحما، يكون ذلك في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة...

ثم يشير تعالى إلى ذاته مخبرا أنه رب الناس، والمراد هو إثبات أن صاحب هذه القدرة العظيمة هو الله رب الناس، ثم يصف تعالى ذاته بأنه الذي له الملك، والمعنى أنه مالك كل شيء في الدنيا والآخرة.

ثم يوحد ذاته «لا إله إلا هو» ليوحده الناس وقد عاينوا الدليل على وحدانيته. ثم يجيء قوله تعالى للمشركين «فأنى تصرفون» إنكارا للمنصرفين عن عبادته وللمشركين به عليهم أفعالهم ببيان أنه ليس من موجب يدعو إلى الإشراك به وعدم توحيده.

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى الناس جميعا فمن بعد ذكره تعالى الأدلة التي تثبت قدرته على كل شيء والتي تثبت وحدانيته بما يوجب على الناس خضوعه تعالى بالتوحيد والعبادة، جاء منه القول للناس مبينا لهم أنه تعالى في غنى عن إيمانهم به وعن عبادته، فقال لهم إنهم إذا كفروا به فإن كفرهم لا يضره شيئا لكونه في غنى عن عبادتهم.

ثم بين تعالى أن الكفر إنما يضر الكافر وحده؛ ولهذا فإنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر، لأنه لا يجب لهم ما يضرهم. وأنه إذا كان منهم الإيمان بالله وشكره على أنعمه، فإنه يرضى

لهم هذا الشكر وقبله، فيكون القبول والرضاء به سببا لإثابة الشاكرين، فتكون المصلحة عائدة على الشاكرين وليس عليه تعالى.

ثم إنه تعالى أثبت مبدأ شخصية العقوبة ومسئولية كل شخص عما يصدر منه من عمل بذكره أن نفسا خاطئة لا تحمل من إثم نفس خاطئة أخرى شيئا من الذنب يخفف به عنها العذاب.

ثم يجيء قوله تعالى «ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون» إنه عليم بذات الصدور» إنذارا للكافرين الذين لم يؤمنوا بالله ويوحده بعد ما ذكر تعالى من الأدلة على وحدانيته بالعذاب على ما كان منهم في الدنيا، فالإله تعالى يكون مرجعهم في الآخرة للحساب كما يكون الأمر مع الناس جميعا، ثم يكون الحساب والجزاء بالثواب والعقاب سبيلا يعلم به كل شخص حقيقة ما كان منه من العقيدة ومن العمل، جاء بيان أن الجزاء يكون على العمل لظهوره في دنيا الواقع.

وجاء بيان أنه يكون على العقيدة وعلى الدافع على العمل، يكون به الحساب، ببيان علمه تعالى بذات الصدور، وهو ما انطوت عليه ولم يظهر من الأفعال ما يدل عليه.

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا

رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ
مِّن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّلضَّلِّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا
إِنَّكَ مِّنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في جنس الإنسان، وهو في ذكر حال أغلبهم أو الكثرة منهم،

نسب فعلهم إلى الجنس كله، باعتبار ما سبق بيانه من استثناء عباد الله المخلصين من قببح الأعمال.

والمذكور في الآية من أفعال الناس هو أنه إذا ما أصاب الضر أحدهم في صحة أو ولد أو مال أو شيء يتيقن في ذاته أنه ليس إلا الله من يقدر على رفع الضر عنه، فيكون التجاؤء إليه والرجوع إليه.

وأنه إذا ما رفع تعالى الضر عن المضرور وأنعم عليه بنعمه، فإنه يكون منه نسيان التجاؤء إلى الله من قبل والرجوع إليه، ويكون منه الشرك بالله أو العودة إلى الشرك بالله باتخاذ معبودات أخرى يساويهم برب العالمين في العبادة، ليكون بذلك علامة ضلال للناس تضلهم عن سبيل الله المستقيم وهو التوحيد.

ثم يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وكل فرد من المؤمنين أن يقول لمن يكون منه مثل هذا الفعل «تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار». والأمر بالفعل لا يعنى الطلب بالفعل، وإنما هو تهديد للكافر بإعلامه أنه يتمتع بكفره زمنا قصيرا هو - على أقصى تقدير - مدة حياته في الدنيا، وأنه يكون له بعد هذا الخلود في النار في الآخرة، التي هو من أصحابها، بمعنى أنه وجد ليكون من ساكنيها الذين أعدت لهم لتكون لهم مهذا وقرارا.

أَمَّنْ هُوَ قَائِلٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا
يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا الْأَلْبَابِ ①

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في بيان انعدام المساواة بين المؤمن بالله، العامل بالطاعات وبين الكافر بالله والمشرك، جاء بيان انعدام المساواة بينهم دون بيان ماهية الشيء الذي لا

تكون فيه لكون ذلك من المعلوم، ولسبق الإفصاح عنه.

وجاء ذكره تعالى المؤمن العامل بالطاعات بأنه القانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، بمعنى أنه القائم على الطاعات والمداوم على العبادات، وجاء خص الليل بوقوع القنوت فيه لأنه وقت الراحة.

فيكون من قام فيه على الطاعات وداوم على العبادات غير مقصر في فعل هذا بالنهار. وحاله المذكورة في النص هي السجود والقيام.

فيكون المعنى أن من قنوته الصلاة، وتلاوة القرآن والسجود أثناء التلاوة في مواضع السجود. ثم إنه تعالى يبين دوافع المؤمن وما انطوى عليه صدره مما كان دافعا له على القنوت والخشوع لله.

فيذكر أنه الحذر من الآخرة ورجاء رحمة به، فهو يؤمن بالآخرة ويخشى أن يكون منه نقصير في حق ربه تعالى يحاسب به ويعاقب في الآخرة، وهو يرجو رحمة ربه فيعمل على أن يكون ممن يدخلهم الله في رحمته، وذلك بالمداومة على عمل الطاعات.

ولم يذكر النص المقابل لهذا المؤمن والضد له وهو الكافر العامل بالمعاصي، اكتفاء بما سيجيء ذكره من إخبار عن الذين لا يعلمون، وهم الذين تنعدم المساواة بينهم وبين المؤمنين.

ويبين من نفيه تعالى المساواة بين الذين يعلمون وبين الذين لا يعلمون، أن القانتين آناء الليل ساجدين وقائمين هم الذين يعلمون، وأن الكافرين العصاة هم الذين لا يعلمون.

فيكون المراد بالعلم هو العلم بوحديته تعالى واستحقاقه العبادة والشكر، والعمل بموجب هذا العلم. ويكون عدم العلم هو الجهل بحقيقة الحق تعالى ووحديته أو تجاهل هذا وعدم العمل بموجباته.

ثم إنه تعالى بين أن الذين يسمعون ما قال تعالى في شأن توحيده ويفيدون من هذا هم

أصحاب العقول التي تسمع القول فتدبره ويكون منها الإيمان والعمل بموجباته، دون الذين أغلقت عقولهم فشابهوا الأنعام فهم لا يعقلون .

قُلْ يُعْبَادِ
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ
اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ①

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، يأمره تعالى أن يأمر المؤمنين بالتقوى، يتقون الله بانقاء غضبه بتجنب ارتكاب المعاصي .

ثم يحييهم تعالى فيما أمرهم به ببيان أنه يكون لمن فعل حسنة في الدنيا حسنة الآخرة وهي الجنة. ثم إنه ﷺ يبين لهم أن لا حاجة لأحدهم في الانصراف عن الإيمان إلى الكفر، والانصراف عن الطاعة إلى المعصية، ببيان أنه إذا ما صعب على أحدهم عبادة الله في وطنه أو في موقعه من الأرض فإنه يكون مطالباً بالهجرة منها إلى حيث يمكنه عبادة الله، فهذا هو معنى أن أرض الله واسعة

وقوله تعالى «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» يتضمن معنى عاماً وهو أنه تعالى يكافئ الصابرين على صبرهم ثواباً يكون لهم بمثابة الأجر يكون وفيما احتسب إنه يكاد يكون غير قابل العد والحصر.

ويتضمن معنى خاصاً، هو أن الذين يصبرون في أوطانهم على أذى الكافرين مثابرين على الطاعة مستمسكين بالإيمان يوفون أجورهم على هذا ويجزل لهم في العطاء منه تعالى، يكون بغير حساب .

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ
 أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝
 قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ
 مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝

التفسير:

القول - فى الآيات - موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مجموعة من الأوامر
 ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقتدى به المسلمون فيما عدا ما اختص به عليه
 الصلاة والسلام دونهم .

فهو تعالى يأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول إنه أمر من ربه بعبادته مخلصاً له الدين،
 والمعنى هو أن يخلص فى العبادة عن إيمان، فلا تشوب عبادته شائبة من شرك ولا من رياء .
 وهو صلى الله عليه وسلم - فى هذا - قدوة للمسلمين .

ويأمره تعالى أن يقول إنه أمر أن يكون أول المسلمين، بمعنى أنه الذى يقدمهم فى الدنيا
 والآخرة، فهو صلى الله عليه وسلم الذى دعا إلى الإسلام بمعناه الخاص، فكان أول
 المسلمين بحكم أنه من أنزل عليه القرآن كتاب المسلمين، وبحكم كونه الداعى له، وهذه
 صفة خاصة به صلى الله عليه وسلم، لا يشاركه فيها أحد من المسلمين .

وهو تعالى يأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول إنه يخاف إن عصى ربه عذاب يوم عظيم،
 فهو لا يعصى بفعل أو قول ربه، وهو يخشى ربه وعذابه، ويخبر بهذا ليعلم المؤمنون أنهم
 الأجدر أن يخشوا ربهم .

فيكون صلى الله عليه وسلم قدوة للمسلمين فى هذا .

ثم إنه تعالى يأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول إنه يعبد الله مخلصاً له دينه. والقول إعلان منه يبين أن دينه هو الإسلام وأن يعبد الله عليه، وأنه لا قيمة للعبادة دون الإخلاص في الدين، بمعنى ألا تكون العبادة بقصد شيء من منفعة، وإنما تكون إحساساً بالدين وبموجباته، وعبادة لله ذاته وقصد ذاته.

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾
 لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ أَلَا ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ
 عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ ۚ فَاتَّقُوا ۚ ﴿١٦﴾

التفسير:

قوله تعالى «فاعبدوا ما شئتم من دونه» يتصور فيه أن يكون قوله تعالى، ويتصور فيه أن يكون من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين، وهو تهديد لهم بالعذاب إذا ما أصروا على الشرك بالله وعبادة غيره تعالى.

ثم يأمره تعالى أن يقول لهم إن الجديرين أن يدعوا خاسرين هم المشركون، وذلك لأنهم يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بإيرادهم أنفسهم وإيرادهم أهلهم وأتباعهم النار. ثم وصف تعالى هذا الخسران الذي يصيبهم بأنه هو الخسران المبين، والمعنى أنه هو الخسران الكبير الذي يكون ظاهراً لا يخفى.

وبعد أن بين تعالى — في إجمال — خسارة المشركين يوم القيامة، ذكر تعالى شيئاً من تفاصيل العذاب الذي هو من خسران المشركين فقال إنه يكون لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، فتكون النار فوقهم وتكون أسفل منهم.

ثم بين تعالى أن وصفه ما يكون عليه عذاب المشركين هو لتخويف عباده من أن يعرضوا أنفسهم لمثله، والظاهر من القول أن المراد بعباده هم المؤمنون؛ ولهذا جاء قوله تعالى «يا عباد فاتقون» أمر عباده المؤمنين بتقواه ليتجنبوا أن يكون لهم العذاب، والأمر كان حرصاً منه تعالى على صالح المؤمنين .

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا
وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَوْنَ ١٨

أولاً: الأسماء والأعلام :

الذين اجتنبوا الطاغوت : قيل إن المراد بهم - فى معنى الآيتين - هم الذين أنزل فيهم القول وهم : عمرو بن نفيل، وسلمان، وأبو ذر. وقيل هم عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد. وهم - بالمعنى العام - كل من تجنب عبادة غير الله .

ثانياً التفسير :

قوله تعالى أنزل فيمن لم يعبدوا ما عبد آباؤهم من أصنام فى الجاهلية قبل بعثة رسول الله ﷺ، فهم الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها، وهم الذين آمنوا لرسول الله ﷺ فأسلموا حين بعث صلى الله عليه وسلم بالقرآن :

يذكر تعالى أن لهم البشرى. والمعنى هو أن لهم البشرى بالجنة وحسن الثواب .

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يبشرهم بهذا، وصفهم تعالى بأنهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وقيل فى معنى هذا أنه إذا كان فى أمر ما وجهان أحدهما واجب والآخر مندوب إليه، يكون منهم اختيار الواجب، وإذا كان أمران أحدهما مباح والآخر مندوب إليه كان منهم اختيار المندوب إليه. والذى نراه غير هذا - والله أعلم - فهم الذين يسمعون فى كل أمر ما يقال فيه ثم يعملون عقولهم فيما يسمعون، ويكون اختيارهم على هدى من عقولهم. إذ كان من أمر هؤلاء الذين أنزل فيهم القول أنهم استمعوا إلى قول المشركين فى آلهتهم، وعرضوه على عقولهم فلم تقبله، فلم يشركوا بالله، فلما جاء رسول الله ﷺ بالقرآن العظيم، استمعوا إليه وعرضوه على عقولهم فقبلته عقولهم، فأمّنوا لرسول الله وبالقرآن. ثم إن هذا هو شأن الناس إلى اليوم يكون منهم من هو على ملة غير الإسلام، يقرأ كتابها ويعرضه على عقله، ثم يقرأ القرآن العظيم ويعرضه على عقله فيقبله فيعلن إسلامه: ولهذا قلنا إن القول هو فى جميع الناس إلى يوم القيامة.

ثم إنه يؤكد هذا قوله تعالى - من بعد - «أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب» فبين أن الله قد هدى هؤلاء وأمثالهم إلى الحق، وأنهم هم أصحاب العقول. فدل بهذا على أن المعنيين بالقول والذين هم يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم الذين يعرضون كل قول على عقولهم، ويتبعون ما قبله عقولهم، لا يتبعون غيرهم اتباع الأنعام راعيها.

أَمَّنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾

التفسير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو فى شأن أضداد الذين هداهم الله، وهم الذين حقت عليهم كلمة العذاب. يخاطب تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم فيقول له إن الذين حقت عليهم كلمة الله أن يكونوا فى ضلال، لن يهتدوا، وهم أصحاب النار. وفى النص جاء القول فى صيغة الاستفهام لتقرير المعنى. وأنكر على رسول الله أنه ينقذ الضالين، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتمنى لو آمن عمه أبو طالب وولده ومن

تخلف من عشرته عن الإيمان. فجاء القول يعلمه أنه لن يقد هؤلاء من النار. والمعنى أنهم لن يؤمنوا.

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ۝

التفسير:

جاءت «لكن» في بداية القول لبيان التناقض بين حال المذكورين بعدها وبين حال المذكورين قبلها، أو بين حال الذين اتقوا ربهم وحال الذين خسروا أنفسهم الذين بين القول أنه تكون لهم ظلل من النار من فوقهم ومن تحتهم، فذكر تعالى أنه يكون للمتقين غرف من فوقها غرف مبنية.

والمعنى أنها تكون درجات بعضها فوق بعض، وأنها معدة سلفاً لهم، فهي مبنية الآن وتبقى إلى أن تلقاهم، وتجرى من تحتها الأنهار لتتوفر للمتقين في الجنة المتع الروحية مع المتع المادية.

ثم بين تعالى أن هذا الذي ذكره هو وعده للمتقين الذي يتحقق بإذنه تعالى لأنه لا يخلف وعدا وعده.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبُوعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ
يَهْبِطُ فَتَرَاهُ مَصْفًى أَلَمْ يَجْعَلْهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝

التفسير:

الخطاب - فى الآية - على ظاهره هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو فى حقيقته إلى جميع الناس، والمراد به أمران، أحدهما معنى قريب، وهو إثبات قدرته تعالى على فعل كل شئ، والثانى بعيد، هو إثباته تعالى أن الحياة الدنيا مهما ازدهرت وجملت وأينعت فهى إلى زوال.

والمعنى أنه تعالى الذى أنزل جميع الماء الذى فى الأرض فى مبتدأ الأمر من السماء، أو من جهة العلو- وقد سبق بيان أن بخار الماء كان يحيط بالكرة الأرضية منذ بدء انفصالها عن الشمس، ثم إنه لا يزال ماء المطر ينزل من جهة العلو- ثم بين تعالى أن ماء المطر ينفذ إلى باطن الأرض بقدرته تعالى التى تكون خزانات للمياه كبيرة وصغيرة، ثم يخرج الماء بعد ذلك من الأرض عيوناً وينابيع يكون بها وبالماء عموما خروج النبات من الأرض زرعاً مختلفة أنواعه وأصنافه تكون خضراء يانعة ثم تيبس ويصفرونها، ثم تتكسر من شدة ييوسها.

وبعد أن ذكر تعالى هذه الحقائق التى يعاينها الناس. والتى هى من دلائل قدرته العظيمة على فعل كل شئ، فإنه أثبت أن فى هذه الأمور المذكورة تذكيراً لأصحاب العقول على أنه تعالى وحده الله القادر المستحق للعبادة لا يشرك به.

أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى الفرق بين حال المتقين الذين أسلموا وحال الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، جاء قوله تعالى - فى الآية - بمثابة تعليل لما صار إليه حال كل فريق من الفريقين وإثبات لعدم المساواة بينهما، فبين تعالى أن المتقين هم الذين وسع الله صدورهم

فوسعت الإيمان دخلها، هداهم الله فاهتدوا بنور ما وسع به قلوبهم إلى الطريق الموصل للمراد وهو رضا الله وجنته، ووصفت تعالى الكافرين والمشركين بأنهم القاسية قلوبهم من ذكر الله، ضاقت صدورهم واشتدت فلم تسع الإيمان ولم تذكر الله ذكرا حسنا. توعدهم الله بالعذاب بقوله «فويل للقاسية قلوبهم» فأثبت - من جهة عدم المساواة بينهم وبين الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وأثبت - من جهة ثانية أنهم يعذبون بقسوة قلوبهم عن ذكر الله. ثم إنه تعالى أشار إليهم وأخبر عنهم أنهم في ضلال مبين، فدل على أن من لا يتخذ الإسلام ديناً من بعد ما بلغه من العلم يكون في ضلال مبين.

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَنْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ يُزِيلُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٢﴾

أولاً : الأسماء :

١- أحسن الحديث: هو أحسن الكلام، أو أفضل ما يسمع وما يتحدث به، وهو القرآن العظيم.

٢- المتشابه: في قوله تعالى «كتاباً متشابهاً» المراد به - في معنى الآية - أن بعضه يصدق بعضه، ويشابهه في الصدق والحكمة.

٣- المثنائي: في قوله تعالى «كتاباً متشابهاً مثنائي» هو المردد والمكرر، ويتصور أن يكون المراد به - في معنى الآية - أنه يتضمن الثناء على الله تعالى، وأنه يشي به على المتكلم به.

ثانياً: التفسير:

بعد أن أثنى تعالى على الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فإنه تعالى بين في الآية أن أحسن القول أو الحديث هو القرآن العظيم.

وأنه تعالى هو منزله، ثم وصفه تعالى بأنه متشابه، وأنه مثاني، بمعنى أن بعضه يشبه بعضاً في كمال إحكامه، وأن بعضه يصدق بعضه، وأنه تنبئ في القصص والأحكام، ثم ذكر تعالى أن من آثاره في نفوس الذين خلق تعالى في قلوبهم خشية أنه لدى تلاوتهم القرآن أو سماعهم تلاوته تقشعر جلودهم، بمعنى أنها تنقبض بشدة، وقيل إن هذا يكون عند تلاوة آيات الوعيد.

وقد يكون الصحيح أن هذه الحال لا ترتبط بتلاوة آيات الوعيد، فقد تصيب قارئ القرآن إذا ما تصور قوله تعالى في إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو بيني وإسماعيل بيت الله الحرام، ثم يسأل ربه قبول عمله «ربنا تقبل منا» فينظر إلى ضالة قدره بالقياس إلى أبي الأنبياء، وينظر إلى عمله الخفير بالقياس إلى بناء بيت الله، فيمتلئ قلبه بالخوف من عدم قبول عمله، فيقشعر جلده كما ذكر تعالى أنه يكون من بعد ذلك لين جلود هؤلاء وقلوبهم إلى ذكر الله.

وفيه قيل إنه يكون عند تلاوة آيات الرحمة، وقد يكون الصحيح أن لين الجلود والقلوب هو كناية عن اطمئنان النفس وهي في حضرة كلام الله يدخل القلوب فيكون بها أمنها.

ثم يشير تعالى إلى القرآن العظيم ويخبر عنه أنه هداة، به يهدي من يشاء إلى الطريق الموصلى إلى رضائه وإلى جته.

فأما من لم يشأ تعالى هدايته لسبب اختياره الضلال، فإنه يخلق فيه الضلال فيعرض عن القرآن العظيم موصداً قلبه دونه، فلا يكون له من هاد ينجيه من الضلال وتبعته.



أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَّجْهَهُ سَوْءَ
 الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾
 كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾
 فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخُزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
 يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

التفسير:

بدأ قوله تعالى - في الآيات - ببيان الفرق بين حال المهتدي وحال الضال يوم القيامة، وفيه قيل إن المراد بمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة هو الضال، لا يستطيع أن يتقى لفتح النار بيده لأنها تكون مغلوطة إلى عنقه، فيحاول ذلك بوجهه، وأن المعنى هو أن حاله يخالف حال المهتدي الذي لا يتعرض لمثل هذا العذاب. والذي نراه - والله أعلم - هو أن المراد بمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة، هو المهتدي الذي اتقى بالهدى تعرض وجهه للفتح نار جهنم، وأن المعنى هو أن حاله لا يماثل حال الضال الذي لم يتق أن يعذب يوم القيامة بالنار تفتح وجهه أشرف ما فيه وتفتح جسده كله. ثم يذكر تعالى أنه يقال للضالين حال تعذيبهم من خزنة النار - على سبيل التوبيخ - أن يذوقوا جزاء كفرهم، جاء التعبير عنه بأنه ما كانوا يكسبون من قبيل السخرية بهم والاستهزاء.

ثم إنه تعالى بين أن الضالين المكذبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. لم يكونوا بدعا في ذلك، وإنما سبقهم في التكذيب والضلال أقوام كانوا أمثالهم يذكر تعالى أنهم أتاهم عذاب الدنيا، بالقتل والأسر، أو بالإهلاك من جهة لم يدر يخلدهم أنه يأتي منها. بمعنى أنه كان عذابا بغتهم، فيكون القول وعيدا للمكذبين بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا

بإيقاع العذاب الدنيوى بهم. وصفه تعالى بأنه الخزى فى الحياة الدنيا لأنه يذلهم ويحقر من شأنهم، فبين أنهم يخون بعده فى الدنيا أذلاء صاغرين، فلا يكون العذاب بالإهلاك، ثم أخبر تعالى أن عذاب الآخرة المعد لهم أشد منه مع ديمومته، كما أخبر أن حالهم هو حال من لا يعلم هذا، أو أنهم لا يعلمون هذا بالفعل، وأنهم لو علموه ما كان منهم الإصرار على الكفر وتكذيب رسول الله ﷺ.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ قَوْلًا نَاعِرِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - فى بيان انعدام حجة المكذبين للإعراض عن القرآن العظيم والإيمان به، فيذكر تعالى أنه قرب معانيه للناس بطريق ضرب الأمثلة فى كل أمر من أموره سواء ما تعلق بالعقيدة أو الأحكام أو القصص أو المواعظ، وذلك لئى يكون من الناس فهمه وتدبره والعمل به.

ثم ذكر تعالى حال القرآن العظيم فبين أنه عربى، بمعنى أنه عربى اللفظ، أنزل على نبي من أمة العرب، وأنه يخلو من الخلل مهما ضؤل، وهذا أبلى فى التدليل على استقامته لفظاً ومعنى. كما بين تعالى علة ذلك فأوضح أنها أن يكون سبيل الناس لاتقاء غضب الله وعذابه..

ضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا لِّجُلَا فِي شُرَكَاءِ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - تطبيق لما سبق تقريره من ضربه تعالى في القرآن من كل مثل ليفهم الناس المعنى المراد إيصاله إليهم. فهو تعالى يضرب للمشرك بالله مثلاً بالعبد المملوك لعدد من السادة المختلفين فيما بينهم، فمثل لمعبودات المشرك المتعددة بالسادة المتعددين الذين يشتركون في ملكية عبد رجل واحد. ويضرب تعالى المثل للمؤمن الموحد بالله بالعبد الذي سلمت ملكيته وخلصت لسيد واحد هو ماله. فيكون المراد إيصاله من المعنى هو تردد المشرك بالله وحيرته حيرة العبد الذي تعدد مالكوه فلا يملك إرضاءهم جميعاً، وهدوء نفس الموحد بالله الذي خلصت ملكيته لله تعالى.

وجاء قوله تعالى «هل يستويان مثلاً» إنكاراً لاستواء الاثنين وتماثل حالهما واستبعاداً للقول بالمساواة بينهما. ثم جاء قوله تعالى «الحمد لله» للإعلام باستحقاقه تعالى أن يحمده من قبل الموحدين على ما أنعم به عليهم من هدى إلى عقيدة التوحيد، وعلى إقامته الحجة على المشركين بفساد عقيدة الشرك، بطريق المثل المضروب.

ثم أثبت تعالى أن المشركين ليسوا من أهل العلم ولذلك فإنهم جهلوا انعدام المساواة بينهم وبين الموحدين بالله، أو إنهم لم يعلموا الحق فأشركوا بالله.

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمَيِّتُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْلَا نُفُوذُ يَوْمِ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكَ تَخْضَعُونَ ﴿٢١﴾

التفسير:

الخطاب - في الآيتين - موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتصور في معناه أن يكون لجميع المؤمنين. والمعنى المباشر له هو أن مصير رسول الله ﷺ في الدنيا هو إلى انقضاء أجله بالموت، وأن هذا المصير هو مصير الكافرين المكذبين، ثم إنه يكون جمعهم جميعاً عنده تعالى يوم القيامة للحساب فيقع الاختصاص بينه ﷺ وبين الكافرين، إذ يشهد

عليهم ﷺ أنه أبلغهم وأدى الرسالة، وهم يدفعون عن أنفسهم ذنوبهم بإلقاء التبعة على سادتهم والذين أضلوهم، وباقتدائهم بأبائهم.

والمعنى العام للنص يتصور فيه أن الاختصاص يقع بين بعض المؤمنين وبعض، كأن يقع بين فريقى المتحاربين من المسلمين فى كل خصومة وقتنة وحرب كانت بينهم أو بين الظالم والمظلوم.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ

عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝^(٣٢)
وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝^(٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْحُسَيْنِ ۝^(٣٤) لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى
عَمِلُوا وَبِخَرَجِهِمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝^(٣٥)

أولاً : الأسماء والأعلام :

الذى جاء بالصدق: هو سيدنا محمد ﷺ، جاء بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» القول
الصدق، وبالقرآن العظيم، وهو القول الصدق ودعا للإسلام الدين الحق والصدق.

ثانياً : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى أن رسوله ﷺ وأتباعه يكونون خصوما للكافرين الذين بلغتهم الدعوة يوم
القيامة، فإنه تعالى أثبت أن أشد الناس ظلماً لأنفسهم والله تعالى ورسله هم المشركون الذين
أشركوا بالله والذين قالوا إنه اتخذ ولداً، وأنهم أيضاً الذين كذبوا الرسل وأعرضوا عنهم وعما
دعوههم إليه من إيمان بالله وتوحيده، ثم إنه تعالى توعد هؤلاء الكافرين ببيان أن مشواهم

جهنم. حسبهم أنهم يصلونها.

ثم انتقل تعالى بالقول إلى أن خصوم هؤلاء الكافرين عند ربهم يوم القيامة هم المتقون، بدأ تعالى القول بذكر رسوله صلى الله عليه وسلم أول المؤمنين والمسلمين واصفا إياه بأنه الذى جاء بالصدق، ثم عطف عليه الذى صدق به، يدخل فيه كل من آمن لرسول الله ﷺ وآمن بما دعا إليه، ثم أشار تعالى إليه ﷺ وإلى كل من آمن له وأخبر أنهم هم المتقون. ثم أخبر عنه خبرا ثانيا وهو أنه يكون لهم عند ربهم ما يشاءون، والمراد أنه يكون لهم هذا يوم القيامة. يدخل فى هذا تكفير السيئات والأمن من الفرع الأكبر ومن أهوال يوم القيامة ثم أشار تعالى إلى هذا الذى يكون لهم وأخبر أنه من قليل ما جاء به القول أنه يكون للمحسنين جزاء إحسانهم. أى أن ما ينالونه من خير هو ما ينالونه بصفاتهم محسنين.

ثم إنه تعالى بين أنه جعل للمؤمنين المتقين عنده ما يشاءون ليكفر بذلك عنهم سيئات أعمالهم وليعطيهم ثواب أحسن أعمالهم. بدأ تعالى ببيان رفع الضر عنهم ثم ثنى ببيان الإثابة، لأن دفع الضر مقدم على جلب المنفعة.

أَلَيْسَ اللَّهُ
بِكَافٍ عَبْدُهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾
وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآيتين - إلى رسول الله ﷺ، والقول كان بمناسبة توعده المشركين رسول الله ﷺ بالخبل تصيبه به أصنامهم لتحقيقه ﷺ إياها، فجاء قوله تعالى «أليس الله بكاف عبده» استفهاما أريد به إثبات أنه تعالى كاف من يعتمد عليه شرأذى الغير ممن يقدر على الأذى وأن هذه الحقيقة هى من الظهور لأصحاب العقول بحيث لا يتصور رؤية غيرها، ثم إنه تعالى

بكر تخويف المشركين برسوله ﷺ بأصنامهم التي عبدوها من دون الله، وبين من عبادة القول الاستهانة بعملهم والاستخفاف بعقولهم التي اعتقدت ما هددت به. ثم أثبت تعاضل أنهم بشركهم وبتهديدهم رسول الله ﷺ بالكهتيم، هم أهل الضلال الذين أضلهم الله فلا يهتدون ويعلمون هاديا يهديهم إلى الحق. والقول يفيد ضلال كل من يهتد أخذا اعتمادا على سلطان أحد من الخلق ذي سطوة أو نفوذ، وأنه تعالى يكفي من توكل عليه صادقا أذى الخلق يدفعه عنه ويرده.

ثم ذكر تعالى أن من يهديه إلى الحق لا يكون في مكنة أحد أن يضلّه عما هداه الله إليه. وقد يكون في هذا إشارة إلى أنه لا يخشى إلا الله وإن هدده أهل الضلال بتوكل السلطة والجبروت.

ثم يجيء قوله تعالى «اليس الله بعزيز ذي انتقام» لتأكيد أنه تعالى هو الغالب على أمره. ينصر من يتوكل عليه ويتنقم له ممن عاداه وحاول إبداءه مستعينا عليه بالغير أو بالسلطة والقوة.

وَلَيْنَ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي
بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلُ الْمُؤَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، والقول هو في المشركين، يقول له تعالى إنه لو سألهم عن من خلق السماوات والأرض، باعتبارهما أعظم مخلوقاته لكانت إجابته إن

خالقهما هو الله، والمعنى أنهم يؤمنون بأنه تعالى الخالق الأعظم، أو أن هذه الحقيقة هي من
الوضوح بحيث إنهم لا يستطيعون إنكارها. ثم إنه تعالى يطلب من رسوله ﷺ أن يقيم الدليل
على بطلان اتخاذهم آلهة من دون الله تعالى بإظهار انعدام قدرة معبوداتهم على شيء فجاء
الاستفهام في قوله ﷺ للمشركين - بأمر ربه - «قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته» لأسباب عجز آلهتهم
عن مناقضة إرادته تعالى بما يثبت أنه تعالى وحده صاحب الإرادة النافذة، إذا أراد أن يصيب
الإنسان بأذى لم يكن في مقدور معبوداتهم منع الأذى عمن أريد به ولا رده عنه، وإذا أراد به
خيرا لم يكن في مقدورها حجب عمن أريد له الخير.

ثم يجيء قوله ﷺ - بأمر ربه - «حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون» إقرارا منه باعتماده على
ربه في جميع أمره، يكفل له الخير ويدفع عنه الشر والأذى، وإثباتا لأن هذا هو فعل المؤمنين
الذين على ربهم يتوكلون.

قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

التفسير:

الخطاب - في الآيتين - إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر منه تعالى لرسوله أن يتهدد المشركين
بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة إذا ما أصروا على شركهم. فهو صلى الله عليه وسلم يطلب منهم
- على سبيل التحدي - أن يظفروا على ما هم عليه من إصرار على الشرك ومن معاداته، جاء
التعبير عن حالهم بـ «المكانة» - وهي من المكان - لبيان ملازمة الشرك والعداء لهم، وهو
صلى الله عليه وسلم يخبرهم أنه سيعمل على ما يشاء له ربه من الحال الذي يكون عليه،
والمستفاد هو أن عمله صلى الله عليه وسلم يكون في مقابلة عملهم. ثم يخبرهم ﷺ أنهم

سوف يعلمون بطريق المعاينة من الذى يصيبه - من فريقى المؤمنين، والمشركين - عذاب فى الدنيا يهينه ويذله، ثم يحل عليه ويحيط به عذاب دائم بعد ذلك وهو عذاب الآخرة. والمعنى هو أن عذاب الهزيمة والقتل والأمر يلحق المشركين فى الدنيا، وأن عذاب جهنم الدائم يكون لهم فى الآخرة .

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ مِنْ أَمْرٍ فَلْيَنْصِرْهُ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ، وهو للتسرية عنه ﷺ كيلا يحزن لإعراض المشركين عن الإيمان له. وفى القول يخبر تعالى عن إنزاله القرآن العظيم على رسوله ﷺ متملبسا بالحق، ويذكر بأن من يؤمن بالقرآن العظيم ويهتدى به إلى الحق، فإن ذلك يكون لخيره نفسه ومصالحته، وبأن من يعرض عنه ويبقى على الضلال، فإن ضلاله يكون وبالاً على نفسه لأنه يكون سبباً لعذابها.

ثم إنه تعالى يقول لرسوله ﷺ إنه ليس موكلًا به أمر إيمانهم، فما هو إلا بشير ونذير، لا يسأل عما يكون منهم من إعراض عن الإيمان وإصرار على الكفر.

اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُتِبَتْ
فِي مَنَاقِبِهَا فَمِمْسِكٌ لِنَاقِضٍ عَلَيْهَا الْمَوْتِ وَرُسُلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في آية من آيات قدرته ووحدانيته، والآية متعلقة بقبض الأرواح.

فيذكر تعالى أنه يقبض الأنفس عن الأبدان، يقبضها إليه وقت موتها، والمراد هو وقت موت الأبدان. كما يذكر تعالى أنه يقبض الأنفس التي لم تمت أثناء نومها. بمعنى أن هناك أنفس تقبض إليه أثناء نوم الأبدان، وأخرى لا تقبض أثناء ذلك، وأن قبض الأولى يتم بامسأكتها وعدم ردها إلى الأبدان النائمة، وهذه هي الأنفس التي قضى تعالى في الأزل أن تقبض إليه أثناء النوم.

أما الأنفس الأخرى فإنه تعالى يردها إلى الأبدان فتبقى الأبدان حية إلى أن يحين الأجل الذي حدده تعالى لقبضها إليه.

وقد يكون القول مشيراً إلى التفرقة بين النفس والروح، لأن مفاده أن النفس تفارق الجسد أثناء النوم، فيكون المراد بها هو الإدراك، وأن الروح لا تفارقه فيكون المراد بها هو الحياة.

وفي رأينا - والله أعلم - يشير النص إلى ما يعرف بالموت الإكلينيكي، أو موت جزع المخ، فيكون معنى قوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها» هو أنه تعالى يقبض الأرواح حين تموت الأبدان بفقدان القدرة على التحرك بالإرادة.

ويكون المراد بالأنفس التي لم تمت في منامها هو الأنفس التي لم تقبض إليه حال انعدام القدرة على تحريك الجسد بالإرادة، أو هي حال بقاء الروح في الجسد مع زوال التحكم فيه، وهي حالة الموت الإكلينيكي، تظل الروح في الجسد إلى الأجل الذي حدده تعالى لقبضها إليه فيه.

ثم يذكر تعالى أن في فعاله هذه آيات عظيمة للذين يعملون عقولهم تدل على وحدانيته وعلى عظم قدرته تظمن بها قلوبهم إلى توحيد الله وعبادته.



أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ أَنْتُمْ أَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

التفسير:

لما أثبت تعالى عدم اتصاف معبودات المشركين بصفة الألوهية، مما مفاده نأى الاعتقاد فى ألوهيتهم عن العقل ومقتضياته بإثبات عدم ملكيتهم شيئاً فى السماوات ولا فى الأرض، فإنه تعالى دحض فى الآيتين الحجة الثانية للمشركين فى لجوئهم إلى معبوداتهم بالدعاء والعبادة، وهى قولهم إنها تشفع لهم عند الله فى الدنيا أو الآخرة .

جاء قوله تعالى «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ» جاءت فيه «أَمْ» دالة على قولهم السابق الذى ثبت بطلانه وهو القول بأن المعبودات آلهة، وجاء الاستفهام بعدها لإنكار القول الثانى وهو قولهم إن معبوداتهم يشفعون لهم، وجاء قوله تعالى «مَنْ دُونِ اللَّهِ» لإفادة معنى أن معبوداتهم تشفع لهم دون إذن الله بذلك - ثم جاء أمره تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم «أُولَئِكَ كَانُوا لَمْ يَمْلِكُوا شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ» لإثبات فساد عقيدتهم بإثبات أن معبودات المشركين لا تملك من أمر غيرها ولا من أمر نفسها شيئاً، وأنها لا عقل لها، ولا يتصور مما لا عقل له أن يكون شفعياً يشفع ويبدى سبباً للشفاعة يقبل .

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقول إن الله الشفاعة جميعاً بمعنى أنه تعالى مالك أمرها جميعه يدخل فى هذا تعيين من تكون منهم الشفاعة، ومن تكون فيهم أولهم، ثم يكون له أمر قبولها أو عدمه .

والقول - بهذا المعنى - يثبت الشفاعة يوم القيامة .

وفى القول وصف تعالى ذاته بأن له ملك السماوات والأرض، وأن جميع الناس إليه يرجعون يوم القيامة، فبين اختصاصه بملك السماوات والأرض وجميع من فيهما وما فيهما، بما يفيد انتفاء حول غيره وقدرته على إفادة أحد إلا بإذنه، فيكون القول مفيداً بطلان اعتقاد المشركين أن معبوداتهم تفيدهم من دون الله.

كما أن فى القول إشارة إلى محاسبته المشركين على قولهم الباطل وتعذيبهم به مع تعذيبهم بشركهم بحكم أنهم إلى الله يرجعون للحساب والجزاء .

وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

التفسير:

بدأ القول - فى الآيتين - ببيان حال المشركين - الذى يعملون عمل من لا يؤمن بالآخرة - ومدى تعلقهم بحب آلهتهم الزائفة وكرهتهم الحق بالنفوس من كل من يذكره، فيذكر تعالى أنه إذا ما ذكر الله تعالى وحده على مسمع منهم، كأن يقال كلمة التوحيد، أو تذكر آية من القرآن العظيم فيها ذكر الله تعالى وحده، أو نطق مؤمن بذلك أو بمثله، انقبضت صدورهم وضائق بما سمعت، وأنه إذا ذكرت آلهتهم على مسمع منهم استبشروا بذلك وسعدوا اعتقاداً منهم أنها ستذكر بالخير، ولو كان ذلك فى القرآن العظيم حيث لا يتصور أن يكون ذكرها بالخير، وعلة ذلك هو ما خيم على قلوبهم من الباطل لفرط جهم إياه ولسيطرة الشيطان على قلوبهم وعقولهم بما جعلهم لا يعقلون .

ثم إنه لما كان فعل المشركين هو نتاج عقديتهم الباطلة فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يدعوه وأن يلتجئ إليه في شأن المشركين مناديا إياه بأنه عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم ما انطوت عليه صدور المشركين ويعلم ما يصدر عنهم من أفعال في الغلن.

ثم إنه لما كان تعالى يحاسب الخلق بما يكون منهم وهو ما يعلمه تعالى كان قول رسوله ﷺ - في ندائه ربه - «أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون» جاء فيه ذكر المسند إليه «أنت» لبيان أنه تعالى وحده هو الحاكم الفرد وتبعه ذكر أنه يحكم بين العباد ليكون بمثابة طلب وسؤال لما هو محقق وهو فصله تعالى بين الموحدين والمشركين بالثواب والعقاب، يكون دليلا على صحة عقيدة التوحيد، وبطلان عقيدة الشرك.

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّ اللَّهُ^ج لَهُم مِّن
اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَّ اللَّهُ^ج لَهُم مَّكَسِبَاتُ مَا كَسَبُوا وَهَآؤَ مَا بِهِم
مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

التفسير:

بعد توجه رسول الله ﷺ إلى ربه أن يفصل بقضائه بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة، جاء قوله تعالى في الآيتين في بيان حال المشركين يوم القيامة، وصفهم تعالى بأنهم الذين ظلموا لظلمهم ربهم بقولهم إن له شركاء، وظلمهم أنفسهم بتعريضها للعذاب.

وفي القول يصرح تعالى بأن أحدهم لو كان له ملك جميع أموال الأرض ومثلها معها لدفعها فدية يدفع بها عذاب يوم القيامة.

والمستفاد من أداة الشرط «لو» وهي للامتناع أن المراد بالقول هو بيان شدة العذاب الذي يهون معه أى مال يؤدي من أجل تجنبه .

ثم يبين تعالى أنه يظهر للمشركين من صنوف العذاب ما لم يدر بخلدهم وما لم يتصوروه «وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» .

ثم أوضح تعالى أن هذا يكون حال المشركين منذ أن تعرض عليهم صحائف أعمالهم فيعلمون منها ما استحقوا به العذاب «وبدا لهم سيئات ما كسبوا»، كما أوضح أن العذاب الذى كانوا يستهزئون به حين يتوعدهم المؤمنون به، يحيط بهم يوم القيامة فلا يكون لهم منه خلاص «وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون» .

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - الإنسان : قيل إن المراد به - فى معنى القول - هو حذيفة بن المغيرة، الذى قال إن الله أنعم عليه بالثروة لعلمه تعالى أنه يستحق ذلك بما له من حظوة لديه تعالى وحظ عظيم .

وقد يكون الصحيح - بقطع النظر عن سبب النزول - أنه كل كافر بنعم الله .

٢- الذين من قبلهم : هم قارون وكل من قال قوله .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - في مبتدأ الآيات - هو في الإنسان عموما بتغليب أكثر أفرادہ بمعنی أن القول يتعلق بعمل أغلب أفراد جنس الإنسان، أو هو في الكافرين عموما أو الكافرين نعم الله عليهم .

يذكر تعالى أنه إذا أصاب أحدهم ضرر أو أذى تحرك فيه الإيمان الفطري والتجأ إلى الله داعيا سائلا رفع الضر عنه والأذى، ثم إنه إذا أفاء الله عليه بخير تفضل به عليه وأنعم أرجع ذلك إلى نفسه . كما نرى ممن يجنى خيرا من وراء علم اكتسبه أو فن أجاده أو رياضة تفوق فيها، ينسى من تفضل عليه بالقدرات التي تفوق فيها بإذنه، ويرجع ذلك إلى قدراته الذاتية، ثم يذكر تعالى أن واقع الأمر هو أنه تعالى يختبر من ينعم عليهم بما أنعم لينظر أي شكر أحدهم أم يكفر، بمعنى هل يكون من المنعم عليه الإقرار بفضل الله عليه وشكره على هذا أم يكون منه جحد النعمة ونسبة أسبابها لنفسه وكفائه وقدراته الذاتية . ثم بين تعالى أن أكثر الناس أو أكثر المنعم عليهم لا يعلمون أنهم مختبرون بما أنعم الله به عليهم . ثم إنه تعالى يتوعد منكرى نعم الله تعالى عليهم بسوء المصير، بذكره أن أناسا قبلهم أنعم الله عليهم بنعمه فجحدها ونسبوا فضلها إلى ذاتهم، وهم قارون ومن ذهب مذهبه في هذا .

ثم يذكر تعالى أن جميع ما اكتسبوا من أسباب القوة لم يغن عنهم شيئا مما أراد الله معاقبتهم به، فيكون المعنى هو تهديد هؤلاء بأن يكون مصيرهم - حال بقائهم على حالهم من إنكار نعم الله عليهم - هو ذات مصير الذين قالوا قولهم من قبل .

ثم بين تعالى ما كان عليه فعله مع هؤلاء السابقين ، فيذكر أنه أصابهم سيئات ما كسبوا، بمعنى أنه نالهم جزاء سيئات أعمالهم الذي هو سوء مثل العمل الذي كان جزاء عليه .

وبعد ذلك يشير إلى المشركين - وصفهم بأنهم الظالمون - أو إلى الذي نسبوا النعمة

المنعم بها إلى ذواتهم من بينهم، ويخبر عنهم أنه سيصيبهم سيئات ما كسبوا، بمعنى أنه سينالهم عذاب يسوؤهم شأن أعمالهم السيئة، كما يخبر بأنهم لا يستطيعون الإفلات مما قدر لهم من العذاب الدنيوي الذي يشاؤه تعالى لهم. ثم إنه تعالى بين جهل هؤلاء المنعم عليهم الذين ينسبون فضل الإنعام عليهم إلى ذواتهم أو إلى تفضيل الله إياهم على غيرهم من خلقه بذكره ما يفيد أنهم لم يعلموا أن بسط الرزق وإمساكه هو أمر يتعلق بمشيئته تعالى وحكمته التي لا يدركها الجاهلون. ثم إنه تعالى بين أن في التوسعة في الرزق وفي التضييق فيه آيات عظيمة من آيات حكمته لا يدركها إلا المؤمنون الذين كمل إيمانهم، فيكون القول مبينا أن المؤمنين هم أهل العلم، وأن الكافرين نعم الله هم الجاهلون.

قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُوا اللَّهَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٣﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٥﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَاءٌ إِلَيْنِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - الذين أسرفوا على أنفسهم : قيل إن المراد بالقول هو هشام بن العاص بن وائل السهمي ، الذي أسلم واتفق مع عمر رضي الله عنه وعياش بن عتبة على الهجرة ، ثم منعه مانع من الهجرة ، ثم فتن بالكفر فافتن ، ثم أراد التوبة والعودة للإيمان فاعتقد أنه لا تكون له توبة ، فنزلت الآية . وقيل هو وحشي قاتل حمزة والقول أنهم الذين أفرطوا في المعاصي لعمومية التعبير .

٢ - جنب الله : المراد به هو حق الله .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيات - هو في بيان رحمته تعالى بالناس التي كان مقتضاها غفرانه تعالى ذنوب العباد وإدخالهم في رحمته ، وفتح باب التوبة لهم ، ونصحهم بالرجوع إليه تعالى مع تحذيرهم من الإصرار على الإعراض عن الحق ببيان مصير المكذبين .

بدأ قوله تعالى - في الآيات - بأمره رسوله ﷺ أن يقول للذين أفرطوا في ارتكاب المعاصي ، فاستقر في نفوسهم أنهم معذبون ، يقول لهم ألا يأسوا من رحمة الله تسألهم فلا يكون تعذيبهم بما قرفوا من المعاصي ، وأن يبين لهم أنه تعالى يغفر الذنوب جميعها لمن يشاء بحكم كونه الغفور ، وأنه يدخل من يشاء في رحمته بحكم كونه الرحيم . وفي معنى مغفرة الذنوب قيل إنه تعالى لا يعاقب بها ، وقيل إنه تعالى يمحوها من الصحف ، ثم إن القول - على ظاهره - يفيد عدم تقييد المغفرة بوجوب التوبة ، بمعنى أنه تعالى يغفر لمن يشاء ولو لم تكن من مرتكب الذنب توبة ، ويبدو أن الإطلاق في المعنى لا يقيده لإقوله تعالى «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» .

وبعد ذلك كان من رحمته تعالى أن أمر الناس أو أمر العصاة والكافرين بالرجوع إليه بالتوبة وإسلام الوجه والأمر له والانقياد ، وصفهم بأنهم عباد ليفتح أمامهم باب الأمل في أن يكونوا بطاعته من بين عباد الرحمن ، وذلك بطريق التوبة التي أمر بها حتى لا يعتمد الناس

على مغفرته تعالى الذنوب وعلى رحمته فلا يكون منهم انقطاع عن ارتكاب المعاصي . وجاء أمره تعالى هذا مشفوعاً بتحذيره العباد من تأخير التوبة والرجوع إليه إلى وقت لا تنفع توبة، وهو ما يكون لدى إنزاله تعالى العذاب الدنيوي بالكافرين أو لدى وقوع غرغرة الموت، فيكون المآل هو عذاب الآخرة لا يمنعه عن الكافرين والعصاة مانع.

ثم كان من مظاهر رحمته أيضاً أن أمر الناس - بلسان رسوله ﷺ - أن يتبعوا القرآن العظيم، وصفه تعالى بأنه أحسن ما أنزل إلى الناس من ربهم، وذلك صحيح فقد اشتمل على عقيدة التوحيد التي جاءت بها الكتب والصحف المنزلة منه تعالى، كما جاء بالأحكام وكانت قبله توراة موسى عليه السلام وما أنزل على نوح عليه السلام قد تضمن أحكاماً، إلا أن أحكام شريعة نوح أنسيّت، وأحكام شريعة موسى عليه السلام، نُسخّت، وبقيت أحكام القرآن العظيم هي الشريعة إلى أن تقوم الساعة، ثم إنه الكتاب الذي اختصه تعالى وحده بحفظه من لدنه، فهو أحسن ما أنزل إلى الناس من ربهم. وارتبط أمره تعالى هذا بتحذير الناس من التأخر في الإيمان بالقرآن العظيم والعمل به فيكون حلول العذاب بهم فجأة فلا يملكون دفعه، قد يكون هو عذاب الدنيا، يفجأهم المسلمون بقتال يقتلون فيه ويؤسرون، وقد يكون هو عذاب الآخرة، يستحقونه بموتهم دون الإيمان، فيكون الموت الذي يفجأهم هو مبدأ عذابهم.

ثم يبين تعالى ما يكون ممن لا يطيع الله ما أمر به من الرجوع إليه بالتوبة، ومن اتباع القرآن العظيم، يبينه قصد تحاشي أن يكون للمخاطبين ذات المصير. والمذكور هو تحسر نفس العاصي على ما كان منها في الدنيا من تفريط في أداء حقوق الله، ولما كانت حقوق الله هي في جانب عبادته، وفي جانب آخر إطاعة أوامره وتجنب نواهيه، فإن التحسر يكون على عدم الإيمان بالله، وعلى الشرك به وعلى العصيان، وعلى التقصير في أداء المأمورية. والمفهوم أن سبب التحسر يكون معاينة العذاب أو التيقن من مواقعه .

كما يبين تعالى أن التحسر يكون على السخرية بدين الله أو بأوامره تعالى ونواهيه «وإن كنت لمن الساخرين» وإنك لتشاهد أحدهم وقد جلس في مكانه يعاقر الخمر، فإذا نصحته أن يتجنبها رد عليك قائلاً «تركك لك خمر الجنة» فهو - وإن كان لم يكفر بالآخرة وما يكون

فيها من ثواب وعقاب - إلا أنه يبدى استهزاء بما سمع .

فالقول يثبت أن مثل هذا يتحسر يوم القيامة على سخريته ممن أسمعه قول الله أو ذكره به .

ومما يحذر تعالى الناس منه أن يضطر أحدهم لدى معاينته العذاب في الآخرة إلى التمسح في الأسباب الواهية لدفع مسئوليته عن عصيان ربه بقوله «لو أن الله هداني لكنت من المتقين»، أو أن يضطر إلى أن يقول لدى رؤيته العذاب المعد له «لو أن لى كرة فأكون من المحسنين» بمعنى أنه يتمنى محالاً وهو رجوعه إلى الحياة الدنيا ليؤمن ويطيع ويعمل الصالحات .

ثم إنه تعالى يجيب على هؤلاء وهؤلاء قول كل منهما، فيخبر أنه قد جاءت كلا منهما آياته تعالى التي أمرتهم جميعاً بالإيمان بالله والإيمان لرسول الله ﷺ والتصديق بكتابه والعمل به، إلا أنه كان منهم التكذيب بها بإنكار أنها من عند الله، والاستكبار عليها بالإعراض عنها فكانوا بذلك من الكافرين الذين استحقوا العذاب .

وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ نَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ
الْشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦١

أولاً: الأسماء :

المفازة : فى قوله تعالى «وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم» مصدر ميمي من الفعل «فاز يفوز»، أو اسم الفوز . والمراد بها - فى معنى القول - هو الفوز بالمبتغى والمأمول .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيتين - هو في بيان المزيد من الفروق التي تكون ظاهرة يوم القيامة بين أحوال الكافرين وأحوال المؤمنين المتقين . جاء الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ ، والمعنى أنه يكون لكل فرد من المؤمنين ، أخبر تعالى أن رسوله ﷺ يرى يوم القيامة الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة . جاء الإخبار بأنه ﷺ يرى المخبر عنه ، لبيان أنه يكون حتماً كما أخبر عنه .

والمخبر عنه أنه يرى الذين كذبوا على ربهم وحالهم أن وجوههم تكون مسودة . والذين كذبوا على ربهم هم الذين قالوا إن له ولداً والذين أشركوا بعبادته ، والذين أنكروا وجود إله من الملائكة ، والذين حرقوا ما أنزل ونسبوه إليه تعالى . وحالهم التي يكونون عليها هي أن وجوههم تكون مسودة على الحقيقة ، أو أنها تظهر عليها علامات الكآبة .

ثم إنه تعالى يخبر أن مصير هؤلاء هو أن جهنم تكون لهم مقاما . جاء القول في صيغة الاستفهام المراد به تقرير المستفهم عنه ، ووصفوا بأنهم المتكبرون لأنهم عتوا في أنفسهم واستكبروا على كلمة الحق فلم يؤمنوا بها ولم يتقادوا لله تعالى ولم يؤمنوا لرسوله ﷺ .

ثم ذكر تعالى - في المقابل - حال الذين اتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، وصفهم بأنهم الذين اتقوا ، وأخبر عنهم أنه ينجيهم من أهوال يوم القيامة ومن جهنم يبعدهم عنها وقد ظفروا بما أملوا فيه وهو الجنة ونعيمها ، كما أخبر أنهم لا يمسهن سوء من أي نوع وبأي قدر وأنهم لا يحزنون ، وهذا هو حال أهل الجنة :

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾

أولاً: الأسماء :

مقاليد السماوات والأرض : قيل إن «مقاليد» جمع لا واحد له من لفظه، وقيل إن مفردة هو «مقلد» وقيل «مقلاد»، وإن المراد به - في معنى القول - هو مفاتيح السماوات والأرض، وقيل هي قول : «لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، يحيى ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير» .

ثانياً: التفسير :

بعد أن بين تعالى ما يكون من حال الكافرين وحال المؤمنين المتقين يوم القيامة، فإنه تعالى أثبت أنه خالق كل شيء، يدخل في هذا المخلوقات المادية، ويدخل فيه ما هو غير مادي مجسد مثل الخير والشر، ومثل الإيمان والكفر.

كما أثبت تعالى أنه يتصرف في كل شيء خلقه وفق حكمته، وأن كل شيء خلقه هو في احتياج إليه، وأنه تعالى في غنى عن كل شيء.

كذلك أثبت تعالى أنه له مقاليد السماوات والأرض، فكل ما يقدر في السماوات وما ينزل منها وما يكون فيها، وكل ما هو في الأرض وما يخرج منها هو في ملكه تعالى وهو المتصرف فيه .

وبعد هذا جاء قوله تعالى «والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون» ليدل على أن جميع ما سبق ذكره من صفاته تعالى .

قد قامت عليه الدلائل العقلية وأخبرت به آياته المنزلة، مما يكون معه توحيده هو فعل أصحاب العقول الذين ينجيهم الله بمفازتهم يوم القيامة؛ ولهذا أخبر تعالى عن الذين كفروا بآياته بأنهم هم الخاسرون، حتى لكانه ليس من خاسرين غيرهم إذا ما قيس بهم الخاسرون.



قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ
 ٦٤ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَجْبُطَنَّ عَمَلُكَ
 وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٥ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٦٦ وَمَا
 قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ٦٧ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧

التفسير:

جاء قوله تعالى - فى الآيات - بمناسبة عرض مشركى مكة على رسول الله ﷺ أن يستلم آلهتهم مقابل أن يؤمنوا بالله تعالى. فجاء أمره تعالى إلى رسوله ﷺ أن ينكر عليهم طلبهم هذا منه، وأن يصفهم بالجهل لأن طلبهم هذا منه ﷺ وهو الهادى إلى التوحيد، البشير للمؤمنين والنذير للمعرضين عن التوحيد يدل على جهلهم بالله وبرسوله .

ثم إنه تعالى يخاطب رسوله ﷺ معلما أنه قد أوحى إليه وأوحى من قبله إلى كل رسول بعثه بأنه إذا أشرك بالله، فإنه يخسر جميع عمله ومنه صالح أعماله التى كانت قبل الشرك فيكون من الخاسرين الذين خسروا ثواب الأعمال الصالحة وجنوا إثم الكفر والأعمال السيئة.

وليس مفاد القول هو تصور إمكان وقوع الشرك منه ﷺ أو من أحد من رسل الله تعالى، وإنما جاء القول لتبئيس المشركين من الأمل فى أن يطيعهم رسول الله ﷺ فيما طلبوه منه من استلام آلهتهم .

ثم أتبع تعالى ذلك بأمره رسوله ﷺ بعبادة الله وحده، وشكره على ما أفاض به عليه من النعم

وأعلاها نعمة الاصطفاء للنبوة. وينصرف الأمر إلى جميع المؤمنين بعبادة الله وحده وشكره على نعمه وأخصها لهم نعمة الإيمان الذي يسره لهم.

وبعد هذا يجيء قوله تعالى في المشركين فيثبت في حقهم أنهم لم يوفوا الله تعالى حقه من التعظيم والإجلال، فهم لم يعرفوا قدره تعالى، ولهذا أشركوا معه في العبادة من هو من خلقه في السماوات أو في الأرض، يدخل في هذا أجرام السماء والملائكة مما في السماء، ويدخل فيه الأنبياء والأصنام مما عبد في الأرض.

جاء الدليل على عدم استحقاقهم أن يعبدوا من دون الله ببيان أن الأرض جميعها تكون قبضة واحدة له تعالى يوم القيامة، وأن حال السماوات أنها تكون مطريات بيمينه تعالى.

والمراد بهذا هو بيان سيطرته تعالى على السماوات والأرض، وضآلة قدرهما بالقياس إلى قدرته تعالى، فإذا كان هذا هو حالهما بما فيهما، فإن حال المعبودات التي هي من الخلق فيهما هو أشد ضآلة.

فيكون القول دالاً على جهل المشركين وعلى أنهم لم يعرفوا الله تعالى قدره، وأنهم لهذا ولذلك أشركوا بعبادته ما عبدوا من دونه تعالى.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ٦٨ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ٧٠

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - من شاء الله : هم الذين لا يصعقون عند النفخة الأولى، قيل إنهم جبريل، وإسرافيل، وميكائيل، وقيل هم وحمة العرش وإنهم يموتون بعد ذلك، وقيل هم رضوان والحرور، ومالك والزبانية، وقيل هم الذين ماتوا قبل ذلك.

٢ - الكتاب : قيل إن المراد به - فى القول - هو الحساب، وقيل هو صحائف الأعمال، وقيل هو اللوح المحفوظ .

٣ - الشهداء : المراد بهم - فى معنى القول - هو الحفظة يشهدون على الأمم، ويشهد على كل شخص بعمله.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - فى رواية أحداث الآخرة، فيذكر تعالى أنه ينفخ فى الصور، وفى القول جاء الفعل فى صيغة الماضى لبيان حتمية وقوعه - وقيل إن النافخ هو إسرافيل وقيل إنه اثنان - ويترتب على النفخ فى الصور موت جميع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ألا يموتوا من أثر النفخة وهم جبريل وإسرافيل وميكائيل، وفى قول آخر إنهم وحمة العرش، كما قيل إنهم رضوان والحرور، ومالك والزبانية.

كما يذكر تعالى أنه ينفخ فى الصور نفخة أخرى يكون من أثرها قيام جميع الأموات من قبورهم ينتظرون ما يفعل بهم أو ما يؤمرون به.

ثم يذكر تعالى أن الأرض تشرق بنور ربها، وقيل إن الأرض - فى القول - هى أرض المحشر وليست الأرض التى نحيا عليها، تشرق بنور ربها دون شمس ولا قمر، وفيه قيل إنه نور الحق، وقيل إنه نور تجليه تعالى، أو نور يخلقه تعالى لذلك، وأنه يوضع فى الكتاب وهو الحساب أو صحائف الأعمال أو اللوح المحفوظ، تضعه الملائكة العمال، كما يذكر تعالى أن النبيين والشهداء يستحضرون يستحضر النبيون ليسألوا عن إبلاغهم أمهم ما أرسلوا به، ويستحضر الملائكة الحفظة ليشهدوا على كل بعمله، ثم يقضى تعالى بين العباد وفيهم بالعدل، فلا يظلم أحد بنقص ثواب يستحقه أو بزيادة عقاب لا يستحقه. ثم يذكر تعالى أنه بهذا القضاء

تكون كل نفس قد أخذت جزاءها على ما عملت في دنياها، وهو ما علم به تعالى الذي يحيط علمه بكل ما كان منهم، فيكون القول تأكيداً للمعنى مجازاة العباد بأعمالهم دون ظلم لهم.

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَ أَبْوَابُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَتَّىٰ كَلِمَةُ الْعَذَابِ
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبُئْسَ
مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

أولاً: الأسماء:

الزمر: في قوله تعالى «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً» جمع، مفردة «الزمرة» وهي الجماعة الصغيرة أو القليلة العدد.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في تفضيل بعض ما يفعل بالكافرين يوم الآخرة. فيذكر تعالى أنهم يساقون مدفوعين - والمفهوم أن الملائكة هي التي تسوقهم - يساقون إلى جهنم تكون موصدة الأبواب، فما أن يجيشوا إليها إلا وتفتح أبوابها لهم ليلقوا فيها وفي القول جاء بيان كيفية سوقهم إلى جهنم بأنهم يساقون جماعات بعضها يتبع بعضاً ليكون إلقاؤهم فيها بعد أن تفتح أبوابها فوجاً من بعد فوج.

ثم يذكر تعالى أن خزنة جهنم يقرعونهم ويوبخونهم على ما دخلوا به جهنم، فيذكرون لهم

أنه قد أرسل فيهم رسل من جنسهم تلاوا عليهم آيات الله تعالى فلم يؤمنوا لهم وأنذروهم بالعذاب ويدخل النار الذي يعانونه في يومهم.

وفي القول يكون قول الخزنة في صيغة استفهام منفى «ألم يأتكم رسل منكم» فتكون إجابة الكافرين على السؤال هي «بلى» يثبتون على أنفسهم أنهم جاءتهم رسل منهم تلاوا عليهم آيات الله وأنذروهم بالعذاب الذي يلقونه في يومهم. ثم يضيفون إلى هذا قولهم إنه مع حدوث هذا إلا أنه قد وجب تحقق كلمة الله المقضى بها أن يكون العذاب للكافرين. فيكون قولهم اعترافاً منهم بكفرهم الذي استحقوا به تحقق كلمة الله فيهم أن يعذبوا.

ثم يذكر تعالى أنه يقال للكافرين من بعد ذلك «ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها» والمعنى أنهم يلقون في جهنم ليكون خلودهم فيها، كما تدم لهم جهنم بيان أنها بشئ المثوى والمقام، ويعلمون بأنهم استحقوا دخولها والخلود فيها لاستكبارهم على الحق بما أدى إلى عدم انقيادهم للرسول المنذرين.

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ
إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
وَأَوْثَرَ لَنَا الْأَرْضَ نَبْتُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى ما يكون مع المؤمنين لدى الذهاب بهم إلى الجنة، فيهم يستحشون على الإسراع في التوجه إليها لنيل ما يوعدون، أو إنهم تساق ركائبهم لتسرع بهم للوصول إلى

الجنة، يكونون أفواجا بعضها يتبع بعضا. فإذا جاءوها وقد فتحت أبوابها دعا لهم خزنتها بالسلام وسلموا عليهم تحية من أنفسهم داعين لهم أن يطيبوا نفسا، أو مخبرين عن دخولهم الجنة لكونهم قد طهروا من إثم المعاصي. ثم يدعونهم إلى دخولها مقدرين أنهم فيها يخلدون.

كما يذكر تعالى أن أهل الجنة يحمدون ربهم آنذاك واصفين إياه تعالى بأنه الذي صدقهم وعده بالبعث وبالإثابة، ويذكرون أثر ذلك في أنفسهم وهو أيلولة الأرض إليهم حتى لكانهم وارثوها، وليس المراد بالأرض هو أرض الدنيا التي فنت وإنما المراد هو الأماكن التي يمشى عليها في الجنة - سواء أسميت «أرضا» أم لم تسم بذلك - وأنهم يتبوءون من أماكن الجنة ما يشاءون، أو أن كلا منهم يتبوء من أماكن الجنات الواسعة ما يشاء مما أعد له.

وقوله تعالى «فتنعم أجر العاملين» يتصور فيه أن يكون من قول أهل الجنة ويتصور فيه أن يكون قول الله تعالى، وهو إعلام بأن ما يتنعم به أهل الجنة هو أجرهم على إيمانهم وعملهم الصالح الموهوب لهم من الله تعالى، ومدح له ببيان أنه هو أفضل أجر يعطى لعامل.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

أولا : الأسماء :

الحافون : فى قوله تعالى «وترى الملائكة حافين من حول العرش» جمع، مفردة - فى اللفظ - هو «الحاف» وإن كان لا يتصور أن يكون الحفوف - وهو الإحاطة بالشئ - والإحداق به - من فرد واحد؛ ولهذا قيل إنه ليس له واحد.

والحافون هم المحيطون بالشئ والمحدقون به، أو الداثرون حوله.

ثانيا : التفسير :

القول هو فى بيان حتمية وقوع المذكور فى الآية، بمعنى أن الذى يرى هو كل من تتأتى منه الرؤية. والمرئى هو إحدائق الملائكة بالعرش وإحاطتهم به بمعنى رؤيتهم وحالهم هى الدوران حول العرش والإحاطة به، وتسييحهم بحمد ربهم.

وقوله تعالى «وقضى بينهم بالحق» مفاده أنه يكون قد قضى فى العباد بالحق والعدل، فليس الضمير المتصل فى «بينهم» عائدا إلى الملائكة.

وقوله تعالى «وقيل الحمد لله رب العالمين» هو ذكر لما يقوله المؤمنون من الذين قضى بينهم بالحق، يقولونه وقد قضى لهم.

ثم إن القول يفيد أن حمد الله هو ختام كل أمر، أو أن قوله تعالى «الحمد لله رب العالمين» يجب أن يكون خاتمة مجالس العلم والذكر، والحمد لله رب العالمين .



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حم ﴿١﴾ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ
 التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾

أولاً : الأسماء :

الطول : المراد به - فى معنى القول - هو الفضل يكون بالإنابة والإنعام، أو هو السعة والغنى .

ثانياً : التفسير :

بدأت السورة بأسماء الأحرف «حم»، وهى من المتشابه من القرآن - على الراجع - ثم جاء قوله تعالى «تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» وفيه يتصور أن تكون شبه الجملة «تنزيل الكتاب» خبراً لمبتدأ تقديره «السورة» أو خبراً عن «حم»، ويتصور أن تكون مبتدأ، ويكون خبره هو «من الله»، ثم إن النص يصف الله تعالى بأنه العزيز الذى لا يغلب والعليم بكل شىء كما يصفه بأنه غافر الذنوب لمن يشاء من عباده والقابل توبة العاصين، ويتصور أن يكون «غافر الذنوب وقابل التوب» بدلين، وبأنه الشديد العقاب يأخذ الكافرين المكذبين بالشدة فى العقاب.

كما يصفه بأنه ذو الفضل العظيم والعطاء الواسع. ثم أتبع هذا بتوحيده بإثبات أنه وحده الإله ونفى الألوهية عن غيره تعالى لبيان استحقاقه وحده أن يطاع، مع بيان أنه يكون إليه المصير، وهو من قبيل التحذير المستمر من عصيانه، لأنه مفاد الرجوع إليه تعالى هو الرجوع للحساب وللإثابة والعقاب.

مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ①
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ
بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدْنَاهُمْ مُجِبِّدِينَ لِبُطُلٍ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ②
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ③ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ④

أولاً: الأسماء والأعلام:

١ - الذين كفروا: قيل إن المقصود بالقول هو الحارث بن قيس السلمى، الذى كان يستهزئ بآيات القرآن العظيم ويجادل فيها بغير الحق.

٢ - الأحزاب: هم جميع المتحزبين على رسل الله تعالى، المعادون لهم.

ثانياً: التفسير:

بدأ القول - فى الآيات - بذكر حقيقة مفادها أنه لا يجادل فى آيات القرآن العظيم - قصد النيل منها - بالباطل إلا الذين ملك الكفر عليهم قلوبهم، وذلك لدلالة الآيات على أنها من الله تعالى، فلا ينكر هذا إلا من ضاق صدره عن أن يسع الإيمان لاختياره الكفر على الإيمان.

ثم أتبع تعالى ذكره هذه الحقيقة بالنهي عن الاغترار بما يشاهد من تقلب هؤلاء الكافرين في البلاد مباشرين تجارتهم، متكسبين بها. فيكون المراد بالاغترار هو ظن أن يكون قلبهم في البلاد والتوسعة عليهم دليلا على رضائه تعالى عنهم. والقول صالح في كل زمان، فهو للمؤمنين اليوم ينهاهم الله تعالى عن الاغترار بأحوال المتبعدين عن حظيرة الإيمان الذين ينتقلون في البلاد سائحين في طلب المتعة.

ثم إنه تعالى يدل على أن التوسعة على هؤلاء وتقلبهم في البلاد ليس دليلا على رضائه تعالى عنهم ببيان أن ذلك كان مع من سبقهم من الأمم، ذكر منهم - على وجه التخصيص - قوم نوح الذين كذبوا رسول الله إليهم، كما ذكر - بصفة عامة - كل قوم تحزبوا على رسولهم وعادوه من بعد قوم نوح، وأخبر عن الجميع بأنهم شرعوا في الإيقاع بالرسول أو بكل رسول من الرسل الذين بعثوا إليهم ليأخذوه بما قصدوا إلحاقه به من قتل أو أذى، كما أخبر بأنهم فعلوا فعل كفار مكة وهو مجادلهم الحق المنزل من ربهم بالباطل قصد القضاء على الحق ومحوه وإزالته. ثم بين تعالى أن سعى هؤلاء كان إلى بوار وأنهم عوقبوا بما فعلوا بقوله تعالى «فأخذتهم، فكيف كان عقاب».

والمعنى أنه تعالى أخذهم بالعذاب المهلك، ثم جاء الاستفهام عن كيفية معاقبته تعالى إياهم، لكونه مشهودا لكفار مكة الذين يعاينون في أسفارهم آثار المهلكين من عاد وثمود، لبيان مدى شدة ما وقع بهم من العذاب.

ليكون القول تحذيرا لكفار مكة المجادلين بالباطل من سوء العاقبة لدى استمرارهم على ما هم عليه.

ثم أعقب تعالى قوله هذا ببيان أنه قد حقت كلمته تعالى في كفار مكة المجادلين في القرآن العظيم بالباطل أن يكونوا بكفرهم هم أصحاب النار في الآخرة، مع استحقاقهم العذاب الدنيوي الذي يستدل عليه من قوله تعالى «كذلك» فيفيد معنى استحقاقهم من العذاب الدنيوي ما كان للذين كذبوا الرسل من قبل وهموا بهم.



الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ
 بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ
 كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
 عَذَابَ الْحَجِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ
 صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨
 وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ يَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩

أولاً: الأسماء:

١ - الذين يحملون العرش: هم الملائكة العظام الذين يحملون العرش يوم القيامة،
 والمشهور أنهم ثمانية.

قيل في وصف عظم هياكلهم الكثير ومنه أنه ما بين موق أحدهم إلى مؤخرة عينه مسيرة
 خمسمائة عام.

٢ - من حوله: هم الملائكة الذين يحيطون بالعرش ويكونون حوله، وهم كثيرون لا يعلم
 عدتهم إلا الله تعالى.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في جزء منه بيان لما يكون عليه حال الملائكة حملة العرش
 يوم القيامة والملائكة الذين يحيطون به ويكونون حوله، وهو في جزء آخر بيان لما يكون منهم

وما يصدر عنهم لصالح المؤمنين التائبين عن الذنوب الراجعين إلى الله تعالى من بعد كفر أو عصيان.

فيذكر تعالى أن الملائكة الذين يحملون العرش يوم القيامة - وهم ثمانية على المشهور، والملائكة الذين يلتفون حوله، وهم جميعاً أصحاب منزلة سامية وقرب منه تعالى ينزهونه تعالى عما لا يليق بذاته ويؤمنون به إيماناً كاملاً. وربما جاء وصفهم هذا لبيان استحقاقهم أن يجابوا إلى ما يسألون الله إياه، وهو أن يغفر للذين آمنوا «ويستغفرون للذين آمنوا». ويبين تعالى كيفية استغفارهم للمؤمنين ببيان أنهم يقدمون للاستغفار بقولهم «ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً» بمعنى أنهم يتوسلون إليه تعالى بصفته الواسع الرحمة العليم بالظاهر والباطن والكائن والغيب، فيكاد قولهم واستغفارهم أن يكون من قبيل الشفاعة للمؤمنين.

ثم يسألونه تعالى أن يغفر للذين تابوا عن الكفر والمعاصي ما كان منهم بحكم كونه الرحيم العليم، أو بسبب ذلك، على ما يبين من «الفاء» في لفظ «فاغفر». والمستغفر لهم هم الذين تابوا، ثم كان منهم اتباع سبيل الحق التي دعا إليها الإسلام ورسوله ﷺ. كما يدعون لهم صراحة بما هو مفهوم من المغفرة وهو أن يقيهم الله عذاب الجحيم.

ومن باقى دعاء هؤلاء الملائكة الكرام على ربهم للمؤمنين ما ذكره النص من إدخالهم جنات عدن التي وعدهم الله فى كتابه وعلى ألسنة رسله أنهم يدخلونها ويخلدون فيها، وأن يدخل معهم فيها من صلح قلبه وفعله من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم - وإن كان صلاحه دون صلاح المؤمنين - والحكمة من الدعاء هى كفالة تمام سرور المؤمنين التائبين وابتهاجهم باجتماعهم بهؤلاء المقربين إليهم فى الجنة.

ويذكر تعالى أن الملائكة المقربين يتوسلون إليه تعالى لإجابة دعائهم بصفته العزيز الحكيم، الذى لا يمتنع عليه شيء، والذى يقدر كل شيء وفقاً لحكمته.

ثم يذكر تعالى أن الملائكة يدعون للمؤمنين التائبين بأن يقيهم الله السيئات والظواهر أن المراد بالسيئات هو العقوبات لأنها تسمى من توقع به، وقيل إن المراد بالدعاء هو وقايتهم جزاء السيئات والمعاصي. وهو لا يختلف عن الأول.

ويذكر تعالى أيضا أن الملائكة تقول «ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته» والمعنى هو أن منع العقاب عن المؤمنين إنما يكون برحمة الله، لأنه ما من أحد إلا وقد قرف ما يستوجب المؤاخذه. ويتصور في المعنى أن يكون أن من وقاه الله في الدنيا فإنه يكون قد رحمته من عذاب يوم الحساب والمؤاخذه.

. ويبين تعالى أن رحمته المشار إليها باسم الإشارة «ذلك» هي الفوز العظيم الذي لا يمثاله ولا يدانيه فوز آخر.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ
أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ① قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا
أَشْتَيْنَ وَلَاحِيَّتَنَا أَتَشْتَيْنَ فَأَعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ
مِّنْ سَبِيلٍ ②

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو شروع في بيان أحوال الكافرين في النار من بعد دخولها، والمعنى المستفاد من قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم» هو أن الكافرين يمجنون أنفسهم التي زين لهم الكفر فأوردتهم النار، وأنه ينادى عليهم وهم في النار فيقال لهم إن مقت الله إياهم أشد من مقتهم أنفسهم، وأنه يذكر لهم سبب ذلك وهو أنهم كانوا يدعون إلى الإيمان من الرسل ومن قام بواجب الدعوة بعدهم فكانوا بهم يكفرون ويقنون على ما هم عليه من الكفر لا يؤمنون.

ويذكر تعالى أن الكافرين ينادون الله تعالى يقولهم «ربنا» ثم يقولون إنه تعالى أماتهم

مرتين وأحياهم مرتين، وأنهم اعترفوا بذنوبهم التي عوقبوا بها، ومنها إصرارهم على الكفر والعمل بالمعاصي، وإنكار البعث، وأنهم يسألونه تعالى محالاً وهو إرشادهم إلى سبيل الخروج من النار أو للعودة إلى الدنيا.

وفي شأن الإمامة مرتين والإحياء مرتين، قيل إن الموتة الأولى هي حال وجودهم في أصلاب آبائهم، لأنه لم يكن لهم وجود ظاهر ملموس فكانوا مثل العدم، والعدم مثل الموت، ثم تبع ذلك أحيائهم في الدنيا، ثم كانت الميتة الثانية بانقضاء آجالهم في الحياة الدنيا، وتبعها إحيائهم بالبعث للحساب. والذي نراه - والله أعلم - هو أن الموت لا يكون إلا من بعد حياة، وأن الوجود في الأصلاب لا يكون موتاً، وأن المراد بالموت هو موت القلوب بالكفر لأن الإيمان حياة للقلوب والنفوس، لا يمنع من ذلك ذكر الإمامة في النص قبل ذكر الإحياء، لأنه - على ما سبق القول - لا يكون موت إلا من بعد حياة. والواضح من النص هو أن اعتراف الكافرين بذنوبهم لا يفيدهم شيئاً وأنه لا سبيل لتحقيق ما يطلبون.

ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ
تُؤْمِنُوا فَاتُخَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ إِلْهِ الْكِبَرِ ﴿١٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو بمثابة رد على أمل الكافرين أن يفيلوا من اعترافهم وعلى سؤالهم عن سبيل يخرجون به من النار.

فيكون المعنى أنه بمثابة تعليل لعدم إفادتهم من إقرارهم بالذنب ولرفض مطلبهم بذكر السبب، وهو أنهم كانوا في دنياهم إذا ما ذكر الله تعالى وحده، أو متصفا بالوحدانية كفروا به أو بوحدانيته وإذا ما سمعوا عن الإشتراك به كان منهم الإيمان بالشرك. فيكون هذا هو ما استحقوا به دخول النار والخلود فيها.

ثم إنه تعالى بين استحقاقهم هذا العذاب ببيان أن هذا هو حكم الله تعالى فيهم المتصف بالعلو والكبر فلا يكون منه إلا العدل .

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ

مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا مَن يَنْبِئُ ﴿١٢﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي
الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِنَذَرِ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٤﴾ يَوْمَ هُمْ
بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
﴿١٥﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

أولاً : الأسماء :

- ١ - الدرجات : المراد بها - في معنى القول - هو مصاعد الملائكة إلى أن يبلغوا العرش، أو هو السماوات تعرج الملائكة من سماء إلى سماء إلى أن يبلغوا العرش.
- ٢ - الروح : قيل إن المراد به - في معنى القول - هو الوحى، وقيل هو القرآن، وقيل هو جبريل عليه السلام .

وقيل هو كل ما ينعم به تعالى على عباده المهتدين ليكمل أيمانهم وعلمهم .

ثانيا : التفسير :

بدأ الخطاب - في الآيات - موجها إلى جميع الناس ببيان أنه تعالى أرى الناس ولا يزال يريهم آياته الدالة على قدرته وعلى وحدانيته بما يوجب عليهم الإيمان به وتوحيده وعبادته، ثم خص بالذكر - من الآيات - إنزاله الرزق من السماء إلى الناس، يكون بإنزال المطر من جهة العلو، وإنزال الوحي من السماء فيه خير الناس، ثم بين تعالى أنه لا يعي هذا ويفيد منه إلا من يرجع إلى الله فيرفض الكفر أو الإصرار عليه والبقاء في أسره.

ثم جاء أمره تعالى الناس بما هو مترتب عقلا على ظهور آياته من عبادته تعالى مع الإخلاص في الدين وتخليص النفس من الشرك ومظاهرة، وأن يكون منهم هذا ولو ساء المشركين أمر عبادتهم الله والإخلاص له في الدين وشق عليهم، فيكون القول داعيا إلى عدم المبالاة بما يكون من المشركين إزاء إيمان المؤمنين بالله وعبادته .

ثم ذكر تعالى من صفاته ما ذكر، ووردت في القول مرفوعة لإضافتها إلى الفاعل . فذكر تعالى أنه رفيع الدرجات، بمعنى أن مصاعد الملائكة في عروجهم إلى عرشه تعالى رفيعة، وذكر أنه يلقي الروح بأمر من أوامره على من يصطفى ويختار من عباده للرسالة لينذره من عذاب يوم البعث، أو يوم التقاء السماء بالأرض، أو التقاء أهل السماء وأهل الأرض .

ويتصور في الروح أن يكون المراد به هو الوحي الذي يوحى به إلى الأنبياء ، ويتصور فيه أن يكون هو جبريل عليه السلام، أو كلام الله .

ثم يصف تعالى هذا اليوم بأنه اليوم الذي يكون فيه الخلق بارزين ظاهرين لا يحجبهم شيء ولا يسترهم، لأن الأرض تكون قاعا صاففا لا عوج فيها ولا أمثا ولا يخفى من أمرهم على الله شيء من هيئاتهم ولا من أعمالهم . ثم يسأل تعالى «لمن الملك اليوم» ويجب تعالى على السؤال بقوله «الله الواحد القهار» . فيكون القول إعلاما بأنه تعالى وحده مالك أمر هذا اليوم، وأنه القاهر لجميع الخلق على الانقياد لأمره .

ويتصور أن يكون السؤال من الملائكة، وأن تكون الإجابة من الناس مؤمنين وكافرين .

ثم يذكر تعالى أنه تكون مجازاة كل نفس - في ذلك اليوم - بما كان منها، أو إنه يقال للناس - من بعد إقرارهم بأن الملك اليوم لله الواحد القهار - إن كل نفس تجزى بما كسبت. وأنهم يخبرون بأنه لا يظلم أحدهم بالانتقاص من عمله الخير أو بالزيادة له في العقاب. وبأنه تعالى سريع الحساب يحاسبهم ويجازيهم في أقصر وقت لعدم حاجته إلى الوقت يتم فيه الحساب، وقد أحاط بكل شيء علما .

وَأَنذَرُهم يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٌ
مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ١٨ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ١٩ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢٠

أولا : الأسماء :

يوم الأرفة : هو يوم القيامة، ذكر باسم «يوم الأرفة» لبيان قرب زمانه، باعتبار أن كل محقق الوقوع هو قريب .

ثانيا : التفسير :

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن ينذر الناس بعذاب يوم القيامة ليتقوا مباشرة أسبابه من كفر وعصيان، ثم يصف تعالى أحوال الناس فيه فيبين أن قلوبهم تكون كأنها وقعت في حناجرهم وأنهم يمسكون عليها خشية أن تخرج قلوبهم مع النفس. والمراد هو بيان هول ذلك اليوم وأثره في الناس .

ثم يذكر تعالى أنه لا يكون للكافرين - في ذلك اليوم - وصفهم تعالى بأنهم الظالمون

لظلمهم أنفسهم وظلمهم الله بشركهم، لا يكون لهم صديق تنفعهم صداقته ولا يكون لهم شفيع تقبل شفاعته أو يؤذن له فيها، فيكون القول مفيدا معنى وقوع ما أعد لهم من العذاب بهم.

ثم إنه تعالى يبين محاسبته الناس بكل ما يكون قد وقع منهم بيان علمه بما يكون قد وقع من نظرة خائنة كالنظرة إلى المحرم النظر إليه، وكنظرة التجسس على الناس، وعلمه بما انطوت عليه الصدور من البواعث على الأعمال.

ويبين تعالى أن قضاءه في الناس يكون - ترتيبا على ما ذكر من صفاته - هو القضاء بالحق الذي لا لبس فيه، ثم يعرض تعالى بالمشركين في تهكم بهم على عبادتهم غيره تعالى بيان أن الذين عبدوهم من دونه وما عبدوه من الجمادات لا يقضى بشيء.

فيكون القول مبينا جهل المشركين بعبادتهم من لا يملك أن يقضى في أمرهم بشيء.

ثم يذكر تعالى أنه هو السميع البصير، تدليلا على موافقة قضائه في الناس للحق، بحكم سماعه ما صدر عنهم من قول وعلمه ما صدر عنهم من فعل علم من شاهد.

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - هو فى تحذير المشركين والكافرين من البقاء على حالهم من الإشرار بالله والكفر به، بطريق التهديد بأن ينالهم من العذاب الدنيوى ما حاق بالمكذبين رسلهم من قبلهم.

جاء الاستفهام المنفى فى بدء القول لتقرير واقع أن المشركين قد ساروا فى الأرض وعابثوا عاقبة أمر المكذبين من قبلهم، وهم عاد وثمود. ولإنكار عدم اعتبارهم بما شاهدوا وعابثوا.

ثم ذكر تعالى أن المهلكين من المكذبين رسلهم قبل كفار مكة كانوا أشد منهم قوة، بمعنى أنهم ملكوها من أسباب القوة ما لم يملكه كفار مكة، وأن آثارهم فى الأرض مما أقاموه عليها من حصون وقلاع وغيره هى أعظم مما فعل كفار مكة فى مكة.

ثم إنه تعالى يبين أن قوة هؤلاء وسلطانهم الذى خلفوا به آثارهم فى الأرض لم يحل دون أن يأخذهم تعالى بذنوبهم .

وأنه تعالى أهلكهم بذنوبهم فلم يكن لهم مانع يحول دون ما قدر الله لهم من العذاب .

ثم بين تعالى سبب إهلاكه هؤلاء الغابرين، فذكر أنه كانت تأتيهم رسلهم بالآيات الدالة على صحة ما يدعون إليه، وبالمعجزات الدالة على نبوتهم، وأنهم كانوا يكفرون بهذه الآيات ويمنعوا بها، فكان أن أخذهم الله بعذاب من عنده.

ووصف تعالى ذاته بأنه قوى شديد العقاب، لبيان أن قوة الكافرين هى فيما بينهم وأنه تعالى فوقهم هو القوى الذى يملك أن يكون فيهم نفاذ أمره، وأنه يعاقب من اشتد كفره فكفر بآياته بما يستحق من العذاب الشديد.



وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَجَانٍ
 وَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا
 قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ
 الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو شروع فى ذكر قصص المهلكين ممن كذبوا الرسل ممن لم يعاين كفار مكة آثارهم. والمقصودون فى نصوص الآيات هم فرعون وقومه ومن ذهب مذهبهم.

يذكر تعالى أنه أرسل موسى عليه السلام بآياته تعالى الدالة على صدقه، ومعجزاته كما أرسله بحجة ظاهرة، قد يكون المراد بها هو العصا، وقد يكون المراد بها هو ذات الآيات. ويخبر تعالى عن أن الإرسال كان إلى فرعون ووزيره هامان وإلى قارون الذى كان من قوم موسى فبغى عليهم - على المعنى الذى سبق بيانه فيه - والمعنى أنه عليه السلام أرسل إليهم بصفتهم رءوس أتباعهم.

ويذكر تعالى أن هؤلاء قالوا فى موسى عليه السلام غير الحق، وأنهم اتهموه بأنه ساحر كذاب، فهو فيما أتى من معجزات ساحر، وهو كذاب فى ادعائه النبوة.

ثم يذكر تعالى أنه حين أبلغ موسى هؤلاء الذين أرسل إليهم بما أرسل به إليهم من ربه، وهو الحق - غير مبال بما اتهموه به - كان منهم الأمر بالتنكيل بمن آمن لموسى عليه السلام،

وذلك بقتل أبنائهم الذكور واستحياء نساءهم. والذي نراه - والله أعلم - أن الأمر هنا هو غير الأمر القديم الذي أصدره فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل والإبقاء على إناثهم، لأنه تعالى نسب الأمر في القول إلى فرعون وهامان وقارون، فيكون هو أمر كل منهم فيمن هم تحت سلطانه من الخدم والعبيد ولو كانوا من قوم فرعون أو من المصريين .

ثم إنه تعالى يثبت أن كيد هؤلاء - وصفهم تعالى بأنهم الكافرون - وهو كيدهم لموسى كان إلى ضياع بمعنى أنه انعدم أثره فلم يفلح في تحقيق النتيجة التي استهدفت منه :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى
وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ
الْفُسَادَ ۚ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝

التفسير:

المستفاد من قوله تعالى «وقال فرعون ذروني أقتل موسى» أنه عليه اللعنة كان يحاول قتل موسى أو أنه كان يبدى عزمه على هذا ليمتنعه آخرون، وقد يكون هذا لاقتناعه في قرارة نفسه بنبوة موسى، وأن قوله «وليدع ربه» أريد به - من جانبه - إبداء استخفافه بالإله الذي يدعو موسى عليه السلام لعبادته.

ويذكر النص أن فرعون كان يبدى أسباب عزمه على قتل موسى بأنها خوفه من أن يبدل دين القوم بأن يصرفهم عن دين فرعون إلى عبادة الله أو أن يكثر عدد أتباعه فيطيعوه ولا يطيعون فرعون فيكون بذلك ظهور الفساد في الأرض بعدم إطاعة فرعون، أو بالانصراف عن العمل

فيما يأمر أن يكون فيه العمل .

وفى رأينا - والله أعلم - أن الفساد الذي خشي فرعون تفشيه في الأرض - برأيه - هو عودة المصريين إلى عبادة الله تعالى التي دعاهم إليها إدريس عليه السلام والانصراف عن عبادة الأوثان التي كان يعبدوها الهكسوس ومنهم فرعون ذلك الوقت . فيكثر أعوان موسى بالمصريين الذين يؤمنون له فيقوى على فرعون، وهو ما يخشاه فرعون.

ويذكر النص أن موسى عليه السلام حين بلغه قول فرعون فيه أوبشأنه أنه قال «إني عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب» وهو ما يبين منه أن قول فرعون فيه نقل إليه بواسطة بعض المؤمنين؛ ولذلك قال عليه السلام لهم إنه يتعوذ بربه وربهم وهو الله تعالى ، وفى القول وصف فرعون المتعوذ منه بأنه متكبر، لأنه استعلى على الحق لما جاءه، كما وصفه بأنه لا يؤمن بيوم الحساب . وقد يكون فى هذا دليل على أن فرعون لم يكن مصرياً لأن عقيدة المصريين وقتذاك كانت قائمة على الإيمان بالبعث فى الآخرة للحساب، والثواب والعقاب، والآثار على هذا هى من الكثرة بحيث لا تدع للشك فى هذا مجالا.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ
إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ
رَّبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ
بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمِ لَكُمْ
الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا
قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآيتين - من أحداث قصة موسى مع فرعون وهامان وقارون أن رجلا كان مؤمنا من آل فرعون يرب موسى عليه السلام الذي دعا له وبنوة موسى، وكان يخفي إيمانه عن فرعون وملئه، خاطب أتباع فرعون منكرًا عليهم أن يقصدوا قتل موسى، وأن يكون سبب قصدهم قتله هو قوله «ربى الله» وأنه بين لهم سبب إنكاره عليهم هذا بذكره لهم أن موسى عليه السلام قد جاءهم بالآيات الدالة على صدقه، دعمه بها ربهم. ونرى - والله أعلم - أن قول الرجل يشير إلى إيمانه تلميحًا وإن لم يصرح بذلك، بذكره أن موسى عليه السلام جاء بالآيات من ربهم الذي هو إله موسى، كما أن فيه دعوة مسترة إلى الإيمان مما يعتبر من قبيل الأمر بالمعروف. كما يبين من النص أن الرجل حاول إنشاء القوم عن محاولة قتل موسى بذكره لهم أنه إذا كان موسى كاذبًا فإنه لن يصيبهم بأذى وسيكون عائد كذبه وبالاعليه، وأنه إذا كان صادقًا فيما ادعى من اصطفاؤه نبيًا، فإنه يكون من وراء استهدافه بالقتل أنه يصيبهم ما توعدهم به من صنوف العذاب، أو يصيبهم البعض منه. فيكون القول تهديدًا لهم بما يصرفهم عن محاولة قتل موسى عليه السلام أو إيدائه.

ثم يذكر تعالى ما يفيد أن الرجل المؤمن استرسل في تهديد قوم فرعون من محاولة قتل موسى أو إيداء أتباعه، وذلك بأن بين لهم أنهم يقولون قولهم في موسى ويقتلون ذكور أتباعه بحكم كونهم أصحاب الملك في أرض مصر، الظاهرين على أتباع موسى بقوتهم والمتحكمين في أمورهم. ثم أعلمهم أن هذا حال لا يدوم إذا ما نالهم عذاب الله وعقابه بفعلهم أو بنواياهم السيئة، وأنه متى جاء عذابه تعالى فإنهم يعدمون ناصرا يمنع عنهم عذاب الله تعالى.

ثم يذكر تعالى أن فرعون حين بلغه قول الرجل المؤمن خاطب قومه بالرأى الفصل من جهته، فأعلنهم أنه لا رأى في شيء إلا ما يراه - وهذا شأن كل حاكم فرد مستبد بالرأى - ثم زعم كذبا أنه برأيه لا يهدى إلا إلى طريق واحد هو طريق الصواب والصلاح.



وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَوْمَ إِنْني أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾
 مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
 لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنْني أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدِيرِينَ
 مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ^ف وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ
 يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ^ص حَتَّى إِذَا هَلَكَ
 قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
 مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - الذي آمن : قيل إنه موسى عليه السلام، واستدل على هذا بقوة خطابه، وقيل - وهو
 الراجح - إنه مؤمن آل فرعون .

٢ - يوم الأحزاب : هو يوم عقاب كل حزب من الأحزاب التي عادت الرسل والأنبياء .

٣ - يوم التناد : المراد به - في معنى القول - هو يوم القيامة، يكون فيه التنادي، إذ ينادي
 فيه أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم، وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد
 وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء،
 وتنادي الملائكة أصحاب الجنة أن تلکموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيات - هو في ذكر قول مؤمن آل فرعون، بعد أن سمع قول فرعون،

والقول يكاد يكون تحريضا لقومه على عصيان أمر فرعون الذى قال لهم «ما أرىكم إلا ما أرى»، وذلك بتخويفهم من أن يكون جزاؤهم هو جزاء المكذبين من قبلهم .

وصف تعالى الرجل بأنه الذى آمن، ثم أخبر أنه نادى الناس بقوله «يا قوم» لإظهار أنه واحد منهم يريد صالحهم، ثم أخبرهم أنه يخاف عليهم يوما يكون مثل يوم عذاب كل قوم من الأقوام التى تحزبت على رسلها، ثم بين أن يوم العذاب الذى يخشى أن يكون لهم يكون مثل يوم العقاب الذى قدر جزاء على ما دأبت عليه كل من عاد وثمود من تكذيب الرسل وإيذائهم، وأيام العقاب التى قدرت لمن جاء بعدهم من الأمم التى كذبت رسلها مثل قوم لوط .

ثم بين لهم أنه تعالى لا يظلم عباده ولا يريد لهم الظلم؛ ولهذا فإنه كما أنه لم يرض لهم الكفر فإنه لم يرض لهم ظلما بتعذيبهم، فيكون القول بيانا لكونهم إنما عذبوا وأهلكوا بكفرهم وبذنوبهم عدلا منه تعالى وحقا .

وبعد أن أخبرهم أنه يخاف عليهم يوم عذاب الدنيا، فإنه أخبرهم بأنه يخاف عليهم - إذا هم أطاعوا فرعون - عذاب يوم القيامة، ذكره بأنه يوم التنادى لأنه يكون فيه النداء من الناس بعضهم لبعض، كما يكون من الملائكة. فيفيد القول معنى أن عذاب الدنيا لا يمحو عن الكافر عذاب الآخرة .

ثم وصف الرجل المؤمن يوم التنادى بأنه يوم يولون مدبرين ليس لهم من الله من عاصم. والمعنى أنهم إذا ما بقوا على كفرهم مطيعين أمر فرعون فإنهم ينصرفون عن المحشر مخلفينه خلفهم ليتجهوا إلى النار مساقين مدفوعين، لا يعصمهم من العذاب بها على ما قدر تعالى أحد .

ثم إن الرجل أتبع هذا بقوله «ومن يضل الله فما له من هاد» فكأنه أراد بهذا أن يعلمهم أنه لم ينصح لفرعون لعلمه أنه ممن أضلهم الله، ولهذا فقد حقت عليه كلمة العذاب فليس من أمل أن يكون له هاد يهديه إلى الحق فينجيه من العذاب .

وبعد هذا ذكر الرجل قومه بما كان منهم حين كان نبي الله يوسف بن يعقوب عليه السلام بينهم فقال لهم إنهم كانوا - طوال حياته داعيا - في شك من كونه نبيا، وفي كون ما بعث به هو من رب العالمين، ثم كان منهم بعد موته أنهم جزموا وقطعوا بأن الله لن يبعث من بعده رسولا.

وفي هذا قيل إن الرجل المؤمن قصد أن يبين لهم أنهم - في حياة يوسف عليه السلام - شكوا في كونه نبيا، ثم انقلب شكهم هذا يقينا بعد موته فقطعوا بأنه عليه السلام لم يرسله ربه نبيا، كما أنه تعالى لن يبعث من بعده رسلا أنبياء.

والذي نراه - والله أعلم - غير هذا، إذ يبين من القول أن القوم - والمراد هم آبائهم - كانوا في شك في أمر نبوة يوسف عليه السلام أثناء حياته، فلما مات أيقنوا أنه كان رسولا، وقالوا إن الله لن يبعث من بعده رسولا آخر.

فيكون ظاهرا أن الرجل المؤمن أراد تحذيرهم من الوقوع في ذات الخطأ بالشك في أمر موسى عليه السلام في حياته، ثم الوثوق بنبوته بعد موته؛ إذ يكون للقول فائدة ترجى وهي حث القوم على المبادرة إلى الإيمان لموسى عليه السلام.

ثم ذكر الرجل أنه على مثل أمر آبائهم الذين جحدوا نبوة يوسف عليه السلام في حياته ومثل أمر فرعون الذي أضله الله عن الحق.

فإنه تعالى يفضل عن الحق المنجى من العذاب من أسرف في العصيان، وارتأب في الحق إذ جاءه ودلت عليه الآيات.

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُتُبٌ
مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ
مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٥﴾

التفسير:

يتصور في القول أن يكون قول الله تعالى، ويتصور فيه أن يكون تنمة قول مؤمن آل فرعون. وفيه جاء الاسم الموضوع «الذين» بدلاً من «من» هو مسرف مرتاب» أو صفة له، فيبين القول أن المسرفين المرتابين هم الذين يجادلون في آيات الله المنزلة بغير علم أتاهم من الله تعالى في كتاب أو صحيفة مما أنزل تعالى أو من خبر أخبر به رسول الله من رسل الله تعالى.

ثم إن القول يخبر أن هذا الفعل ممقوت غاية المقوت من الله تعالى ومن الذين آمنوا فيكون القول ذماً للفعل ولفاعليه.

ثم إن القول يذكر أنه على مثل هذا النحو البغيض الممقوت الذي يسم فعال المسرفين المرتابين يطع تعالى على كل قلب متكبر جبار، والمعنى أنه يطع عليه الكفر فلا يكون منه إيمان وإنما يكون الإصرار على الكفر والمجادلة في آيات الله بالباطل ليحق عليه العذاب.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَخًا عَلِيًّا أَبْلُغْ
الْأَسْبَابَ ٣٦ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ
كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا
كَدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي بَنَابٍ ٣٧

التفسير:

يذكر تعالى - من أحداث القصة - أن فرعون بعد أن ستم بقول الرجل المؤمن لقومه، خشي أن يؤدي قوله المعتمد على المنطق وعلى أحداث التاريخ إلى إيمان القوم لموسى

عليه السلام، فحاول إقناع الناس بكذب موسى بطريقة علمية في حدود العلم آنذاك، فطلب من وزيره هامان أن يبنى له صرحا عاليا، والمعنى أنه كلفه باتخاذ إجراءات هذا البناء، وبين أن أسباب بنائه هي بلوغه الأسباب، أوردتها مبهمة لاستثارة الشعور إلى معرفتها ثم أفصح عنها بأنها أسباب السماوات، ويتصور في المعنى أن يكون هو طرقها - وهو ضعيف في رأينا - أو أن يكون هو أسباب وقوع الأحداث والمعرفة بها - وهذا ما نعتقده - فيكون البناء العالى الذى طلب فرعون من هامان بناءه هو من قبل ما يعرف اليوم باسم «المرصد» يكون الغرض من إقامته هو رصد حركة الكواكب والأفلاك والغاية من هذا هي معرفة ما إذا كان الله تعالى قد اصطفى موسى نبيا رسولا أم لا.

وقد كان من فرعون محاولة تهئية نفوس الناس ليسمعوا منه قوله في موسى من بعد رصد النجوم والكواكب بقوله لهم «وإني لأظنه كاذبا».

ثم يذكر تعالى أنه على هذا النحورين لفرعون سوء عمله، وهو تكذيبه موسى عليه السلام ومحاولته إقناع الناس بكذبه، وأنه بهذا صد عن سبيل الحق فلم يتبعه.

ثم بين تعالى أن ما كاد به لموسى عليه السلام، من محاولة التدليل على كذبه قد باء بالفشل والخسران.

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَوْمَ اتَّبَعُونَ أَهْدِكُمْ
سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَوْمَ لَمَّا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ
هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا
بَغِيرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآيات - هو أن مؤمن آل فرعون قد أعلن إيمانه صراحة لموسى عليه السلام وبالله تعالى، بل إنه أكثر من هذا اتخذ سبيل الدعاة .

فيذكر تعالى أنه طلب من قومه اتباعه فيما يدعوهم إليه فيكون منه هديهم إلى سبيل الرشاد الذى يوصلهم إلى الخير الذى يرجونه .

والقول - على هذا النحو - يتضمن تعريضا بفرعون وبياناً لكونه لا يوصل إلى الرشاد كما ادعى فرعون كاذبا .

ثم إن الرجل يزهدهم فى الدنيا كيلا يقبلوا الكفر حرصا عليها بذكره لهم أنها ليست سوى متاع، والمعنى أنها بما فيها مجرد عرض زائل .

ثم يقارن بينها وبين الآخرة فيبين أن الآخرة هى دار القرار، بمعنى أنه يكون فيها الخلود، فيكون ذلك دافعا إلى الحرص عليها .

وبعد هذا يدعو الرجل المؤمن قومه إلى اجتناب المعاصى والعمل بالطاعات، بذكره لهم أن من يعمل سيئة لا يجزى فى الآخرة إلا سيئة مثلها .

بمعنى أنه يعاقب عقابا يتكافأ مع جسامة السيئة، وأن من يعمل فى الدنيا أعمالا صالحة وهو مؤمن فإنه يدخل الجنة يرزق فيها بغير حساب، يتساوى فى هذا الذكر والأنثى .

ومن القول يبين أن شرط الإثابة على العمل الصالح فى الآخرة هو الإيمان، وأن الكافر لا يدخل الجنة .

وأن معنى أن يكون الرزق بغير حساب، هو أنه يزداد فيه فضلا من الله وكرما دون مراعاة التساوى مع العمل الصالح، فيكون عدم المساواة هو لصالح المؤمن العامل بالصالحات .

وَيَقُومَ مَالِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى الْبُحْثِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۖ
 تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ
 إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۖ لَاجِرْمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا
 وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ
 فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ

التفسير:

يذكر تعالى - في الآيات - تمة قول مؤمن آل فرعون لقومه، كررنداءهم ودعاهم قومه
 لإيقاظ نفوسهم وتهيتها للانقياد له.

ثم بين لهم أن دعوته إياهم هي دعوة لما ينجي من العذاب على حين أن دعوتهم إياه إلى
 اتباع دين فرعون هي في حقيقتها دعوة إلى النار، فيكون القول إعلاما منه إياهم بأنه على
 هدى وأنهم على ضلال.

ثم يفصل ما يدعونه إليه وما يدعوهم هو إليه، فيذكر أنهم يدعونه إلى الكفر بالله وأن يشرك
 بعبادته إلها أو آلهة ليس لديه علم بأنها آلهة ولم يقم لديه دليل على هذا، على حين أنه
 يدعوهم إلى الله القادر على الانتقام والتعذيب، وصاحب المغفرة.

فيكون القول مشيرا إلى أن الإصرار من جانبهم على الكفر يعرضهم لعذاب ربهم، وأن
 إيمانهم يكون سببا لمغفرة ذنوبهم.

وبعد هذا فإنه جزم ببطلان معبوداتهم، فقوله لهم «لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة
 في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار» معناه أنه لا شك أن

ما ثبت، أو أن الحق هو أن ما تدعونني إلى عبادته من ألهمتكم ليس له دعوة ولادين في الدنيا ولا في الآخرة، فيكون المراد بيانه هو نفى الألوهية تماماً عن معبوداتهم. ثم أعقب هذا ببيان أن مرجعه وإياهم في الآخرة هو إلى الله، وأن مصير الذين أسرفوا على أنفسهم في القتل بقتلهم ذكور مواليد المؤمنين وقصدهم قتل موسى عليه السلام، والذين أسرفوا في الضلال فبلغوا حد الشرك، أن مصير هؤلاء هو إلى النار أعدت لهم حتى لكانهم أصحابها.

وفي نهاية قوله فإنه تهددهم بالعذاب، فقوله لهم «فستذكرون ما أقول لكم» معناه أنهم سيتذكرون نصحه إياهم بالإيمان لدى معايتهم عذاب الله في الآخرة. أتبعه بالتصريح بتوكله على الله وتفويضه التصرف في أمره، ثم وصف الله تعالى بأنه بصير بالعباد، والمعنى أنه تعالى يعرف أحوالهم فيحسم من يلوذ به ويدفع عنه المكاره والشور، ويخذل الكافرين في الدنيا ويعذبهم في الآخرة.

فَقَوْلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - في الآيتين - هو أن آل فرعون مكروا بالرجل المؤمن وأنهم أرادوا به سوء، وأنه تعالى وقاه شر مكرمهم - بحكم تفويضه الأمر إليه تعالى - وأنه حاق بفرعون وآله سوء العذاب، لم يذكر - في النص - فرعون، اكتفاء بذكر آله لكونه أكثر منهم استحقاقاً للعذاب.

والمراد بسوء العذاب هو إغراقهم في مبتدأ الأمر، ثم هو - من بعد ذلك - النار يعرضون عليها غدواً وعشيا، وفيه قيل إنه عذاب القبر، وقيل إنه عذاب البرزخ يكون بعرض أرواحهم على النار مرتين إحداهما في الصباح والأخرى في المساء في حكم اليوم من أيام الدنيا.

وقد يكون المراد بالعرض على النار هو الاصطلاء بها. ثم يكون يوم القيامة أنهم يؤمرون بدخول جهنم ليكون لهم فيها أشد العذاب، أو أن الملائكة تؤمر بإدخالهم جهنم ليدوقوا أشد العذاب.

وَأَذِيتَحَاجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعَفَاءُ
لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا
مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ مُخِزَّةٌ جَهَنَّمُ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ
عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ نَأْتِيكُم بِرُسُلٍ مُّبِينِينَ
قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَاذْعُوا وَمَا دَعَا الْكَاذِبِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في أهل النار عموماً، من كفار جميع الأمم، وقيل هو في آل فرعون. يذكر تعالى أن ضعفاءهم في الدنيا يقولون لكبرائهم إنهم كانوا لهم أتباعاً وخداماً في الحياة الدنيا، ويسألونهم يحكم هذه التبعية أن يدفعوا عنهم جزءاً من عذاب النار، فالاستفهام في قولهم «فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار» أريد به الطلب، وقد يكون المراد به هو الاستهزاء بالكبراء للعلم بأنهم لا يغنون عنهم المطلوب.

ثم إنه تعالى يذكر أن الكبراء يعلنون عجزهم عن هذا بدلالة أنهم لم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً من العذاب، وأنهم مثلهم ملقون في النار.

ثم يشفعون قولهم بذكرهم إن الله قد حكم بين العباد، والمعنى أنه قدر مسئولية المتبوعين عن كفرهم كما قدر مسئوليتهم عن إضلالهم؛ ولهذا فإنه تعالى جمعهم جميعاً في النار.

ثم يذكر أن الذين في النار يلتجئون إلى خزنة جهنم يسألونهم أن يدعوا ربهم ليخفف عنهم من العذاب عذاب يوم من أيام الدنيا. وأن الخزنة يجيبونهم بقولهم «أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات»، والمعنى أنهم يبدون رفضهم الاستجابة لطلبهم وأنهم يزيخونهم على عدم إيمانهم بالرسول الذين جاءوهم بالبينات، فالاستفهام في قول الملائكة هو لتقرير واقع إتيان الرسل - في الدنيا - أهل النار بالبينات، ولإنكار عدم إيمان أهل النار لهم عليهم.

كما يذكر تعالى أن أهل النار يجيبون على سؤال خزنة جهنم بقولهم «بلى» فهم يقولون بمجيء الرسل إليهم بالبينات وبكفرهم بها، وترتياً على هذا فإن خزنة جهنم يبدون رفضهم أن يدعوا لهم ربهم بتخفيف العذاب عنهم قائلين لهم فليكم الدعاء منكم أنتم.

والمعنى أن الخزنة لا يجرون على الدعاء بالمطلوب لسبق القول إن الكافرين يخلدون في النار، ولأن الدعاء لا يكون إلا بما يمكن تحقيقه. ثم إنهم يعلمون أهل النار بأن دعاءهم هو إلى ضياع لا إيجاب، وعلة ذلك أنه دعاء قوم كافرين.

إِنَّا نَنْصُرُ

رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّرَجَاتِ ﴿٥٢﴾

أولاً: الأسماء :

الأشهاد : جمع، مفردة «الشهيد» وهو الشاهد .

ثانيا : التفسير :

لما كان تعالى قد بين أن الرسل والمؤمنين لهم يقاسون فى الدنيا من معاداة الكافرين لهم، فإنه بين - فى الآيتين - أنه تعالى ينصر رسله والذين آمنوا لهم - فى الحياة الدنيا - على أعدائهم الكافرين، لا ينال من هذه الحقيقة ما يشاهد من ارتفاع للكافرين على المؤمنين وإن طال زمان هذا.

لأنه تعالى قد يمهّل الكافرين ليزيد من عذابهم وقد يمتحن المؤمنين أو يعاقبهم لعصيان كان منهم، ثم تكون عاقبة الأمور تحقق وعده بنصر المؤمنين على عدوهم فى الدنيا، ثم يكون منه تعالى نصر رسله والمؤمنين لهم فى الآخرة على عدوهم الكافرين حين يشهد الأشهاد للرسول بالإبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب، فينعم الله رسله والمؤمنين، ويعذب الكافرين المكذبين، فيكون ذلك منه تعالى نصرا للرسول وللمؤمنين على الكافرين .

ثم يبين تعالى أن «يوم يقوم الأشهاد» الذى ينصر فيه المؤمنين على الكافرين هو «يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم» .

وفيه يتصور أن يكون المراد بالقول أن الكافرين لا يستطيعون إبداء معذرتهم، ويتصور أنهم يبدونها غير أنها لا تقبل منهم.

ثم يذكر تعالى أنه تكون لهم اللعنة، بمعنى أنهم يطردون من رحمته، وأنه تكون لهم سوء الدار، والمراد بها جهنم تكون لهم دارا ومقاما، ليس لهم فيها إلا ما يسوؤهم .

وَلَقَدْ
 ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرًا
 لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ
 بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۖ

التفسير:

المراد بالآيات - في رأينا والله أعلم - هو طمأنة رسول الله ﷺ إلى نصر الله يأتيه والمؤمنين، وأنه يترك المؤمنين من بعده على عقيدة وشريعة من الله ولو كره الكافرون، وأنه تعالى مثل لرسوله ﷺ بما كان منه مع موسى ومن آمن له.

بدأ تعالى القول بأن ذكر أنه أتى موسى الهدى وأورث بنى إسرائيل الكتاب، فهو تعالى هدى موسى عليه السلام إلى الحق، وآتاه الصحف والتوراة يهدي بها.

ثم إنه عليه السلام خلف في بنى إسرائيل بعد موته التوراة، كانت هاديا إلى الصواب في العقيدة وقانونا يعمل به في الشريعة.

يفيد منها أصحاب العقول الذين يقرون بالإيمان بالعمل بما يؤمنون به.

ونرى - والله أعلم - أنه تعالى مثل لحال محمد ﷺ والمؤمنين له بحال موسى عليه السلام والمؤمنين له.

فلقد هدى الله محمدا ﷺ، وآتاه الكتاب والحكمة يهدي بهما، ثم إنه بعد موته ﷺ خلف في أمته ما لا يضيع، كتاب الله وسنة نبيه.

ولهذا جاء أمره تعالى رسوله ﷺ «فاصبر إن وعد الله حق» أمره بالصبر، كما صبر موسى على أذى فرعون وقومه.

وأكد له أن وعده بنصر رسله والمؤمنين متحقق بإذن الله كما نصر موسى والذين آمنوا معه على فرعون وقومه.

ثم أمره أن يستغفر لذنبه ليكون في هذا - وهو المعصوم - إماما للمؤمنين فيستغفرون ربهم، كما أمره أن يسبح بحمد ربه بالعشى والإبكار وأن يداوم على هذا، ليكون للمؤمنين قدوة وإماما.



إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ
 بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ
 بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ
 مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى
 وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ فَلْيَا مَا تَذَكَّرُونَ
 ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يعاديه الكافرون، وأشدّهم كفراً هم الذين يجادلون فى آيات الله المنزلة قصد العيب عليها والنيل منها.

فأثبت تعالى أن الذين يجادلون فى آياته المنزلة فى كتبه ومنها الآيات الدالة على البعث والحساب، والذين يجادلون فى القرآن العظيم بغير الحق دون أن يكون لديهم دليل من كتاب منزل أو قول لرسول أو برهان عقلى هم أناس لا يدفعهم إلى ما هم عليه إلا كبر فى صدورهم يحول بينهم وبين الإيمان، فهم يستكبرون على التخلّى عن آلهة عبدها آبائهم، وعن الإيمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لم يؤت سعة من المال.

ثم بين تعالى أنهم لن يبلغوا ما استهدفوا تحقيقه من وراء مجادلهم فى آيات الله بالباطل، بمعنى أنه تعالى مظهر كتابه ودينه.

ثم إنه تعالى أمر رسوله بالاستعانة بالله، فبين أن فعل المجادلين بالباطل هو من فعل الشيطان، وأخبر عن ذاته بأنه السميع البصير، ليعلم صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أنه تعالى معهم، وأنه محاسب أعداءهم على أعمالهم .

ثم إنه تعالى يذكر آية تدل على قدرته على البعث للحساب من بعد الموت وهو ما ينكره بعض الكافرين .

فبين أن خلقه تعالى السماوات والأرض من العدم وتسييرها على النحو الذي سخرها عليه هو أعظم شأنًا من خلق الناس أول مرة، والذي هو أعظم من إعادة خلقهم أو بعثهم في الآخرة .

ثم ذكر تعالى أن أكثر الناس لا يدركون هذه الحقيقة، والمراد بهم منكرو البعث من الكافرين .

ثم أتبع تعالى هذا ببيان عدم تساوى الكافرين عموماً - ومنهم منكرو البعث - مع المؤمنين، فمثل للكافرين بالأعمى لأنهم لا يبصرون الآيات فيتدبرونها، ومثل للمؤمنين بالبصير، ثم ذكر عدم تساوى الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع المسيئين .

وأثبت أن كثيرين من الناس لا يدركون هذا أو أن الناس لا تدرك هذه الحقيقة إلا قليلاً .

وقد يكون فى القول إشارة إلى ما يقوله بعض الناس حين يرون العصاة متنعمين من أنه لا فرق بين محسن ومسيء .

وربما لهذا جاء قوله تعالى - من بعد - «إن الساعة لآتية لا ريب فيها» لأن الاستواء بين الكافر والمؤمن، وبين المحسن والمسيء ممتنع تصوره فى الآخرة .

ثم أخبر تعالى أن أكثر الناس لا يؤمنون بهذا - وهم منكرو البعث - أو أن أكثر الناس يتناسونه فلا يعملون للآخرة عملها .



وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ①

التفسير:

يطلب تعالى من الناس بصريح القول أن يدعوه فتكون منه الاستجابة. وفي معنى الدعاء قيل إنه العبادة، وإن الاستجابة تكون بالإثابة عليها.

وقيل إن الدعاء هو دعاء اللسان المعبر عن القلب المؤمن المبتعد عن المعاصي.

ثم بين تعالى أن الذين يستكبرون عن عبادته تعالى يجازون على هذا بدخولهم جهنم صاغرين أذلاء.

وقيل إن المراد بالعبادة هو الدعاء أو أنه من أفضل أنواعها لانطوائه على الخضوع فيكون مقابلاً لاستكبار المستكبرين عن عبادته تعالى.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ ② ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ③ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآيَ
تُؤْفِكُونَ ④ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْمَدُونَ ⑤

التفسير:

بعد أن طلب تعالى من الناس عبادته ودعاه وتوعد المستكبرين عن عبادته بدخول

جهنم أذلاء صاغرين، فإنه تعالى ذكر في الآيات بعض دلائل قدرته وفضله على الناس بما يوجب عليهم الإيمان به وعبادته وشكره.

فذكر تعالى من نعمه التي أنعم بها على الناس والتي هي من دلائل قدرته أنه خلق الليل وجعله مظلماً ليكون سبباً لسكون الناس فيه للراحة والنوم لاستعادة نشاط الأبدان والعقول، وأنه خلق النهار وجعله ذا نور ليكون فيه الإبصار فيكون فيه السعي إلى الرزق.

ثم بين تعالى أن فعله هذا هو مما تفضل به على الناس مما يوجب عليهم له تعالى حق الشكر.

ثم ذكر صراحة أن أكثر الناس يغفلون شكره تعالى كفراً بالنعمة أو جهلاً بالنعمة أو المنعم.

ثم إنه تعالى أشار إلى ذاته المنعم وأخبر أنه خالق كل شيء، فيكون المعنى أنه وحده هو الخالق، وأنه ما من مخلوق في الكون إلا وهو عبد من عبيده تعالى وخلق مما خلق، فيكون تعالى وحده هو المستحق للعبادة.

ولهذا فإنه تعالى أورد كلمة التوحيد، نافياً الألوهية عن غيره، مثبتاً لذاته. ثم خاطب المنصرفين عن عبادته تعالى، والمتخذين معبودات من دونه تعالى بقوله «فأني توفكون» وهو استفهام أريد به إثبات أنه ما من سبيل يبرر الانصراف عن عبادته تعالى إلى عبادة غيره.

ثم إنه لما كان الواقع يثبت أنه يكون في كل وقت كافرون ومشركون، فإنه تعالى أثبت أن ضلال هؤلاء وإفكهم ليس جديداً في عمر البشرية فعليه كان أقوام آخرون كانوا بآياته تعالى يجحدون.

بمعنى أنهم كانوا ينكرون آياته في الخلق أن تكون دليلاً على الخالق الواحد، كما كانوا ينكرون آياته المنزلة أنها من رب العالمين.



اللَّهُ
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
 صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
 رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ قُلِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ نَدُّعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

التفسير:

الآيات هي في بيان المزيد من مظاهر قدرته تعالى الدالة على ألوهيته ووحدانيته وما أنعم
 به على جنس الإنسان بما يوجب على الناس الإيمان به وعبادته وشكروه، أتبعها أمره تعالى
 رسوله ﷺ أن يعلن الناس بما أمر به وما هو عليه.

بدأ القول بذكره تعالى واقع أنه الذي سخر الأرض لتكون صالحة لحياة الناس وسائر
 الحيوان عليها بعد أن كانت كرة ملتهبة انفصلت عن الشمس، وبأنه الذي جعل السماء بناء
 يحيط بالأرض يهتدون بنجومها وكواكبها ويحميهم غلاف الكرة الأرضية من النيازك والشهب
 ومن الأشعة السنية للشمس فتكون مثل البناء أو القباب في حماية من تحتها، وبأنه الذي
 صور الإنسان على أحسن هيئة تناسب سعيه، وأنه الذي رزق الناس الرزق الذي يطيب
 لهم.

ثم أشار تعالى إلى ذاته وأخبر الناس أنه ربهم، بمعنى أنه راعيهم وكافلهم والمتولى
 أمورهم.

وأنه خلق ما ذكر مما خلق بصفته هذه، ثم إنه أعلى قيمة ذاته بذاته وبين كثرة الخير يكون

منه، واصفا نفسه بأنه رب العالمين، بيانا لشمول نعمه العالمين جميعهم .

ثم إنه تعالى أخبر عن ذاته بأنه هو الحي، بمعنى أنه وحده المنفرد بالحياة السرمدية وأن كل ما هو دونه إلى فناء .

ثم أورد تعالى كلمة التوحيد لنفي الألوهية عن غيره وإثباتها لذاته، وأتبع هذا بأمره الناس أن يعبدوه مخلصين له الدين .

بمعنى أن يخلصوا في عبادته لا يشركون معه أحدا غلنا أوفى خفاء، وأن يحمدهوا بقولهم «الحمد لله رب العالمين» على ما أنعم به عليهم من النعم، وما تفضل به عليهم من فضله .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يعلن إلى الكافرين والمشركين أنه نهى من ربه عن عبادة ما يعبدون من دون الله .

وأنه قد جاءت الآيات الدالة على استحقاق ربه وحده العبادة، يدخل في هذا الآيات الكونية وآيات الذكر الحكيم، وأن يعلن إليهم أنه أمر من ربه أن يسلم لرب العالمين، ينقاد له ويسلم وجهه إليه تعالى بالعبادة ويكون أول المسلمين .

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَكُمْ تَوَاسِيُوهُمْ وَخُلُوفُهُمْ مِنْ يَوْمٍ
مِنْ قَبْلٍ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى جميع الناس، وهو في ذكر بعض آيات قدرته تعالى الدالة على

وحدانيته بما يوجب خصه تعالى وحده بالعبادة.

فيذكر تعالى من دلائل قدرته خلقه آدم عليه السلام أبا البشر من تراب.

ثم خلقه الناس من التطف تكون في الأرحام بعد ذلك علقات - على ما سبق بيانه تفصيلا من الناحية العلمية - في إشارة إلى مراحل تكوين الجنين.

ثم يكون خروج المواليد من الأرحام أطفالا، يكون نموهم بعد ذلك إلى أن يبلغوا أشدهم وهو تمام اكتمال قوة أبدانهم ونماء عقولهم وقدراتهم الذهنية.

ثم يكون بعد ذلك استمرار من يبقى منهم حيا إلى حين بلوغ مرحلة الشيخوخة.

كما يذكر تعالى أنه يكون من الناس من يموت قبل بلوغ مرحلة الأشد أو كمال النمو وتماثله أو قبل بلوغ مرحلة الشيخوخة.

وأنه يكون من بعد الوفاة التي هي مصير العباد جميعهم بلوغ الأجل المحدد من الله للحساب وهو يوم القيامة.

وأتابع تعالى ذكره هذه الآيات من آيات قدرته بقوله «ولعلكم تعقلون».

وهي ما يعنى أن في هذه الآيات الأدلة التي يتبين منها أصحاب العقول أنه تعالى وحده هو الخالق وهو المعيد وهو المحاسب والمجازي فيعبدونه لا يشركون به شيئا.

ثم إنه تعالى ذكر - بصريح العبارة - ما هو مستفاد عقلا مما سبق ذكره من مظاهر قدرته، فذكر أنه الذي يحيى الموت ويميت الأحياء.

وأن قضاءه في شيء لا يعجزه وإن عظم، لأن تحقق قضائه إنما يكون بكلمة «كن» يكون بها قضاؤه في الأمر نافذا متحققا..



أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ ٦٩ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ
وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٧٠ إِذْ الْأَعْلَى فِي أَعْيُنِهِمْ
وَالسَّلَاسِلُ يُسْعَبُونَ ٧١ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ
أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ٧٣ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْ بَابِ لَمْ يَكُنْ
نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ٧٤ ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ
تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ٧٥ ادْخُلُوا الْبُيُوتَ
بِحُجَّتِهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ٧٦

أولاً : الأسماء :

الحميم : هو ما اشتد حره فبلغ منتهى الشدة .

ثانياً : التفسير :

الخطاب - فى الآيات - وجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو - فى معناه - إلى المؤمنين أو إلى كل من له عقل يعى ويفهم .

جاء الاستفهام فى قوله تعالى « ألم تر » لبيان وجوب الملاحظة والفهم . والمطلوب ملاحظته وفهمه هو ما هو حادث من المكذبين الذين يجادلون فى آيات الله المنزلة بالباطل، وأنهم - فى واقع الأمر - يعدمون حجة على الانصراف عنها وعدم الإيمان بها .

ثم يصفهم تعالى بأنهم الذين كذبوا بكتبه جميعها وبما أرسل به تعالى رسله، فيدخل فى

هؤلاء كل من كذب بالتوراة وبالإنجيل قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل من كذب الأنبياء والرسل وما بعثوا به من الكتب والصحف والزبور، كما يدخل فيهم الذين كذبوا بالقرآن العظيم كتاباً منزلاً من الله تعالى وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم إنه تعالى توعد هؤلاء المكذبين بالعذاب بقوله «فسوف يعلمون» بمعنى أنهم سوف يعلمون حين يؤخسون عذاب جهنم حقيقة تكذيبهم بالكتب والأنبياء حقيقة جدالهم بالباطل ليدحضوا به الحق، وأنه كان باطلاً أرادهم فاستحقوا به العذاب.

وبعد هذا يصف تعالى عذابهم الذي يسلمون منه أنهم كانوا على الباطل، فيذكر أنهم تكون في أعناقهم الأغلال والسلاسل يسحبون بها في النار أو فيما اشتد حره مثل المعدن المنصهر من شدة الحرارة، ثم يكون لهم من بعد ذلك أنهم يحرقون في النار ظاهراً وباطناً.

ولا يقف تعذيبهم عند هذا الحد من التعذيب المادى، وإنما تعذب نفوسهم بالاستهزاء بهم وبما أشركوا به، إذ يقال لهم من الملائكة «أين ما كنتم تشركون من دون الله» يسألون عن معبوداتهم التي عبدوها في الدنيا لبيان أنهم إنما عبدوا ما لا ينفع شيئاً ولا يضر، فتكون إجابة المشركين هي: «ضلوا عنا» بمعنى أنهم غائبون عنهم أو أنهم لا وجود لهم.

ثم يذكر تعالى أن الكافرين يقرون بعد ذلك بأنهم لم يعبدوا شيئاً ذا قيمة أو أنهم إنما عبدوا عدماً أو ما يشبه العدم، وذلك لانعدام فائدة معبوداتهم «بل لم تكن ندو من قبل شيئاً».

ثم يجيء قوله تعالى «كذلك يضل الله الكافرين» بيانا لكيفية إضلاله تعالى الكافرين في الدنيا والآخرة.

إذ يكون منهم في الدنيا المجادلة في آيات الله بالباطل، ويكون منهم في الآخرة التردد في شأن معبوداتهم فيذكرون تارة أنها ضلت عنهم ويذكرون أخرى أنهم لم يكونوا يعبدون شيئاً.

ثم إنه تعالى يذكر ما عذب به المشركون والكافرون في الآخرة على النحو المذكور، بقوله

تعالى «ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون»، والمعنى أنهم عذبوا على هذا النحو من العذاب الشديد لأنهم كانوا في أرض الدنيا يفرحون بكفرهم ويستهجون بما يقولونه في آيات الله ظنا منهم أنهم ينالون منها، ولأنهم كانوا يفرحون غاية الفرح إذا ما كادوا لرسل الله تعالى وللمؤمنين.

ويجيء قوله تعالى «ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها، فبئس مثوى المتكبرين» إظهاراً لمقام الكافرين في الآخرة فهم يؤمرون بدخول أبواب جهنم.

وقد يكون مفاد أنهم يؤمرون بهذا هو أنهم يلقون فيها رغماً عن إرادتهم، ويكون دخولهم فيها هو مبتدأ خلودهم فيها، إذ لا يكون لهم خروج منها.

ثم إنه تعالى يذم جهنم ويذمهم بذكره أن شر المقام هو جهنم تكون لشر الخلق وهم المتكبرون الذين استعلوا على كلمة الحق فلم يؤمنوا.

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَأَمَّا نُرِّيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نُوَفِّيكَ ۖ فَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن وعده هو أن ينصر رسله والذين آمنوا، وبعد أن بين ما يكون للمكذبين من العذاب الشديد في الآخرة.

جاء أمره تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى الكافرين المكذبين، مؤكداً له أن وعده بالنصر عليهم متحقق بإذن الله وكذا وعده بتعذيبهم في الآخرة.

وإثباتاً لذلك فإنه تعالى أخبره أن تعذيبهم في الدنيا بانتصار المؤمنين عليهم متحقق بإذنه تعالى سواء أراه الله ذلك في حياته بنصره على الكافرين وقتله منهم من يقتل أو يأسر أو لم يره ذلك حال موته صلى الله عليه وسلم قبل تحققه — وقد تحقق ذلك في حياته ﷺ.

والحمد لله رب العالمين، ثم أكد تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم تحقق وعده بتعذيبهم في الآخرة بقوله «فإلينا يرجعون» إذ المعنى أنهم يرجعون إليه تعالى في الآخرة للحساب وللعذاب .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - خطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان الكافرون يطلبون منه آية مادية من قبيل ما أرسل به موسى وعيسى عليهما السلام .

فجاء قوله تعالى في الآية مبينا أن المكذبين الرسل قد طلبوا من رسلهم ما هو أكثر من هذا وأنه عليه الصلاة والسلام لم يعرف من أخبار هؤلاء الرسل وأقوامهم إلا القليل مما ذكره تعالى لرسوله في القرآن العظيم، كما بين له تعالى أن أمر المكذبين هو إلى العذاب .

وفى القول يذكر تعالى أنه أرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا عديدين إلى أقوامهم، منهم من قص تعالى في القرآن العظيم على رسوله قصصهم ومنهم من لم يقص عليه قصصهم .

فيكون المراد إظهاره هو كثرة الرسل وكثرة المكذبين لهم، وكذا كثرة الذين طلبوا من رسلهم الآيات إمعانا في ركوب الباطل .

يبين هذا قوله تعالى «وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله» إذ مفاده أنه قد طلب من الرسل آيات خلاف هذه التي أيدهم بها ربهم، وأنهم لم يأتوا من الآيات إلا بما أذن به الله .

فإذا كان هذا شأنه صلى الله عليه وسلم فقد كان شأن من سبقه من الرسل.

ثم يؤكد تعالى تعذيبه المكذبين رسلهم ومنهم مكذبوه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى «فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون» والمعنى أنه إذا جاء الأجل الذي حدده تعالى لتعذيب المكذبين - في الدنيا - يكون لهم ذلك بالهلاك أو بالقتل والأسر أو غيره.

وإذا جاءت الساعة عذبوا عذاب الآخرة فكانت خسارتهم التي لا تعدلها خسارة. وصفهم تعالى بأنهم المبطلون لبيان أن عذابهم إنما كان لتمسكهم بباطلهم الذي أرادوا أن يدحضوا به الحق لما جاءهم.

اللَّهُ الَّذِي

جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَكُونُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
وَلَتُبْلَغُوا عَلَيْهَا حَاجَةٌ فِي صُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾
وَوَرِيكُمُ الْيَنبُوءُ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾

التفسير:

الخطاب - في الآيات - هو إلى جميع الناس، وهو في ذكر بعض آيات خلقه مما هو من قبيل النعم المنعم بها على الإنسان بما يوجب على الناس توحيده تعالى وعبادته وشكره.

فهو تعالى يذكر الناس بأنه الذي ذلل لهم الأنعام ليركبوا وليأكلوا منها، بمعنى أن كل البعض منها صالح للأكل وللركوب، فجميعها صالح للأكل وبعضها مثل الإبل يصلح للركوب مع صلاحيته للأكل.

كما ذكر تعالى أن للناس فيها منافع أخرى، وهى إشارة إلى الإفادة من جلودها وأصوافها وأوبارها وحوافرها وقرونها وإلى غير ذلك منها فى أغراض أخرى خلاف الأكل والركوب.

كما ذكر تعالى أنه يكون للناس بها بلوغ حاجات لهم تختلج بها صدورهم مثل حمل الأثقال وإدارة السواقي واتخاذها وسائل للجر، وأتبع ذلك بقوله تعالى «وعليها وعلى الفلك تحملون» فيبين أنه تعالى كما سخر من الأنعام ما يحمل الناس فى البر، فإنه سخر لهم الفلك لتحملهم فى البحر.

ثم إنه تعالى بين للناس انعدام حجتهم على عدم الإيمان بوحدانيته تعالى وخصه وحده بالعبادة وبالشكر، بذكره لهم أنه يرهم كل يوم الجديد من عظيم آياته فى الخلق، وهو ما يدفع أصحاب العقول إلى الإيمان به. ثم إنه تعالى ينكر على الكافرين عدم إيمانهم مع رؤيتهم هذه الآيات بقوله تعالى «فأى آيات الله تنكرون» وهو تعريف بأنه ليس من آياته تعالى إلا ما يثبت وحدانيته وقدرته مما لا يكون معه لأحد أن يقول بغير هذا.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ
وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ
مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا إِنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا
بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا
سَبَّ اللَّهُ الَّذِي قَدْ خَلَقَ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - هو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وهو فى شأن المكذبين، يفترض علمهم بمضمون ما خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، ليكون القول تحذيراً لهم من الاستمرار على الكفر وعلى التكذيب.

جاء القول فى مبتدئه فى صيغة الاستفهام المنفى «أفلم يسيروا فى الأرض» لبيان واقع أن الكافرين قد ساروا فى الأرض ونظروا وشاهدوا عاقبة أمر المكذبين من قبلهم وما نالهم من العذاب المهلك، مما كان عليهم الاعتبار به والاتعاظ.

ثم وصف تعالى المهلكين من قبل كفار مكة بأنهم كانوا أكثر منهم عدداً وأشد منهم قوة وأنهم خلفوا فى الأرض آثاراً تفوق ما فعل كفار مكة، وبين أن ما حازوا من أسباب القوة لم يمنع عنهم قضاء الله فيهم بالعذاب جزاء على ما اكتسبوا من الإثم.

ثم كان منه تعالى أن بين مظاهر تكذيب السابقين المهلكين رسلهم وأسباب ذلك، فبين أنه عندما كانت تأتيهم رسلهم بالأدلة على صدقهم ويقول الله الحق، كانوا يرفضون ذلك قناعة منهم ورضاء بعقائدهم الزائغة عن الحق اعتقاداً منهم أنها العلم.

واعتماداً من البعض بأن ما حصلوه من علم بالفلسفة التى نبغ فيها بعض السابقين، أو علوم الفلك والطب التى برع فيها آخرون، يعنى عما جاء به الأنبياء ويكون أكثر منه نفعاً، ولهذا فإنهم كانوا يستخفون بما جاء به الأنبياء ويستهزئون به وبهم. فكان منه تعالى أن عاقبهم بما توعدوا به فيما جاء به الرسل من كتب وصحائف كانوا بها يستهزئون، وجزاء منه تعالى على هذا الاستهزاء بآياته ورسله.

ثم يذكر تعالى أن هؤلاء المكذبين السابقين كان منهم لدى معايتهم شدة عذابه تعالى بهم أنهم أعلنوا إيمانهم بالله ووحدوه، كما أعلنوا كفرهم بما عيدوا من دونه تعالى.

ليثبت تعالى أن إيمانهم هذا لم ينفعهم بشيء، فلم يمنع عنهم عذاب الدنيا، كما أنه لا تغفر لهم به خطاياهم وكفرهم فى الآخرة، وعلة ذلك أنه حدث حين رأوا عذابه تعالى.

ثم إنه تعالى يبين أن عدم الإفادة من الإيمان الذي يكون لدى معاينة العذاب هي سته تعالى في خلقه، كما كان الأمر مع فرعون. فلا يكون لمن يعلن الإيمان وقتذاك إلا الخسران المبين، وعلية ذلك أنه يموت كافرا وإن أعلن إيمانه، على المستفاد من وصفه تعالى المؤمنين بالستهم عند معايتهم العذاب بأنهم الكافرون في قوله تعالى «وخسر هنالك الكافرون».



بسم الله الرحمن الرحيم سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١ نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَقُرْءَانًا
 عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ
 لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا أَأُفْلِحُ فِي أَكْنَةِ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيءِ آذَانِنَا
 وَقُرْءَانٍ مِّنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ٥

التفسير:

بدأت السورة بأسماء الأحرف «حم» قيل إنها جعلت اسما للسورة وإنها قد تكون خبرا

لمبتدأ محذوف تقديره «هذه» أو تكون مبتدأ، وخبره هو «تنزيل من الرحمن الرحيم». والراجع أنها من المتشابه من القرآن على ما سبق بيانه.

وقوله تعالى «تنزيل من الرحمن الرحيم» يتصور فيه أن يكون مبتدأ ويكون خبره هو «كتاب فصلت آياته» وفي جميع الأحوال فإن مفاد القول هو أنه تعالى يقرر في شأن ما أنزل منه تعالى الرحمن الرحيم على رسوله صلى الله عليه وسلم، أنه كتاب فصلت آياته بمعنى أنها فسرت ويثبت حال كونه قرآنا عربيا أنزل ليفيد منه قوم يعلمون الحق فيتبعونه أو يعلمون معانيه لكونه منزلا بلغتهم.

وعلى هذا فإن القول يثبت عدة أمور فهو يثبت - في مقام أول - أن القرآن العظيم منزل منه تعالى، فيكون في هذا الرد على الذين زعموا أن رسول الله ﷺ افتراء على الله كذبا، ويثبت - في مقام ثان - أنه نزل من الله تعالى بصفته الرحمن الرحيم، والمعنى أنه رحمة للناس في دينهم ودنياهم، ثم إنه يثبت - في مقام ثالث - أنه أنزل مفصل الآيات يفسر بعضه بعضا، وقرآنا يقرأ ويتلى فيتعبد به.

جاء باللفظ العربي فقطع بأنه إن كان قد تضمن ألفاظا هي في الأصل أعجمية، فقد جرى استعمالها وجرت على لسان العرب حتى أصبحت من لغتهم، لما هو معلوم من أن اللغة ينالها التغيير بتغير الأحوال، كما يثبت أن الذين يفيدون منه هم الذين يعلمون الحق فيكون منهم اتباعه، ولا نرى أن المراد بالقوم الذين يعلمون أنهم العرب الذين يعرفون لغة القرآن، لأنه أنزل إلى الناس كافة وليس للعرب فقط.

ثم يذكر تعالى حال آيات القرآن العظيم أو يصف القرآن في قوله «قرآنا عربيا» بأنه بشير ونذير، بمعنى أنه يبشر من يؤمن به ويسلم برضاء الله وجنته، وينذر من أعرض عنه وكذب به بسخط الله وعذابه.

ثم يذكر تعالى حال أهل مكة حين أبلغوا بالقرآن العظيم وتلى عليهم فيخبر أن أكثرهم - وهم الكافرون - أعرضوا عنه فلم يعطوه أذانهم وعقولهم وإن تلى عليهم وسمعوه، فكانوا مثل من لا يسمع.

ثم يذكر تعالى أن كفار مكة أعلنوا عن كفرهم بالقرآن العظيم بقولهم «قلوبهم في أكنة» بمعنى أنها مغطاة بأغطية ثقيلة منعت وصول ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ إلى قلوبهم، وأن أذانهم صمما أن يسمعه بمعنى أصموا أذانهم عنه وإن قرئ عليهم، وأن بينهم وبين رسول الله ﷺ وما يتلوا عليهم سائر غليظ يمنع من التواصل بينه وبينهم، وهو كفرهم وعقيدتهم الباطلة التي لا يتصور أن يكون بينها وبين الإيمان بالله وتوحيده صلة.

كما يذكر تعالى أن كافرين مكة تحدوا رسول الله ﷺ في أمر الدين، طلبوا منه أن يعمل ما في وسعه لبحر كفرهم ونصر ما يدعوا إليه، وأعلنوه أنهم عاملون قدر طاقتهم على دحر دينه ﷺ ونصرة آلهتهم وعقيدتهم الباطلة. فكأنهم يتهددونه ﷺ بما يسفر عنه هذا التحدي من النتائج.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ

مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۚ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۖ
وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۚ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧٠

التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكافرين إنه ليس إلا بشر مثلهم، فهو من جنسهم وليس من الملائكة، اختلف عنهم في اصطفاء الله إياه رسولانياً بأن أوحى إليه، وجماع ما أوحى به إليه من ربه هو توحيد الله «إنما إلهكم إله واحد»، ولأن المعلوم أن جميع الرسل والأنبياء قد دعوا إلى عقيدة التوحيد، فإنه ﷺ قد أوضح لهم أنه لم يأت بغير معروف ولا بشيء لا تقبله العقول؛ ولهذا فإنه ﷺ يأمرهم بعد أن يوضح لهم هذا - بأمر ربه - بالاستواء إلى الله تعالى بتوحيده وإخلاص العبادة له، وباستغفاره عما كان منهم من كفر وما سلف من أعمالهم الفاسدة ثم يتوعد المشركين الذين لا يستجيرون له بالعذاب والويل جزاء على شركهم.

ويصف هؤلاء المشركين بأنهم الذين لا يؤتون الزكاة، لا يؤدونها لبعثهم ولعدم إيمانهم

أنها تنفعهم، وبأنهم بالآخرة هم كافرون، ينكرونها أو ينكرون أنهم يعذبون فيها، أو إنهم لا يعملون لها عملها، فصاروا مثل من يكذب بها.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

التفسير:

بعد ذكر المشركين وعدم إيتائهم الزكاة وتوعدهم بالعقاب جزاء على هذا، جاء قوله تعالى - في الآية - في شأن أضدادهم وهم المؤمنون الذين عملوا الصالحات ومنها إيتاء الزكاة والتصدق في سبيل الله، فذكر تعالى أنه يكون لهم أجر غير مقطوع، بمعنى أنه يكون لهم نعيم دائم، يكون لهم فيه حق يشبه حق العامل في أجره، وإن كان منة من الله وفضلا لأنه لا يجب عليه حق لأحد من خلقه.

قُلْ أَبِئْسَ كُمْ

لَا تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ وَأَنْدَادًا
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا
وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَى
إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأُوحِيَ
فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرُهَا وَزَيَّا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ
تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ عَرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ
صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن ينكر على الكافرين والمشركين كفرهم وشركهم وقد أثبت خلقه تعالى الكون قدرته ووجدانيته، وأن يوبخهم على هذا بطريق المحاجة. فيامر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم «أنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنذاذا».

جاء الاستفهام لإنكار كفرهم به تعالى وأثبت القول أنه تعالى خلق الأرض فى يومين من الأيام الستة التى خلق فيها الكون.

وقد سبق القول إننا نرى - والله أعلم - أن المراد بالأيام هو «الحقب الزمنية» وفى القول ينكر ﷺ على المشركين اتخاذهم أنذاذا لله تعالى يعبدونهم معه تعالى أو من دونه، ويصف صلى الله عليه وسلم ربه فى القول بأنه رب العالمين.

ثم إنه ﷺ يذكر لهم من عظيم قدرته تعالى أنه جعل فى الأرض رواسب من فوقها وهى الجبال الرسوبية التى تتكون على شواطئ البحار - وقد سبق بيان معنى أنها رواسب من الناحية العلمية - وقيل إن معنى «من فوقها» هو أنها تكون فوق الأرض، ونرى - والله أعلم - أن المراد هو أن تكوين هذه الجبال كان مصدره من فوق الأرض، لكونها مكونة من رواسب الأنهار التى تأتى بها الأنهار من الجبال البعيدة التى تنزل عليها السيول فتجرى أنهارا.

يؤكد هذا قوله تعالى «وبارك فيها وقدر فيه أقواتها»، وذلك لأن الأنهار التى تحمل الرواسب هى التى تنشر البركات بمياهها اللازمة للحياة فلا بركة بغير ماء. وبهذا الماء كان تقدير أقوات الأحياء على الأرض منه تعالى.

ويذكر تعالى فيما يقوله ﷺ، أن ذلك جميعه قد تم فى أربعة أيام، والمعلوم أن يومى خلق الأرض داخلان فى حساب هذه الأيام الأربعة، وجاءت بلاغة التعبير وموافقها العلم لأنه كان هناك - على ما ثبت علميا - تداخل واتصال بين مراحل الخلق الأربع.

وقوله تعالى «سواء للسائلين».

مفاده أن مدة خلق هذا جميعه كانت أربعة أيام صحيحة لازيادة فيها ولا نقصان، وذلك لعلم من يسأل عن مدة خلق الأرض وما عليها وتدير أقواتها . وكما سبق القول فإننا نرى أن المراد بالأيام هو الحقب الزمنية .

ومما يذكره رسول الله ﷺ للكافرين من قدراته تعالى في الخلق استواءه إلى السماء وهي دخان وقوله لها وللأرض اثتيا طوعا أو كرها وقولهما: «أتينا طائعين». ونرى - والله أعلم - أن «ثم» في قوله تعالى «ثم استوى إلى السماء» لانفيذ الترتيب الزمني، وأن معناها هو «زيادة على ذلك» وذلك لأن السماوات والأرض كانتا رتقا، فيكون المتصور هو أن خلق السماوات قد صاحب خلق الأرض . أما المعجزة في القول فهي تضمنه معلومة علمية لم تعرف إلا حديثا، ذلك أنه تعالى يقول عن السماء وقت استوائه تعالى عليها «وهي دخان» فيكون القول مشيرا إلى الحرارة المتوافرة في السديم بالمعنى الفلكي، وإلى القوام الغازي للسماوات كما أن قوله تعالى للسماوات والأرض «اثتيا طوعا أو كرها» إشارة إلى خضوع السماوات والأرض للأوامر الإلهية والقوانين الطبيعية التي جعلها الله تحكم سيرها ووجودها.

وفي النص يذكر تعالى أن السماوات والأرض قالتا: «أتينا طائعين» بمعنى أنهما انقادا لأمره تعالى.

ثم إنه ﷺ يذكر للكافرين بأمره أنه تعالى قضى السماوات سبعا في يومين، فتكون أيام الخلق ستة أيام أو ست حقب زمنية ويذكر تعالى أنه أوحى في كل سماء أمرها، بمعنى أنه تعالى أوحى إلى أهل كل سماء أوامره وتكليفاته التي تليق بهم. كما يذكر لهم ﷺ - بأمره - أنه تعالى زين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا، بمعنى أنه جعل فيها النجوم والكواكب مثل المصابيح تفاوتت في الارتفاع والانخفاض، وأنه بقدرته تعالى حفظها من الزوال - وقد سبق بيان ذلك من الناحية العلمية، وأثر المسافات بين النجوم والكواكب المحسوب بقدر منع زوال الأجرام السماوية - وقيل إنه تعالى حفظها من الشياطين المسترقة السمع. وقوله ﷺ «ذلك تقدير العزيز العليم» هو إعلام للكافرين بأن ذلك المذكور هو تقديره تعالى صاحب العزة والقوة، العظيم القدرة، البالغ في العلم .

ثم إنه تعالى - وهو العليم بطبائع المشركين - يأمر رسوله ﷺ، إن رأى من الكافرين إعراضاً عن قوله وعن الإيمان له أن يقول لهم إنه أنذرهم صاعقة تصيبهم - والمراد بها هو العذاب - تماثل صاعقة عاد وصاعقة ثمود. بمعنى أن ينالهم عذاب في الدنيا مثل ما نال عاداً وثمود العذاب.

إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْفِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَعَبُوا أَلْعَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾

أولاً: الأسماء:

النحسات: في قوله تعالى «في أيام نحسات»، جمع مفردة «النحسة» صفة مشبهة من «نحس - ينحس نحساً». والنحس هو الشوم، والنحسات هي المشائم.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو تفصيل لما سبق إجماله فى شأن ما عذب به تعالى كلاً من عاد وثمود.

ذكر تعالى أن كلا منهما أو أن أهل كل منهما جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم، والمعنى أنهم جاءوهم من جميع الجهات، وليس المراد بهذا أن الرسل كانوا من الكثرة بحيث أحاطوا بالقوم من جميع الجهات وإنما أن الرسل كانوا يلاحقونهم بالدعوة لا يغفلون عنهم حتى بدوا كأنهم كثيرون وإن قلوا، إذ كان ذلك يحدث من الرسول الواحد.

وبين تعالى أن دعوة الرسل كانت إلى توحيدته تعالى، بالأمر بعبادة الله وحده وعدم الشرك به. كما يذكر تعالى أن القوم قد كذبوا الرسل محتجين عليهم بأنه تعالى لو أراد أن يعث رسلاً لجعلهم ملائكة، وأنهم أعلنوا الرسل بكفرهم بما دعوهم إليه من توحيد الله تعالى..

ثم إنه تعالى يفصل أمر عاد فيذكر أنهم استكبروا فى الأرض بغير الحق، بمعنى أنهم عظموا أنفسهم وتعالوا على الامتثال لأمر الله فيهم، وحسبوا أن قوتهم تقيهم من بأس الله كما حمتهم من اعتداءات البشر فكان من اغترارهم بقوتهم أنهم قالوا «من أشد منا قوة»، ثم إنه تعالى بين جهلهم لعدم تبينهم أن الذى خلفهم لابد بالضرورة أن يكون أشد منهم قوة. فيكون من أسباب إيقاع العذاب بهم اغترارهم بقوتهم.

ثم يذكر تعالى إلى جوار ذلك سبباً ثانياً هو أنهم كانوا ينكرون آياته تعالى الدالة على وحدانيته فى الخلق، وآياته المنزلة على رسله.

ويذكر تعالى فى شأن عذابهم أنه أرسل عليهم ريحاً من ريح السموم شديدة الحرارة فى أيام كانت عليهم شؤماً، أذلتهم وأهلكتهم، فكان بها من الله تعالى أنه أذاقهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا.

ثم أخبر تعالى أنه يكون لهم عذاب الآخرة أخزى من عذاب الدنيا الذى عذبوا به، كما صرح بأنه لا يدفعه عنهم دافع، إذ المقدر فى شأنهم أنهم لا ينصرون.

ثم يخبر تعالى عن ثمود أنه هداهم إلى الحق، بمعنى أنه بينه لهم وفرق بينه وبين الباطل،

فكان منهم أنهم اختاروا الضلال وفضلوه على الهدى (فاستحبوا العمى على الهدى)، ثم يذكر تعالى أنه أخذهم بالعذاب وهو صاعقة العذاب الهون، بمعنى أن العذاب ألحق بهم الخزي والهوان مع إهلاكهم. وهو ما كان بخروج النار من السحاب على ما هو معروف من أسباب الصواعق. ثم يذكر تعالى أن هذا العذاب كان جزاء لهم على تفضيلهم الضلال على الهدى على ما بين من قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

التفسير:

بعد أن أثبت تعالى أنه أخذ ثمود بالصاعقة أهلكتهم باختيارهم الضلال على الهدى فإنه أثبت - في الآية - أنه ميز الذين آمنوا - وهم صالح عليه السلام ومن آمن له على الكافرين، وذلك بإنجائهم من العذاب. ووصفه تعالى المؤمنين بأنهم الذين كانوا يتقون بين أنهم اتقوا بإيمانهم غضب الله تعالى وعذابه الدنيوى الذى حل بقومهم.

وَيَوْمَ

يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا بُلْغُودُ هِمْلٍ شَهِدْنَا عَلَىٰ نَا أَن نَّطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى ذكر عذاب الآخرة الذى أعد للكافرين المكذبي رسلكم من بعد ذكر ما نالهم من عذاب الدنيا. وصفهم تعالى بأنهم أعداء الله ليبان علة تعذيبهم على النحو المذكور، وأخبر أنهم - فى يوم يحشرون - يكون حشرهم إلى النار، يساقون إليها ويدفعون مجموعين، بأن يمسك بأولهم ليلحق به آخرهم فلا يفترقوا.

ثم يذكر تعالى أنهم ما أن يحضروا النار حتى تشهد عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بأفعال العصيان التى كانوا يقارفونها فى دنياهم. والمستفاد من القول أنهم يسألون عن جنائياتهم فينكرونها فتشهد عليهم جوارحهم والجلود.

ويذكر تعالى أن الكافرين العاصين يقولون لجلودهم «لم شهدتم علينا» وقيل إن المراد بالجلود هو الفروج. والذى نراه - والله أعلم - أن المراد بها هو جلد الإنسان، وقد يكون للتوجه إلى الجلود - على وجه التخصيص - بالسؤال سببه، إذ الجلود هى مكان الإحساس بما أودعه الله فيها من الأعصاب المتصلة بمراكز الإحساس فى المخ، فمنها يكون مبدأ الإحساس باللذة وبالألم.

فيكون السؤال من قبيل التعجب من أمرها أن تشهد على صاحبها وهى أول من جنى ثمار العصيان بالإحساس باللذة. وأول ما يشعر بألم التعذيب بالنار، فيكون عجا أن تشهد على المعصية التى التذت بها، وأن تكون شهادتها من أجل أن تألم بعذاب النار.

ثم يذكر تعالى أن الجلود ترد على أصحابها فتبين لهم أن الله تعالى هو الذى أنطقها بمعنى أنه تعالى أكسبها القدرة على النطق فشهدت على أصحابها بأعمالهم القبيحة. ثم إنها تصفه تعالى بأنه الذى أنطق كل شيء فيكون القول دالا على أن كل جماد يتنطق يوم القيامة بأمر ربه كما يكون من الأصنام التى تشهد على عابديها بأنها لم تفضلهم وأنهم كانوا هم الضالين.

ثم إن الجلود تبين لأصحابها أن إنطاقها ليس على الله بعزيز. فهو الذى أوجدهم من العدم بخلقهم أول مرة، وهو أمر أشد إعجازا من إنطاقها، كما أنه الذى بعثهم للحساب من

بعد الموت والفناء، وهو أيضا أشد إعجازا من إنطاقها. كما يشير القول إلى وجوب نيلهم جزاء أفعالهم في حياتهم الدنيا، لأن هذا هو المبتغى من الرجوع إليه تعالى.

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ
 أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ
 أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ
 أَرْدَ لَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - بتصويره أن يكون قولاً يقال منه تعالى للكافرين العصاة توبيخاً لهم وتقريعاً، نقوله لهم الملائكة، وتصويره أن يكون تنمة قول الجلود أو قول الجوارح عموماً.

ومعنى القول هو أن العصاة حين كانوا يسترون في الدنيا أثناء ارتكابهم الفواحش لم يكن عن خوف من أن تشهد عليهم جوارحهم وجلودهم بما كانوا يفعلون، ولا عن كراهة أن يحدث ذلك، وإنما كانوا يفعلون ذلك ظناً منهم أنهم باستتارهم هذا يحجبون أنفسهم عنه تعالى فلا يعلم ما يعلمون؛ ولهذا فإنهم استروا عن خلق الله ولم يستروا عنه تعالى العالم كل شيء.

ثم إنه تعالى يشير إلى ظنهم هذا، أو يشير إليه الجوارح، ويخبر تعالى عنه، أو تخبر جوارحهم بأنه ما ظنوه بريهم، وأنه الذي أهلكهم بعذاب الآخرة، فأصبحوا من الخاسرين الذين خسروا نعيم الآخرة واستبدلوا به العذاب الأليم.

فَإِنْ يَصْدِرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية هو فصل الخطاب في أمر المكذبين العصاة، فيذكر تعالى أنهم سواء أصبروا على العذاب أم جزعوا منه فإنه يبقى أن النار تكون مَثْوًى لهم على الحالين، وأنهم إذا طلبوا أن يستغِيثُوا منه تعالى على ما كان منهم طلباً لرضائه، فإن ذلك لا ينفعهم فقد قدر لهم ألا يكونوا من المعتبين، والمعنى أنه لا بد لهم من عذاب النار.

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في بيان كيفية وقوع المكذبين العصاة في شرك الكفر والمعصية في الحياة الدنيا، فيذكر تعالى أنه قَيَّضَ لَهُمْ قُرَنَاءَ كان منهم أنهم زينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم، بمعنى أنه تعالى جعل لهم أصحاباً وأخذاء من الجن ومن الإنس استولوا عليهم وسيطروا على إرادتهم فزينوا لهم الآخرة والدنيا تشجيعاً لهم على العصيان، زينوا لهم الآخرة بأن أفتنهم أنه لا يكون حساب ولا جزاء في الآخرة، أو أنهم لا يعذبون من الله لكونهم مكرمين لديه، بدلالة ما أنعم عليهم في الدنيا. وزينوا لهم الدنيا بأن زينوا لهم متعها المحرمة، فكان أن ثبت فيهم قوله تعالى لإبليس «الأملاَن جَنَّهُم منك وممن تبعك منهم أجمعين»، ثم بين تعالى حالهم من العذاب والتعذيب الذي حق عليهم وهو كونهم من

جملة أمم كثيرة سبقت في تقديره تعالى أنها تكون من أهل النار من الجن والإنس الكافرين العصاة. ثم بين تعالى واقع حالهم جميعاً أو سبب استحقاقهم العذاب وهو أنهم كانوا خاسرين، خسروا أن يكونوا من الذين تشملهم رحمة الله فكانوا من المعذبين.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْجزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾
ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ أَسَاءُوا لِمَا أُحْلِلَ لَهُمْ فِيهَا ذَارُوا جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يُجْحَدُونَ ﴿٣٠﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآيات - قول الكافرين في القرآن العظيم وعملهم مع الناس بشأنه، كما يذكر جزاءهم على هذا.

بدأ قوله تعالى ببيان أن أئمة الكفر أو المحرضين عليه قد نهوا غيرهم عن الاستماع إلى القرآن العظيم لدى تلاوته منه ﷺ أو من المؤمنين، كما أمرهم أن يلغوا فيه، بأن يأتوا باللغو عند تلاوته للتشويش على القارئ وعلى المستمع، وأنهم كانوا يعللون نهيمهم وأمرهم بأنه قد يتحقق لهم به غلبة رسول الله ﷺ والقارئ القرآن على قراءته، أو الغلبة على القرآن بمنع انتشاره وانتصاره.

ثم إنه تعالى يقسم على أن يذيق هؤلاء الكافرين عذاباً شديداً، جاء نكرة مع وصفه بالشدة لإتاحة الفرصة للخيال لتصور مبلغ شدته ونوعيته، كما أقسم تعالى أن يجازيهم أسوأ الجزاء يماثل أسوأ أفعالهم السيئة.

ثم يشير تعالى إلى أسوأ الجزاء هذا ويخبر عنه أنه جزاء أعداء الله، ويبيته بأنه هو النار، ثم يذكر أن النار تكون لهم دار الخلد، بمعنى أنها دار إقامتهم إلى الأبد ثم يبين تعالى أن العذاب المذكور واتخاذ النار دارا يخلدون فيها هو جزاء إنكار آيات الله تعالى ومنه التحريض على عدم الاستماع إلى القرآن وعلى اللغوفه.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّأْنَا مِنْ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ نَجَعَلَهُمَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٥٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في الكافرين وهم في النار، فيذكر تعالى أنهم ينادونه تعالى بقولهم «ربنا» ثم يسألونه أن يريهم الذين أضلوهم في الدنيا من الجن والإنس. ويلاحظ أن الفعل «قال» ورد في صيغة الماضي مع كون الحدث مستقبلا، للتدليل على حتمية حدوث المخبر عنه وأن الاسم الموصول «الذين» قد يفهم منه أن الذين أضلوا الكافرين اثنان، قيل إنهما إبليس من الجن، وقابيل من بني آدم.

وقد لا يكون هذا صحيحا - والله أعلم - إذ كان قابيل مؤمنا عاصيا ولم يكن كافرا.

فإن كان يحمل الجماع عن كل قتل في الدنيا.

فإنه لا يتصور أن يقع منه تحريض على الكفر، فيكون المراد هو فريق الجن والإنس الكافرين يريهم الكفر للكافرين ويحرضان عليه.

والمراد بالرؤية المطلوبة هو التمكين، على ما يبين من قول الكافرين الذي يوضح أن الغاية من المطلوب هي جعل هؤلاء المحرضين تحت أقدامهم ليكونوا في الدرك الأسفل من النار، أو من الأسفلين مذلولين مهاتين.



إِنَّ الَّذِينَ
 قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا
 وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٢٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ
 فِيهَا مَا لَدَعُونَ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٢٢٢﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أحوال الكافرين المكذبين في الدنيا والآخرة، فإنه تعالى يذكر في الآيات أحوال المؤمنين، ذكرهم بأنهم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، بمعنى أنهم آمنوا بالله تعالى إلها وربا، ووحده، وبقوا على إيمانهم وتوحيدهم لم يرجعوا عنه، واستقاموا على الطريقة بالمداومة على الفرائض والطاعات. ثم أخبر تعالى عنهم بأنهم تتنزل عليهم الملائكة يتصور أن يكون هذا في الحياة الدنيا يالها منهم إلى الصواب، فيكون ذلك في مقابل قرناء السوء الذين يقبضهم الله للكافرين يغرونهم، وأن يكون عند الموت، ثم في القبر، ثم عند البعث. والذي يكون من الملائكة معهم أنهم يطمئنونهم من الخوف ومن الحزن، يطلبون منهم عدم الخوف من عدم قبول حسناتهم لكونها مقبولة إن شاء الله، وعدم الحزن على ذنوبهم لأنها مغفورة بإذن الله، كما يكون منهم تبشيرهم بدخول الجنة التي وعدهم به الله في كتبه وعلى السنة رسله عليهم السلام.

وفي تفصيل ما يكون من الملائكة مع المؤمنين يذكر تعالى أن الملائكة تقول لهم «نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة» بمعنى أنهم كانوا أعوانا لهم في الدنيا يرشدونهم إلى ما فيه خيرهم وصالح أمرهم في الدين والدنيا، وأنهم في الآخرة يستغفرون لهم ويشفعون

لهم. فيكون ذلك في مقابل ما يكون من تخاصم بين الكافرين وبين أعوانهم في الدنيا على الكفر حين يرون العذاب. كما يذكر تعالى أن الملائكة تخبر المؤمنين أنه يكون لهم في الآخرة ما تشتهي أنفسهم من اللذائذ والطيبات، وكل ما يتمنون ويطلبون، مبينين لهم أن ذلك يكون ثوابا من الله وكرما، تصفه الملائكة بأنه الغفور الرحيم لمغفرته ذنوب المؤمنين وشمولهم برحمته.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

من دعا إلى الله وعمل صالحا: قيل هو محمد، رسول الله ﷺ، وقيل هو الصحابة رضوان الله عليهم. وهو ﷺ وهم رضى الله عنهم ممن ثبتت منهم القول، ثم إنه يشمل كل من يدعو إلى الله تعالى وتوحيده وإلى دينه بالقرآن العظيم وسنة نبيه ﷺ.

ثانيا: التفسير:

بعد أن بين تعالى أن أسوأ قول هو قول الكافرين للكافرين «لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه» فإنه تعالى - في الآية - يذكر أفضل قول وأفضل قائل، جاء التعبير عن هذا بالاستفهام «ومن أحسن قولاً»، أريد به تقرير أنه ليس من قول يعدل قول من دعا إلى الله وعمل صالحا. ولا شك أن خير من دعا إلى الله وعمل صالحا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعده يجيء كل من سار على نهجه في الدعوة إلى دين الله، وقيل إن المراد بالدعاء - في معنى الآية - هو الأذان للصلاة، ويدحض هذا القول أن السورة مكية وأن الأذان شرع بالمدينة. كذلك قيل إن العمل الصالح هو الصلاة والصيام، وقيل هو كل عمل صالح. وقد يكون الصحيح أنه العمل بالطاعات وتجنب المعاصي، لأن الداعي إلى دين الله يجب أن يكون قدوة للناس،

فلا يقل الناس ممن يعرض عن الطاعات أمرا بالطاعة، ولا ممن لا يتجنب المعاصي نهيا عنها. ثم إنه تعالى يذكر من صفات هذا الذي ليس أحد أحسن منه قولا بأنه يقول إنه من المسلمين، يعلن ذلك في الناس بلسانه افتخارا بأنه على دين الحق وإبداء لسعادته بكونه أحد المنعم عليهم بالهدى إلى دين الله تعالى.

وَلَا تَسْتَوِ

الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا
يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

- ١- الحسنة: قيل إنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، وقيل هي كلمة «لا إله إلا الله»، وقيل هي الحلم. ونرى - والله أعلم - أنها كل خصلة حسنة.
- ٢- السيئة: قيل هي بغض رسول الله ﷺ وآله، وقيل هي الشرك، وقيل هي الفحش. وقد تكون - والله أعلم - هي كل خصلة سيئة.
- ٣- الذي بينك وبينه عداوة: قيل إن المراد به هو أبو سفيان بن حرب، كان عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صاهر رسول الله ﷺ، ثم أسلم، فصار وليا في الإسلام، حميما بالمصاهرة. وقيل - هو أبو جهل. ويقطع النظر عن من أنزل فيه القول، فإن القول يسع كل من يعادى المؤمن.

ثانيا : التفسير :

بعد أن بين تعالى أفضل الأقوال في التعامل مع الله فإنه تعالى يخبر - في الآيات - عن أفضل ما يقال في التعامل مع البشر فالآيات هي في كريم الخلق وما يصدر عنه . يثبت تعالى - في مقام أول - عدم استواء الخصال الحسنة والفعال والأقوال الحسنة مع الخصال السيئة والأفعال والأقوال السيئة . ثم أتبع تعالى ذكر هذه الحقيقة بأمره رسول الله ﷺ والمؤمنين أن يدفعوا إساءة المسيئين بأحسن ما يمكن الدفع به من الحسنات ، بمعنى أن يكون من المؤمن الإحسان إلى من أساء إليه ، فإذا كان المسيء من الكافرين كان المقبول هو أن حكم النص قد نسخ بآية السيف وإذا كان من المؤمنين كان حكم النص قائما بأن يدفع المؤمن بحلمه جهل من يجهل عليه .

أما نتيجة دفع السيئة بالحسنة فيبينها تعالى بقوله « فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ، والمعنى أن العدو المسيء لا يصلح وليا حميما بالفعل ، وإنما يكون فعله الظاهر هو فعل الولي الحميم فلا تتصف أفعاله بالعدوانية ، فيكون في ذلك كف آذاه .

ثم إنه لما كان مقابلة السيئة بالحسنة هو أمر لا تقدر عليه إلا النفوس العالية فإنه تعالى أثبت أنه لا يلقى هذه الخصلة الشريفة إلا من أسبغ عليه تعالى صفة الصبر وكان ذا حظ عظيم من كمال النفس . وقيل إلا من كان ذا حظ عظيم في نيل ثواب الله لأنه ينال الجنة ، وهي أعظم الثواب .

ثم إنه لما كان مقابلة السيئة بالحسنة هو مما يصعب على كثيرين ، وكان من شأنه أن ينيل من أطاع الله فيما أوصى به من مقابلة السيئة بالحسنة ثواب الله تعالى وهو ما يسعى الشيطان عدو الإنسان ، فإنه كان متصورا أن يكون من الشيطان الوسوسة بمقابلة السيئة بالسيئة ، ليجنى من ذلك تفشى أفعال الاقتتال في مجتمع المسلمين والحرمان من ثواب الطاعة . ولهذا أمر تعالى من يوسوس له الشيطان بعدم إطاعة ما أوصى به تعالى بالاستعانة به تعالى من شر الشيطان فيسمع له عالما بنواياه فيعينه على الشيطان . وعمومية القول تفيد أنه تكون الاستعانة بالله من الشيطان عند كل نزغ من الشيطان بعصيان .

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير:

الآيتان الشريفتان في ذكر أفعال من أفعاله تعالى العظيمة الشأن وفي الأمر بما تستوجبه ملاحظة هذه الأفعال من إفراده بالعبادة .

فذكر تعالى أن من آياته العظيمة في الخلق خلقه الليل والنهار والشمس والقمر. يدخل في هذا كيفية ايجادها وخلقها أول مرة، ويدخل فيه تعاقب الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر وحركة كل منهما والجريان إلى أجل مسمى .

ثم إنه لما كان من شأن عظم الشمس والقمر آيتين أن أناسا أكبروهما فعبدوهما، فإنه تعالى نهى عن عبادتهما والسجود لهما، وأمر أن تكون العبادة له تعالى وأن يكون السجود له تعالى حال عبادته وعلة ذلك أنه الذي أوجد الشمس والقمر والذي سخرهما .

فيكون معنى «إن كنتم إياه تعبدون» هو حال أن تكونوا له تعالى عابدين، فيكون المراد هو بيان وجوب السجود لله تعالى حال عبادته .

ثم إنه لما كان من الناس من يستكبر على الحق فيرفض الانتهاء عن السجود لمخلوقات الله العظيمة وأن يجعل سجوده لله وحده، فإنه تعالى بين أنه لا حاجة له بسجودهم، كما بين أن الملائكة عليهم السلام الذين هم في حضرة قدسه عز وجل يسبحون له في كل وقت، كأن تسبيحهم يستغرق ليل أهل الأرض ونهارهم كله، لا يملون تسبيحه .



وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ
 تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي
 أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - آية أخرى من آيات قدرته تعالى يلحظها الناس ويدركونها، وهي أن الأرض تكون يابسة قاحلة تشبه من أذله الفقر فخشع وتذل، ثم إذا ما أنزل تعالى عليها المطر تحركت بالنبات وانتفخت قبل بزوغه منها مثل من أصابه متاع الدنيا فانتفخت أوداجه ومشى مزهوا بنفسه.

ثم يذكر تعالى أن الذي أحيا الأرض بعد موتها هو الذي يحيى الموتى بالبعث في الآخرة، وأنه على كل شيء - ومنه بعث الأموات - قدير. فيكون المثل المضروب في الآية هو للتدليل على قدرته تعالى على بعث الموتى.

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
 آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُفْلِقُ فِي النَّارِ حَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيءَ إِمْنَا يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾

أولاً : الأسماء :

الذين يلحدون في آياتنا : هم الذين يميلون بالفاظ القرآن العظيم ومعانيها عما أنزلت فيه

عمدا قصد النيل منه، أو الذين يضعون الكلام في غير مواضعه. وقيل هم الذين يكذبون بالقرآن العظيم ويشوشون على تلاوته بالصفير واللغو. والأول أظهر.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآية - في فئة من الكافرين أمعنت في الفجر فحاولت النيل من القرآن العظيم بطريق تغيير النطق ليعبر عن معنى خلاف المقصود، وبطريق التأويل غير الصحيح لمعانيه قصداً.

ذكر تعالى أنهم لا يخفون عليه، بمعنى أنه تعالى يعرفهم ويعرف أفعالهم القبيحة. والقول - بهذا المعنى - هو توعدهم بالعقاب جزاء على فعلهم الخبيث، أفصح عن هذا العقاب قوله تعالى «أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة» أريد بالاستفهام بيان أن عقاب الذين يلحدون في آياته تعالى هو الإلقاء في نار جهنم، كما أريد به بيان أن مصير الذين يؤمنون بآياته تعالى هو دخول الجنة - يستخلص بمفهوم المخالفة - وفيه إنكار المساواة في المصير بين الذين يلحدون في آياته تعالى وبين الذين يؤمنون بها .

ثم جاء قوله تعالى «اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير» تهديداً للهؤلاء الذين يلحدون في آياته بأنه معاقبهم بأفعالهم الدنيئة التي يعلمها لا يفوته منها شيء .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكُتُوبًا عَزِيزًا ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝

التفسير :

بعد أن أخبر تعالى عن الذين يلحدون في آياته من الكافرين وهم أئمة الكفر فإنه تعالى

يخبر في الآيتين عن الكافرين عامة فيثبت أنهم الذين كفروا بالقرآن العظيم لما جاءهم من الله دون أن يحاولوا التأمل فيه والتدبر وإعمال العقل، ثم يصف تعالى القرآن العظيم بأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بمعنى أنه ليس له نظير أو مثيل، وأنه يعز على غير الله أن يأتي بمثله، كما أنه يعز على أعداء الله أن يغلبوه، كما قد يكون من مظاهر عزته أنه لا ينسخ، وذلك فضلا عن أنه ممتنع على الباطل، فهو الحق، نزل من الله الحق بكل ما هو حق؛ ولذلك فهو الصادق فيما أخبر به من قصص، وما أخبر به عن أحداث مستقبله، وهو المتضمن العقيدة الحققة، والأحكام التي تصلح إلى أن يرث الله الأرض.

ثم وصفه تعالى بأنه تنزيل من حكيم حميد، ليثبت أنه تنزيل منه تعالى، بما استوجبه حكمته وأنه لما فيه من مصالح العباد جدير بأن يحمل على حمد الله وشكره على إنزاله لكونه رحمة للعالمين.

فيكون القول هو أن الذين كفروا بالقرآن الذي من صفاته العزة والصحة هم الكافرون حقا.

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا

مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ
 أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
 ءِأَعْجَبَنِي وَعَرَبِيٌّ قُلٌ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى أن الكافرين هم الذين كفروا بالقرآن العظيم، ومن مقتضيات هذا

التكذيب تكذيب رسول الله ﷺ والقول فيه غير الحق، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ بقوله «ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك» وفيه قيل إنه للتسرية عن رسول الله ﷺ ببيان أن ما يقوله فيه الكافرون هو ما قاله الكافرون للرسل من قبله ﷺ. ونرى - والله أعلم - غير هذا، فنرى أن المراد هو أنه تعالى إنما قال لرسوله بطريق التوحى ما قاله للرسل من قبله فى شأن العقيدة من عبادة الله وتوحيده وعدم الشرك به؛ وأنه لهذا جاء قوله تعالى من بعد «إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم» ببياناً لأنه تعالى يغفر لمن يؤمن للرسل وما أرسلوا به فيكون من المؤمنين الموحيدين، ويعاقب الذين لا يؤمنون لهم فيلحدون أو يشركون بالعقاب الأليم.

وبعد أن ذكر تعالى أن من الكافرين من يلحد فى آيات القرآن العظيم، وأن منهم من يكفى بالكفر بها، فإنه تعالى أثبت فى الآية أن كفرهم بالقرآن العظيم ليس سوى عناد من أنفسهم وإصرار على الباطل.

والمشهور أن كفار مكة قالوا «هلا أنزل القرآن بلغة العجم» وسواء أكانوا قد قالوا هذا أم لم يقولوه، فإنه تعالى يقول إنه لو كان القرآن قد أنزل بلغة من لغات العجم لقال كفار مكة «لولا فصلت آياته» يبررون كفرهم به بعدم فهمهم عبارته لكونها بغير لغتهم، وأبدوا تمنهم لو كان قد أنزل بلغتهم فكانت آياته مفهومة لهم على التفصيل.

ولما كان القرآن قد أنزل بالعربية فإنه يكون واضحاً أنه ليس ثمة محل لأن يقول كفار مكة «لولا فصلت آياته».

وفى قوله تعالى «أعجمى وعربى» قيل إنه جاء رداً على قول الكافرين «هلا أنزل بلغة العجم» وإنكاراً له، لأنه يناقض المنطق أن يكون القرآن بلفظ أعجمى ويكون المنزل إليه رسولاً عربياً، أو يكون المنزل إليهم - فى مبتدأ الأمر - هم العرب. كما قيل إنه يعنى أن القرآن تضمن ألفاظاً عربية وأخرى أعجمية، وقال أصحاب هذا الرأى تدليلاً على صحة قولهم إن لفظ «السجيل» هو فارسى مكون من «سفك»، و«كيل» بمعنى: طيس وحجر. وأن كلمة «فردوس» رومية، وكلمة «القرطاس» رومية. ونرى - والله أعلم - عدم صحة القولين، فنحن لانستطيع أن نتصور عقلاً أن يقول عرب فى كتاب أنذروا به «هلا أنزل بلغة أخرى» لمنافاة

ذلك للمنطق فضلا عن أنه لم يثبت أن منهم من قال هذا، ثم إنه يفرض وجود بعض ألفاظ معدودة على أصابع اليد من ألفاظ لغات غير العربية فإن ذلك لا يعنى أن القرآن قد أنزل بالعربية. وبلغات أخرى، مادامت معانى الألفاظ غير العربية مفهومة المعنى للعرب من السياق، ولأن غير العرب لن يفهموا القرآن لمجرد وجود هذه الألفاظ من لغاتهم فيه.

ثم إن الواقع يثبت أن الألفاظ التى قيل إنها أعجمية الأصل كانت مستعملة وجارية على اللسان العربى، مفهومة من العرب فأصبحت من لغتهم المتطورة. والذي نراه هو أن معنى «أعجمى» فى قوله تعالى «أعجمى وعزى» هو الذى لا يفصح ولا يبين.

فيكون القول مبطلا حجة بقولها الكافرون أن آيات القرآن غير مفهومة لهم أو غير مفصلة وذلك لكونه منزلا بلغتهم، فلا يبقى إلا أن عتادهم وإصرارهم على الكفر هو ما صدهم عنه.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يعلم أن مرجع الإيمان بالقرآن العظيم، وعدم الإيمان به هو الشخص المبلغ به؛ ولذلك فإنه للذين آمنوا هدى وشفاء، بمعنى أنه يهتدى إلى الحق وإلى طريق الله المستقيم الموصل إلى رضائه وجنته، وأنه شفاء لما فى الصدور من شك وريبة، إذ يكون به الاطمئنان إلى أمان النفس فى الدنيا والآخرة، حين أنه يكون على الذين لا يؤمنون عمى لأنهم أصموا أذانهم عن سماعه فضلوا عن الحق كما يضل الأعمى عن السبيل.

ثم أشار تعالى إلى هؤلاء الذين لا يؤمنون وأخبر عنهم أنهم ينادون من مكان بعيد، والقول فيه تمثيل لحالهم بحال من ينادى عليه من مكان بعيد، لا يفهم مما ينادى به عليه ويقال له شيئا.

وقيل إنهم يوم القيامة ينادون بكفرهم وبأقبح أعمالهم من بعد ليسمع ذلك أهل الموقف فيكون فى ذلك فضح لهم.



وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاحْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

التفسير:

الآيتان في بيان أنه تعالى ما أنزل من كتاب على رسول من رسل الله إلا وكان من الناس اختلاف فيه بين إيمان وتكذيب، ثم في بيان أن كلا من المؤمن بما ينزل الله والمكذب يحاسب بما يكون منه.

خاطب تعالى رسوله مبينا أنه أتى موسى عليه السلام الكتاب - وهو التوراة - وأنه اختلف فيه بين مؤمن به ومكذب. وجاء ذكر التوراة لأنها عقيدة وشريعة مثل القرآن العظيم، فيكون القول مشيرا إلى ما وقع من اختلاف من الناس في القرآن بين مؤمن به ومكذب ..

ثم ذكر تعالى أنه لولا أنه قد سبق منه القول في قومه صلى الله عليه وسلم أن يؤجل حسابهم إلى يوم القيامة «بل الساعة موعدهم» لكان قد قضى بين المؤمنين بالقرآن العظيم وبين المكذبين به في الحياة الدنيا بإهلاك الكافرين بعذاب دنيوي .

ثم إنه تعالى يقرر في شأن الكافرين بالقرآن العظيم أنهم في شك منه بمعنى أنهم في شك من كونه منزلا من الله تعالى شكاً يريهم في أحكامه وصحتها .

وبعد هذا يذكر تعالى أن من صلح منه العمل فآمن بالقرآن العظيم، يكون ذلك لصالح نفسه، وأن من ساء عمله فكفر بالقرآن يكون قد أساء إلى نفسه، فعليه يقع ضرر عمله السيء، يكون عقابا مساويا ذنبه لا يكون فيه ظلم فيما لو وقع من غير الله تعالى الذي لا يظلم ولو عاقب بغير سبب .

إِلَيْهِ يُرَدُّ
 عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى
 وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أِذْ نَكَ
 مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا
 مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ ﴿٤٨﴾

أولاً: الأسماء:

الأكمام: في قوله تعالى «وما تخرج من ثمرات من أكمامها» جمع، مفردة «كم» بالكسر، وهو وعاء الثمرة.

ثانياً: التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه يجازى من يؤمن بكتبه ومن يكفر بها يوم القيامة دون ظلم لأحد، وكان من الكافرين أن سألوا متى يكون هذا اليوم، فقد جاء قوله تعالى «إليه يرد علم الساعة» بمعنى أنه إذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد - مؤمناً كان أم كافراً - أن يرد إليه تعالى العلم به، بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم جواب السؤال، وأنه يقر بخلوص العلم به لله تعالى. ثم إنه تعالى بين أنه يعلم أمر كل ما يكون في الدنيا، ليعلم الكافرون أنهم محاسبون بكل ما يكون منهم، فذكر تعالى أنه ما من ثمرة من ثمار الأشجار تخرج من وعائها إلا كان خروجها يعلم منه تعالى وبمشيئته، وأنه ما من أنثى من النساء أو من إناث الحيوان تحمل وتضع حملها إلا كان ذلك يعلم منه تعالى وبمشيئته. فالعلم - في النص - يفيد المشيئة، تكون مصاحبة وقوع الحدث.

ثم يذكر تعالى أنه في يوم القيامة الذي يسأل عن وقته الكافرون المشركون يسأل تعالى شأنه المشركين عن معبوداتهم التي أشركوا بالله إذ عبدوها، فيجيبونه بقولهم «أذنالك ما منا من شهيد» بمعنى أنهم أخبروه تعالى - من قبل - أنه ليس منهم من يشهد أنهم آلهة. فيكون القول مفيداً أنهم سبق لهم الإجابة عن السؤال بأنه ليس منهم من يشهد بالوهمية معبوداتهم، أو بأنهم عبدوها، فيكونوا قد كذبوا على الله .

ثم يذكر تعالى أن آلهتهم التي عبدوا في الدنيا تفضل عنهم في الآخرة، بمعنى أنها لا تنفعهم بشيء، وأن المشركين يتيقنون أنهم ليس لهم من العذاب الذي توعدوا به مهرب، وأنه واقع بهم .

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ
الشَّرُّ فَيُوقُ قُنُوطَهُ ۖ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ
مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى
رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحَسَنَى ۖ فَانْشَبِثْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ
مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ
وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَدَّ دُعَاءَ عَرِيضٍ ۖ

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - يبدو كأنه انتقال إلى حديث غير الحديث، وأنه في بيان طبيعة الإنسان والذي نراه - والله أعلم - أنه مرتبط بما سبق ذكره في شأن الكافرين بالقرآن العظيم والكافرين بكتب الله المنزل على رسله، وأن طبيعتهم الموصوفة في الآيات تبين أنهم قد

فطروا على الإيمان يظهر فيهم حين يتعرضون للبلاء، وأنهم يتغلبون عليه لفساد طبيعتهم الضالة حينما تصيبهم النعمة .

فيذكر تعالى أن الإنسان - وأغلبه الكافر - لا يمل من طلب الخبر والدعاء به، وأن الكافر إذا أصابه الشرفى مال أو ضحة أو ولد يش من فضل الله عليه يرفع عنه البلاء .

ثم يذكر تعالى أنه إذا ما فرج عن الكافر كربه وأنعم عليه من بعد ما أصابه من ضرر، يكون منه القول أن ما أصابه من خير هو حق له استحققه بقدراته ومكناته، أو بتفضيل الله إياه على غيره، وقد يدفعه تنعمه إلى إنكار قيام الساعة، أو إلى القول إنها إن قامت فإنه تكون له الكرامة عند ربه، يكرمه فى الآخرة كما أنعم عليه فى الدنيا وفى شأن هذا وأضرابه من الكافرين يذكر تعالى أنه سيعلمهم حقيقة أعمالهم بمحاسبتهم عليها، فيعلمون أن أعمالهم أدت إلى تحقيرهم وإهانتهم فى الآخرة وليس إلى إكرامهم، كما يذكر تعالى أنه - فى الآخرة - يذيقهم عذابا من العذاب الغليظ يلتصق بهم فلا يستطيعون منه فكاكا .

كما يذكر تعالى من أعمال الكافر أنه إذا أنعم الله عليه بالنعمة، يكون منه الإعراض على شكره تعالى على ما أنعم به عليه، وتكبر فى نفسه ومال عن العباد رغن المؤمنين، فأما إذا مسه الشر، فإنه يكون منه اللجوء إلى الله بالعبادة والدعاء المستمر. أى أنه يتذكر الله وقت الشدة، ويعرض عنه وقت اليسر .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝
سُرِّيهِمْ يَلْتَنَفِى الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۝
أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝^{٥٣} أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ
مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَكُونُوا لَهَا رَاجِعِينَ ۝^{٥٤}

أولاً: الأسماء:

الآفاق: جمع، مفردة «الآفق» وهو الجهة أو الناحية.

ثانياً: التفسير:

بدأ القول - فى الآيات - بأن طلب تعالى من رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكافرين «أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد» والقول متعلق بارتياهم فى كون القرآن العظيم منزلاً من الله تعالى، فيكون معنى قوله ﷺ هو «أفلا ترون أنه متى ثبت لكم - بتعذيبكم بكفركم - أن القرآن العظيم منزل من عند الله تعالى، يكون قد ثبت لكم أنكم أضل خلقه جميعاً، خالفتم الحق، وذهبت فى مخالفته إلى أبعد مدى». فيكون قوله صلى الله عليه وسلم لهم تهديدا لهم بالعذاب على كفرهم بالقرآن، وبياناً لاستحقاقهم بذلك أشد العذاب.

ثم إنه تعالى يعد بأنه سيرى الكافرين فى عصره صلى الله عليه وسلم وفى كل زمان آياته الدالة على ألوهيته وقدرته ووحدانيته فى جميع الجهات والنواحى والأمور، وفى أنفسهم، حتى يتبين لهم أن القرآن العظيم هو الحق من الله.

وفى هذا قيل إن المعنى هو أن الكافرين يشاهدون الفتوحات الإسلامية فى جميع الأنحاء على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيدى خلفائه، كما يشاهدون نصره صلى الله عليه وسلم عليهم فيتبين لهم أن القرآن - بما وعد به - هو الحق من الله الحق. والذى نراه - والله أعلم - أنه تعالى وعد فى الآيات أن يرى الكافرين آياته فى المستقبل فى كل شىء، يكون ذلك حين يثبت العلم صحة ما ورد فى القرآن العظيم فيما لم يكن للناس علم به يدخل فى هذا نشأة الكون، والقوانين التى تحكمه مثل قوانين: الجاذبية، والطواف، والنسبية، وكروية الأرض ودورانها حول الشمس، والظواهر الجوية وغيرها.

كما وعد أن يريهم آياته فى أنفسهم بما يثبت العلم عن مراحل تطور الجنين وولادته ثم حياته إلى موته، حتى يتبين الكافرون أن القرآن الذى أخبر عن هذا لا بد أن يكون منزلاً من الله

تعالى، فإذا بقى منهم - من بعد تبين هذا - مصر على الكفر بالقرآن، فإن الله غنى عن إيمانهم بالقرآن إذ يكفى به شهيدا على أن القرآن منزل منه تعالى، وهو تعالى على كل شيء شهيد .

ثم يذكر تعالى أن حقيقة الكافرين بالقرآن كتابا منزلا منه تعالى هي أنهم فى شك من البعث ومن الحساب؛ وأنهم لهذا لا يولون القرآن العظيم ما هو جدير به من الإحاطة، فيكتفون بالبحث العلمى لا يقرنونه بما ورد بشأنه فى القرآن؛ ولذلك جاء قوله تعالى «ألا إنه بكل شيء محيط» بمعنى أنه تعالى يعلم بواعثهم فى الانصراف عن مطابقة ما يسفر عنه العلم على ما أخبر به القرآن، ليحولوا بين أنفسهم وإدراك أن القرآن حق من الله الحق، فلا يكون منهم أنهم يؤمنون .



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَىٰ ۝ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝

التفسير:

افتتحت السورة بأسماء الأحرف حَمَّ، عَسَقَ، جاءت في آيتين، ف قيل إن «حَمَّ» مبتدأ، وإن خبره هو عَسَقَ. وقيل إنها إشارة إلى إهلاك مدينتين تبنيان على نهري شق مجراء بينهما يجتمع فيهما الجبارون، فبيعت الله على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء محترقة، ويخسف بالأخرى في الليلة التالية. وقيل غير ذلك. والذي نراه - والله أعلم - أنها من المتشابه من القرآن .

ثم إنه تعالى خاطب رسوله ﷺ فيبين له أنه على هذا النحو الكائن في السورة يوحى إليه ربه ما أراد إعلامه به وما أراد الإبلاغ به كما أوحى إلى الرسل من قبله.

فيكون القول مشيرا إلى تضمن السورة ما جاء بالكتب والصحف المنزلة على الرسل من قبل في شأن عقيدة التوحيد. ووصفه تعالى ذاته بأنه العزيز الحكيم يشير إلى أنه تعالى ناصر بعزته عقيدة التوحيد على النحو الذي تقضى به حكمته تعالى.

ويخبر تعالى عن ذاته بأن له ما في السماوات والأرض، بمعنى أنه مالك كل ما في السماء وما في الأرض، وأنه العلى فوق الخلق، الذي له وحده العظمة .

ولما كان تعالى قد أخبر عن ذاته بأنه العلى العظيم، ومن علوه أنه يكون عرشه ويكون كرسىه فوق السماوات، ومن عظمت أن مخلوقا لا يتحمل مظاهر عظمته تعالى، فإنه تعالى ذكر أن السماوات تكاد تتشقق من ثقل ما فوقها وخشوعا لعظمته، كما ذكر أن الملائكة يسبحون بحمد ربهم بمعنى أنهم يتزهونه عما لا يليق بذاته متلبسين بحمده.

كما يذكر تعالى أنهم يستغفرون لمن في الأرض، ويبدو من عمومية القول أنهم يستغفرون للمؤمن وللكافر، وقد يكون المراد باستغفارهم للكافر الدعاء له بالهدى والإيمان يغفر له بهما ذنبه.

ثم يجيء قوله تعالى «ألا إن الله هو الغفور الرحيم» مؤكدا أنه تعالى يغفر لمن يشاء وأنه الذي يرحم عباده حتى إنه قيل إنه ما من أحد إلا وله من رحمة الله نصيب .



وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْنَتْ
 عَلَيْهِمْ يَوكُلُ ٦ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ
 الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ
 وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ٧ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
 يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ٨ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٩

أولاً : الأسماء :

- ١ - أم القرى : هي مكة المكرمة. هي للبلاد بمثابة الأصل والأمر .
- ٢ - من حولها : هم العرب الذين يقطنون في جوار مكة، وقيل هم جميع أهل الأرض.

ثانياً : التفسير :

بدأ تعالى القول - في الآيات - ببيان أنه تعالى هو الموكول إليه أمر المشركين الذين تولوا
 غيره بالعبادة وبيان أنه صلى الله عليه وسلم - المخاطب بالقول - ليس الموكل بأمر إيمانهم .
 ثم أعقب هذا بأن رسالته صلى الله عليه وسلم هي الإنذار بالقرآن وليست إلزام الناس
 بالإيمان والمسئولية عن هذا.

فأشار تعالى إلى إنزاله تعالى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي قرآناً
 باللفظ العربي، يقرأ بالعربية ويكون مفهوماً لأول من يندربه، وهم أهل أم القرى مكة المكرمة
 أصحاب اللسان العربي، وأهل ما جاورها من البلاد والقرى، لينذره من عذاب يوم
 القيامة.

وصفه تعالى بأنه يوم الجمع لقوله تعالى فيه «يوم يجمعكم ليوم الجمع»، قرر بشارته تعالى

أنه لا ريب فيه بمعنى أنه آت لا شك في هذا. كما بين أنه يكون في هذا اليوم بعد جمع الناس في الموقف أنه يكون فريقهم فريقين يستقر أولهما في الجنة، ويستقر الآخر في السعير.

ثم يذكر تعالى أنه لو كان قد شاء أن يجعل مصير الفريقين - في الآخرة - واحدا، لكان قد فعل هذا بجعل الفريقين - في الدنيا - على عقيدة واحدة من الهدى أو من الضلال. ثم يبين أنه لم يشأ هذا، فكان منه تعالى أن أدخل من شاء له الهدى في رحمته، ثم بين أن الذين لم يدخلهم رحمته هم الذين اختاروا الكفر.

ولهذا وصفهم بأنهم الظالمون، ثم أخبر عنهم أنهم لا يكون لهم ولى يشملهم برحمته ولا نصير يدفع عنهم عذاب الله الذى استحقوه بكفرهم.

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن الكافرين لا يجدون لهم يوم القيامة وليا ولا نصيرا، جاء قوله تعالى «أم اتخذوا من دونه أولياء».

وفيه قيل إن معناه هو «بل اتخذوا من دون الله أولياء» وأن المقصودين هم الأصنام. ونرى - والله أعلم - أن الاستفهام إنكارى، معناه هو «أم أنهم اعتقدوا أن الذين عبدوا وما عبدوا هم أولياء على الحقيقة يتولونهم ويحمونهم ويدفعون عنهم الأذى» فيكون الاستفهام مفيدا تقرير واقع أنهم عبدوا غير الله، ومنكرا أن تكون معبوداتهم صاحبات قدرة وتكون منهم الولاية.

ولهذا أتبع تعالى هذا بقوله «فالله هو الولي» أثبت تعالى أنه وحده الولي الذى ينفع من تولاه، وأنه الذى ينفع المؤمنين الموحدين.

ثم ذكر من مظاهر قدرته أنه يحيى الموتى، لبيان أنه يرحم من تولاه ويعاقب من تولى غيره، ثم ذكر أنه على كل شيء قدير، ليكون ذلك مقابلاً لعجز معبودات المشركين غير القادرة على شيء.

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى
 اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ① فَاِطْرَ السَّمٰوٰتِ
 وَالْاَرْضِ جَعَلْ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَمِنَ الْاَنْعَامِ اَزْوَاجًا
 يَذُرُّوْكُمْ فِيْهِ لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيْرُ ② لَهُ مَقَالِيْدُ
 السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ اِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيْمٌ ③

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه لم يجعل الناس على عقيدة واحدة، وأنهم مختلفون بين مؤمن وكافر.

جاء قوله تعالى «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله» دل باقى القول على أنه قول يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين على الاستفادة من قوله تعالى «ذلکم الله ربی علیه توکلت وإلیه أُنِیبُ».

فيكون المعنى أنه صلى الله عليه وسلم يقول للمؤمنين إن الحكم فيما اختلفوا فيه مع الكفار هو إلى الله تعالى يكون بإثابة المؤمنين وتعذيب الكافرين، ثم يكون منه صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم حاله مع ربه ليقنطروا به.

فيذكر لهم أنه متوكل عليه في جميع أموره وأنه يرجع إليه دائما طالبا عونه، كما يرجع إليه بالتوبة والاستغفار.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم يخبر عن ربه بأنه فاطر السماوات والأرض، بمعنى أنه الذي أوجد السماوات والأرض من العدم، وأنه الذي جعل الناس أزواجا بخلقه حواء من آدم، كما جعل الأنعام أزواجا ذكورا وإناثا، ليكون تكثيرهم وكثرة ذرائعهم مترتبا على خلقه إياهم أزواجا.

ويتصور في القول أن يكون خاصا بالمخاطبين - وهذا هو الراجح - ويتصور فيه أن يكون متعلقا بهم وبالأنعام باعتبار تغليب العقلاء.

ثم يخبر عنه تعالى بأنه ليس كمثله شيء.

وقد يكون الإخبار بهذا قد أريد به إظهار أنه تعالى - وهو الخالق - لا يتصور أن يكون له زوج، حين أن جميع الأحياء لهم أزواج، وعلة ذلك أنهم مخلوقون.

وقوله تعالى «وهو السميع البصير».

إذ جاء بعد تقرير أنه تعالى ليس كمثله شيء يفيد أنه تعالى يسمع ويبصر ولكن ليس كما يسمع الناس والأنعام بواسطة الحواس، كما أن سمعه وبصره تعالى ليسا محدودين بحدود قدرة أو مجال.

ثم إنه تعالى يخبر عن ذاته أو يخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له مقاليد السماوات والأرض - على ما سبق بيانه في تفسير الآية ٦٣ من سورة الزمر - ومن خلوص كل شيء في السماوات والأرض له تعالى يكون منه تعالى أنه يوسع لمن يشاء في الرزق، يقدره في السماء ويخلق أسبابه في الأرض، وأنه يضيق على من يشاء، يفعل هذا وغيره وفقا لعلمه الذي وسع كل شيء، فيكون أمره النافذ بما فيه المصلحة يتبينها الناس أولا يتبينونها.



٥ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
 وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
 فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ١٦ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
 بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَدَّدٍ لَقُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ١٧
 فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ
 ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَاجِنَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ
 بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ١٨

التفسير:

الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. يقول لهم تعالى
 فى مبتدأ القول إنه شرع لهم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحى إلى رسوله صلى الله
 عليه وسلم.

والذى نراه فى معنى القول - والله أعلم - أن القول يتعلق بالشرائع والأحكام، وهى بعض
 من الدين أو جزء منه، لأن الدين عقيدة وشرعة.

فيكون المستفاد من القول هو أنه تعالى قد أنزل على نوح عليه السلام شريعة، فيكون ما دعا إليه نوح هو توحيد الله، أو العقيدة، وتطبيق شريعة الله، كما يكون القول مشيراً إلى أن القرآن الذي أوحى به تعالى إلى رسوله ﷺ هو عقيدة التوحيد والشريعة.

كما يبين تعالى أنه شرع للمسلمين بمعنى أنه وضع لهم حكماً آمراً بإفاد وإعمال ما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام من إقامة الدين وعدم التفرق فيه. وإقامة الدين هي المحافظة عليه والتزامه، فيكون الجميع مأمورين باتباع العقيدة الواحدة التي نادى بها جميع الرسل وهي توحيد الله وعدم الشرك به، وعدم التفرق هو عدم الاختلاف في عقيدة التوحيد، وفي وجوب التزام أحكام الشريعة.

ولا يقول قائل إن الأمر بعدم الاختلاف يتعلق بالعقيدة وحدها دون الشريعة لكونها متغيرة؛ وذلك لأن الشريعة تكون سارية مادامت لم تنسخ، فأما إذا ما نسخت بتعديله تعالى بعض أحكامها، فإن ما نسخ منها لا يكون سارياً، ويكون السارى هو ما نزل به الشرع محدثاً، فيكون الأمر بعدم الاختلاف في هذا بتمسك البعض بالمنسوخ من أحكامها.

وعلى هذا فقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام على شريعة نوح عليه السلام، ثم أنزل الله الشريعة على موسى كانت سارية بدعوته ودعوة عيسى عليهما السلام، ثم أنزل تعالى الشريعة على محمد صلى الله عليه وسلم فنسخت شريعة موسى وأصبحت الشريعة الإسلامية هي السارية والمأمور بعدم الاختلاف فيها بالتمسك بأحكام شريعة موسى. يؤكد هذا قوله تعالى «كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» فيكون المعنى أنه عظم على الذين يشركون بعبادة الله ما تدعوهم إليه يا محمد صلى الله عليه وسلم من توحيد الله تعالى وخصه بالعبادة، وأنه عظم على الذين يشركون بالله من أهل الكتاب ما تدعوهم إليه من ترك شريعة موسى عليه السلام إلى شريعة الإسلام.

ويجيء قوله تعالى «الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب» داعماً في رأينا والله أعلم. ما نقول به، وذلك لأنه شق على أهل الكتاب أن ينزلوا عن شريعة أنزلت على رسول من بني إسرائيل إلى شريعة أنزلت على رسول من أبناء إسماعيل عليه السلام، فجاء قوله

تعالى لإفادة معنى أنه تعالى يصطفى للرسالة من يشاء، ومن ذلك اصطفاؤه تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ليدعو إلى الدين الكامل عقيدة وشريعة، وللإعلام بأنه تعالى يهتدي إلى الحق - يكون باتباع دعوته صلى الله عليه وسلم - من لديه الاستعداد للرجوع إلى الحق، وعدم التمسك بما كان عليه من قبل، من بعد أن يتبين له الحق .

ثم إنه تعالى يذكر أن أتباع الرسل السابقين بدءا من نوح عليه السلام لم يفرقوا في الدين إلا من بعد أن جاءهم العلم بالحق مما دعاهم إليه الرسل، وأن اختلافهم كان نتيجة بغيتهم بمعنى أنه كان أثرا لطلب المصالح الدنيوية فكان منهم ظلم الحق والمناداة بغير العلم الصحيح الذى جاءت به الرسل.

ومن ذلك على سبيل المثال - فى شأن العقيدة - عبادة بنى إسرائيل العجل، وطلبهم أن يكون لهم إله مثل آلهة عبدة الأوثان، وقول بعضهم إن عزيرا ابن الله. وقول النصارى إن المسيح هو الله، أو إنه ابن الله. وفى شأن الشريعة إباحة أكل الخنزير وشرب الخمر مع تحريمهما فى شريعة موسى.

ثم يبين تعالى أنه لولا أنه سبق منه تعالى القول أن يرجى الفصل بين المختلفين من أصحاب الشرائع السابقة إلى أجل معين لديه تعالى، قد يكون هويوم القايمة، وقد يكون آخر أعمارهم لكان قد فصل فى اختلافهم بإهلاك المبطلين. ثم يذكر تعالى أن الذين أورثوا الكتاب من بعد هؤلاء السابقين هم فى شك منه مريب.

والظاهر أن المراد بالذين أورثوا الكتاب من بعد السابقين هم كفار العرب الذين نزل فيهم القرآن العظيم كتاب الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فشكوا فيه وارتابوا. وقيل إنهم اللاحقون من أهل الكتاب ارتابوا فى التوراة والإنجيل .

وبعد هذا جاء أمره تعالى رسوله أن يدعو إلى دين الله الحق وأن يثبت على الدعوة كما أمره الله، وعلته ذلك كما يبينها قوله تعالى «فلذلك فادع واستقم» هى ألا يكون تفرق فى الدين، كما نهأه تعالى عن اتباع أهواء أهل الكتاب التى كانت سببا لتحريفهم الكتاب.

كما أمره تعالى أن يقول لهم إنه صلى الله عليه وسلم يؤمن بما أنزل الله من الكتب على رسله، فجميعها قامت على عقيدة التوحيد، وجميعها بشرت بالإسلام وكتابه ورسوله، وأن يقول لهم إنه أمر من ربه بأن يعدل بينهم، يكون ذلك بإبلاغهم الرسالة والعدل بينهم فى القضاء. وأن يعلمهم أنه ما من إله إلا الله هو رب المسلمين وربهم، بما يعنى أن دعوته شابهت دعوة الرسل الذين يقولون باتباعهم، وأنه ليس بين المسلمين وبينهم خصومة تستوجب اللجوء إلى الحجة من فريق على الآخر، وذلك لتبين وجه الحق من بعد نزول القرآن العظيم.

ثم يكون منه صلى الله عليه وسلم بعد هذا تهددهم بالعذاب يوم القيامة إذا ما أصروا على الاختلاف فى الحق وقد ظهر، ببيان أنهم والمسلمين يجمعون إلى الله يوم القيامة ليقرر فى أمر مصير كل منهم يكون هو الجنة والنعيم أو النار وعذابها.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَبَ لَهُمْ
جَحَنَّهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١١

التفسير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكافرين «لا حجة بيننا وبينكم»، فإنه تعالى يذكر حال بعض الكافرين وهم الذين يحاجون فى دين الله محاولين إظهار بطلان الإسلام والنيل منه، وقد حدث منهم هذا بعد أن استجاب الناس لدعوة رسول الله ﷺ ودين الله.

يثبت تعالى أن ما يقيمون من حجج للتدليل على ما فى نفوسهم المريضة لإثبات مطاعنهم فى الإسلام والقرآن، هى حجج وأدلة باطلة عنده تعالى وهو الحق، فهى والعدم سواء. ثم إنه تعالى يقرر فى شأنهم أنهم يكون عليهم واقعا غضبه، ويكون لهم عذاب شديد.

والقول توعد لهم بسوء الجزاء على سوء فعلهم .

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ
قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ
مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ الْأَيُّهَا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي السَّاعَةِ لَكُمْ ضَلَالٌ
بَعِيدٌ ﴿١٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو فى مظاهر الفرق بين المؤمنين والكافرين فيما يتعلق بالمجادلة فى الحق .

أثبت تعالى فى مبتدأ القول أنه الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان . بمعنى أنه تعالى الذى أنزل القرآن متلبسا بالحق وبالعدل ، أو أنزل الكتب على رسله على هذا النحو . ولما كان إنزال الكتاب أو الكتب بالحق والعدل مفيدا الحساب فى الآخرة بالضرورة . فقد جاء الإنذار بها «وما يدريك لعل الساعة قريب» فيعمل الناس للآخرة عملها ويخشون عقابها .

ثم يذكر تعالى أن الذين يستعجلون الساعة يطلبون وقوعها هم الذين لا يؤمنون بها ، أى إنهم مكذبوا البعث ، فيكون استعجالهم إياها هو نوع من المحاجة الباطلة قصد إثبات كذب القرآن فيما أخبر به عن وقوعها . ثم يخبر تعالى عن موقف المؤمنين من الساعة أو من يوم القيامة ، فيذكر أنهم مشفقون منها ويعلمون أنها الحق . بمعنى أنهم يخشون هول الموقف والحساب ، مؤمنين أن كل ما ورد ذكره فى الكتاب عنها هو الحق ؛ ولذلك فإنهم يخشونها إيماناً بالغيب .

ثم يقرر تعالى في شأن المجادلين في الساعة أو في يوم القيامة ولا يؤمنون بها أنهم في ضلال بعيد، بمعنى أنهم ذهبوا في الضلال إلى مدى بعيد، وقد يكون هذا لأنهم قصرُوا إيمانهم على المحسوسات دون الغيبات، مع كون كثير من الغيبات مقطوعاً بوجوده وإن لم يكن مدركاً بالحواس وهذا منهم من قبيل الضلال الذي ذهب إلى أقصى المدى .

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ۚ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾
مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾

لتفسير:

نرى - والله أعلم - أنه بعد أن أثبت تعالى أن المؤمنين يشفقون من الساعة خوف عذاب الآخرة، فإنه تعالى أعلم في القول أنه - وإن كان يعذب الكافرين - إلا أنه لطيف بعباده بار فيفيض عليهم من نعمه، ومن مظاهر هذا أنه يوسع في الرزق لمن يشاء، وذلك لأجل أن يحتاج الفقير إلى الغنى فتسير مصالح الناس - وهذا من البر بهم - ولأجل أن يختبر الله الغنى بالفقير، ويختبر الفقير بالغنى .

أعقب تعالى هذا ببيان أنه القوى العزيز للتدليل على أن لطفه بالناس هو من مظاهر قوته، فهو بمثابة عضو القادر، وأنه النافذ أمره في كل شيء، ومنه التوسعة في الرزق لمن يشاء والتقدير فيه لمن يريد .

ثم يذكر تعالى من مظاهر لطفه بالمؤمنين أنه يزيد في ثواب من جعل الآخرة جل همه، فعمل لها عملها، على ما بين من تشييه تعالى أعمالهم في الدنيا بالدور تبذر في الأرض، ثم أخبر عن نتيجة هذا بذكره أنه يضاعف لهم ثمارها أو يزيدها، بمعنى أنه يزيد لهم في ثواب أعمالهم، وهذا من لطفه تعالى بالمؤمنين .

كما يذكر تعالى أن من يريد بأعماله حرث الدنيا وهو متاعها وزيتها يكون منه تعالى أن يعطيه من هذا ما قدره له، وهذا أيضا من مظاهر لطفه به لأنه لا يجرمه أجر سعيه فى الدنيا التى عمل لها، ثم يكون منه تعالى حرمانه من أجر الآخرة التى لم يجر ذكرها فى نيته وقصده. ولا يعتبر من هؤلاء من عمل للدنيا وسعى للآخرة، فالقول مقصور على الذين أغفلوا الآخرة ولم يعملوا لغير دنياهم الفانية.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ
بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢١

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى الكافرين الذين أنكروا البعث والحساب واستعجلوا قيام الساعة، وفى المشركين، وفى الذين لم يعملوا لغير الدنيا. جاء قوله تعالى «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله» وفيه جاءت «أم» للإضراب عما سبق ذكره من قوله تعالى «شرع لكم من الدين»، وجاء الاستفهام للتقرير والتفريع، كما يتصور فيه أن يكون للإنكار. فيكون المراد إثباته، أو المراد إنكاره عليهم هو أن لهم فيما هم عليه من الشرك أو إنكار البعث أو المجادلة فى الدين بغير الحق، أو السعى للدنيا دون الآخرة، شركاء من الجن والإنس زينوا لهم ما نهى تعالى عنه وما ليس من دينه فأطاعوهم وعصوا ربهم.

ثم يثبت تعالى أنه لولا كلمة الفصل وهى قوله تعالى «بل الساعة موعدهم» لكان منه تعالى القضاء بين الكافرين والمؤمنين فى الدنيا بمعاقة الكافرية وإثابة المؤمنين. ثم أخبر تعالى عن أنه يكون للكافرين - وصفهم تعالى بأنهم الظالمون - عذاب أليم. يبين من قوله تعالى «ولولا كلمة الفصل» أن المراد به هو عذاب الآخرة.

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ

مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي
رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ
﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً
تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

أولاً : الأسماء :

١ - الحسنة : فى قوله تعالى «ومن يقترف حسنة» المراد بها - فى معنى الآية - هو المودة فى القربى -

٢ - الحُسن : فى قوله تعالى «تزد له فيها حسناً» ، المراد به - فى معنى الآية - هو الثواب .

ثانياً : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى أنه يكون للظالمين - وهم الكافرون - فى الآخرة عذاب أليم، خاطب تعالى رسوله ﷺ فأخبر أنه يكون منه ﷻ ومن كل من تكون منه الرؤية أنه يرى هؤلاء الظالمين خائفين غاية الخوف مما قرفوا فى الدنيا من السيئات - جاء التعبير عن هذا بالكسب من قبيل السخرية بهم وبأعمالهم - ثم أثبت تعالى أن ما يخافونه من العذاب هو واقع بهم بالفعل لا مفر منه .

ثم ذكر تعالى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يكونون آنذاك مستقرين فى أطيب بقاء الجنات متمتعين بكل ما يشتهون من ربهم، ينالونه فى جناته .

ثم بين تعالى أن ما ينعم فيه المؤمنون هو الفضل الكبير الذى يقصرونه فضل غيره تعالى للكافرين فى الحياة الدنيا، وأنه لا يقدر قدره.

كما بين تعالى أنه - أى هذا الفضل الكبير - هو الذى يشر تعالى به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمستفاد من ورود الفعل «يشر» فى صيغة المضارع هو استمرار التبشير، ليكون هذا دافعا للكافرين إلى الإيمان وعمل الصالحات.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول لكفار مكة إنه لا يطلب منهم أجرا على تبليغهم الرسالة وعلى تبشيرهم بثواب الآخرة إذا هم آمنوا وعملوا الصالحات، غير مودتهم إياه بسبب قرابته منهم. وفى هذا رد على ما عرضوا عليه من المال لينصرف عن دعوتهم إلى الإيمان.

ثم يجىء قوله تعالى «ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا، إن الله غفور شكور» حثا للكافرين على الإيمان وعمل الصالحات، إذ يفيد القول أن من يؤمن لرسول الله ﷺ وتكون منه مودته، يكون قد اكتسب حسنات، ويكون منه تعالى أنه يزيد له فى حسناته فيضاعف ثوابه عليها. وأنه تعالى يغفر له ما كان منه من الكفر والمعاصى، ويشكر له إيمانه ومودته رسوله ﷺ بالإنابة على هذا.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّمُ الْحَقَّ
بِكَلِمَةٍ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ
عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى شأن كفار مكة الذين أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم إنه لا يسألهم أجرا إلا المودة فى القربى - بدأ القول باستفهام أريد به تقرير واقع أنهم يقولون إن محمدا ﷺ ادعى النبوة كذبا على الله وافتراء.

ثم يرد تعالى على قولهم هذا أبلغ رد، جاء به قوله «فإن يشأ الله يختم على قلبك» يثبت تعالى فيه - فى مقام أول - كذب قولهم، ويثبت - فى مقام ثان - أن ذلك لا يكون إلا من ختم الله على قلبه، بأن طبع عليه الكفر، ثم يثبت أيضا أن الكافرين القائلين هذا القول هم الذين ختم الله على قلوبهم.

فيكون معنى القول هو «إنه لو شاء الله أن يجعلك ممن يفترون عليه الكذب، لكان قد ختم على قلبك بالكفر مثل فعله بقلوب من اتهموك بهذا، لكنه تعالى لم يشأ هذا، فأنت من الصادقين».

ثم يؤكد تعالى هذا المعنى بقوله تعالى «ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته» والمعنى أنه تعالى جرى قلمه على إحقاق الحق ومحو الباطل، ومن آيات ذلك أنه ينصردينه الذى دعا إليه رسوله ﷺ ويمحق فى مكة الكفر، يكون ذلك منه بكلماته التى وردت بقضائه؛ فيكون القول وعدا بنصردينه تعالى.

ثم يجيء قوله تعالى «إنه عليم بذات الصدور» مفيدا معنى علمه تعالى بما انعقدت عليه نيته ﷺ وما انطورت عليه صدور الكافرين وأنه يجازى كلأ بما علم.

ثم إنه تعالى - بعد هذا - يفتح باب التوبة عن الكفر وعن معاداة رسوله ﷺ أمام الكافرين بقوله «وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات» يخبرهم أنهم إذا تابوا إليه تعالى عن الكفر والعصيان فإنه يقبل توبتهم ويعفو عما قرفوا من السيئات ومنها مناصبة رسوله ﷺ العدا. مخبرا أنه تعالى يعلم جميع ما يفعل العباد من خير ومن شر والمعنى أنه تعالى يجازيهم بهذا.

ثم يخبر تعالى أن الذين يستجيون لدعوته تعالى إلى التوبة هم الذين قدر لهم تعالى شأنه أن يؤمنوا وأن يعملوا الصالحات، كما يخبر عن أنه يزيدهم من فضله، بمعنى أنهم يزيدهم ثوابا فوق ما استحقوا وما طلبوا، ويتهدد الذين يصرون على الكفر بأنه يكون لهم عذاب شديد .

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ
يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان مظهر من مظاهر حكمته تعالى التى قد تغيب عن كثيرين .

والقول يبدو أنه تمهيد لذكر مظاهر قدرته تعالى على التفضل على الناس والإنعام عليهم، وقدرته على تعذيبهم .

يبين من قوله تعالى «ولو بسط الله الرزق لعباده» أنه تعالى لم يسطه لهم كل البسط، وإنما كان بسطه تعالى إياه بقدر.

ثم يبين تعالى علة ذلك بأنه لو فعل هذا لبغى الناس بعضهم على بعض لكون الغنى مبطرة لذوى النفوس الضعيفة ولزاد التحاسد بين الناس .

ثم أثبت تعالى أن بسطه الرزق يكون بقدر محسوب لديه تعالى مما يشاء من الرزق، وعلى من يشاء، ثم بين أن ذلك يكون لمصلحة العباد بقوله تعالى «إنه عباده خير بصير» فيبين أن بسطه الرزق بقدر يكون ترتيبا على خبرته تعالى بأحوال الناس وعلمه التام بما يكون منهم .

فيكون المستفاد أنه إنما يكون على مقتضى ما استوجبه حكمته تعالى .

وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ
 الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قُطِّعُوا وَيُنْشِرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
 وَمَنْ أَيْتَهُ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ
 عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا
 كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
 وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

التفسير:

بدأ تعالى القول - في الآيات - بذكر آية من آيات قدرته وفضله على الناس، وبيان علة
 تفضله على الناس بما ذكر.

فأخبر تعالى عن ذاته بأنه الذي ينزل من جهة العلو المطر الذي يغيث الناس وينفعهم،
 يكون منه هذا من بعد يأسهم من نزوله ونيلهم به الخير، فينشر بواسطة الغيث الخير ينتفع به،
 فيكون هذا من مظاهر رحمته بخلقه الذين يحتاجون إلى الغيث .

ثم بين تعالى أن هذا الفضل منه يكون بحكم كونه تعالى متولى أمور عباده الذي يرعاهم،
 وهو ما يستحق به الحمد والشكر.

ثم صرح تعالى بأن من آيات قدرته خلق السماوات والأرض وتوزيعه فيهما المخلوقات
 التي تدب فيهما.

وقيل في هذا إن المراد بما بث تعالى في السماوات والأرض هو الملائكة والناس، وقيل
 جميع ما يدب على الأرض. ونرى - والله أعلم - أن القول يشير إلى خلقه تعالى في ملكوت

السموات وما تضمن من كواكب أنواعا من الأحياء تناسب طبيعة هذه الكواكب، أو التي شاء تعالى أن يجعل فيها حياة.

ثم ذكر تعالى قدرته على حشرهم بعد البعث يوم القيامة متى شاء جمعه ووقت أن قدر هذا الحساب.

فيكون القول مشيرا إلى وحدة يوم الحساب لجميع خلقه على تنوع أماكن حياتهم.

ثم بين تعالى للمخاطبين بالقول - وهم جميع الناس المكلفون - أن ما أصابهم من المصائب يكون مرجعه إليهم، إذ قد يكون عقابا منه تعالى في الدنيا.

وقد يكون تكفيرا عن الذنوب من قبيل رحمته، كما بين أنه يعفو عن كثير من ذنوب عباده فلا يؤاخذ بها، فهو تعالى العفو الغفور.

ثم إنه لما كان تعالى معاقبا للكافرين والعصاة في الآخرة، وكان قد أثبت أنه يصيب المؤمنين بالمصائب في الدنيا بذنوبهم.

فإنه أثبت أنه ما من أحد قد قدر تعالى أنه يصيبه بمصيبة في الدنيا يكون معجزا الله عن إدراكه وإصابته بها، وأن جميع خلقه المخاطبين بالقول ليس لهم من دون الله من يتولى أمرهم فينفعهم ولا من يدفع عنهم قضاء الله فيهم في الدنيا والآخرة.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي

الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظُفُرِهِ ۚ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٧﴾ أَوْ يُوقِعُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا

وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٢٨﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ

مِنْ مَخِصٍ ﴿٢٩﴾

أولاً: الأسماء

١- الجوارى: فى قوله تعالى «ومن آياته الجوار فى البحر» هى السفن، تجرى فى البحر بأمر الله .

٢- الأعلام: جمع، مفردة «العلم» وهو الجبل .

ثانياً: التفسير:

يقول تعالى إن من آيات قدرته فى الخلق وفى أخذ الناس بالعذاب فى الدنيا إذا شاء لا يقدرون على التخلص منه، قدرته تعالى على ما هو كائن من تسيير السفن فى البحر مثل الجبال، وفى القول إشارة إلى ما كان بعد نزول النص بزمان طويل من سير السفن والناقلات العملاقة التى تشبه الجبال فى البحر طافية فوق الماء رغم عظم أحجامها.

ثم يذكر تعالى ما يفيد أن جريانها فى البحر هو بأمرو، يذكره أنه إذا شاء أسكن الريح فبقيت السفن على سطح البحر راكدة لا تتحرك.

وهذا مفهوم بالنسبة للسفن الشراعية، أما فى شأن السفن التى تسيير بقوة المحركات، فإن القول يشير من جهة إلى ما يحدث من تجمد سطح البحر بفعل البرودة، يؤدى إلى استمراره سكون الريح، كما يشير إلى فعل التيارات البحرية التى تؤدى إلى إعاقه قوة المحركات والتى يزيد منها سكون الريح.

ثم يخبر تعالى عن تضمن ما ذكر من مظاهر قدرته آيات لكل من وطن نفسه على النظر فى آيات الله وتدبرها وشكر الله فى السراء والضراء .

ثم ذكر تعالى أن من مظاهر قدرته فى خلقه وفى تعذيب الناس بذنوبهم، أنه إذا شاء أهلك راكبي السفن بما قرفوا من الذنوب، أو أهلك البعض منهم وأنجى آخرين.

وقد يكون لنا من القول آية فيما كان من أمر السفينة «تيتانيك» التى كانت أضخم سفينة صنعها الإنسان، تجبر صانعوها فقالوا بامتناعها على الغرق متناسين قدرة الله ومغترين بما صنعوا، فكان منه تعالى أن أغرقها بإسكان الريح التى كان من شأن إسكانها وجود جبل من

الجليد تحت سطح الماء لا يتحرك اصطدمت به فحطمها واندفع الماء إليها فأغرقها، لم ينج من راكميها إلا من أراد له الله النجاة .

ثم إنه لما كان المستفاد من قوله تعالى المذكور هو أنه لا يحول دون قضائه تعالى في خلقه مانع، فإنه تعالى أثبت أن الذين يعاندون فلا يؤمنون، والذين يجادلون في آياته تعالى بالباطل، أثبت أن هؤلاء يتعين عليهم أن يعلموا من آياته المذكورة أنه ليس لهم من مهرب من قضائه فيهم بالعذاب .

فَأُولَئِكَ مِنْ شَيْءٍ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ
 اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ
 يُجَاهِدُونَ كِبَرًا أَلَا تَشَاءُ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾
 وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ
 ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ
 لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾

أولاً : الأسماء :

١ - كِبَارُ الْإِثْمِ : قيل هي ما يوجب الحد من الذنوب، وقيل هي البدع .

٢ - الْفَوَاحِشُ : قيل هي الذنوب النابعة عن شهوة الغريزة الجنسية، وقيل هو كل ما فحش وعظم قبحه .

٣- الذين استجابوا لربهم : قيل إن المراد بهم - فى معنى القول - هم الأنصار، دعاهم رسول الله ﷺ إلى ربهم فأطاعوه واستجابوا له .

ثانيا : التفسير :

بعد أن بين تعالى أن الذين يجادلون فى آياته ليس لهم مهرب من العذاب، جاء قوله تعالى لحث الناس على السعى للآخرة والعمل لها بعملها، بإثباته أن غاية ما يحصل عليه الموسع لهم فى الرزق فى الحياة الدنيا ليس سوى متاع الحياة الدنيا القليل النفع، غير الدائم بمعنى الذى هو إلى زوال. ثم يصف تعالى ثوابه الذى أعدّه للذين آمنوا به وتوكلوا عليه وليس على غيره بأنه خير من متاع الدنيا - من حيث النوع - وأبقى مكثاً لخلوده وعدم انتهائه .

ثم إنه تعالى مدح هؤلاء الذين آمنوا به وتوكلوا عليه بوصفهم بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم، يدخل فيها الجرائم التى جعل تعالى عقوبتها حداً من الحدود، ويدخل فيها البدع، ويجتنبون الفواحش وهى الذنوب المرتبطة بالقوة الشهوانية والغريزة الجنسية، أو ما عظم قبحه من الذنوب، ويكون منهم إذا ما تعرضوا لما يفضيهم من أحد من خلقه تعالى أنهم يسيطرون على القوة الغضبية فيهم، فيغفرون لمن أغضبهم ما أغضبهم من أعمالهم، قبل أن يستغفروا ربهم لأنفسهم .

كما مدحهم تعالى بما كان منهم من استجابة إلى رسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الله فأجابوا دعوته بإيمانهم بالله ورسوله وكتابه، وأقاموا الفرائض، جاء التعبير عنها بذكر فريضة الصلاة لكونها أم الفرائض والعبادات البدنية، وكان أمرهم بينهم هو التشاور فى الأمور التى يتعين فيها أن يكون الأمر شورى بين الناس لا يستقل به أحدهم، وهو ما قد يكون فى الأمور المتعلقة بالمصالح العامة لمجتمع المسلمين، أو التى تقتضى تدبير نفقات عامة تجبى من المسلمين، ومنها إعلان الحرب أو مباشرتها.

كذلك فإنه تعالى مدح هؤلاء المؤمنين به بأنه إذا ما بغى عليهم من باغ فإنهم ينتصرون لأنفسهم أو ينتصرون لله تعالى دون أن يعتدوا .

ثم بين تعالى وجوب عدم تجاوز حد المساواة في الانتصار من البغي بذكره تعالى أن جزاء سيئة يكون سيئة مماثلة لها. وحث على العفو وإصلاح ذات البين بقوله تعالى «فمن عفا وأصلح فأجره على الله».

فبين أنه أحب إليه تعالى أن يكون من المؤمن العفو عن أساء إليه والعمل على إصلاح ما بينه وبينه بذكره أن العاقب المصلح يثاب منه تعالى على هذا ثوابا يشبه أجر العامل في كونه مستحقا له، جاء مجهلا للإطماع في نوعه وقدره.

ثم بين تعالى أنه لا يحب ممن عاقب بمثل ما أودى به تجاوز حد المساواة، واصفا من يفعل هذا بأنه يكون من الظالمين .

وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ
مِّنْ سَبِيلٍ ۚ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ
ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۚ ﴿٤٣﴾

أولاً: الأسماء والأعلام :

١ - الذين يظلمون الناس: قيل إن المراد بهم - في القول - هم عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل، والأسود. وقيل هم كل من قاتل من المشركين في بدر.

٢ - من صبر وغفر: قيل هم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، ومصعب بن عمير، وقيل هم جميع أهل بدر من المؤمنين .

ثانيا : التفسير :

أكد تعالى ذات المعنى الذى سبق بيانه وهو حق المعتدى عليه فى رد الاعتداء بما يساويه بذكره أن من انتصر لنفسه ممن ظلمه بالاعتداء عليه بغير حق، لا يكون عليه إثم يعاقب به ولا عيب يلام عليه.

ثم بين تعالى أن العقاب واللوم يكون على الذين يظلمون الناس، وذلك بيدتهم بالعدوان أو بتجاوز حد المساواة لدى المعاقبة بالمثل أو الاقتصار من المعتدى، كما ذكر تعالى أن العقاب يكون على الذين ييغون فى الأرض بغير الحق، قيل إنهم الذين يتكبرون فى الأرض بالظلم بغير الحق.

والذى نراه - والله أعلم - أنهم الذين يخرجون على طاعة الحاكم بغير الحق دون أن ينفقوا من الأعمال المادية تنفيذا لما اتفقوا عليه ما يعتبر جرائم معاقبا عليها بعقوبات مقدرة خدا أو قصاصا، فيكون عقابهم على مجرد الخروج على الطاعة أو على التأمر على هذا بعقوبة تعزيرية.

ثم أخبر تعالى عن مصير الذين يظلمون الناس والذين ييغون فى الأرض بغير الحق - فى الآخرة - فأثبت أنه يكون لهم عذاب أليم، يكون سببه بالنسبة للذين يظلمون الناس هو الاعتداء على حق العباد، ويكون بالنسبة للذين ييغون فى الأرض بغير الحق هو اعتداؤهم على مصلحة عامة لمجتمع المسلمين لا تتحقق إلا بإطاعة ولى الأمر.

ثم إنه تعالى كرر الحث على الصبر على الأذى وغفرانه للمؤذى، بوصفه أنه من عزم الأمور، بمعنى أنه من عزائم الله المأمور بها، وإثباته أنه يكون لمن يفعل هذا أجر من أخذ بعزائم الله المأمور بها.

والراجع أن هذا يكون حال كون المسمى إلى المؤمن من المؤمنين إذ يكون الأمر متعلقا بالعمل على تحقيق مبدأ الآخرة فى الإيمان .

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَيُورِى
الظَّالِمِينَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَرَبُّهُمْ
يُعْزِضُونَ عَلَيْهِمْ خَشَعِينَ مِنَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ حَتَّىٰ وَقَالَ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ إِلَّا إِنْ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ
أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

أولاً : الأسماء :

الطرف الخفي: قيل هو مسارقة النظر بتحريك الجفن حركة ضعيفة، وقيل هو النظر بالقلب لأن الكافرين يحشرون عمامانا.

ثانياً : التفسير :

يذكر تعالى أن من يضلله الله عن الحق لا يجد من يتولى أمره دايته إلى ما فيه صالحه، ومن هؤلاء الذين أضلهم الله الذين أعرضوا عما دعاهم إليه رسول الله ﷺ من الإيمان والمودة في القربى، ومن لم يصدق بالبعث وبأن متاع الحياة الدنيا قليل. ثم يخاطب تعالى رسوله ﷺ وكل من تنأى منه الرؤية يخبره أنه يرى الكافرين الضالين - لدى معيبتهم عذاب النار - يطلبون أن يردوا إلى الحياة الدنيا ليؤمنوا بما دعاهم إليه رسول الله ﷺ وليعملوا بالطاعات، يسألون عن سبيل يوصلهم إلى هذا وهو محال. كما يخبره ويخبر كل من تنأى منه الرؤية أنه يرى الكافرين يعرضون على النار، حالهم لدى نظرهم إليها هو الخشوع من الذل بمعنى أن علة تضاؤلهم هي مالحقهم من الذل. ينظرون إلى النار - لدى عرضهم عليها - بتحريك أجفانهم حركة خفيفة ضعيفة من فرط خوفهم مما سيشهدون.

ثم يذكر تعالى أن المؤمنين يقولون يوم ذاك «إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة» بمعنى أن الجديرين أن يدعوا خاسرين هم الكافرون، خسروا أنفسهم يوم القيامة لأنهم أوردوها النار، وخسروا أهليهم، لأنهم إن كانوا من أصحاب النار يكون لهم ذات المصير، وإن كانوا من أهل الجنة تبرءوا منهم، أى تبرأ منهم أهلهم، ولم يتفعدوا هم بمكانة أهليهم فى الجنة.

كما يذكر تعالى أن المؤمنين يقولون تعقيباً على ما يرون «ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم» وهو تقرير لواقع أنهم يقيمون فى عذاب جهنم إقامة دائمة.

ثم يذكر تعالى أنه لا يكون للكافرين يوم القيامة ولى يتولى أمرهم فيدفع عنهم العذاب على نحو ما اعتقدوا فى دنياهم حين أشركوا بالله: ثم يكررها سبق تقريره - قصد تأكيد المعنى - وهو أن الكافرين هم من أضلهم الله، وأن من أضله الله لا تكون له إلى النجاة سبيل.

اسْتَجِبُوا لِلرَّبِّ كَمَا مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ
مَّجْلَى يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّنْ تَكْوِيلٍ ٤٧ فَإِنْ عَرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا أَنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْعُ وَأَنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
فَرَحَ بِهَا وَانْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بُمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ٤٨

التفسير:

بدأ تعالى القول فى الآيتين بمخاطبة المكلفين عموماً من الناس، أمرهم بالاستجابة إليه تعالى، وهو ما يكون بالاستجابة إلى ما يدعوهم إليه رسول الله ﷺ، وما ينذرهم به بالقرآن، طلب منهم تعالى شأنه هذا قبل أن يأتى يوم القيامة، وصفه تعالى بأنه يوم لا مرد له من الله،

بمعنى أنه ليس هناك من يرد مجيئه على ما قضى به تعالى ولا يرد ما قدره فيه تعالى، ثم إنه تعالى يهدد الناس بأنه لا يكون لمن كفر وعصى ربه من ملاذ يلجأ إليه فينتجيه من عذابه تعالى، ولا يكون له فائدة تجنى من إنكاره ما كان منه من كفر وعصيان. فيكون القول مفيداً انقطاع أمل الكافر في النجاة مما أعد له من العذاب.

ثم إنه تعالى خاطب رسوله ﷺ، فذكر له عدم مسئوليته عما يكون منهم من استجابة له أو عصيان وإعراض، بقوله له ﷺ بأنه إذا عرض الناس عنه وعما دعاهم إليه من الإيمان، فإنه ليس عليه الاهتمام بهذا والانشغال به، فهو ﷺ غير مكلف بالزامهم الإيمان والإجابة وليس عليه سوى إبلاغهم ما أرسل به.

وبعد هذا ينقل تعالى حديثه إلى موضوع آخر يتعلق بطبيعة الناس، فيخبر أنه إذا ما أذاق الواحد من جنسهم رحمة منه بأن أنعم عليه بنعمة من النعم، فإنه يفرح بما أفاء الله عليه من النعم، والمعنى أن هذا هو حال الناس أو حال أغلبهم.

كما يذكر تعالى أنه إذا أذاق الناس، أو أذاق الواحد من جنسهم سيئة، بأن أصابهم أو أصاب أحدهم بضرر أو بلاء بسبب ما ارتكب من السيئات، يكون منهم أو منه نسيان ما سبق أن أنعم به الله عليه وكفرانه به.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ ذَكَرَهُمْ دُكْرًا أَوْ إِنَاثًا وَيَجْعَلُ
مَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً لَهُنَّ ۚ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ۝٥٠

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الإنسان يفرح بالنعمة ينعم بها عليه ربه، ويكفر بها إذا ما أصابه - من

بعد - شىء من البلاء، فإنه تعالى بين أنه يجب أن يكون عند إذاقة الرحمة ونيل النعمة شكر الله عليها، وأن يكون عند الإصابة بالمحنة الرجوع إليه تعالى وعدم كفران ما أنعم الله به من قبل. بدأ تعالى القول ببيان أن له ملك السماوات والأرض، بما يعنى خلوص التصرف فيهن وما فيهن له تعالى، كما بين أنه يخلق فيهن ما يشاء، فمرجع الأمر إلى مشيئته تعالى، لا يكون شىء واجبا عليه ثم ذكر من مظاهر تصرفه فى خلقه كيف يشاء أنه يهب لمن يشاء إنانا ينجبهم، ويهب لمن يشاء الذكور ينجبهم، ويجعل لمن يشاء من النسل أزواجا ذكورا وإناثا. قد يوافق هذا إرادة من أنجب وقد لا يوافقها، فيكون عليه شكره على ما أعطاه والرجوع إليه إذا لم يوافق ما وهبه الله ما كان يتمناه كما ذكر تعالى أنه يجعل من يشاء عقيما؛ ليكون المعنى أنه تعالى يقسم النعمة والبلاء كيف يشاء، مما يجب معه شكره على النعم وعدم الاعتراض على قضائه لدى الإصابة بالبلاء أو بما لا تهوى النفس. ثم يجيء قوله تعالى «إنه عليم قدير» إثباتا لكون نعمته ونعمته من أثر علمه بما لا يعلم الناس، تكون بموجب قدرته؛ ولذلك فإنهم - بحكم عدم علمهم بالغيب وما تكون به مصالحهم - يتعين عليهم الشكر على النعمة والصبر على البلاء والرجوع إلى الله.

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ
 إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ
 اللَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي
 مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِمَّنْ
 عِبَادِنَا إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
 مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝

التفسير:

بدأ قوله تعالى - فى الآيات - ببيان الوسائل التى يكلم الله بها البشر، لا يكون كلامه تعالى مع أحد منهم بوسيلة أخرى.

وقيل فى أسباب نزول القول أن اليهود قالت لرسول الله ﷺ إن موسى عليه السلام كلم ربه ونظر إليه، وإنهم لن يؤمنوا له ﷺ إلا إذا كلم ربه ونظر إليه، فقال لهم ﷺ إن موسى لم يكلم الله ناظرا إليه، ثم نزلت الآية تثبت أن أحدا من البشر لا يتأتى له أن يكلمه الله إلا أن يكون هذا وحيا منه تعالى إليه بأن يلقى القول أو الأمر فى قلبه فى اليقظة أو فى المنام، أو بأن يكلمه تعالى محجوبة عنه رؤيته، كما كان من أمره تعالى مع موسى عليه السلام، أو بأن يرسل إليه ملكا رسولا بكلامه تعالى كما كان منه تعالى مع رسول الله ﷺ.

وأكثر العلماء على أنه ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء، وأنكرت ذلك عائشة محتجة بقوله تعالى «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» وبآية «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب».

وبين تعالى أنه بهذه الوسيلة الثالثة - إرسال ملك رسولا - يوحى تعالى بإذنه ما يشاء إلى من نزل عليه الملك.

ثم بين تعالى أن حدوث الكلام على هذا النحو هو أثر من آثار علوه تعالى على الخلق، وكونه مما جرت به حكمته.

ثم يخاطب تعالى رسوله ﷺ فيخبره أنه على هذا النحو المذكور كان منه تعالى أن أوحى إليه ﷺ روحا من أمره، يتصور أن يكون هو القرآن، وصف بأنه روح من أمره تعالى لأنه به تحيا النفوس، ويتصور أن يكون الروح هو جبريل عليه السلام، وقيل إنه ملك أعظم من جبريل وميكائيل.

ثم إنه تعالى قال لرسوله ﷺ إنه لم يكن يدرى ما الكتاب ولا الإيمان والمراد أنه لم يكن يدرى هذا وذاك قبل أن يوحى إليه. ولا يعنى هذا أنه ﷺ لم يكن مؤمنا قبل أن يوحى إليه،

وإنما معناه أنه كان مؤمنا بفطرته ولكنه لم يعلم من كتاب ولا من أحد أحكام الإيمان وأركانها وشروطه التي شرعها تعالى .

ثم يذكر تعالى لرسوله ﷺ أنه جعل الكتاب الذي أوحى به تعالى إليه نورا عظيما يهدي به تعالى من يشاء أن يهديه إلى رضا الله وجنته، كما يشهد له ﷺ بأنه يهدي إلى صراط مستقيم، بمعنى أنه ﷺ مهدي إلى الحق، وهاد إلى الإسلام طريق الله المستقيم.

ثم يصف هذا الطريق أو الصراط بأنه صراط الله، بمعنى أنه ما اختار لعباده ونسبه إليه تعالى لبيان أنه وحده الموصول إلى رضائه، ثم وصف ذاته بأنه الذي له جميع ما فى السماوات والأرض ليعلم الناس عظم قدر الطريق الذى شرفه بأن نسبه إلى ذاته، ثم جاء قوله تعالى «ألا إلى الله تصير الأمور» وعدا لمن يختار طريقه المستقيم بخير الدنيا والآخرة، ووعيدا لمن نأى عنه فضل عن الحق بالعذاب وسوء المصير.



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُوًى ۝ نَاعْرِضُكَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝
وَلَئِنَّ فِي أَمْرِ الْحِكْمِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ۝ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ
صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝

أولاً: الأسماء:

- ١ - الكتاب : يتصور فيه أن يكون المراد به - فى معنى القول - هو القرآن العظيم، ويتصور أن يكون جنس الكتب المنزلة من الله تعالى. وقيل هو الكتابة والخط .
- ٢ - أم الكتاب : المراد به - فى معنى القول - هو اللوح المحفوظ، أو علمه تعالى الأزلى .
- ٣ - الصفح : فى قوله تعالى «أنضرب عنكم الذكر صفحا» هو الإعراض. ويغلب استعماله فى التعبير عن الإعراض عن الانتقام أو عن أخذ الحق والاقتصاص من المعتدى .

ثانياً: التفسير:

افتتحت السورة بأسماء الأحرف الحَمَّ وقد سبق بيان ما قيل بشأنها. ثم أقسم تعالى بالقرآن العظيم، وصفه بأنه الكتاب المبين، لأنه تضمن تفصيل أمور الدين والدنيا فكفل للناس ما يحتاجونه وناسب كل زمان. ثم ذكر تعالى أنه جعله قرآناً عربياً ليتمكن فهمه والعلم بأحكامه، أو ليكون التفكر فيه. وعلى المعنى الأول يكون القول مخاطباً العرب، وعلى الثانى يكون مخاطباً العرب والعجم. ولعل الصحيح - والله أعلم - أن جعله عربياً قد جهل فهمه قريباً من العرب والعجم، لأن بتليية الناس من جميع أنحاء الأرض دعوة إبراهيم قدم إلى أرض العرب جميع أجناس الأرض فأحاطوا بلغة القرآن علماً مكنهم من البدء فى دراستها ففهموا القرآن ثم نقلوا علمهم وما تعلموه إلى أقوامهم .

ثم أثبت تعالى أنه فى علمه الأزلى أو فى اللوح المحفوظ هو العلى القدر بين الكتب المنزلة منه تعالى على رسله، والمتضمن الحكمة البالغة؛ ولهذا فهو لا ينسخ إلى أبد الدهر.

ثم خاطب تعالى قوم رسوله صلى الله عليه وسلم ليثبت لهم أنه ما كان منه الإمساك عن إنزال القرآن لما كان منهم من إسرافهم على أنفسهم فى الكفر وعدم إيمانهم به. جاء التعبير عن هذا باستفهام أريد به إنكار تصور وقوع هذا .

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ
 ١ وَمَا يُنْفِرُ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَأَنَّا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۚ فَاهْلِكْنَا أَشَدَّ
 مِنْهُمْ بَطْشًا وَمِثْلُ الْأَوَّلِينَ ۝

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن قومه ﷺ لم يؤمنوا بالقرآن العظيم في مبتدأ أمر نزوله، أو أن الكافرين منهم أصروا على الكفر به، جاء قوله تعالى مثبتاً أنه أرسل أنبياء كثيرين في الأمم السابقة، جاءت «كم» في قوله تعالى «وكم أرسلنا من نبي» خبرية لإفادة الكثرة. ثم أثبت تعالى أن هؤلاء السابقين كانوا يستهزئون بكل نبي يبعث فيهم أو يرسل إليهم. فيكون القول - بهذا المعنى - تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء الكافرين من قومه به. ثم أعقب تعالى هذا توعد الكافرين المستهزين بالعذاب أو يتهدهم به بذكره تعالى أنه أهلك من السابقين المكذبين رسلهم والمستهزئون بهم من كانوا أشد منهم قوة وبطشاً، ثم يخبر عن أنه قد سبق بيان قصص هؤلاء المهلكين في القرآن من قبل، أو أن عقابهم قد مضى وخلف آثارا يستدل بها عليه.

وَلَيْنَسْأَلَنَّكُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَاهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝
 مَهْدًا وَجَعَلْكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝
 وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۝
 وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ
 ١٥ لَتَسْتَبْشِرُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ يُدْنِدُكُمْ وَأَنْعَمَ رَبُّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
 وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَى
 رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝

أولاً : الأسماء :

المقرنون : فى قوله تعالى «وما كنا له مقرنين» جمع، مفردة المقرن، وهو من تمكن من تدليل الدابة والسيطرة عليها، وهو المماثل فى القوة .

ثانياً : التفسير :

خاطب تعالى رسوله ﷺ فى شأن مشركى مكة فيقول له إنه إن سألهم عن خلق السماوات والأرض فإنهم يجيبون بأن الذى خلقهن هو الله يصفونه بأنه العزيز العليم، والمعنى أنهم يؤمنون به تعالى ويكونه الخالق كل شىء وأنه العزيز العليم، وأنهم يناقضون هذا بإشراكهم به وعبادتهم أصنامهم .

ثم يصف تعالى ذاته للمشركين بأنه الذى جعل الأرض لهم ممهدة مثل الفراش، وجعل لهم فيها طرقاً يمشون فيها ومعايش، ثم بين أنهم كان عليهم أن يستدلوا بهذا على أنه وحده الجدير أن يعبد فلا يشركوا به شيئاً فيكونوا من المهتدين .

ويصف تعالى ذاته أيضاً بأنه الذى نزل من جهة العلو الماء مطراً بقدر محسوب، لا يكون طوفاناً مغرقاً ولا قليلاً لا يفيد فيكون به إحياء الأرض الموات يخرج منها النبات فيكسبها الحياة ومظاهرها، ثم بين تعالى للمشركين أنه على ذات النحو الذى يخرج به النبات من الأرض، يكون خروجهم من قبورهم حين البعث، أو أنه على النحو الذى يحيى به تعالى الأرض الميتة، يكون منه تعالى إحياءهم بعد الموت للحساب .

كذلك فإنه تعالى يصف ذاته بأنه الذى خلق جميع أصناف المخلوقات، وأنه الذى مكنهم من صناعة الفلك وأوجد ما يصنعونه به، كما أوجد خلقاً الأنعام التى يركبون منها ما يركبون .

ثم ذكر تعالى أنه جعل لهم من الأنعام ما يركبون ليكون منهم الاستواء على ظهورها، فاللام فى «التستوا» هى لام التعليل بمعنى كى، أو هى لام الصيرورة، ولكى يكون منهم تذكر نعمة الله لدى الاستواء على ظهور الأنعام، يتذكرونها بقلوبهم معظمين الله تعالى حامدين إياه

بأستهم معترفين له بفضل تسخير الأنعام لهم بقولهم «سبحان الذي سخر لنا هذا»، ثم يقرون بأنهم لولا ما منَّ به الله عليهم لما كان في مقدورهم السيطرة على الدابة لقوتها التي تفوق قوتهم. وما يقال في الدابة أو ما يركب من النعم يقال في المعدات الحديثة مثل الطائرات والسيارات. ثم يقرون بأنهم يرجعون في الآخرة إلى الله تعالى للحساب، فيكون المستفاد من القول هو أن الراكب يتعين عليه إذا عاين طول السفر يصل بعده إلى المكان الذي يقصده، أن يتذكر أنه بعد مقامه في الدنيا يصل إلى يوم الحساب والجزاء وأن يعمل له.

وَجَعَلُوا اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ
مُبِينٌ ١٥ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ١٦ وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧

أولاً: الأسماء

١ - الجزء: في قوله تعالى «وجعلوا له من عباده جزءاً» المراد به هو الولد، لأنه في الأصل جزء من أبيه.

٢ - الكظيم: في قوله تعالى «وهو كظيم» هو الحزين المكروب الذي يضطره الحزن إلى السكوت.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في مشركي العرب الذي قال تعالى إنهم يقرون أنه تعالى الذي خلق السماوات والأرض. يذكر أنهم جعلوا له تعالى بقولهم الجاهل الولد. جاء التعبير عنه بأنه «جزء» لأنه في الأصل جزء من أبيه، ثم وصف تعالى المشرك بأنه كفور مبين، بمعنى

أنه مبالغ في كفر النعمة مفصح عن هذا وأظهر ما يفصح به هو الشرك بالله .

ثم إنه لما كان مشركو العرب قالوا إن الملائكة بنات الله فإنه تعالى خاطبهم ليثبت لهم بعدهم عن المنطق في قولهم، لأن معناه أنه تعالى اختص ذاته بإنجاب البنات، وفضلهم على ذاته بأن جعلهم ينجبون البنين. فالاستفهام في قوله تعالى «أم اتخذ مما يخلق بنات» هو للإنكار والتعجب .

ثم يبين تعالى كيف أنهم نسبوا إليه تعالى ما لا يحبونه لأنفسهم وهو إنجاب البنات، فأفاد بأن أحدهم إذا ولدت له أنثى اغتم وملأه الهم فظهر الأسى على وجهه، وتملكه الغيظ حتى أسكته .

أَوْ مَن يُنْشِئُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في بيان تميز البنين على البنات في بعض النواحي الهامة مما لا يتصور معه أن يختص تعالى ذاته بالبنات وأن يهب المشركين البنين .

جاء الاستفهام في قوله تعالى للإنكار بمعنى إنكار الندية بين البنات والبنين - ولإثبات تميز البنين عليهن .

فذكر تعالى أن البنات يتشأن بلبس الحلى من الذهب ولبس الثياب من الحرير، وليس هذا شأن البنين، فيكون البنون هم الأقدر على ما يحتاج قوة وجلد، وقيل إن القول يفيد أيضا أن البنات - في المجادلة - أضعف حجة من البنين، أو أن هذا هو شأن النساء مقيسا بحال الرجال. ونرى - والله أعلم - أن ضمير الغائب «هو» في قوله تعالى «وهو في الخصام غير مبين» يعود إلى قائل القول «إن الملائكة بنات الله» فيكون المعنى أنه لا حجة له تدعم قوله هذا عند المجادلة .

وَجَعَلُوا
 الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا شَاهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ
 شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - أن المشركين زعموا بقولهم إن الملائكة - الذين خلقوا عبادا للرحمن مكرمين - إناث.

ثم يثبت تعالى كذب زعمهم بإثبات انعدام الدليل لديهم على هذا الزعم الباطل، فالاستفهام في قوله تعالى «أشهدوا خلقهم» ينكر عليهم أن يكونوا قد شهدوا خلق الملائكة فعرفوا حقيقة ما إذا كانوا ذكورا أم إناثا أم كانوا خلقا مكرمين لا يعرف حقيقتهم إلا الله تعالى.

ثم إنه تعالى يتهدهم بالعذاب جزاء على قولهم هذا، عبر عنه النص بأنه شهادتهم على الملائكة أو في شأنهم.

بذكره تعالى أن قولهم هذا سيكتب في ديوان أعمالهم، وأنهم سيسألون عنه يوم القيامة، والمعنى أنهم سيعاقبون به.

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ
 بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَيْنَهُمُ كِتَابٌ مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ
 مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ
 مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

التفسير:

يذكر تعالى أن المشركين الذين عبدوا الملائكة قائلين إنهم بنات الله ينفون مسئوليتهم عن عبادتهم بقولهم إنه لو شاء تعالى ألا يعبدوا الملائكة لكان منه صدهم عن عبادتهم. والقول فيه حق أريد به باطل، لأن كل شيء هو بأمره تعالى، ولكنه شاء لهم الشرك لما ثبت في علمه الأزلي أنهم يختارونه فجرت مشيئته على ما ثبت في علمه.

ثم يذكر تعالى أنهم في زعمهم هذا لا يستندون إلى علم حصلوه بطريق النقل أو التلقين من نبي أو أحد من أهل العلم، وأنهم يكذبون. كما يذكر أنهم لم يؤتوا من قبله تعالى كتابا جاء به هذا القول الذي يزعمون فصدقوه وتمسكوا به، جاء التعبير عن هذا باستفهام إنكارى ليثبت انعدام الدليل في كتاب على زعمهم.

ثم يبين تعالى أن المشركين - مع انعدام حجتهم - لا يجدون سوى القول بأنهم مقلدون وجدوا آباءهم على عقيدة الشرك فاقتدوا بهم وساروا على آثارهم.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٤﴾
 قُلْ أَوْ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قُلُوا بِنَا
 يَمَا أُرْسِلُ بِهِ كُفْرُونَ ﴿٢٥﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ
 عِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٦﴾

التفسير:

يخاطب تعالى رسوله ﷺ فيخبره أنه على النحو الذي جاء به قول المشركين كان الأمر مع

من أرسل تعالى من الرسل قبله، فما من رسول أرسله تعالى في قرية منذراً بأمر الله إلا كان من المنعمين فيها والمتبوعين قولهم في تبرير كفرهم وشركهم أنهم وجدوا آباءهم على عقيدة الشرك فاقندوا بما تركوا لهم في شأن عبادة آلهتهم .

ثم يذكر تعالى أن كل رسول من الرسل ممن سقوا رسول الله ﷺ كان يستكر من مشركي قومه أنهم يكفرون بما جاءهم به من الحق ويتمسكون بالضلal الذي كان عليه آباؤهم، رغم إيضاحه لهم أنه جاءهم بما هو أهدى وأرشد مما وجدوا عليه آباءهم .

جاء التعبير عن هذا المعنى بذكره تعالى أن الرسول كان يسأل قومه عما إذا كانوا ييقنون على ملة آباؤهم ولو كان ما جاءهم به أهدى مما وجدوا عليه آباءهم من العقيدة .

ثم يذكر تعالى أن المشركين كانوا يجيبون رسلهم بالتصريح لهم بأنهم يكفرون بهم، أو إن قوم كل رسول كانوا يعلنونه بكفرهم به وبجميع الرسل .

ثم يذكر تعالى أنه انتقم من هؤلاء المشركين الذين كذبوا رسلهم بعذاب الاستئصال، ويطلب من رسوله ﷺ والمؤمنين النظر في عاقبة أمر المكذبين .

وقيل إن القول هو في شأن مشركي العرب الذين كذبوا رسول الله ﷺ .

وأن ما طلب تعالى من رسوله ﷺ النظر إليه من عاقبة أمرهم هو ما أصابهم من القحط ومن القتل والأسر .

وَأَذَقْنَا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذِيقَ عَذَابِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا لَهُمْ شُرَكَاءُ مَا يَرْجُؤْنَ أَنَّ لَهُمْ بِهِمْ حَسْبًا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا لَهُمْ شُرَكَاءُ مَا يَرْجُؤْنَ أَنَّ لَهُمْ بِهِمْ حَسْبًا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا لَهُمْ شُرَكَاءُ مَا يَرْجُؤْنَ أَنَّ لَهُمْ بِهِمْ حَسْبًا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا لَهُمْ شُرَكَاءُ مَا يَرْجُؤْنَ أَنَّ لَهُمْ بِهِمْ حَسْبًا

أولاً: الأسماء :

١ - البراء : فى قوله تعالى - «إنى براء مما تعبدون» هو البرىء من الشىء، جاء التعبير بالمصدر لبيان الزيادة فى الصفة .

٢ - الكلمة : فى قوله تعالى «وجعلها كلمة باقية» هى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» .

ثانياً: التفسير :

لما كان المراد بقوله تعالى المذكور فى الآيات السابقة فى شأن المشركين عموماً، ومشركى الأمم السابقة هو التعريض بمشركى العرب .

فإنه تعالى - فى الآيات - يحدثهم عن أبيهم الذى يتشرفون بالانتساب إليه، فكأنه تعالى يقول لهم: إذا كنتم تقتدون - فى شأن العقيدة - بأبائكم، فالأولى بكم هو الاقتداء بإبراهيم عليه السلام .

فيذكر تعالى أن إبراهيم أعلن أباه وقومه أنه متبرىء مما يعبدون من آلهة، ثم أعلنهم أنه لن يعبد إلا الله وصفه بأنه الذى فطره فأوجده من العدم .

ثم أخبر عنه أنه سيهديه الحق. ويجب ألا يفهم من قوله «إلا الذى فطرنى» أنه استثنى من معبوداتهم الله تعالى فطره. لأن المعنى - على هذا النحو - يفيد المساواة بينه تعالى وبين سائر المعبودات .

وإنما معناه أنه عليه الصلاة والسلام لن يعبد إلا الله؛ ولهذا جاء قوله تعالى «وجعلها كلمة باقية فى عقبه» بمعنى أنه أبقى كلمة التوحيد فى ذريته لا يخلو زمان من قائل منهم فيه بها. وقوله تعالى «لعلهم يرجعون» .

مفاده أنه قد يكون من شأن وجود من يقول بكلمة التوحيد أن يقتدى به آخرون فيرجعون عن الشرك بالله إلى توحيده تعالى .

بَلْ مَنَّتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ
 حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ٢٩ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا
 سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ٣٠ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ
 الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمُ
 مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
 لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْطَانًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ٣٢

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى أهل مكة فى زمان رسول الله ﷺ، يشير إليهم سبحانه
 وتعالى فى القول ويخبر عنهم أنه متعهم ومتع آباءهم من قبل بما آفأ عليهم من نعم الدنيا
 إلى أن جاءهم الحق وهو القرآن العظيم والدعوة بالتوحيد وجاءهم رسول يبين بالأدلة حقيقة
 ما بعث به.

وقد يكون فى قوله تعالى أنه متع أهل مكة وآباءهم إشارة إلى كونهم المترفين الذين دأبوا
 على قول إنهم وجدوا آباءهم على أمة وإنهم على آثارهم مقتدون.
 كما يخبر تعالى عن أنه عندما جاءهم الحق فى القرآن وفى دعوة رسول الله ﷺ قالوا فى
 القرآن إنه سحر وأعلنوا كفرهم به.

كما يذكر تعالى أنهم حسدوا رسوله ﷺ على اصطفاء الله إياه وتمنوا لو كان القرآن قد أنزل
 على رجل عظيم بالمال والجاه من أهل المدينتين: مكة والطائف، فكانهم يرون أنه تعالى
 يكرم الناس بحسب ما يملكون من الأموال.

ثم إنه تعالى أنكر عليهم قولهم هذا المستحق أن يتعجب منه بقوله «أهم يقسمون رحمة ربك» فلا استفهام هو لإنكار أنهم يكون لهم رأى يعمل به في مسألة تقسيمه تعالى رحمته بين الناس ومنها اصطفاء من يشاء بالنبوة. ثم يبين تعالى أن من مظاهر اختصاصه تعالى وحده بتقسيم الحظوظ والأنصبة في كل شيء بين العباد أنه قسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا بأن وسع على بعضهم وقدر على الآخرين أرزاقهم، ولم يجعل أمر ذلك لهم، كما أنه تعالى رفع بعضهم على البعض درجات فجعل منهم الحكام والمحكومين، وجعل منهم السادة والخدم، وذلك ليستخدم بعضهم آخرين في تحقيق مصالحهم في الحياة الدنيا التي يولونها أجل اهتمامهم.

ثم يذكر تعالى أن رحمته خير من كل ما يجمعون في الدنيا من المتاع. وتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ، يبين أن الرحمة المقصودة في القول هي نعمة النبوة والاصطفاء لها.

وَلَوْلَا

أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِعَهُمْ سِقْفًا
مِّنْ فَضَةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلِيُوقِعَهُمْ أَرْجًا وَسُرْرًا
عَلَيْهَا يَتَكَوَّنُونَ ﴿٢٥﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾

أولاً: الأسماء:

١ - المعارج: في قوله تعالى «ومعارج عليها يظهرون» جمع، واحده هو «المعراج» وهو

السلم.

٢- الزخرف: في قوله تعالى «وزخرفا، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا» هو النقوش والتزويق. وقيل إنها المراد بها - في معنى القول - ما كان من الذهب.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في بيان مدى تفاهة قيمة متع الحياة الدنيا التي يتحاسد الكافرون عليها، يفهم هذا من بيانه تعالى أنه لولا كراهة أن يجتمع الناس على الكفر لرؤيتهم تمتع الكافرين بمتع الحياة الدنيا، لكان منه تعالى التوسعة في الرزق للكافرين لدرجة أن تكون لبيوتهم سقفا من فضة، وكذلك تكون درجات مدارج بيوتهم التي يصعدون عليها إلى أسطح بيوتهم من الفضة.

ولكان منه تعالى أيضا أن جعل لبيوتهم أبوابا، ووضع فيها سرا يتكون عليها وهذه وتلك من الفضة، وتكون بيوتهم مزخرفة مزدانة بجميع صور التزويق والنقوش أو ما جمل منها مما صنع من الذهب، ثم يذكر تعالى أن كل ما جرى ذكره لا يعدو كونه متاع الحياة الدنيا، القليل القيمة، القصير الأجل لكونه إلى زوال. ثم يذكر تعالى أن الآخرة معدة عنده تعالى للمتقين الذين اتقوا الشرك، فيكون المستفاد أن حقارة قيمة متع الحياة الدنيا هي بالقياس إلى متع الآخرة.

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ
شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ
الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنسُ الْقَرِينَ ۚ وَلَنْ نُنَفِّعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتَ أَنْفَكَ
فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۚ

أولاً : الأسماء :

المشـرقان : فى قوله تعالى « قال ياليت بينى وبينك بعد المشـرقين » قيل إن المراد بالمشـرقين فى معنى القول هو: المشرق والمغرب، وقيل هو: مشرق الشتاء ومشرق الصيف.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى كل من ابتعد عن القرآن العظيم، دعاه تعالى فى القول باسم « ذكر الرحمن » فهو كلامه تعالى يكون فى تلاوته وسماعه وملازمة الله ويكون فى العمل به طاعته.

ولذلك قال تعالى إن من يعيش عنه يقيض له شيطاناً يكون له قريناً فى الدنيا والآخرة.

والذى يعيش عن القرآن وعن ذكر الله هو من تعامى عنه فكان كالأعشى، يدخل فى هذا الكافر ويدخل فيه المؤمن الذى ابتعد عن القرآن. يكون من الله تعالى أن يتيح له شيطاناً يلزمه لا يفارقه يكون له قريناً.

ثم يذكر تعالى أن الشياطين التى تلازم الذين تعاموا عن ذكر الله تصدهم عن سبيل الله المستقيم الذى يدعو إليه القرآن أو يدعو إليه ذكر الرحمن، ويعتقد هؤلاء أن الشياطين مهتدون إلى الحق فيتبعونهم ويهتدون بهم ولكن إلى الضلال .

ويبين تعالى أنه فى الآخرة حين يجيء الواحد ممن عموا عن ذكر الرحمن وتعاموا إلى ربه للحساب يكون منه أنه يقول لقرينه الشيطان « ياليت بينى وبينك بعد المشـرقين فبئس القرين » يلعنه - بعدما تبين له أنه أضله وأرداه - أنه يتمنى لو كان قد بعد ما بينهما من المكان فبلغ بعد مشـرق الشتاء عن مشـرق الصيف، وما عرف أحدهما الآخر ولا رافقه، ثم يكون منه ذمه بإعلانه أن بئس القرين هو .

ثم يبين تعالى أن هذا الندم من الذى عشى عن ذكر الرحمن فى الدنيا لا ينفعه، كما أنه لا

ينفع قرينه تمنيهما المباعدة في الدنيا التي ظلما فيها بالتعامى عن ذكر الرحمن وبالعمل بالمعاصي، وأنه يقال لهما إنهما بسبب ظلمهما في الحياة الدنيا يشتركان في عذاب الآخرة، وأن جميع من مثلوهم من الإنس والشیاطین فی العذاب مشتركون .

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾
أَوْزَيْنَاكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقَدِّرُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَسْتَمْسِكَ
بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّا كُنَّا صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّا لَذِكْرٌ لَّكَ
وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾

التفسير:

لما بين تعالى أن المشركين والكافرين تعاموا عن القرآن العظيم بفعلهم، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ منكرًا عليه ﷺ أن يعتقد أن في مقدوره هدايتهم إلى الحق في تعجيب من أن يعتقد هذا.

جاء هذا بوصفه الذين عشا عن ذكر الرحمن بأنهم صم عمى، سادرون في الضلال الواضح، ثم بين له ﷺ أنه ليس في مقدوره هدايتهم إلى الحق، جاء هذا في صيغة استفهام أريد به إنكار الاعتقاد والتعجيب منه .

ثم يخبر تعالى رسوله بوجوب انتقامه تعالى من هؤلاء الذين كفروا بالقرآن العظيم من قومه ﷺ، فيعلمه أنه إذا قبضه تعالى إليه قبل انتقامه تعالى منهم، فإن انتقامه تعالى يقع بهم بعد موته ﷺ.

وأنه إذا ما أحياء إلى أن يشهد عذابهم فى الدنيا الذى وعده رسول الله ﷺ وتوعد به المكذبين فإن ذلك يكون بحكم قدرته تعالى عليهم وعدم استطاعتهم الفرار مما توعدوا به.

ثم إنه تعالى - ترتيباً على ما سبق بيانه - يأمر رسوله ﷺ بالتمسك بآيات القرآن العظيم والعمل بها، ويعلمه أنه على طريق الله المستقيم وهو دين الإسلام.

ويخبره أن القرآن العظيم الذى أمره بالتمسك به هو شرف عظيم له ﷺ ولقومه الذين أنزل القرآن بلغتهم، كما أنه تذكرة له ولهم وموعظة.

ولهذا قال تعالى إنه ﷺ وقومه سيُسألون يوم القيامة عن عملهم بالقرآن وعلى خدمته والقيام بحقوقه.

وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان انعدام سبب الإعراض عن القرآن العظيم من جانب المشركين وقد أمر بتوحيد الله وهو ما جاء به جميع الرسل قبله ﷺ.

يبين هذا من طلبه تعالى من رسوله ﷺ أن يسأل الرسل الذين بعثهم الله قبله - يكون ذلك بالنظر فى الكتب التى أنزلت عليهم، وفى دعواتهم - عما إذا كان تعالى قد أوصى بعبادة آلهة أخرى.

والمراد بالقول هو تقرير واقع أنه تعالى لم يأمر على أئمة رسله، وفيما أنزل إليهم بغير توحيدته تعالى وعبادته، وبيان أن ما دعا إليه رسول الله ﷺ ليس بدعا منه.



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ
 بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا
 جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا
 هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا
 يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الدَّاحِ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا
 كُفِّتْ عَنْهُمْ الْعَذَابُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - شروع في ذكر قصص الرسل الذين دعوا إلى توحيد الله وعبادته
 قبله ﷺ. فذكر تعالى - في شأن قصة موسى عليه السلام - أنه تعالى أرسله منصوراً بآياته
 ومعجزاته تعالى الدالة على نبوته وصدقه إلى فرعون وأشراف قومه، أعلنهم عليه السلام أنه
 رسول من رب العالمين، والمستفاد من كونه عليه السلام مرسلًا من رب العالمين هو أن رب
 العالمين واحد، فتكون دعوته عليه السلام هي إلى التوحيد وخص الله وحده بالعبادة.

ثم يذكر تعالى أنه حين جاء موسى عليه السلام فرعون وملاه بآياته تعالى ومعجزاته الدالة
 على صدقه عليه السلام فاجأهم الضحك، والمعنى أنهم استخفوا بها واستهزؤا فكان منهم
 الضحك منها.

كما يذكر تعالى ويبين أنه لم يكن لهم الاستهزاء بهذه الآيات، لأن كلا منها - منظوراً إليها
 في حد ذاتها - كانت تبدو كأنها أعظم من باقى الآيات في التدليل على صدقه عليه السلام
 وعلى نبوته، دون أن يعنى هذا وجود المفاضلة بين الآيات بعضها والبعض.

ثم بين تعالى أنه أخذ فرعون وملأه بالعذاب قصد الرجوع عن ضلالهم والإيمان لموسى عليه السلام، والمراد بهذا هو إصابتهم بأنواع البلاء المعروفة من أخذهم بالسنين، وتسليط الجراد والقمل والضفادع عليهم، وغير ذلك.

ثم يذكر تعالى ما كان من فرعون وملئه حين ضربهم الله باللعنات المذكورة وهو التجاؤم إلى موسى والنداء عليه بما فيه تعظيم له بأنه الساحر. أو بما فيه تحقير له وتدليل على عدم تصديقهم له فيما قال به من أنه رسول من ربه رب العالمين، سائلين إياه أن يدعولهم ربه بما عاهده عليه من أن يستجيب لدعائه، بأن يرفع عنهم ما ابتلاهم به من صنوف البلاء، واعدن إياه بأنهم إذا ما استجاب الله لدعائه ورفع عنهم البلاء فإنهم يؤمنون له فيكونوا قد اهتموا لما دعاهم إليه من توحيد الله.

ويذكر تعالى ما يفيد أنه استجاب لدعوة موسى عليه السلام أن يرفع تعالى عنهم ما أنزل بهم من العذاب المذكور في الدنيا «فلما كشفنا عنهم العذاب» ويصرح بأنهم نكثوا وعدهم، بمعنى أنهم لم يؤمنوا لموسى عليه السلام، وأنهم بقوا على عقيدتهم الضالة.

وَنَادَىٰ فرعونُ فِي قَوْمِهِ
 قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا
 تَبْصُرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثْلِي وَلَا يُكَادِيْنِي ﴿٥٢﴾
 فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٥٣﴾
 فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا أَسْفُونَا
 انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فجعلناهم سلفًا ومَثَلًا
 لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في ذكر باقي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، يذكر تعالى أن فرعون نادى في قومه جميعهم أو في أشرافهم وقادتهم لينقلوا قوله إلى أتباعهم، أكد لهم تميزه على موسى وجدارته أن يطاع من دونه فيما يدعو إليه بذكره لهم أنه الذي له ملك مصر جميعها والذي تجرى من تحته الأنهار في أرضها بأمره جاء تعبيره عن هذا باستفهام منفى أريد به تقرير ما أراد إثباته من استحقاقه أن يطاع وأفضليته على موسى عليه السلام، واختتم قوله معهم بحثهم على الإقرار له بما زعم بقوله لهم «أفلا تبصرون» والمعنى أن هذا الذي يقول به مدرك مشاهد لكل من له بصر.

كما يذكر تعالى أنه في مجال المقارنة بينه وبين موسى عليه السلام وطلبه الإقرار بأفضليته عليه وصف موسى عليه السلام بأنه مهين، بمعنى أنه ضعيف حقير لا يملك المال الوفير مثله، وأنه إذا تكلم لا يفصح عما يريد قوله لعيب في لسانه. ثم طلب من القوم الإقرار بأنه خير من موسى عليه السلام وأفضل، ثم أعقب هذا بقوله في موسى عليه السلام «فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين» والمعنى أنه أراد أن يدلل لقومه على كذب موسى فيما ذكره من أنه رسول من رب العالمين ببيان أنه افتقد دليل ذلك وهو أن تلقى عليه أسورة من الذهب - وهو ما كان يتحلى به أغنياء القوم - تلقى عليه من ربه فتكون دليلاً على إكرام الله إياه، أو أن تأتي الملائكة معه تلازمه وتشهد بصدقه.

ثم يبين تعالى أن فرعون تمكن من عقول قومه التي استخف بها بأقواله الباطلة فكان منهم إطاعته فيما أمرهم به من بعد اقتناعهم بأفضليته على موسى وأحقية عليه بواجب الطاعة، والذي أمرهم به فرعون فطاعوه فيه هو الخروج وراء موسى وقومه لإبادتهم أو لأعادتهم لخدمتهم. وهو ما أسخط الله عليهم فكان منه تعالى أن انتقم منهم بإغراقهم أجمعين، والمراد بالمغرقين هم فرعون وأفراد قواته الذين خرجوا معه وراء موسى وقومه. ثم يذكر تعالى أنه جعلهم سلفاً للآخرين، بمعنى أنه تعالى جعلهم قدوة في الكفر والعناد لمن يأتي بعدهم من الكافرين، كما جعلهم سلفاً إلى النار ومثلاً يعتبر به ويتعظ لمن يأتي بعدهم.

وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْثَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾
 وَقَالُوا أَلَهِنَا حَيْرَانًا هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدْلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيثُونَ ﴿٥٨﴾
 إِنَّ هُوَ إِلَّا عِبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾
 وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ فَلَاحًا فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ ﴿٦٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان مجادلة المشركين بالباطل ليدحضوا به الحق .
 خاطب تعالى رسوله ﷺ فى شأن واقعة حدثت، وهى أنه لما نزل قوله تعالى «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» طلب عبد الله بن الزبيرى مناظرة رسول الله ﷺ، فلما سأله قومه عما يقوله فى المناظرة قال إنه سيقول له إن اليهود أو بعضهم يعبدون عزيزا، وإن النصرارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فهل يكون عزيزا والمسيح من حصب جهنم فكان من المشركين حين سمعوا منه هذا أن ضجوا بالفرح مثل ضجيج الإبل . فهذا هو معنى قوله تعالى «ولمّا ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون» فيكون المعنى أنه حين سمع قومك من عبد الله بن الزبيرى قوله فى شأن ما يقوله عن المسيح عليه السلام، فرحوا وتهللوا وأحدثوا جلبة تشبه ما تحدثه الإبل لدى تحركها .

كما يذكر تعالى أن المشركين قالوا له ﷺ - بناء على ما سمعوا من عبد الله بن الزبيرى -
 إنه إذا كان عزيزا والمسيح من أهل النار فإننا نرضى أن تكون آلهتنا معهم . والمعلوم أنه تعالى أنزل فى الرد عليهم قوله تعالى «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون»، ثم يخبر تعالى رسوله ﷺ أن المشركين لم يقولوا له هذا القول إلا من قبيل الجدال الذى لا يكون منه غير المجادلة والخصام دون أن يسفر عن وجه الحق؛ ولهذا يصفهم تعالى بأنهم قوم خصمون، بمعنى أنهم يقصدون المخاصمة لذاتها دون ابتغاء وجه الحق .

ثم يقرر تعالى في شأن المسيح عيسى ابن مريم حقيقة أمره، وهي أنه عليه السلام ليس سوى عبد من عبيده تعالى وعباده، أنعم عليه تعالى بالنبوة، وجعل أمره عجيباً لبنى إسرائيل الذين بعث عليه السلام فيهم، وذلك بولادته من غير أب، ويدعمه بالمعجزات التي منها إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ليكون منهم الإيمان له .

ثم يخاطب تعالى المشركين الذين عبدوا الملائكة ميثاقاً لهم عدم استحقاق الملائكة أن تعبد كما أثبت عدم استحقاق المسيح عليه السلام أن يُعبد بعد أن بين تعالى أنه عبد من عبيده، فقال لهم إنه لو شاء تعالى لجعل بدلاً منهم ملائكة يخلفونهم على عمارة الأرض أو لحول بعض الناس إلى ملائكة تخيا على الأرض، فيكون المراد بيانه هو أنه ليس في إسكان الملائكة السماء من الشرف ما يجعلهم جديرين بالعبادة لأنه تعالى لو شاء لأسكنهم الأرض. فيكون القول إثباتاً لاستحقاقه تعالى وحده العبادة من دون غيره من المعبودات، يدخل في هذا الأنبياء والملائكة .

وَأَنذَرُ لَعْنَهُ
لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ فِيهَا وَابْتَغُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ١١ وَلَا يَصْطَنِقُكُمُ
الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ١٢

التفسير:

يخاطب تعالى الناس في الآيتين أو يخاطب المشركين فيذكر لهم أن عيسى ابن مريم عليه السلام هو علم للساعة، ويتصور في معنى القول أنه دليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس للحساب بعد الموت فيكون دليلاً على صحة ما أخبر به تعالى عن يوم القيامة، وذلك لما كان من معجزة في أمر خلقه بغير أب وما أجرى تعالى على يديه من المعجزات التي منها إحياء الموتى.

ويتصور فيه أن يكون المراد هو بيان أن نزوله في آخر الزمان حكما عدلا يدعوا للإسلام
ويكسر الصليب هو من علامات يوم القيامة .

ثم يتبع تعالى هذا بنهيه المشركين عن الشك في وقوع الساعة وقيام القيامة وأمره بإيهاهم
باتباعه واتباع شريعته ورسوله ﷺ، ثم يشير تعالى إلى ما أمرهم به ويخبر عنه بأنه صراط
مستقيم بمعنى أنه طريق يوصل إلى رضا الله تعالى وجنته .

ثم ينهاهم جل شأنه عن الاستجابة للشيطان يصددهم عن اتباعه تعالى وطاعته فيما
أمرهم به، ويحذرهم منه بإخبارهم عنه أنه عدو لهم ظاهرة عداوته ، بما يعنى وجوب
الاحتراز منه.

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ
قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٣ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ ١٤ فَاخْتَلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ١٥ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً
لَا يَشْعُرُونَ ١٦

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في ذكر باقي قصة عيسى ابن مريم عليه السلام مع قومه بنى
إسرائيل .

يذكر تعالى أنه لما جاءهم بالأدلة التي تثبت أنه المسيح المنتبأ به وأنه رسول من رب العالمين كان منه أن أخبر قومه أنه قد جاءهم بالحكمة والمراد بها هو الإنجيل المنزل إليه من ربه، وأنه جاءهم ليبين لهم بعض الذي يختلفون فيه من أحكام شريعة موسى عليه السلام.

ثم أمرهم باتقاء غضب الله، وهو ما يكون باتباعهم قوله وطاعته فيما يبين لهم، لأنه إنما جاء ليصحح العقيدة ويبين صحيح الأحكام.

ويذكر تعالى أنه عليه السلام أعلنهم برسالة التوحيد وطلب منهم عبادة الله وحده «إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه» وأبلغهم أن توحده تعالى هو طريق الله المستقيم المؤدى إلى الفلاح.

ثم يبين تعالى أن القوم اختلفوا من بينهم فصاروا أحزاباً، منهم من آمن للمسيح عليه السلام ومنهم من كفر به وقال فيه غير الحق، فكانت النصارى وكان اليهود.

ثم اختلف كل فريق من الفريقين فصار أحزاباً - على ما سبق بيانه في ذكر طوائف اليهود والنصارى. اختلفوا في شأن العقيدة واختلفوا في شأن الشريعة.

ثم إنه تعالى توعّد الظالمين الذى ابتعدوا عن الحق بعلمهم والذين لم يقيولوا فى المسيح عليه السلام إنه عبد الله ورسوله توعدهم تعالى بالعذاب الأليم يكون يوم القيامة.

ثم تحول تعالى بالحديث ليكون فى شأن كفار مكة، أظهره أن مسألتهم فى تأخر إيمانهم بشير العجب حتى لكأنهم ينتظرون أن تفجأهم الساعة ليؤمنوا حين لا يتفعمهم الإيمان.

وأظهر تعالى أن الساعة تفجأهم بذكره أنها تأتيهم بغتة دون التحسب لها والشعور بها من مقدماتها.



الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾
 يُعْبَادُ لَاخَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾
 يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحُفٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَآثِرُ شِهَادٍ ۖ وَالْأَنْفُسُ
 وَنَلَذُ الْأَعْيُنِ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

أولاً : الأسماء :

الصحاف : فى قوله تعالى «يطاف عليهم بصحاف من ذهب» جمع، مفردة «الصحفة»
وهى الآنية من أواني الأكل .

ثانياً : التفسير :

يذكر تعالى ما يكون من الناس يوم القيامة وما يكون معهم . فيخبر تعالى أن المحبة
والصدقة بين الأحياء والأصدقاء تنقطع ، وأن الكافرين يكون بعضهم لبعض عدواً ، وأن
المتقين يكون حالهم خلاف هذا إذ تبقى بينهم المودة والحب فى الله .

كما يخبر تعالى عما يكون معهم إذ ينادى عليهم مع إعلامهم بأنه لا خوف عليهم مما
يعذب به الكافرون ، وأنهم لا يصيبهم حزن ولا غم .

ثم يخبر تعالى عن هؤلاء المبشرين بعدم الخوف وعدم الحزن أو يصفهم بأنهم الذين
آمنوا بآياته تعالى المنزلة وكانوا مسلمين .

فيكون المراد بهم الذين آمنوا بكتب الله المنزل قبل بعثته ﷺ، والذين آمنوا الرسول الله ﷺ بعد أن بعثه تعالى رسولا نبيا فكانوا مسلمين .

كما يخبر تعالى عن أنه يقال لهم يوم القيامة ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون، والمعنى أنه يحدث ما قيل لهم وهو دخولهم الجنة ونسائهم المؤمنات، يسرون فيها ويسعدون كما يصف تعالى أحوالهم في الجنة، فيذكر أنه يطاف عليهم - من الأولاد المخلدين - بأواني أكل وأكواب للشرب من الذهب، وأنه يكون لهم في الجنة ما تشتهي نفوسهم من أنواع الملذات، كما يكون لهم فيها ما تنعم الأعين بمشاهدته، والمعنى أنه يكون لهم فيها اللذات المادية والمعنوية، وأنهم يتمتعون أبدانا وأرواحا. كما يذكر تعالى أنهم يخلدون في الجنة لا يخرجون منها ولا يموتون .

ثم يخاطب تعالى أهل الجنة الذين آمنوا بآياته وكانوا مسلمين مشيرًا إلى الجنة قائلا إنها ما أوردتهم سبحانه وتعالى بإيمانهم وإسلامهم وبأعمالهم الصالحة التي قبلت منهم. ثم يخبرهم أنه يكون لهم فيها فاكهة كثيرة وأنهم منها يأكلون، تدليلا على أنهم إنما يأكلون فيها للتلذذ بطعم الأكل وليس لحاجة أجسامهم إليه، وبيانا لعدم نفاد ثمار أشجار الجنة وعدم نقصها .

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ

فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَرِّغُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - انتقال بالحديث إلى الكافرين، وصفهم تعالى بأنهم المجرمون لإجرامهم في حق تعالى بالشرك وإجرامهم في حق الناس بظلمهم، وإجرامهم

فى حق أنفسهم بتعرضها للعذاب، يخبر تعالى عنهم بأنهم يخلدون فى عذاب جهنم، ثم يصف هذا العذاب بدوام الشدة بذكره أنه لا يخفف عنهم، ويقول فى حالهم فيه إنهم يكونون مبلسين أى إنهم يكونون فى حزن مقيم نتيجة بأسهم من الخلاص من العذاب .

ثم يبين تعالى أن سوء مصير الكافرين إنما مرجعه إليهم بتقريره تعالى أنه لم يظلمهم بتعذيبهم على هذا النحو، وأنهم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وعدم الإيمان بآياته ورسوله.

وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ
عَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْرُؤُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ
لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - لا يزال فى الإخبار عن الكافرين وأحوالهم فى نار جهنم، يذكر تعالى أنهم ينادون مالكا خازن النار باسمه يسألونه أن يدعو ربه أن يقضى عليهم بإفنائهم بالموت، يكون لهم به خلاص من عذاب جهنم. كما يخبر تعالى عما يكون من مالك وهو إجابتهم بأن الله تعالى قضى فيهم أمره بقوله تعالى إنهم يمكرون فى النار والمعنى أنهم يخلدون فيها أحياء لا يموتون .

كما يذكر تعالى أنه يقال للكافرين وهم فى النار توبيخا وتقريرا - من الملائكة إنه تعالى قد جاءهم بالحق. نزلت به كتبه وأبلغتهم به رسله عليهم السلام، ثم كان منهم أو من أكثرهم مخالفة الحق إلى الباطل واتبعهم الباقون فيكون القول ببياننا لأنهم استحقوا ما هم فيه من العذاب بكفرهم وبسوء أعمالهم .

أَمْ أَمْرُؤُا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا
لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في مشركى مكة الذين تأمروا على رسول الله ﷺ وكادوا له .

جاء الاستفهام فى قوله تعالى «أم أبرموا أمرا» لإثبات أنهم أبرموا أمرا بالفعل وهو التأمر على رسول الله ﷺ قصد إيدائه والنيل منه، أو أنهم تأمروا على دين الله الذى دعا إليه رسول الله ﷺ .

ثم أثبت تعالى أنه أبرم أن يكيد لهم فى مقابل كيدهم، أى أنه تعالى شاء ذلك فكانت مشيئته أمرا نافذا وهى الانتقام منهم .

ثم إنه تعالى بين أنهم أبرموا كيدهم فى السر مععتقدين أنه تعالى لا يعرف ما دار بينهم مما أخفوه عن الناس .

فجاء الاستفهام فى قوله تعالى «أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم» إثباتا لحصول التأمر منهم على رسول الله ﷺ فى السر، واعتقادهم أن أمره يخفى على الله، وإنكارا لاعتقادهم .

ثم إنه تعالى أكد علمه بكل ما يدور بينهم فى السروما يتناجون به بينهم بقوله تعالى «بلى ورسلنا لديهم يكتبون» .

فيه يثبت تعالى أنه يسمع سرهم ونجواهم ويطلع على أعمالهم كما يثبت أن رسله تعالى من الملائكة يلازمونهم حافظين عليهم أعمالهم، يكتبونها ليحاسبوا بها ويجازوا عليها



قُلْ إِنْ كَانَ

لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ أَوْ يَلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا
يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾

التفسير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ فأمره أن يقول للمشركين الذين عبدوا الملائكة قائلين إنهم بنات الله، إنه إذا كان لله تعالى - وصفه بأنه الرحمن - ولد فإنه عليه الصلاة والسلام يكون أول من يتقدم إلى ولدته بالعبادة. فالقول - بهذا المعنى - يفيد أنه تعالى لا يجوز عليه تصور أن يكون له ولد، وأنه لما كان عليه الصلاة والسلام لا يعبد إلا الله فإنه يكون المستفاد عقلا هو بطلان عقيدة المشركين أن الملائكة بنات الله، بدلالة أنه ﷺ لا يعبدها. ثم إنه تعالى نزه ذاته عما وصفه به المشركون من أنه له ولد. وأتبع هذا بأمره تعالى رسوله ﷺ أن يتركهم على حالهم وألا يلتفت إليهم ولابتعادهم عن الحق، يكون منهم الخوض كما يشاؤون في أحاديث الإفاك والباطل لاهين عن الحق إلى أن يلاقوا حسابهم في الآخرة وما توعدوا به من العذاب فيكون القول تهديدا للمبطلين بتعذيبهم بقولهم في الله غير الحق.

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ رُجْعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو إثبات وحدانيته تعالى وأنه وحده الواجبة عبادته، بدأ بيان هذا بإثباته تعالى أنه الذي في السماء إله وفي الأرض إله، والمعنى أنه تعالى وحده هو المعبود في السماء، تعبده الملائكة وتسبح بحمده فيكون هذا إقراراً منها بالوحيته تعالى، واختصاصه وحده بأن يُعبد، فيكون إقرارها - وهو حق - موجهاً على القائلين بأنهم بنات الله والعابدين إياهم أن يتوقفوا عن هذا الإفك وأن يقرؤا بوحْدانيته تعالى وأن يخصّوه وحده بالعبادة، فيكون منهم الإقرار بواقع أنه تعالى وحده هو الإله في الأرض، فيكون إقرارهم هو الموافق للحق.

وفي القول يصف تعالى ذاته بأنه هو الحكيم العليم، لبيان أن أي معبود من دونه هو دونه تعالى في الحكمة والعلم، مما مفاده نفى الألوهية عنه وعدم استحقاقه أن يعبد من دونه تعالى. وبعد هذا يقول تعالى في ذاته إنه تبارك وتزايد وتعظم الخير منه في جميع ملكه، ويذكر أن له ملك السماوات والأرض وما بينهما خالصاً، لا يشاركه فيه أحد. وأن عنده وحده علم الساعة، أي متى تكون القيامة، كما يذكر أنه إليه يرجع الخلق للحساب وللثواب وللعقاب.

ثم إنه لما كان من المشركين من قال إنه إنما يعبد الأصنام لتقريبه إلى الله زلفى، فإنه تعالى أثبت أن ما يعبدون من دون الله لا يملكون الحق في الشفاعة، ثم استثنى تعالى من معبودات المشركين من يشهد بالحق وهو وحدانية الله، والمراد هم الملائكة وعزير والمسيح عليهم السلام، جاء قوله تعالى مفيداً أنه تعالى قد يأذن لمن يشاء منهم أن يشفع في المؤمنين وقد يقبل شفاعتهم.

ثم بين تعالى أنهم يشهدون بما يعلمون صحته وهو أنه تعالى الله الواحد في السماوات والأرض وما بينهما وأنه وحده الجدير أن يعبد، لا يعبد معه ولا من دونه أحد ولا شيء.



وَلَيْنَ

سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ
هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْغَحْنَاهُمْ وَقُلْ سَلَّمُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

التفسير:

يخاطب تعالى رسوله ﷺ في أمر المشركين مخبرا أنهم يقرون في أنفسهم أن الذي خلقهم هو الله، وأنهم يفعلون ما يناقض هذا إذ يعبدون غيره. يدل على هذا قوله لرسوله ﷺ أنه إذا سألهم عن خلقهم، فإنهم يجيبون بأن الذي خلقهم هو الله. وتعقبا على تناقض فعلهم مع ما يقرون به جاء قوله تعالى «فأنى يؤفكون» بيانا لأن كفرهم وإشراكهم بالله بعدم حجة مدعمة فيظهر كذبه.

ثم يشير تعالى إلى قول المسيح عليه السلام في قومه الذين أنكروه والذين ألوهه، وهو أنهم قوم لا يؤمنون بالحق وهو أنه ما من إله غير الله، وأنه عليه السلام رسول من الله.

ويتصور أن يكون القول المشار إليه هو قول رسول الله ﷺ في قومه المشركين، يصفهم بأنهم قوم لا يؤمنون بالحق الذي جاءهم به وأنذرهم وهو القرآن العظيم.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يصفح عن مشركى قومه وأن يعرض عنهم. وفيه قيل إن حكم الأمر قد نسخ بأية السيف، أو بقوله تعالى «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» وقيل إنها لم تنسخ، كما يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم «سلام» والمعنى هو أن يودعهم وليس أن يسلم عليهم.

ثم إنه تعالى يتوعد المشركين بالعذاب إذا ما بقوا على كفرهم وشركهم على ما يبين من قوله تعالى «فسوف يعلمون»، والمعنى أنهم سيعلمون حين ينزل بهم عذاب الله في الآخرة أنهم كانوا ضالين خاطئين.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمْ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ٣ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ٤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٥ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا
مُرْسِلِينَ ٦ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ٧ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٨

التفسير:

افتتحت السورة بأسماء الحروف «حَمْ» - وقد سبق بيانها - ثم أقسم تعالى بالقرآن العظيم، وصفه بأنه الكتاب المبين، ويتصور أن تكون «حَمْ» جواب القسم، ويتصور أن يكون جواب القسم «إنا كنا منذرين» أو أن يكون هو «إنا أنزلناه».

وفى القول يثبت تعالى أنه أنزل القرآن العظيم فى ليلة مباركة كثيرة الخير وهى ليلة القدر - وقيل هى ليلة النصف من شعبان - والمعلوم أنه تعالى أثبت أنها ليلة القدر بقوله «إنا أنزلناه فى ليلة القدر» والمعنى أنه تعالى أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا فى هذه الليلة لينزل بعد ذلك منجما على مقتضى الأحوال والأسباب. كما يبين تعالى أن مقتضى إنزال القرآن هو الإنذار به.

وفى القول بين تعالى علة وصف ليلة القدر بأنها مباركة فبين أن فيها يفرق كل أمر حكيم،

بمعنى أنه يقضى فيها بما يكون متعلقا بجميع المخلوقات من أمور- ومنهم الناس- إلى ذات الليلة من العام القادم، ويكون تكليف الملائكة وتوزيع التكليف عليهم- ومنها ما يكون منهم مع الناس- إلى مثل الليلة من العام المقبل، فيكون قضاؤه ويكون توزيعه التكليف على الملائكة بموجب حكمته؛ ولهذا بين تعالى حال قضائه في العباد في تلك الليلة وهو أنه أمر من عنده تعالى فيين أنه لا بد أن يكون أمرا حكيما .

ثم أتبع ذلك سبحانه وتعالى بمخاطبته رسوله ﷺ معلما أن شأنه تعالى هو إرساله رحمة من لدنه، واصفا ذاته بأنه رب رسوله ﷺ، ويتصور أن تكون الرحمة المرسلة منه هي القرآن العظيم كما يتصور أن تكون رسول الله ﷺ، إذ أن كلا من إرسال القرآن وإرسال رسول الله ﷺ هو من أبواب رحمته تعالى بالمرئيين .

وقوله تعالى «إنه هو السميع العليم» يفيد معنى إحاطته تعالى بجميع أمور العباد فهو تعالى يسمع أقوالهم ويعلم أحوالهم، يكون قضاؤه فيهم بحكم ما علم وبمقتضى حكمته .

رَبِّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُمْ مُوقِنِينَ ٧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي
وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٨

التفسير:

وصف تعالى ذاته المذكورة في قوله «رحمة من ربك» بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، بمعنى أنه موجودهن وما بينهما وما هيتهن، والمتولى حفظهن وما فيهن وما بينهما. وقوله تعالى «إن كُنتُمْ مُوقِنِينَ» معناه إن هذا المخبر به عن صفاته تعالى هو ما يعترض إدراكه من جانب المخاطبين بالقول- وهم جميع المكلفين، أو هم أهل مكة- فكانه

تعالى يقول لهم «إن كنتم ممن لديهم الاستعداد للاقتناع بالحق إذا قام لديهم الدليل عليه، فإنكم ستيقنون أن هذه الصفات من صفاته تعالى».

ثم أتبع تعالى قوله هذا بتقرير وخداميته تعالى «لا إله إلا هو» وأنه الذي يحيى الأرض بعد موتها ويحيى الخلق بعد الموت بالبعث في الآخرة، والذي يميت الأحياء. ثم أخبر عن ذاته بأنه رب المخاطبين بالقول ورب آبائهم الأولين، يتولى أمرهم كما كان منه تولى أمور آبائهم فحق عليهم ما حق على آبائهم من توحيد وعبادة.

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾
فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

التفسير:

بعد أن خاطب تعالى الناس أو أهل مكة فأعلمهم أنهم إن كانوا ممن يقبلون الحجة والدليل والذين يوقنون بصحة ما قام الدليل عليه فإنهم يوحّدونه لا يشركون به شيئاً، خاطب رسوله ﷺ في شأنهم فقال إنهم في شك يلعبون، بين أن الشك استولى عليهم فهم لا يبحثون عن الحق وأنهم - في أمر العقيدة والدين - يلهون ويلعبون، فنفى عنهم أن يكونوا ممن يدرس الأدلة والحجج بجذبة وأن يكونوا من الموقنين؛ ولهذا فإنه تعالى قوّعدهم بعذاب، أمر رسوله ﷺ أن يتظره مترقبا، وهو أن تأتى السماء يوما بدخان مبين. وفيه قيل إنه من علامات الساعة، تأتى به السماء فيمكث في الأرض أربعين يوما يصيب المؤمن بما يشبه الزكّام ويدخل في أنوف الكافرين والفجرة فينقب مسامعهم، وقيل هو القحط وجذب الأرض الذي أصاب قريشا فكان الرجل يرى كأن بين السماء والأرض دخانا، وقيل هو الغبرة التي ثارت من أثر ستايك الخيل يوم فتح مكة. ونرى - والله أعلم - أنه لما كان الكفار متواصلين فإن القول يفيد

أنه تعالى يفعل ذلك بالكافرين في قادم الأيام كما كان منه تعالى سنة ١٩٠٨ حين أسقط نيزك «تنجوسكا» في روسيا، انفجر على ارتفاع ما بين ألف إلى خمسة آلاف متر فوق سطح الأرض منفجراً بقوة تعادل قبلة ذرية أو ثلاثة ملايين طن من مادة ت. ت. ن. ت لدى ظهور الشيوعية في روسيا وإنكار وجود الله واعتناق المبدأ المادي. وما كان بانفجار المفاعل الذري في تشرونبييل.

وقد يكون فيه توعده بانفجار ثورات البراكين تملأ ما بين السماء والأرض يدخان بين ظاهره أو بسقوط طائرات تحمل قنابل ذرية يكون فيما تثير من سحبات ذرية عذاب للكافرين. ثم يصف تعالى هذا الدخان بأنه يغشى الناس فيقول لهم تعالى شأنه «هذا عذاب أليم» لأن من لا يموت منهم يحيا في عذاب أليم من أثر ما يخلفه فيه.

ثم يذكر تعالى أن الكافرين يسألون الله حين يقع بهم عذاب الدخان أن يرفع عنهم هذا العذاب واعدن أن يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ.

أَلَيْسَ لَهُمُ الذِّكْرَى

وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعِمْ بَجْونٌ ۝ ١٤

إِنَّا كَاشَفُوْا الْعَذَابَ قَلِيلاً ۞ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ ١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ

الْكُبْرَى ۞ إِنَّا مُتَقِمُونَ ۝ ١٦

الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى :

الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى : قيل إن المراد بها - في معنى القول - هو ما أصاب كفار مكة يوم بدر.

قيل هو عذاب جهنم يوم القيامة.

ثانياً : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى أن الكافرين يعدون بالإيمان والإسلام إذا ما رفع تعالى عنهم عذاب الدخان، فإنه تعالى ينفي صدقهم في الوعد «أنى لهم الذكرى» فلا استفهام أريد به إثبات أنهم لا يتذكرون وعدهم ولا يفون به، ويثبت تعالى هذا بيانه خالهم إذ جاءهم رسول ظاهر أمره أنه حق بما بعث به من القرآن العظيم، فكان منهم أنهم أعرضوا عما دعاهم إليه وقالوا فيه غير الحق، إذ قالوا فيه مرة إنه علمه شخص ما ما صاغه قرآننا، وقالوا فيه أخرى إنه مجنون. وهذا قد كان من كفار قريش، ولا يزال يردده الكافرون إلى يومنا هذا تبريراً لإصرارهم على الكفر بما بعث به رسول الله ﷺ، مما يفيد تعلق القول بالحاضر والمستقبل تعلقه بالماضي.

وقوله تعالى «إنا كاشفوا العذاب قليلاً، إنكم عائدون» هو إظهار لكذب الكافرين، وأنهم لا يفون بعهدهم، إذ يخبر تعالى أنه سيكشف عنهم العذاب بالدخان شيئاً قليلاً أو زماناً قصيراً، وأنهم سيعودون إلى كفرهم وضلالهم وقولهم في رسوله ﷺ غير الحق؛ ولهذا فإنه تعالى يتوعدهم بأن يبطش بهم البطشة الكبرى تكون يوم القيامة إذ يذيقهم عذاب جهنم، فينتقم تعالى منهم. وقيل إن البطشة الكبرى هي يوم بدر والذي نراه - والله أعلم - أن هذا غير صحيح، لأن البطشة الكبرى تكون من بعد العذاب الأول، فإن كان العذاب الأول هو يوم بدر فقد لزم أن تكون البطشة الكبرى بعده.

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧ أَنِ ادُّوْا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨
وَأَن لَّا تَتَّبِعُوا آلَاءَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ بَشِيرٌ ۝١٩ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي
وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠ وَإِن لَّمْ تُوْثِقُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ۝٢١

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الكافرين لا يوقنون لأنهم فقدوا الاستعداد للاقتناع بالدليل، يدخل فيهم كفار مكة الذين أصروا على الكفر ويدخل فيهم الكفار عموماً الذين بلغتهم دعوة رسول الله ﷺ وهبى لهم معرفة ما جاء به القرآن العظيم، فإنه تعالى بين في الآيات أنه اختبر قوم فرعون من قبل، يتصور أن يكون الاختبار بما وسع تعالى عليهم في الرزق لينظر أيكون منهم الكفر أم يكون منهم الشكر، ويتصور أن يكون الاختبار بإرساله موسى عليه السلام إليهم يدعوهم إلى الله لينظر أيكون منهم دراسة البراهين والأدلة والتيقن من صحة ما دعاهم إليه، أم يكون منهم اللعب في أمر الدين والإصرار على الكفر.

وفي القول ذكر تعالى أنه أرسل إليهم رسولا كريماً، وصفه تعالى بهذا لبيان أنه مرسل من لديه تعالى وأنه مكرم عنده تعالى معظم.

ثم يذكر تعالى ما كان من موسى عليه السلام مع قوم فرعون فيخبر أنه طلب منهم أن يسلموه بنى إسرائيل، يطلقونهم من العبودية ويسلمونه إياهم، وأنه حثهم على الاستجابة لطلبه بأن بين لهم أنه أرسل بهذا الطلب من ربه لم يضيف إليه شيئاً ولم ينقص منه شيئاً، على ما يبين من وصفه نفسه بالأمانة في الرسالة، وأنه عليه السلام نصحهم ألا يكون منهم الاستعلاء والاستكبار في أنفسهم يدفعهم إلى التعالى على إطاعة أمر الله وإلى عصيان رسوله، وأنه حاول جذبهم إلى قبول الأدلة التي تثبت صدقه فأوضح لهم أنه سيأتيهم بحجج واضحة تدل على هذا وتدفع إلى اليقين.

كما يذكر تعالى أن موسى عليه السلام قال لقوم فرعون أنه تعوذ بربه وربهم بمعنى أنه التجأ إليه وتوكل عليه ليمنع عنه أذاهم يكون بزرجه أو بما هو دونه من العذاب وقد يكون في القول إشارة إلى أن القوم هددوه بالقتل إذا ما استمر على دعوته إياهم إلى ما يكرهون. وأنه طلب منهم - حال إصرارهم على الكفر وعدم الاستجابة له لعدم الإيمان له - أن يكون منهم اعتزاله، يكتفون به دون أن يتعرضوا له بالأذى.



فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ
هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَنسَرِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَنزَلَ
الْبَحْرَ هَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾

أولاً : الأسماء :

الرهو : فى قوله تعالى «واترك البحرهما» مصدر من «رها- يرهو رها» والمعنى السكون،
فيكون معنى القول هو «واترك البحر ساكنا»، وقيل هو اليابس .

ثانياً : التفسير :

جاء قوله تعالى «فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون» إيجازاً معجزاً للمراد إثباته وهو أن القوم
لم يؤمنوا وأصروا على البقاء على الكفر، وأن موسى عليه السلام يتس من أن يؤمنوا وأنه دعا
ربه أن يجازيهم بما يجازى به الكافرين وأن يعجل لهم الجزاء أو العقاب .

ثم يخبر تعالى عن أمره موسى عليه السلام يسير بمن آمن له من المصريين ومن قوم فرعون
وبنى إسرائيل ليلاً من مصر، دعاهم تعالى عباده .

كما يخبر تعالى - فى القول - أنه أعلم موسى عليه السلام أنه ومن معه متبعون، بمعنى أن
فرعون وجنوده سيتبعونهم لإعادتهم أو لقتلهم .

وأنه أعلمه أنه سينبر البحر بمن معه وأن البحر سيكون ساكناً من بعد عبوره أو منفرجاً،
وأمره أن يتركه على حاله فلا يضربه بعصاه، ثم بين له علة أمره أن يترك البحر على حاله وهى
تحقق إغراق فرعون وجنوده فيه .

فيكون المستفاد أنهم سيعبرون من خلف موسى ومن معه ثم يطغى عليهم ماء البحر
وموجه فيموتوا غرقى .



كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝
 وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ۝ كَذَلِكَ
 وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
 وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝

أولاً: الأسماء:

١ - النعمة: في قوله تعالى «وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ» بفتح النون، هي النعمة ينعم بها على المرء فيتنعم بها، تختلف عن النعمة بكسر النون قد لا يتنعم بها من ينعم بها عليه.

٢ - الفاكهون: في قوله تعالى «كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ» جمع، مفردة «الفاكه» وهو من تنعم بما هو ترفى فوق ما هو ضرورى وما هو تكميلى.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى بيان أثر ما حاق بفرعون وجنوده، فبين تعالى أنهم أغرقوا مخلفين وراءهم جنات كثيرة - وهى الحداثق والبساتين - فيها تنفجر عيون الماء بما يكثر الزرع وما يسر الأعين. وفى قوله تعالى «كم تركوا» جاءت «كم» لبيان الكثرة، كما بين أنهم بموتهم قد نزعوا عن زروع لهم ومقام عال كبير كان لهم فى البلاد، ونعم كانوا يتمتعون بها من النعم الترفية.

ثم يذكر تعالى أنه أورث ما خلفوا وراءهم قوما آخرين، قيل إنهم بنو إسرائيل، وقد سبق أن بينا عدم صحة هذا القول لأن التاريخ يثبت عدم رجوع بنى إسرائيل إلى مصر من بعد خروجهم مع موسى، وإن جاز تصور عودة المؤمنين لموسى من المصريين إلى وطنهم من بعد خروجهم مع موسى. والذي نراه - والله أعلم - أن الذين ورثوا هذه النعم هم المصريون لأنه

بعد فناء فرعون - وهو آخر ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى - غادت البلاد بما فيها من الخيرات إلى أهلها .

ثم إنه تعالى يبين هوان أمر فرعون وجنوده وعدم الاكتراث بما أصابهم بقوله تعالى «فما بكت عليهم السماء والأرض» شبه فيه السماء والأرض بالإنسان يبكى على فراق العزيز ولا يبكى لفراق من لا قيمة له . كما يخبر عن واقع أنه تعالى لم يمهل فرعون وجنوده إلى يوم القيامة ليكون فيه عذابهم ، وأنه تعالى عجل لهم العذاب في الدنيا ولم يعفهم من عذاب الآخرة .

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ
 ٢٠ مِّنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ٢١ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم
 عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٢٢ وَءَايَنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ٢٣

التفسير:

يخبر تعالى - في الآيات - عما كان منه من إنجاء بني إسرائيل من العذاب المذل المهين المتمثل في استعبادهم وفي قتل أبنائهم الذكور واستحياء نسائهم ، يسومهم إياه فرعون الذي كان تعذيبهم بأوامره ، وصفه تعالى بأنه كان غالبا من المسرفين ، بمعنى أنه كان متكبرا مستعليا في ذاته على عباد الله ، كما كان مسرفا في الكفر والفساد .

ويذكر تعالى أنه اختار بني إسرائيل ليشملهم برحمته وقتذاك على علم منه تعالى باستحقاقهم هذا ، وأنه اختارهم عالين على العالمين - وهم أهل زمانهم - وذلك لأنهم الذين كانوا على ملة التوحيد وعلى شريعة من الله دون غيرهم من الشعوب التي كانت على الكفر بالله والإشراك .

ثم يذكر تعالى أنه آتاهم من الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته ما يتضمن اختبارا لهم وامتحانا، قد يكون منها فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى عليهم.

فيكون القول مشيرا إلى ما كان منهم من كفر بهذه الآيات بعبادتهم العجل، وطلبهم أن تكون لهم آلهة مثل الوثنيين، وهو ما استحقوا به أن من بعد ضربهم بالذلة والمسكنة، وبوأهم بغضب من الله. فيكون ما ابتلاهم به تعالى هو البلاء الممين لأنه أظهر حقيقة أمر من خلفوا الذين اختارهم الله واصطفاهم على علم على العالمين.

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ
﴿٣٦﴾ فَأَنزِلْ بآيَاتِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾

التفسير:

يدلل تعالى - في الآيات - على مشابهة كفار مكة المكذبين بالبعث آل فرعون الذين أضروا على الكفر وامتنعوا عن قبول الأدلة والحجج التي تدفع إلى الإيمان، فيشير إلى كفار مكة ويخبر عنهم أنهم يقولون إنه ليس من موت لهم إلا موتهم الأولى التي يعرفونها، بها تنقضى حياتهم فلا تكون حياة بعدها ولا موت؛ وأنهم يصرحون بأنهم لن ينشروا من قبورهم أحياء، فيكون قولهم تأكيدا لقولهم إنه ليس سوى موتهم الأولى، وهي الموتة التي يعنيها قوله تعالى «وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» أي التي تكون بعد الحياة في الدنيا.

كما يذكر تعالى من جدالهم في الحق بالباطل أنهم يطلبون من رسول الله ﷺ والمؤمنين الذين وعدوهم بالنشور - على سبيل التعجيز - أن يحيا آباءهم الميتين إثباتا لصدقهم. وقيل إنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحيى لهم قصي بن كلاب ليسألوه في صحة النبوة والبعث.

أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٢٧﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

تبع : هو تبع الأكبر من حُمَيْرَ في اليمن، قيل إن اسمه أشعد، وقيل إنه كان ملكاً انتهى بالجيوش إلى سمرقند ثم رجع وتوجه إلى الشام ثم انطلق عائداً إلى اليمن، وفي الطريق اتجه إلى الكعبة وأسلم وأحرم ودخلها محرماً وقضى نسكه ثم قفل عائداً إلى اليمن فأنكر عليه أشراف قومه إسلامه، وخبروه بين العودة إلى دين آبائهم ليظل ملكاً عليهم وبين أن يبقى على إسلامه ويتركهم، وقيل إنهم احتكموا إلى الله فأنزل نارا أكلت أصنامهم فأمن معه قوم وكفر آخرون. وقيل إنه بعد موته كفر القوم جميعهم، وقيل إنه لهذا يذكر تعالى - في القرآن - قوم تبع، ولا يذكره .

ثانياً : التفسير :

جاء قوله قوله تعالى - في الآية - في بيان أن كفار مكة لا يستعصون عليه تعالى إن أراد إهلاكهم بعذاب دنيوى . فالاستفهام في قوله تعالى « أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » أريد به إثبات أن كفار مكة هم دون قوم تبع والذين من قبلهم ممن أهلكهم الله في القوة، وأن قوة هؤلاء المذكورين لم تغن عنهم من الله شيئاً، فثبت تعالى أنه أهلكهم، ويذكر غلة إهلاكه إياهم وهي كونهم مجرمين، أجزموا في حق تعالى بشركهم به، وفي حق أنفسهم بالإصرار على الكفر فيكون القول تهديداً للمشركين ومنكرى البعث بالعذاب الدنيوى .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِينَ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في بيان أن أهل المنطق السوى يفترض فيهم الإيمان بما دعا إليه رسل الله من توحيده وعبادته من ملاحظة آياته في الكون التي تدعم دعوات الرسل. فيذكر تعالى أنه لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما من قبيل اللهو واللعب الذي لا غاية منه، ثم يثبت تعالى أنه خلقهما وما بينهما بالحق وهو ما ذكر تعالى في كتبه أنه الحق وهو أنه تعالى الواحد الخالق، فيكون الإيمان به وتوحيد حق، وتكون طاعته وعبادته حق. ويكون ما أخبر به من أمر البعث والجزاء حق، فتكون الغاية من خلق السماوات والأرض وما بينهما هي عبادته تعالى؛ ولهذا لم تكن السماوات والأرض وما بينهما متلبسة بشيء إلا الحق.

ثم أثبت تعالى أن أكثر الناس لا يعلمون هذا الحق، فكان منهم من أنكر وجود الخالق، وكان منهم من أشرك في عبادته، وكان منهم من أنكر البعث والحساب والجزاء.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَزَمَهُ اللَّهُ إِنَّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

أولاً: الأسماء:

يوم الفصل: هو يوم القيامة، يفصل فيه تعالى بين الحق والباطل، وبين المؤمنين والكافرين، وبين المحسن والمسيء.

ثانياً: التفسير:

بعد أن بين تعالى أن أكثر الناس لا يعلمون الحق، يجهلون أو يتجاهلون، فيكون المستفاد أن أقلهم يعلمونه ويتبعونه ذكر تعالى أن يوم القيامة - الذي يفصل فيه تعالى بقضائه بين

الحق والباطل - هو ميعاد حساب الذين علموا الحق واتبعوه والذين لم يعلموه أولم يريدوا أن يعلموه، بجمعهم فيه أجمعين للحساب والجزاء .

ثم بين تعالى أنه في يوم الفصل هذا لا يملك من تولى أمر غيره ليرعاه أن ينفعه بشيء، ولا يكون لمن تولى غيره أمر مصالحه أن يستفيد ممن تولى أمره شيئاً، ولأن يتصرف بسببه أو بسبب ما يؤديه إليه ، فيكون له منه دفع العذاب الذي استحقه عنه .

ثم إنه تعالى استثنى من الحكم الذين رحمهم، والمعنى أنه برحمته تعالى أجاز لهم أن يستفيدوا من نصرة أوليائهم، وقد يكون القول مشيراً إلى المؤمنين العصاة ، يأذن تعالى لمن تقبل شفاعتهم أن يشفعوا لهم ويقبلها فيفيدهم هذا؛ ولهذا جاء قوله تعالى «إنه هو العزيز الرحيم» ليثبت أن مولى لا يغنى عن مولى شيئاً، وأن أحداً لا يستفيد من غيره لأنه ليس سنوى لله الحكم يوم القيامة، فهو وحده العزيز ذو القدرة، وليثبت أن رحمته تعالى تدرك من يشاء فيعفو عن ذنبه أو يأذن بالشفاعة له ممن أذن له بالشفاعة ثم يقبلها .

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأُنْمِ ۝
كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝ خَذُوهُ فَاَعْتَٰلُوهُ إِلَىٰ
سَوَاءِ الْحَمِيمِ ۝ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝

أولاً : الأسماء والأعلام :

العزيز الكريم: قيل إن المقصود هو أبو جهل قال لرسول الله ﷺ «لقد علمت أنتى أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم»، وقيل إنه قال للناس «اسمى العزيز الكريم» فنزلت الآية .

ثانياً : التفسير :

يخبر تعالى - في الآيات - عن بعض ما يعذب به المكذبون بالحق في الآخرة، فيقول تعالى إن شجرة الزقوم - التي تنبت في أصل الجحيم - هي طعام الكافر، وصفه تعالى بأنه الأثيم لكثرة آثامه ولمقارفته أشدها وهو الكفر، ثم يذكر تعالى أن ما يطعمه منها يكون كهيئة عكر الزيت أو عكر القطران أو الصديد، وأنه في بطونهم يغلى مثل غلى المادة إذا ما بلغت درجة حرارتها أعلى مستوى لها .

كما يخبر تعالى أنه يقال لزمانية جهنم أن يأخذوه بمجامعه عنوة «خذوه فاعتلوه» ليلقوا به إلى وسط الجحيم، وأن يصبوا فوق رأسه عذاباً بولغ في وصف شدته فوصف بأنه الحميم ذاته أو هومته، ثم يقال له تقرعاً له واستهزاء به «ذق إنك أنت العزيز الكريم» لأنه يلقى من الذل ما يهين ولا يجد طعاماً إلا شجرة الزقوم .

إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تُنْتَرُونَ ٥٠

التفسير :

القول - في الآية - هو قوله تعالى ، يخاطب الذين كذبوا بالبعث والحساب والجزاء، يشير إلى ما يلقون من العذاب ويخبر عنه أنه الذي كانوا يشكون فيه في دنياهم. ليعلموا أنهم إنما يعذبون بأفعالهم .

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ٥١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٢ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ
وَاسْتَبْرَقٍ مُنْقَلَبِينَ ٥٣ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٥٤

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - انتقال إلى بيان حال المؤمنين المتقين فى الآخرة، يذكر تعالى أنهم يكونون فى مقام أمين، والمعنى أنهم يكونون فى مكان يأمنون فيه مما يكون فيه أذى أو مكروه، ثم بين تعالى ماهية هذا المكان الآمن فذكر أنه جنات وعيون، وبين حالهم فيها بذكره أنهم يلبسون ثيابا من رقيق الديباج ومن غليظه وأنهم يجلسون متقابلين يستأنس بعضهم بحديث البعض ومسامرته. ثم يضيف تعالى قوله «كذلك وزوجناهم بحور عين» فكانه يكون إن الأمر هو ذلك وما هو فوقه أو يزيد عليه، ثم يخبر عن هذا الذى يزيد عليه بأنه تزويجهم أو إنكاحهم حورا من إناث الجنة شديداً سواد العيون وبياضها ذوات عيون عظيمة واسعة.

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۝ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَىٰ وَوَقَّتْ لَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ
ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝

التفسير:

قوله تعالى لا يزال فى بيان حال المؤمنين المتقين فى الجنات والعيون، فيذكر تعالى أنهم يطلبون فيها ما يشتهون من أنواع الفواكه آمين أنهم يجدون ما يطلبون وأنهم يتلذذون بأكله لا ينالهم أذى ولا ضرر. كما بين تعالى أنهم يأمنون الموت، فيخبر تعالى أنهم لا يذوقون إلا الموتة الأولى - وهى التى كانت فى دنياهم - فيكون المستفاد هو أنه ليس لهم موت فى الجنة، كما يذكر تعالى أنه وقاهم عذاب الجحيم فهم فى أمان منه.

ثم بين تعالى أن جميع ما يتمتع به المتقون فى الجنات والعيون هو من فضله تعالى الذى تفضل به عليهم، ويخبر عنه بأنه هو الفوز العظيم، الذى يتضاءل بالقياس به أى فوز، حتى لكأنه وحده هو الفوز والكسب، مع وصفه بالعظم.

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْقُبْ إِنَّهُمْ مُرْقَبُونَ ﴿٥٩﴾

التفسير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ في الآيتين، أعلمه أنه جعل القرآن العظيم على لسانه ﷺ سهلاً مفهوماً، فيكون القول متضمناً الأمر بالتذكير بالقرآن العظيم الذي سهله تعالى على لسانه ﷺ لكي يفهمه قومه ويعوه ويعملوا به. ثم إنه تعالى لما كان عالماً أن منهم من يصّر على الكفر فيعرض عن القرآن فإنه تعالى طلب من رسوله ﷺ أن ينتظر ما يحل بهم من عذاب ربه، ثم أخبره أنهم أيضاً ينتظرون منكرين ما تبعدوا به. فيكون القول وعدا منه تعالى بالانتقام من أئمة الكفر لدينه ورسوله وللمؤمنين.



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿٥٨﴾ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٥٩﴾

التفسير:

افتتحت السورة بأسماء الأحرف «حم» آية، ويعلوها قوله تعالى «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم»، وقيل إن «حم مبتدأ» و «تنزيل» خبره. وقيل إن «تنزيل الكتاب» مبتدأ، و «من

الله» خبره. وقد سبق القول إن الراجع في أسماء الأحرف أنها من المتشابه. وفي الآية الثانية أخبر تعالى عن تنزيل الكتاب أنه تنزيل منه تعالى، وصف ذاته بأنه العزيز الحكيم، ليبان أنه بعزته التي لا تفهرعز كتابه ويحفظه وأنه أنزله بحكمته متضمناً كل ما هو حكيم لا يناله الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَاهُ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في ذكريات من آياته تعالى الكونية، أو من آياته في الخلق يبين تعالى أنها تدعو أصحاب العقول إلى الإيمان به خالقاً، وتوحيداً وعدم الإشراك به. فيذكر تعالى أن في السماوات والأرض آيات تدل الذين يؤمنون بالحجج العقلية على قدرته ووحدانيته تدفع إلى الإيمان به ورسوخ الإيمان لدى المؤمنين، كما يذكر تعالى أن في خلق الناس - المخاطبين - بالقول - يدخل في هذا خلق أبيهم آدم من طين الأرض، وخلق حواء منه، ويدخل فيه خلقهم من حيوان منوى وبويضة، أن في هذا آيات تدفع الذين لديهم الاستعداد للاقتناع بطريق الدليل إلى الإيمان اليقيني بأنه تعالى وحده الخالق القادر على ما لا يقدر عليه غيره المستحق العبادة.

ثم يذكر تعالى أن في خلقة الليل النهار وخلقته النهار الليل، واختلاف الليل عن النهار في المظهر وفيما يباشر في كل منهما من الخلق، وكذا في إنزاله من السماء المطر وهو بعض من رزقه - يكون به إنبات الأرض القفر المجربة وإحيائها، وفي تضيقه الرياح تتحرك من مناطق الضغط العالي إلى مناطق الضغط المنخفض، تختلف شدة وتوعا بين النسيم والرياح الخفيفة النشطة، والشديدة، والعاصفة، والزويع والإعصار. إن في ذلك جميعه آيات لأصحاب العقول تدل على أن خالق الكون والمتصرف فيه واحد أحد، هو الجدير وحده بالعبادة والتوحيد.

بَلِّغْ أَتَى اللَّهُ نَسْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ①

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى عن آياته في الخلق أنها تدعو إلى الإيمان به وتوحده بذاتها إذا ما كان تعقل الأمور وتوافر الاستعداد للاقتناع، فإنه تعالى - في الآية - بدأ في الحديث عن آياته المنزلة في الكتاب فينبين منزلتها وقدرها تمهيدا لبيان موقف الناس منها، مع خص الذين أصروا على الكفر بذكر عاقبة تعاملهم عن الحق .

وفي الآية يشير تعالى إلى آيات القرآن العظيم نسيها تعالى إليه لكونها كلام الله أحسن الحديث، ثم بين أنها تلى على رسوله ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام متبسة بالحق، ثم جاء قوله تعالى «فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون» متضمنا تعظيما للآيات ببيان أنه ليس من قول يلقها كمالا، فإن لم يكن بها إيمان فليس من قول بعدها تصور أن يكون به اقتناع وإيمان، لأن من لا يؤمن بحديث الله لا يتصور فيه أن يؤمن بحديث من هو دونه تعالى كما أن القول يتضمن تعجيبا من أمر الذين لا يؤمنون بآياته تعالى .



وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ يَسْمَعُ
 آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
 وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أُولَٰئَاءَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠

أولاً : الأسماء والأعلام :

الأفَّاك الأثيم : في قوله تعالى «ويل لكل أفَّاك أثيم» قيل إن المقصود هو أبو جهل، وقيل هو النضر بن الحارث الذي كان يشتري قصص الفرس ويرويها ليشغل بها القوم عن سماع القرآن. ونرى - والله أعلم - أنه بفرض أن القول نزل في أحدهما فإن المعنى يسع كل من يقول في القرآن كلمة الكذب فيأثم بهذا، ويتكرر منه الفعل والإثم .

ثانياً : التفسير :

توعد تعالى بالعذاب كل مكذب الحق آثم بهذا، يتكرر منه التكذيب وارتكاب الإثم به، ثم وصف تعالى الكذاب الأثيم، أو إنه ذكر ما استحق به أن يوصف بأنه أفَّاك أثيم فقال إنه يستمع إلى آيات الله تتلى عليه ثم يكون منه الإصرار على الكفر بها والإقامة على هذا الكفر، فلا تغير من حاله، يكون ذلك منه استكباراً وتعالياً على الحق، فيكون أمره كأنه لم يسمعها.

والقول - بهذا المعنى - يشير إلى أن من شأن سماع آيات القرآن العظيم ممن لم يصِرْ على الكفر أن يدفعه إلى الإيمان بأنها الحق منزلة من الله الملك الحق.

ثم يخاطب تعالى رسوله ﷺ فيأمره أن ينذر كل أفاك أثيم بالعذاب الأليم. جاء التعبير عن التوعد والإنذار بالتبشير من قبيل السخرية والاستهزاء، مقابل استكباره على الحق.

ويصف تعالى من أفعال الأفاك الأثيم أيضا أنه يكون منه إذا ما بلغه شيء من آياته تعالى المنزلة أن يستهزئ بجميع الآيات، إذ يتخذ مما سمع مطعنا على آياته تعالى بالباطل، وقيل لأنه إذا طعن في آية بعدم الصحة فقد طعن في الكتاب كله.

وفي القول يشير تعالى إلى المستهزئين بآياته ويخبر عنهم أنه يكون لهم عذاب يمينهم ويذلهم، ثم يبين هذا العذاب بذكره أن جهنم تكون من ورائهم، ولما كان حالهم أنهم يكونون متوجهين إليها، فإنها تكون أمامهم.

فيكون المعنى هو أن عذاب جهنم يحيط بهم من وراء وأمام، لا ينفعهم شيء ما غنموا من مال وما اكتسبوا من سمعة بين الكافرين يتعلق بالقدرة على المجادلة، ولا يدفع عنهم شيئا من العذاب ما توافر لهم من الاتباع ولا ما عبدوا من دون الله تعالى من معبودات، بل يكون لهم عذاب عظيم.

هَذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ١١

التفسير:

يشير تعالى إلى القرآن العظيم ويخبر عنه أنه هدى. والمعنى أنه هاد بنفسه إلى الحق، فيكون المعنى أن من لا يؤمن به يكون على ضلال من الأمر.

ولهذا فإنه تعالى أثبت في الآية أن الذين كفروا بالقرآن يكون لهم عذاب من القذارة أليم، مثل تجرع الصديد يغلى في البطون.



وَاللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - عود إلى ذكر بعض آياته تعالى فى الخلق مما يستدل به على قدرته التى لا يبلغها أحد من خلقه والتى هى من قبيل النعم التى أنعم بها على الناس بما يستوجب شكره عليها .

فيذكر تعالى أنه سخر البحر للناس لتجرى الفلك فيه بأمره، وهو ما كان منه تعالى بجعله الأجسام تطفو على الماء لا تغرق فيه وفق قوانين استتجها الناس واستخلصوها مما جعله تعالى سببا علميا لذلك، وبجعله الفلك تسير فى البحر بأمره تعالى لاتسكن فيكون الماء لها طريقا تتجازه، كما سخره لكى يفيد الناس منه بالسفر فيه للتجارة وهى بما تحققه من كسب فضل تفضل به تعالى على الناس، وليصيدوا منه الأسماك، ويستخرجوا اللؤلؤ، وغيره من المعادن والبترول من قاعه. ثم إنه تعالى بين للناس أنهم عليهم واجب شكره تعالى على نعمه هذه .

ويذكر تعالى أيضا أنه الذى سخر لهم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه، فبين أن جميع ما فى السماوات والأرض هو منه تعالى، لم يكن ليكون لولا أمره تعالى بقوله «كن»، كما بين أنه تعالى سخر ما فى السماوات والأرض لمصلحة الإنسان. فلا يتعجب أحد من هذا القول الذى نكتفى فى التدليل على صحته علميا بإثبات الآتى: إن الشمس نشأت بكثلة معينة وبحجم معين ودرجة حرارة معينة لتعطى انبعاثا حراريا معيناً، ثابتا يناسب نمو الحياة على الأرض، لو اختلف ما كانت على الأرض حياة.

وأنة تعالى جعل الأرض تتكون بالانفصال من الشمس بكتلة معينة وحجم معين، فلو كانت صغيرة لكانت قد عجزت عن الاحتفاظ بالغلافين الجوى والعالى اللذين يحيطان بها، ولبلغت الحرارة فيها درجة الإماتة؛ ولو كانت أكبر مما هى عليه لكانت جاذبيتها للأجسام أكبر، ولكان الضغط الجوى قد زاد بما يؤثر على الحياة على الأرض، وأنه تعالى الذى جعل المسافة بين الأرض والشمس نحو ثلاثة وتسعين مليون ميل، وهذه المسافة هى التى تجعل الأرض تستقبل من أشعة الشمس ما يكفى فقط لنمو الحياة.

ولو بعدت الأرض عن الشمس ضعف هذه المسافة مثلا لكان نقص كمية الحرارة التى تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية، وقطعت الأرض دورتها حول الشمس فى وقت أطول وتضاعف طول فصل الشتاء وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض، ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس لزادت درجة الحرارة على الأرض وزادت سرعتها المدارية حول الشمس وصارت الحياة مستحيلة. وهذا قليل من كثير ثبتت تسخيرته تعالى ما فى السماوات والأرض لصالح الإنسان؛ ولهذا جام قوله تعالى «إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» مبينا أن التفكير فى خلقه تعالى على أساس من العلم من شأنه أن يؤدى إلى الإيمان البقنى بوحداية الله الخالق وبِعظيم قدرته، فتكون آياته تعالى فى الخلق سببا لرسوخ إيمان الذين يتفكرون.

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا

يَغْفِرُ وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾

أولاً: الأسماء:

أيام الله: قيل إن المراد بها - فى معنى الآية - هو ثواب الله، وقيل هو بأسه تعالى وانتقامه،

وترى - والله أعلم - أنها الأيام التي شرعها تعالى في التوراة لتكون «مواسم الرب» يتم فيها التقرب إليه تعالى بالعبادة والأضحيات - ولا يزال منها ذكر في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر «لاويين» من التوراة التي بين أيدينا اليوم. ويدعم رأينا الواقعة التي قيل إنها سبب نزول الآية وهي قول يهودى حين سمع قوله تعالى «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا»: قول اليهودى «احتاج رب محمد» فلما سمع عمر رضى الله عنه أخذ سيفه وخرج ليقتل اليهودى، فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ وقال له «إن ربك يقول للذين آمنوا أن يغفروا للذين لا يرجون أيام الله»، لأن النص يكون قد أثبت أن الذي قال الباطل كان يهوديا ممن خالفوا أمر الله في التوراة فلم يطيعوه.

ثانياً : التفسير :

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمؤمنين أن يغفروا للذين لا يرجون أيام الله، فيكون منهم أنهم يغفرون - والمعنى العام هو أن يكون من المؤمنين أن يغفروا للذين لا يرجون ثواب الله تعالى أو الذين لا يتقون عذابه ما يقع منهم من أخطاء في حقوقهم.

والمعنى الخاص هو أن يغفروا لأهل الكتاب الذين يتبعون شريعة موسى عليه السلام ظاهراً ويخالفونها باطناً - على ما يدل عليه وصفهم بأنهم الذين لا يرجون أيام الله وهي الأيام التي حددها مواسم لعبادته تعالى على نحو معين ووفق طقوس وتعاليم معينة - أن يغفروا لهم ما يقع منهم من أخطاء في حقوقهم، وعلى هذا المعنى لا يكون حكم الآية منسوخاً بآية القتال، لتعلق حكم الآية بالأخطاء البسيطة التي تقع في حقوق المسلمين بصفاتهم أفراداً.

وفي النص يبين تعالى علة الأمر بأنه مجازاة قوم بما كانوا يكسبون، والمعنى أنه تعالى يشب من يمثل لأمره فيعفو، ويعاقب من أخطأ في حق العاقب. ثم إنه تعالى أكد هذا المعنى بذكره أن من يعمل صالحاً فإنه يكون قد عمله لصالح نفسه، وهذا هو حال العاقب عن المسيء امتثالاً لأمر ربه، وأن من يعمل سيئاً فإنه يكون قد عمله وبالا على نفسه، وهذا هو حال المسيء إلى العاقب.

وفي القول بين تعالى حتمية أن ينال كل من المحسن بالعفو، والمنسىء بالاعتداء جزاءه
بيان رجوع الخلق إليه تعالى للحساب وللثواب والعقاب .

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأُمْرِ
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَا كُنُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾

التفسير:

قد يكون قوله تعالى - في الآيتين - مثبتاً وأينا أن المراد من «أيام الله» هي «مواسم الرب»
المذكورة في التوراة، فيكون المسيئون هم الذين عصوا الشريعة التي يدعون أنهم عليها من
اليهود. إذ يذكر تعالى أنه أتى بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبرة، فهو تعالى أنزل إليهم
التوراة، وأتى داود عليه السلام الزبور ثم أنزل على عيسى عليه السلام - وهو من بنى إسرائيل -
الإنجيل فآمن له البعض وكفر به آخرون، كما آتاهم الحكم بجعل أنبياء منهم ملوكاً إذ كان
كل من داود وسليمان ملكاً نبياً، كما جعل منهم أكثر الأنبياء، ويذكر تعالى أنه رزقهم من
الطيبات وهو رزقهم باليمن والسلوى وهم فى سيناء، ورزقهم خيرات فلسطين بعد أن دخلوها
مع يروشع بن نون، كما يذكر أنه فضلهم على العالمين فى زمان تفضيلهم حين كانوا هم
المؤمنين وكان غيرهم وثنيين، أو أنه فضلهم بمعجزات لم تكن لغيرهم مثل فلق البحر
وإظلال الغمام .

كما يذكر تعالى أنه آتاهم أدلة بينة واضحة فى أمور الدين، ويثبت أنهم اختلفوا فى أمور
الدين، وأن اختلفهم هذا إنما كان من بعد ما جاءهم العلم الصحيح بالدين بتفسير موسى

عليه السلام أحكام الشريعة لهم، ويتصحح تطبيقهم لها بواسطة من بعث فيهم من الأنبياء، ثم بواسطة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

ويبين تعالى أن اختلافهم في أمور الدين لم يكن الباعث عليه هو قصد استنباط الحكم الشرعي من النص، وإنما كان ما بين بعضهم والبعض من عداوة وتحاسد. وأعقب تعالى ذلك بيانه أنه تعالى يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في دنياهم، إذ يجازيهم بما كان منهم من انحراف بالنصوص عما أنزلت به وفيه وبدوافعهم التي أدت إلى اختلافهم.

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ
شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأُمُورِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ
لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ
وَالْيَاقِينِ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن أهل الكتاب اختلفوا في شئون العقيدة والشريعة من بعد أن جاءهم العلم الصحيح بها، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ معرفاً أنه جعله على شريعة من الأمور، فبين أن ما أنزل إليه ﷺ هو عقيدة وشريعة، وبين أن شريعته تعالى المنزل على رسوله هي الشريعة المنزل على من بعد شريعة موسى - على ما بين من «ثم» - ثم جاء أمره تعالى رسوله ﷺ - باعتباره رأس المؤمنين - باتباعها، أي أنه تعالى ألزم باتباع الشريعة الإسلامية، ونهاه عن اتباع الذين لا يعلمون، يدخل فيهم الذين لا يعلمون أن شريعة الإسلام نسخت شريعة موسى عليه السلام لأنها لا تصادف هوى نفوسهم أو لأن هوى نفوسهم هو عدم اتباع شريعة أنزلت على

نبي من غير بني إسرائيل، وهم اليهود ويدخل فيهم كفار قريش الذين لا يعلمون أن عقيدة الإسلام وشريعته هما الدين الحق اتباعا لأهوائهم التي لا تنصرف عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم ولا عما اعتادوه من الأعراف البالية .

ثم إنه تعالى يحث رسوله ﷺ على إطاعة أمره ونهيه بإعلامه أن الجاهلين المتبعين أهواءهم لن يغفوا عنه من الله شيئا إن هو أطاعهم، والخطاب - وإن كان على الظاهر موجه إلى رسول الله ﷺ - موجه إلى المؤمنين، يعرفهم ربهم أنهم إن يطيعوا هؤلاء فإنهم يتعرضون لحساب الله وجزائه بالعقاب، لا ينفعهم بشيء الذين أطاعوهم.

ثم يبين تعالى أنه ليس للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين - وصفهم تعالى بأنهم الظالمون - أولياء، ببيان أن الكافرين بعضهم أولياء بعض، وأنه يتعين على المؤمنين أن يتقوه تعالى باتقاء غضبه يحل بهم إذا عصوه فيكون تعالى وليهم والمدافع عنهم فهو تعالى ولي المؤمنين .

ثم إنه لما كان القرآن العظيم هو الذي أورد العقيدة الصحيحة. والشرعة الناسخة الدائمة، فإنه تعالى أشار إليه وأخبر عنه أنه بصائر للناس بمعنى أنه بمثابة الأبصار للقلوب والنفوس، وأنه هدى ورحمة لقوم يوقنون فهو يهدي إلى الحق وإلى رضا الله تعالى ورجته فيكون رحمة لمن يؤمن به إذ ينجيه من العذاب ويكسب الجنة وحسن الثواب، يكون كذلك للذين يستمعون إليه بقلوب تقبل الاقتناع ولا تصر على الكفر تؤمن بالله وبرسوله وتوقن بأن القرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ جَاءَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُخْرِجَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - الذين اجتروا السيئات : قيل إن المقصودين بالقول هم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد ابن عتبة. والقول - بالمعنى العام - يدخل فيه كل من قرفوا السيئات، وفي معنى القول هم الكافرون.

٢ - الذين آمنوا وعملوا الصالحات : قيل إن المقصودين بالقول هم على كرم الله وجهه، وحمزة وعبيدة بن الحارث رضى الله عنهما. والمعنى للقول يشمل جميع المؤمنين الذين عملوا الصالحات .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيتين - هو في بيان عدم استواء الحال بين الكافرين العاملين السيئات وبين المؤمنين العاملين الصالحات، وبيان فساد عقيدة الكافرين المؤمنة بغير هذا، ثم هو في بيان علة الحكم بعدم الاستواء .

فالاستفهام في قوله تعالى «أم حسب الذين اجتروا السيئات» يبين اعتقاد الكافرين أنه تعالى يساوي بينهم وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وفي هذا قيل إن عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا لعلى كرم الله وجهه وحمزة وعبيدة بن الحارث رضى الله عنهما «والله ما أنتم على شيء، ولئن كان ما تقولون حقاً، لحالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا» فنزلت الآية، ثم إن الاستفهام هو لإنتكار الحسبان أو الاعتقاد الذي عليه الكافرون، وإثبات أنه لا يكون استواء حال بين الكافرين الذين اكتسبوا السيئات وبين المؤمنين الذين عملوا الصالحات، يتنى هذا الاستواء في الحياة والممات. إذ في الحياة يكون الكافرون على العصيان، ويكون المؤمنون على الطاعة، وفي الآخرة يبعث الكافر كافراً إلى العذاب. ويبعث المؤمن مؤمناً إلى الثواب والجنة. وقيل إن المعنى هو أنه لا يكون تساوى الحال في الحياة والموت معاً، وإنما يكون في الحياة لشمول رحمة الله المؤمن والكافر، ولا يكون في الآخرة حين لا تشمل رحمة الله إلا المؤمن .

وبعد أن بين تعالى هذا جاء تقريره تعالى في شأن اعتقاد الكافرين وما يقولون به بقوله تعالى «ساء ما يحكمون» بمعنى بش الحكم ما حكموا به.

ثم إنه تعالى دلل على بطلان حساباتهم واعتقادهم بذكره أنه خلق السماوات والأرض بالحق، والحق يفيد بالضرورة إعمال العدل، وهو ما يقتضى عدم المساواة بين المحسن والمسيء؛ ولهذا كان من مقتضى الحق والعدل أن تجزى كل نفس بما صدر منها وكان، من كفر أو إيمان، وإساءة أو إحسان. ثم أكد تعالى أن نفساً من الأنفس لا تنظم. وهذا هو العدل الذى دل عليه خلقه تعالى السماوات والأرض بالحق.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

من اتخذ إلهه هواه : قيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو الحارث بن قيس السهمي . كان يعبد ما تهواه نفسه، وقيل إنه المشركون الذين كانوا يعبدون الحجر أو الصنم فإذا رأوا ما هو أجمل منه تركوا عبادة الأول وعبدوا الآخر، وهو - فى المعنى العام - كل من يخضع لهوى نفسه خضوعاً تاماً، فيتبعها فيما توسوس به إليه .

ثانياً : التفسير :

يخاطب تعالى - فى الآية - رسوله ﷺ فى شأن فئة من المشركين كانوا منساقين لهواهم حتى إنهم عبدوا ما راق لهم شكله من الحجارة والأصنام لمجرد أنهم استملحوها، فجاء قوله تعالى للتعجب من أمرهم باتخاذ أحدهم ما يهوى إلهاً له يعبد من دون الله . ثم يثبت تعالى أنه أضله عن الهدى على علم، بمعنى أنه تعالى علم أنه يختار الضلال على الهدى، فصرفه عن الهدى ويسره للضلال الذى هو أهله، وكان منه تعالى معه أنه ختم على سمعه

وقلبه فلم يتأثر بالقرآن العظيم ولا بدعوة رسوله ﷺ ووعظ الواعظين، ولم يفتح قلبه للتفكر في آيات الله في الخلق وآياته المنزل في الكتاب، وجعل على بصره غشاوة بمعنى أنه لم يبصر آيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته - ثم إنه لما كان من شأن من يضلّه الله ألا يكون له هاد يهديه، فقد جاء قوله تعالى «فمن يهديه من بعد الله» لبيان أنه ليس له أن يكون من المهتدين، لأنه يعدم هاديا يهديه بغير إذنه تعالى، وقد شاء تعالى ألا يهديه. وقوله تعالى - في ختام الآية - «أفلا تذكرون» هو بمثابة أمر للمؤمنين بملاحظة حال العابدين هواهم والاتعاظ بهذا، والاستيثاق من أن الهادي هو الله، يحمدهونه على هدايتهم إلى الحق بإذنه .

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُتْلَىٰ إِلَّا الدُّهْرُ
وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُسِيتُ عَلَيْهِمْ أَيْتُنَا
بَيِّنَاتٍ مَّا كَانُ جُحُومُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾
قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

أولاً : الأسماء :

الدهر : هو - في الأصل - اسم لمدة العالم من بدء الخلق إلى انقضائه، وجري التعبير به عن كل مدة طويلة .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيات - هو في طائفة من الكافرين عرفوا باسم «الدهرين» يمكن تشبيههم بطائفة من الكافرين في العصر الحاضر هم «الطبعيون» الذين يقولون إن الطبيعة

هى التى أوجدت المخلوقات بتوافر أسباب الخلق بطريقة الصدقة، وأن الموت أيضا يتم بحكم الطبيعة، وأنه ليس من بعث بعد الموت ولا حساب.

فيذكر تعالى أن هؤلاء الكافرين يقولون إنه ليس من حياة سوى حياتهم الدنيا التى يحيونها، يموت منهم أناس ويولد أناس، وأن الذى يميت الناس هو طول الزمان بهم.

وفى شأن بيان ضلال هؤلاء ويعدمهم عن الحق ذكر تعالى أنه ليس لهم مصدر علمي لما يقولون به ولا سند يدعم قولهم من دليل عقلى أو قلبى، ويثبت أن ما يقولون به هو محض ظن جال فى نفوسهم فقالوا به.

ثم ذكر تعالى ما يبين منه انصرافهم عن الدليل يثبت خطاهم بذكره تعالى أنه حين تتلى عليهم آياته التى تبين فساد عقيدتهم ومنها هذه التى تثبت قدرته على الخلق وتسيير المخلوقات، وإحياء الأرض بالمطر من بعد موتها، يكون منهم التمسك بأقوالهم القاسدة وإن علموا دليلا عليها فلا يكون منهم إلا الاحتجاج الزاهى بطلب بعث آبائهم الأموات من الموت بإحيائهم ليكون دليلا على صدق القائلين بالبعث والحساب والثواب والعقاب.

ثم يخاطب تعالى رسوله ﷺ فى شأن هؤلاء الدهريين فيأمره أن يقول لهم إن الله تعالى هو الذى يحييهم والناس ابتداء، ثم يميتهم عند انقضاء آجالهم التى قدرها لهم ثم يجمعهم أحياء من بعد البعث يوم القيامة، يثبت لهم أنه حق لا ريب فيه.

ثم يقول لهم إن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقائق أو يصرفون كأنهم لا يعلمونها. ويتصور فى القول أن يكون قوله تعالى، فيكون المعنى هو أن أكثر الناس لا يعلمون أن يوم القيامة لا ريب فيه.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٥٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان أنه مالك السماوات والأرض وما بينهما وما خلق فى ذلك جميعه فى الدنيا والآخرة، وأنه فى يوم القيامة الذى لا ريب فيه تكون خسارة المبطلين محققة. يدخل فيهم الذين اتخذوا هواهم آلهة عبدوها ويدخل فيهم الدهريون كما يدخل فيهم كل من اعتنق عقيدة باطلة من بعد أن بلغت رسالة رسول الله ﷺ.

وَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَآئِيَةً
كُلُّ أُمَّةٍ نُّدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا
كِتَابُنَا نَقُصُّ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

أولاً: الأسماء:

١ - الجاثى : فى قوله تعالى «وترى كل أمة جاثية» اسم فاعل من «جثى - يجثو» وهو المبارك على ركبته. وقد يكون المراد به - فى معنى الآية - هو الخاضع .

٢ - الكتاب : فى قوله تعالى «كل أمة تدعى إلى كتابها» يتصور أن يكون المراد به - فى معنى الآية - هو كتاب الله الذى أنزل على نبي الأمة، ويتصور أن يكون صحيفة الأعمال، وقيل هو اللوح المحفوظ .

ثانياً : التفسير:

الخطاب - فى الظاهر - موجه إلى رسول الله ﷺ، وهو إلى كل من تتأتى منه الرؤية، وموعده يوم القيامة، يرى فيه الرائي كل قوم بعث فيهم رسول من رسل الله دعا بما أنزل إليه من ربه فى كتاب أو صحيفة، أو بما أنزل تعالى من قبل على رسله، وقد برکوا على ركبهم أو

خضعوا لأمر الله فيهم، يدعون للحساب بما كان منهم من الإيمان أو الكفر بما ورد في كتاب رسولهم، ومن عمل به أو عصيان. أو إنهم يدعون ليحاسبوا بما دون في صحف أعمالهم، وأنه يقال لهم «اليوم تجزون ما كنتم تعملون» بمعنى أنهم في ذلك اليوم يلقون جزاء أعمالهم التي عملوا في دنياهم.

ثم إنه تعالى يشير إلى الكتاب الذي تدعى إليه كل أمة أو يدعى إليه قوم كل رسول ومن بعث لهم ويخبر عنه أنه كتابه تعالى، تشريفا له وبيانا لكونه منزلا منه - إن كان هو الكتاب المنزل على الرسول - أو لكونه قد سطر بأمره - إن كان هو صحيفة عمل كل فرد - ويخبر أنه ينطق على الأمة أو على صاحبه بما هو حق. ويبدو أن القول يقال لكل أمة أو لكل قوم على مسمع من الرائي فيشهده.

كما يذكر تعالى أنه يقال لأفراد كل أمة أنه تعالى كان يثبت في الكتاب ما كانوا يعملون في دنياهم، والمعنى أنه تعالى أمر بتدوين كل فعل أو عمل يفعله أو يعمل الفرد في دنياه، وأن ما أمر به كان، ولهذا كان الكتاب ناطقا بالحق.

وقد يكون هذا دليلا على أن الكتاب هو صحيفة عمل كل فرد. والقول تأكيد لمعنى محاسبة كل فرد بالعدل.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رُحْمُهُمْ فِي رَحْمَةٍ ذَٰلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانَ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذْ قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا
وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ ﴿٢٢﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه في يوم القيامة تجمع الأمم جاثية للحساب، وأن الناس يحاسبون بأعمالهم المثبتة في صحف أعمالهم، جاء قوله تعالى - في الآيات - في بيان مصير الذين آمنوا بكتب الله المنزلة على رسله وما دعواهم إليه وقرنوا ذلك بعمل الصالحات، وفي بيان ما يقال للذين كفروا بكتب الله وما دعاهم إليه الرسل وهو قول يستدل منه على مصيرهم .

فذكر تعالى أن الذين آمنوا بالكتب والصحف المنزلة على الرسل الذين بعثوا إليهم وبما دعاهم إليه الرسل، وقرنوا ذلك بالعمل به فكان عملهم صالحا، يكون منه تعالى أن يدخلهم في رحمته، ومعلوم أنه ما من أحد يدخل الجنة بعمله وإنما يدخلها برحمة الله، فيكون القول مثبتا دخولهم الجنة.

ثم يصف تعالى إدخالهم في رحمته بأنه هو الفوز الممين، بمعنى أنه الكسب الظاهر الواضح الذي لا يستأهل كسب أن يدعى فوزا بالقياس به.

كما ذكر أنه يقال للذين كفروا - تقريرا وتوبيخا - «ألم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين» وفيه بيان لواقع دعوتهم إلى الإيمان وإلى تلاوة آياته تعالى المنزلة عليهم وفيها ما يبعث على الإيمان، كما أن فيه إثباتا بإجرامهم في حقه تعالى وحقوق أنفسهم بكون إعراضهم عن آياته تعالى وكفرهم بها كان وليد استكبارهم في أنفسهم على الإيمان بآياته تعالى والتخلي عن عقائدهم الباطلة.

فيكون القول مثبتا عليهم أنهم إنما يعذبون بإجرامهم عدلا من الله وحقا.

وذكر تعالى أيضا أنه مما يقال لهم أنه كان منهم إذا ما قيل لهم من رسلهم والمؤمنين إن وعد الله بالآخرة والحساب حق، وإن الساعة - وهي يوم القيامة - أو ساعة الحساب - حق لا شك فيه، كانوا يريدون استغرابهم لما يسمعون يقولهم إنهم لا يعلمون ما هي الساعة، ويضيفون قولهم «إن نظن إلا ظنا» بمعنى أنهم لا يترددون في قبول شيء ترددهم في قبول

الحديث عن الساعة، ولا يشكون في شيء شكهم في الساعة ويؤكدون هذا المعنى بقولهم «وما نحن بمستيقنين» بمعنى أنهم غير متيقنين من أمرها في الحال وأنهم لن يتيقنوا منها في المستقبل .

وَبَدَّاهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
وَمَا أَوْكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمُ إِلَٰهَ
هَٰؤُلَاءِ وَغَرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ الْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا لَهُمْ يُسْعَتُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو بيان لما يكون مع الكافرين في الآخرة وما يقال لهم بمناسبة مواععتهم العذاب، فيذكر تعالى أنه يظهر للكافرين قبائح أعمالهم بمعاناة العذاب عليها، وأنه يحل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به في الحياة الدنيا حين يندرون به.

ويخبر تعالى أنه يقال لهم «اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وما أوكم النار وما لكم من ناصرين» فيه تعذيب نفوسهم بإخبارهم أنهم يتركون في عذاب جهنم كأنهم بعد إلقائهم فيها ينسون فيتركون فيها لا يخرجون منها، فيكون القول مفيداً معنى خلودهم في العذاب. وفيه إعلام لهم بأن تركهم في النار إنما كان جزاء على تناسيهم أو نسيانهم يوم القيامة والحساب في دنياهم وعدم العمل له، فيكون جزاؤهم من جنس عملهم. ثم إنهم يخبرون بأنهم يعدمون ناصراً يخرجهم من العذاب أو يخفف عليهم منه شيئاً .

كما يذكر تعالى أنه يبين لهم علة تعذيبهم ونسيانهم في العذاب ببيان سبب ذلك، وهو

أنهم فى دنياهم كانوا يستهزئون بآيات الله، وأنهم اغتروا بالحياة الدنيا فعملوا لها دون العمل لأخرتهم .

ثم يخبر تعالى عن خلودهم فى النار بتصرّحه أنهم لا يخرجون منها ، كما يخبر عن انقطاع الأمل فى أن يرضى تعالى عنهم بإثباته أنهم لا يستعتبون .

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

التفسير:

لما كانت السورة قد تضمنت ذكر آياته تعالى فى الخلق التى هى من قبيل النعم التى أنعم بها على الإنسان، كما تضمنت محاسبته الكافرين بعدله ومحاسبته المؤمنين برحمته، وكان ذلك جميعه هو مما يوجب حمده تعالى وشكره، جاء قوله تعالى «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ»، ثم وصف تعالى ذاته بأنه رب السماوات والأرض رب العالمين، لبيان أنه إنما أنعم على جميع خلقه بالنعم التى توافق جنس كل منهم فى السماوات وفى الأرض وفيما بينهما، بحكم كونه الرب المتولى أمور عباده .

ثم أثبت تعالى أنه وحده الذى له الكبرياء فى السماوات والأرض، ليثبت أن استكبار الكافرين على آياته هو ظلم لأنفسهم من بعد ظلمهم ربهم صاحب الكبرياء وحده .

كما أثبت أنه وحده العزيز الذى لا يقهر، والغالب على أمره، ليبين أن تعذيبه المستكبرين كان بموجب عزته، وأثبت أنه الحكم الذى لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما لهوا ولعبا، وإنما لحكمة، وأن هذه الحكمة هى التى أوجبت تنعيم المؤمنين وعذاب الكافرين .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حم ﴿١﴾ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾

التفسير:

افتتحت السورة بقوله تعالى «حم» آية، وقوله تعالى «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» (آية) والقول هو عين ما افتتحت به سورة الجاثية، وتفسيره هو ذات ما سبق بيانه، نجتزئ منه أنه تعالى يثبت أن القرآن العظيم منزل منه تعالى، وأنه تعالى بعزته يعز دينه وكتابه وأنه بحكمته كان كلامه في القرآن العظيم هو الحكمة البالغة في كل ما تضمنه .

مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَدَّدٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا
أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾

التفسير:

ينفى تعالى - فى الآية - أن يكون شىء ما قد تلبس خلقه تعالى السماوات والأرض وما

بينهما، وما هو كائن من المخلوقات فى السماوات والأرض وفيما هو بينهما غير الحق. والمعنى أنه الحق وحده الذى شمل جميع خلقه فى الكون. ثم بين تعالى أن دوام السماوات والأرض وما بينهما هو إلى أجل مسمى عنده تعالى، هو يوم القيامة.

ثم إنه لما كان الحق مستوجبا وجود العدل، وكان العدل يوجب إثابة المحسن ومعاقبة المسيء، فقد جاء قوله تعالى «والذين كفروا عما أُنذروا معرضون» فأثبت أن الكافرين قد استحقوا العقاب جزاء على إعراضهم عما أُنذروا به من عذاب الكافرين يوم القيامة وهذا من العدل، وأثبت أنهم أُنذروا قبل أن يعذبوا، وهذا من العدل أيضا.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ تَوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ① وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ② وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ③

أولا: الأسماء :

الأثارة : فى قوله تعالى «أو أثارة من علم» هى البقية، تبقى من الشئ بعد فثائه، فتدل على سبق وجوده. وقيل إن المراد بها - فى معنى الآية - هو الخط، قيل إن النبى من الأنبياء السابقين كان يخطه، فمن وافقه خطه كان الدليل معه، وقيل إنه كان يخط على الأرض عدة خطوط، ثم تمحى على نحو معين، فإذا بقى خطان كان ذلك علامة نجاح،

وإذا بقي خط واحد كان ذلك علامة فشل. والذي نراه - والله أعلم - عدم صحة ما قيل في شأن «الخط».

ثانيا : التفسير :

يخاطب تعالى رسوله ﷺ في شأن المشركين ليثبت لهم بطلان عقيدة الشرك، يأمره تعالى أن يخاطبهم في شأن معبوداتهم التي يرونها والتي يعبدونها من دون الله تعالى وأن يطلب منهم أن يطلعوه على شيء من الأرض يدعون أنها خلقته أو خلقت ما به من كائنات، ثم إنه لما كان معلوما أن المشركين لن يطلعوه ﷺ على بقعة من الأرض يدعون أن آلهتهم خلقتها، فإنه ﷺ يسألهم عما إذا كانت آلهتهم قد شاركت الله تعالى في خلق السماوات، ويطلب منهم أن تكون إجابتهم - إذا كانت بالإيجاب - مدعمة بدليل كتابي متمثل في قول له تعالى في كتاب أنزل على رسول أو نبي قبل القرآن العظيم «من قبل هذا» أو بقية من علم انتقل إليهم من علوم الأولين، وذلك إثباتا لصدقهم، ثم إنه لما كان مستحيلا على المشركين أن يأتوا بدليل من هذين، فإنه يكون ﷺ قد أقام الحجة عليهم وأثبت بطلان عقيدتهم.

وبعد هذا يثبت تعالى أن المشركين بعبادته هم أضل خلقه، فالاستفهام في قوله تعالى «فمن أضل ممن يدعو من دون الله» هو إنكار لوجود من يساوى المشرك بالله في الضلال. اختلط ضلاله بالجهل إذ توجه بالعبادة والدعاء إلى من لا يستجيب له إلى يوم القيامة. وليس معنى هذا أنه تكون الاستجابة يوم القيامة.

إذ المراد بيانه هو أنه لا يستجاب للداعي ولا يستفيد بعبادة، إذا بقي يدعو إلى يوم القيامة ويعبد ما أشرك به من المعبودات. وذلك لأن معبودات المشركين غافلة عن فعل المشركين، فإن كانت المعبودات جمادات فهي مجردة من العلم والإحساس، وإن كانت من الملائكة والأنبياء، فهؤلاء وهؤلاء عن فعل المشركين مشغولون، فضلا عن صيانة الله تعالى أسماعهم من دعاء المشركين.

ثم يثبت تعالى أنه يوم يحشر الناس إليه في الآخرة للحساب تكون معبوداتهم أعداء لهم، إذ تبرأ المعبودات من عابديها وثبت عليهم أنهم إنما كانوا عبيد أهوائهم، كما يثبت تعالى

أن المشركين يكفرون بمعبوداتهم إذ يرون أنهم لم يفيدوهم بشيء فيقولون إنهم لم يكونوا يعبدون شيئاً، يساوون بينهم وبين العدم ..

وَإِذْ أُتِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ٧ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا
تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٨

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - في بيان إمعان الكافرين والمكذبين بالدين قى الضلال وأقوالهم التي يطعنون بها في الدين وفي رسول الله ﷺ. فيذكر تعالى أنه إذا ما تليت على المصريين على الكفر آيات القرآن العظيم، نسبها إليه تعالى، بينات بمعنى أنها واضحة في التدليل على صدقها وعلى صدق من أنزلت إليه يكون من الكافرين أنهم يقولون للحق الذي جاءهم به آيات الله المتلوة عليهم بمجرد مجيئه إياهم، - والمعنى هو: لدى تلاوة الآيات عليهم - «هذا سحر مبين» بمعنى أنهم يشيرون إلى القرآن العظيم ويخبرون عنه أنه سحر مبين.

ثم يذكر تعالى قولاً لهم أشد شناعة من سابقه هو قولهم إن رسول الله ﷺ افتراه على ربه، بمعنى أنه أتى به من عنده ثم نسبه إلى الله تعالى كذبا على الله وافتراء. فجاءت «أم» في قوله تعالى «أم يقولون افتراه» للإنكار والتوبيخ مع التعجيب. وفي شأن قولهم هذا فإنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم إنه لو كان ما يدعون من افتراءه القرآن على الله فإن عقابه على هذا يكون من الله بما يستحق، وفي هذه الحال فإنهم لا يملكون له من الله شيئاً، بمعنى أنهم لن يدفعوا عنه شيئاً من عذاب الله.

فيكون القول رداً للزعمهم الباطل، يكمله قوله ﷺ لهم أن الله تعالى أعلم بما يزيدون فيه من القدح في القرآن العظيم بوصفه بأنه سحر مرة، ووصفه بأنه كلام مفترى على الله كذباً مرة أخرى. فيكون قوله ﷺ إثباتاً لكذب طعنهم في القرآن وبياناً لعلمه تعالى بكذبهم. ثم إنه ﷺ يعلنهم بأن الذي يشهد بصدقه فيما أبلغ به هو الله جعله شهيداً بينه وبينهم، وصفه بأنه الغفور الرحيم ليفتح أمامهم باب التوبة عن الكفر والدخول في الإيمان فتغفر لهم ذنوبهم ويدخلون في رحمته تعالى.

قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا
أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَرَّمَتْ يَدُ اللَّهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مِّنْ بَنِي
إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ مِنْ وَاسْطِهِمْ نَارٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾
أولاً: الأسماء والأعلام:

١- البدع: في قوله تعالى «ما كنت بدعاً من الرسل» هو المبتدع شيئاً، وهو الأول.

٢- شاهد من بني إسرائيل: قيل هو عبد الله بن سلام، الذي شهد بأن رسول الله ﷺ مذكور في التوراة فأمن له وأسلم.

ثانياً: التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكافرين الذين قالوا في القرآن العظيم وفيه ﷺ أنه لم يأت بدعة ولم يحدث جديداً إذ دعا إلى توحيد الله، فهذا أمر جميع الرسل الذين بعثهم الله لهداية العباد، دعوا إلى توحيد الله وعدم الشرك به. ثم إنه لما كان الكافرون يطلبون منه ﷺ أن يأتي بمعجزات طلبوها وأن يخبرهم بالغيب ليثبت لهم نبوته، فإنه تعالى أمره أن يقول لهم إنه

لا يعلم ما يفعل به ولا ما يفعل بهم. وظاهر القول يفيد أن عدم العلم يتعلق بما يكون في الدنيا وما يكون في الآخرة.

وقيل إنه لما قال ﷺ هذا قال الكافرون: «كيف نتبع نبيا لا يعرف ما يفعل به ولا بنا» فنزل قوله تعالى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر»، فأصبحت عدم المعرفة متعلقة بأحوال الدنيا، بما فيها من إيذاء الكافرين إياه ﷺ، وكيفية موته. كما أمره تعالى أن يقول لهم إنه - في شأن الرسالة والدعوة - لا يعمل شيئا إلا متبعا وحى ربه، بمعنى أن كل ما يعمل وما يقول به هو من أمر الله الذي يوحى به إليه، وأن يعلمهم أنه ﷺ ليس بالإنذار مبين بمعنى أنه ينذر الذين يصرون على الكفر بغضب من الله، وأنه يوضح ويبين بالأدلة أنه رسول من رب العالمين، وأن ما ينذره هو الحق من ربه.

ومن صور إنذاره ﷺ بالقرآن أنه يقول للكافرين «أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به» والمعنى هو: «أرأيتم ما يكون عليه جزاؤكم إذا ما كان القرآن العظيم من عند الله تعالى حقا، وكان منكم الكفر به».

فيكون القول للترهيب من الاستمرار على الكفر بالقرآن. ثم يتبع ﷺ هذا القول بقوله «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم» يقيم به الدليل على صحة كون القرآن العظيم من عند الله، مستدلا على هذا بما كان من شاهد من بني إسرائيل شهد بالحق وهو أن بعثه ﷺ بالقرآن مبشر به في التوراة، فكان منه أن آمن وأسلم - قيل إنه عبد الله بن سلام - ثم كان من الكافرين استكبارهم على الحق وبقاؤهم على الكفر. ونرى - والله أعلم - أن الشهادة على مثله تشير إلى ما جاء في التوراة - على ما سبق بيانه وتفصيله - من أن الله أمر موسى عليه السلام أن يخبر بني إسرائيل أنه يبعث من إخوانهم - وهم أبناء إسماعيل - نبيا مثل موسى عليه السلام، طلب منهم إذا ما جاء أن يؤمنوا له. وقد تحققت المماثلة بين موسى عليه السلام ورسول الله ﷺ في وجوه كثيرة منها أن كلا منهما كان أبوه وأمه يتيمان إلى أصل واحد وجد أعلى واحد، وأن كلا منهما كان يعمل برعى الأغنام، وكان رجل حرب مع كونه رسولا نبيا، وكان صاحب كتاب كامل تضمن العقيدة والشريعة أو الأحكام.

وقوله تعالى «إن الله لا يهدي القوم الظالمين» يتصور فيه أن يكون قول الله تعالى، ويتصور فيه أن يكون من قول رسول الله ﷺ للكافرين، مفاده أن الذين يصرون على الكفر استكبارا على الحق الظالمين أنفسهم بذلك لا يهديهم الله إلى الإيمان ليلقوا جزاء إصرارهم على الكفر.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ
يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْ فُكُّ قَدِيمٌ ۝ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّنَذِرَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا وَبَشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - تضمن قول المصيرين على الكفر في تبرير كفرهم، كما تضمن بيان دليل على كون القرآن منزلا من الله.

فيذكر تعالى أن الكافرين قالوا للمؤمنين إنه لو كان الإسلام الذي دعا إليه محمد ﷺ خيرا - بمعنى أنه حق - ما كان السابقون إلى الإيمان به هم الضعفاء والفقراء مثل عمار، وصهيب، وبلال - وذلك لاعتقادهم أن المكرمين بالمال والجاه في الدنيا هم المكرمون عنده تعالى في الآخرة.

ثم يقول تعالى ما مفاده أنه لما كان من أمر الكافرين أنهم لم يهتدوا بالقرآن العظيم إلى الحق الموصل إلى رضا الله وجنته، فإنهم سيحاولون تبرير عدم إيمانهم به بقولهم فيه إنه هو الأكاذيب القديمة التي تداولها الأقدمون، فيكون قولهم مشابها قولهم في القرآن إنه أساطير الأولين.

وفى بيان أحقية القرآن العظيم أن يدعى الهدى ذكر تعالى أنه كان قبله كتاب موسى عليه السلام - التوراة - كان إماما يقتدى به فى شأن العقيدة والشرعية. لأن منزله هو الله، فكانت العقيدة فيه هى توحيد الله، وكانت الأحكام هى شريعة الخالق العالم بأحوال من يشرع لهم، ثم إنه كان رحمة، لأنه تعالى رحم من آمن به وعمل به، ورحم الناس بتطبيق شريعته من ظلم بعضهم بعضا.

ثم كان منه تعالى أن أشار إلى القرآن العظيم وأخبر عنه أنه مصدق. والمعنى أنه يقيد معنى أن الكتاب الكامل هو ما تضمن العقيدة والشرعية .

ولهذا كان تضمنه العقيدة والشرعية شهادة للتوراة أنها كانت كتابا كاملا، ثم إنه بشهادته للتوراة يكون قد صدق بها كتابا منزلا من الله، وأنه ينزوله على نبي من أبناء إسماعيل عليه السلام يماثل وصفه ما جاء بشأنه فى التوراة، يكون قد أثبت صدق التوراة فيما بشرت به عنه .

ثم بين تعالى حال القرآن المصدق بالتوراة فبين أنه لسان عربى، وانمعنى أنه نزل بلغة 'عرب، أو بلسان عربى.

كما بين علة ذلك وهى أن ينذر ﷺ به الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وإكون بشرى للذين يؤمنون به فيحسنون إلى أنفسهم بإيمانهم .

ونرى - والله أعلم - أنه فى الاستدلال بالتوراة وتصديق التران لها على صحة القرآن كتابا من الله تدليل لليهود على صحة القرآن العظيم، وقد يكون ذلك لدفعهم أو حثهم على الإيمان بالقرآن ولرسول الله ﷺ.

وقد يكون لأن كفار قريش كانوا يرجعون إلى اليهود ويسألونهم هل يجدون شيئا فى كتابهم عن رسول الله ﷺ.

كما نرى أن إنزال القرآن باللسان العربى إنما كان ليؤمن به العرب فى مبتدأ الأمر، ثم إنه لما كان الناس يأتون من جميع أنحاء العالم للحج، فيختلطون بأهل مكة ويتعاملون معهم،

فإن المؤمنين بالقرآن من أهل مكة والعرب يكون في مقدورهم إيلاخ من يخالطونهم من الحجيج به فينقل هؤلاء ما عرفوه عن القرآن إلى أقوامهم، فيكون الإنذار به والتبشير عاما للناس في جميع أقطار المعمورة.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا أَفَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن القرآن العظيم هو ما ينذره الذين ظلموا وأنه بشرى للمحسنين بين تعالى أن المحسنين هم الذين وحدوا الله، واستقاموا في الدين فعملوا بأوامره ونواهيه.

ثم أثبت تعالى أن هؤلاء لا خوف عليهم من عذاب الله ولا مما يكرهون وأنهم لا يحزنون، وقد يكون هذا هو البشري لهم بأن لهم الجنة التي لا يخاف أهلها شيئاً ولا يصيبهم فيها حزن. ثم يخبر تعالى أن هذا الذي يكون لهم هو جزاء أعمالهم في الدنيا التي تمثلت في الإيمان بالله وتوحيده والعمل بأوامر الدين ونواهيه والاستقامة عليه.

ويتأكد أن ما أخبر به تعالى عن مصير المؤمنين هو البشري التي حملها إليهم القرآن العظيم بإشارته تعالى شأنه إليهم والإخبار عنهم بأنهم أصحاب الجنة الذين يخلدون فيها آمنين المكاره والأحزان.

ويؤكد تعالى أن خلودهم في الجنة هو جزاءهم على ما كانوا يعملون في دنياهم من بعد الإيمان، بالاستقامة على الدين وإحسان العمل.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا
حَمْلَتْهُ أُمُّهُ وَكَرَّهَا وَوَضَعَتْهُ كُرَّهَا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي
فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلَئِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ
عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَاعَمَلُوا أَوْ تَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ
وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا بِوَعْدُونَ ﴿١٦﴾

التفسير:

الذى يدلوننا - والله أعلم - أن قوله تعالى - في الآيتين مرتبط بما سبق بيانه من أن القرآن العظيم بشرى للمحسنين. إذ يبين أن أعلى مراتب الإحسان إلى الغير هي الإحسان إلى الوالدين، ولهذا ذكر تعالى أنه أوصى الإنسان عموماً بأن يُحسن إلى والديه.

ثم ذكر تعالى بعض ما تعانيه الأم في الإنجاب والتربية، فذكر تعالى أنها تحمل وليدها كرها وتضعه كرها، والمعنى أنه يشق عليها حملها حين يثقل في بطنها كما يشق عليها وضعه أو ولادته، لما تعاني في الحالين من مشقة وألم.

ثم ذكر تعالى أن مدة الحمل والولادة والإرضاع على نحو كامل تبلغ ثلاثين شهراً إلى وقت الفصال وهو الفطام. ولما كانت أقل مدة للحمل هي ستة أشهر فإن مدة الإرضاع المثلى تكون أربعة وعشرين شهراً.

ثم يذكر تعالى أن المحسن هو الذي يكون منه إذا ما عاش إلى أن بلغ أشده وهو اكتمال عقله وبناء جسمه، ثم بلغ من العمر أربعين سنة - وهى السن التى يفترض فيها التخلص من نزق مرحلة الشباب - يكون منه الالتجاء إلى الله تعالى طالبا منه أن يحبب إليه القيام بأداء واجب الشكر لله على ما أنعم به عليه من الإيمان بالله والعمل بالصالحات، وما أنعم به على والديه من ذلك، وما أنعم به عليه وعليهما من غيره - وقيل إن النص نزل فى أبى بكر رضى الله عنه لأنه كان الوحيد بين المهاجرين الذى أسلم وأسلم والداه - كما يكون منه سؤال الله تعالى عن هدايته إلى عمل الأعمال الصالحة التى يرضى عنها ربه، وأن يصلح له فى ذريته بأن يجعل الإيمان راسخا فيهم مستمرا توافقه أعمالهم الصالحة، يعلن توبته عن ارتكاب ما يغضب ربه، مقرا بأنه من المسلمين الذين أخلصوا لله دينهم .

ثم إنه تعالى يشير إلى الذين يكون منهم ما ذكر ويخبر عنهم أنهم الذين يتقبل الله أحسن أعمالهم فيثيبهم عليها، وأنهم الذين لا يحاسبهم بما يكون منهم من سيئات، قد يكون هذا لتوبتهم وقد يكون كرمًا منه تعالى وفضلا . كما يخبر تعالى عنهم أنهم يكونون فى عداد أصحاب الجنة، وأن هذا هو الوعد الحق الذى وعدهم الله به فى القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ، ووعد به المؤمنين فى كتبه وصحفه وعلى السنة رسله من قبل .

وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أُفٍّ لَّكَ مَا
 أَتَعَدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَيْتَ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِihanَ اللَّهَ
 وَبِكَ آمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ
 وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في المسألة غاية الإساءة، بين من القول أنه الكافر الذي أنكر البعث وله والدان مؤمنان، يدعوانه للإيمان وينذرانه عذاب الآخرة فيقول لهما «أف لكما» والمعنى أنه يصدر منه ما يفيد تضجيره من فعلهما، ثم يعلنهما بكفروهما بالبعث فيستهزئ بقولهما فيه منكرا إياه بقوله «أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي» والاستهزام في قوله هو الإنكار ما توعداه به من البعث، فهو ينكر أنه يبعث من الموت، ويستدل على هذا بأن أحدا ممن مات قبله لم يشاهد حيا مبعوثا من الموت. كما يذكر تعالى أن والديه يستغيثان الله منه متهددين بالويل والثبور حاثين إياه على الإيمان بالله وبالبعث والحساب، «ويذكرك أمين»، مؤكداين له أن ما وعد به تعالى من البعث هو حق لا ريب فيه، فيكون منه تكذيبهما وقوله لهما إن قولهما في البعث هو أباطيل الأقدمين التي خلفوها وراءهم مسطورة في الكتب.

ثم إنه تعالى يشير إلى المسيئين الذين يكون ما ذكر هو حالهم ويخبر عنهم أنهم الذين حق عليهم القول من قبل - وهو قوله تعالى لإبليس «الأملا أن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» فيكونون من هؤلاء وهم أمم من الجن والإنس اتبعوا الشيطان فخسروا إيمانهم الفطري وخسروا صالح أعمالهم لا تقبل منهم في الآخرة فحق عليهم العذاب فكانوا من الخاسرين.

وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَفِيهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴿١٩﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الناس يكونون فريقين: محسنين ومسيئين، جاء قوله تعالى ليثبت أن لكل فريق من الفريقين جزاء عمله فتختلف درجات الجزاء بين إحسان وإساءة. ويتصور أن يكون القول مفيدا لاختلاف درجات المحسنين في الجنة تبعاً لعدد أعمالهم

الصالحة، واختلاف منازل المسيئين في دركات النار تبعاً لقدر أعمالهم السيئة، أثبت تعالى أن ذلك يكون أثراً لتوفية الجزاء بما يناسب الأعمال دونما ظلم لأحد، فلا ينقص من ثواب محسن ولا يزداد في عقاب مسيء .

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ
أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ
عَذَابَ أَلْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
نَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

التفسير:

يخبر تعالى - في الآية - عما يكون للكافرين يوم القيامة ، فيذكر أنهم يعرضون على النار، والمعنى أنهم يعذبون بها أو إنها تعرض عليهم، وأنه يقال لهم «أذهبتُم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها» بمعنى أنهم بكفروهم قد أذهبوا أثر ما عملوا من أعمال طيبة إذ أنهم لا يثابون بها في الآخرة لنيلهم ثوابها في الدنيا، وأنهم استمتعوا بها في دنياهم، لأن الكافر لا يستهدف من عمله الصالح رضاه ربه ولا يتغنى وجهه، وإنما يستهدف به أن يقول الناس فيه حسناً يكون له فخاوا يدعم استكباره على الناس، ويشبع غروره؛ ولذلك يكون قوله تعالى لهم «فالיום تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون» يبين لهم أن عذابهم هو العذاب المهين، ليكون في مقابل استكبارهم في الأرض بغير الحق، ويبين أنه كما كان جزاء على علوهم على الناس واستكبارهم على الحق، فإنه أيضاً جزاء على خروجهم على طاعة الله وهو فسق مبين .



وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ
النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَنَّ كُتَابَنَا وَإِنَّا لَنَجْمَعُكُمْ
تَعْدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَابْلُغْكُمْ
مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - أخو عاد: في قوله تعالى «واذكر أخا عاد» هو نبي الله هود عليه السلام، قيل إن اسمه هو هود بن عبد الله بن رباح، والمعنى أنه كان يتنسب إلى قبيلة عاد، فهو أخوهم بالنسب.

٢ - الأحقاف : جمع، مفردة «حقف» وهو تكوين رملي لا يبلغ درجة الجبل.

والمراد بها - في معنى القول - هو ديار عاد، قيل إنها كانت بمنطقة الشحر قرب عدن، وقيل بالشام، وقيل بحضرموت.

ثانياً : التفسير :

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يتذكر قصة هود عليه السلام ليهون عليه تكذيب قومه له، أو أنه تعالى أمره أن يذكرها لکفار قومه ليعتبروا بها.

وفي القصة يقول تعالى إن هوداً أنذر قومه بعذاب الله إن لم يؤمنوا له، وذلك في مساكنهم الكائنة بالأحقاف.

ثم بين تعالى أنه قد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه، ويقبل المعنى أن يكون أنه جاء

على فترة من الرسل بمعنى أنه لم يكن قبله رسل مبعوثون من فترة زمنية قريبة، كما أنه لم يبعث بعده رسل خلال فترة زمنية قصيرة، أو أنه لم يرسل إلى قومه رسل قبله ولا بعده.

ويقبل أن يكون أن الرسل مضت قبله ومضت بعده، أي أنه كان قبله رسل، كما كان بعده رسل.

ومضون دعوته التي تمثل الإنذار ببيان معاقبة الله على عدم قبولها والعمل بها هي توحيد الله تعالى «ألا تعبدوا إلا الله» إذ نهى عليه السلام عن عبادة غير الله.

أعقبها بيان حرصه عليهم وخوفه أن يصيبهم بكفرهم دعوته عذاب يوم القيامة، وصفه بأنه يوم عظيم.

ثم يذكر تعالى أن قومه رفضوا دعوته، فقالوا له «أجئتنا لنأفكننا عن آلهتنا» جاء الاستفهام لتوبيخه على دعوته إياهم إلى التوحيد، وصفوها بأنها دعوة لصرفهم عن عبادة آلهتهم.

ثم أظهروا استخفافهم بما أنذروهم به وتكذيبهم له بتحديه أن يأتيهم بالعذاب الذي توعدهم به ليثبت لهم صدقه.

ويذكر تعالى أن هودا عليه السلام قال لهم إن الذي يعلم متى يكون عذابه تعالى بهم هو الله، فهو لا يعلم عنه شيئاً، إذ أنه عليه السلام لا يفعل شيئاً سوى إبلاغهم ما أرسل به من ربه.

يتبع قوله هذا بإبلاغهم رأيهم فيه وهو أنهم قوم يجهلون أين تكون مصلحتهم، وذلك فإنهم لا يؤمنون، ويجهلون حدود قدرة الرسل، ولهذا يطلبون منهم ما ليس لهم ولا في مقدورهم.



فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا
 مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ
 رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٤ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى
 إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ٢٥ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا
 إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَوْفَدَةٌ فَآخِزٌ
 عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا آفِدَةٌ لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا
 يَحْكُمُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٢٦

أولاً : الأسماء :

العارض : في قوله تعالى « فلما رأوه عارضا » هو السحاب الذي يعرض في أفق السماء .

ثانياً : التفسير :

المستفاد من القول هو أن العذاب الذي توعدهم به هود عليه السلام قد أتى القوم ، فالضمير المتصل في « رأوه » يعود إلى « ما » في « بما تعدنا » أي العذاب . ومعنى القول هو أن القوم لما رأوا العذاب سحابا عارضا في أفق السماء متجها ناحية أوديتهم ، أشاروا إليه وأخبروا عنه أنه سحاب ممطر لهم « هذا عارض ممطرنا » . ثم يذكر تعالى أنه قيل لهم - ويتصور أن القائل هو هود عليه السلام - « بل هو ما استعجلتم به » بمعنى : بل هو العذاب الذي استعجلتم نزوله بكم . ثم جاء بيانه بأنه ريح فيها عذاب أليم ، يكون من شأنها أنها تهلك كل شيء من الأنفس والأموال على النحو الذي أمرها به ربها .

وقوله تعالى «فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم» مفاده أن الريح دهمتهم فأهلكتهم هلاك إبادة فأصبح الرائي لا يرى إلا مساكنهم خالية من ساكنيها. أتبعه تعالى بقوله «كذلك نجزي القوم المجرمين» بمعنى أنه على هذا التحويجازى تعالى مكذبي رسلة، فيكون القول تهديدا لمكذبي رسوله ﷺ بالعذاب إذا ما أصروا على الكفر تكذيبا له ﷺ.

ثم كان منه تعالى التوجه بالخطاب إلى كفار مكة فقال لهم «ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه» ويقبل المعنى أن يكون «ولقد مكناهم مثل ما مكناكم فيه من أسباب القوة» ويقبل أن يكون «ولقد مكناهم ما إن كنا قد مكناكم فيه لكان بغيكم أعظم» فيكون المعنى أنه تعالى مكن قوم عاد في أسباب القوة بأكثر مما مكن أهل مكة فيها.

ثم ذكر تعالى أنه أنعم عليهم بالسمع والأبصار والأفدة فلم تقدمهم شيئا، فهم لم يستعملوا سمعهم في سماع آيات الله المتلوة عليهم ودعوة نبيهم، ولم يستعملوا أبصارهم في النظر إلى آيات الله في خلقه والاعتبار بها، ولم يفتحوا قلوبهم للإيمان، ولذلك فإنهم لم يفيدوا من هذه النعم ما ينفعهم، وبيان ذلك أن ظرف عدم الإغناء هو جحدهم بآيات الله ينكرونها ولا يؤمنون بها. فكان عاقبة أمرهم أن أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلون نزوله بهم استهزاء به وبمن توعدهم به.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير :

يوصل تعالى - في الآيتين - مخاطبته أهل مكة فيقول لهم إنه تعالى أهلك ما حولهم من قرى المكذبين رسلهم مثل «الججر» التي سكنتها ثمود، ومثل قرى قوم صالح، ويخبرهم أنه

كرر آياته في إهلاك المكذبين لعل الناس ترجع عن تكذيب الرسل وعن العصيان إلى الإيمان والطاعة.

ثم إنه تعالى بين لهم أن الأصنام التي عبدوها من دونه تعالى لن تنفعهم ببيانهم أن آلهة المهلكين التي عبدوها من دونه تعالى أو اتخذوها لتقريبهم إلى الله زلفى لم تنصرهم من دونه ولم تمنع عنهم عذابه. فمعنى قوله تعالى «فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة» هو «فهلّا منعهم من الهلاك ما اتخذوا من دون الله آلهة تقربهم إليه تعالى». فيكون القول مشيراً إلى أن معبودات مشركى مكة لن تمنعهم من عذاب الله الذى يشاء بهم. ثم يخبر تعالى أن معبودات المهلكين قد ضلت عن عبادتها، أى غابوا عنهم وضاعوا. ثم بين أن ضلال معبوداتهم ليس سوى أثر انصرافهم عن الحق إلى الباطل، وجزاء افتراءهم على الله الكذب.

وَإِذْ صَرَفْنَا
إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا
فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا
كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ
وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمُ
مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْعَلْكُمْ مِّنَ الْبَارِعِينَ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ
بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

التفسير :

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، والمراد من الخطاب هو حث أهل مكة على الإيمان بالقرآن العظيم ولرسول الله ﷺ ببيان أن من الجن الذين هم جنس غير جنس الإنسان من آمن بالقرآن العظيم حين استمع إليه منصتا .

فيذكر تعالى لرسوله أنه وجه إليه نفر من الجن بمعنى عصبة أو رھط يستمعون القرآن. وقيل في هذا إنه لما مُنعت الجن من الاستماع إلى خبر السماء أرسلت الجموع منهم تضرب في أنحاء الأرض لمعرفة سبب الحيلولة بينهم وبين خبر السماء فانصرف رھط منهم إلى تهامة، وكان رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه الفجر بجهة (نخلة) في طريق عكاظ فاستمع إليه هذا الرھط من الجن يقرأ القرآن في صلاته، فقالوا: «هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء». ويذكر تعالى أن هؤلاء النفر من الجن لما حضروا القرآن عند تلاوته، أولما حضروا رسول الله ﷺ يتلو القرآن، قال بعضهم لبعض: أنصتوا، فكان منهم الاستماع مع استحضار الذهن، ثم إنه لما فرغ ﷺ من تلاوته توجه هذا النفر من الجن إلى قومهم متوتين إنذارهم لدى وصولهم إليهم.

ثم يذكر تعالى أنه لدى وصول أفراد هذا الرھط من الجن إلى قومهم قالوا لهم - بعد أن نادوهم قائلين: «يا قومنا» - إنهم سمعوا كتابا أنزل من بعد كتاب موسى، ذكروا كتاب موسى لأنه عقيدة وشريعة، وليس الإنجيل كذلك إذ لم يتضمن سوى تصحيح العقيدة، ولأن التوراة هي الكتاب المشترك بين اليهود والنصارى، ووصفوه بأنه لما بين يديه، بمعنى أنه يصدق بالتوراة كتابا منزلا من الله، وأنه نزل كما ذكر بالتوراة أنه ينزل على نبي من أبناء إسماعيل، فكان نزوله تصديقا لما أخبرت به التوراة. كما وصفوه بأنه يهدي إلى الحق وهو عقيدة التوحيد وإلى طريق مستقيم هو الإسلام الموصل إلى رضا الله وجته .

كما يذكر تعالى أن هؤلاء النفر من الجن نادوا قومهم وطلبوا منهم أن يجيبوا داعي الله، أي الداعي إلى الله، يتصور أن يكون هو القرآن العظيم، ويتصور أن يكون هو رسول الله ﷺ وطلبوا منهم أن يؤمنوا بالقرآن أو لرسول الله، وبينوا لهم أنه يكون لهم بإيمانهم مغفرة شيء من

ذنوبهم - وهى الذنوب المتعلقة بالخطأ فى حقوق الله دون حقوق العباد - كما يكون لهم الإجارة من عذاب أليم، والقول يفيد أن الجن مكلفون .

كذلك فإنه تعالى بين أن هؤلاء النفر من الجن قد أُنذروا قومهم بالعذاب لا يملكون منه خلاصاً ولا هروباً، إذا هم لم يؤمنوا للداعى الله . إذ قالوا لهم إن من لا يستجيب لدعوة الداعى إلى الله، وهو القرآن العظيم أو رسول الله ﷺ فإنه لن يعجز الله هروباً فى الأرض، بمعنى أنه لن يتمكن من الفرار من عذاب الله إلى أى بقعة فى الأرض، وأنه لا يكون له من يتولاه من دون الله، كما أنهم قالوا لهم إن من لا يجيب داعى الله يكون فى ضلال ظاهر واضح، بعيداً عن الحق .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ
بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

التفسير :

القول له تعالى، والخطاب إلى رسول الله ﷺ، والقول فى شأن منكرى البعث من الكافرين . جاء الاستفهام للإنكار، فهو تعالى ينكر على منكرى البعث أنهم لم يروا ويعقلوا قدرته تعالى التى تجلت فى خلقه السماوات والأرض دون أن يناله تعب من خلقهن، وأنها تدل على قدرته على إحياء الموتى ويعتصم للحساب لكونه أهون من خلق السماوات والأرض . وقد تكفل تعالى بالرد على الاستفهام «أولم يروا» فقال «بلى إنه على كل شيء قدير» والقول تقرير لقدرته تعالى على إحياء الموتى، وعلى كل شيء، جاء بمثابة الدليل لإثبات المعنى المراد إيصاله إلى الأفهام .

وَلَيَوْمٍ
يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِأَلْحَقٍ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٧﴾

التفسير :

مفاد قوله تعالى - فى الآية - أنه فى اليوم الذى يعرض فيه الكافرون على النار، يقال لهم - عن العذاب الذى يعرض عليهم والذى كانوا ينكرون وقوعه بهم فى دنياهم - «أليس هذا بالحق». فيقولون «بلى وربنا» يقرون أنه حق، معتقدين أن اعترافهم يفيدهم بشيء، فيقال لهم ما يعرفون منه أن اعترافهم لا ينجيهم «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» يؤمرون بتذوق العذاب، والمعنى أنهم يلقون فيه، وأنهم يخبرون أن عذابهم إنما كان بسبب استمرارهم على الكفر فى دنياهم.

فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ

مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْجُلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا
إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَعَل بُرْهَانُكَ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

أولو العزم من الرسل : قيل هم الثمانية عشر رسولا المذكورون فى سورة الأنعام لقوله تعالى لرسوله ﷺ «فيهذا هم اقتده»، وقيل هم تسعة : نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وموسى، وداود، وعيسى عليهم السلام، وقيل غير ذلك .

ثانياً : التفسير :

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ . فبعد أن بين تعالى مصير الكافرين فى الآخرة، الذى علم به رسوله، كان منه أمره - وقد علم مصيرهم - أن يصبر على أذاهم وعلى تكذيبهم، وأن يصبر على الدعوة والتبليغ بالوحي، كما فعل ذلك أولو العزم من الرسل . وكان منه تعالى نهيه عن استعجال عذابهم والدعاء عليهم بإحلال العذاب بهم .

ثم إنه تعالى يذكر لرسوله ﷺ المزيد من حال الكافرين السوء يوم القيامة حتا له على الصبر على أذاهم وعدم استعجال عذابهم، فيخبره أنهم يوم يرون العذاب الذي توعدوا به يشعرون من شدته التي يشاهدونها ومعرفتهم دوامه أنهم لم يمكنوا في الدنيا غير فترة قصيرة غاية القصرفى عمر الزمن «لم يلبثوا إلا ساعة» .

ثم يخبر تعالى عما قال، أو بلغ به رسوله ﷺ، أو عن القرآن العظيم بأنه بلاغ، والمعنى أنه تبليغ. ويدعم القول بأن المخبر عنه هو القرآن العظيم قوله تعالى «هذا بلاغ للناس ولينذروا به». ويجيء قوله تعالى «فهل يهلك إلا القوم الفاسقون» بيانا بتعيين الهالكين بالعذاب بأنهم الذين خرجوا عن طاعة الله تعالى وأمره .



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة محمد ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۝

أولاً: الأسماء والأعلام :

١ - الذين كفروا وصدوا : قيل إنهم أبو جهل، وصفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، ومقيس الجمحي، والحارث بن عمرو، وأبو البختري. وهم الذين ذبحوا وأطعموا يوم بدر الكبرى. صدوا عن الدين بأموالهم وأنفسهم .

٢ - الذين آمنوا وعملوا الصالحات : قيل إن المراد بهم - في معنى الآية - هم الأنصار أهل المدينة، وقيل هم أناس من قريش .

٣ - البال : في قوله تعالى «وأصلح بهم» هو حال المرء التي يبالى بها ويكثرث، وهو الخاطر القلبي .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيات - إجمال لحال الكافرين برسول الله ﷺ وحال المؤمنين له، وعلة كفر الكافرين، وإيمان المؤمنين. فأخبر تعالى عن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بأنه تعالى أضل أعمالهم. وهؤلاء هم الذين كفروا بمعنى استمروا على كفرهم فلم يؤمنوا برسول الله ﷺ، كما أنهم صدوا الناس عن الإيمان له ﷺ وعن الإسلام الذي هو طريق سبيل الله المستقيم الموصل إلى رضائه وجنته، وقيل هم الذين منعوا المسلمين عن بيت الله .

والمخير عنهم هو أن الله تعالى أحبط أعمالهم وأبطلها، والمعنى أنه تعالى أبطل أعمالهم المطلوبة على الكيد لدينه تعالى ولرسوله ﷺ فلم تنجح ولم تؤت ثمرتها المطلوبة من جانبهم، كما أنه تعالى أبطل أعمالهم الصالحة مثل صلة الرحم، وقرى الضيف وفك أسار الأسرى فلم ينفعهم عليها .

ثم أخبر تعالى عن الذين آمنوا برسول الله ﷺ وأسلموا، وقرنوا إيمانهم بعمل الصالحات. خص الإيمان بما أنزل على رسول الله ﷺ مذكوراً باسمه لتشريف رسول الله، وبياناً لأن الإيمان يكون بالقرآن كتاباً منزلاً منه تعالى وبمحمد ﷺ نبياً رسولاً .

وجاء قوله تعالى «وهو الحق من ربهم» فى شكل جملة اعتراضية تصحح بما فهم ضمنا من القول، وهو أن القرآن العظيم هو الحق بما فيه، وأنه منزل من الله تعالى، وصف ذاته بأنه رب المؤمنين ليبين أنه راعيهم والمتولى أمورهم.

والمخبر عنه أنه تعالى أزال إيمانهم ما ارتكبوا من سيئات قبل إيمانهم. أو أنه تعالى لا يؤاخذهم بها. كما أنه أصلح أحوالهم فى شئون دينهم ودنياهم التى تشغلهم.

ثم إنه تعالى بين أن ما يكون منه مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومع الذين كفروا إنما كان ترتيبا على أفعال كل منهما واختياراته، فأشار تعالى إلى هذا الذى قدره لكل منهما باسم الإشارة «ذلك» ثم بين أن سبب إضلاله أعمال الكافرين هو أنهم اتبعوا الباطل، وأن سبب تكفيره تعالى عن المؤمنين سيئاتهم، وإصلاحه بهم هو اتباعهم القرآن العظيم الذى هو الحق من ربهم.

ثم أتبع تعالى هذا بذكره أن تمثيله أفعال الفريقين وما يكون لكل منهما على النحو المذكور، هو مما جرى عليه فعله تعالى لأجل تقريب المعانى للناس ليكون بهذا فهم المراد، فهو لصالحهم، ومنه معرفتهم الفرق بين أحوال الكافرين وأحوال المؤمنين، ليكون من ذوى العقول الإيمان وعمل الصالحات تتحقق مصلحتهم، ويعمهم به الخير.

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ
حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخِضُوا مُهْرًا فُشِدُوا وَالْوُنَاقُ فَإِمَّا مَنَابِعِدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنْتَصِرْنَهُمْ وَلَٰكِن
لِّيُبْلِيَ أِبْغَاصَكُمْ بِبَعْضِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ
أَعْمَالَهُمْ ۖ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۖ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝

أولاً: الأسماء :

الأوزار: جمع، مقرده «الوزر» وهو الإثم. والمراد بها - فى معنى الآية - قد يكون آثام الكافرين وهى شركهم ومعاصيهم، وقد يكون هو آلات الحرب وأثقالها من السلاح والعدد .

ثانياً: التفسير :

جاء المأمور به فى الآية الأولى من الآيات الثلاث مرتباً على حال الكافرين التى بينها تعالى وحال المؤمنين. فكان أمره تعالى المؤمنين بأنهم إذا مالقوا الكافرين فى الحرب يكون منهم قصد إصابة رقابهم بسيوفهم ورماحهم لتطير رؤوسهم. فإذا ما أمعنوا فى قتلهم إلى الدرجة التى منعتهم من مواصلة القتال فحمدوا عنه «حتى إذا أنخثتموهم» وتمكنوا من أخذ من لم يقتل منهم، يكون منهم أسرهم وتقييدهم بالقيود، ثم يكون منهم بعد ذلك التصرف فى أمورهم بالمن عليهم بإطلاق سراحهم بغير مقابل أو بقبول الفدية فيهم. يكون ذلك إلى أن تنتهى الحرب.

جاء التعبير عن هذا بوضع الحرب أوزارها، بمعنى أن يضع المتحاربون عنهم أسلحة الحرب وعُددها، أو بمعنى أن يضع الكافرون عنهم كفرهم ومعاصيهم. ثم أكد تعالى وجوب التزام المؤمنين أمره هذا بقوله «ذلك» أى أن الأمر هو ذلك، ثم أتبعه ببيان أنه لو شاء غير الحرب بين المؤمنين والكافرين لكان قد فعل ذلك، لكنه أراد أن تكون الحرب بين المؤمنين والكافرين ليلبوا المؤمنين بالكافرين، يجاهدوهم ويقاتلونهم فيثابوا بجهادهم، ويتلى الكافرون بالمؤمنين يقتلون منهم من يقتلون ويأسرون من يأسرون، ثم يكون من بعضهم أنهم يتعظون بما يرون فيؤمنوا .

ثم إنه تعالى أخبر عن الذين يقتلون فى سبيل الله - وهم الشهداء - بأنه لن يضل أعمالهم، بمعنى أنه سيجازيهم خيراً بجهادهم ويستشهدهم .

ثم بين تعالى كيفية عدم إضلال أعمالهم فيذكر أنه سيهديهم، والمعنى أنه سيوصلهم إلى نيل جزاء ثواب أعمالهم ثواباً منه تعالى، ويصلح بالهم، بمعنى أنه سيصلح شئونهم فى

أخراهم ، كما يخبر أنه سيدخلهم الجنة التي عرفها لهم في الدنيا فسعوا إليها، ويعرفها لهم في الآخرة فيدخلونها على علم بما فيها وبمواقع منازلهم فيها حتى لكأنهم ساكنوها منذ أن خلقوا .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصْرُ وَاللَّهِ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ٨ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ٩

التفسير

حث تعالى المؤمنين على القتال ابتغاء وجهه تعالى وقصد نصر دينه ورسوله ﷺ، جاء التعبير عن هذا بأنه نصر الله لأنه الذي أرسل رسوله ﷺ يدعو إلى دينه الذي ارتضى لعباده. جاء التعبير عن هذا في جملة شرطية فعل الشرط فيها هو نصر المؤمنين دين الله تعالى ورسوله، وجوابه هو وعده تعالى إياهم أن ينصرهم على عدوهم وأن يثبت أقدامهم في مواقع الحرب، وأن يقويهم ويوقفهم إلى الدوام على الإيمان والطاعة .

ثم قال في شأن أعدائهم الكافرين «فتعسا لهم» والمعنى أنه لا تقوم لهم قائمة والمعنى اللفظي للقول هو أنه تكون التعاسة ويكون الهلاك والسقوط لهم، كما أثبت أنه تعالى أضل أعمالهم والمعنى أنه يذهب كيدهم بالمؤمنين ويضيع عليهم ثواب أعمالهم الصالحة فلا يشبههم بها في الآخرة .

ثم يبين تعالى سبب ما قدره بالكافرين فيذكر أنه كرههم القرآن العظيم الذي أنزله تعالى على رسوله ﷺ، وكرهوا ما فيه من توحيد الله تعالى ومن أحكام تنظم المعاملات بينهم، فكان منه تعالى أن ضيع عليهم ثواب أعمالهم التي لو كانوا قد عملوها مؤمنين بالله لكانوا قد أتيوا بها .

هَاتِفُمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَقِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ
أَمْثَلُهُمْ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۝

التفسير:

يبين تعالى ضلال الكافرين الذين كذبوا برسول الله ﷺ وكرهوا القرآن العظيم ببيان أنهم - وقد شاهدوا آثار المهلكين الذين كذبوا رسلهم - لم يعتبروا بهذا فلاستغاثهم في قوله تعالى «هَاتِفُمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا» جاء لتقرير واقع أن الكافرين ساروا في الأرض ونظروا وشاهدوا، كما جاء لينكر عليهم عدم النظر نظر اعتبار وتدبر واتعاظ. والذي نظروه يعيرونهم ولم ينظروه بقلوبهم وعقولهم هو تدميره تعالى المكنين رسلهم الذين سقوهم، يهلك نفوسهم وأهليهم وأموالهم.

جاء التعميز عن هذا بأنه التدمير عليهم ليكون أبلغ في التدليل على الإهلاك التام بتشبيه سببه بأنه شيء نزل على المهلكين من فوقهم فغطاهم.

ثم توعد تعالى كفار مكة مكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذاب يماثل عذاب المهلكين، قد يكون المراد به هو قتلهم وأسرهم بأيدي الذين كانوا يستضعفونهم ويستخفون بهم.

ثم بين تعالى سبب نصره المؤمنين على الكافرين وتثيته إياهم وإدخالهم الجنة في الآخرة، وسبب دحره الكافرين وتعذيبهم، فبين أنه تعالى المتولى أمور عباده المؤمنين ورعايهم فهو ناصرهم ومشيهم، وأن الكافرين قد عدموا من يتولى أمرهم عن قدرة؛ ولذلك لم يكن لهم ناصر ينصرهم على المؤمنين ولا دافع أو مدافع يدفع عنهم عذاب الله الذي قدره لهم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَايَا كُلِّ لُؤْلُؤٍ
 الْأَنْعَامِ وَالنَّارِ مَثْوًى لَهُمْ ۝

التفسير:

أوجز تعالى - في الآية - حال كل من المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، فذكر أنه في
 الآخرة يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، فيكون القول
 مشيراً إلى أن حالهم في الدنيا كان الإيمان والعمل بالطاعات واجتناب المعاصي ثم ذكر أن
 الكافرين يتمتعون في دنياهم بمتع الحياة الدنيا الفانية، يأكلون بغير تفكير ولا تدبر فيمن
 رزقهم ما يأكلون ومكتهم من أن يأكلوا ويخرجوا فضلات ما يأكلون، فيكون شأنهم شأن
 الأنعام تأكل بالغريزة دون تفكير. ثم قال تعالى إنه في الآخرة تكون النار مثوى لهم، بمعنى
 أنها تكون محل إقامتهم الدائم.

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً
 مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو للتسرية عن رسول الله ﷺ الذي خرج من مكة مهاجراً مع جبه
 لها. بيان أنه تعالى معذب الكافرين الذين ناصبوه العداء فاضطر إلى الهجرة بعد أن أذن له
 ربه.

جاءت «كأين» في مبتدأ القول بمعنى «كم الخيرية» للتدليل على الكثرة فيكون مفاد القول أنه كانت هناك قرى كثيرة، وهب الله أهلها من أسباب القوة ما يزيد على ما أعطى أهل قريته ﷺ - المخاطب بالقول - ثم كان منه تعالى أنه أهلكهم لما كفروا برسولهم، فلم يجدوا ناصرا لهم يدفع عنهم عذاب الله. فيكون القول متضمنا طمأنة رسول الله ﷺ إلى أنه تعالى سيقوم له ممن آذوه فاضطر إلى الهجرة .

أَفَمَنْ كَانَ
عَلَىٰ يَمِينَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ ﴿١٤﴾

أولا : الأسماء :

من كان على يمينه من ربه: في قوله تعالى «أفمن كان على يمينه من ربه» قيل إن المراد به هو رسول الله ﷺ والمؤمنين. والتعبير عام يشمل كل من اهتدى بهدى ربه فأمن وعمل بإيمانه.

ثانيا : التفسير :

جاء قوله تعالى - في الآية - بمثابة تعليل لتباين حال كل من المؤمنين والكافرين والعلة هي عدم تساوى أفعال كل من الفريقين مع أفعال الفريق الآخر، واختلافها عنها اختلافا كبيرا.

فلاستفهام في قوله تعالى «أفمن كان على يمينه من ربه» مقروء مع «كاف التشبيه» في قوله تعالى «كم زين له سوء عمله» هو إنكار التشابه. والمعنى هو إنكار أن يكون هناك تشابه بين حال الذى اهتدى إلى الحق فأمن به على علم من ربه وبين حال من زين له نفسه وزينت له شياطين الإنس والجن الأعمال السيئة فاقتربها متبعا هوى نفسه.

إذ يكون المستفاد عقلا هو ضرورة اختلاف حساب الأولين ومصيرهم عن حساب الآخرين ومصيرهم .

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ
مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ
مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ
كَمْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝١٥

أولاً: الأسماء:

الآسن: في قوله تعالى «من ماء غير آسن» هو ما تغير طعمه وريحه بسبب طول المكث، أو ما يكون به من الطحالب وأنواع البكتريا التي تعيش في الماء الراكد.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في بيان مزيد من الفروق بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين في الآخرة. بدأ تعالى القول بوصفه الجنة التي وعد تعالى المتقين على السنة رسله وفي كتبه عن طريق المثال - وذلك لتعذر تصورهما على البشر في دنياهن - فقال تعالى إن فيها أنهاراً من ماء عذب فرات لا يصبیه شيء مما يصبیب ماء الدنيا یؤدی إلى تغير طعمه وریحه، وفيها أنهار من لبن لا يتغير طعمه، فلا يحمض ولا يقرص مثل ما يعترى الألبان في الدنيا إذا ما تركت لم تشرب ولم تستعمل في طعام. وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين.

والمعنى أنه ليس لها المذاق المكروه الذي هو لخمير الدنيا، وليس لها رائحتها كما أنها لا تغيب العقول ولا تسكر كفعال الخمر في الدنيا، فلا يكون من شربها إلا التلذذ بطعمها. وفيها أنهار من عسل مصفى يخلو مما يخالطه.

ثم قال تعالى إنه يكون للمتقين الذين يدخلون الجنة فيها من جميع أنواع الثمرات ما يشتهون، وأنه تكون لهم مغفرة من ربهم. والمعلوم أن المغفرة تكون لهم قبل دخولهم الجنة،

ولهذا فإنه قد يكون المراد بالمغفرة التي تكون لهم في الجنة هي ستر معايهم التي كانت فيهم في الدنيا لئلا ينغص عليهم سعادتهم في الجنة ذكرها أو تذكرها من أقرانهم .

ثم يبين تعالى اختلاف حال المتقين عن حال الكافرين بقوله تعالى «كمن هو خالد في النار» والعبارة خبر لمبتدأ محذوف تقديره «أمن هو خالد في هذه الجنة» فيكون المعنى هو «أمن هو خالد في هذه الجنة التي وعد المتقون، كمن هو خالد في النار» . والاستفهام هو لإنكار التماثل، ثم إنه تعالى ذكر أن الخالدين في النار يسقون ماء حارا يقطع أمعاءهم، ليكون هذا مقابلا ما ذكر من أنهار ينعم المتقون بالشرب منها في الجنة .

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا
أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾

التفسير :

قوله تعالى - في الآية - هو في المنافقين، جاءت «من» في قوله تعالى «ومنهم من يستمع إليك» لبيان أنهم في حقيقة أمرهم أو بما هو في قلوبهم كافرون . وفي القول يذكر تعالى أنهم يحضرون مجلس رسول الله ﷺ - المخاطب بالقول - ويستمعون إليه يتلو القرآن وينذره ويبين للناس أمور دينهم، وأنهم ما أن يخرجوا من عنده ﷺ إلا ويكون منهم أن يقولوا لأولى العلم من الصحابة: «ماذا قال أنفا» والاستفهام في قولهم هو للاستخفاف بما قال رسول الله ﷺ كأنه لا يوافق العقل، بمعنى: «ما هذا القول الذي قاله قبيل الآن» .

يشير تعالى إلى هؤلاء المنافقين ويخبر عنهم بأنهم الذين طبع الله على قلوبهم فلا يكون منها قبول الحق، وأنهم الذين اتبعوا أهواءهم فصدت عنهم عن اتباع ما سمعوا من الحق .

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآسَاءُ تَقُولُ لَهُمْ ۝١٧

التفسير :

بعد حديثه تعالى في الكافرين، وفي المنافقين جاء قوله تعالى في الآية عودا للحديث في المؤمنين، وصفهم بأنهم الذين اهتدوا، بمعنى أنهم اهتدوا إلى الحق بإذنه، فأخبر أنه تعالى زادهم هدى، بإلهامهم إلى ما فيه مرضاته وتوفيقهم إلى العمل الصالح، كما أخبر أنه تعالى آتاهم تقواهم بمعنى أنه قواهم على أنفسهم وشهواتهم فأعانهم على أن يتقوا غضبه عليهم يكون بالفعل بالمعاصي. ووسائل ذلك كثيرة يعرفها الذين أخلصوا دينهم، قد يكون منها سماعهم قولاً له تعالى أو حديثاً لرسول الله ﷺ يتردد في أسماعهم أو في قلوبهم فيصرفهم عما دعاهم إليه ضعفهم البشري أو ما زيته لهم شياطين الإنس والجن .

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنذَرْتُ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ۝١٨

التفسير :

قوله تعالى - في الآية - هو للتعجب من أمر الكافرين الذين يرجئون إيمانهم ويؤخرونه حتى لكانهم ينتظرون مجيء يوم القيامة ليؤمنوا حين لا ينفعهم إيمانهم، بين تعالى أنها تجيء بغتة فتفجأ الكافرين، كما بين جهل الكافرين ببيان أنهم كأنهم ينتظرون أن تفجأهم ليعلموا إيمانهم حين أن مجيئها فجأة معناه أنه لا يكون وقت للإيمان.

ثم يذكر تعالى أن أشراط الساعة - وهي علاماتها وأمارتها - قد جاءت بالفعل وذلك لكونه ﷺ آخر الأنبياء فيكون بعثه من أشراط الساعة وعلاماتها.

ثم يجيء قوله تعالى «فَأَنِّي لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ» مبينا أنه لا تكون للكافرين نجاة إذا ما تذكروا وآمنوا متى جاءتهم الساعة. فمعنى القول هو: كيف تكون لهم نجاة إذا ما جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة .

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ
لذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

التفسير :

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ يقول له ربه «فاعلم أنه لا إله إلا الله» يعلمه تعالى أن الذى أعلمه أن لا إله إلا الله هو ربه، أو أنه يأمره أن يقول كلمة التوحيد، ثم يأمره أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات يكون استغفاره ﷺ لنفسه باستغفار الله أن يقع منه ذنب أو ليعصمه من الذنوب، ويكون استغفاره للمؤمنين والمؤمنات، بطلب المغفرة لهم من الله فى الدنيا، وبالشفاعة فيهم فى يوم الحساب.

ثم أخبر تعالى عن إحاطته بأحوال الناس جميعا بإثباته علمه بمتقلبهم فى الحياة الدنيا، ومثواهم فى الدنيا والآخرة. وفى عبارة النص خاطب تعالى الناس بالقول ليكون اعتبارهم به ومحاسبتهم أنفسهم قبل أن يحاسبهم الله فى الدنيا والآخرة .

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ
وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ
الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴿٢٠﴾

التفسير :

قوله تعالى - في الآية - هو في بيان الفرق بين المؤمنين الذين صدقوا في إيمانهم وبين المنافقين فيما يتعلق بأمر القتال في سبيل الله. فيذكر تعالى أن المؤمنين الصادقين يتمنون أن تنزل سورة من سور القرآن تأمر بقتال المشركين، فهم يقولون «لولا أنزلت سورة» بمعنى هلا أنزلت سورة، ثم يذكر تعالى أن الذين ضعف إيمانهم أو المنافقين يكون منهم إذا ما أنزلت سورة محكمة بمعنى أنها لم تنسخ أحكامها أو إنها ثابتة الدلالة في الأمر بالقتال، يكون منهم أنهم ينظرون إلى رسول الله ﷺ نظراً المغشى عليه من الموت، وأنه يرى منهم ذلك، إذ يرى أبصارهم تشخص ربعا وهلعا فتكون نظرتهم مثل نظرة المحتضر.

ثم إنه تعالى يتهدد هؤلاء بتعذيبهم ونفاقهم على ما يبين من قوله تعالى «فأولى لهم» بمعنى فالويل لهم. ويكون للقول معنى آخر إذا ما قرئ متصلاً بما في الآية التالية، على ما سيأتي ذكره.

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾

التفسير :

قوله تعالى «طاعة وقول معروف» هو جملة خبرية من مبتدأ وخبر، حذف أحد جزئيهما، فإن كان المحذوف هو المبتدأ كان تقديره هو «الأمر» أو «أمرهم» فيكون مفاد الجملة هو «الأمر، أو أمرهم طاعة معروفة»، وإن كان المحذوف هو الخبر، كان المعنى مرتبطاً بقوله تعالى في الآية السابقة «فأولى لهم» فيكون المعنى هو أن الطاعة وقول المعروف أولى بهم وخير لهم.

ثم يقول تعالى إنه لو وجد الجد «إذا عزم الأمر» بمعنى إذا عزم أصحاب الأمر على قتال المشركين، فإنه لو صدق القائلون الله تعالى قولهم إنهم راغبون في قتال المشركين لكان

صدقهم هذا خيرا لهم من مخادعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۖ ﴿٢٢﴾

التفسير :

الخطاب - فى الآية - للمنافقين والذين ضعف إيمانهم، والاستغهام هو للتويخ والتفريع . والمذكور فى القول هو بيان أنهم من أهل الدنيا المتكاليين على ملذاتها ولذلك فإنهم يشترونها بالآخرة ومن ذلك جنبهم عن الجهاد مع المؤمنين ولو من قبيل المراعاة خوفا من الموت . فيذكر تعالى أنهم إذا فرض جدلا أنهم تولوا أمور الناس وأمور الحكم لكان منهم الإفساد فى الأرض، وذلك بغصب أموال الناس المحكومين ويتقاتل بعضهم مع بعض على السلطة، كما يكون منهم قطع الأرحام حرصا على كسب الأموال حتى من ذوى قرباهم . وقد يكون فى القول إشارة إلى ما كان منهم من عدم إعانة المسلمين - ومنهم أقارب لهم وذوؤ أرحام - على الكافرين ، خوفا على أنفسهم، وطلبيا للدنيا .

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۖ ﴿٢٣﴾

التفسير :

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان خاتمة أمر المنافقين ، جاء الخطاب إلى المؤمنين لبيان تفاهة قيمة المنافقين وقدرهم .

وفى القول أشار تعالى إلى المنافقين، وأخبر عنهم أنهم الذين لعنهم الله، بمعنى أنه طردهم من رحمته، وبين أن ذلك كان ما قدره من قبل فى شأنهم لعلهم السابق أنهم يكذبون على الله ورسوله؛ ولذلك فإنه أصم أسماعهم عن كلمة الحق، وأعمى أبصارهم عن مشاهدة

الآيات والإيمان بها فكان نفاقهم الذي استحقوا به اللعنة من الله.

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ إِنْ أُمِرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ٢٤

التفسير :

قوله تعالى - في الآية - هو في المنافقين والكافرين عموماً، جاء الاستفهام لإثبات أنه كان عليهم تدبر القرآن بمعنى العمل على فهمه وتدبر معانيه، وإثبات أنهم لم يفعلوا هذا، مع إنكار ذلك عليهم، وبيان أنهم لو كانوا قد تدبروا القرآن لكان منهم الإيمان به، وقوله تعالى «أم على قلوب أقفالها» هو بيان لأنه من شأن القرآن العظيم لدى من يتدبره أن يدفعه إلى الإيمان به، لا يحول بينه وبين هذا إلا أن يكون على قلبه قفل من الأقفال التي تكون خاصة بالقلوب، يغلقه فلا يفتح للإيمان وجاء لفظ «قلوب» نكرة لبيان أن القلوب المقصودة هي بعض قلوب غير المؤمنين، وهم - على ما يبين من سياق القول مقروءاً مع ما قبله المنافقون. ثم إنه إذا لم تكن على القلوب أقفالها فيبقى أن يكون دافع المنافقين على بقائهم على الكفر هو إصرارهم عليه وعلى مخادعة رسول الله ﷺ والمؤمنين .

إِنَّ الَّذِينَ أُرْسِلُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى
الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ٢٥ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا الَّذِينَ كَرِهُوا
مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ٢٦ فَكَيْفَ إِذَا
تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ٢٧ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
أَبْغَوْا مَا اتَّخَذَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ٢٨

أولاً : الأسماء :

الذين ارتدوا على أديبارهم : هم المرتدون عن الإسلام إلى الكفر، وقيل إن المراد بهم - في معنى القول - هم نفر من المنافقين رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر قبل أن يعلنوا إسلامهم. وقيل هم نفر كانوا قد أسلموا ثم نافقت قلوبهم .

ثانياً : التفسير :

أخبر تعالى عن الذين ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر من بعد أن تبين لهم طريق الهدى من آيات الله المنزلة في القرآن، أو الذين تمسكوا بالكفر من أهل الكتاب من بعد أن تبين لهم مما هو مكتوب في التوراة والإنجيل عن رسول الله ﷺ أنه ﷺ رسول ربه وأن القرآن العظيم كتاب الله المنزل إليه. أن هؤلاء إنما كان منهم ارتدادهم عن الحق إلى الباطل بسبب أن الشيطان سهل لهم ركوب الكفر فلم يشعروا بفضاعته ورأوه هيناً، كما أنه - عليه اللعنة - أمدهم بالأسباب التي قربتهم من الكفر منها ما هو معنوي بالسوسة والأمانى، ومنها ما هو مادي مثل تخويلهم وسائل الظلم والفساد من مال وجاه.

ثم يذكر تعالى أن سبب ارتدادهم عن الإسلام كان قولهم للذين كرهوا ما نزل الله على رسوله من القرآن العظيم - وهم اليهود الذين كرهوا أن ينزل تعالى القرآن على نبي من بنى إسماعيل، وباللفظ العربي - كان قولهم لهم إنهم سيطيعونهم في بعض الأمور على ما يبين من قوله تعالى «ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم» والمعنى أن ارتدادهم كان بسبب محاولتهم الصديق مع هذه الفئة من أهل الكتاب فيما وعدوهم به .

ثم إنه تعالى يثبت علمه بما أسريه المنافقون لليهود وما قالوه لهم في الخفاء. وبعد هذا يثبت تعالى أن أحاييل المنافقين لا تنفعهم، وأنهم إذا كانوا قد مكروا بالمؤمنين فإنهم لا يستطيعون التحايل عليه تعالى ولا الاحتيال. ولهذا جاء الاستفهام عما يكون منهم من أحاييل وقت أن توافيهم ملائكة الموت والمراد إثباته هو أنه لا يكون لديهم قدرة وقتذاك على فعل

شيء من المكرو والاحتيال، وذلك على ما يشته تعالى من أنه يكون من الملائكة ضرب وجوههم واستاهم، أو إنهم يضربونهم من أمام ومن خلف وقت توفيتهم، مما مفاده أن المنافقين لا يستطيعون أن يمكروا بهم .

وبعد هذا ثبت تعالى أن توفى المنافقين على هذا النحو تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم هو بسبب اتباع الكافرين ما استوجب سخط الله من الكفر والمعاصي، وأنهم كرهوا ما يرضى الله من إيمان به ومن عمل بالطاعات، فكان منه تعالى أنه عذبهم على هذا النحو عند قبض أرواحهم، وأنه أحبط أعمالهم الصالحة فلم يشبههم عليها فى أخراهم فحرموا ثوابها.

أَرْحَبَ الَّذِينَ

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْسَلْنَاهُمْ
فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمِهِمْ ۖ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۝

أولاً : الأسماء :

١ - الأضغان : فى قوله تعالى «أن لن يخرج الله أضغانهم» جمع، مفردة «الضغن» وهو الحقد .

٢ - لحن القول : هو تحريفه عن معناه، يكون بوسائل منها إزالة إعرابه . وقد يكون بالاصطلاح على معانى معينة للالفاظ أو على ألفاظ معينة لبيان معانى معينة، أو بالحديث لكلام ظاهره حسن وباطنه قبيح .

التفسير :

يخاطب تعالى رسوله ﷺ، جاء قوله تعالى «أم حسب الذين فى قلوبهم مرض» استهزاء

أريد به إثبات أنهم حسبوا أمراً واعتقدوه، كما أريد به إثبات بطلان حسبانهم واعتقادهم، والذين حسبوا ما حسبوا هم المنافقون، وصفهم تعالى بأنهم الذين في قلوبهم مرض. أما الأمر الذي حسبوه واعتقدوا صحته على خلاف الواقع فهو أنه تعالى لن يخرج إلى حيز الوجود المادى المحسوس حقدهم على دين الله ورسوله والمؤمنين، فيكون المراد إثباته هو أنه تعالى مظهر حقدهم هذا.

ثم إنه تعالى - في إضافة المزيد لإثبات علمه بأشخاص هؤلاء المنافقين - قال لرسوله ﷺ إنه لو شاء لأراه إياهم فكان منه ﷺ معرفتهم من علامات يستفهم بها ربه فيعرفهم ﷺ بها.

ثم قال تعالى لرسوله ﷺ إنه سيعرفهم من طريقة حديثهم معه ﷺ ومن حديث بعضهم مع بعض، إذ يكون فيها لحن القول لتغيير معانى الألفاظ لتوافق مراميهم الخبيثة ونواياهم الدنسة.

ويجىء قوله تعالى «والله يعلم أعمالكم» بمثابة وعد للمؤمنين الصادقين في إيمانهم بحسن الثواب، يكون جزاء على أعمالهم الطيبة التى علمها الله تعالى فأناهم بها.

وَلَتَبْلُوكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُواُ الْخَبَارَ كُمْ ﴿٢١﴾

التفسير :

بعد أن وعد الله تعالى المؤمنين ثواب أعمالهم فإنه تعالى - فى الآية - يخبرهم أنه مختبرهم ومبليهم بما يظهر المجاهدين منهم والصابرين، وبما يكشف عن أخبارهم أو عن حقيقة أنفسهم.

فيتصور أن يكون من الابتلاء الأمر بالقتال، يظهر المجاهدين بأنفسهم وأموالهم، ويتصور أن يكون بإيذاء الكافرين والمنافقين وإغوائهم المؤمنين على الارتداد عن الدين، يظهر الذين

يصيرون على أذى الكافرين ويصبرون على ما هم عليه من الإيمان، ثم إنه يكون بكل ما يظهر حقيقة المرء. ولا يعنى قوله تعالى «حتى نعلم» أنه تعالى يحتاج إلى الاختبار للمعرفة. فهو تعالى العليم بكل شيء ما ظهر وما أخفى، ولكن المراد هو إقامة الدليل الذى يكون بظهوره علم الناس بما يسفر عنه الابتلاء أو الاختبار.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاصَّدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ
مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوهُمُ وَاللَّهُ شَيْئًا وَيَسْجُطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٦﴾

التفسير :

قوله تعالى - فى الآية - ثبت أن أعداء الله لن يضره شيئا وأنهم إنما يضرّون أنفسهم وما يشعرون. فذكر تعالى أن الذين كفروا به وبالقرآن العظيم وبـرسول الله ﷺ. وصدوا الناس عن الإيمان له، وأخذوا جانباً خلاف جانب رسول الله ﷺ، بمعنى أنهم عادوه، وكان منهم ذلك من بعد أن تبين لهم طريق الهدى، سواء من آيات الله المنزلة فى القرآن.

فيكون القول متعلقاً بالمنافقين، أم من التوراة فيما بشرت به برسول الله ﷺ، فيكون القول متعلقاً باليهود.

ذكر تعالى أن هؤلاء الذين كفروا وصدوا وشاقوا الرسول لن يضرّوا الله شيئا بأفعالهم هذه. ثم بين تعالى أنهم إنما يضرّون أنفسهم بذكره أنه تعالى أنه سيخط أفعالهم والمعنى أنه سيبتل مكابدهم فلا تفيدهم شيئا، كما أنه سيحرمهم ثواب أعمالهم الطيبة فى آخرهم فلا تنفعهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٧﴾

التفسير :

الخطاب - فى الآية - هو للمؤمنين، خاطبهم تعالى بأنهم الذين آمنوا، ثم أمرهم بما فيه صالحهم وهو طاعة الله وطاعة الرسول، فبين تلازم طاعة رسوله ﷺ وطاعته تعالى، ثم إنه نهاهم عن إبطال أعمالهم الطيبة، وهو ما يكون بالمن، يدخل فى هذا المن بالدخول فى الإسلام، والمن بالتصدق أو بفعل الخيرات، ويدخل فيه الرياء، والعجب بالنفس، كما يدخل فيه الأذى. وقيل إن المعاصي تبطل الطاعات، وقد لا يكون هذا صحيحا لأنه تعالى قال إن الحسنات يذهبن السيئات، ولم يقم دليل على أن العكس صحيح وهو ما يخالف النص.

إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢٤﴾

التفسير :

جاءت الآية بحكم فى الكافرين الذين يبقون على الكفر أحياء ويموتون عليه، والحكم أنه تعالى لا يغفر لهم ذنوبهم. وصفهم تعالى بأنهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وكونهم الذين كفروا معروف، وهو أنهم لا يؤمنون، وصددهم عن سبيل الله يكون بكل فعل يكون من شأنه أن يمنع الناس عن الدخول فى دين الله، وقد يكون منه حجب المعرفة عمن هم فى ولاية المرء أو تحت سلطانه أو سلطته ولو كانت هى السلطة الأبوية.

يذكر تعالى أنهم إذا مابقوا على ما هم عليه من الكفر إلى وقت موتهم أنه تعالى لا يغفر لهم ذنبا اقترفوه. ويفهم من القول - بمفهوم المخالفة - أن من لا يموت على الكفر قد يغفر الله له .

فَلَا تَهِنُوا وَلَا تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ
أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾

التفسير :

الخطاب - فى الآية - موجه إلى المؤمنين ، جاء من بعد أن بين تعالى أنه مبطل أعمال الكافرين ومعاقبهم فى الآخرة ، فجاء قوله تعالى مرتبطاً بهذا ، كأنه تعالى يقول للمؤمنين إنه لما كان أمر الكافرين هو ما علمتموه فليكن منكم هذا .

والذى يكون من المؤمنين هو طاعة الله فيما ورد بالنص « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم » وفيه نهاهم الله عن التخاذل والظهور بمظهر الضعف والوهن فيكون منهم دعوة الكفار إلى الصلح ، حال كونهم الأعلون الغالبين بأمر الله . ثم إنه تعالى حث المؤمنين على التزام ما نهاهم عنه بذكره لهم أنه تعالى معهم والمعنى أنه لا يد ناصرهم وأنه لن يضيع عليهم أعمالهم ، ولن ينقصهم منها شيئاً ، فما داموا قد عملوا للحرب عملها فهو ناصرهم فيها بإذنه ، كما أنه لن يضيع على من يستشهد فيها ولا من يجرح أجره الذى وعده .

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ إِنْ تَوَمَّنُوا أَوْ تَفَوَّسُوا بِكُمْ
أُجُورُكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلُكُمْ فَيُخَفِّكُمْ بِخُلُوعٍ أَوْ يُخْرِجُ
أَصْفَكُمْ ﴿٣٧﴾

التفسير :

الآيتان هما من الآيات التى ثبت أنه تعالى إنما شرع فى القرآن العظيم ما يوافق طبيعة

البشر التي ليس أعلم بها منه تعالى الخالق الواحد.

ذكر تعالى - في مبتدأ القول - أن الحياة الدنيا لهو ولعب، وذلك لحث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله وعدم الركون إلى الصلح الدليل بيان تفاهة الحياة في الدنيا مقيمة بالخلود في الجنة في الآخرة، كما حثهم على عدم التكالب على الحياة الدنيا قصد جمع المال للاستمتاع به على حساب العمل للآخرة.

ثم أتبع هذا بقوله تعالى (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) وهو حث على البقاء على الإيمان والطاعة وتجنب غضب الله، ببيان أنه تعالى يثيب على هذا في الدنيا والآخرة يكون الثواب بمثابة الأجر يستحقه المؤمنون المتقون.

ثم بين تعالى أنه إذا كان منه إعطاء الأجر فإنه لا يكون منه سؤال المؤمنين أداء جميع أموالهم فريضة فيها، ولهذا كانت محدودة بربع العشر، تعود منفعتها على مجتمع المسلمين وليس عليه تعالى الغنى الحميد.

ثم إنه تعالى يقول إنه إذا طلب من الناس جميع أموالهم فإنه يكون قد أجهدهم بهذا الطلب، والسبب أنه لا يوافق الطبيعة البشرية التي غرز فيها تعالى غريزة حب الاقتناء.

ثم بين تعالى أنه لو كان قد أمر ببذل أموال الفرد من المؤمنين جميعها زكاة أو صدقة لكان منهم البخل عن البذل المطلوب فكان منهم العصيان، كما يكون منهم ظهور أحقادهم، إذ يندى الغنى الذي يعطى حقه على الفقير الذي يأخذ. وعلى هذا فإن النص يكون مبينا أنه لا تكليف إلا بمقدور.

هَٰذَا نَسْمُوهَا زَكَاةً ۖ فَادْعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ
يَبْخُلُ ۚ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ۚ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۚ
وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٢٨﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى للمؤمنين علة عدم طلبه بذل جميع أموالهم، فإنه تعالى بين في الآية أنه وإن كان قد طلب إنفاق بعض أموال الناس فيما يرضيه تعالى، يدخل فيه نفقة العيال ونفقة الأقارب، والإنفاق في الجهاد، وأداء الزكاة، إلا أن من الناس من يبخل بماله فلا يخرج منه ما طلب تعالى إخراجَه منه.

ثم كان منه تعالى أن بين أن من يبخل بالإنفاق لا يضر غير نفسه بهذا البخل، إذ يحرم ثواب الطاعة وثواب الصدقة، ثم جاء قوله تعالى «والله الغني وأنتم الفقراء» لبيان أنه تعالى في غنى عن أموال الناس فهو العاطي والمتفضل، حين أن الناس هم الفقراء إليه تعالى فهو الذي يوسع عليهم رزقهم وهو القادر على أن يمسكه عليهم، فهم المحتاجون إليه يتوسلون إليه بالطاعة ومنها طاعته فيما أمرهم به من الإنفاق.

ثم إنه تعالى أثبت أنه في غير حاجة إلى إيمانهم وأنه لا يفيد منه شيئاً، كما أنه في غير حاجة إلى أموالهم؛ فقال تعالى إنهم إن معرضوا عن الإيمان فإنه قادر على أن يخلق مكانهم قوماً آخرين. لا يكون منهم التولي عن الطاعة في البذل ولا الإعراض عن الإيمان؛ بل يكونون مؤمنين طائعين.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
وَيُنِصِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ
نَصْرًا عَظِيمًا ۝

أولاً : الأسماء :

الفتح : فى قوله تعالى «إنا فتحنا لك فتحا مبينا» هو- فى الأصل - إزالة الإغلاق. وفتح البلد هو الظفر به بالحرب أو بالصلح. والمراد به - فى معنى الآية - هو صلح الحديبية وربما كان ذلك لأنه كان تمهيدا لفتح مكة، أو لكونه إخبارا عن جعل المشركين فى الحديبية مغلوبين خائفين طالبين الصلح .

ثانيا : التفسير :

جاء قوله تعالى - فى مبتدأ القول - متعلقا بصلح الحديبية الذى تم بينه ﷺ وبين كفار مكة فأخبر أنه فتح له به فتحا مبينا ظاهرا، وذلك لكونه تمهيدا وسببا لفتح مكة .

ثم جاء قوله تعالى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» والخطاب فيه إلى رسول الله ﷺ. واللام فى «ليغفر»، قد تكون للتعليل وقد تكون للعاقبة، وقد يكون المراد بيانه هو أنه

يكون له ﷺ بسبب معاناته مشاق الحروب سبب لمغفرة ما تقدم من ذنبه ﷺ وما تأخر. ولا
يعنى هذا - لدينا، والله أعلم - أنه ﷺ قد ارتكب ذنوباً، وإنما معناه أنه قد يرى فى بعض
أفعاله تقصيراً يحسبه من قبيل الذنب، فكان خطاب الله معه من ذات المنطلق وبذات
المعنى، ومع ذلك فقد قيل إن ذنبه ﷺ أنه جعل يوم بدر يقول «اللهم إن تهلك هذه العصابة
لا تعبد فى الأرض أبداً» وأنه يوم حنين قال لأصحابه بعد هزيمة الكافرين «لولم أرمهم لم
ينهموا». وقد يكون الجمع - فى القول - بين الفتح والمغفرة أريد به بيان أنه تعالى يجمع له
ﷺ ما تقر به عينه فى الدنيا والآخرة. ثم أتبع تعالى هذا بقوله «ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطاً مستقيماً» فبين أنه تعالى قرر بشأنه أموراً أربعة هى فتح مكة، والمغفرة، وإتمام
النعمة، وهداية الصراط المستقيم. ثم قال تعالى «وينصرك الله نصراً عزيزاً» ليبين أنه تعالى
أكسبه خير الدارين النصر فى الدنيا ومغفرة الذنب فى الآخرة. والنصر فى الدنيا الذى قدره
تعالى لرسوله يكون نصراً عزيزاً، بمعنى أنه يكون غالباً لا ذل من بعده.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
لِيَزِيدُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ① لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ
عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ② وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ
وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ③
وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ④

أولاً: الأسماء:

١- السكينة: هي الهدوء والطمأنينة، وقيل هي العقل يقال له «سكينة» إذا سكن عن الميل إلى الشهوات وعن الرعب. وقيل إن المراد بها في معنى الآية هو الميل إلى ما جاء به رسول الله ﷺ.

٢- دائرة السوء: قيل إن المراد بها- في معنى الآية- هو الهزيمة والشر.

ثانياً: التفسير:

بعد أن خاطب تعالى رسوله ﷺ فأخبره أنه أنعم عليه بالفتح المبين وبغفران الذنب، وتمام النعمة، والهدى إلى الصراط المستقيم، والتصر العزيز، فإنه تعالى أثبت في الآيات أنه منعم على المؤمنين بنعم قيمة. فأخبر عن ذاته أنه الذي أنزل السكينة على قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم. وفي زيادة الإيمان قيل إنه لما صدق المؤمنون بشهادة أن لا إله إلا الله زادهم الله الصلاة، فلما صدقوه فيها زادهم الزكاة، فلما صدقوه زادهم الصيام، فلما صدقوه زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم. وقيل إن المراد به هو زيادة يقين المؤمنين فوق يقينهم واطمئنان نفوسهم إلى الإيمان، مع الزيادة في موافقة العمل الإيمان. فيكون المعنى أنه لما أفاض تعالى على المؤمنين بمبادئ الفتح سكنت قلوبهم واطمأنت إلى نصر الله إياهم، فأكسبهم الله إيماناً فوق إيمانهم. ويلاحظ في القول أن التعبير عن حلول السكينة بالقلوب بأنه «إنزال» أريد به بيان النعمة لما فيه من تلميح إلى نزول القرآن العظيم أو إنزاله وهو أجل نعمة أنزلت من الله تعالى.

وفي القول بين تعالى أن له جنود السماوات والأرض، وهم الملائكة، وجنوده من الجن والإنس، يجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الدين بأمره تعالى، وأخبر أنه العليم بأحوال خلقه الحكيم في التدبير وفي تكليف جنوده بحسب أجناسهم بما يستطيعه كل منهم.

ثم ذكر تعالى نعمة أخرى أنعم بها على المؤمنين، وهي أنه تعالى يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار يخلدون فيها، لا يخرجون منها ولا يموتون، وأنه يكفر عنهم سيئاتهم فلا

يحاسبهم بها، ثم أثبت أن ذلك منه تعالى لهم فوز عظيم لأنه يتضمن إنجاءهم من المكاره وظفرهم بالخيرات .

وبعد هذا فإنه تعالى بين أنه بالفتح الذي فتحه على رسوله ﷺ يكون تعذيبه أو مبتدأ تعذيبه المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، يصيبهم الهم والغم إذ يرون علو كلمة المسلمين وارتفاع شأنهم وقدرهم، وبما يكون من انتصار المسلمين على الكافرين وإمعانهم فيهم القتل والأسر.

وفي القول وصف تعالى المنافقين والمشركين بأنهم الظانين بالله ظن السوء، بمعنى أنهم اعتقدوا أنه تعالى لا يتنصر رسوله ﷺ والمؤمنين، وأن رسول الله والمؤمنين لا يرجعون إلى المدينة، وأن المشركين يستأصلونهم.

ثم إنه تعالى دعا على المنافقين والمشركين أن تدور عليهم دائرة السوء أو أنه تعالى أخبر عن هذا، وهو ما يكون في الدنيا بفضح المنافقين وقتل المشركين وأسرههم، ويكون في الآخرة بتعذيبهم في جهنم.

ثم بين تعالى أنه يكون عليهم ما هو أشد من هذا وهو غضبه تعالى عليهم ولعنهم بطردهم من رحمته، يكون من أثره أن جهنم تبدو كأنها إنما أعدت لتلقائهم فتكون لهم المصير، ثم ذمها تعالى فبين أنها أسوأ مصير يكون لأخذ من الخلق .

وجاء بعد هذا قوله تعالى «ولله جنود السماوات والأرض، وكان الله عزيزا حكيما» ليرد على المنافقين قولهم «أبظن محمد أنه إذا صالح أهل مكة أو فتحها لا يبقى له عدو، فأين فارس والروم» فجاء القول داحضا أمانهم الخبيثة إذ بين أن له تعالى الملائكة جنود السماوات، والمؤمنين جنود الأرض يقاتلون في سبيل الله فيعز تعالى الدين الحق بعزته بالجنود الذين يختار وبالطريق الذي يقدره بحكمته.

ثم إن القول قد يكون متضمنا التهديد للمنافقين والمشركين ببيان قدرته عليهم بتسليط جنوده عليهم، وإن كان تعالى قد قدر أن يؤخرهم إلى أجل مسمى .

إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا أَوْ مُبَشِّرًا أَوْ نَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقَرِّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

التفسير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ فقال له إنه أرسله شاهدا، بمعنى أن يكون على أمته أنه أبلغها رسالة ربه، لقوله تعالى «ويكون الرسول عليكم شهيدا» كما يكون شاهدا يوم القيامة للأنبياء أنهم قد بلغوا، كما قال تعالى إنه أرسله مبشرا ونذيرا، بمعنى أنه ﷺ يبشر المؤمنين الطائعين بالجنة، وينذر الكافرين والعصاة بعذاب الله.

ثم خاطب تعالى أمة رسول الله ﷺ بقوله «لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا». ويتصور أن تكون «اللام» في «لتؤمنوا» هي «لام التعليل»، ويتصور أن تكون «لام الأمر». فيكون المعنى أن إرساله ﷺ لأجل أن يؤمن الناس، أو إنه تعالى أمر الناس بالإيمان. ويلاحظ - في القول - الجمع بين الإيمان بالله والإيمان برسوله لبيان أن كمال الإيمان لا يكون إلا بالإيمان برسول الله ﷺ. وفي القول بين تعالى أنه أرسل رسوله ﷺ لكي ينصروه تعالى بمناصرة دينه، ويعظموه ويسبحوه بتزنيهه تعالى عما لا يليق بشأنه أو بالصلاة له - باعتبار أن الصلاة تتضمن تسيحه أو إنه تعالى أمر بذلك. وقيل إن الضمير في «تعزروه» و «توقروه» يعود إلى رسول الله ﷺ. ومعنى أن تسيحه يكون بكرة وأصيلا هو أن يكون غدوة وعشيا، أو أن يكون المراد هو جميع النهار.

وقيل أيضا إن الخطاب في الآية الثانية من الآيتين هو إلى رسول الله ﷺ، واستدل القائلون بهذا بقراءة ابن كثير، وابن محيصن، وأبو عمرو «ليؤمنوا» ولا يمنع أن تكون القراءة هي «لتؤمنوا» من أن يكون الخطاب إلى رسول الله ﷺ ولأتمته، كما في قوله تعالى «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء».

إِنَّ الَّذِينَ
يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا
يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ۝

التفسير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ في شأن الذين بايعوه يوم الحديبية على الموت في نصرته، أو على ألا يفروا من قريش، جاء التعبير عن الحدث بالفعل في صيغة المضارع لاستحضار الحال في الذهن.

وفي القول أخبر تعالى عن هؤلاء بأنهم بايعوا الله، وذلك لبيان أن الهدف من المبايعة هو نصرته الله، وأن طاعة رسول الله ﷺ هي طاعة الله.

ثم أكد تعالى هذا المعنى بقوله «يد الله فوق أيديهم» وفي القول تخييل لكونه تعالى منزها عن الجوارح، فيكون المعنى هو أن عقد الميثاق مع رسول الله ﷺ هو مثل العقد مع الله. وقيل إن معناه أن يد الله بالثواب فوق أيديهم بالوفاء، أو أن نعمته تعالى عليهم فوق ما صنعوا.

وبعد هذا حذر تعالى من نقض العهد بقوله «فمن نكث فإنما ينكث على نفسه» بمعنى أن من ينقض هذا العهد فإن ضرر فعله لا يصيب غيره.

وقيل إنه لم ينكث البيعة إلا جند بن قيس، وكان منافقا، وقيل إنه لم يبايع أصلا فلم ينكث.

وتبع تعالى ذلك بالحث على الوفاء بعهد البيعة بقوله «ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما!» وعده فيه من يوفى بعهد البيعة بالأجر العظيم وهو الجنة.

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا آمَؤُنَا
وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْكَ يَقُولُونَ بَالِيسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا
بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ نَلَّظْنَاهُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ
وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ طَرْنَ السَّوَاءِ
وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - المخلفون من الأعراب : هم جهينة، ومزينة، وغفار، وأشجع، والدليل، وأسلم. من
الأعراب الذين كانوا حول المدينة .

٢ - البور : في قوله تعالى «وكنتم قوما بورا» مصدر من الفعل «بار-يسور» وهو الهلك
والهلاك. وهو وصف للمفرد والجمع، وقيل يجوز كونه جمعاً لـ «بائرا»، والقوم البور هم
الهلكى لفساد عقيدتهم، المستحقون غضب الله، وهم الفاسدون في أنفسهم .

ثانياً : التفسير :

يخبر تعالى رسوله عن الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج معه حين قصد مكة عام
الحديبية معتمراً، بعد أن استفرهم ليخرجوا معه جذرا من قريش أن تحاربه أو تصده عن
البيت الحرام، وقد كان من هؤلاء أنهم خشوا بأس قريش وثقيف وكنانة فتخلفوا عن الخروج
معه ﷺ، وقالوا إنه ﷺ وأصحابه لن يرجعوا من هذه السفرة .

يخبر تعالى رسوله عنهم فيقول له إنهم سيقولون له إن أموالهم وأهلهم شغلهم عن

الذباب معه لأنهم لم يجدوا من يقوم على حمايتها وحمايتهم وإنهم سيسألونه أن يستغفر لهم الله عن تخلفهم هذا الذي يبرره السبب الذي ذكره .

ثم يعلمه تعالى أنهم كاذبون، وأنهم يقولون قولا يغير ما في قلوبهم، وقد يكون دليل هذا أنهم سأله ﷺ أن يستغفر لهم ربه، وهو ما يعنى إقراهم في قلوبهم بمقارفة الذنب بتخلفهم، ثم إنهم يذكرون بالسبب خلاف ذلك بإدعائهم وجود السبب المبرر لتخلفهم .

وبعد هذا فإنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يبين لهم أنه ما من أحد يستطيع أن يمنع ما أراد الله بهم، إن كان قد أراد بهم ضرا أو أراد بهم نفعاً .

والمعنى أن بقاءهم على أموالهم وفي أهلهم لم يكن ليمنع ضرراً يحل في الأموال وفي الأهل إن كان تعالى قد أراد ذلك، وأن خروجهم معه ﷺ ومخاربتهم الكافرين إذا تعرضوا له ﷺ، لم يكن ليحول دون أن ينالهم خير ونفع أراد الله لهم . فيكون قوله ﷺ متضمناً التعريض بهم ومظهرها قدرته تعالى على فعل ما يريد .

ثم إنه ﷺ يصارحهم بحقيقة أمرهم فيخبرهم أنهم اعتقدوا أنه ﷺ والمؤمنين الذين خرجوا معه لن يرجعوا من هذا السفر إلى أهلهم وذوي قرباهم أبداً .

والمعنى أن الكافرين يستأصلونهم بالقتل . كما يخبرهم أن هذا الظن والاعتقاد قد زين في قلوبهم، زينه لهم الشيطان فقبلته أنفسهم، أو أن فكرة استئصال رسول الله ﷺ والمؤمنين قد راقتهم وأعجبهم لموافقته بغضهم رسول الله والمؤمنين .

ثم يعيد ﷺ القول فيقول لهم «وطني ظن السوء» توبيخاً لهم ولبيان أن جميع ظنونهم سيئة .

ثم يخبرهم بحقيقة أمرهم على ما ثبت في علم الله تعالى الأزلي وهو أنهم من الهلكى الذين فسدت عقيدتهم فاستحقوا سحق الله عليهم وعقابه ينزل بهم .



وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
 لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
 وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾

التفسير:

بين تعالى أن من لم يؤمن بالله وبرسوله ﷺ وما دعا إليه من الدين يكون كافرا. والمراد كل من بلغته رسالة رسول الله ﷺ فلم يؤمن به رسولا نبيا وبما أنزل إليه من ربه. ثم بين تعالى أنه أعد للكافرين نارا مستعرة ملتهبة يعذبون فيها بكفرهم .

ثم أخبر تعالى عن شمول ملكه السماوات والأرض والمعنى دخولهما بمن فيهما وما فيهما فيما يملكه تعالى ويملك وحده التصرف فيه؛ ولهذا جاء قوله تعالى « يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » إذ يكون ذلك من قبيل تصرف المالك في ملكه. ثم جاء قوله تعالى « وكان الله غفورا رحيمًا » لبيان أنه يغفر ذنوب عباده ويدخلهم في رحمته. ونرى - والله أعلم - أن قوله تعالى في مغفرة الذنوب وفي الرحمة يقرأ بقوله تعالى « فإننا أعتدنا للكافرين سعيرا » مما يكون مفاده أنه تعالى لا يغفر ذنوب الكافرين ولا يرحمهم، بل يكون ذلك لعصاة المؤمنين .

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا
 انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرٍ لَّنَا خُذُوا هَٰذَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا
 كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَبِعُونَا كَذٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَيَقُولُونَ بَلْ
 تَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

أولاً: الأسماء :

المغانم : فى قوله تعالى «إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها» المراد بها- فى معنى الآية- هو مغانم خير، على ما يبين من «السين» فى قوله تعالى «سيقول المخلفون» وهى للمستقبل القريب.

وقد كانت مغانم خيرهى القرية العهد من الحديبية إذ وعد تعالى أهل الحديبية أن يعرضهم عن مغانم مكة بمغانم خير.

ثانياً: التفسير:

يقول تعالى لرسوله ﷺ إن المخلفين من الأعراب سيقولون له وللمؤمنين حين ينطلقون إلى خير لمقاتلة أهلها وغنم الغنائم التى علموا أنهم يغنمونها من وعده تعالى إياهم بها فى الحديبية، سيقولون لهم «ذرونا تتبعكم» أى دعونا نخرج معكم فشهد خير.

ثم يقول له تعالى بشأنهم إنهم يريدون أن يغيروا كلام الله، وهو وعده تعالى أهل الحديبية أن يخصصهم بمغانم خير، ذلك أن المخلفين يريدون مشاركة أهل الحديبية هذه المغانم.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم «لن تتبعونا» وهو بمعنى «لا تتبعونا» فهو نهى عن اتباع المؤمنين أو عن الخروج معهم، وأن يذكر لهم أن هذا هو قول الله تعالى من قبل أن يتهيؤوا للخروج، إذ كان منه تعالى فى الحديبية .

ثم إنه تعالى يخبر رسوله ﷺ أن المخلفين سيقولون للمؤمنين عند سماعهم نهيمهم عن الخروج إلى خير، إن المؤمنين يحسدونهم ولا يريدون لهم أن يشاركوهم الغنائم، بمعنى أنهم ينكرون أن يكون الأمر بهذا هو من عند الله.

ولهذا جاء قوله تعالى «بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً» فيه رد على زعمهم أن المؤمنين يحسدونهم، وبيان لجهلهم واقع أنه تعالى الذى أمر بهذا .



قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنْ
الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلَمُونَ
فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ
يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦

أولاً : الأسماء :

القوم أولو البأس الشديد : فى قوله تعالى «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد» قيل هم بنو حنيفة قوم مسيلمة ، أهل اليمامة .

وقيل هم الروم الذين خرج إليهم رسول الله ﷺ سنة تبوك ، والذين بعث إليهم فى مؤتة .

وقيل هم الفرس والروم ، وقيل هم الأكراد ، وقيل هم هوازن وثقيف ، وقيل هوازن وغطفان يوم حنين .

والراجح أنهم بنو حنيفة ، ويبعد أن يكونوا هم هوازن وغطفان .

ثانياً : التفسير :

يأمر تعالى - فى الآية - رسوله ﷺ أن يقول للمخلفين إنهم سيدعون لقتال قوم أولى بأس شديد ، يكون الأمر معهم المقاتلة إلى أن يسلموا فإن لم يسلموا بقوا على قتالهم ، والراجح أن هؤلاء القوم أولى البأس الشديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب .

فإن قيل إنهم الروم ، كان المقصود بالإسلام هو الانقياد وليس الدخول فى دين الله . والظاهر من قوله ﷺ لهم - بأمر ربه - «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد» أن الداعى لن يكون رسول الله ﷺ لسبق قوله لهم «لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا» .

ثم يقول لهم ﷺ إنهم إن يطيعوا الداعي إلى القتال يكون منه تعالى أن يوفيهم أجورهم غنائم في الدنيا والجنة في الآخرة، وإن يتولوا عن الدعوة كما فعلوا في الحديبية يكون منه تعالى تعذيبهم العذاب الشديد، يكون في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ
وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

التفسير:

الآية الشريفة في حكم شرعي هو إباحة عدم الخروج في سبيل الله أو الجهاد لغير ذوي القدرة على ذلك جاء التعبير عن الإباحة بانعدام الحرج بمعنى انعدام الإثم.

وذكر النص الأعمى، والأعرج - وهو من به عيب في إحدى رجليه - والمريض وهو كل من به علة تجعله غير كفء للقتال.

ومفاد الإباحة أنه لا يمنع من رخص له في القعود عن الجهاد عنه إذا أراد، وأنه يثاب عليه لو فعل.

ثم ذكر تعالى أن من يطيعه ورسوله ﷺ فيما أمرا به ونها عنه يشبه الله على هذا بإدخاله جنات تجري من تحتها الأنهار، وأن من يعرض عن الطاعة يعذبه الله عذابا أليما.

فيكون القول وعدا للطائعين ووعيدا للعاصين المعرضين عن الطاعة.

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ

عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝^{١٨} وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝^{١٩} وَعَدَّ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا
فَجَعَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَهَبْ لَكُمْ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝^{٢٠} وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ
اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝^{٢١} وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَرِثُهُ
لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝^{٢٢} سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ
تُجَدَّ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝^{٢٣} وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
عَنْهُمْ بِطَنْ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا ۝^{٢٤}

أولاً: الأسماء والأعلام :

١ - المؤمنون : المراد بهم - فى معنى الآية - أهل الحديبية إلا جدد بن قيس الذى

لم يبايع - على الراجح - والبيعة التى بايعوا فيها رسول الله هى بيعة الرضوان. وقيل إن
المبايعة كانت على الموت، وقيل إنها كانت على عدم الفرار.

٢ - الشجرة : هى الشجرة التى تمت البيعة لرسول الله ﷺ تحتها - قيل إنها كانت شجرة سمر كان معقل بن يسار يأخذ بأغصانها عن وجه رسول الله ﷺ .

٣ - الذين كفروا : فى قوله تعالى «ولو قاتلكم الذين كفروا» قيل إن المراد بهم - فى معنى الآية - هم كفار مكة، وقيل هم أسد وغطفان حلفاء أهل خيبر، وقيل هم اليهود .

ثانيا : التفسير :

أخبر تعالى عن رضائه عن المؤمنين الذين بايعوا رسوله ﷺ ببيعة الرضوان تحت الشجرة، وهم أهل الحديبية، وقد كان هذا بعد أن بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى قريش يخبرهم أن المسلمين لم يأتوا لقتال وإنما جاءوا عمارا، ويدعوهم إلى الإسلام وأن يبشر المؤمنين بمكة بالفتح وإظهار دين الله يكون قريبا، فاحتبس أهل مكة الكافرون، وأشاعوا أنهم قتلوه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال «لأنبرح حتى نناجز القوم» ثم نزل عليه جبريل عليه السلام يبلغه أمر ربه بالبيعة، فسار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وبايعوه على الموت - فى قول - وعلى عدم الفرار من قريش - فى قول آخر - أخبر تعالى عن هذا فى خطاب وجهه إلى رسوله ﷺ، ثم أعلمه أنه علم ما فى قلوبهم من صدق وإخلاص فى البيعة يوافق ما نطقت به ألسنتهم، وأنه قدر أن يجازيهم على إخلاصهم هذا بأن يجعل لهم فتحا قريبا، وهو فتح خيبر، وقيل هو فتح «هجر» بالبحرين، كما أنه تعالى قدر لهم أن تكون لهم مغنم كثيرة يأخذونها من هاذ الفتح، وفيها قيل إنه ﷺ قد قسم مغنم خيريين الفاتحين، فجعل للفارس سهمين منها وللراجل سهما. ثم جاء قوله تعالى «وكان الله عزيزا حكيما» لإثبات أنه - وهو الغالب على أمره متى وعد بالفتح والغنيمة تحقق وعده على ما قضت به حكمته فى الأمر .

ثم إنه تعالى خاطب المؤمنين فقال لهم إنه وعدهم مغنم كثيرة يأخذونها فى الدنيا إلى يوم القيامة، ثم كان منه تعالى أن عجل لهم أخذ المغنم التى أشار إليها من قبل وهى مغنم خيبر - على الراجح - ثم ذكر تعالى أنه كف أيدي الناس عنهم، والناس المقصودون هم أهل خيبر وحلفاؤهم بنو أسد وغطفان قذف تعالى فى قلوبهم الرعب فخافوا قتال المؤمنين ولم يقاتلوهم، وقيل هم أهل مكة كف تعالى أيديهم عن قتال المؤمنين بالصلح .

ثم ذكر تعالى أن كفت أيدي الناس عن قتال المؤمنين، أو أن حصول المؤمنين على مغنم خبير كان آية منه تعالى أريد بها أن يعرف المؤمنون أنهم مكرمون عند ربهم وأن يستوثقوا من صدق رسول الله ﷺ الذي وعدهم - بأمره - بفتح خبير وغنم المغنم الكثير منها، فيكون منه تعالى بهذه الآية أنه يهديهم الطريق المستقيم بتوكلهم عليه تعالى في جميع أمورهم والثقة في وعده.

ثم إنه تعالى يقول للمؤمنين إنه وعدهم مغنم أخرى لم يستطيعوا نيلها من قبل، بمعنى أنهم حاولوا ذلك ولم يتمكنوا منه، وإنه تعالى عجلها لهم لأنها قبض قدرته «قد أحاط بها»، قيل إنها مغنم هوازن التي غنمها المسلمون في حنين. وأتبع تعالى قوله هذا بقوله «وكان الله على كل شيء قديراً» لبيان أنه ما من شيء إلا وهو في مقدوره تعالى، وأنه لهذا يكون وعده نافذاً محققاً.

وبعد هذا بين تعالى أنه كان قد قدر انتصار المؤمنين يكون بالقتال أو غيره. فثبت تعالى أنه لو كان الكافرون قد قاتلوهم لانهزموا منهم، فيكون القول مقبولاً أن يكون في أهل مكة الذين صالحوا ولم يقاتلوا، وأن يكون في أهل خيبر وحلفائهم بنى أسد وغطفان الذين كف تعالى أيديهم عن قتال المؤمنين، ويخبر أن الكافرين لو كانوا قد قاتلوا المؤمنين لافتقدوا من يتولى حمايتهم من بعد هزيمتهم، واقتدوا من ينصرهم من بعد هزيمتهم كما افتقدوه أن ينصرهم قبل أن يهزموا.

ثم بين تعالى أن قضاء نصر المؤمنين على الكافرين هو سنته التي جرى بها حكمه من قبل «لأغلبن أنا ورسلي»، وأنه ليس هناك من يغير سنته تعالى في خلقه أو في تسييره أمورهم. وأتبع تعالى هذا ببيان أنه ما من شيء إلا وهو جار بقدره تعالى وأمره، فأخبر عن ذاته العليا بأنه الذي منع كفار مكة عن قتال المؤمنين ببطن مكة أي بالحديبية - إذ أن بعضها من حرم مكة - وذلك من بعد أن أظهر الله المؤمنين عليهم، وقد يكون المراد بهذا هو ما كان من هبوط عدد من الكافرين قبل كانوا نحو ثمانين رجلاً وقيل نحو ثلاثين من جهة جبل التنعيم بأسلحتهم يريدون أخذ المسلمين على غرة، فدعا عليهم رسول الله ﷺ - على ما قيل -

فأعجزهم الله عن فعل شيء، فأخذهم المسلمون، ثم عفا عنهم رسول الله ﷺ وخلي سبيلهم. ثم بين تعالى أنه بكل ما يعمل المؤمنون عليهم، يدخل في هذا ما ذكر من عفوهم عن الذين أرادوا بهم سوءا بعد أن ظفروا بهم، ويدخل فيه جميع أعمالهم.

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ
مَعَكُمْ أَلَا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ
لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُتُصِبْكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ
فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ٢٥

أولا: الأسماء:

١- المعكوف: في قوله تعالى «والهedy معكوفاً أن يبلغ محله» اسم مفعول من «عكف - يعكف»، بمعنى حبس، فالمعكوف هو المحبوس عن شيء أو عن فعل شيء.

٢- المعرة: في قوله تعالى «فتصيبكم منهم معرة» هي العيب، أو ما يعيب الإنسان، من «العر» وهو الجرب.

ثانياً: التفسير:

الخطاب - في الآية - لا يزال للمؤمنين، والقول هو في قريش، يقول تعالى فيهم للمؤمنين أنهم الذين كفروا، بمعنى أنهم لم يؤمنوا لرسول الله ﷺ، وأنهم الذين منعهم دخول المسجد الحرام عام الحديبية حين أحرم رسول الله ﷺ وأصحابه، وأنهم الذين حبسوا الهدي عن أن يبلغ محل نحره. فعل كفار قريش هذا رغم أنه ليس من دينهم - فيما يتعلق بالحج والعمرة -

فى شىء، وإنما أخذتهم فيه حمية الجاهلية.

ثم إنه لما كان فعلهم هذا مستوجبا للعقاب يكون على يد المسلمين الذين منعوا المسجد الحرام ومنع هديهم وحبس عن محل نحرة، وكان تعالى قد منع المسلمين من قتالهم، فإنه تعالى بين سبب عدم إذنه للمسلمين فى قتالهم، فقال تعالى ما مفاده أنه لولا أنه كان فى مكة يعيش بين ظهراني المشركين رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم ومنهم المستضعفون أمثال سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة، وأبى جندل بن سهيل، لم يكن المسلمون يعلمون حقيقة أمرهم مما كان مؤداه فيما لو قاتلوا أهل مكة أنهم يطؤون هؤلاء المؤمنين المسلمين بالإيقاع بهم قتلًا وتكيدًا، لولا هذا لكان تعالى قد أذن للمؤمنين بقتال أهل مكة آنذاك.

ثم بين تعالى أنه لو كان قد حدث من المؤمنين قتل الذين أسلموا وأخفوا إسلامهم من أهل مكة لكان قد أصاب المؤمنين عار وعيب من جراء فعلهم هذا، إذ يتوهم علم منهم، بأن يقول الكافرون حين يعلمون الأمر إنهم قتلوا أهل دينهم، وكان قد لزمتهم كفارة القتل الخطأ. ويتصور فى قوله تعالى «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوؤهم» معنى آخر، يكون فيه الرجال المؤمنون والنساء المؤمنات هم الذين كانوا فى أضلاب الكافرين، وكان مقدرا لهم أن يكونوا من المؤمنين، والمؤمنات. فيكون سبب عدم الإذن للمؤمنين بقتال أهل مكة آنذاك هو الحرص على حياة هؤلاء المسلمين المستخفين فيهم وسلامتهم.

ثم ذكر تعالى سببا آخر لعدم إذنه للمسلمين بقتال أهل مكة بقوله تعالى «ليدخل الله فى رحمته من يشاء» بمعنى أنه يكون منه تعالى أن يشاء لبعض كفار مكة الإيمان والإسلام فيدخل هؤلاء فى دينه وفى رحمته التى تشمل المؤمنين. وقد ثبت أن من أهل مكة وقتذاك من أسلم وحسن إيمانه وإسلامه.

ويؤكد تعالى هذا المعنى بقوله «لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما» بمعنى أنه لو كان قد تم تمييز المؤمنين عن الكافرين قتلًا وتفرق بعضهم عن بعض لكان تعالى قد قدر تعذيب الكافرين بأيدي المؤمنين بإذنه للمؤمنين بقتالهم.

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

أولاً: الأسماء:

الحمية: هي الأنفة والكبر.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا» في محل نصب مفعول به بتقدير «اذكر» فكان القول هو «اذكر إذ جعل الذين كفروا» والذي يذكره رسول الله ﷺ وكل مخاطب بالقول هو أنه تعالى جعل في قلوب الذين كفروا كبر الجاهلية وأفتها راسخة في قلوبهم، تمثلت في عدم إقرارهم بنبوة رسول الله ﷺ، وعدم قبول استفتاح وثيقة الصلح ببسم الله الرحمن الرحيم، وبمنعهم المسلمين دخول مكة. وفي المقابل يذكر تعالى أنه أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى، بمعنى أنه أنزل على قلوبهم الاطمئنان والوقار، ومن ذلك أنه لما أخبر رسول الله ﷺ أن الكفار قد جمعوا له وأنهم مقاتلوه واستشار الناس في الإغارة على ذراري الذين أعانوهم، أن أبا بكر قال له «إنما جئنا معتمرين ولم نجيء لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه». وأنه ﷺ لما جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وقال له ﷺ «إني قد تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا قريبا معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، أنه ﷺ قال: «إننا لم نجيء لقتال أحد ولكن معتمرين، وإن قرشنا قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم فماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله تعالى عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلتهم وبهم قوة.

وفي القول بين تعالى أنه ألزم المؤمنين كلمة التقوى وهي «لا إله إلا الله» وقيل هي «بسم الله الرحمن الرحيم» التي لم يقر بها المشركون، بين تعالى اختصاص المؤمنين المسلمين بها بقوله وكانوا أحق بها بمعنى أنهم كانوا أحق من أهل مكة بقولها، ثم وصفهم بما هو أكثر من كونهم الأحق بها، وهو أنهم أهلها أو المستأهلون لها. كان ذلك منه يعلم لكونه تعالى بكل شيء عليما.

لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّبِّيَّ بِالْحَقِّ لِتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ، آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

التفسير:

يقرر تعالى - في الآية - أنه صدق رسوله الرؤيا التي أراه في منامه قبل خروجه إلى الحديبية وفيها رأى ﷺ أنه والمسلمين الذين معه دخلوا مكة وقد حلقوا وقصروا، وبين تعالى أن رؤياه ﷺ حق، أو إنها متلبسة بالحق. فالقول هو شهادة منه تعالى بأنه أرى رسوله ﷺ الرؤيا التي قصها على المسلمين. وقد كان منهم أنهم حسبوا وقت أن قصها عليهم رسول الله ﷺ أنها تتحقق في عامهم، فلما تأخر هذا قال المنافقون «والله ما خلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام» فنزلت الآية.

ثم إنه تعالى أثبت أن ما أراه رسوله ﷺ يكون كما يبين من جواب القسم في قوله تعالى «لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله». أكد فيه للمسلمين أنهم يدخلون المسجد الحرام آمنين من العدو، وجاء تعليق وقوع الدخول على المشيئة لتعليم الناس ذلك، أو لأنه تعالى أنه يكون من المسلمين أهل الحديبية من يموت قبل دخول المسجد الحرام الذي كان في العام التالي، أو لبيان أن الدخول يكون بمشيئته تعالى وليس بتدبيرهم، كما أكد تعالى فيه أنه

يكون منهم من يخلق رأسه ويكون منهم من يقصر وأنه لا يتأبهم خوف من أعدائهم بعد تمام الحج. فيكونون وقت دخولهم مكة آمنين، ويكونون بعد الحج غير خائفين.

ثم قال تعالى «فعلّم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا»، أعلم المؤمنين أنه علم ما في تأخير دخولهم مكة من خير لهم وصلاخ لم يعلموه، وهو رجوعه ﷺ من خيبر بأموال وعدد صار بها المؤمنون أقوى من ذي قبل. وقد يكون المقصود - والله أعلم - غير هذا، وهو أنه كان بعد صلح الحديبية التقاء المؤمنين والكفار ووقوع الحديث بينهم، كان من أثره إيمان كثيرين من الكافرين بدون قتال وانضمامهم إلى جانب المؤمنين، وهو ما كان تعالى يعلمه، وكان المؤمنون يجهلونه، كما بين تعالى أنه من دون رؤيا رسوله ﷺ إلى فتح مكة في العام الثامن جعل تعالى فتحا قريبا هو فتح خيبر الذي تقوى به المؤمنون.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨

التفسير:

يشهد تعالى - في الآية - بأنه الذي أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالقرآن العظيم الذي يهدي الناس، فيكون رسوله ﷺ به هاديا، كما يشهد بأنه أرسله ليدعو الناس إلى دين الحق جل وعلا، وبالحق عقيدة وشريعة، ليكون هذا الدين هو الظاهر على الدين الذي بعث به الرسل من قبل، لأن أحكام الشريعة التي كانت من قبل أنسيّت أو حرفت أو نسخت، على حين تبقى شريعة الإسلام إلى أن تقوم الساعة.

ثم إنه تعالى لما كان هو المرسل الرسل، وهو الذي له الدين، فإن شهادته تعالى تكون وحدها الكافية لإثبات صحة المشهود له، وهو كونه صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الناس كافة بدين الحق.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ رَبُّهُمْ رُكَّعًا مُبَجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَشْرَ السُّجُودِ
ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ
الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

أولاً : الأسماء :

الشطأ : في قوله تعالى «كزرع أخرج شطأه» هو فروخ الزرع التي تخرج في جانبيه، قال البعض إنها لا تكون إلا في الحنطة والشعير، وقيل فيهما وفي غيرهما.

ثانياً : التفسير :

يتصور في قوله تعالى «محمد رسول الله» أن يكون بدلا من «رسوله» ويتصور أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره «هو»، ويتصور أن يكون القول مبتدأ وخبراً، ثم عطف تعالى عليه الذين معه، وهم صحابته عليهم السلام، وأخبر عنهم أو وصفهم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، بمعنى أنهم ذوو غلظة وشدة على الكافرين أعداء دين الله، وأن فيهم رقة ورحمة على إخوانهم المؤمنين.

ومن مظاهر غلظتهم على الكافرين أنهم يتحرزون منهم، ومن مظاهر رحمتهم بالمؤمنين

أنهم إذا لقوهم يضافحونهم .

كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى خبراً آخر وهو أن من تتأتى منه الرؤية يراهم ركعاً سجداً، بمعنى أنه يراهم قائمين على الصلاة، وأنهم إنما يتغنون بمحافظتهم على الصلاة ثواب الله تعالى ورضاءه عليهم، كما بين أن صفة الإيمان تكون لها علامة على وجوههم، قيل إنها هذا الأثر الذى يكون بالجباة يشبه ثفنة البعير الذى تخذله كثرة السجود، ما لم يكن عن عمد إحداثه بضغط الرؤوس على الأرض، وقيل هو نور يظهر على وجه العابدين مبعثه باطنهم النقى الطاهر يغلب على ظاهريهم ولو كانوا من الزنج أو الأحباش، وقيل هو بياض يغشى وجوههم يوم القيامة .

ثم يشير تعالى إلى أوصاف المؤمنين أصحاب رسول الله ﷺ، ويقول فيها وفيهم إن وصفهم هذا هو وصفهم فى التوراة والإنجيل، أو إنه وصفهم فى التوراة، ثم يخبر تعالى عن وصفهم فى الإنجيل فيقول إنهم وصفوا فيه بزرع أخرج فروخه فكان من فروخه أنها قوت الزرع، فيكون فى القول بيان لأن المؤمنين يكونون فى البداية قليلين ثم يكثرون ويقوون فيقوى بهم الدين والرسول. فيكون محمد ﷺ - فى المثل - هو الزرع، ويكون أصحابه هم الشطأ. وفى المثل تكون قوة الزرع معجبة الزراع، فتكون قوة المؤمنين معجبة الله تعالى ورسوله ﷺ، ومثيرة غيظ الكافرين .

وإنا لنجد فى الأناجيل التى بين أيدينا اليوم هذا، فقد ورد فى الاصحاح الثامن من إنجيل لوقا فى تشبيه عمل المؤمنين قول المسيح عليه السلام «خرج الزارع ليزرع زرعه، وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فانداس وأكلته طيور السماء، وسقط آخر على الصخر، فلما نبت جف لأنه لم تكن له رطوبة وسقط آخر فى وسط الشوك فنبت معه الشوك وخنقه، وسقط آخر فى الأرض الصالحة فلما نبت صنع ثمراً مائة ضعف» ثم تضيف عبارة الإنجيل «قال هذا ونادى من له أذنان للسمع فليسمع» .

وجاء قوله تعالى - فى ختام الآية - «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً» . وفى القول جاءت «من» فى «منهم» للبيان، فبين أنه تعالى وعد المؤمنين

الذين عملوا الصالحات أن يغفر لهم ذنوبهم وأن يشيهم ثوابا عظيما. وفي القول - مقروءا مع ما سبقه - ما يفيد أن وعده تعالى هذا يغيب الكافرين لما يحمل من معنى خص المؤمنين دونهم بخير الآخرة من بعد أن كانت لهم العزة في الدنيا .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْذِرُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ①

التفسير:

الآية الشريفة مبدأ بيان مكارم الأخلاق وعلاقتها بصلاح الدين، نادى تعالى الذين آمنوا لتنبيههم إلى أهمية القول ليكون منهم الاهتمام بتلقيه والعمل به والمحافظة عليه، ثم نهاهم تعالى عن أن يقدموا بين يدي الله ورسوله بمعنى أن يسبقوا الله ورسوله بالقول في الأمر قبل أن يحكم الله ورسوله به ويأذنا به. فيكون المعنى هو النهي عن القطع بأمر والجزم به والعمل به قبل أن يظهر الله ورسوله الحكم فيه، أو إنه النهي عن الإقدام على أمر من الأمور قبل عرضه

على الكتاب والسنة لمعرفة حكم الله ورسوله فيه.

ثم أتبع تعالى نهيه هذا بأمره المؤمنين بتقواه في كل ما يعملون وكل ما يتركون عمله، وأعلمهم أنه يزاقب أعمالهم ويحاسبهم بها بذكره أنه سميع عليم، يسمع أقوالهم ويعلم ما يعملون وما يخفون في صدورهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ
صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ
أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥﴾

التفسير:

كرر تعالى النداء على الذين آمنوا مبالغة في إظهار أهمية ما يلقي إليهم من القول ثم نهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته ﷺ إذا تكلم، بمعنى ألا تبلغ درجة صوتهم في علوها حد درجة صوته ﷺ، كما نهاهم عن أن تكون درجة أصواتهم في العلو إذا ما خاطبوه ﷺ مثل درجتها لدى مخاطبتهم بعضهم بعضاً.

فيكون المعنى هو ضرورة التزامهم خفض صوتهم إذا ما تكلموا في حضرته ﷺ بما يليق بجلال النبوة. كما يتصور أن يكون المراد بالجهر الذي يماثل جهر بعضهم لبعض هو مناداته مناداتاً بعضهم لبعض مثل قولهم: «يا محمد» بل يكون منهم القول «يا نبي الله» أو «يا رسول الله».

ثم بين تعالى علة نهيه المؤمنين عما نهاهم عنه بقوله «أن تحبط أعمالكم، وأنتم لا تشعرون» والمعنى هو أن يظل فعلهم المنهى عنه أعمالهم الضالحة. وقد يكون ذلك لأن إبلاغهم بالنهي عن رفع صوتهم في حضرة رسول الله ﷺ هو إعلام لهم بأن رفع صوتهم يؤدي

النبي ﷺ، ولما كان إيذاؤه ﷺ يبلغ درجة الكفر فإنه يكون من شأنه إحباط الأعمال الصالحة، لا يمنع منه عدم تعمدهم إيذاؤه ﷺ لأنه يكون منهم إهمال جسيم في الطاعة وهو في خد ذاته خطأ يستوجب المؤاخذه .

إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُمِتَتْ لَهُمْ
الْقُلُوبُ لِلَّهِ وَلِلْغَايَةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٥

التفسير:

الآية في الحث على التزام نهيه تعالى عن رفع الصوت في حضرة رسول الله ﷺ وفي الترغيب فيه .

إذ يخبر تعالى عن الذين يخفضون صوتهم عند رسول الله ﷺ، أنهم الذين أخضعهم الله للتجربة والاختبار على تقواه حتى مرت على الطاعة فكان منهم اتقاء ما يغضبه تعالى ويؤذى رسوله ﷺ وهو رفع الصوت في حضرته ﷺ وأنه تغفر لهم بتقواهم ذنوبهم فلا يعذبون بها في الآخرة ويكون لهم الأجر العظيم على الطاعة ومنها طاعة الله فيما أمر به من غض الصوت عند رسول الله ﷺ .

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ الْخُزُرِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - الذين ينادون : فى قوله تعالى «إن الذين يتادونك من وراء الحجرات»، قيل كان رجلاً واحداً هو الأقرع بن حابس، وافقه الذين كانوا معه فنسب النداء إليهم جميعاً، وقيل إنهم قوم من بنى تميم منهم قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، وسويد بن هاشم، وخالد بن مالك، وعطاء بن حابس، والقعقاع بن معبد، ووكيع بن وكيع، وعيينة بن حصن - وهو الأحمق المطاع واسمه حذيفة - قيل إنه الذى نزل فيه قوله تعالى «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا» .

٢ - الحجرات : جمع، مفردة الحجرة. وهى الرقعة من الأرض المنحجرة بخائط يحوط عليها والمراد بها - فى معنى القول - حجرات نساء رسول الله ﷺ .

ثانياً : التفسير :

نزلت الآيتان فى وفد بنى تميم الذين جاءوا رسول الله ﷺ وقت خلوته فنادوا عليه من خارج حجرات نسائه، يتصور فى هذا أن يكونوا قد أتوها فنادوه من ورائها حجرة بعد حجرة، أو أن يكونوا قد تفرقوا على الحجرات منادين عليه ﷺ. أخبر تعالى عنهم أنهم من قوم يغلب عليهم الجهل، أو أن أكثرهم قد قصد ترك الأدب فى التعامل مع رسول الله ﷺ، وأقلهم كان ذلك منه لأمر قصده فغفل عن الواجب.

ثم إنه تعالى بين خطأهم فى فعلهم بذكره لرسوله ﷺ - المخاطب بالقول - أنهم لو كانوا قد انتظروا خروجه ﷺ إليهم، لكان ذلك أصلح لهم فى شئون دينهم وشئون دنياهم.

وقد يكون من هذا أنهم لو كانوا قد تأدبوا معه ﷺ لكان قد أعتق جميع الأسرى - الذين جاءوا فى طلبهم - بغير فداء، لأنه ﷺ أعتق نصفهم وفادى على النصف الآخر، وهم أسارى بنى عنبر.

وجاء قوله تعالى «والله غفور رحيم» لبيان أنه تعالى يغفر لهؤلاء المسيئين إن تابوا وأصلحوا، وأنه رحمهم إذا كثف بنصيحهم وتقريرهم على سوء أدبهم ولم يعذبهم به .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَبَيِّتُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحُوا عَلَيْهِمْ فَأَفْعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ⑥
وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ⑦ فَضَلَّامِنَ
اللَّهِ وَنِعْمَةَ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ⑧

أولاً : الأسماء والأعلام :

الفاسق : فى قوله تعالى «إن جاءكم فاسق بنبأ» هو الكذاب، وهو المعلن بالذنب يرتكبه، والذي لا يستحى من الله. وقيل إن المراد به - فى القول - هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط بعثه ﷺ إلى بنى المصطلق - وكانت بينه وبينهم ضغينة سابقة - فلما أبصروه قدموا إليه ليستقبلوه مرسلًا من قبل النبی ﷺ فخافهم ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم ارتدوا عن الإسلام وأنهم هموا بقتله وأنهم منعوا صدقاتهم، وقيل إنه ﷺ هم بغزوهم ثم قدم وفد هم عليه ﷺ، وقالوا له «سمعنا بمقدمه فخرجنا إليه لنكرمه» فأنزل الله تعالى الآية وسمى الوليد فاسقاً .

ثانياً : التفسير :

القول - فى الآيات - هو أيضاً فى مكارم الأخلاق، نادى تعالى المؤمنين لاستشارة همهم إلى السماع والطاعة ثم أمرهم أن يكون منهم أنه إذا جاءهم أحد الأشخاص الذين عرف عنهم الكذب أو الجهر بالمعاصى بخبر أو نبأ يتعلق بآخرين، أن يكون منهم العمل على تبين وجه الحقيقة فى قوله والاستيثاق من صحة ما أخبر به أو أنبأ عنه، وبين أن علة هذا هى ألا

يكون منهم رد الفعل السريع المترتب على ما أخبروا به إذا ما تبين كذبه، الذى قد يكون منه إصابة أناس بأذى وضرر نتيجة جهلهم الحقيقة، فيكون منهم الخطأ الذى يندمون عليه حين يتبين لهم وجه الحق.

ثم إنه تعالى نهاهم عن الكذب بذكره لهم أن فيهم رسول الله ﷺ، وفى هذا سبب كاف لانتهائهم عن الكذب، ثم أخبرهم أنه لو كان من شأن رسوله ﷺ المسارعة إلى تلبية ما أرادوه قبل وضوح حقيقة الأمر، كما لو كان ﷺ قد غزا بنى المصطلق بناء على ما سمع من الوليد ابن عقبة الذى أراد بهم شراً، لو كان من شأنه ﷺ هذا لنال المؤمنين منه العنت والمشقة إذ يكونون المتسبين بعدم تثبتهم فى إيذاء الناس بغير سبب، وهو اعتداء غير مشروع يعاقب عليه.

ثم يخاطب تعالى المؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون رسوله ﷺ فيقول لهم إنه جعل الإيمان الصحيح بما يجب الإيمان به فى دين الله محبباً إلى قلوبهم وأنه زين وحسنه بتوفيق إياهم فكان فى قلوبهم حسناً فاختاروه بإرادتهم، وأنه كره إليهم الكفر والكذب ومقارفة المعاصى فامتنعوا عنها بإرادتهم.

ثم إنه تعالى أشار إلى الموصوفين بهذه الصفات وأخبر عنهم بأنهم هم الراشدون بمعنى أنهم الذين ساروا على الطريق السوى الموصول إلى ما فيه صالحهم فى الدنيا والآخرة.

ثم بين تعالى أن ما فعله للمؤمنين من تحبيبهم فى الإيمان وتزيينه فى قلوبهم، وبث الكراهية فى قلوبهم للكفر والفسوق والعصيان، هو من فضله تعالى الذى تفضل به عليهم، ومن نعمه التى أنعم عليهم، إذ به لا يؤاخذون بإثم يرتكبونه، وبه يكسبون رضا الله عليهم.

ثم جاء قوله تعالى «والله عليم حكيم» يثبت أنه تعالى وقد علم حقيقة أمرهم أنعم عليهم بما يستحقونه وتفضل عليهم بما هو أكثر بموجب حكمته.

وَأَن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي
تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

التفسير:

الآيتان في الحفاظ على وحدة المسلمين، فهما في مصلحة عامة للدين والمجتمع، والخطاب فيهما إلى المؤمنين يأمرهم ربهم إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يكون منهم الإصلاح بينهما، جاء - في عبارة - القول بالفعل «اقتتلوا» مسنداً إلى الجمع، لأن كل طائفة تضم جمعاً من الأفراد، أو لأن الجمع هو اثنان فأكثر. والصلح يكون بما يؤدي إليه من إزالة سوء الفهم والدعوة إلى حكم الله وكل طريق مشروع يؤدي إليه. ثم يقول تعالى إنه إذا تعدت إحداهما على الأخرى بغير حق لم يثنها عن هذا محاولات الإصلاح فإنه يكون على سائر المؤمنين قتال الطائفة الباغية إلى أن ترجع عن بغيتها إلى حكم الله أو إلى الحق الذي أمر به تعالى كما يقول إنه إذا كان من الطائفة الباغية - بعد قتال المؤمنين إياها - الرجوع إلى الحق الذي أمر به تعالى أو كان منها هذا خوف قتال المؤمنين إياها، فليكن من المؤمنين الإصلاح بينها وبين الطائفة التي بغى عليها بالعدل، فلا يكون التأثير بما وقع من قتالها. وأكد تعالى على وجوب العدل معها بقوله تعالى «وأقسطوا إن الله يحب المقسطين» وهو أمر بالعدل عموماً وحث عليه ببيان أنه تعالى يحب الذين يعدلون، ومن العدل عدم الإساءة إلى من سبق منهم العدوان بعد رجوعهم إلى الحق.

ثم إنه تعالى بين علة أمره بالإصلاح بين المؤمنين فأثبت أنه تجمعهم رابطة الأخوة في

الدين والإيمان، فالمقتتلون إخوة والمصلحون إخوتهم؛ ولهذا قال تعالى «فأصلحوا بين أخويكم» وقيل إن الآية نزلت في الأوس والخزرج وهما في حكم أخوين لاجتماعهما في الجد الأعلى.

وجاء قوله تعالى «واتقوا الله لعلكم ترحمون» أمر بتقواه تعالى في كل شيء، ومن ذلك ما أمر به تعالى من إصلاح بين المؤمنين المقتتلين، وحثا على هذا ببيان أنه لمن اتقى أن يأمل في رحمة الله تشمله فلا يكون من المعديين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ
مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ
خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَزُولُ الْأَنفُسُ كُمْ وَلَا تَنَازَرُوا بِاللِّقَابِ بئْسَ الْأَسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

التفسير:

الآية هي في درة أسباب تؤدي إلى التباغض بين المؤمنين، وهو ما يذهب بوحدتهم وائتلاف قلوبهم. تضمنت النهي عن ثلاثة أمور، وبينت علة النهي، وتوعدت من لم ينته عما نهت عنه.

خاطب تعالى المؤمنين ونهاهم عن أن يسخر قوم من قوم. والنهي يسرى على الأفراد كما يسرى على الجماعات والطوائف، والمنهى عنه هو السخرية، تكون بالاستهزاء، وبالاتحاق، وبالاتهانة، وبالإشارة إلى العيوب والضحك منها.

ثم بين تعالى علة النهي بقوله «عسى أن يكونوا خيرا منهم». والمعنى هو أن المستهزأ به

قد يكون مكرما عند الله مفضلا على المستهزى به.

ثم كرر تعالى النهى ذاته عن الاستهزاء إلى النساء المؤمنات، نهاهن عن السخرية والاستهزاء بأخريات وبين علة النهى ببيان أن المستهزأ بهن قد يكن - عند الله - أفضل من المستهزئات الساخرات .

ثم نهى تعالى عن اللمز، وهو الإغابة أو التلميح إلى العيوب بإشارة أو بحركة أو بقول، سواء أكان من شأن هذا إثارة الضحك أم لا.

وفى القول جاء لفظ «أنفسكم» ليعين للمؤمنين أن التعيب على مؤمن بشيء ينال العائب فيه، فكأن العائب يعيب على نفسه. والقول بهذا المعنى هو تنبيه على وجوب ستر العيوب .

ونهى تعالى عن التنازع بالألقاب، وهو الدعاء أو المناداة بألقاب يكرهها المدعو أو المنادى عليه كأن يقال له «يا ابن فلانة» لبيان أنه ابن امرأة كانت سيئة السمعة، أو أن يقال لأحدهم «يا يهودى» فى إشارة إلى ما كان عليه قبل الإيمان والإسلام. أو أن يقال لذى عاهة يا أعرج أو يا أعور.

ثم إنه تعالى بين سوء الأعمال المنهى عنها للحث على الانتهاء عنها بقوله «بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان» بمعنى أن «بئس الذكر يذكر به المؤمن - من بعد مقارفة هذه الأعمال - أن يذكر بالفسق من بعد أن يذكر بالإيمان».

فيكون المراد بيانه عدم اجتماع الإيمان والفسق، أو أن الإيمان يستوجب ألا يكون فسق. وأعقب تعالى هذا بتحذيره المؤمنين من عقابه إذا هم لم يتنهوا عما نهاهم عنه، فقال تعالى «ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون» بين أن السخرية بالمؤمنين واللمز والتنازع بالألقاب هى ذنوب يعاقب عليها ما لم تكن توبة، وأن من لم يتب عنها يوصف بالظالم، والظالم معذب بظلمه .



يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا
وَلَا يَغِيبْ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

التفسير:

الآية في البحث على مكارم الأخلاق، خاطب تعالى المؤمنين ثم نهاهم عن الكثير من الظن بأقوى ما يكون عليه النهي وهو الاجتناب أو التجنب والابتعاد، فيكون الاستفادة من القول هو أن القليل من الظن غير منهى عنه. ثم أخبر تعالى عن أن بعض الظن يكون إثماً، فدل على أن البعض الآخر لا يعتبر مما ياثم به المرء. والذي نراه - والله أعلم - أن الكثير من الظن المنهى عنه يشمل الظن بالتهمة بشيء يخالف ما عرف عن المظنون به، كما يشمل الظن بالتهمة التي لم يعرف لها أمانة صحيحة وسبب ظاهر، وأن ما لا يعتبر إثماً من الظن هو الظن بالتهمة فيمن جاهر بالمعاصي واشتهر عنه تعاطي الفساد، أو هو الظن المدغم ببعض الأدلة وإن لم تكن كافية للحكم بها على المظنون فيه. ومعلوم أن الكثير من أحكام الشريعة مبنى على الظن، فالقياس كمصدر للأحكام هو ظن، وخبر الأحاد ظن وليس يقينا وحكم الأروش أو القصاص في الكسور مبنى على الظن.

ثم نهى تعالى المؤمنين عن التجسس وهو البحث عن المحبوس أمره عن المرء أو المكتوم عنه ومنه التطلع إلى عورات الناس وغيوبهم المخفأة. وقد يكون التجسس لقصد التيقن مما قام عليه الظن فيكون سوءاً فوق سوء.

ونهى تعالى عن الغيبة وهي قول ما يسيء إلى المرء في غيبته ولو كان حقاً مادام يذكر عيب والغيبة ثلاث درجات، أولاها الغيبة وهي قول العيب الذي هو حق في الغائب.

وثانيتهما : الإفك وهو قول ما بلغ المغتاب في الغائب .

وبالثالثها : البهتان وهو قول غير الحق في الغائب . ثم كره تعالى في الغيبة بتمثيلها بأكل لحم الأخ ميتا الذي هو حرام مستقذر، جاء تشبيه المغتاب بالميت الذي يؤكل لحمة لا يعلم بهذا لأن المغتاب لا يعلم بما يقوله فيه من يفتابه . ونفر تعالى من الغيبة بقوله «فكرهتموه» بمعنى أنه ما دمتم قد كرهتم أكل لحم إخوانكم ميتين، فاكروها الغيبة، وأتبعه بأمره اتقاءه تعالى أو اتقاء غضبه الذي يحل بمن يرتكب شيئا من المحظورات الثلاثة المنهى عنها في الآية، وبحثه من ارتكب شيئا منها على التوبة منها ليقبل تعالى توبته ويرحمه من عذابه بما عرف .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

أولا : الأسماء :

الشعوب : جمع، مفردة «الشعب» وهو - في الأصل - ما تشعب عن الأصل . قيل إنه القبيلة العظيمة، وقيل إن الشعوب تكون في العجم، كما أن القبائل تكون في العرب ولعل الصحيح - والله أعلم - أن الشعب هو مجموع القبائل التي تعيش في بقعة من الأرض محددة وتخضع لسلطة واحدة تحكمها .

ثانيا : التفسير :

الآية من الآيات التي تدعو إلى مكارم الأخلاق بعدم التفاخر بالحسب والنسب، تستهدف وحدة مجتمع المسلمين، جاء الخطاب فيها موجها إلى الناس جميعا ومنهم المؤمنون المخصوصون بالقول، دعا إلى توجيه الخطاب إلى الناس جميعا أن المخبر عنه يتعلق بهم

جميعا، وهو أنهم جميعا من أصل واحد، إذ كان خلقهم من أب واحد هو آدم عليه السلام وحواء. فتكون وحدة الأصل دليلا على تساويهم في النسب الأول.

ثم يذكر تعالى أنه الذي جعل الناس شعوبا وقبائل وأنه تعالى فعل هذا ليكون التعارف بينهم. والمعنى عندنا - والله أعلم - أنه الذي أوجد الأسباب التي جعلت الناس يتفرون في بقع من الأرض مختلفة، منها أن ازدياد أعدادهم في بقعة محصورة من الأرض يجعلها تضيق بالرزق عليهم فيضطر بعضهم إلى الانتقال إلى بقع أخرى من الأرض، ومنها أن تقوم عداوات بين بعضهم والبعض فيضطر بعضهم إلى الهجرة مجبرا أو مختارا، ومنها أن يحدث جفاف في الأرض فيضطر القوم إلى التفرق في الأرض بحثا عن الماء، فيكون تشعب الناس في قبائل يجتمع بعضها في مكان واحد فيكون شعبا.

ثم يكون التعارف بينهم بسبب اختلاف كل بقعة في الأرض يسكنها قوم عن الأخرى في طبيعتها وفي إنتاجها بما يخلق الحاجة إلى نتاج الأرض التي يسكنها آخرون، فيكون التعارف إما بطريق إغارة قبائل وشعوب على قبائل وشعوب أخرى، وإما بطريق تبادل الإنتاج أو التجارة.

وجاء قوله تعالى «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» لبيان أن معيار المفاضلة بين الناس ليس هو الأصل أو النسب، وإنما هو تقوى الله بمراعاة حدوده فيما أمر به وما نهى عنه. أتبعه تعالى بقوله «إن الله عليم خبير» ليثبت علمه بكل أحوال البشر وبما توافر في كل منهم من صفات يكون لها أثرها في درجة صاحبها لديه تعالى.

وقد يكون في هذا إشارة إلى سبب نزول الآية وهو ما قيل من أنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة وأمر بالآذان يؤذن على ظهر الكعبة فأذن، قال الحارث بن هشام «أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا» أو إنه لما أمر رسول الله ﷺ بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم قالوا له ﷺ: «نزوج بناتنا موالينا؟» فكان القول لإثبات أنه لا تفاضل بين الناس بسبب اللون أو بسبب الحسب والنسب، وأنه تعالى العليم الخبير بحال كل امرئ وما هو أهل له.



قَالَ الْأَعْرَابُ

يَا مَعْزِلُ لِمَ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ
وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَنَالَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑭ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ
الصَّادِقُونَ ⑮ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑯

أولاً : الأسماء والأعلام :

الأعراب : هم البدو أهل الصحراء، قيل إن المراد بهم - في معنى القول - أعراب من
بنى أسد بن خزيمة قلعوا على رسول الله ﷺ يطلبون الصدقة في سنة جدية، نطقوا
بالشهادتين دون أن تؤمن قلوبهم، وجعلوا يمتنون عليه أنهم آمنوا ولم يقاتلوه.

وقيل هم أعراب مزينة وجهينة وأسلم وغفار والمديلة وأشجع قالوا آمنا ليؤمنوا على أنفسهم
وأموالهم.

ثانياً : التفسير :

القول - في الآيات - هو في أعراب أتوا رسول الله ﷺ يطلبون الصدقة أو يريدون أن يأمنوا
على أنفسهم وأموالهم متلذذين بأنهم مؤمنون بترديد هم الشهادتين، وذلك دون أن تكون
قلوبهم قد آمنت، ففصح تعالى أمرهم بأمره رسول الله ﷺ أن يقول لهم إنهم لم يؤمنوا، وأن

يكتفوا بقولهم إنهم أسلموا بمعنى أنهم قالوا بالاستتهم دون قلوبهم كلمة الإيمان التي يقولها المؤمنون، أو بمعنى أنهم استسلموا وانقادوا قصد تحقيق مصلحة من حصول على نفع أو درء مضرة تلحق بهم.

كما أمره تعالى أن يقول لهم إنه إلى وقتي الذي يعادتهم فيه لم يدخل الإيمان الصحيح قلوبهم، وأن ينصح لهم بطاعة الله ورسوله، تكون بالإيمان بما أنزل تعالى على رسوله ﷺ وما دعا إليه، وأن يحثهم على الطاعة بذكره لهم أنهم إذا ما أطاعوا الله ورسوله فإنه تعالى لا ينقص من أجر أعمالهم شيئا، ومنها قولهم كلمة التوحيد إذ تكون موافقة ما في قلوبهم، وأن يذكر لهم من صفاته تعالى أنه غفور رحيم ليعلموا أنهم إن أطاعوا الله ورسوله يفسر لهم ذنوبهم ومنها كذبهم على رسول الله ﷺ بإذعانهم الإيمان، وأنه تعالى يدخلهم في رحمته فتكون لهم الجنة لا يدخلها إلا من رحم ربه.

وبعد هذا يعرف تعالى بالمؤمنين الجذيرين أن يوصفوا بأنهم مؤمنون، فيقول إنهم الذين آمنوا بالله ورسوله، بمعنى أنهم آمنوا بالله ووجدوه، وآمنوا لرسوله ﷺ وما أنزل إليه من ربه، ولم يشكوا في شيء مما ورد بكتاب الله وما نطق به رسول الله ﷺ، وقترنوا إيمانهم بالعمل الصالح، وأمه الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

ثم يشير تعالى إلى الذين توافرت فيهم هذه الصفات وينبئ عنهم أنهم الصادقون، بمعنى أنهم الصادقون إذ يقولون عن أنفسهم إنهم مؤمنون، لموافقة شهادتهم لأنفسهم شهادة الله فيهم.

ويجيء قوله تعالى «قل أتعلمون الله بدينكم» إعلاما لرسول الله ﷺ أن القوم الأعراب سيقولون له ﷺ - كذبا - أنهم مؤمنون بقلوبهم، وأمر إلهه ﷺ أن يقول لهم - منكرا عليهم قولهم - «أتعلمون الله بدينكم» ليعلموا أنه تعالى يعلم عقيدة قلوبهم وأنها على غير ما يزعمون، وأن يؤكد لهم أن ما علمه تعالى هو الحق بذكره لهم أنه تعالى يعلم جميع ما في السماوات وما في الأرض، وأنه ما من شيء إلا وهو تعالى به عليم، ومن هذا حقيقة ما انطوت عليه قلوبهم وأخبره رسوله ﷺ.

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا^ط
 قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَ كُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
 بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

التفسير:

القول - فى الآيتين - هو فى الأعراب الذين جاءوا رسول الله ﷺ يقولون له «جئناك بالأنفال والعيال ولم نقاتلك» يخاطب تعالى رسوله ﷺ فى شأن قولهم له، فيقول تعالى له إنهم يمتنون عليك لأن أسلموا، ثم إنه لما كان الإسلام الصحيح لا يتفع إلا من آمن، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن ينهاهم عن أن يمتنوا عليه بإسلامهم، وأن يعرفهم أنهم إن آمنوا وصدقوا الله فى إيمانهم فإنه تعالى يكون الذى من عليهم بأن هداهم إلى الإيمان.

وأنه تعالى يعلم ما سيكون منهم من إيمان صحيح أو عدم إيمان بحكم كونه تعالى الذى يعلم غيب السماوات والأرض، وأن يحذرهم من الكذب على الله ورسوله وألا يوافق عملهم ما ينطقون به، بذكره صلى الله عليه وسلم لهم أنه تعالى بصير بما يعملون؛ بما يعنى أنه محاسبهم به ومجازيهم .



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ
هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢ أَوِ زَامِنَا وَكَانُوا آبَاءَ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا
مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ٤ بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ٥

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - المنذر : فى قوله تعالى « أن جاءهم منذر منهم » هو رسول الله محمد ﷺ .

٢ - الكتاب الحفيظ : فى قوله تعالى « وعندنا كتاب حفيظ » قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل هو العلم والإحصاء .

٣ - المريج : فى قوله تعالى « فهم فى أمر مريج » هو المختلط .

ثانياً : التفسير :

افتتحت السورة باسم الحرف « ق » قيل فيه إنه جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء

اخضرت منه السماء وهى عليه مثل القبة. وقيل إن ذا القرنين أتاه ورأى تحته جبالاً صغاراً فسأله عن نفسه فقال أنا قاف، وأن الجبال الصغار هى عروقه المشعبة فى البلاد يكون منها الزلازل بأسرار الله. وهذه محض أقوال. والزاجح أنه من أسماء الأحرف وهى من المتشابه من القرآن. ثم أقسم تعالى بالقرآن المجيد، ويبدو أن المقسم عليه هو البعث على ما يبين من قوله تعالى «أئذا متنا وكنا تراباً».

ثم بين تعالى ما كان من قريش أو من العرب حين بعث تعالى محمداً ﷺ منهم رسولا منذرا بالقرآن، وهو تعجبهم من هذا الذى كان، ثم ميز بين الذين آمنوا منهم وبين الذين كفروا بذكره أن الكافرين منهم لم يؤمنوا بما أنذرهم به رسول الله ﷺ من حسابهم ومعاقبتهم بعد بغثهم فى الآخرة إذا ما أصروا على الكفر فقالوا عن البعث، أو عنه وعن إرسال رسول الله ﷺ إنه أمر عجيب، بمعنى أنه جدير أن يتعجب منه لفرط غرابته. ثم يدللون على عدم موافقة ما أخبروا به للعقل بقولهم «أئذا متنا وكنا تراباً، ذلك رجع بعيد» فيه ينكرون أنهم بعد موتهم وفناء أجسادهم فى الأرض مختلطة فى ترابها يكون لهم رد إلى الحياة من بعد ابتعاد الزمان عن وقت موتهم أو بمعنى أن الرد إلى الحياة هو أمر بعيد عن التصور.

ثم جاء قوله تعالى «قد علمنا ما تنقص الأرض منهم» وفيه قيل إن معناه أنه تعالى يعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم إذا ما دفنوا فيها، وأين يكون، فيكون القول مشيراً إلى قدرته تعالى على جمع ذرات أجسادهم وإعادة تكوينها وإعادة الروح إليها وبعثها فى الآخرة، فتكون «ما» فى القول بمعنى الاسم الموصول «الذى»، والذى نراه - والله أعلم - أن «ما» فى القول نافية، فيكون المعنى أنه تعالى يعلم أن الأرض لا تنقص بموتهم شيئاً من وزنها ولا من حجمها، والمعنى أن ذرات أجسادهم لا تبدد على الحقيقة ولا تنزل، فيكون تعالى قادراً على جمعها وبعثها فى الآخرة.

يؤكد هذا قوله تعالى «وعندنا كتاب حفيظ» وهو اللوح المحفوظ ذكر فيه كل شيء وحفظ، ومن هذا ذرات جسد كل مخلوق أين تكون بعد موته ولو كان قد أكلته سباع الطير والحيوان أو أكلته الأسماك، أو احترق فى القضاء.

ثم يذكر تعالى حقيقة أمرهم فيما يتعلق بإنكارهم البعث، وهى أنهم كذبوا بالقرآن العظيم - وهو الحق من ربهم - وفيه ذكر البعث، وأنهم لافتقادهم الحجة على كونه لم ينزل من الله تعالى مختلط قولهم فيه فهم يصفونه تارة بأنه سحر وتارة بأنه شعرا، وأخرى بأنه أساطير الأولين .

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ
بَيَّنَّاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ①
فِيهَا رُؤُوسٌ وَأُبْشَانَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ②
لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ③ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَبَّ الْحَبِيدِ ④ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ⑤ رِزْقًا لِلْعِبَادِ
وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ⑥

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو بيان لضلالات منكرى البعث الذين كان مفترضا فيهم أن يستدلوا من آيات الله فى خلقه على عظيم قدرته ومن هذا قدرته تعالى على بعثهم للحساب من بعد الموت .

جاء الاستفهام فى قوله تعالى «أفلم ينظروا» لإثبات أنهم نظروا ولإنكار أنهم إذ نظروا لم يعتبروا ولم يستدلوا على الحق - الذى نظروه ولم يعتبروا به يشمل - فى مقام أول - فى السماء فوقهم بناها تعالى بغير عمد يرونها وزينها بالكواكب والنجوم دون أن تكون فيها شقوق وفتحات مرئية لهم . والمعلوم - على ما سبق بيانه - أنه تعالى قد جعل هذا بما خلق من

قوانين الطبيعة ومنها قانون الجاذبية، وقانون الطفو، ودرجة ابتعاد الكواكب والأجرام بعضها عن البعض. وقد يكون معنى قوله تعالى في السماء «وما لها من فروج» - والله أعلم - هو «وما يكون للسماء من فروج» فيكون القول مشيراً لما حدث من تمزق طبقة الأوزون في الغلاف الجوى المحيط بالأرض .

ويتمثل - فى مقام ثان - فى الأرض بسطحها تعالى مع كونها كروية الشكل لتكون للناس معاشاً ومهداً، وسبلاً، ومسالك، وألقى فيها الجبال الرواسى لتحفظ توازنها أثناء دورانها حول محورها - على ما سبق بيانه وتفصيله علمياً - وأثبت تعالى فيها من كل نوع من أنواع النبات ما هو حسن المنظر يسر الناظرين .

ثم بين تعالى أن ما خلقه من السماء والأرض وما جعله فيهما إنما كان منه تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، بمعنى أنه يكون سبباً لتبصر قدرته تعالى على فعل كل شيء ومنه البعث، وتذكيراً للحق وبالحق وهو أنه تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً بما يفيد حتمية البعث للحساب والجزاء.

كما بين تعالى أن الذى يتبصر ويتذكر هو العبد المنيب، فيكون القول معرفاً بأن جميع المكلفين عبيد الله، وأن من يتبصر منهم ويتذكر هو من خلق تعالى لديه الاستعداد للرجوع عن الباطل إلى الحق إذا ما قام لديه الدليل على ذلك، دون إصرار منه على الباطل .

ثم يذكر تعالى من آياته فى الخلق التى يستدل بها على قدرته على البعث إنزاله من السحاب يكون من جهة العلوماء المطر الكثير البركة والخير ينبت به الجنات والبساتين بما تحوى من الأشجار المثمرة والأشجار التى تسر الناظرين كما ينبت به ما يحصد نتاجه مثل القمح والشعير والحبوب أو جميع ما يحصد ويدخر ويقتات به. كما ينبت به النخل تكون طوالاً مستويات تخرج البلح ثمرها منضداً بعضه فوق بعض قبل أن يخرج من أكمامه. فيكون جميع ما ينبت من الأرض بركة المطر رزقاً للعباد يتفجعون به من الله ربهم والمدبر أحوالهم ومعيشتهم .

ثم يذكر تعالى مما يكون من المطر الذى ينزله من السماء أنه يكون به إحياء الأرض الميتة

التي خلقت من مظاهر الحياة بسبب الجفاف، يبعث المطر فيها الحياة، إذ تتحرك بالنبات يخرج منها ثم تستقيم سوقه وتورق فتكون به الحياة. ويجيء قوله تعالى «كذلك الخروج» لبيان أنه على ذات النحو الذي يبعث الله فيه الحياة في الأرض الميتة، يكون إحياءه تعالى الأموات بالبعث وهذا هو ما كان مفترضا أن يستوثق منه الذين أنكروا البعث لو كانوا يتبصرون ويتذكرون.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ
الرِّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ
وَقَوْمُ ثَمُودَ كُلُّ كَذَّابٍ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ
بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه كان على المكذبين بالبعث أن يؤمنوا به وقد نظروا آياته تعالى في خلقه، فإنه أثبت في الآيات أنهم اتبعوا سبيل الذين كذبوا الرسل الذين أخبروا بالبعث من أهل الأمم السابقة الذين أنزل بهم الله عذابه. ثم ذكر تعالى دليلا آخر على قدرته على بعث الأموات لعل المكذبين بالبعث به يتبصرون.

أخبر تعالى عن المكذبين بالبعث من قبل، فذكر قوم نوح عليه السلام، وذكر أصحاب الرس وهي البثر التي قيل إنها كانت بفلج وقيل كانت باليمامة، الذين قيل عنهم إنهم قتلوا نبيهم وألقوه في البثر، وذكر ثمود قوم صالح عليه السلام، وعادا قوم هود عليه السلام، وذكر فرعون - والمراد هو فرعون ومن عاضده وأيده على الكفر من قومه - وذكر إخوان لوط وهم أهل زوجه الذين سكن قريتهم سدوم، فكان بمرتبة الأخ منهم، وذكر أصحاب الأيكة الذين أرسل

إليهم شعيب عليه السلام، وذكر قوم تبع، وهم القبيلة اليمنية التي تنسب إليه. أخبر تعالى عنهم أن كلا منهم كذب الرسل، بمعنى أن كلا منهم كذب جميع الرسل الذين دعوا إلى التوحيد وفكروا بالبعث وأنذروا بالخصاب، أو أن كلا منهم كذب الرسول المبعوث إليه من الله. ثم أثبت تعالى أنه قد حَقَّ في كلِّ منهم وعيده بالعذاب؛ فيكون القول متضمنًا تهديد المكذِّبين بالبعث من قوم رسول الله ﷺ بالعذاب.

أعقب هذا سبحانه وتعالى بإقامة دليل على قدرته على البعث بقوله «أفبعينا بالخلق الأول» جاء الاستفهام فيه لإثبات أنه تعالى قد عيى أو تعب من خلق المخلوقات من العدم، أو أنه لم يعرف كيف يكون الخلق والإيجاد من العدم لأول مرة، ليكون المستفاد من هذا أنه لا يعييه تعالى بعث الأموات إلى الحياة، إذ يكون هذا أهون من الخلق والإيجاد من العدم لأول مرة.

ثم ذكر تعالى حال المكذِّبين بالبعث بقوله «بلى هم في لبس من خلق جديد» بمعنى أنهم مترددون في أنفسهم بين التصديق بالبعث وبين الكفر به وإنكاره.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَآئِئَةَ نَفْسٍ ۚ ثُمَّ رَدُّهُ إِلَى يَدِ الْوَرِيدِ ۖ إِذْ يَسْأَلُ الْمُسْتَظْفِينَ
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۖ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَيْنٌ ۖ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۖ

أولاً : الاستسقاء :

١ - جبل الوريد : هو الوريد الممتد بين خلق الموء وعاقته، الذي يسميه العرب «جبل

العاقب» ولإنسان منه اثنان أحدهما يتجه من الخلق إلى العاقب الأيمن، والآخر يتجه من الخلق إلى العاقب الأيسر.

٢ - القعيد : في قوله تعالى «عن اليمين وعن الشمال قعيد» هو القاعد، والمراد به في معنى الآية هو الملازم .

٣ - العتيد : في قوله تعالى «الإلديه رقيب عتيد» هو المستمع لجميع الأمور، وهو الحافظ والشاهد، أو المعد لهذا

٤ - سكرة الموت : هي شدته وغمرته .

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى حقيقة حال المكذبين بالبعث والحساب وأنهم مترددون بين الإيمان بالبعث وبين الكفر به، فإنه تعالى بين أن قوله فيهم هو قول الحق لأنه قول بعلم، فأثبت تعالى أنه الذي خلق الإنسان، إذ خلق آدم أبا البشرية، وخلق ذريته، ومن شأن الخالق أن يعرف أمور ما خلق، ثم أثبت أنه أقرب إليه من مكنونات ذاته أو مما هو فيه، وليس المراد هو القرب المكاني وإنما القرب المعرفي، بمعنى أنه تعالى أعرف بالإنسان من نفسه، فإذا كان حبل الوريد أو الوريد الواصل بين خلق الإنسان وعاتقه هو بعض منه، فإنه تعالى أقرب إلى الإنسان من وريده هذا، ثم بين تعالى أنه رغم إحاطته علما بما يكون من الإنسان بحكم قربه منه على هذا النحو إلا أنه تعالى وكل بكل فرد من جنس الإنسان ملكين يكون أحدهما عن يمينه - وهو الذي يكتب حسناته - ويكون الآخر عن شماله - وهو الذي يكتب سيئاته، يكون كل منهما قاعدا في مكانه لتدوين ما كلف من الله بتدوينه لتكون حجة على الفرد يوم يقال له «اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا» .

وأوضح تعالى مدى إخلاص كل ملك من الملكين في أداء ما كلف به بذكره أنه ما من لفظ يتلفظ به المرء إلا تتبعه الملك الموكل به فحفظه عليه ودونه في صحيفته، إن كان حسنا دونه ملك اليمين، وإن كان سيئة دونه ملك الشمال، فيكون الملك رقيا حافظا لما يقول، ويكون مستعدا دائما للحفظ والتدوين، ولهذا وصفه تعالى بأنه رقيب عتيد. وجاء بيان تدوين الأقوال مثبتا تدوين الأفعال من باب أولى .

ثم بين تعالى أن الحال يظل على هذا النحو من التدوين إلى أن تأتي المرء سكرة الموت بالحق، بمعنى إلى أن يعاني الفرد شدة الموت الذي هو الوعد الحق، أو الذي هو من الله الحق، فيقال له «ذلك ما كنت منه تحيد»، قيل إن معناه إن ذلك الموت هو ما كنت تفر منه وتحيد عنه. والذي نراه - والله أعلم - أن «ذلك» تشير إلى البعيد، وهو ما بعد الموت من الحساب ومن التنعيم أو التعذيب، لأن الموت يكون قريباً فلا يشار إليه بـ «ذلك»، إذ أنه يعرض على المحتضر مكانه من الجنة أو من النار فيعرف مصيره، فيقال له عنه «ذلك ما كنت منه تحيد» بمعنى إنه ما كان يميل عن التصديق به إلى التكذيب .

وَنَفِخْ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ
وَشَهِيدٌ ۝ لَّقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝

أولاً : الأسماء :

١ - السائق : في قوله تعالى «معها سائق وشهيد» قيل هو ملك يسوق كل امرئ يوم القيامة إلى أمر الله، وقيل هو قرين كل نفس من الشياطين سمى سائقاً لأنه يتبعها .

٢ - الشهيد : في قوله تعالى «معها سائق وشهيد» قيل هو ما يشهد على المرء يوم القيامة من جوارحه، وقيل هو عمل الإنسان، وقيل هو ملك يشهد على النفس بعملها .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيات - هو فيما يكون عند البعث الذي كذب به المكذبون، والذي هو حق، يكون عند النفخة الثانية في الصور، فيكون به تحقق وعيده للكافرين المكذبين أنه معذبهم .

ثم يبين تعالى أنه تأتي كل نفس ربها معها سائق يستوقها إلى أمر ربها ومعها شاهد عليها. قيل في السائق إنه ملك وقيل إنه قرينه من الشياطين، وقيل في الشواهد إنه جوارح المرء التي تشهد عليه، وقيل هو ملك يشهد على النفس بعملها .

ثم يجيء قوله تعالى «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد». وفيه قيل إن المخاطب هو رسول الله ﷺ، يقول له ربه إنه كان في غفلة من الرسالة في قریش في جاهليتهم، وأن بصريته في ذلك اليوم أوبصيرة قلبه يرى أو ترى ما كان محجوباً عنه. وقيل إن الخطاب للمشركين والمكذبين، وهذا عندنا - والله أعلم - هو ما يتفق وتسلسل المعنى، فيكون المعنى أن المكذب بالبعث، والكافر الذي لم يعمل لأخوته كان غافلاً عن البعث والحساب، ثم كان منه تعالى معه في الآخرة أن نزع الغشاوة من فوق عينيه فنظر وشاهد سيئاته التي يعذب بها ونزع الأقفال من فوق القلوب التي عميت فتيقنت من العذاب الذي أعد لها. يكون ذلك منه تعالى مع الكافرين قبل أن يعميهم .

وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عِنْدِي ﴿٢٢﴾ أَتَقِيَّ فِي
جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٣﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَرِيٍّ ﴿٢٤﴾ الَّذِي جَعَلَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٥﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

- ١ - القرين : في قوله تعالى «وقال قرينه» قيل هو الملاك الموكل بالمرء يوم القيامة، وقيل هو قرين المرء من الشياطين، وقيل هو قرين المرء من الإنس .
- ٢ - العنيد : في قوله تعالى «كل كفار عنيد» هو المعرض عن الحق بإصرار، لا يثنيه عنه دليل ولا حجة .

٣- المناع للخير: في قوله تعالى «مناع للخير معتد مريب» قيل إن المراد به - في معنى القول - هو الوليد بن المغيرة لأنه كان يمنع ابن أخيه عن الإسلام وهو الخير.

ثانياً: التفسير:

يقول تعالى إنه بعد أن يأتي المرء ربه من بعد البعث معه سائق وشهيد، يكون من الملك الموكل بأمره أن يقدم كتاب عمل المرء أو صحيفة أعماله قائلاً إن هذا هو ما عنده من كتاب عمله معد لديه محفوظ.

فيقول تعالى وهو العالم بما كان منه وبما هو ثابت في كتابه أو في صحيفة أعماله للسائق والشهيد «ألقيا في جهنم كل كفار عنيد».

وقيل إنه يقال هذا للقرين خوطب بلفظ الاثنين. وهو أمر بأن يكون من السائق والشهيد المرافقين كل نفس أن يلقيا في جهنم من حقت عليه كلمة العذاب، وصف من أمر بالقاء في جهنم بأنه كل كفار عنيد، فهو الكافر الذي أصر على الكفر وإذا الحق بعد أن تبينت له دلالته وأماراته.

وهو المناع للخير يمنع الناس عن الإيمان أو يتمتع عن أداء الزكاة المفروضة، وهو المعتدى بغير حق على حقوق العباد بعد أن قصر في حق الله تعالى. وهو الشاك المرتاب في توحيد الله تعالى، وهو المشرك الذي أشرك بعبادة الله تعالى فبعد معه إليها في عقيدته غير الله الواحد الذي لا إله غيره.

قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا

مَا أَطَقْنَاهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوهُ الَّذِي

وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا بَدَّلُ الْقَوْلُ لَدِي وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ

لِّلْبَعِيدِ ﴿٢٩﴾

أولاً: الأسماء:

١ - القرين : فى قوله تعالى «قال قرينه ربنا ما أطغيته» قيل هو الشيطان القرين، وقيل هو الملك القرين، والذي نراه - والله أعلم - أنه الشيطان القرين، بدلالة قوله تعالى «لا تختصموا لى وقد قدمت إلكم بالوعيد» .

ثانياً: التفسير:

مفاد قوله تعالى أنه يكون من الشيطان الذى كان قرينا للكافر أنه يتبرأ منه ويرجع تبعه الكفر والعصيان إلى الكافر والعاصى، بذكره أنه ليس الذى دفعه إلى الكفر والعصيان، وأن الكافر والعاصى هو الذى كان من نفسه على ضلال من الأمر بعيد، وقيل إن الكافر والعاصى يقول عن الملك إنه زاد فى كتابه سيئاته فينكر الملك هذا، والراجح أن القائل هو الشيطان القرين على ما بين من قوله تعالى «لا تختصموا لى وقد قدمت إلكم بالوعيد». ويذكر تعالى أنه يقول للكافرين وقرنائهم من الشياطين ألا يختصموا لى تعالى، بمعنى أنه ينهاهم عن هذا فى حضرته، لأنه تخاصم لا يفيد، إذ سبق منه تعالى أنه توعدهم بعذاب جهنم بقوله «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين».

وبين تعالى أن قوله فيهم أن يملأ منهم جهنم هو قول لا تبديل له ولا تغيير، وأنه بتعذيبهم إنما يعذبهم بما كان منهم أو إنه تعالى يعذبهم بكفرهم وإجرامهم فى حق الله وحق أنفسهم وحقوق الناس، وأنه لا يزيد لأحد فى العذاب فوق ما استحق بعمله .

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٢٥﴾
وَأَزْلِفِ النَّارَ لِلْبَاقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٢٦﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ
أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٢٧﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٢٨﴾
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٢٩﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يقال للكافرين وقرنائهم من الشياطين إنه سبق منه القول أن يملأ منهم جهنم الذي يشير إليه قوله تعالى «وقد قدمت إليكم بالوعيد»، فإنه تعالى يقول «يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد» جاء فيه «يوم» منصوبا ليكون مفاد القول هو «ما يبذل القول لدى يوم نقول لجهنم» أو لكونه مفعولا به بتقدير فعل «وأندرهم».

والمراد إثباته هو أنه تعالى يسأل جهنم يومذاك عما إذا كانت قد امتلأت، فتجيب جهنم بعد أن أنطقها الله قائلة «هل من مزيد» وفيه قيل إنها تعبر بالاستفهام عن امتلائها، فتسأل: «هل لا يزال هناك مزيد من الكافرين يلقون فيها»، وقيل - وهو ما نراه والله أعلم - إن الاستفهام يفيد عدم امتلائها وانتظارها المزيد من أهلها يلقون فيها، وقيل إنه ما من بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت في جهنم إلا وعليه اسم صاحبه، ولذلك فإن جهنم تعرف من وجود هذه الأشياء دون أصحابها أنها لم يدخلها جميع من قدر لهم أنهم داخلوها، فتطلب المزيد ممن يلقون فيها. فإذا ما امتلأت ولم يبق من أهلها أحد لم يدخلها قال خزنتها «قط قط، حسينا حسينا، اكتفينا اكتفينا» وعندئذ تنطبق جهنم على أهلها.

ثم يقول تعالى «وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد» بمعنى أنها تقرب إليهم وتدنى منهم يوم القيامة الذي ليس ببعيد زمانه، لأنه واقع لا محال، وكل ما هو آت قريب، وقيل إن المعنى أنه تعالى قرب الجنة من قلوب المتقين حين يسر لهم في الدنيا اجتناب المعاصي، كما قيل إن معناه أنه قرب لهم مواضعهم في الجنة من مكان دخولها، أو فيما بين بعضهم والبعض فيها.

كما يذكر تعالى أنه يقال للمتقين بعد تقرب الجنة منهم إنها هي الجزاء الذي وعدوا به في الدنيا في كتبه المنزل وعلى السنة رسله، إذ كان قوله تعالى وقولهم إنه يكون لكل أبواب حفيظ بمعنى أنه يكون للرجاعين إلى الله من بعد ارتكاب المعاصي، يكون منهم الرجوع إلى الله كلما ارتكبوا ذنبا أو معصية، أو للمسبحين الله لقوله تعالى «يا حبال أوبى معه». والذين

هم حافظون حقوق الله يؤدون الفرائض ويؤدون حقوق النعمة من الشكر ويحفظون نصوصاياه تعالى بالقبول.

ثم يصف تعالى هؤلاء الذين أزلت الجنة لهم بأنهم كل من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب، بمعنى أنهم كل من خشى غضب الله تعالى الموصوف بأنه الرحمن، فهو يخشاه رغم علمه أنه الرحمن الذي يرحم عباده، وأنه رغم معرفته بذلك يخشاه ممّا مفاده أن يحرص على ألا يخطيء خطأ يسيرا، يكون منه هذا رغم أنه لم ير ربه أو بمعنى أنه يخاف الله ويخشاه في خلوته غائبا عن الناس في حضرته تعالى. وأقبل على طاعته تعالى بقلب مخلص في إيمانه وفي العمل مبتغيا وجه ربه.

ثم يذكر تعالى أنه يقال لأهل هذه الصفات ادخلوا الجنة بسلامة من أن تعذبوا أو بسلام من الله وملائكته عليكم ليكون لكم فيها الخلود.

ويتبع تعالى هذا بذكره أنه يكون لهم في الجنة كل ما تشهى أنفسهم من النعم، وما يجمل في أعينهم، ثم يكون لهم ما يزيد على هذا فضلا من الله وكرما. قيل فيه إنه النظر إلى وجهه الكريم تعالى. وقيل هو كل ما ينعم به عليهم مما لم يروه في دنياهم ولم يعرفوا خيره من صنوف الخير واللذائذ.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ
هَلْ مِنْ مَّحِصٍ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ
وَهُوَ شَهِيدٌ ۝

التفسير:

الخطاب إلى رسول الله ﷺ، وهو في شأن المكذبين من قومه، جاءت «كم» في قوله تعالى «وكم أهلكنا قبلهم من قرن» للكثرة، فالمراد بها بيان أن الأقوام الذين أهلكهم الله من

المكذبين رسلهم والمكذبين بالبعث قبل زمانه ﷺ وزمان قومه كثيرون. ووصف تعالى هؤلاء المكذبين المهلكين بأنهم كانوا أكثر بطشا وقوة من قومه ﷺ، والمراد هو بيان أن قوتهم لم تمنع عنهم عذاب الله، فيكون قومه ﷺ أهون على العذاب وأضعف ممن سبقوهم، ثم ذكر تعالى أن هؤلاء السابقين نقبوا في البلاد.

وبين من «الفاء» في «فنبؤوا» أنها لإظهار علاقة السببية بين قوتهم وبين بطشهم وبين التنقيب في البلاد بمعنى الطوف بها وتملكها، بمعنى أنهم بقوتهم طوفوا بالبلاد وملكوها تمسكا بالحياة وهربا من الموت أو نسيانا لأمره. ويتصور في المعنى أن يكون أنهم بحثوا في البلاد عن ملجأ يكون لهم فيه خلاص من عذاب الله وإهلاكهم، والمستفاد من القول أنهم لم يكن لهم من الهلاك خلاص.

وقيل إن الضمير في «فنبؤوا» يعود إلى أهل مكة الذين ساروا في قرى المهلكين وتبين لهم أنه لم يكن للمهلكين محيص من عذاب الله مما كان مفاده ضرورة اعتبارهم بهذا، فيكون المراد بالاستفهام هو الإنكار على كفار مكة أن يكونوا قد وجدوا محيصا ينجيهم من عذاب الله إذا حل بهم.

ثم يبين تعالى أن الذي يتذكر ويعتبر بما جاء في قصص المهلكين أو بما ذكر في السورة، هو من كان له قلب يعي ويفهم ويعتبر.

فيكون القول مفيدا أن من لا يتذكر قلبه ولا يعتبر هو مثل من لا قلب له، وأن الذي يتذكر ويعتبر هو من أصغى إلى القرآن العظيم يتلى عليه حاضر الذهن مع الحاضرين التلاوة أو من أصغى إليه شاهدا أنه من الله .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۖ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ
طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ۖ

التفسير:

بدأ تعالى القول - فى الآيات - ببيان مظهر من مظاهر قدرته تمهيدا لما أمر به رسوله ﷺ بعد هذا .

فذكر تعالى أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام، والمعنى أنه تعالى خلقها وخلق ما فيها ودبر جميع شئونهم، وهذه أعمال يعجز العقل عن تصور مدى القدرة عليها.

وذكر تعالى أنه لم ينله شيء من التعب بسبب هذه الأعمال التى تجل عن الوصف لفرط عظمها، فرد على اليهود الذين حرفوا التوراة فقالوا إنه تعالى استراح فى اليوم السابع.

ثم أخرج هذا بأمره رسول الله ﷺ أن يصبر على ما يقول الكافرون فى شأن البعث من إنكار له، وما يقول اليهود من تعبه تعالى من خلق السماوات والأرض مما احتاج معه إلى الراحة. فيكون الأمر بالصبر من بعد ذكر قدرته تعالى هو لبيان أنه تعالى بقدرته منتقم من المكذبين بالبعث ومن الذين نسبوا إليه التعب والحاجة إلى الراحة ثم أمر رسوله ﷺ أن يسبح ربه حامدا ما أنعم به عليه، والمعنى هو أن يتزهه تعالى عما لا يليق بذاته مقرنا هذا بحمده على نعمة الاصطفاء ونعمة الإيمان، وجاء ذكر وقتى الفجر والعصر لبيان فضل التسبيح فيهما وليس من قبيل حصر وقت التسبيح والحمد فيهما. والأمر لرسول الله هو بصفته رأس المؤمنين فيكون لهم بالتبعية، ثم أمره تعالى أن يسبحه بعض الليل وأعقاب الصلاة .

وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۚ إِنَّا نَخْنُجُكَ ۖ وَنَمِيتُ وَالْيَنَّا الْمَصِيرُ ۚ يَوْمَ تَشْقَى
الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا لَسِيرٌ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ ۖ إِنَّ مِنْ يَخَافُ وَعِيدِ ۚ

أولاً: الأسماء والأعلام:

١ - المنادى: فى قوله تعالى «واستمع يوم يناد المناد» قيل هو جبريل عليه السلام، يتفخ إسرافيل فى الصور وينادى جبريل: «يا أيتها العظام النخرة والجلود المتمزقة والشعور المتقطعة إن الله يأمرك أن تجتمعى لفصل الحساب». وقيل إن المنادى هو إسرافيل.

٢ - المكان القريب: فى قوله تعالى «من مكان قريب» قيل هو صخرة بيت المقدس. وقيل هو كناية عن سماع الجميع النداء فكأنه يكون قريباً من كل المنادى عليهم. وقيل إنه ليس من نداء على الحقيقة وإن المراد هو بيان أن إحياء الموتى يكون بمجرد الإرادة.

٣ - الحق: فى قوله تعالى «يوم يسمعون الصيحة بالحق» هو - فى معنى القول - البعث.

ثانياً: التفسير:

يتصور أن يكون الخطاب إلى رسول الله ﷺ، فيكون الأمر بالسماع منصرفاً إلى المذكور مما يكون يوم القيامة وهو ما يدل على أن ما أخبر به عن البعث هو الصحيح الذى يدركه المكذبون بعد فوات الأوان، فيكون الأمر بالسماع متضمناً أمراً بالانتظار. ويتصور أن يكون الخطاب إلى كل من يكون منه السماع. والمأمور بسماعه هو نداء الملك على الأموات بالقيام من القبور، قيل إنه جبريل وقيل إنه إسرافيل، يكون نداؤه مسموعاً لجميع الأموات فيكون كما لو كان قريباً منهم، أو يكون على قرب منهم على الحقيقة وفيه قيل إنه يكون من منابت شعورهم تسمعه كل شعوره، وقيل يكون من تحت أقدامهم.

ثم يقول تعالى إنه يوم يسمع الخلق الصيحة الثانية التى هى بالبعث - وهو الحق - يكون ذلك اليوم هو يوم الخروج من القبور. «ويوم الخروج» هو اسم من أسماء يوم القيامة.

ويخبر تعالى عن ذاته بأنه الذى يحيى ويميت بإرادته وحده، وأنه الذى يكون الرجوع إليه فى الآخرة للحساب والجزاء الذى هو مصير كل مكلف. ثم يبين تعالى أن هذا المصير الذى يكون إليه كل مكلف يكون يوم تشق الأرض فيخرج الموتى منها مسرعين، ثم يشير تعالى إلى

هذا المذكور ويخبر عنه أنه حشر بمعنى أنه بعث وجمع، كما يخبر أن أمره يسير عليه هين. ثم إنه تعالى يسلى رسوله ﷺ ويهدد المكذبين بقوله له «نحن أعلم بما يقولون» بمعنى أنه تعالى يعلم ما يقولون في القرآن وفي رسول الله ﷺ وفي البعث، وأنه تعالى محاسبهم بقولهم ومجازيهم. ثم إنه تعالى يعفيه ﷺ من المستولية عنهم بذكره له أنه ليس عليهم بجبار، بمعنى أنه ليست له عليهم سلطة يقسرها بها على الإيمان أو ينتقم بها ممن لم يؤمن. ثم يبين له أنه ليس سوى نذير بالقرآن، يبين هذا من أمره أن يذكر بالقرآن العظيم، وإعلامه أنه لا يتفزع بهذا التذكير إلا من خشع قلبه لله فهو يخاف وعيده تعالى ويعمل على الابتعاد عن أن يكون من المتوعددين المعذبين، فيكون منه الإيمان واليقين.



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ۝ فَالْحَامِلَاتِ وُجُوهًا ۝ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝
فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ۝ إِنَّمَا نُوَدُّونَ لِأَصْدِقُ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝

أولاً: الأسماء:

١ - الذاريات: قيل هي الرياح التي تذر ذرات التراب والرمال وما شابهها، وقيل هي النساء الولود يدرين الأولاد.

٢ - الحاملات : قيل هي الرياح الحاملة السحاب، وقيل هي السحب الحاملة المطر. وقيل هي السفن .

٣ - الوقر : في قوله تعالى «فالحاملات وقرا» هو الحمل الثقيل، والمراد به - في معنى الآية - هو السحاب أو المطر .

٤ - الجاريات : قيل إن المراد بها - في معنى الآية - هو السفن، تجري في الماء جريا سهلا. وقيل هي السحب تجري إلى حيث يشاء الله، وقيل هي الكواكب تجري في منازلها، وقيل هي الكواكب السيارة .

٥ - المقسمات أمرا : قيل إن المراد بها هو الملائكة الذين يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمرهم به الله. وقيل هي السحب يقسم الله بها أرزاق العباد .

ثانيا : التفسير :

أقسم تعالى بالرياح تذر التراب والرمال ذروا، وبالسحب الحاملة المطر، وبالسفن الجارية في الماء جريا سهلا، وبالملائكة التي تقسم الأمور بين الخلق بأمر الله، على أن وعده تعالى أو توعدده - على الأظهر - صادق، وأن الجزاء على ما كان في الدنيا واقع لامحالة. وفي القول جاءت الفاء لبيان الترتيب الذي قد يكون من أدنى إلى أعلى أو من أعلى إلى أدنى على ما هو في علمه تعالى. وجاء القسم بالمذكورات الأربع لأنها من مظاهر قدرته تعالى، فكان المقسم عليه أنه يكون هو البعث والجزاء، لبيان أنه مقدور له تعالى .

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۖ إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلٍ مُّخْلِفٍ ۚ يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكِّ ۚ
قِيلَ الْخَرَّصُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۚ يَسْأَلُونَ آبِيَّانَ
يَوْمَ الدِّينِ ۚ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ۚ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي
كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۚ

أولاً: الأسماء:

١ - العبك : جمع، مفردة «الحبيكة» وهى فى الأصل الأشكال التى تشبه الطرق والممرات التى تتكون فى الرمال وفى المياه إذا مرت عليها الرياح، فيكون المراد بها - فى معنى القول - هو الطرق تكون بين السماوات بعضها والبعض، وقيل إن المراد بها هو الحسن والاستواء، وقيل هو الزينة، أو النجوم تكون زينة للسماء بالنسبة للناظر إليها.

٢ - الخراصون : جمع، مفردة «الخراص» وهو الكذاب.

٣ - الساهون : فى قوله تعالى «الذين هم فى غمرة ساهون» جمع، مفردة «الساهى» وهو الغافل اللاهى.

ثانياً: التفسير:

أقسم تعالى بالسماء ذات الطرق، وقيل بالسماء السابعة، وجاء جواب القسم قوله لأهل مكة إنهم فى شأن خالق السماوات والأرض، وفى أمر رسوله ﷺ، وفى شأن الحشر على أقوال مختلفة، فوسم يقولون تارة عن الله تعالى إنه خالق السماوات والأرض، ويقولون بصحة عبادة الأصنام أخرى. ويقولون فى شأن رسول الله ﷺ تارة إنه مجنون، ويقولون أخرى إنه ساحر عليم. وينكرون البعث تارة، ويقولون أخرى إن معبوداتهم تشفع لهم فى الآخرة. ثم بين تعالى أن من آثار أقوالهم المختلفة أنه يصرف عن الإيمان الذى دعوا إليه من ثبت فى علمه تعالى الأزلى أنه يصرف عنه، أو أنه يصرف عن القرآن العظيم أو عن التصديق بيوم القيامة من ثبت فى علمه تعالى الأزلى أنه يصرف عنه.

ثم جاء قوله تعالى «قتل الخراصون» وهو بمعنى الأمر بالدعاء على الكذابين فى الدين بالقتل أو باللعنة - لأن من لعنه الله هالك - وصفهم تعالى بأنهم فيما يغمرهم ويشملهم من الجهل والضلال ساهون غافلون يسألون فى استخفاف واستهزاء عن يوم القيامة والحساب والجزاء متى يكون.

ثم يذكر تعالى أن هذا اليوم الذي يستعجلون قدومه مستهزئين بالمؤمنين الذين أخبروهم عنه هو اليوم الذي يحرقون فيه على النار فتكون النار فتنة لهم كما أنها فتنة خامات المعادن لاستخلاص المعدن من بين الشوائب، وأنه يستهزأ بهم آنذاك فيقال لهم أن ذوقوا عذابكم الذي أعد لكم، فهذا العذاب هو الذي كنتم تستعجلون وقوعه بكم مستخفين بالمؤمنين مستهزئين.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ أَخِذِينَ
مَا أَنشَأَ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ مِنْ شَيْءٍ أَنَّهُمْ كَانَُوا أَقْبَلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦
كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ
الَّذِينَ يَبْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٩

التفسير:

يخبر تعالى - في الآيات - عن مصير المؤمنين المتقين في الآخرة، وفي وصفهم بأنهم المتقون ما يدل على خشيتهم غضب الله عليهم مما كان دافعا لهم على العمل على مرضاته.

يذكر تعالى أنهم يكونون في الآخرة في جنات وعيون لا تدرى العقول قدرها وما فيها، وأنهم فيها يأخذون ما آتاهم ربهم من النعم والملذات قابليين راضين، ثم يبين تعالى أنه يكون لهم هذا بما كان منهم من الإحسان بعمل الصالحات مع الإيمان، ثم يجيء تفسير إحسانهم الذي أدى إلى وصفهم بالمحسنين ببيان أنهم «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» والمعنى أن المقدار الذي كانوا يهجعون فيه من الليل كان قليلا، أما باقى الليل - وهو وقت الراحة - فإنهم كانوا يمضونه في التقرب إلى الله بالعبادة، فيكون المعنى المقابل أنهم في النهار كانوا يعبدون الله أكثر، وبيان أنهم كانوا يداومون على استغفار ربهم في الأسحار رغم

عدم هجوعهم في الليل إلا قليلا، كأنهم قد قصرُوا في عبادة الله، وكذا بيان أنهم كانوا ينفقون من أموالهم على الفقراء حتى كأنهم جعلوا لهم فيها نصيبا مفروضا. يأنفأهم على من يطلب منهم الصدقة وعلى من استعفف عن السؤال فحسبه الناس غنيا فحرموه صدقاتهم.

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ
أَفَلَا بُصُرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قَرِيبَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْتُمْ تُنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في بيان توافر الأدلة الملموسة على صدق ما نزل به القرآن وما أخبر به رسول الله ﷺ يدركها الذين يعقلون. فيقول تعالى إن في الأرض آيات للموقنين. باختلاف طبيعة الأرض من مكان إلى مكان، ومكوناتها، وما يكون في جوفها، وما يكون في كل منها من أنواع الحيوان تتناسب طبيعته وطبيعة المكان دليل واضح على عدم انتهاء قدرة الخالق عند حد معين، بما يوجب الإيمان بوجوده ويوجب توحيده. ثم إن في نفس الإنسان وفي مكونات جسده وسيطرة العقل على الحركة، وفي حواسه وأدوات الإدراك آيات تدل على عظمة الخالق وعلى قدرته التي لا تماثلها قدرة، مما يوجب الإيمان به وتوحيده. وهو ما يكون ممن يتبصرون ثم أتبع تعالى هذا بذكره للناس أن في السماء رزقهم وما يوعدون، فبين تعالى أن إخراج الأرض نباتها الذي يعيش عليه الإنسان وكثير من الحيوان الذي يحيا به أكلة اللحوم من الحيوان، ويأكل بعضه الإنسان هو مما هو في السماء، تعرف منه دور الشمس والقمر أو تسخير الله لهما في أن يكونا من أسباب الظاهرة. وتعرف منه دور السحاب في هذا ولا نعرف أكثره.

كما بين تعالى أن ما يوعد به الناس من خير وشر، ومن سعادة في الآخرة وشقاء هو مما

يقدر في السماء. وقد يكون المراد بهذا هو إثبات أن كل خير الأرض المادى، وخير الناس في دينهم هو من جهة السماء بأمر خالق السماء.

وبعد هذا جاء قوله تعالى «فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» أقسم تعالى بذاته ذاكرة العلياً بأنه رب السماء والأرض اللتين هما من معجزات خلقه الكبرى على أنه تعالى الملك الحق، وأن دينه هو الحق، وأن كتابه هو الحق ورسوله حق، لا يمارى في هذا ولا يرتاب، فهو في أحقيته وعدم قبوله للإنكار مثل قول القائل، يكون القائل متيقناً أنه قاله.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفِ
إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ
قَالَ أَنَا نَاقِلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ
بِعِلْمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَ امْرَأَتَهُ فِي صَرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَ
عَجْوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

التفسير:

أورد تعالى قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لسبيين فيما يبدو، أولهما يبين من قوله تعالى «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين» وفيه وجه الخطاب لرسول الله ﷺ في صيغة استفهام لبيان أنه ﷺ لم يعرف بالقصة إلا عن طريق الوحى، فيكون السبب الأول هو التدليل على نبوته ﷺ.

والثاني هو تسليته ﷺ ببيان أن من سبقه من الأنبياء والرسل قد غانوا تكذيب أقوامهم ، فهو ﷺ مثلهم .

والمراد بضيف إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذين يقص تعالى نبأهم معه على رسوله ﷺ هم الملائكة الذين جاءوه في هيئة الضيوف من البشر، قيل إنهم كانوا اثني عشر ملكا، وقيل كانوا ثلاثة هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل .

أثبت تعالى أنهم عنده تعالى عباد مكرمون، ويتصور في وصفهم بأنهم مكرمون أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بأن قام على خدمتهم بنفسه وبزوجه .

ثم أثبت تعالى أن الملائكة دخلوا عليه فقالوا سلاما بمعنى «نسلم عليك سلاما» كما أثبت تعالى أنه - عليه الصلاة والسلام - قال لهم : سلام ومعناه: «أمرى سلام عليكم» .

فيكون قد حياهم بأحسن من تحيتهم، ثم إنه قال عنهم «قوم منكرون» والمتصور أنه قال هذا لغلمانهم وليس لهم لأنه لا يقال للضيف مثل هذا .

ويتصور أن يكون دافعه إلى وصفهم بأنهم منكرون أنهم حيوه بتحية الإسلام ولم يكن يحى بها القوم، أو لأنه لم يعرفهم فأراد منهم أن يعرفوه بأنفسهم، أو لأن هيئاتهم لم تكن كهيئة الناس المعروفة تماما .

ثم أخبر تعالى أنه عليه الصلاة والسلام ذهب إلى أهله على خفية من ضيفه ثم جاء ضيفه بعجل سمين أى بولد البقرة الممتلىء لحما وشحما .

ويدو أنه كان معدا للطعام قبل مجيء الضيف لمن يقدم منهم . وأنه قربه إليهم بمعنى أنه وضعه أمامهم ثم دعاهم إلى الأكل منه بأسلوب يؤنسهم، هو قوله لهم «ألا تأكلون» وقيل إن السؤال كان ترقيا على عدم تعرضهم للأكل منه .

كما أخبر تعالى عن أنه استشعر خوفا منهم - وفي القول إشارة إلى أنهم لم يأكلوا - ومبعث الخوف هو أن للأكل حرمة يمتنع معه الإيذاء فيكون المتوقع ممن يمتنع عن الأكل أنه أضمر

فى نفسه شرا لمن هو عنده. وأن الضيوف قالوا له «لاتخف» ثم أعلموه أنهم رسل الله بمعنى أنهم ملائكة أرسلوا بمهمة فى الأرض لتنفيذها، ثم كان منهم أنهم بشروه أنه يكون له ولد يولد يكون عليما عند بلوغه، والراجح أنه إسحاق عليه السلام.

ثم قال تعالى إن امرأته أقبلت فى صرة حين سمعت كلام الملائكة، والمستفاد من القول أنها كانت مدبرة عنهم وإن كانت قائمة على خدمتهم، وأنها لما سمعت قولهم أقبلت فى صيحة تصيح بها، قيل إنها قولها «يا ويلتى» وأنها صكت وجهها بمعنى أنها ضربت يدها على جبهتها قائلة «عجوز عقيم» بمعنى «ألد وأنا عجوز عاقر».

ثم أخبر تعالى أن الملائكة قالوا لها «كذلك قال ربك، إنه هو الحكيم العليم» بمعنى أن هذا القول الذى سمعته هو ما قضى به ربك، أى أنهم ليسوا سوى مبلغين، ثم قالوا لها عن الله تعالى إنه هو الحكيم العليم، بمعنى أن حكمته تعالى هى التى كانت وراء تقديره أن تنجبى الولد، وأنه علم ما يكون من خير من وراء إيجاب هذا الولد فكان به قضاؤه.

ويلاحظ مما سبق ذكره فى سورة الحجر أن هذا الحديث المتبادل إنما كان بين الملائكة - من جهة - وبين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسارة - من جهة أخرى - إذ ذكر إبراهيم فى سورة الحجر وخذه فى المخاض، وذكرت هنا سارة وخدها، فكان التكامل فى المعنى بالمذكور فى السورتين.

هـ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾
لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ
مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - تعريج من قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى قصة لوط عليه السلام، أعلم بها تعالى رسوله ﷺ عن طريق الوحي تدليلاً على نبوته، وجاء ذكرها لتسليته ﷺ ببيان مدى تكذيب قوم لوط فيهم .

ذكر تعالى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام سأل الملائكة عن الشأن العظيم الذى أرسلوا إليه - غير تبشيره بالغلام - مخاطبهم بصفتهم مرسلين من الله، وذكر أنهم قالوا له إنهم أرسلوا إلى قوم مجرمين بمعنى أنهم اقترفوا ما استحقوا به أن يدعوا مجرمين .

والمراد بالوصف قوم لوط عليه السلام، وأنهم ينوون نوع المهمة التى أرسلوا بها، وهى أن يرسلوا عليهم - من بعد قلب قراهم عاليها سافلها - حجارة من طين، وهى السجيل معلمة منذ خلقها أنها تكون عذاباً للمسرفين الذين أسرفوا فى تجاوز حد الفجور، وقيل إن العلامة هى وجود اسم من يهلك بالحجر منها عليه .

ثم ذكر تعالى أنه أخرج من قرى قوم لوط من كان فيها من المؤمنين، والمراد أن ملائكته تعالى أخرجوا - من بعد مغادرتهم إبراهيم - من كان فى هذه القرى قد آمن للوط عليه السلام واتبعه، وأن ملائكته تعالى لم يجدوا فى هذه القرى مؤمنين سوى أهل بيت واحد كانوا مؤمنين بالله وللوط مسلمين وجوههم لله .

والمراد بالبيت هويت لوط عليه السلام، وبالمسلمين هم لوط عليه السلام وإبنتاه .

ثم جاء قوله تعالى «وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم» مفيداً معنى قلب القرى عاليها سافلها وضربها بالحجارة المسومة عند ربك وإهلاك أهلها وإنجاء من أخرجهم الله منها، ومصرحاً بأنه تعالى ترك فى هذه القرى علامة على إهلاك أهلها بالحجارة هى - على ما قيل - حجارة كثيرة منضودة، هى التى أهلكوا بها، وقيل ماء نتن .

ثم بين تعالى أن الذين يعظرون بهذه الآية، ويعتبرون هم الذين جبلوا على الخوف من

عذاب الله وصفه تعالى بأنه العذاب الأليم، والمعنى أن غيرهم ممن جبلوا على العناد لا يعتبرون مما بقى من آثار هذه القرى آيات يتعظ بها ويعتبر.

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ مُرْكِبُهُ
وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو ذكر لقصة موسى عليه السلام مع المكذبين فى إيجازيين المقصود من ذكرها وهو تعرض الرسل والأنبياء للتكذيب ممن جبلوا على الكفر.

جاء قوله تعالى «وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبين» بمعنى «وتركنا - أو وجعلنا - فى قصة موسى آية بينها تعالى بأنه أرسله إلى فرعون بمعجزات عظيمة تؤيد نبوته فكانت بمثابة السلطان العظيم الذى يتقوى به.

ثم ذكر تعالى أن فرعون تولى بركنه، والوصف هو كناية عن الإعراض عن موسى وما دعا إليه، كما ذكر أنه قال فى موسى إنه ساحر أو مجنون.

والمعنى أنه وصفه مرة بأنه ساحر أتى بالمعجزات بسحره - فيكون عاقلا - ووصفه مرة أنه مجنون يقول قولاً لا يصدر من عاقل وهو الدعوة إلى توحيد الله.

وهذا التناقض من فرعون فى وصف موسى عليه السلام يدل على أنه لم يتبع عقلا ولا حجة فى محاولته النيل من موسى عليه السلام.

ثم يذكر تعالى أنه أخذ فرعون بجرمه هو وجنوده الذين أطاعوه وكفروا كفره، فأغرقهم فى البحر، وحال فرعون حين غرق أنه ملام على كفره وظلمه وطغيانه.

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ
مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِجْعَلُهُ كَالرَّمِيمِ ۝

التفسير:

انتقل تعالى بالقول إلى ذكر قصة عاد، ومعنى قوله تعالى «وفي عاد» هو «وتركتنا في قصة عاد» والآية أنه تعالى أرسل عليهم بتكذيبهم رسولهم الريح الشديدة التي لا تأتي بخير مثل تلقيح الأشجار المثمرة - قيل هي الدبور - وقيل الجنوب -.

ثم بين تعالى فعلها بذكره أنها لم تدع شيئاً جرت عليه من إنسان أو حيوان إلا أهلكته فلم يبق منه إلا ما بلى فشاببه الرميم.

وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ
تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ۝ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ ۝ فَمَا أَصْطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ۝

التفسير:

ذكر تعالى - في الآيات - قصة ثمود في إيجاز لا يقصر عن بيان المعنى المراد إثباته جاء قوله تعالى «وفي ثمود» بمعنى «وتركتنا في قصة ثمود» والآية هي أنهم أمهلوا ثلاثة أيام يتمتعون فيها في ديارهم إلى أن يحل بهم العذاب.

وقيل إن المستفاد من قوله تعالى «فعتوا عن أمر ربهم» أن «الفاء» لا تتدل على الترتيب، لأن العتو كان سابقاً على الأمر بالتمتع، فتكون «الفاء» للتفصيل. ونرى - والله أعلم - أن القول

بالتمتع إلى حين كان عندما بعث تعالى إليهم صالحاً أمرهم بالإيمان، وأن الحين الذي خولوا أن يتمتعوا فيه، كان من هذا الوقت إلى أن يحين وقت الانتقام منهم بإهلاكهم، فتكون «الفاء» للترتيب.

ثم بين تعالى أنهم أصروا على ما هم عليه من الكفر، فكان منه تعالى أن أخذهم بصاعقة من السماء أهلكتهم حال نظرهم إليها ومعايتهم إياها.

ثم يذكر تعالى أثر الصاعقة فيهم بقوله «فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين» بمعنى أنهم لم يقدرُوا على القيام من بيوتهم «فأصبحوا في دارهم جاثمين» وأنهم أهلكوا دون أن يناصرهم أحد بمنعه العذاب المهلك عنهم.

وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦١﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في بيان ما كان منه تعالى مع قوم نوح، جاء ذكرهم متأخراً عن ذكر من سبقوهم في نصوص الآيات مع كونهم الأسبق زماناً لبيان عدم اعتبار المكذبين بالآيات، فإن قصة إهلاك قوم نوح كانت معروفة لكل من جاء بعدهم، ومع ذلك فإنه كان منهم عدم الاعتبار بها والإصرار على تكذيب الرسل.

وفي القول جاء «وقوم نوح من قبل» بمعنى «وأهلكنا قوم نوح من قبل» أي أن قوم نوح كانوا أسبق زماناً ممن ذكر في الآيات من المهلكين، وأن هلاكهم كان قبل إهلاك المذكورين قبلهم في الآيات.

ثم بين تعالى سبب إهلاكهم وهو أنهم كانوا قوماً فاسقين، جاوزوا كل حد في الكفر وإيذاء الرسل وعصيان أمر الله.



وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا
بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمَوْسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَسْهُودُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان عظم قدرته تعالى فى الخلق التى يدركها الناس فتكون سببا ملحوظا للإيمان بما يدعو به الرسل والثقة فى نبوتهم. فيقول تعالى إنه بنى السماء بأيدى، والمعنى أنه تعالى بناها بقوته وقدرته.

ثم جاء قوله تعالى «وإننا لموسعون» وفيه قيل إن معناه أنه تعالى واسع القدرة لا يناله تعب من فعل مهما عظم. ورأينا أن القول يشير إلى حقيقة علمية وهى تمدد الكون، وذلك بعد أن ثبت مؤخرا أن أبعد المجرات التى أمكن دراستها - التى تقع على بعد سبعة بلايين سنة ضوئية - تتراجع عنا بسرعة أكبر من نصف سرعة الضوء، وأن أشباه النجوم ترتد عنا بسرعة تصل إلى ٩٠٪ (تسعين فى المائة) من سرعة الضوء بما يفيد أن تمدد الكون هو حقيقة علمية مؤكدة.

ويقول تعالى إنه فرش الأرض بمعنى أنه بسطها ومهداها مع كونها كروية الشكل ليكون الاستقرار عليها ويكون البناء فنعمة الماهد الله تعالى، ثم يذكر تعالى أنه قد خلق من كل شىء من جنس الحيوان زوجين بمعنى أنه أوجد ذكرا وأنثى أو أنه جعل فى بعضها - كما فى بعض أنواع الديدان - الذكر والأنثى فى الواحد منها.

ثم بين تعالى العلة النهائية لهذا الخلق العظيم بقوله «لعلكم تذكرون» فبين أنها تذكر الناس قدرة الله تعالى، تكون بها معرفتهم أنه الواحد الأحد القادر على كل شىء، الذى لم يخلق شيئا عبثا ولا لهوا فيكون الإيمان بالله وتوحيده ويكون الإيمان بالبعث والنشور والحساب واليوم الآخر.

فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ
إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ
مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥١

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى من آيات قدرته في الخلق ما يدفع إلى الإيمان به وتوحيده، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأمر الناس بالفرار إلى الله بمعنى أن يلجؤوا إليه تعالى وحده، وأن يعتصموا به بالتمسك بدينه والإيمان لرسوله ﷺ وأن يعرفهم أنه نذير مرسل إليهم من ربهم مؤيد بالآيات الواضحة الدالة على صدقه ليكون منهم الإيمان.

كما أمره أن ينهاهم عن الشرك بالله يكون بعبادتهم آلهة أخرى، وأن يعيد عليهم القول إنه لهم من الله نذير مبين.

وقد يكون القول هو لبيان جسامه جرم الشرك بالله واستحقاقه أشد العقاب، فيكون إنذاره إياهم متعلقاً بالتحذير من العقاب، حين يكون الإنذار السابق بالتحذير من عدم اللجوء إلى الله والاعتصام به.

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا
سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ٥٢ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ
فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ٥٤ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥

التفسير:

القول - فى الآيات - هو فى المكذبين برسول الله ﷺ والمكذبين الرسل من قبلهم، ذكر تعالى لرسوله ﷺ أنه على النحو الذى سبق ذكره من الاختلاف بين الناس فى شأن الرسل دفع اختلاف قومه ﷺ. ثم فصل تعالى القول ببيان أنه ما أتى الأقوام الذين سبقوهم من رسول إلا قال فيه المكذبون إنه ساحر أو إنه مجنون وقد استشكل فى الحكم بأنه لم يكفر ببعض الرسل، وأنه لم يكفر بآدم عليه السلام.

والرد على هذا أن الرسل المقصودين هم الذين جاءوا بالدين - وهؤلاء قد كذبوا - وليس الرسل الذين دعوا إلى ما جاء به الرسل السابقون عليهم. فضلا عن أن تكذيب الرسل الذين جاءوا بالدين يعتبر تكذيبا للمتأخرين الذين دعوا إلى الدين الذى دعا إليه السابقون.

ثم إنه فى شأن آدم عليه السلام فإنه لم يبعث فى قوم، وإنما كان منه ومن زوجه تسلسل الأقوام، فلا يكون القول متعلقا به.

ثم جاء قوله تعالى «أتواصوا به» تعجيبا من قول المكذبين جميعهم على اختلاف أزمته وأماكنهم فى الرسل إنهم سحرة أو مجانين، حتى لكانهم قد انفقوا جميعا على أن يقولوا فيهم هذا القول.

ثم يبين تعالى أن سبب إجماعهم على هذا القول ليس الاتفاق بمعنى تلاقى الإرادات، وإنما هو الاشتراك فى صفة الطغيان التى اجتمعوا عليها وتوافرت فيهم، فكان من شأنها أنها وحدت القول بينهم.

وأتبعت تعالى هذا بأمره رسوله أن يعرض عن مجادلة المكذبين، وبين له أنه قد بذل فى إقناعهم كل جهد مما لا يكون بعده ملوما عن التقصير فى الإبلاغ والدعوة. ثم أمره بالمداومة على التذكير بالله، والوعظ بالقرآن، وبين له أن تذكيره هذا من شأنه أن ينفع الذين ثبت فى علمه تعالى أنهم يؤمنون.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ

وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾
التفسير:

لما كان منه تعالى من بعد أمره رسوله ﷺ بالتذكير وبين له أن التذكير من شأنه أن ينفع المؤمنين، فقد جاء قوله تعالى - فى الآيات - أنه تعالى لم يخلق الجن والإنس إلا لغاية معينة هى أن يعبدوه تعالى، والمعنى هو أن يؤمنوا به تعالى ويوحده - فى مقام أول - وأن يتذللوا إليه بالطاعة بحكم كونهم عبيده تعالى. وفى القول جاء ذكر الجن قبل ذكر الإنسان لأنهم كانوا أسبق منهم خلقا ووجودا.

ثم بين تعالى أن شأنه مع عبيده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فهو لا يريد أن يشقيهم بالعمل لياتوا إليه بالرزق نتاج عملهم فى ملكه، كما أنه لا يحصل على مقابل تشغيلهم لدى الغير ليكون به طعامه، ولا يكلفهم بإعداد الطعام له.

وقد جاء ذكر هذه الأشياء مع عدم تصور احتياجه تعالى إليها لبيان أنه تعالى فى غنى عن عبيده من الجن والإنس وعن عبادتهم إياه، إذ أنه لا يتفجع بها، وإنما يعود نفعها على العابدين.

ثم أتبع هذا بقوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ» فبين أنه وحده الرزاق، الذى يرزق كل محتاج، وأنه وحده صاحب القدرة على كل شىء، والشديد القوة. والمعنى أنه المتسحق وحده أن يعبد وأن يخشى.

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٦٠﴾

أولاً : الأسماء :

الذنوب : هو النصيب، والمقسوم. والمراد به - في معنى القول - هو النصيب من العذاب .

ثانياً : التفسير :

بعد أن بين تعالى أنه لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، فإنه تعالى بين أن الذين شغلوا أنفسهم من الجن والإنس بغير ما خلقوا له وانصرفوا عنه قد خص بهم نصيب من العذاب يماثل نصيب الذين سبقوهم من المكذبين من الأقوام التي سبقتهم وجوداً وتكديداً للرسول. ثم نهى تعالى أن يكون منهم استعجال وقوع عذابه تعالى بهم لأنه آتيهم في الوقت الذي قدره تعالى وعلى النحو الذي شاء.

ثم أثبت تعالى أن الريل يكون لهؤلاء المكذبين، وهو توعدهم بالعذاب، يكون في اليوم الذي يوعدون به، قيل فيه إنه يوم بدر. وقيل إنه يوم القيامة .



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالطُّورِ ① وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ ② فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ③ وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّعْفِ الْمُرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ⑧

أولاً : الأسماء :

١ - الطور : هو الجبل عموماً، وقيل هو الجبل الذي ينبت النبات، وقيل إن المراد به :-
في معنى الآية هو جبل طور سيناء أو طور سيناء.

٢ - الكتاب المسطور : هو كل كتاب جاء فيه الكتابة منتظمة، مرتبة حروفها: وقيل إن
المراد به - في معنى الآية - هو القرآن العظيم، وقيل هو جميع الكتب المنزلة من الله، وقيل هو
التوراة التي كتبها الله لموسى عليه السلام، وقيل هو صحائف الأعمال، وقيل هو اللوح
المحفوظ .

٣ - السرق : في قوله تعالى «في رق منشور» هو جلد رقيق يكتب فيه .

٤ - البيت المعمور : قيل هو بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون
منه فلا يعودون إليه، وإنه حيال الكعبة بحيث لو مد خط وصل بينها وبينه مستقيماً .

٥ - السقف المرفوع : قيل إن المراد به - في معنى الآية - هو السماء، وقيل هو سقف
الجنة .

٦ - المسجور : هو الموقد نارا، وقيل هو المملوء، وقيل إنه الندى ذهب ماؤه. وقيل إن
المراد به هو جهنم سميت بحرا لسعتها وتموجها .

ثانياً : التفسير :

أقسم تعالى بالطور - والزاجع أنه جبل طور سيناء الذي يكون - على ما قيل - من جبال
الجنة، كما أقسم بالكتاب المسطور، جاء - في عبارة القول - نكرة لبيان علوقده ومنزلته
وعدم خفائه سواء نكر أم عرف. والزاجع أن المراد به هو صحف الأعمال تكون الصحيفة
مكتوبة على وجه منتظم في جلد رقيق، وتكون مبسوطة للقراءة ، على ما جاء في قوله تعالى
«ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً»، كما أقسم بالبيت المعمور الكائن في السماء
الذي تعمسه الملائكة بالدخول كل يوم، وأقسم بالسماء - وهي السقف المرفوع، وبالبحر
الذي يوقد نارا يوم القيامة على ما جاء بقوله تعالى «وإذا البحار سجرت» :

وجواب القسم هو أن عذاب الله واقع بالمشركين، والخطاب هو لرسول الله ﷺ على ما بين من قوله تعالى «إن عذاب ربك لواقع»، ثم بين تعالى في خبر ثان عن عذابه أنه ليس ثمة دافع ولا مانع يدفع العذاب عن المتوعدين به أو يمنعهم عنهم فلا ينالهم. ويتصور في العذاب المتوعد به أن يكون هو عذاب الدنيا، ويتصور فيه أن يكون هو عذاب الآخرة.

يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ
الْجِبَالُ سَيْرًا ۝ فَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ
يَلْعَبُونَ ۝ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ۝ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي
كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝ أَصَلَوْهَا
فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُخْرَجُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

أولاً : الأسماء :

١ - المور : في قوله تعالى «يوم تمور السماء مورا» هو الاضطراب والاهتزاز والارتجاج، وقيل إن المراد به - في معنى الآية - هو التشقق، وقيل هو التحرك في تموج .

٢ - الخوض : هو المشي في الماء، والمراد به - في معنى الآية - هو السير والمضي في قول الباطل .

ثانياً : التفسير :

جاء قوله تعالى «يوم تمور السماء مورا» ظرفاً لوقوع عذابه تعالى بالمشركين الكافرين وامتناع وجود الدافع له، بين تعالى أنه اليوم الذي تهتز فيه السماء وترتج اهتزازا وارتجاجا قبل زوالها وتسير فيه الجبال عن وجه الأرض، يكون ذلك بعد أن تنفجر من شدة حرارة الأرض

فتصير كالغهن المنفوش تطير في القضاء . ثم يقول تعالى «فويل يومئذ للمكذبين» بمعنى أنه إذا وقعت هذه الأحداث أو جاء هذا اليوم فإن الويل يكون للمكذبين الرسل .

وصفهم تعالى بأنهم الذين يكون منهم الخوض في الباطل بالقول لاعمين لاهين . ثم بين تعالى أن يوم ويلهم هو اليوم الذي يدفعون فيه إلى جهنم دفعا عنيفا، أو أن الويل يكون لهم يوم يدفعون إلى جهنم دفعا شديدا، فيكون «يوم يدعون» ظرفا لما ذكر عن ويلهم .

كما ذكر تعالى أنه يقال لهم تقريبا وتويخا - عن النار - «هذه النار التي كنتم بها تكذبون» لأنهم كذبوا بخبر القرآن عنها وقول رسول الله ﷺ فيها، كما يقال لهم «أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون» تويخا لهم على قولهم في القرآن العظيم إنه سحر وقولهم في رسول الله ﷺ إنه ساحر، وإظهارا لأنهم عموا في الدنيا عن الحق، فلم يبصروه .

ثم إنهم يؤمرون أن يصلوا النار، يدخلونها ويقاسون حرها واشتعالها وعذابها، يقال لهم «اصبروا أو لا تصبروا» لبيان أن عذابهم في النار لا يتأثر تخفيفا ولا نقصانا بصبرهم ولا بعدمه . ويعرفون أنهم إنما يعذبون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۖ فَلَكَهِنَّ بِمَاءٍ اَّتَهُرُّنَّ بِهِمْ وُوقَاهُمْ
رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ ١٨ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ١٩
مُتْرَكِينَ عَلَىٰ أَسْرُرٍ مُّصَفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجَهُمْ بَحُورٍ عِينٍ ۝ ٢٠

التفسير:

بعد أن بين تعالى حال الكافرين يوم القيامة وما يكون معهم، فإنه تعالى بين - في الآيات
حال المؤمنين، وصفهم بالمتقين لأنهم اتقوا غضب الله عليهم فتجنبوا المعاصي وعملوا
بالطاعات ، فذكر أنهم يكونون في جنات وفي نعيم عظيم على ما يبين من التنوين .

ثم بين حالهم فى الجنات وفى النعيم فذكر أنهم يكونون متلذذين بما آتاهم الله من فضله، ذكر بأنه ربهم لبيان عنايته بهم ورحمته، ولهذا جاء قوله تعالى من بعد «ووقاهم ربهم عذاب الجحيم».

ويقبل المعنى أن يكون إنهم يكونون فاكهين بما آتاهم الله من فضله وبما وقاهم من عذاب الجحيم .

ثم ذكر تعالى أنه يقال لهم فى الجنات أن كلوا واشربوا هنيئاً، ويبين لهم أن هذا الذى فيه ينعمون هو جزاء ما كانوا يعملون فى دنياهم.

ثم بين تعالى حالهم حين يقال لهم هذا وهو أنهم يكونون متكئين على سرر جعلت فى صفوف مستوية، وقد زوجهم تعالى بحور عين، وربما جاءت «الباء» فى «بحور عين» مع أن الفعل يتعدى بذاته للمفعول به لبيان اختلاف هذا الزواج عن الزواج المعروف لنا فى الدنيا .

وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَاتَّبَعُوهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٦١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهْ وَلِحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٦٢﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسِيمٌ ﴿٦٣﴾ هَٰوَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلَاقٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤٌ مَّكُونٌ ﴿٦٤﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى حال المتقين أهل الجنة مجملاً، أو من بعد ذكره ما يشتركون فى أمره

جميعا، فإنه تعالى خص - في الآيات - بالذكر طائفة من أهل الجنة، هم الذين آمنوا ثم اتبعتهم ذريتهم في الإيمان إلا أن إيمانهم لم يبلغ درجة إيمان الآباء من السم - على ما بين من «الباء» في «إيمان».

فذكر تعالى أنه أكرم الأبناء بإيمان آبائهم الذين أسهموا في إيمان أبنائهم فرفع درجة الأبناء في الجنة إلى درجة الآباء فلحقوا بهم في المرتبة والمنزلة والقدر.

ثم بين تعالى أن رفعه درجة الأبناء لم يكن على حساب الآباء بإنقاص مرتبتهم أو ثوابهم، فأثبت أنه لم ينقصهم منه شيئا.

ثم جاء قوله تعالى «كل امرئ بما كسب رهين» بيان حكم عام مفاد أن كل امرئ يجازى بما كان منه خيرا أو شرا، وتطبيقا لهذا فإن زيادة مرتبة الأبناء تكون فضلا من الله، فلا يحرم الآباء بسببها شيئا من ثوابهم.

ثم بين تعالى أنه يفيض على هؤلاء المؤمنين الذين الحق بهم ذريتهم بكل ما تنوق إليه نفوسهم وأكثر منه، وأنه يمدهم بما يشتهون من الفاكهة ومن اللحم، كما بين أنهم يتنعمون بصور اللهو البرى الذى يستمتع به دون إثم.

ومن ذلك ما ذكره تعالى من أنهم يتجاذبون فى الجنة كؤوس الخمر تجاذب مـمازحة على نحو ما يحدث فى الدنيا، إلا أن الخمر التى يتنازعون كؤوسها لا تؤثر فى عقولهم فىكون منهم لغو الحديث ومنقط الكلام، ولا يقتربون بشربها إثمًا.

وذكر تعالى أن الذين يطوفون عليهم بالكؤوس هم غلمان لهم يكونون مثل الممالىك لهم، وصفهم تعالى بأنهم مثل اللؤلؤ المصون فى الصدف فى النقاء والبصاء.

فيفهم من القول أنه إذا كان هذا هو حال المملوك فإن حال المخدم يكون أفضل فىكون أهل الجنة أحسن مرأى وأبهى.



وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
 ﴿٢٦﴾ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا أَوْ قَدْ عَلِمْنَا بِأَعْدَابِ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ
 إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - مزيد في بيان أحوال أهل الجنة، فيذكر تعالى أن البعض من أهل الجنة يسأل بعضاً آخر عن أحواله في الدنيا وعن أعماله التي دخل بها الجنة، فيكون من كل من سئل عن هذا أن يجيب بأنه كان بين أهله في الدنيا مشفقاً ممن عذاب الله خائفاً.

والمعنى أنه كان يجاهد نفسه ألا يعصى الله وألا يفرط في جنبه، ثم يضيف قائلاً إنه كان من الله أن من عليه بتوفيقه إذ هداه للطاعة وبالرحمة فزواه عذاب نار جهنم تنفذ في مسام الجسم، ويذكر أنه كان في الدنيا يعبد الله حق عبادته.

فيكون المراد بالدعاء هو العبادة، أو أنه كان يدعو الله بالمغفرة والرحمة، فكان منه تعالى أن أبره بحكم أنه البر المحسن، ورحمه بصفته الرحمن الرحيم.

فَذَكِّرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بَكَاهِنٍ وَلَا
 مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا
 فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣١﴾

· أولاً : الأسماء :

ريب المنون : المراد بها - فى معنى الآية - هو حوادث الدهر. وأخصها الموت .

ثانياً : التفسير :

خاطب تعالى رسوله ﷺ فأمره بالثبات على التذكير بالقرآن العظيم، وأثبت أنه ما يقوله من أخبار كانت مخفأة عن أحداث سابقة هو الحق من الله، ينفيه عن رسوله صلى الله عليه وسلم أنه كاهن، لأن الكاهن يخبر عن الأفعال الماضية الخفية.

كما أثبت أن ما يقوله من شأن البعث والحساب مما يرى فيه منكرو البعث مخالفة للعقل، هو الحق، بنفيه عن رسوله صلى الله عليه وسلم الجنون.

وجاءت الباء فى قوله تعالى «بنعمة ربك» للسببية فيما نعتقد - والله أعلم - فيكون المعنى هو أنه بسبب نعمة الله عليك أو ثبت صدق النبوة وكمال العقل فليست بكاهن ولا بمجنون .

ثم يبين تعالى أن الكافرين قالوا عنه صلى الله عليه وسلم إنه شاعر، وإنهم ما عليهم إلا انتظار ما يحدثه به الدهر وهو أن يموت فيكون لهم بموته الخلاص منه ومن دعوته.

ثم كان منه تعالى أن أمر رسوله ﷺ - وقد علم تربصهم به - أن يستحثهم على التربص وأن يذكر لهم أنه مثلهم يتربص بهم أن يهلكهم الله، فيكون القول من قبيل التحدى مع إبداء الثقة فى النصر بإذن الله .

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ
طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ
مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

التفسير:

بدأ تعالى - فى الآيات - ببيان فساد عقائد المكذبين وإظهار حقيقة أمرهم فى شأن كل عقيدة، بدأ ذلك بذكر عقيدتهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يبين من قولهم فيه ساحر أو شاعر أو مجنون، أشار إليه باسم الإشارة «هذا» فى قوله تعالى «أم تأمرهم أحلامهم بهذا» .

وفيه قيل إن معنى «أحلامهم» هو «عقولهم» واستدل على هذا بأن كفار مكة كانوا أصحاب عقول لأن جميع العالم يأتونهم ويخالطونهم، كما أنهم كثرت أسفارهم فكمملت عقولهم وإن كانت لم يصاحبها التوفيق . ونحن نرى - والله أعلم - غير هذا .

وأن معنى الأحلام فى الآية ليس هو العقول، دليلنا على هذا أنه تعالى قطع بأنه ليس للكافرين عقول بقوله تعالى «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير» ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل قال فى نصرانى: «ما أعقله» قال له صلى الله عليه وسلم: «مه إن الكافر لا عقل له»، فالذى يكون للكافر هو الذهن وليس العقل، والذهن يقبل العلم وبه يكون التعلم.

فيكون المراد بالأحلام - فى معنى الآية - هو رؤى النوم، وهى رؤى كاذبة إن كانت بأمر بفعل شيء على غرار بعض رؤى رسل الله .

ولهذا جاء قوله تعالى «أم تأمرهم أحلامهم بهذا» لبيان أنه ليس للمكذبين سند فى قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الحق، فإن كان سندهم هو رؤى مناهم فهو سند باطل فاسد .

ثم إنه تعالى بين حقيقة أمرهم فى قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الحق فأثبت أنهم قوم طاغون بمعنى أنهم بغوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وظفروا فظلموه بقولهم فيه غير الحق، متجاوزين الحدود فى المخاصمة. وذلك لأنه بثبت فساد أحلامهم لم يبق إلا ما ذكر بعد «أم» وهو أنهم قوم طاغون .

ثم ذكر تعالى عقيدتهم في القرآن العظيم وقولهم فيه إنه ما تقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمعنى أنه أتى به من عند نفسه ثم - به إلى الله، فبين تعالى كذب قولهم وفساد عقيدتهم بإثباته أنهم قالوا بهذا لأنهم قوم لا يؤمنون، بمعنى أن الدافع على القول الباطل سبب باطل.

ثم أورد تعالى سببا ثانيا لإثبات بطلان قولهم وعقيدتهم في القرآن العظيم هو عجزهم عن أن يأتوا بمثله، فلو كان القرآن قول محمد صلى الله عليه وسلم لكان في مقدورهم أن يأتوا بمثله، فكان تحديهم أن يأتوا بمثله - وهو محال - لإثبات صدق قولهم فيه، دليلا على كذب قولهم.

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في إثبات ضلال الكافرين في انصرافهم عن عبادة الله تعالى وتوحيده. وذلك لأنه لما كان المخلوق عبدا لمن خلقه فإنه يكون عليه واجب شكر الخالق وعبادته فلا يكون لأحد ألا يعبد أحدا إلا إذا كان قد خلق نفسه بنفسه؛ ولهذا جاء قوله تعالى «أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» لإثبات أنهم قد خلقوا بواسطة سبب مباشر ظاهر قدره الخالق وأنهم لم يخلقوا أنفسهم، مما يكون معه انصرافهم عن عبادة خالقهم كفرا بعدم سببه. وقيل إن المعنى هو: «أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ حَتَّى فَهَمَ لَا يُؤْمَرُونَ وَلَا يَنْهَوْنَ كَالْجَمَادَاتِ». والمعنى الأول هو ما رأيناه، والله أعلم بمدى صحته.

ثم إنه تعالى يؤكد معنى ضلالهم بالانصراف عن عبادة الخالق ببيان أنهم يعلمون أنهم لم يخلقوا السماوات والأرض، مما مفاده أنه لا بد أن يكون لهما خالق مستحق العبادة.

ثم أظهر أنهم لا يوقنون بهذا، فهم إذا سئلوا عمن خلق السماوات والأرض قالوا هو الله، ثم يكون منهم الانصراف عن عبادته، وهو دليل على عدم تيقنهم مما يقولون إذ تخالف أعمالهم قولهم .

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ
أَمْ هُمُ الْمُصِيطُونَ ﴿٢٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في إبطال سبب من أسباب التكذيب برسول الله ﷺ وهو أنه ليس برجل من القريتين عظيم، لأنهم أنكروا أن يصطفى الله تعالى رجلاً فقيراً بالنبوة فينزل عليه القرآن. فجاء قوله تعالى منكراً أنهم يملكون خزائن رحمة الله ومنها جل الرحمة وهو الاصطفاء بالنبوة، ومنكراً عليهم أنهم المسيطرون على عطاء ربك وعلى توزيعه بين عبادته، فيكون المستفاد هو خلوص الأمر لله يصطفى للرسالة من يشاء.

وقيل في المعنى إن القول يثبت أنهم ليسوا الرازقين وأنهم ليسوا المدبرين أمور البروبية، وأنهم بهذا ليسوا في غنى عن الله فحق عليهم عبادته .

ثم إنهم لما كانوا قد أنكروا أن ينزل تعالى القرآن على محمد ﷺ الذي لا يملك من المال ما يملك كبرائهم، فإنه لم يبق إلا أن يدللوا على أن ما تلاه عليهم رسول الله ﷺ ليس بالقرآن المنزل من الله وأن ما أخبر به ليس بحق - وهو ما يكون بالصعود منهم إلى السماء لسمعوا كلام الله ويقارنوا بينه وبين ما تلاه عليهم رسول الله ﷺ - .

فجاء قوله تعالى «أم لهم سلم يستمعون فيه، فليأت مستمعهم بسطان مبین» يثبت عدم

قدرتهم على الصعود إلى السماء والاستماع إلى كلام الله واستحالة أن يأتي أحد منهم بدليل بين من السماء على مخالفة ما تلاه عليهم رسول الله ﷺ لكلام الله .

أَمَلَهُ الْبَنتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في إثبات بطلان عقيدة المشركين الذين قالوا إن الملائكة بنات الله فعبدوها . ثبت بطلان عقيدتهم لمنافاتها العقل إذ لا يتصور منه تعالى أن يخص ذاته بإنجاب البنات وأن يهب الناس ومنهم الكافرون البين تعالى الله عما يشركون .

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في إثبات بطلان اعتقاد الكافرين أنه ﷺ يتغنى ما لا أوجاها مما أدى إلى عرضهم عليه ﷺ أن يجمعوا له من أموالهم، أو أن يملكوه عليهم على أن يكف عن الدعوة إلى دين الله، فأثبت تعالى أنه ﷺ لا يسألهم أجرا على إبلاغهم ما أرسل به، كما أثبت انعدام سبب إعراضهم عن الدعوة وهو الخشية من بذل الأجر له من أموالهم إذا آمنوا له ﷺ.

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو في إثبات بطلان عبادة الأصنام وانعدام الدليل عليها إذ لا

يكون التدليل عليها وعلى صحتها إلا بأن تكون مثبتة فى اللوح المحفوظ الذى تضمن إثبات الغيب بمعنى ماغاب علمه عن الناس من الموجود. وأن يكون المشركون قد كتبوا ما وجدوه فى اللوح المحفوظ فى كتاب لهم. فجاء قوله تعالى مثبتا عدم اطلاعهم على اللوح المحفوظ وعدم تدوينهم شيئا مما سطر فيه، ومثبتا بالتالى بطلان عقيدة الشرك بالله بعبادة الأصنام.

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى إثبات أن كيد الكافرين المكذبين برسول الله ﷺ إنما يحقق بهم. والقول - فى الآية - يثبت صحة أمرين، أولهما أن القرآن العظيم حق من الله، إذ أخبر عن حدث مستقبل وهو تأمر المشركين فى دار الندوة على رسول الله ﷺ كيدا له من أنفسهم، وثانيهما أن كيدهم يرد إلى نحورهم، وهو ما كان بعد ذلك بالتنكيل بهم فى بدر.

أَمْ لَهُمْ آلٌ غَيْرُ اللَّهِ ۖ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

التفسير:

الآية - هى فى التدليل على افتقاد الكافرين المشركين ناصرا لهم من دون الله فيما عبدوا، إذ لا يكون لهم من سبب للإعراض عما دعاهم إليه رسول الله ﷺ من توحيد الله إلا أن يكون لهم إله يعينهم ويمنع عنهم عذاب الله، فإن كانوا يعتقدون هذا فى الأصنام التى عبدوها، فهو الباطل أثبت الله بتنزيه ذاته عن أن يشرك به أو يكون له شريك فى الملك أو فى الحساب.

وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا
يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى فساد عقائد المكذبين عقيدة فعقيدة، فإنه تعالى دلل على غياب العقل لدى المكذبين بمثال ضربه يبين منه أنهم يستخلصون النتائج الباطلة من المقدمات اتباعاً لأهوائهم. فخاطب تعالى رسوله ﷺ قائلاً له إنها إذا رأوا قطعاً من السماء في سبيلها إلى السقوط عليهم لتعذيبهم، يقولون عنها إنها سحب تراكم بعضه فوق بعض، يكون من شأنه أن ينزل عليهم المطر.

ثم إنه تعالى أتبع هذا بأمره رسوله ﷺ ألا يكثرث بأمرهم وأن يتركهم على ما هم فيه من الضلال إلى أن يلاقوا يومهم الذي يهلكون فيه، قيل إنه يوم بدر، وقيل هو وقت النفخة الأولى حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض، وقد يكون المراد به هو يوم الحساب، وذلك لأنه في بدر لم يقض على الكافرين جميعهم، ولأنهم لا يكونون أحياء وقت النفخة الأولى.

ثم وصف تعالى اليوم الذي فيه يصعقون بأنه اليوم الذي لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون، فالذين قالوا إنه يوم بدر قالوا إن كيدهم لرسول الله ﷺ في دار الندوة لم يغن عنهم شيئاً فيه كما أنهم لم يتصروا. وإن كان هو يوم الحساب فإنه يكون محققاً أن كيدهم الذي استهدفوا به الذهاب بدين الله الذي دعا إليه رسوله ﷺ لم يغن عنهم شيئاً في الدنيا إذ أظهر الله عليهم دينه، كما أنه لم يغن عنهم شيئاً في الآخرة إذ عذبوا بكيدهم هذا عذاباً فوق العذاب، وعدموا ناصراً يقيهم عذاب الله.

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - أن للمكذبين - وصفهم الله بأنهم الذين ظلموا لظلمهم الله ورسوله وأنفسهم - عذابا آخر فوق العذاب بالصعق. يكون - لدى القائلين بأن العذاب الأول هو عذاب يوم بدر - هو كل ما حاق بهم بعد هذا فى الدنيا من قحط وفتح. ويكون - لدى من يرى أن العذاب المذكور آنفا هو عذاب يوم الحساب - عذابا يقدره تعالى فوق العذاب المذكور وإن يكن بأعمالهم.

ثم أثبت تعالى أن المكذبين يتصرفون تصرف من لا يعلم هذه الحقائق، أو أن أغلبهم لا يعلم هذا ويتبعهم الباقون، ولهذا يكون منهم الإصرار على الكفر والتكذيب .

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبِرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى لرسوله ﷺ مصير المكذبين به وهو حكمه تعالى فيهم فإنه خاطبه ﷺ فأمره أن يصبر لحكم ربه هذا، بمعنى أن ينتظر بالمكذبين يومهم الموعود الذى يكون فيه عذابهم، ثم أعلمه أنه محفوظ محروس بعنايته تعالى، جاء التعبير عن هذا بأنه ﷺ بأعينه، كما أمره أن يسبح بحمد ربه على ما أنعم به عليه لدى قيامه من نومه ولدى قيامه من كل مجلس يكون قاعدا فيه، ثم أمره - ليقنطى به المسلمون - أن يسبحه بعض الليل، وقت أن يطلب الناس الراحة، ويكون بعيدا عن عيون الخلق متفرغا للعبادة، وفى آخر الليل وقت تلاشى ضوء النجوم بظهور ضوء الصباح. وقيل: إن المراد بالتسبح إظهار النجوم هو صلاة الفجر، كما قيل إن وقت هذا التسبح يكون عند اختفاء النجوم بظهور أشعة الشمس .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ⑧
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - النجم : قيل إن المراد به هو نجوم السماء عموماً، وقيل هو نجم معين، اختلف فيه، فقيل هو «الثريا» وهي مجموعة من النجوم، وقيل هو «الشعري»، وقيل هو الزهرة - وهي كوكب وليست نجماً، وقيل هو نجم الأرض - وهو النبات الذي ليس له ساق - وقيل هو محمد ﷺ نزل من السماء ليلة المعراج . وقيل هو القرآن العظيم نزل منجماً .

٢ - الشديد القوى : في قوله تعالى «علمه شديد القوى» قيل هو جبريل عليه السلام .

٣ - المرة : في قوله تعالى «ذو مرة فاستوى» هي القوة والشدة، وخص بها قوة العقل وكهاله وحصافته .

٤ - القاب : فى قوله تعالى «فكان قاب قوسين» هو ما بين مقبض القوس وبين كل طرف من طرفيه المعطوفين، وقيل هو المسافة التى تكون بين قوسين طويق بينهما، بأن وضع أحدهما على الآخر، وتكون أقل من إصبع .

ثانيا : التفسير :

أقسم تعالى بالنجم - بمعنى النجوم - وخص مظهرا من مظاهر معجزاته تعالى فيه وهى هويته، قيل إن المراد به هو غروبه ، وقيل هو طلوعه. وقد يكون المراد به - والله أعلم - هو موته الذى يكون بتقلصه على نفسه بما يؤدى إلى سقوط مكوناته بالجاذبية فينضغط إلى ما يسمى بالقرم الأبيض أو إلى نجم نيترونى أو ثقب أسود، وقد يكون المراد هو انتشار النجوم يوم القيامة.

وجواب القسم هو أن رسول الله ﷺ لم يضل عن الحق ولم يعتقد باطلا ولم يمل لغير الرشد. وفى القول جاء الخطاب إلى قريش أو إلى أهل مكة لمعرفةهم بأحواله ﷺ، وأنه لا ينطق عن هوى نفسه، ثم بين تعالى بصريح العبارة أن ما ينطق به ﷺ فى شأن الدين هو ما يوحى به إليه ربه، يدخل فى هذا القرآن العظيم ويدخل فيه تفسيره ﷺ الأحكام والعقائد بما يلقيه تعالى فى قلبه، كما يدخل فيه الأحاديث القدسية، وذكر أن الذى يعلمه ما أوحى به الله إليه هو جبريل عليه السلام الذى بلغ غاية القوة، ومن مظاهرها قلع قرى قوم لوط وحملها ورفعها إلى السماء وقلبها، وإهلاكه ثمود بصيحته ، كما وصفه تعالى بأنه «ذؤمرة» بمعنى أنه صاحب حصافة وكمال عقل - رغم أنه يفعل ما يؤمر به - ثم بين تعالى أنه استقام على هيبته أو صورته الحقيقة فرآه رسول الله ﷺ عليها ، من بعد أن كان يراه فى صورة بشرية، وقيل إن هذا كان لرسول الله ﷺ وهو فى غار حراء فى مبتدأ النبوة. وقد يكون المعنى أن جبريل عليه السلام كان يستوى إلى السماء - بمعنى أنه يرتفع إليها - بعد أن يعلم محمدا ﷺ ما أوحى به من القرآن العظيم، وقد يكون قوله تعالى «وهو بالأفق الأعلى» بيانا لحال جبريل عليه السلام وقت استوائه أو استقامته على هيبته الحقيقية، وهو وجوده بالأفق الأعلى ، ناحية السماء أو فى الموضع الذى تأتى منه الشمس.

ثم يذكر تعالى أنه عليه السلام يقترب من رسول الله ﷺ ويتدلى من السماء فينزل عليه بالوحي، فيكون قريباً منه دانياً غاية القرب مكاناً ومكانة، مسافة ما بين مقبض القوس وطرفها، أو ما هو أقل من هذا، فيكون منه أن يوحى إلى رسول الله ﷺ - وصفه تعالى بأنه عبد الله - ما أوحى به الله إليه من قبل .

مَآذِبَ

أَفْوَادُ مَا رَأَى ۝ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ۝ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۝ عِنْدَ هَاجِئَةِ الْمَأْوَى ۝ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ
مَا يَغْشَى ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ
الْكُبْرَى ۝

أولاً : الأسماء :

سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى : السدرة هى شجرة النبق، وسدرة المنتهى هى شجرة نبق عظيمة عن يمين العرش فى السماء السابعة، قيل فى وصف عظم حجم ثمارها ومساحات أوراقها الكثير .

ثانياً : التفسير :

بين تعالى أن فؤاد رسول الله ﷺ قد عرف جبريل حين رآه يبصره على هيئته الحقيقية، فلم يكذب الفؤاد البصر، فيكون القول شهادة من الله بصدق ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه رأى جبريل عليه السلام على هيئته الحقيقية - وقيل عن أنه رأى الله تعالى بقلبه أو يبصره - ثم خاطب تعالى قريشاً أو كفار مكة بقوله تعالى « أفتمارونه على ما يرى » ، والاستفهام فى القول

يتضمن إثباتا على الكافرين أنهم يريون رسول الله ﷺ ويشككونه فيما يراه من أمر جبريل عليه السلام أو أنهم يجحدون قوله في هذا، ويتضمن إنكارا عليهم فعلهم هذا.

ثم جاء قوله تعالى «ولقد رآه نزلة أخرى» تأكيداً لسبق رؤيته ﷺ جبريل على هيئته الحقيقية وإخباراً بأنه ﷺ رآه على ذات الهيئة مرة أخرى، كانت عند شجرة النبق الكائنة يمين عرشه تعالى في السماء السابعة، ذكرها تعالى بأنها «سدرة المنتهى» لأنها سدرته تعالى الذي إليه المنتهى على ما يبين من قوله تعالى «وأن إلى ربك المنتهى».

ثم أخبر تعالى عن شجرة النبق هذه بأنها التي يكون عندها المكان الذي يأوى إليه المتقون يوم القيامة.

فيكون المعنى أن الجنة تكون عندها، وقيل إن عندها تكون الجنة التي تأوى إليها أرواح الشهداء، أو الجنة التي تأوى إليها الملائكة.

وأخبر أن خيال سدرة المنتهى عند رؤيته ﷺ جبريل على هيئته الطبيعية عندها هو أنه يغشيها ما يغشيها من أمر الله، قيل إنه نور رب العزة سبحانه وتعالى.

وجاء التعبير بالفعل في صيغة المضارع رغم وقوع الحدث في الماضي لاستحضار صورته في الذهن، والحدث جميعه هو ما كان لدى العروج برسول الله ﷺ إلى السماوات في المعراج.

وأكد تعالى معنى رؤيته ﷺ ما روى عن رؤيته ليلة المعراج بإثباته أن البصر منه ﷺ لم يتحول عما رأى، ولم يتجاوز ما أراد الله له أن يراه إلى غيره، وأنه رأى ما أذن الله له أن يرى من عجائب ملكه العظمى، منها ما روى عنه ﷺ.

وقد جاء القسم المستفاد من قوله تعالى «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» لتأكيد رؤيته ﷺ ليلة المعراج ما أذن له تعالى أن يراه من بديع آياته في ملكوت السماوات الموصوفة بأنها الكبرى.



أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُ الْإِنْتَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - اللات : هي صنم كانت لثقيف، عبدت في الطائف وبنى عليها بناء فكانت العرب تعظمها، وقد هدمها وحرقها المغيرة بن شعبة بأمر رسول الله ﷺ بعد أن أسلمت ثقيف.

٢ - العزى : هي سمرة، وقيل ثلاث سمرات عبدت بجهة «نخلة»، قطعها خالد بن الوليد بعد فتح مكة بأمر رسول الله ﷺ. وقيل إنه خرجت منها شيطانة ضربها خالد بالسيف وقتلها.

٣ - مناة : هي صنم كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، قيل إنها سميت بهذا الاسم لكثرة ما يراق لها من الدماء .

٤ - الضيزى : فى قوله تعالى «تلك إذا قسمة ضيزى»، هي الجائرة عن العدل .

ثانياً : التفسير :

بعد أن أظهر تعالى مماراة الكافرين فى الحق الذى رآه رسول الله ﷺ، فإنه تعالى أظهر - فى الآيات - مماراتهم فى الحق فى شأن العبادة، فجاء قوله تعالى «أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى» استفهاماً إنكارياً لبيان أن الأصنام التى اتخذوها آلهة تعبد لم تفعل شيئاً مما يفعل الله تعالى، ولم توح إلى أحد منهم بمثل ما أوحى به تعالى إلى رسوله ﷺ. وفى القول جاء «الثالثة الأخرى» صفتين لمناة، أو تكون «الأخرى» صفة للعزى - وهى الثانية - لأن العرب لا تقول للثالثة «الأخرى» .

ثم جاء قوله تعالى «الكم الذكروله الأنثى» توبيخاً للكافرين على قولهم إن الملائكة بنات الله، وإن الأصنام بنات الله، إذ يكون معنى قولهم أنه تعالى قسم البنات والبنين بينه

وبينهم فجعل لذاته البنات وجعل لهم البنين، ثم بين تعالى أنه لو كان الأمر كما يقولون لكانت هذه القسمة هي قسمة جائرة عن العدل. والمراد بيانه هو منافاة قولهم للعقل دون التعرض لما هو معلوم من أنه تعالى ليس له ولد .

إِنْ هِيَ إِلَّا
 أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
 إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
 الْهُدَى ٢٣ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ٢٤ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ٢٥ وَكَ
 مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ
 اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ٢٦

التفسير:

استمر تعالى - في مبتدأ الآيات - في مخاطبة الكافرين بشأن الأصنام التي عبدوها، فذكر أنها ليست إلا أسماء أطلقت على جمادات لا تضر ولا تنفع، أو أنها سميت آلهة من قبل المشركين المخاطبين بالقول ومن جهة آبائهم، دون أن يكون لها من الألوهية شيء. ثم بين تعالى أنه لم ينزل قولاً يحتج به على أنهم آلهة ولا دليلاً يثبت ذلك، وأن المشركين بعبادتهم إياها وتسميتها آلهة لا يتبعون إلا وهمهم أن الباطل الذي يعتقدونه هو الحق، وما تريده أهواء نفوسهم الزائغة عن الحق. وبين تعالى أيضاً أنهم لا حاجة لهم في البقاء على الضلال، إذ جاءهم الهدى إلى الحق من ربهم وهو رسول الله ﷺ، أو القرآن العظيم، فيكون القول تأكيداً لواقع أنهم لا يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس .

ثم أتبع تعالى هذا ببيان أن ما يرجوه المشركون من عبادة الأصنام وإعراضهم عن الحق لا يتحقق، فلاستفهام في قوله تعالى «أم للإنسان ما تمنى» هو للإنكار والنفي، فهو نفى لأن يكون للمشركين ما تمنوه وطمعوا فيه من شفاعة الأصنام لهم، ومن أن تكون لهم الحسنى يوم القيامة، وقد يكون المعنى أنه لا يكون لهم جميع ما تمنوه، فإن كانوا قد تمنوا أن تعبد أصنامهم فقد نالوا ذلك زمنًا، وإن كانوا قد تمنوا أن ينالوا من عبادتها خيرًا، فهذا مما لا يكون. وعلة ذلك أنه تعالى هو الذى له التصرف فى أمور الآخرة وأمور الدنيا. «فلله الآخرة والأولى» جاء ذكر الآخرة - فى القول - قبل «الأولى» لأن المشركين كانوا يأملون فى شفاعة الأصنام لهم فى الآخرة.

ثم بين تعالى أن خلوص الأمر له وحده فى الآخرة والأولى من شأنه أن يحرم المشركين أطعامهم فى شفاعة أصنامهم لهم بقوله «وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى» وفيه بين تعالى كثرة الملائكة فى السماوات، وبين أنهم على كثرتهم لا تفيد شفاعتهم أحدًا من عباده تعالى إلا من بعد أن يأذن لهم الله فى أن يشفعوا فيمن شاء تعالى أن يشفعوا فيه، ورضى تعالى أن يقبل فيه شفاعتهم. فيكون القول إقناطًا للمشركين من أن تشفع لهم أصنامهم عند الله، ومن أن يفيدوا من هذه الشفاعة لو كانت واقعة، وهى لا تكون.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ
 الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ۚ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ
 وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا
 وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
 عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ۚ

التفسير:

بدأ قوله تعالى - فى الآيات - بذكر واقع أن الكافرين يسمون الملائكة تسمية الأنثى، وصف الكافرين بأنهم الذين لا يؤمنون بالآخرة، لأنهم لا يخشون عقاب الله لهم فيها بإصرارهم على ما هم عليه من ضلال، ومعنى أنهم يسمون الملائكة تسمية الأنثى هو أنهم يقولون عن الملائكة إنهم بنات الله فكأنهم يقولون عن كل ملك إنه أنثى .

ثم بين تعالى أن الكافرين يعدمون سندا من العلم الصحيح على صحة قولهم إن الملائكة بنات الله.

وأثبت أنهم فى قولهم هذا لا يتبعون إلا وهمهم الباطل الذى شأنه شأن كل باطل لا يغنى من الحق شيئا، بمعنى أنه لا يفيد شيئا فتبقى الحاجة إلى معرفة الحق وبلوغه، إذ به يبين العمل الذى يفيد والعمل الذى لا يفيد .

ثم إنه تعالى بعد أن أثبت فى حق الكافرين جهلهم بالحق واتباعهم أوهامهم الباطلة، أمر رسوله ﷺ بالإعراض عنهم، وصفهم تعالى بأنهم الذين تولوا عن ذكره، بمعنى أنهم انصرفوا عن القرآن العظيم الذكر الحكيم وهو الحق يهدى إلى الحق، كما وصفهم بأنهم الذين لم يريدوا إلا الحياة الدنيا، جعلوها محل اهتمامهم وعنايتهم، ولم يعنوا بالآخرة؛ ولهذا أعرضوا عن القرآن العظيم الذى يدعو إلى العمل للآخرة بعملها .

ثم بين تعالى أن ما عليه الكافرون من الباطل من تسمية الملائكة تسمية الأنثى، ورجائهم شفاعة أصنامهم، وقصر اهتمامهم على الحياة الدنيا، هو غاية العلم الذى وصلوا إليه والذى لا مزيد عليه لهم.

وبين تعالى أنهم بهذا هم الذين علم تعالى أنهم يضلون عن سبيله التى ارتضى، فهو الأعلم بمن قدر له أن يكون من الضالين، كما أنه الأعلم بمن قدر له أن يكون من المهتدين. فيكون القول بمثابة تعليل للأمر بالإعراض عن الكافرين .



وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
يُجْزِي الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيُجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ③١
الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ
الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ③٢

أولاً : الأسماء :

اللمم : قيل هي الصغائر من الذنوب، وقيل كل ما هو دون زنى الفروج أو الوطء من قبله
وغمزة ومضاجعة، وقيل هو كل ما دون الشرك، وقيل هو الذنب يلزم به العبد مرة أو مرات دون
أن يداوم عليه. وقيل هو كل ذنب ليس معاقبا عليه بحد من الحدود في الدنيا ولم ينص على
التعذيب به في الآخرة .

ثانياً : التفسير :

بعد أن بين تعالى أنه أعلم بمن ضل عن سبيله وبمن اهتدى، ولما كان تعالى مجازياً من
ضل عن سبيله بالعذاب ومجازياً من اهتدى بالجنة .

فقد جاء قوله تعالى «ولله ما في السماوات وما في الأرض» لإثبات قدرته تعالى على فعل
ما يريد في الدنيا والآخرة ومنه تعذيب المسىء — وهو الضال عن سبيل الله — بعمله الضال
السىء، وإثابة الذين أحسنوا لأنفسهم بالإيمان واختيار طريق الله المستقيم والعمل
بالطاعات بالحسنى، وهي الجنة .

ثم وصف تعالى الذين أحسنوا أو إنه تعالى عرف بهم فقال إنهم الذين يجتنون كبائر

الإثم والفواحش إلا اللمم، بمعنى أنهم الذين لا يشركون بالله ولا يقارفون الزنى، ولو قارفوا ما دون ذلك يلمون به مرة أو أكثر إماما ولا يلازمونه، بين تعالى أنه يغفر لهم ذنوبهم بقوله «إن ربك واسع المغفرة» وقد يكون هذا لأن الحسنات يذهبن السيئات.

ثم جاء قوله تعالى «هو أعلم بكم» بيان علة غفرانه تعالى ذنوب الذين أحسنوا الاعتبار من «اللمم» بيان أنه علمه بالإنسان، وهو أنه - ما لم يعصمه الله - يرتكب الذنوب التي لا تعد من الكبائر.

ثم جاء قوله تعالى «إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم»، وفيه قيل إنه تعالى عليهم بأحوال الناس منذ أن خلقهم بخلق أبيهم آدم من طين الأرض، ووقت أن كانوا أجنة فى أطوار مختلفة فى بطون أمهاتهم.

والذى نراه - والله أعلم - أنه تعالى يشير إلى سبب علمى هو علة غفرانه ذنوب المحسنين، وهو ما أودعه فيهم من الغرائز الطبيعية التى اقترنت بخلقهم الذى كان بخلق أبيهم آدم، وإلى أثر عنصر الوراثة - إلى حد ما - فى سلوك المرء، وإلى أثريئة الرحم أيضا على الجنين ثم على المولود فى أثناء حياته مما قد يكون له من أثر على تحديد انفعالاته ومدى سيطرته على نفسه.

ثم إنه لما كان أثر ذلك نسبى بمعنى أنه يكون مقدورا من المرء أن يتغلب عليه فلا يرتكب الشرك ولا الزنى، وإن ارتكب ما دون ذلك، فإنه تعالى يغفر له هذه الذنوب.

ثم أمر تعالى المؤمنين بعدم تزكية أنفسهم، بمعنى ألا يمدحوا أنفسهم ويشنوا عليها، وقد يكون سبب النهى أنه ما من أحد إلا وارتكب صغائر الآثام إلا من عصم ربك.

ولهذا جاء قوله تعالى «هو أعلم بمن اتقى» مبينا أنه لا يكون من المحسنين إلا العمل على اتقاء غضب الله وعصيانه وإن وقعوا فى صغار الذنوب؛ ولهذا فإنه تعالى يجازيهم بتقواهم.



أَفَرَأَيْتَ الَّذِي

تَوَلَّى ۖ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ ۞ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرَى ۚ ۞
 أَمْ لَمْ يَبْتَأِمْ فِي صُحُفٍ مُوسَى ۚ ۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۚ ۞
 أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۚ ۞ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ ۞
 وَأَنْ سَعَى ۚ ۞ سَوْفَ يُرَى ۚ ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۚ ۞ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۚ ۞

أولاً : الأسماء والأعلام :

الذي تولى : قيل هو الوليد بن المغيرة كان قد مدح القرآن ثم أمسك عن هذا، وقيل هو عثمان رضى الله عنه كان ينفق فى الخير كثيرا فنهاه أخوه فى الرضاة عبد الله بن أبى سرح وخوفه الفقر، ثم قال له إنه يتحمل عنه ذنوبه التى ينفق فى الخير لتغفر له، فأمسك عثمان عن بعض الصدقة ثم عاد إلى ما كان عليه وأكثر. وقيل هو أبو جهل بن هشام الذى قال «والله ما يأمر محمد إلا بمكارم الأخلاق» ثم أمسك فلم يؤمن .

ثانياً : التفسير :

الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، بدأ متعلقا بشخص معين يغلب أن يكون من الكافرين، كان منه أن أعطى قليلا ثم أكدى - أى قطع عطاءه ولم يتمه . بمعنى أنه مال إلى الإيمان، أو أنه قال فى القرآن قولة حق، ثم كف عن هذا ولم يكمل ما كان منه بالإيمان. وقوله تعالى «أفرايت» هو لبيان أنه ﷺ قد علم بما كان من هذا الشخص المخبر عنه، كما أنه للتعجب من فعله وهو أنه أعرض عن الإيمان بالقرآن ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن كان منه القليل من القول أو الفعل الذى يشريه له للإيمان، انقطع عنه بعد هذا ولم يكمله بإعلان إيمانه .

بين تعالى أن هذا الذي أعطى قليلا وأكدى قد جهل بما يكون له من العذاب فى الآخرة، فالاستفهام فى قوله تعالى «أعنده علم الغيب فهو يرى» هو إنكار لأن يكون لدى هذا المكدي العلم بخبر الآخرة - وهو الغيب .

ومعنى القول أنه لو كان عنده علم الآخرة فعترف أنه لا يعذب بفعله لكان انقطاعه عن إكمال الخير بالإيمان عملا صحيحا منه.

فيكون إنكار علمه بالآخرة مفيدا جهله بما يكون له، كما يكون مفيدا تعذيبه فيها .

ثم جاء قوله تعالى بعد ذلك لإثبات أن هذا الذى أعطى قليلا ثم أكدى قد علم بما جاء فى صحف موسى عليه السلام، يدخل فيها الصحف التى بعث بها إلى فرعون وقومه، والتوراة التى بعث بها لبنى إسرائيل من ذكر مبدأ «المسئولية الشخصية عن الخطأ» بمعنى أن أحدا لا يعاقب بذنب الغير فيعفى هذا الغير من العقاب .

وقد يكون ذكر هذا مشيرا إلى أن الذى أعطى قليلا ثم أكدى قد استجاب لمن حرضه على عدم إكمال فعله بالإيمان بإغرائه بأنه يحمل عنه ذنبه يوم القيامة .

كما بين تعالى أن هذا المبدأ قد تضمنته من قبل صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وصفه تعالى بأنه الذى وفى، لأنه عمل بما أمره وبلغ رسالة ربه - ثم بين تعالى تفصيلات المبدأ الذى تضمنته صحف موسى وصحف إبراهيم من قبل بقوله «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» .

وهو الجانب الإيجابى فى المبدأ، ومعناه أن أحدا لا يفيد من فعل الخير الذى يأتى به غيره.

وقد يكون المراد بالإنسان - فى معنى الآية - هو الكافر، لأن المؤمن يفيد من فعل غيره الخير، بدلالة إجازة الحج والصيام والصدقة عن الميت.

كما بينه وفصله بقوله «وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى، وأن إلى ربك المنتهى».

والمعنى أنه يوم القيامة يشهد تعالى المرء عمله الذى عمل فى الدنيا، قد يكون بإطلاعه على صحيفة أعماله، ثم يجزيه به الجزاء الكامل الوافى، بمعنى الذى لم يغفل عن عمل عمله فى الدنيا.

وقوله تعالى «وأن إلى ربك المنتهى» خوطب به رسول الله ﷺ، لبيان أن الذى أعطى قليلاً وأكدى قد جهل أن منتهى أمره هو إلى الله الذى يحاسبه بعمله ويجازيه، ولإثبات هذه الحقيقة ليعمل المؤمنون على كسب رضائه تعالى على المستفاد من وصفه تعالى ذاته بأنه رب رسوله ﷺ، بمعنى المتولى أمره والمؤمنين والراعى مصالحهم.

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۖ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۖ ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ
الرُّوحَ الْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۖ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۖ ﴿٤٦﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآيات - أن الذى أكدى فلم يكمل القليل من الخير الذى كان منه بالإيمان قد جهل حقيقة الله تعالى الذى إليه المنتهى، وأنه فاعل كل شىء وإن خلق لكل فعل سبباً ظاهراً، ومن ذلك أنه تعالى هو الذى يضحك الإنسان ويكيه، بأن يوجد سبب سروره الذى يؤدى إلى الضحك، وسبب حزنه الذى يدفع إلى البكاء.

وأنه تعالى أَمَاتَ وَأَحْيَا، بمعنى أنه الذى أوجد الأسباب الظاهرة التى يعقبها الموت، والذى أوجد الأسباب التى تدب بها الحياة فى الحيوان المنوى، والحياة فى الجنين، والذى يبعث الحياة فى الأجسام البالية يوم البعث للحساب.

وأنه تعالى خلق الزوجين من أولاد آدم الذكر والأنثى من نقطة تقطر من ماء الرجل فى رحم الأنثى فتصادف بويضة تلقحها فيكون بهذا مبدأ خلق المرء .

وَأَنَّ عَلَيْهِ
النِّسَاءَ الْاٰخَرٰى ۝ ٤٧ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنٰى وَأَقْنٰى ۝ ٤٨ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرٰى ۝ ٤٩
وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا اَّلْأُولٰى ۝ ٥٠ وَثَمُودَ اِفْمَا اَبْقٰى ۝ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُوْهُمۡ أَظْلَمَ ۖ وَأَطٰىىٔ ۝ ٥٢ وَالْمُؤْتَفِكَةَ اَهُوٰى ۝ ٥٣ فَغَشَّاهَا
مَا غَشٰى ۝ ٥٤ فَبَآىٔ اِلَآ رَبِّكَ تَمَارٰى ۝ ٥٥

أولا : الأسماء والأعلام :

١ - الشعرى : هى الشعرى اليمانية ألمع نجوم السماء، تقع فى مجموعة الكلب الأكبر بالقرب من الجوزاء أو كوكبة الجبار، ميزها العرب عن الشعرى المعروفة بالغميصاء، وقالوا إنها كانا أختين لسهيل، وقالوا إنها كانت زوجته، فلما انحدر سهيل وأصبح يمانيا تبعته الشعرى فعبرت المجرة فسميت «العبور» وبقيت أخته الأخرى تبكى عليه حتى غمضت عينها فسميت الغميصاء. جاء ذكرها لأن من العرب من عبدها، قيل عبدتها حمير وخزاعة، وقيل إن أول من عبدها هو «أبو كبشة» قيل إنه كان أحد أجداد النبى ﷺ من جهة أمه .

٢ - المؤتفكة : هى المتقلبة، من الإفك - وهو الكذب - لأن فيه قلبا للحقيقة. والمراد بها - فى معنى الآية - مدائن قوم لوط عليه السلام، فهى التى قلب تعالى عاليها سافلها، ثم خسف بها بأن أهوى بها إلى الأرض من بعد رفعها بواسطة جبريل عليه السلام.

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - بدأ بذكر المزيد من فعالة تعالى وصفاته التى لم يعرف بها هذا

الذى أعطى قليلا، وأكدى، قال تعالى «وأن عليه النشأة الأخرى» فأثبت أنه الذى يحيى الخلق فى الآخرة من بعد موتهم، بين أحقية هذا الإحياء بوصفه أنه واجب - مع أنه تعالى لا يجب عليه شيء - لبيان أنه قضاء جرت به حكمته تعالى من أجل الحساب ففتحتم وقوعه. ثم أثبت أنه الذى أغنى وأقنى، فهو الذى وهب من وهب ما ينفعه وما يقتنيه - وقيل ما يرضيه - كما أثبت أنه رب نجم الشعرى، خصه بالذكر لأن من العرب من عبده، فدل تعالى أنه الذى يحفظه بحكم أنه ربه، ليبين أنه تعالى الأولى أن يعبد وليس الشعرى النجم المخلوق الذى يدين بوجوده وحفظه له تعالى .

ثم ذكر تعالى - فى مجال ترهيب الذين لم يؤمنوا - أنه الذى أهلك عادا الأولى التى كانت أول المهلكين من بعد قوم نوح، تميزا لها عن قبيلة عاد التى عاشت فى مكة وأصلها من العمالق، وهم بنو لقيم بن هزال. وذكر أنه أهلك ثمود فلم يبق منهم أحدا لم يأخذه بذنبه. ثم ذكر أنه تعالى أهلك - من قبل هؤلاء المذكورين - قوم نوح عليه السلام.

وصفهم بأنهم كانوا أظلم وأطغى من عاد الأولى ومن ثمود، وقد يكون هذا لإمعانهم فى إيذاء نوح عليه السلام بالضرب. كما ذكر أنه تعالى أهلك المؤمنين - وهى قري قوم لوط عليه السلام - بأن أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها جبريل على جناحه إلى السماء، فكان من شأنه تعالى معها أنه عطف عليها من العذاب ما شاء فغطاها وغشاها؛ فيكون القول متضمنا تهويل العذاب الذى حل بها تحقيقا للغاية وهى تخويف الكافرين من الإصرار على الكفر.

ثم جاء قوله تعالى «فباى آلاء ربك تتماارى» وفيه قيل إن الخطاب هو لرسول الله ﷺ إلهابا لغيره ﷺ وتعريضا به، وقيل هو لكل فرد من الناس، والذى نراه - والله أعلم - أنه للكافر الذى أبدى ميلا للإيمان ثم أكدى بأن انقطع عن إيذائه إيمانه ولم يكمله.

جاء قوله تعالى ليبين له أنه ليس له أن يتشكك فى شيء من نعمة تعالى ومقدوراته التى فى الآيات وفى دلالتها عليه تعالى بما يستوجب منه إعلان إيمانه، فيكون القول متصلا - فى المعنى - بما سبق منه تعالى من تخويف الكافرين بالعذاب فى الدنيا والآخرة .

هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى ۝٥٦

التفسير:

أشار تعالى - فى الآية - إلى القرآن العظيم الذى أخبر عن هلاك الأمم السابقة وأخبر عنه أنه نذير بعذاب المصرين على الكفر.

ثم بين أنه من جنس النذر الأولى، وهى الكتب والصحف التى أنزلت على الأنبياء والرسل فأنذروا بها أقوامهم.

وقد يكون القول متضمنا وعيدا بالهلاك يصيب المكذبين على نحو ما أصاب الذين أنذروا من قبل بكتب المرسلين إليهم وضحفهم .

أَزِفَ الْأَرْزَقُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨

أولا: الأسماء:

الأرزفة: هى القربة وقتا، والمراد بها - فى معنى الآية - هو الساعة، أو القيامة .

ثانيا: التفسير:

بين تعالى - فى الآيتين - أن الساعة قد اقتربت زمانا، وهذا صحيح لأنه ﷺ هو خاتم النبیین يأتي قرب الساعة.

ثم بين تعالى أنه إذا غشيت أهوالها الخلق لا يكون فى مقدور أحد من دون الله تعالى أن يكشف أهوالها بمعنى أن يزيلها، ولا أن يمنع وقوع الساعة.

ويقبل القول أن يكون أنه لا يكون فى مقدور أحد تأخير وقت وقوعها.



أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۖ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ۖ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۖ

أولاً: الأسماء:

السامدون: في قوله تعالى «وأنتم سامدون» جمع، مفردة «السامد» وهو اللاهى، وقيل هو «المبرطم» الذى يلهو رافعا رأسه فى كبرياء.

ثانياً: التفسير:

أشار تعالى - فى القول - إلى القرآن العظيم وقال للكافرين «أفمن هذا الحديث تعجبون» وصفه بأنه الحديث، لأنه قول الحق جل وعلا، ثم أثبت عليهم أنهم يعجبون منه، وأنكر عليهم هذا، كما أثبت عليهم أنهم يضحكون منه استهزاء به.

وبين أنه كان الأولى بهم أن يكونوا حزنا على أنفسهم وما يصيبهم بكفرهم به من العذاب، وأنكر عليهم ضحكهم منه استهزاء به يكون وحالهم أنهم لاهون متكبرون.

ثم بين تعالى ما هو جدير أن يكون من العباد مع القرآن العظيم وهو تعظيمه وشكر من أنزله على رسوله ﷺ والخشوع إليه.

فجاء أمره تعالى قاطعاً بالسجود له تعالى منزل القرآن على عبده تزلفاً إليه بالخشوع والخضوع، وبعبادته وحده وعدم الشرك به. «فاسجدوا لله واعبدوا». والآية موضع سجدة عند أغلب أهل العلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ مُسْتَقِرَّةٌ ③
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ
النُّذُرُ ⑤ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِرٍ ⑥ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ
يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ⑦ مُهْطِعِينَ إِلَى
الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ⑧

أولاً: الأسماء :

١ - المزدجر: في قوله تعالى «ما فيه مزدجر» هو الزاجر، أو ما تضمن شيئاً أو معنى يزجر
عن فعل شيء. والمراد به - في معنى الآية هو ما يزجر عن الكفر.

٢ - المهطعون : في قوله تعالى «مهطعين إلى الداع» جمع، مفردة «المهطع»، وهو
المسرع.

ثانيا : التفسير :

أثبت تعالى - في مبتدأ القول - أن الساعة اقتربت، وقرن قوله هذا بقوله «وانشق القمر» وفي تفسيره قيل إن القمر انشق حقيقة في زمان رسول الله ﷺ وصار فرقتين وأن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين رأوا حراء بينهما. والذي نحب أن نشير إليه قبل إبداء رأينا فيما قيل هو أن الحديث الذي روى عن الحدث هو حديث آحاد أو أنه غير متواتر. وأن الآية ليست نصا في الحديث؛ ولهذا فإن من ينكر حدوث الانشقاق في عصره ﷺ لا يعد كافرا .

وتقدمة لرأينا في تفسير قوله تعالى نقول إنه تعالى أنزل المعجزات المادية تأييدا للرسول السابقين لأن هؤلاء الرسل قد دعوا إلى أديان مؤقتة باعتبار أنها تنسخ بالإسلام الذي يأتي به رسول الله ﷺ من ربه؛ ولهذا كان التدليل منه تعالى بالآيات المادية لمعاصري الرسل ولمن يأتي بعدهم بفترة زمنية قصيرة تكون المعجزات المادية لاتزال أثناءها ثابتة في الأذهان غير منسية. وليس الشأن كذلك بالنسبة لدين الإسلام الذي بعث به رسول الله ﷺ للناس في كل زمان ومكان، فلا يكون للآية التي تظهر في مكة وفي زمان رسول الله ﷺ أثر لدى من يأتي بعده ﷺ بأكثر من ألف سنة ويكون في قارة أخرى، ولهذا جاءت رسالة الإسلام غير مصحوبة بالخوارق المادية: يؤكد هذا قوله تعالى لرسوله ﷺ - في الرد على من طلبوا منه آيات مادية - «قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا»، ثم إنه يثبت أنه تعالى لم يدعم دينه خاتم الأديان بأدلة من جنس هذه الأدلة المادية قوله تعالى «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون» .

ودون أن يعتبر القول منا تكذيبا لرواية انشقاق القمر زمن رسول الله ﷺ فإننا نرى - والله أعلم - أن قوله تعالى «اقتربت الساعة وانشق القمر» يفيد معنى أنه عندما تقترب الساعة في المستقبل ينشق القمر. وأن قوله تعالى «وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» هو في شأن المبصرين على الكفر لا يؤمنون بآيات الله في الخلق وآياته المنزل في كتابه الكريم يصفونها بما يصفون به القرآن العظيم وهو أنه سحر، فإن كان قد أخبر عن حدث مستقبل أو

آية تظهر في المستقبل ، فإن قولهم هو أنه ﷺ عرفها بطريق السحر وأخبر عنها. ولدى من قال بحدوث انشقاق القمر في زمن رسول الله ﷺ، فإن معنى القول أنه عندما شاهد الكافرون آية انشقاق القمر أعرضوا عنها دليلاً على صدقه ﷺ وقالوا إنه سحر أعينهم فهو استمرار منه ﷺ على سحرهم .

ونرى - دعماً لرأينا في تعلق القول بما يحدث من انشقاق القمر عند اقتراب الساعة - أنه تعالى بين أن الكافرين يرون آية من آياته فينكرون دلالتها ويعرضون عنها، والآية هي دوران الأرض حول نفسها في زمن يقدر بأربع وعشرين ساعة، وبالتحديد هو ثلاثة وعشرون ساعة وست وخمسون دقيقة وأربع ثوان. وأنه في كل مائة عام يطول اليوم بمقدار ٠,٠٠٢ ثانية (اثنين من ألف من الثانية) والمعجزة في هذا أو الآية تتمثل في دقة هذه الساعة الكونية الزمنية التي لا تماثلها أي ساعة ابتكرها البشر ومنها الساعة الكوارتز، وأن نسبة الخطأ ٠,٠٠٢ / ثانية مقصودة لتحقيق نتيجة معينة في وقت معين هي انشقاق القمر ووقوع الساعة. يعرض الكافرون عن هذه الآية العظيمة دليلاً على قدرة الله تعالى ووحدانيته، ويقولون عن رسول الله ﷺ إنه أراد أن يسحرهم عن الحق - وهو يرأيهم أن هذا هو فعل الطبيعة - بقوله لهم إنه عمل ربه الذي بعثه بالدين الحق .

وعلاقة هذا بوقوع انشقاق القمر في المستقبل عند اقتراب الساعة، أنه نتيجة إبطاء الأرض سرعة دورانها حول محورها أنه يطول اليوم على الأرض، ومن عجب أن القمر يتسبب بقدري أحداث هذا الإبطاء بفعل جاذبيته وتأثيرها في ظاهرتي المد والجزر. وأن إبطاء الأرض في سرعة دورانها حول محورها سيؤدي إلى زيادة القمر سرعة دورانه حول نفسه لكونه تابعاً لها لوجود التأثير المتبادل بينهما وفقاً للقانون الطينعي «إن مجموع كمية التحرك الزاوي - أي الدوراني - في أي نظام معزول مقدار ثابت» .

ثم إنه نتيجة لزيادة سرعة دوران القمر حول نفسه في المستقبل ستغلب القوة الطاردة المركزية على أجزاء القمر المتماسكة بما يؤدي إلى انشقاقه. ثم إن زيادة سرعة دوران القمر

تؤدي إلى ابتعاده عن الأرض ثم اقترابه منها تدريجياً فتجذب الأرض الجزء من القمر المواجه لها وهو ما يحدث بالضرورة والحتم انشقاق هذا الجزء عن الجزء الآخر الذي ليس لجاذبية الأرض ذات التأثير عليه .

وجاء قوله تعالى «وكذبوا واتبعوا أهواءهم، وكل أمر مستقر» لإثبات أن الكافرين في كل زمان يكذبون بالآيات، فإذا كان معاصرو رسول الله ﷺ قد كذبوا بالآية التي استظهروها من دقة طول اليوم وعدم اختلاف طول يوم عن طول يوم آخر دليلاً على قدرة الخالق ووحدانيته التي دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان بها، فإن كافرين اليوم الذين استظهروا منها دقة صنع الخالق ثم كذبوا بها يكونون مثل الأولين، كذبوا بالحق واتبعوا أهواءهم الضالة. ثم بين تعالى أن تكذيبهم هذا لا يضر الحق شيئاً، فكل أمر قدره تعالى لنصرة رسوله ﷺ، وإعلاء كلمة دينه الحق، هو المقدر له أن يكون وأن يستقر.

ثم بين تعالى أن الكافرين قد جاءهم في القرآن العظيم، كما جاءهم من الروايات المنقولة وما ذكر في الكتب والصحف المنزلة من قبل من أخبار المكذبين من قبلهم وما حاق بهم من عذاب جزاء على كفرهم، ما هو حقيق على أن يزرهم عن كفرهم وتكذيبهم بالقرآن. ثم وصف القرآن العظيم أو ما جاء بالكتب من أنباء تزجر عن الكفر بالحكمة البالغة التي بلغت حد الكمال، ولما كان الزاجر منذراً فإنه تعالى بين أن هذه النذر التي جاءت الكافرين لا تغني شيئاً مع من أصر على الكفر عناداً من نفسه، ولهذا فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يعرض عن مجادلة الذين أصرروا على الكفر، والأمر ينصرف إلى المؤمنين في كل زمان، يكون هذا الإعراض انتظاراً لما يكون معهم حين يدعوهم إسرافيل عليه السلام إلى ما تنكره نفوسهم وهو هول يوم القيامة، فيخرجون من قبورهم أذلة أبصارهم من شدة الهول يتجهون إلى المحشر كما يكون عليه حال الجراد حين يتجه وجهة معينة، مسرعين إلى تلبية دعوة الداعي وهو إسرافيل، أو هو الله تعالى الذي أمر إسرافيل أن يدعو، فيكون من الكافرين عند معاينة أهوال اليوم وترقبهم سوء مصيرهم فيه أنهم يقولون في وصف اليوم إنه يوم عسر، بمعنى أنه صعب شديد .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ
فَانصُرْ ١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا
فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْأَوَاجِ وَدُسِرَ ١٣
تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ
١٥ فَيَكْفِكَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ١٦

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه قد جاء الكافرين - في القرآن العظيم، وفي الكتب والصحف التي أنزل الله على رسله - ما فيه مزدجر، فإنه تعالى ذكر من هذه الأنبياء ما خصه بالذكر في الآيات وما بعدها. فقال إنه قبل قومه ﷺ، وقبل زمان كل الكافرين من بعد زمانه ﷺ كذبت قوم نوح برسالات الأنبياء، فكان منهم بسبب ذلك أو ترتيبا عليه أنهم كذبوا بنوح عليه السلام فأنكروا نبوته، ظلوا على تكذيبهم إياه جيلا بعد جيل، ولم يكتفوا بهذا بل زادوا عليه أن وصفوه بالجنون، وزجروه عن تبليغ رسالة ربه بإيذائه وتهديده، على ما يبين من قولهم له فيما روى عنهم رب العزة «لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين».

ثم ذكر تعالى أن نوحا عليه السلام بعد أن يشس من إيمانهم التجأ إلى ربه فصرح له أنه مغلوب على أمره من قومه، ليس به قدرة عليهم، ثم طلب منه أن يتصرلما دعاهم إليه من الدين، والمعنى هو أن ينتقم تعالى لدينه من مكذبيه. ويبين من قوله تعالى «ففتحن أبواب السماء بماء منهمر»، أنه تعالى استجاب إلى سؤال نوح أن يتصرلدينه، فكان منه تعالى أن

جعل السماء تمطر مطرا لا مثيل له، حتى لكنه كان مخزوننا دون أبواب السماء، ثم فتحت الأبواب فانصب فوق الأرض صبا؛ ولهذا وصفه تعالى بأنه ماء منهمر. ثم ذكر تعالى أنه فجر عيون الماء من الأرض، بلغت من الكثرة الحد الذي جعل الأمركما لو كانت الأرض جميعها عيوننا متفجرة بالماء، فكان التقاء الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض واختلاطهما على النحو الذي قدر الله أن يكون عليه هذا .

ثم بين تعالى أنه أنجى من الإهلاك بالغرق نوحا عليه السلام، يذكره أنه حملة على ذات الألواح الخشبية العريضة والمسامير - وهي السفينة - أخبر تعالى عن أنها كانت تجرى في الماء بعنايته تعالى وحفظه «تجرى بأعيننا»، وبين أن إنجاءه هذا كان جزاء له عليه السلام الذي كان نعمة من الله لقومه - شأن كل نبي - فكفروا بها .

ثم إنه - لبيان أن في الإنباء بقصة قوم نوح عليه السلام مزدجر - جاء قوله تعالى «ولقد تركناها آية فهل من مدكر» ويتصور أن يكون الضمير في «تركناها» عائدا إلى السفينة، فيكون المعنى هو بقاء بقايا السفينة في مكانها على الجودي يتبينه الناس فيعتبرون بقصة المهلكين والناجين، ويتصور أن يكون عائدا إلى القصة، تناقلتها الأجيال بالرواية والذكر ليعتبر بها أولوا النهى. فيكون الاستفهام في قوله تعالى «فهل من مدكر» لبيان أن في القصة ما يدعو إلى الاعتبار بها. ثم بين تعالى أن ما كان يجب الاعتبار به هو شدة عذابه تعالى المغرقين، عبرته الاستفهام في قوله تعالى «فكيف كان عذابي ونذر» فهو يفيد شدة العذاب الذي وقع بالمكذابين رسولهم كما يفيد كونه نذيرا لمن بعدهم من المكذابين .

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى قصة قوم نوح التي فيها مزدجر، جاء قوله تعالى «ولقد يسرنا القرآن للذكر» فيبين أن القرآن العظيم الذي ذكر القصة وأنبا بمصير القوم قد يسره تعالى للذكر، بمعنى

أنه تعالى يسره على القارئ الذى يتعبد بقراءته، وعلى الحافظ الذى يحفظه، وعلى المتدبر فيه أن يفهمه. ثم إنه تعالى حث الناس على قراءة القرآن وتدبره وحفظه والاعتاظ به بسؤاله عن يطلب هذا ليعينه عليه، وذلك بقوله تعالى «فهل من مذكر».

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۖ نَزَغَ النَّاسَ كَانَهُمْ
أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعِرٍ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ ۖ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ۖ

أولاً : الأسماء :

- ١ - الأعجاز : فى قوله تعالى «كانها أعجاز نخل» جمع، مفردة «العجز» وهو مؤخرة الشئ. والمراد بها - فى معنى الآية - أصول النخل .
- ٢ - المنقعر : هو المخلوع والمنتزع من مغارسه .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - فى ذكر قصة عاد قوم هود عليه السلام التى فيها - شأن غيرها من قصص المكذبين المهلكين - مزدجر. بين تعالى أنهم كذبوا نبيهم، ثم بين تعالى أنه عذبهم وأنذرهم، واستحث السامعين إلى الإصغاء إلى المروى بقوله «فكيف كان عذابى ونذرى» ثم فصل ذلك بذكره أنه تعالى أرسل عليهم ريحا شديدة البرودة أو شديدة الصوت فى يوم شؤم عليهم استمر إلى أن أهلكهم، وقيل إن وصفه بالاستمرار إنما كان لأن أرواحهم لاتزال معذبة فى البرزخ إلى أن يدخلوا جهنم يوم القيامة .

ثم أخبر تعالى عن فعل الريح التي أرسل على عاد بهم، فذكر أنها كانت تقتلعهم وتصرعهم كأنهم أصول نخل هلك وانتزع من مغارسه فبقيت مواضعه منقوعة. وأعقب تعالى ذلك ببيان شدة تعذيبه عاداً بتهويل أمره والتعجب منه ومن كونه إنذاراً لغيرهم بقوله «كيف كان عذابى ونذر» وقيل إن العذاب المقصود فى القول هو عذاب الآخرة .

وبعد هذا كرر تعالى قوله «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» تحضيضاً للناس وحثاً لهم على تلاوة القرآن وتدبره وحفظه والعمل به .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٢﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا
وَحِدًا نَّبِّعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَفِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٣﴾ أَلَأَن لِّى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا
بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ ﴿٢٤﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴿٢٥﴾

التفسير:

القول انتقال إلى ذكر قصة أخرى من قصص المكذبين المهلكين التى فيها مزدجروهم ثمود قوم صالح عليه السلام، ذكر تعالى أنهم كذبوا بالنذر رأى بالرسول لأنهم بتكذيبهم صالحاً كذبوا كل من سبقه بالدعوة إلى توحيد الله. ثم بين تعالى ما تعللوا به تبريراً لكفرهم به وتكذيبه وهو كونه بشراً وليس ملكاً، وأنه واحد منهم أو من عامتهم وليس من أشرافهم، وأنهم لهذا أنكروا أن يكون منهم اتباعه، وزادوا على هذا قولهم إنهم إن يتبعوه فإنهم يكونون فى ضلال من أمرهم يعذبون بسببه فى السعير.

كما يذكر تعالى أنهم صرحوا بإنكارهم أن يكون مختاراً من الله تعالى، اختصه من بينهم بأن أنزل عليه الوحى «ألقى عليه الذكر من بيننا» ثم زادوا على هذا وصفهم إياه بأنه كذاب أشرب معنى أنه متكبر بطر.

ثم إنه تعالى يخبر- فى القول - عما قاله لصالح وهو إنهم سيعلمون غدا من الكذاب الأشر، والمعنى أنه وعد صالحا وتوعدهم بأن يريهم من العذاب ما يتحققون به من أنهم هم الكذبة المتبطرون .

إِنَّا
مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَبَنَى لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۖ وَبَنَيْهِمْ أَنَّ الْمَاءَ
قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْضَرٌ ۖ فَنادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى
فَعَقَرَ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً
فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْمُحْضَرِ ۖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ۖ

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى تفصيل وعده تعالى صالحا ووعيده المكذبين به، وفى بيان «الغد» موعد عذاب المكذبين، وبيان ماهية العذاب. ذكر تعالى ما يفيد أنه أخبر صالحا عليه السلام أنه سيخرج لهم الناقة التى طلبوا أن تخرج لهم من حيث طلبوا لتكون امتحانا لهم، ثم أمر صالحا عليه السلام أن ينتظر فعلهم بها وأن يصبر على أذاهم إلى أن يأتى أمر الله فيهم. ثم أمره تعالى أن يخبرهم بأنه تعالى جعل ماء البئر التى لهم مقسومة بينهم وبين الناقة، يكون لهم نصيب منها يحضرونه، ويكون للناقة منه نصيب. والمراد بهذا هو أن يكون لهم شرب يوم، ويكون للناقة شرب آخر.

ثم يذكر تعالى أنهم نادوا صاحبهم فتعاطى فعقر، والمستفاد من القول أنهم - بعد أن ساروا لفترة زمنية على اتباع القسمة - رجعوا عن هذا وقرروا قتل الناقة، والذى يذكره النص هو

أنهم استدعوا أصحابا لهم لقتلها، قيل إنه قدار بن سالف، تعاطى السيف فقتل الناقة. فكان القتل منه بالفعل ومنهم بالتحريض؛ ولهذا جاء قوله تعالى «فكيف كان عذابي ونذر» لبيان هول العذاب الذى حل بهم جميعا فكان إنذارا لغيرهم من المكذبين .

ثم فصل تعالى وبين هذا العذاب فذكر أنه أرسل عليهم صيحة واحدة هى - على المعروف - صيحة جبريل عليه السلام جعلتهم مثل ما تهشم من النبات اليابس الذى يحضره صاحب الماشية إلى حظيرة ماشيته غداء لها .

وأتبع تعالى هذا بقوله «ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدكر» تنبيها للناس وقد يسر لهم تعالى فهم القرآن بوجوب الاعتبار بما ورد فيه من قصص المكذبين .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ۖ إِلَّا آلَ لُوطٍ
 نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَابٍ ۖ نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ۖ وَلَقَدْ
 أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ۖ
 فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۖ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ
 مُّسْتَقَرٌّ ۖ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
 فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ۖ

أولاً : الأسماء :

الحاصب: فى قوله تعالى «إنا أرسلنا عليهم حاصباً» هو الرامى بالحصىء، قيل إنه كان ملكاً من الملائكة، وقيل إن المراد به - فى معنى القول - هو الريح .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيات - انتقال إلى ذكر قصة أخرى من قصص المكذبين رسلهم المعذبين ، هم قوم لوط عليه السلام، ذكر تعالى أنهم كذبوا بالنذر، بمعنى أنهم بتكذيبهم لوطا عليه السلام كذبوا جميع الرسل الذين دعا عليه السلام بدعوتهم .

ثم ذكر تعالى نهاية فعله بهم وهو أنه تعالى أرسل عليهم ملكا يرميهم بالحصباء أو الرياح ففعلت هذا بأمره، ثم بين تعالى أن الحاصب استثنى من الرمي آل لوط - والمراد بهم المؤمنون له - وأنه أنجاهم في آخر الليل، كما صرح بأن إنجاءهم هذا كان إنعاما منه تعالى عليهم، وأتبع هذا بأن بين أنه على هذا النحر من الإنعام يجازى من شكر الله على نعمة الإيمان بالطاعة .

ثم فصل تعالى الأحداث السابقة على إهلاك الكافرين، فذكر أن لوطا عليه السلام خوفهم أن يبطش الله بهم فيعذبهم بأفعالهم الشائنة، فكذبوه فيما خوفهم به وأنذر. ثم ذكر تعالى ما حدث منهم حين استضاف الملائكة الذين جاءوه في صورة البشر، وهم أنهم حاولوا صرفه عن حمايتهم من أذاهم وطلبوا منه أن يخلى بينهم وبينهم ليفجروا بهم، وأنه كان منه تعالى أن طمس أعينهم، بأن سواها بوجوههم أو بطمس نورها حين صفقهم جبريل عليه السلام بجناحه أو حين أغلق لوط الباب دونهم .

وبين تعالى أن طمس عيونهم هذا كان عذابا منه تعالى ذاقوه وإنذارا لهم بالعذاب الأشد، أخبر عنه أنه كان لهم بكرة، أى فى أول النهار، وهو رجمهم بالحصباء، وصفه تعالى بأنه «عذاب مستقر» لأنه يستقر بهم ويدوم أثره إلى أن يلقوا فى نار جهنم. وبين أن حلول العذاب بهم كان تمثيلا عمليا لقول يقال لهم أن يذوقوا عذابه تعالى الذى أنذروا به، والذى ينذر به من يأتى بعدهم .

ثم جاء قوله تعالى «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» حثا على الاعتبار بقصتهم المروية فى القرآن العظيم الذى يسر تعالى على الناس تلاوته وفهمه والاعتبار به .

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا
فَأَخَذْنَا هُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

التفسير:

القول - فى الآيتين - انتقال إلى ذكر قصة قوم آخرين من المكذبين المهلكين هم آل فرعون، جاء تصدير القصة بالتوكيد «لقد» لبيان أهميتها فيما يعتبره، أخبر تعالى عن أنه جاء آل فرعون النذر، قد يكون المراد بهم موسى وهارون، وقد يكون المراد بهم موسى وهارون ومن سبقهم من الرسل، يدخل فيهم إدريس عليه السلام الذى كان فى صعيد مصر، ويدخل فيهم يوسف عليه السلام الذى عاش فى مصر فترة طويلة .

ثم ذكر تعالى أن آل فرعون كذبوا بآياته تعالى كلها، فدخل فيها الآيات التسع التى أيد بها تعالى موسى وهارون، كما يدخل فيها الآيات التى أيد بها تعالى الرسل الذين سبقوهم . ثم صرح تعالى بأنه ترتيباً على تكذيب آل فرعون كان منه تعالى أن أخذهم بعذابه أخذ العزيز الذى لا يغالب، والذى يقدر على كل شيء . والمراد هو عذاب إغراقهم فى اليم .

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ أَنْتُمْ
بِرَأْيِكُمْ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سَيَهِنُوا جَمْعٌ وَيَوَلُونَ
الْدُّبُرُ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾

التفسير:

قيل إنه تعالى خاطب - فى مبتدأ القول - العرب قوم رسول الله ﷺ بقوله «أكفاركم خير من أولئك أم أنتم

أولئك أم لكم براءة في الزبر» وأن الاستفهام في القول يفيد إنكار أن الكفار منهم أشد قوة من الكفار المذكورين من المهلكين وهم أقوام: نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام، وآل فرعون، كما يفيد إنكار أنهم يجدون في كتب الله المنزلة ما يفيد براءتهم من المعاقبة بذنوبهم. مما مفاده أنهم معذبون بكفرهم، لا يمنع عنهم العذاب قوة هي لهم ولا وعد بإعفائهم من العقاب نزل به نص في كتاب من الله تعالى.

والذي نراه - والله أعلم - أنه تعالى خاطب الناس جميعا بالقول في كل زمان ومكان فبين أن الكافرين منهم ليسوا بأفضل عنده من المهلكين السابق ذكرهم، وأنه ليس من نص في كتاب من كتبه تعالى يبرئهم من ذنوب أفعالهم، فيكون القول توعدا للكافرين في كل زمان ومكان بالعذاب. وقد يكون من هذا ما نراه اليوم من زعم الصهاينة من اليهود أنهم شعب الله المختار، وما سطره في تلمودهم وتعاليم حكماء صهيون من أنهم لا يؤاخذون باعتداءاتهم على غير اليهود.

ويجىء قوله تعالى «أم يقولون نحن جميع منتصر» تبكيًا للكافرين على اعتقادهم وقولهم إنهم ائتلفوا فأصبحوا جماعة ذات قوة لا بد لها من أن تنتصر على من تعاديه فلا تغلب. وفيه قيل إنه متعلق بكفار مكة. ونرى - والله أعلم - أنه يتعلق بالكافرين في كل زمان ومكان، وقد يكون منه اعتقاد دولة إسرائيل أنها والولايات المتحدة الأمريكية - القوة العظمى - في حكم الجماعة الواحدة التي لا بد لها من أن تنتصر على عدوها.

ثم إنه تعالى يقطع بالقول أن جمع الكافرين سيهزم من المؤمنين ويوليهم أدبارهم وفيه قيل إن الوعد بانتصار المؤمنين عليهم، أو إن توعدهم بالهزيمة تحقق في يوم بدر. ونرى - والله أعلم - أن ذلك يكون في كل صراع بين المؤمنين والكافرين، وقد يكون منه ما تنبأ به إشعياء في سفره بالعهد القديم الذي بين أيدينا اليوم من انتصار العرب على بنى إسرائيل في نهاية الصراع «فتكون سكة من مصر إلى آشور..... في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثا لمصر» وما جاء في سورة الإسراء من قوله تعالى «فلذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا».

وبعد هذا فإنه تعالى بين أن موعد عذاب الكافرين العذاب الأوفى هي يوم تقوم الساعة، ووصف الساعة بالنسبة لهم بأنها أدهى وأمر بمعنى أنها تكون أشد هولاً وأقسى مرارة من عذاب الدنيا الذي نالهم .

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ
فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٤٧ يَوْمَ يُنْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا
مَسَّ سَقَرٍ ٤٨ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ
بِالْبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ
فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ٥٣

أولاً : الأسماء والأعلام :

١- الضلال : في قوله تعالى «في ضلال وسعر» قيل إن المراد به - في معنى الآية - هو الهلاك .

٢- سقر : اسم علم لجهنم .

ثانياً : التفسير :

بعد أن بين تعالى أن عذاب الكافرين يوم تقوم الساعة يكون أدهى وأمر من عذاب الدنيا الذي نالهم، فإنه تعالى وصفهم بالمجرمين ثم أثبت أنهم يكونون عند قيام الساعة أوفى الآخرة في هلاك وفي نار مسعرة. ثم بين معنى الساعة فذكر أنها يوم يسحب المجرمون في النار ملقون على وجوههم يقال لهم أن يذوقوا عذاب سقر، فيكون القول متضمناً الإشارة إلى عذاب يزيد على مجرد الألم من النار يأتي من بعده. كما يقال لهم إنه تعالى قد خلق كل

شئ بقدره الذى قدر قبل وقوع الخلق، فيكون القول مشيراً إلى تقديره تعالى عليهم الكفر والعذاب. ويبين لهم أنه تعالى إذا أمر بشئ أن يكون فلا يكون منه تعالى غير كلمة واحدة هي «كن» فيكون ما أمره به محققاً فى أقصر زمن يتصور وهو ما يستغرقه لمح البصر، ويقال لهم أيضاً على سبيل التبكيت وإظهاراً لتسبيهم فيما حاق بهم من العذاب «ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مذكر» بمعنى أنه تعالى أهلك الذين مثلوهم فى الكفر من الأمم السابقة وأعلمهم هذا، فلم يتعظوا بما علموا ولم يعتبروا وبقوا على كفرهم.

ثم يبين تعالى أنه محاسب الكافرين بكفرهم وبأفعالهم بذكره أن كل فعل فعلوه فى الدنيا قد كتب فى صحفهم التى دونها الحفظة، فكان كل عمل عملوه - صغيراً كان أم كبيراً - مكتوباً فى هذه الصحف ليحاسبوا به وليجازوا .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى عن عذاب الكافرين فى الآخرة، فإنه تعالى أخبر - فى المقابل - عن مصير الذين اتقوا غضبه تعالى باتقائهم الكفر والمعاصى، فأثبت أنهم يكونون فى جنات واسعة أو جنات ذات أنهار، يكونون فى أماكن مرضية صدق قوله تعالى إذ بشرهم أنها تكون لهم، أو بشرهم أنهم فيها يباح لهم النظر إلى وجهه الكريم. ثم بين قريهم منه تعالى بذكره أنهم يكونون عنده تعالى الملك العظيم الملك، العظيم القدرة .



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَيْهِ الْبَيَانُ ④
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسِبَانِ ⑤ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءُ
رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨

أولاً: الأسماء :

١ - البَيَان : قيل إن المراد به - في معنى القول - هو المنطق الفصيح المعرب عما في النفس، الذي به يكون التمكن من العلم بالقرآن العظيم. وقيل هو اللغات، وقيل هو بيان الحلال من الحرام، والهدى من الضلال .

٢ - النجم : هو النبات الذي لاساق له ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾

٣ - المِيزان : في قوله تعالى «ووضع الميزان» المراد به - في معنى القول - هو العدل.

ثانياً : التفسير :

افتتحت السورة باسم من أسمائه الحسنی تعالى شأنه هو «الرحمن»، وقد يكون هذا لقول كفار مكة «وما الرحمن»، ثم أخبر تعالى عن ذاته بأنه الذي علم القرآن، علمه رسوله ﷺ وعلمه المؤمنين وهذا هو أعظم النعم وأرفعها شأنًا، ولهذا ذكر قبل غيره من نعمه تعالى وفعاله. وقد يكون في تعليم القرآن إشارة إلى تعليم العلم في جميع فروعه، لأنه ما من فرع من العلوم والمعارف إلا وفي القرآن العظيم ذكر له أو إشارة، ثم ذكر تعالى من فعاله أنه خلق الإنسان، فكانه ألمح إلى وجوب اتصاف الإنسان بالعلم وسعيه إلى تحصيله، ولهذا جاء قوله تعالى «علمه البيان» فأعلم أنه من أجل أن يتصف الإنسان بالعلم فإنه تعالى مكنه من تحصيله بأن علمه البيان، يدخل في هذا التعبير عما في النفس بالعبرة، ويدخل فيه تعلم اللغات .

ثم بين تعالى من العلم الذي يعلمه الناس أن الشمس والقمر يحسبان - وقد سبق تفصيل معنى هذا - ومنه أن المسافة بين كل منهما وبين الأرض هي بحساب، وأن جريان كل منهما في بروج ومنازله هي بحساب ، وأنه بواسطتهما يجري حساب الزمان، وأنه لولا دقة هذا الحساب لما كان منهما النفع الذي يتنفع به الذي جرى به تسخيرهما .

كما ذكر تعالى أن النجم - وهو النبات الذي لا ساق له - يسجد لله ومثله الشجر، وقيل إن المراد بالنجم هو جنس نجوم السماء: وقيل في سجود النجم والشجر أنه دوران الظل معها وقيل إن سجود النجم هو أقوله وإن سجود الشجر هو خضوعه لاجتناء ثمره. وقد يكون المراد هو أن كلا منهما يخشع لله، أو أنه يسجد له على نحو لا نعرفه ونؤمن به .

ثم أثبت تعالى أنه خلق السماء مرفوعة وأنه شرع للناس العدل وفرضه عليهم وقد يكون في قرن ذكر خلق السماء بتشريع العدل بيان للعللة المشتركة بين خلق السماء وخلق الأرض وهي خلقهما بالحق، وأن العدل حق. ثم كان منه تعالى أن أمر الناس بالتزام العدل في الحكم، والقضاء، وفي المعاملات بالتهلي عن تجاوز حدوده «ألا تظفروا في الميزان»، ثم خص المعاملات المالية والتجارية بالذكر لأنه أكثر ما يكون فيها الابتعاد عن العدل قصد

تحقيق المزيد من الربح فأمر الناس أن يقوموا أوزانهم بالعدل المستقر في القلوب، فلا يكون ظاهر الميزان أنه عدل ويكون الميزان معيبا يظهر خلاف الحق؛ وبين ذلك نهيه تعالى عن خسران الميزان بمعنى أن يكون من شأنه ترتيب الخسارة للغير المتعامل مع الوازن .

وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ۚ فِيهَا
فَكَهْهُ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۚ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ۚ وَالرَّيْحَانُ ۚ
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝

أولا : الأسماء :

١ - الأنعام : قيل إن المراد بهم - في معنى القول - هو الإنس والجن . وقيل جميع أنواع الحيوان، وقيل جميع ما على الأرض .

٢ - الريحان : هو كل نبات طيب الريح .

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى أنه خلق السماء مرفوعة فوق الأرض على الظاهر، فإنه تعالى ذكر أنه خلق الأرض موضوعة عن السماء - على الظاهر - وأنه خلقها لصالح الأنعام والراجع أن المراد بهم الجن والإنس، وقد يكون المراد بهم جميع المخلوقات التي تحيا على الأرض وفيها . ثم ذكر تعالى أن الأرض فيها مما خلق أشجار الفواكه وفيها النخل المزود بالطلع وهو أوعية التمر، كما ذكر أن فيها الحبوب التي يتغذى بها مما له أوراق تيس فتعصف بها الرياح، أوله قشر تيس فتعصف به الرياح، كما أن فيها من النبات ما زكت رائحته وطابت .

ثم إنه لما كان خلقه تعالى الأرض على هذا النحو، وكان إثباته فيها وخلق ما ذكر من النبات هو من قبيل النعم التي أنعم بها على الأنعام فإنه تعالى خاطب الثقلين الجن والإنسان

بقوله «فبأى آلاء ربكما تكذبان» بمعنى بأى واحدة من جنس النعم التى أنعم بها عليكما ربكما تجحدان، فيكون القول إظهارا لوجوب شكره تعالى وحمده على الجن والإنس .

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ١٤
وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ١٥ فَبِأَىٰ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦

أولا : الأسماء :

١ - الفخار : هو ما أحرق من الطين فتماسكت أجزأؤه فشابه الحجر .

٢ - المارج : فى قوله تعالى «من مارج من نار» هو اللهب الخالص من الدخان، وقيل هو اللهب المختلط بخضرة وصفرة وحمرة .

ثانيا : التفسير :

بين تعالى - فى الآيات - أنه الذى خلق الثقلين والأعراف بطبيعة كل منهما، مما مفاده أنه أظهر لهما من الآيات ما يفترض معه منهما أن يؤمنا به . فذكر تعالى أنه خلق الإنسان من صلصال - وهو الطين اليابس أو المتخمر - يشبه الطن الذى تحجر بفعل الحرارة، والمراد بهذا هو خلق آدم عليه السلام أبى البشر . كما ذكر أنه خلق الجان من لهب النار الخالص من الشوائب مثل الدخان . وقيل إن المراد بهذا هو إبليس وقيل هو أبى الجن وليس إبليس .

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» خطابا للإنس والجن يبين أنه ليس لهما بحكم طبيعتهما التكذيب بأى نعمة من نعمه أو مظهر من مظاهر وحدته وقدرته .

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧ فَبِأَىٰ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨

التفسير:

ذكر تعالى أنه رب المشرقين ورب المغربين، بمعنى أنه الذي فعل وأوجد وحفظ مشرقى الشمس صيفا وشتاء، ومغربيها، أو مشرق الفجر ومشرق الشفق، ومغرب الشمس ومغرب الشفق. ثم إنه لما كان من أثر إيجاده المشرقين والمغربين فوائد لا تحصى يفيد منها الثقلان مثل اختلاف فصول السنة وما يترتب عليه من آثار منها تنوع المحاصيل والثمار والفواكه، فإنه بين أنه ليس للإنس والجن ألا يحمداه على هذا ويشكراه.

مَرْج
الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكْذِبَانِ ﴿٢١﴾

التفسير:

ذكر تعالى أنه الذي أرسل البحار العذبة - وهى الأنهار - والبحار المالحة والذي أجزاها لتصب الأنهار فى البحار فتكون لهما بقعة يلتقيان فيها، وأنه بقدرته تعالى جعل بينهما حاجزا يمنع أحدهما من أن يؤثر فى الآخر بإذهاب خواصه - وقد سبق بيان ذلك علميا -.

ثم إنه لما كان لكل من الماء العذب الجارى فى الأنهار والماء المالح فى البحار والمحيطات أوجه انتفاع تختلف من أحدهما عن الآخر.

فإن خلقهما ومنع أحدهما من أن يطغى على الآخر فيذهب بصفاته وخصائصه، يكون من نعمه تعالى التى توجب على الإنس والجن حمده وشكره وتلزمهما عدم التكذيب بهذه النعم بعدم أداء حق الشكر عليها؛ ولهذا جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان»

يَخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

التفسير:

ذكر تعالى - في الآيات - أنه يخرج من البحرين اللؤلؤ والمرجان، باعتبار أن مفاد جمعهما في القول أن ما يخرج من أحدهما يعتبر كأنه قد خرج من الآخر. ونرى - والله أعلم - أن القول يفيد تغذى الحيوان الذى يعيش فى الأصدف على ما تزخر به الأنهار من حيوانات دقيقة تلقى بها فى الأنهار، فيكون خروج اللؤلؤ بفعل غذاء النهر وبيئة البحر.

ثم بين تعالى وجوب شكره على هذا من جانب الثقلين. وإذا كنا نعلم مظاهر استفادة الإنسان من اللؤلؤ والمرجان ولانعلم مظاهر استفادة الجن منها فإننا نصدق بهذا.

ثم أثبت تعالى أنه مالك أمر السفن المرفوعات فوق سطح الماء فى البحرين العذب والمالح وإن كان الناس هم الذين أنشئوها على الظاهر.

ونرى - والله أعلم - أن القول يشير إلى السفن العملاقة التى يتم صنعها فى البحار وليس فى أماكن بعيدة عنها ثم تنقل إليها، وقد يؤيد هذا وصفها بأنها كالأعلام بمعنى أنها تشبه الجبال الشاهقة الارتفاع.

ثم إنه لما كان خلق مواد صناعة السفن هو فعله تعالى، وتعليم الناس كيفية صنعها هو منه تعالى، وكان طفوها على الماء هو بقدرته تعالى بما يوجب على الخلق شكره وحمده، فقد جاء قوله تعالى «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝

التفسير:

أثبت تعالى أن كل ما على الأرض التي وضعها للأنام هو إلى فناء وهلاك، وأن الذي يبقى بعد فناء جميع الخلق هو الله، جاء التعبير عن ذاته العليا بالوجه من قبيل المجاز المرسل، واستعماله في «الذات» من باب الكناية. وجاء التعبير عنه بوصفه رب رسول الله ﷺ تشريفاً له ﷺ وتعظيماً، وبأنه ذو الجلال والإكرام لبيان أنه - وهو الدائم الذي لا يفنى - يستحق الإجلال والتعظيم من جميع خلقه، كما يستحق الإكرام بالاعتراف له بالفضل.

ثم جاء قوله تعالى «فبأي آلاء ربكما تكذبان» لإثبات وجوب حمده وشكره على الإنس والجن، لأن الاستفادة من فائدهما هو يعنيهما للحساب والجزاء بالثواب والعقاب، وهذه نعمة منه تعالى إذ يخشى الناس والجن عقابه فلا يكون منهم العدوان في الدنيا وهذه نعمة لهم ولغيرهم، كما أن المؤمنين العاملين بالصالحات يثابون يوم القيامة فيكون لهم هذا نعمة كبرى.

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝

التفسير:

يبين تعالى أنه ما من مخلوق في السموات ولا في الأرض إلا وهو محتاج إليه تعالى، يسأله بلسان الحال أو المقال طلبته وسؤله. قيل إن الملائكة تسأله تعالى الرحمة، وإن أهل

الأرض يسألونه المغفرة والرزق. ثم بين تعالى أنه القائم على شئون خلقه جميعا فى كل وقت من الأوقات ومنها إيجاد الأحداث وإعطاء ما سئل، إلى أن يكون الحساب فيكون منه الحساب والجزاء .

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان وجوب حمده وشكره على ما يكون منه من المنح أو المنع، وفى كل خير وإن كان الخلق لا يعلنون.

سَفَرُكُمْ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَانِ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾

أولا : الأسماء :

الثقلان : المراد بهما — فى معنى القول — هو الإنسان والجن، سميا بهذا لأنهما مثل ثقلين تحملهما الأرض، أو إنهما تثقلهما الذنوب .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى — فى مبتدئه — هو تهديد للإنس والجن بالعذاب جزاء على الكفر والعصيان. والمراد من استعمال لفظ «سفر» هو استثارة الخوف على نحو خطير. ذلك أن الفراغ من شيء أو الفراغ لعمل شيء يفيد أمرين :
أولهما : سابقة الانشغال .

وثانيهما هو إعطاء العناية التامة للعمل المتفرغ له. ومعلوم أنه تعالى لا يشغله شيء عن شيء، فبقى أن يكون المراد هو إظهار اهتمامه بأمر محاسبة الإنس والجن ومجازاتهم بأفعالهم.

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان وجوب حمده تعالى وشكره على أن أظهر لهم اهتمامه بحسابهم ومجازاتهم بأعمالهم يوم القيامة، ليكون منهم التحرز من مفارقة ما يغضبه ويكون سببا لعذابهم .

يَمَعَّشَرُ
 الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

أولاً: الأسماء:

النحاس: في قوله تعالى «يرسل عليكم شواطئ من نار ونحاس» قيل هو الدخان الذي لا
 لهب فيه.

ثانياً: التفسير:

خاطب تعالى الجن والإنس، وقال لهم «إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات
 والأرض فانفذوا» والقول - على ما قيل - هو للتعجيز. وقيل في معناه إنه إذا كان في مقدوركم
 أن تخرجوا من جوانب السماوات والأرض هاربين من الله، فارين من قضائه فافعلوا ذلك
 وخلصوا أنفسكم من عذابه. ثم قال تعالى «لا تنفذون إلا بسلطان»، وفي معناه قيل إنه لا يكون
 لكم هذا الإبقوة عظيمة لا تكون لكم. وقيل أيضاً إن هذا يكون يوم القيامة إذ تنزل الملائكة
 فتحيط بجميع الخلائق، فإذا رآهم الجن والإنس هربوا، فكلما اتجهوا وجهة وجدوا
 الملائكة عندها فلا يستطيعون فراراً ولا هروباً.

والذي نراه - والله أعلم - أن قوله تعالى يتعلق بمحاولات النفاذ إلى السماء بعد الخروج
 من الأرض وغلافها الجوي؛ ولهذا خاطب تعالى الجن قبل الإنس لأنهم كانوا الأسبق في

محاولات النفاذ إلى السماء. وفى القول بين تعالى أن نفاذهم إلى حد معلوم لا يكون إلا بسلطان هو بالنسبة للجن ما أودع الله فيهم من قدرات، وهو بالنسبة للإنس سلطان العلم ومصادر الطاقة المختلفة .

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان وجوب شكره تعالى على تحذيره من محاولات النفاذ إلى السماوات العلا.

وجاء تفصيل التحذير فى قوله تعالى «يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران» وفيه قيل إنه يصيبهم عند محاولتهم الفرار إلى السماء لهب خالص ودخان لالهب فيه، أو نوع من النحاس يصب فوق رؤوسهم فلا يتمكنان من الهرب ولا يمتنعان عليه تعالى.

والذى نراه - والله أعلم - أن القول يتضمن التحذير من اختراق أعماق السماوات، بالإشارة إلى النيازك الكبيرة ومنها ما يكثر فى المنطقة الواقعة بين المريخ والمشتري حيث تنتشر الكويكبات بالآلاف، فكيون متوقعا اصطدام سفينة الفضاء بنيزك أو كويكب يفنيها ومن فيها. وكذا إلى الجسيمات الصغيرة المنتشرة فى مدار المذنبات، التى تكون عالية السرعة فيكون من شأن اصطدامها بالسفينة الفضائية أن تحدث بجدارها ثقباً يؤدي إلى تدميرها بمن فيها. وإلى الأشعة الكونية المحتوية على حسيمات ذرية مشحونة عالية الطاقة، يكون من شأنها إذا اصطدمت بسفينة فضائية أن تصهرها وتبخرها، ثم إن ذكر النحاس قد يكون مشيراً إلى ما هو معروف علمياً من أن قذف النحاس ببروتونات سريعة ينتج ما يسمى بالمادة المضادة أو البروتون المضاد - وهو قائم فى الفضاء الكونى - ومن شأنه أن يحول السفينة الفضائية بمن فيها إلى الزوال والاختفاء بالتحول إلى أشعة جاما نتيجة التقاء المادة مع المادة المضادة. فيكون قوله تعالى «شواظ من نار ونحاس» مشيراً إلى تولد المادة المضادة فى الفضاء التى تفتى أى مركبة فضائية بمن فيها .

ولهذا يكون قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» بما تضمنته من تهديد أو تحذير هو مما يستوجب الشكر.



فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
كَأَلِّهِ هَآئِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ
وَلَا جَانٌّ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾

أولاً : الأسماء :

١ - الوردة : فى قوله تعالى «فكانت وردة كالدهنان» المراد بها - فى معنى الآية - هو الوردة الحمراء . وقيل هو الفرس الورد الذى يتغير لونه يتغير الفصول ، يميل فى الربيع إلى الصفرة، وفى الشتاء إلى الحمرة، ولدى اشتداد البرد إلى الغبرة، فيكون المعنى هو تغير لون السماء على نحو تغير لون الفرس الورد .

٢ - الدهان : هو الدهن، وقيل هو الجلد الأحمر .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى فى أحداث يوم القيامة وبيان ارتباط بعضها ببعض . فيقول تعالى إنه حين تتصدع السماء يوم القيامة ويصبح لونها مثل لون الوردة الحمراء من شدة حر النار وتصير ذائبة مثل الدهن أو متموجة اللون مثل الزيت العكر الذى تتبين فيه إذا نظرت إليه ألوانا مختلفة، فإنه يكون الشأن فى هذا اليوم أنه لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان . والمعنى أنه لا يسأل لكى تؤخذ منه الإجابة، إذ هى مكتوبة مسطورة فى صحيفة أعماله، ولكن يسأل عن سبب ارتكابه الذنب من ذنوبه . وقيل إنه فى بعض مواقف اليوم لا يكون سؤال، ويكون فى موقف آخر .

وجاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» معترضا بين فعل الشرط وجوابه ثم تكرر بعد جواب الشرط، لبيان وجوب شكره تعالى وحمده على ما أخبر به عن أهوال يوم القيامة، لما فى ذلك من زجر عن الكفر والعصيان، فهو من قبيل النعم المستحقة أداء واجب الشكر عليها .

يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ
 فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأُقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ
 جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٣﴾ يُطَوَّفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ؕ إِنَّ
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٤﴾

أولاً: الأسماء :

الآن : فى قوله تعالى «يطوفون بينها وبين حميم آن» هو ما تناهى إناه وطبخه فأصبح بالغ الحرارة، قيل إنه طبخ منذ خلق الله السماوات والأرض .

ثانياً : التفسير :

جاء قوله تعالى «يعرف المجرمون بسيماهم» بمثابة ذكر غلة عدم سؤال المجرمين عن ذنوبهم وهى معرفتهم بسيماهم، يدخل فيهم مجرمو الجن ومجرمو الإنس . قيل إنهم يكونون سود الوجوه زرق العيون، وقيل تملو وجوههم الكآبة . فيكون من الملائكة أنهم يأخذون الواحد منهم فيجمع بين ناصيته أو مقدم رأسه وبين قدميه فيلقى فى نار جهنم . وجاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان أن فى إظهار مصير الكاذبين وما يفعل بهم ليكون العمل على تجنبه ، نعمة تستحق الشكر والحمد .

ثم يشير تعالى إلى جهنم ويخبر عنها أنها التى كان المجرمون مستميرين على التكذيب بها منكرين أنه يكون بعث وحساب وجزاء . ثم يذكر تعالى أن المجرمين يطوفون مرة بين الجحيم - وهى النار - ومرة بين الحميم - وهو الشراب الحار - ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان وجوب شكره تعالى وحمده على ما أخبر به ليكون العمل على تجنب الخلق أن يكونوا من المجرمين المعذبين، وهو ما يعد نعمة من نعمه تعالى .

وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فَبِأَيِّ
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١
 ٤٧٢
 ٤٧٣
 ٤٧٤
 ٤٧٥
 ٤٧٦
 ٤٧٧
 ٤٧٨
 ٤٧٩
 ٤٨٠
 ٤٨١
 ٤٨٢
 ٤٨٣
 ٤٨٤
 ٤٨٥
 ٤٨٦
 ٤٨٧
 ٤٨٨
 ٤٨٩
 ٤٩٠
 ٤٩١
 ٤٩٢
 ٤٩٣
 ٤٩٤
 ٤٩٥
 ٤٩٦
 ٤٩٧
 ٤٩٨
 ٤٩٩
 ٥٠٠
 ٥٠١
 ٥٠٢
 ٥٠٣
 ٥٠٤
 ٥٠٥
 ٥٠٦
 ٥٠٧
 ٥٠٨
 ٥٠٩
 ٥١٠
 ٥١١
 ٥١٢
 ٥١٣
 ٥١٤
 ٥١٥
 ٥١٦
 ٥١٧
 ٥١٨
 ٥١٩
 ٥٢٠
 ٥٢١
 ٥٢٢
 ٥٢٣
 ٥٢٤
 ٥٢٥
 ٥٢٦
 ٥٢٧
 ٥٢٨
 ٥٢٩
 ٥٣٠
 ٥٣١
 ٥٣٢
 ٥٣٣
 ٥٣٤
 ٥٣٥
 ٥٣٦
 ٥٣٧
 ٥٣٨
 ٥٣٩
 ٥٤٠
 ٥٤١
 ٥٤٢
 ٥٤٣
 ٥٤٤
 ٥٤٥
 ٥٤٦
 ٥٤٧
 ٥٤٨
 ٥٤٩
 ٥٥٠
 ٥٥١
 ٥٥٢
 ٥٥٣
 ٥٥٤
 ٥٥٥
 ٥٥٦
 ٥٥٧
 ٥٥٨
 ٥٥٩
 ٥٦٠
 ٥٦١
 ٥٦٢
 ٥٦٣
 ٥٦٤
 ٥٦٥
 ٥٦٦
 ٥٦٧
 ٥٦٨
 ٥٦٩
 ٥٧٠
 ٥٧١
 ٥٧٢
 ٥٧٣
 ٥٧٤
 ٥٧٥
 ٥٧٦
 ٥٧٧
 ٥٧٨
 ٥٧٩
 ٥٨٠
 ٥٨١
 ٥٨٢
 ٥٨٣
 ٥٨٤
 ٥٨٥
 ٥٨٦
 ٥٨٧
 ٥٨٨
 ٥٨٩
 ٥٩٠
 ٥٩١
 ٥٩٢
 ٥٩٣
 ٥٩٤
 ٥٩٥
 ٥٩٦
 ٥٩٧
 ٥٩٨
 ٥٩٩
 ٦٠٠
 ٦٠١
 ٦٠٢
 ٦٠٣
 ٦٠٤
 ٦٠٥
 ٦٠٦
 ٦٠٧
 ٦٠٨
 ٦٠٩
 ٦١٠
 ٦١١
 ٦١٢
 ٦١٣
 ٦١٤
 ٦١٥
 ٦١٦
 ٦١٧
 ٦١٨
 ٦١٩
 ٦٢٠
 ٦٢١
 ٦٢٢
 ٦٢٣
 ٦٢٤
 ٦٢٥
 ٦٢٦
 ٦٢٧
 ٦٢٨
 ٦٢٩
 ٦٣٠
 ٦٣١
 ٦٣٢
 ٦٣٣
 ٦٣٤
 ٦٣٥
 ٦٣٦
 ٦٣٧
 ٦٣٨
 ٦٣٩
 ٦٤٠
 ٦٤١
 ٦٤٢
 ٦٤٣
 ٦٤٤
 ٦٤٥
 ٦٤٦
 ٦٤٧
 ٦٤٨
 ٦٤٩
 ٦٥٠
 ٦٥١
 ٦٥٢
 ٦٥٣
 ٦٥٤
 ٦٥٥
 ٦٥٦
 ٦٥٧
 ٦٥٨
 ٦٥٩
 ٦٦٠
 ٦٦١
 ٦٦٢
 ٦٦٣
 ٦٦٤
 ٦٦٥
 ٦٦٦
 ٦٦٧
 ٦٦٨
 ٦٦٩
 ٦٧٠
 ٦٧١
 ٦٧٢
 ٦٧٣
 ٦٧٤
 ٦٧٥
 ٦٧٦
 ٦٧٧
 ٦٧٨
 ٦٧٩
 ٦٨٠
 ٦٨١
 ٦٨٢
 ٦٨٣
 ٦٨٤
 ٦٨٥
 ٦٨٦
 ٦٨٧
 ٦٨٨
 ٦٨٩
 ٦٩٠
 ٦٩١
 ٦٩٢
 ٦٩٣
 ٦٩٤
 ٦٩٥
 ٦٩٦
 ٦٩٧
 ٦٩٨
 ٦٩٩
 ٧٠٠
 ٧٠١
 ٧٠٢
 ٧٠٣
 ٧٠٤
 ٧٠٥
 ٧٠٦
 ٧٠٧
 ٧٠٨
 ٧٠٩
 ٧١٠
 ٧١١
 ٧١٢
 ٧١٣
 ٧١٤
 ٧١٥
 ٧١٦
 ٧١٧
 ٧١٨
 ٧١٩
 ٧٢٠
 ٧٢١
 ٧٢٢
 ٧٢٣
 ٧٢٤
 ٧٢٥
 ٧٢٦
 ٧٢٧
 ٧٢٨
 ٧٢٩
 ٧٣٠
 ٧٣١
 ٧٣٢
 ٧٣٣
 ٧٣٤
 ٧٣٥
 ٧٣٦
 ٧٣٧
 ٧٣٨
 ٧٣٩
 ٧٤٠
 ٧٤١
 ٧٤٢
 ٧٤٣
 ٧٤٤
 ٧٤٥
 ٧٤٦
 ٧٤٧
 ٧٤٨
 ٧٤٩
 ٧٥٠
 ٧٥١
 ٧٥٢
 ٧٥٣
 ٧٥٤
 ٧٥٥
 ٧٥٦
 ٧٥٧
 ٧٥٨
 ٧٥٩
 ٧٦٠
 ٧٦١
 ٧٦٢
 ٧٦٣
 ٧٦٤
 ٧٦٥
 ٧٦٦
 ٧٦٧
 ٧٦٨
 ٧٦٩
 ٧٧٠
 ٧٧١
 ٧٧٢
 ٧٧٣
 ٧٧٤
 ٧٧٥
 ٧٧٦
 ٧٧٧
 ٧٧٨
 ٧٧٩
 ٧٨٠
 ٧٨١
 ٧٨٢
 ٧٨٣
 ٧٨٤
 ٧٨٥
 ٧٨٦
 ٧٨٧
 ٧٨٨
 ٧٨٩
 ٧٩٠
 ٧٩١
 ٧٩٢
 ٧٩٣
 ٧٩٤
 ٧٩٥
 ٧٩٦
 ٧٩٧
 ٧٩٨
 ٧٩٩
 ٨٠٠
 ٨٠١
 ٨٠٢
 ٨٠٣
 ٨٠٤
 ٨٠٥
 ٨٠٦
 ٨٠٧
 ٨٠٨
 ٨٠٩
 ٨١٠
 ٨١١
 ٨١٢
 ٨١٣
 ٨١٤
 ٨١٥
 ٨١٦
 ٨١٧
 ٨١٨
 ٨١٩
 ٨٢٠
 ٨٢١
 ٨٢٢
 ٨٢٣
 ٨٢٤
 ٨٢٥
 ٨٢٦
 ٨٢٧
 ٨٢٨
 ٨٢٩
 ٨٣٠
 ٨٣١
 ٨٣٢
 ٨٣٣
 ٨٣٤
 ٨٣٥
 ٨٣٦
 ٨٣٧
 ٨٣٨
 ٨٣٩
 ٨٤٠
 ٨٤١
 ٨٤٢
 ٨٤٣
 ٨٤٤
 ٨٤٥
 ٨٤٦
 ٨٤٧
 ٨٤٨
 ٨٤٩
 ٨٥٠
 ٨٥١
 ٨٥٢
 ٨٥٣
 ٨٥٤
 ٨٥٥
 ٨٥٦
 ٨٥٧
 ٨٥٨
 ٨٥٩
 ٨٦٠
 ٨٦١
 ٨٦٢
 ٨٦٣
 ٨٦٤
 ٨٦٥
 ٨٦٦
 ٨٦٧
 ٨٦٨
 ٨٦٩
 ٨٧٠
 ٨٧١
 ٨٧٢
 ٨٧٣
 ٨٧٤
 ٨٧٥
 ٨٧٦
 ٨٧٧
 ٨٧٨
 ٨٧٩
 ٨٨٠
 ٨٨١
 ٨٨٢
 ٨٨٣
 ٨٨٤
 ٨٨٥
 ٨٨٦
 ٨٨٧
 ٨٨٨
 ٨٨٩
 ٨٩٠
 ٨٩١
 ٨٩٢
 ٨٩٣
 ٨٩٤
 ٨٩٥
 ٨٩٦
 ٨٩٧
 ٨٩٨
 ٨٩٩
 ٩٠٠
 ٩٠١
 ٩٠٢
 ٩٠٣
 ٩٠٤
 ٩٠٥
 ٩٠٦
 ٩٠٧
 ٩٠٨
 ٩٠٩
 ٩١٠
 ٩١١
 ٩١٢
 ٩١٣
 ٩١٤
 ٩١٥
 ٩١٦
 ٩١٧
 ٩١٨
 ٩١٩
 ٩٢٠
 ٩٢١
 ٩٢٢
 ٩٢٣
 ٩٢٤
 ٩٢٥
 ٩٢٦
 ٩٢٧
 ٩٢٨
 ٩٢٩
 ٩٣٠
 ٩٣١
 ٩٣٢
 ٩٣٣
 ٩٣٤
 ٩٣٥
 ٩٣٦
 ٩٣٧
 ٩٣٨
 ٩٣٩
 ٩٤٠
 ٩٤١
 ٩٤٢
 ٩٤٣
 ٩٤٤
 ٩٤٥
 ٩٤٦
 ٩٤٧
 ٩٤٨
 ٩٤٩
 ٩٥٠
 ٩٥١
 ٩٥٢
 ٩٥٣
 ٩٥٤
 ٩٥٥
 ٩٥٦
 ٩٥٧
 ٩٥٨
 ٩٥٩
 ٩٦٠
 ٩٦١
 ٩٦٢
 ٩٦٣
 ٩٦٤
 ٩٦٥
 ٩٦٦
 ٩٦٧
 ٩٦٨
 ٩٦٩
 ٩٧٠
 ٩٧١
 ٩٧٢
 ٩٧٣
 ٩٧٤
 ٩٧٥
 ٩٧٦
 ٩٧٧
 ٩٧٨
 ٩٧٩
 ٩٨٠
 ٩٨١
 ٩٨٢
 ٩٨٣
 ٩٨٤
 ٩٨٥
 ٩٨٦
 ٩٨٧
 ٩٨٨
 ٩٨٩
 ٩٩٠
 ٩٩١
 ٩٩٢
 ٩٩٣
 ٩٩٤
 ٩٩٥
 ٩٩٦
 ٩٩٧
 ٩٩٨
 ٩٩٩
 ١٠٠٠

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - تضمن تعديدا لآلائه وأنعمه على المؤمنين المتقين، قرن كل نعمة ذكرها، أو صفة من صفاتها، ببيان وجوب شكره وحمده عليها بقوله تعالى «فبأي آلاء ربكما تكذبان».

فذكر تعالى أن لمن خاف مقام ربه جنتان، ويتصور في المعنى أن يكون القول متعلقا بمن خاف قيام الله على جميع أمره فاتقاه أو بمن خاف أن يسقط مقامه عند ربه وتحقر منزلته فعمل على ألا يغضبه، ذكر تعالى أنه تكون له في الآخرة جنتان، قيل إن إحداهما هي منزله في الجنة، والأخرى هي منزل أزواجه وخدمته يتنقل بينهما.

ثم وصف تعالى الجنتين بأنهما ذواتا أفنان، والمعنى أن أغصان أشجارهما قد دقت ولانت.

كما ذكر أن فيهما عينان من الماء تجريان حيث شاء صاحبهما، وقيل إن إحداهما تكون من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين.

وذكر تعالى أنه يكون في الجنتين من كل فاكهة صنفان، يكون أحدهما معروفا لهم والآخر مجهولاً لأنه من غير فاكهة الدنيا، وقيل يكون أحدهما رطباً والآخر يابساً.

ثم بين تعالى حال هؤلاء الذين خافوا مقامه فذكر أنهم يكونون متكئين على فرش، بطائنهم من السديج الغليظ، ولم يخبر تعالى عن ظواهرها لإظهار أنها تكون أفضل وأعظم. كما بين أن ما يجتنى من ثمار الجنتين يكون قريباً منهم بحيث يناله المرء منهم وهو مضطجع دون أن يبذل جهداً.

كما ذكر تعالى أنه يكون للمتقين الذين خافوا مقامه تعالى أو مقامهم عنده تعالى، في الجنتين أو في بيوتهم فيها أزواجهم اللائي يقصرن النظر إليهم لا ينظرن غيرهم، وهن أبكسار لم يقع عليهن قبلهم أحد من الإنس ولا من الجن، أو أن أحداً من الجن لم يمكن من هذا.

ثم وصف تعالى هؤلاء الأزواج القاصرات الطرف بأنهن يشبهن الياقوت والمرجان، وفيه قيل إنهن يشبهن الياقوت في صفائه والمرجان في حرته، وقيل إنهن يشبهن الياقوت في حمرة الوجه.

والمرجان - بمعنى أنه صغار الدر - في بياض البشرة وصفائها.

ثم جاء قوله تعالى «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» لبيان أن ما أنعم به تعالى على المتقين الذين خافوا مقامه تعالى أو خافوا أن يسقط مقامهم عنده إنما كان جزاءهم على ما أسلفوا في دنياهم من إيمان بالله وتوحيده وعمل بالطاعات.



وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝
تَكْذِبَانِ ۝ مُدْهَامَتَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ
نَضَّاخَتَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ
وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا خَيْرَاتٌ
حِسَانٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ
فِي الْخِيَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ
قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَى
زُرْفٍ نُخْصِرٍ وَعَبَقَرٍ حِسَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
۝ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝

أولاً : الأسماء :

١ - المدهامتان : في قوله تعالى «مدهامتان» مثنى مؤنث «المدهام» هو ما اسود لونه، أو اشتدت خضرته، من الدهمة وهي سواد الليل. جاء اللفظ صفة للجتين في القول.

٢ - النضاختان : في قوله تعالى «فيهما عينان نضاختان» مثنى مؤنث «النضاخ» وهو الفوار بالماء .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيات - في ذكر جنتين أخريين وفي أوصافهما وذكر ما فيهما مما يتنعم

به وذكر حال المتعتمدين فيها، يتبع تعالى ذكر كل شيء بقوله «فبأي آلاء ربكما تكذبان» لبيان أن كل مذكور هو من آلاء الله ونعمه التي تستوجب الحمد والشكر.

بدأ تعالى القول ببيان أنه دون الجنتين المذكورتين هناك جتان أخريان، قيل إنهما تكونان لأصحاب اليمين حين تكون الأوليان للسابقين، وقيل تكونان للأتباع، وعند القائلين بهذا هما دون الأوليين في الدرجة والفضل. وقيل إنهما تكونان لذات من خاف مقام ربه. وعند القائلين بهذا هما أعلى من الجنتين الأوليين درجة وأكثر فضلا.

ثم وصف تعالى هاتين الجنتين بأنهما مدهامتان، بمعنى أنهما شديدتا الخضرة من الرّبي فضربت الخضرة إلى السواد، وذكر أن فيهما عينان تضخان الماء ضخا فيخرج منهما فائرا، وأن فيهما فاكهة ونخلا ورمانا، وقيل إن المستفاد من القول هو عدم اعتبار ثمار النخل والرمان من الفواكه، لأن الشيء لا يعطف على نفسه، وقيل هما من الفواكه، وإنه أعيد ذكرهما لفضلهما، كما ذكر تعالى أن في الجنتين نساء خيرات حسناوات، بمعنى أنهن حسان الخلق وحسان الوجوه، وصفهن تعالى بأنهن حور مقصورات في الخيام، بمعنى أنهن ذوات حور في العيون، مستورات في الحجال أو في خيمات من الدر المنجوف، ثم ذكر تعالى في شأنهن أنه لم يفض بكارتهن قبل أصحاب الجنتين إانس ولم يمكن منهن جن، كما ذكر تعالى أن حال أصحاب الجنتين أنهم يكونون متكئين على مرافق الفرش الأخضر والعقري الحسان وهي الفرش العجيبة النقوش التي وصفها تعالى بالحسن، فلا يكون ممكنا تصور درجة حسنهما وجمالها.

ثم جاء قوله تعالى «تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام» ختاماً للآلاء المذكورة في السورة وختاماً لها، تضمن تنزيهه تعالى وتقديسه، وفيه جاء لفظ «تبارك» بمعنى تعالى فيكون المعنى هو «تعالى واسمه تعالى الجليل وارتفع على ما لا يليق به ومنه جحد نعمه وتكذيبها». وفي القول وصف تعالى ذاته بأنه ذو الجلال والإكرام بمعنى أنه تعالى وحده الأجل والأعلى والذي له الإكرام جميعا.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَذِبٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝
إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً
مُّبْتَلًا ۝

أولاً : الأسماء :

١ - الواقعة : المراد بها - فى معنى الآية - هو القيامة ، وقيل النفخة الأخيرة .

٢ - البس : فى قوله تعالى «وبست الجبال بسا» هو التفتت ، ولهذا يقال للدقيق الذى يلت بالسمن «بسيسة» .

ثانياً : التفسير :

يقول تعالى - فى الآيات - أنه متى قامت القيامة ، لا تكون نفس مكذبة بوقوعها بل يصدق بها الجميع ومنهم من كذب بها فى الدنيا ، ويخبر عن أنها تخفض أقواما وترفع آخرين ، فتخفض شأن المتكبرين فى الدنيا وترفع شأن المؤمنين الذين كانوا فى الدنيا مستضعفين . ثم يذكر تعالى أنه يكون حالذاك أن الأرض ترج رجا بمعنى أنها تزلزل وتحرك ،

وأن الجبال تبس بسا بمعنى أنها تنفتحت فتصبح مثل السويق الملتوت ثم تصير غبارا متفرقا. وقد سبق تفسير ذلك علميا، مع الإقرار بأن قدرته تعالى فوق العلم وفوق تفسيره .

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝
أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ۝ وَقَلِيلٌ
مِّنَ الْآخِرِينَ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ
مَّعِينٍ ۝ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ۝ وَفِكِهَةٍ مِّمَّا يَخَيَّرُونَ
۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ
الْمَكُونِ ۝ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝

أولا : الأسماء :

١ - أصحاب الميمنة : قيل هم أصحاب المنزلة السنية، وقيل هم الذين يؤتون صحائفهم بإيمانهم .

٢ - أصحاب المشأمة : هم أصحاب المنزلة الدنية، وقيل هم الذين يؤتون صحائفهم

بشمائلهم .

٣- السابقون السابقون : قيل هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق بدعوة كل نبي ورسول، فيدخل فيهم مؤمن آل فرعون، ويدخل فيهم على بن أبي طالب .

ثانيا : التفسير :

الخطاب - في الآيات - للناس المعاصرين نزول النص القرآني، والقول هو في شأنهم وشأن الأمم التي سبقتهم والأمم التي تأتي بعدهم ممن بلغتهم رسالة رسول الله ﷺ . يوم القيامة ومفاد القول أن الناس يكونون أصنافا ثلاثة، جاء قوله تعالى «وكنتم أزواجا ثلاثة» لبيان أن الواحد من كل صنف يماثل غيره فيه .

بدأ تعالى بذكر أصحاب الميمنة، جاءت «ما» الاستفهامية في قوله تعالى «فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة» كأنه قيل : «ما هم» طلبا لبيان حالهم، وكذلك في قوله تعالى «وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة» .

والمراد من التعبير هو بيان حسن حال أصحاب الميمنة - وهم أصحاب المنزلة السنية عند الله - وسوء حال أصحاب المشأمة - وهم أصحاب المنزلة الدنية عنده تعالى . فيكون القول قد تعلق بصنفين من الأصناف الثلاثة .

ثم جاء قوله تعالى «والسابقون السابقون» ذكرا للصنف الثالث من الناس يوم القيامة وهم أسبق الأصناف الثلاثة وأغرقهم في الفضل، تأخر ذكرهم في القول لكي يلحق به بيان محاسن أحوالهم . وهؤلاء هم الذين سبقوا إلى الإيمان بدعوة كل نبي بغير تردد، ومنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار . أشار تعالى إليهم وأخبر عنهم أنهم المقربون إليه منزلة ومكانة .

فيكون القول مدحا لهم، وربما لهذا لم يقل في شأنهم «السابقون ما السابقون»، ثم بين أن حالهم هو كونهم في جنات النعيم، والمستفاد هو أنهم فيها يخلدون .

ثم بين تعالى أنهم جماعة كبيرة من أهل الأمم السابقة على أمته ﷺ، وذلك ترتيبا على

كثرة الرسل قبله ﷺ، وقليلون من عهده ﷺ إلى أن تقوم الساعة .

ثم بين تعالى حالهم في جنات النعيم، فذكر أنهم يكونون على أسرة منسوجة على نحو جميل، قيل إنها تكون منسوجة بالذهب، وقيل تكون منسوجة بقضبان الفضة، يرقدون عليها متكئين على مرافقها متواجهين، ينظر كل منهم في وجه صاحبه .

فيكون القول مشيراً إلى التمسامة بينهم وبيانا لأدب المجالسة ومنها ألا يعطى الجالس للجالس قفاه، وألا يجلس أحد في قفا آخر ثم ذكر تعالى أنهم في رقادهم على الأسرة يطوف عليهم ولدان مخلدون، بمعنى أنهم يشتون على حالهم ولدان لا يكبرون ولا يشيخون، يحملون إليهم - تكريماً لهم - الأكواب بالشراب والأباريق المحتوية خمر الآخرة، وكؤوس خمر الجنان التي تجرى بها العيون في الجنة .

ثم يذكر تعالى أن شربهم هذه الخمر لا يتج عنه صداع لهم، وقيل لا يحدث عنه تصدع جمعهم وتفرقهم بسبب النزاعات التي تنشأ نتيجة تأثير الخمر في الرأس في الدنيا، كما أنهم لا يفقدون بشرها عقولهم وتمييزهم، كما أن الولدان المخلدين يطوفون عليهم بفاكهة يتخيرونها ويرضونها ولحم الطيور التي يشتهونها .

كما ذكر تعالى أنه يكون لهم في الجنات حور عِين، قيل إنهن يكن طوافات عليهم كالخدم وقيل إنهن يكن مقصورات في الخيام، وصفهن تعالى بأنهن كأمثال اللؤلؤ المكنون الذي لم تمسه يد ولم يقع عليه غبار، وهو تعبير عن اكتمال حسنهن وجمالهن .

وبعد هذا بين تعالى أن جميع ما ذكر من صور النعيم الذي يتنعم به السابقون في الإيمان في الجنات هو جزاؤهم على ما كان منهم من إيمان وعمل في حياتهم الدنيا «جزاء بما كانوا يعملون» .

وأتابع هذا بذكر ما يكتمل به هناء هؤلاء في الجنات بيان أنهم فيها لا يسمعون لغو القول الذي يؤدي السمع، ولا ما يرتكب بقوله الإثم . وأنهم لا يسمعون من الزائد من القول على التماسر إلا تبادل السلام والتحية بقول بعضهم لبعض نسلم سلاما .

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ

الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَّدُودٍ ﴿٣٠﴾
وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفُكْحَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾
وَفُورٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ﴿٣٥﴾ فَعَمَلَنَّهُنَّ آبَكَارًا ﴿٣٦﴾
عُرْبًا أَوْثَرًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ
الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

أولاً : الأسماء :

١ - المخضود : فى قوله تعالى «فى سدر مخضود» اسم مفعول من «خضد - يخضد - هو ما نزع شكوه، وهو ما رطب ولان فتنى .

٢ - المنضود : هو المنضد، والمرتب، والمراد به - فى معنى القول - هو الموز ينضد حمله من أسفله إلى أعلاه. وقيل هو شجر يشبه طلح الدنيا لكن ثمره يكون أحلى من العسل .

٣ - العُرب : فى قوله تعالى «عربا أترابا» هن المتحبات إلى أزواجهن، وقيل هن الغلمات ، بمعنى اللاتى تشتد شهوتهن إلى أزواجهن .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - إخباراً عن حال الصنف الثانى من الناس يوم القيامة، وهم أصحاب اليمين، جاءت الجملة الاستفهامية «ما أصحاب اليمين» للإشعار بتفخيمهم والتعجيب من أمرهم. يخبر تعالى أنهم يكونون فى «سدر مخضود» بمعنى أنهم يجلسون فى بساتين من شجر النبق نزع منها الشوك، وفى «طلح منضود» - وهى أشجار الموز التى نضد

حملها - يكون جلوسهم في ظل ممتد منبسط لا ينقص، «وماء مسكوب» يجري منسابا تحتهم إلى حيث شاءوا. يتمتعون بأكل أنواع كثيرة من الفاكهة لا ينقطع بعضها في وقت من الأوقات، ولا يحظر على أحدهم الأكل منها لسبب ما مثل العلة والمرض. ويكون جلوسهم على فرش مرفوعة على الأسرة.

ثم يعود تعالى لوصف نسائهم في الجنة أو الحور العين اللاتي يكن لهم فيقول تعالى إنه أنشأهن إنشاء، بمعنى أنه أوجدهن بغير طريق الولادة كنساء الدنيا، وأنه جعلهن أبكارا، قيل إنه كلما جامع الرجل امرأته منهن عادت بكرا بعد الجماع. ثم وصفهن تعالى بأنهن غلمات متماثلات، «عربا أترابا» بمعنى أنهن يشتهين رجالهن، ومستويات في العمر، ثم أثبت تعالى أنهن يكن لأصحاب اليمين، وأعقب هذا ببيان أن أصحاب اليمين هم ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين، بمعنى أنهم يكونون جماعة من أهل الأمم السابقة زمانا عليه ﷺ والمؤمنين من زمانه إلى أن تقوم الساعة. والظاهر أنه يدخل في هؤلاء عصاة المؤمنين الذين ماتوا قبل التوبة، ثم يدخلون الجنة من بعد تعذيبهم بمعاصيهم.

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ
 ٤٢ وَظِلٍّ مِّنْ نَّجْمٍ ٤٣ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ
 مُتْرَفِينَ ٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ
 أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَأْتِیْهِمُ ٤٧ أَوْءَا بَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ٤٨
 قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩ لَّجَمْعٌ ۖ وَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَّعْلُومٌ ٥٠ نَّذُرُ
 إِلَهُكُمْ إِلَٰهًا ۖ سَالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ٥١ لَّا يَكْلُونَ مِن شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ٥٢
 فَتَالُوتُ مِنْهَا الْبُطُونَ ٥٣ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤ فَشَرِبُوا
 شُرْبَ الْهَلِيمِ ٥٥ هَذَا نَزْلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦

أولاً : الأسماء :

١ - الـيـحـمـوم : فى قوله تعالى «وظل من يحموم»، هو الدخان الأسود، من «الحممة» وهى القطعة من الفحم .

٢ - الحنـث : المراد به - فى معنى الآية - هو الذنب .

٣ - الـهـيـم : هو الجمل يصيبه مرض يسمى «الهيام» يشبه «الاستسقاء» يظل معه يشرب إلى أن يموت .

ثانياً : التفسير :

القول - فى الآيات - فى الصنف الثالث من الناس وبيان حالهم يوم القيامة ، وهم أصحاب الشمال، جاءت الجملة الاستفهامية «ما أصحاب الشمال» للإشعار بسوء حالهم والتعجب منه .

ذكر تعالى أنهم يكونون فى سموم وحميم، بمعنى أنهم يكونون فى مهب ريح حارة تنفذ فى مسام أجسامهم وسط ماء شديد الحرارة، يجلسون فى دخان أسود كثيف، جاء التعبير عنه بأنه ظل من يحموم لأنه يظلمهم ومن قبيل التهكم بهم، وصفه تعالى بأنه ليس ببارد - شأن الظل - وغير كريم، بمعنى أنه لا يمنع من يجلس فيه أذى الحر .

ثم بين تعالى سبب تعذيب أصحاب الشمال على هذا النحو، فذكر أنهم كانوا فى دنياهم مترفين، يتبعون هوى أنفسهم لا يردعهم رادع عن عصيانه تعالى، وأنهم كانوا يصرون على ارتكاب الذنوب العظيمة ويصرون على هذا، وأنهم كانوا ينكرون البعث والحساب، يتندرون بالقول على إخبارهم به منكرين. تصور أن يعثوا بعد الموت وأن يعث آباؤهم الذين ماتوا من قبل .

ثم إنه تعالى يخاطب رسوله ﷺ بشأنهم فيأمره أن يقول لهم إن جميع أفراد الأمم السابقة الذين ماتوا وجميع الأفراد الذين أتوا من بعدهم - يدخل المنكرون البعث وآباؤهم ، وكذا الذين يأتون من بعد، مقدر لهم أن يجمعوا أحياء بعد البعث فى يوم معلوم - هو يوم القيامة -

ثم يخاطبهم ﷺ واصفا إياهم بأنهم الضالون المكذبون بمعنى الضالون عن الحق، المكذبون بيوم القيامة فيخبرهم أنهم يلقون في نار جهنم على ما يبين من إعلامهم أنهم يأكلون من شجر من رقوم، وهو - على المعلوم - ثبت في أصل الجحيم، وأنهم يأكلون منه إلى أن تمتلئ منه بطونهم، ثم يشربون على ما أكلوا - من شدة عطشهم - من الماء الجار، يشربون شرب الجمال المريضة بالهيام لا تترتوى إلى أن تموت .

ثم إنه تعالى يخبر أن ما أمر رسوله أن يقوله للكافرين المكذبين عن مصائبهم وأحوالهم هو - وما سبق ذكره - ما يقدم يوم القيامة لأصحاب الشمال .

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تَصَدَّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدْ زَيَّنَّا لَكُمُْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ
النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

التفسير:

تحول تعالى بالخطاب - في الآيات - إلى الكافرين المكذبين بالبعث، فذكر لهم ما يعرفونه من أنه خالقهم على المستفاد من قوله تعالى «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله» فاستحثهم على التصديق، يتصور فيه أن يكون بموافقة أعمالهم ما يقرون به، أو بتصديقهم بالبعث على الرجح، يؤكد أنه تعالى ذكر لهم بعد هذا قدرته على فعل أشياء أشد وأعظم من البعث بعد الموت بما يفيد أن المزماد هو إثبات قدرته عليه .

حادثهم تعالى عن منيهم الذى يقدفونه فى أرحام نسائهم، ثم جاء الاستفهام عنه «أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون» لإثبات واقع أنه تعالى الذى خلقه فى الذكور، وأنه الذى يخلق منه فى الأرحام الأجنة التى تصبح أناسا، ثم أخبرهم أنه الذى كتب الموت عليهم وحدد وقته لكل فرد، وأتبع هذا ببيان أنه تعالى لا يغلبه على قدرته أحد إذا شاء أن يهلكهم ويأتى بآخرين مكانهم من خلقه، أو من أن يذهب بهم بالموت ثم يبعثهم على هيئة أخرى فى الآخرة كأن يبعثوا عميانا، وقيل على أن يسخطهم قردة أو خنازير أو غير ذلك .

وبعد هذا جاء قوله تعالى «ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون» أثبت عليهم علمهم بخلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، وحضهم على الاعتبار بهذا وتذكروا واقع أن من قدر على هذا يكون على البعث أشد قدرة .

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١٢﴾ ءَأَنْتُمْ
تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١٣﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ
تَفَكَّهُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿١٥﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - استمرار فى مخاطبة الكافرين المكذبين بالبعث، وهو فى ذكر دليل آخر على قدرته على البعث معلوم لهم منظور. حدثهم تعالى فى شأن ما يزرعونه ببذر حبه فى الأرض، ثم جاء الاستفهام فى قوله تعالى «أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون» لإثبات أن خروج النبات من الأرض إنما يتم بقدرته تعالى وليس بفعل الزارعين.

ثم أظهر تعالى قدرته على الذهاب به فى أى وقت ولو بعد ظهوره وينعه، بإثبات أنه لو شاء لجعله هشيما متكسرا، فيكون من شأنهم حين يروونه على هذا النحو أنهم يتعجبون مما أصابه، يتحسرون على ما بذلوا فيه من جهد، يذهبون الأمل والحسرة عن نفوسهم بالتفكه فى

القول يقولون إنهم معذبون مهلكون بضياح ثمرة عملهم، محرومون مما طعموا فيه من الرزق.

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ
الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنَّمَا أُنْزِلَتْ مُوًى مِنَ الْمُرْنِ أَمْ نَخْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾
لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

التفسير:

القول - فى الآيات - لا يزال فى مخاطبة الكافرين المكذبين بالبعث، يستلفت تعالى أنظارهم إلى ملاحظة الماء الذى يشربونه، ثم يسألهم عما إذا كانوا هم الذين أنشؤوا السحاب الذى حمله ثم أنزلوه منه، أم أنه الله الذى فعل هذا، والمراد بالاستفهام هو الإقرار بأنه تعالى الذى أنزل الماء من السحاب بقدرته، ثم ذكر لهم أنه لو شاء لجعل هذا الماء السائف شرابه مالحا زعاقا يلذع الأفواه فلا يمكن شربه. ثم استحثهم على شكره تعالى على هذه النعمة بقوله «فلولا تشكرون».

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي
تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنَّمَا أَنْشَأْنَاهُ شَجَرَتَهَا أَمْ نَخْنُ الْمُنْشُونَ ﴿٧٢﴾ نَخْنُ
جَعَلْنَاهَا نَذِيرًا لِلْقَوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

التفسير:

بدأ القول - فى الآيات - استنفا لمخاطبة الكافرين المكذبين، فاستلفت أنظارهم إلى

مراقبة النار التي يقدحون الزناد فيستخرجونها منه، يسألهم تعالى عما إذا كانوا هم الذين أوجدوا أشجار المرخ والغفار التي يتولد عن احتكاك فرع إحدهما بفرع الأخرى النار، أو أنه تعالى يسألهم عن الأشجار عموما التي لا تخلو من النار بدلالة أن أخشابها تشتعل بالنار إذا ييست، أم أنه تعالى هو الذي أوجدها. والمراد بالاستفهام هو تقرير أنه تعالى الذي خلق الأشجار وجعل منها النار. ثم جاء قوله تعالى «نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين» فبين أنه جعل في النار فائدتين عظيمتين. أولاهما أن تكون تذكرة للناس بنار جهنم، فيكون منهم العمل على تجنب أن يكونوا من المعذبين بالنار في الآخرة. والثانية هي أن يفيد منها المسافرون في الصحراء والأراضي القفر بأن يستدفئوا بها من برد الليالي القارسة البرودة .

ثم أتبع تعالى هذا بأمره رسوله ﷺ أن يسبح باسم ربه، بأن يتزهد عما لا يليق به من عدم القدرة، وأن يعلى قدره على بدائع صنعه ، وفي القول وصف تعالى ذاته بأنه العظيم، لأن عظم المذكور من صناعته لا يكون إلا من العظيم .

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۖ إِنَّهُ
لَقَرُّءٌ أَنْ كَرِيمٌ ۖ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ۖ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۖ
نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالِينَ ۝

أولا : الأسماء :

مواقع النجوم : هي مساقط النجوم ومغاربها، يستدل بها على وجود من أسقطها وجعل لها أفولا، وقيل إن المراد بها - في معنى القول - هو نزول القرآن متجففا .

ثانيا : التفسير :

قيل في معنى قوله تعالى «فلا أقسم بمواقع النجوم» أنه فلا أقسم بمواقع النجوم، وأن

اللام في «فلا» هي لام القسم أشبعت فتحتها فجاءت منها «الألف». وقيل إن المعنى هو «لا أقسم بمواقع النجوم» وذلك لأن صحة المقسم عليه هي من الوضوح بحيث لا يحتاج إثباتها إلى القسم.

وقيل إن المراد بمواقع النجوم هو مساقطها ومغاربها لأن في ذلك تدليلاً على وجود المؤثر في هذا الدائم الذي لا يتغير. وقد يؤكد أن المعنى هو «فلا أقسم» أنه أثبت أنه قسم عظيم لو علم الناس حقيقته، وجاء بيان المقسم عليه بقوله تعالى «إنه لقرآن كريم»، نفى عنه أن يكون سحراً أو كهانة أو افتراء على الله، وأثبت أنه قرآن كريم محمود، كريم على المؤمنين وعلى الملائكة، غير مخلوق، منطوق على كريم الأخلاق، يكرم حافظه ويعظم قارئه.

ثم إنه تعالى وصف القرآن العظيم بأنه في كتاب مكنون، فهو في كتاب السماء مصون محفوظ، وهو في المصاحف - التي لم تكن قد وجدت بعد - مصون محفوظ عن التحريف. ثم بين تعالى قاعدة شرعية في أمره هي أنه لا يمسه إلا المطهرون، فهو في كتاب السماء لا يطلع عليه إلا الملائكة - وهم مطهرون - وفي الأرض أوجب تعالى ألا يمسه في المصاحف إلى المطهرون عن الحدث الأصغر والحدث الأكبر.

ثم أتبع تعالى هذا بذكره صفة أخرى للقرآن العظيم هي أنه تنزيل من رب العالمين، بمعنى أنه ينزل من السماء منجماً منه تعالى وليس شأن ما سبقه من الكتب إذ كانت تنزل على الرسل جملة واحدة.

أَفَهَذَا الْحَدِيثُ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ
رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَ الْخُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ
حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدُّ مِنْ أَنْ
فَلَوْلَا ﴿٨٥﴾
إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾

أولاً: الأسماء:

المدهنون: في قوله تعالى «أنتم مدهنون» جمع، مفردة المدهن، وهو الذي يخالف ظاهر أمره باطنه، وقيل هو المنافق - في معنى القول - وقيل هو المتهاون في الحق.

ثانياً: التفسير:

يخاطب تعالى المكذبين بالقرآن العظيم، والمتهاونين فيه لا يتمسكون به بصلافة فيوبخهم على أن يكون هذا شأنهم معه بعد حديثه تعالى عنه ووصفه بما وصفه به كما يوبخهم على أنهم يجعلون رزقهم أنهم يكذبون.

ويقبل المعنى أن يكون التوبيخ على إحلالهم الكذب محل الشكر المتوجب عليهم - باعتبار أن معنى الرزق هو الشكر -.

ويقبل أن يكون على قولهم الكذب بزعمهم أن ما يرزقون به من رزق هو من فعل النجوم والأنواء، بدلا من إقارهم بأن الرازق هو الله الذي سخر لهم أسباب الرزق.

ثم إنه تعالى يثبت بطلان قولهم وعقيدتهم أن الفاعل هو حركة النجوم، ببيان أن ما قدر له أن يكون لا يمكن تغييره.

فيقول لهم فهلا إذا بلغت روح محتضر حلقومه - بمعنى أنها قاربت مفارقة جسده - وأنتم تحيطون به تنظرون إليه، حال كوننا أقرب إليه منكم بقدرتنا وعلمنا وإن كنتم لا تبصروننا، فهلا كان منكم - إثباتا لكونكم غير محاسنين بأعمالكم وغير مجازين بها في الآخرة بإنكاركم البعث - أن ترجعوا روح المحتضر إلى جسده إثباتا لصدقكم.

فيكون القول من قبيل التدليل على بطلان عقيدة المكذبين منكري البعث بطريق التعجيز عن الإتيان بدليل على صحة معتقدهم.



فَأَمَّا

إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ
كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا
إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ
بِحَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوٌ حَقٌّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

أولاً : الأسماء :

١ - الروح : فى قوله تعالى «فروح وريحان» قيل إن المراد بها - فى معنى القول - هو الاستراحة ، وقيل هو الرحمة .

٢ - الريحان : قيل إن المراد به - فى معنى القول - هو الرزق ، وقيل هو النسيم الطيب يكون فى القبر .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان حال المتوفى الذى حضر المكذبون بالبعث وفاته وتحدى رب العزة المنكرين البعث أن يحفظوا روحه فى جسده لا تغادره لحظة بلوغها الحلقوم . جاء بيان حالته ومصيره بياناً لأحوال أصناف المكلفين بعد الممات وعند البعث .

بدأ تعالى بذكر حال المتوفى إن كان من السابقين ، جاء التعبير عن صفته بأنه المقرب منه تعالى منزلة وقدر ، فذكر تعالى أنه تكون له الرحمة منه تعالى ، وتكون له الراحة أو يكون له النسيم الطيب فى قبره إلى أن يبعث ، ثم ذكر أنه تكون له فى الآخرة جنة نعيم . ثم ثنى تعالى

بذكر حاله إن كان من أصحاب اليمين، فإن إخوانه أصحاب اليمين يسلمون عليه سلاماً، وقيل إن الخطاب إلى رسول الله ﷺ يخبره تعالى أن هذا المتوفى وأمثاله من أصحاب اليمين يسلمون عليه ﷺ.

ثم ذكر تعالى أنه إن كان من أصحاب الشمال، عبر عنهم النص بأنهم المكذبون الضالون على ما جاء بقوله تعالى فيهم «ثم إنكم أيها الضالون المكذبون» فإن جزاءه يكون نزلاً من الحميم، وقيل إنه ما يشربه من بعد أكل الزقوم، ويكون تصليته الجحيم، بإدخاله النار. وبعد هذا أثبت تعالى أن كل ما ذكر في السورة من أحداث تكون عند وقوع الواقعة هو الحق، وهو عين اليقين.

ثم أمر رسوله ﷺ وكل مؤمن - ترتيباً على ما علم من شأنه تعالى - أن يسبح باسم ربه العظيم، فينزهه عما يقول الكافرون وعما لا يليق بذاته العليا.



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① لَهُ
 مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ②
 هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③

التفسير:

افتتح تعالى السورة بتقريره واقع أن كل ما فى السماوات والأرض من عقلاء وجمادات يسبح له تعالى، بمعنى أنه يمجده ويعظمه وينزهه عما لا يليق بذاته. يسبح الملائكة والمؤمنون من الإنس والجن بقلوبهم وألسنتهم، ويسبح الكافرون بالسنة أحوالهم، إذ يستدل من خلقهم على عظم الخالق وكماله. ثم وصف تعالى ذاته بأنه العزيز الحكيم، بمعنى أنه الغالب على أمره والذى يوافق فعله عظيم حكمته .

ثم أثبت تعالى لنفسه ملكية السماوات والأرض وما فيهما وتصرفه بالتالى فيهما وفيما هو كائن فيهما وبينهما.

كما بين قدرته على الإحياء والإماتة ترتيباً على قدرته على كل شىء . وأتبع هذا بالإخبار عن ذاته ببسض ما هو له تعالى من الأسماء والصفات، فذكر أنه الأول، كان وحده قبل أن يكون وجود، وأنه الآخر، يبقى بعد زوال الوجود، وأنه الظاهر فى مخلوقاته يتعرف على وجوده أصحاب البصائر، وأنه الباطن لا يراه البشر بعيونهم ويدركون وجوده بقلوبهم، ثم أخبر عن ذاته بأنه بكل شىء عليم، ومنه ما أظهر الناس وما أخفوه .

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
يَعْلَمُ مَا بَلَّغُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ
فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٢
يُوجِزُ النَّهَارَ فِي النَّهَارِ
وَيُوجِزُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٣

التفسير:

أكد تعالى معنى أنه الخالق الواحد بذكره أنه الذي خلق السماوات والأرض، وأثبت قدرته على فعل كل شيء دون أن يناله تعب ولا نصب، بذكره أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام..

وقد سبق بيان معانيها - وأثبت استواءه على العرش، وعلمه بما يدخل في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها - على ما سبق بيانه تفصيلا في تفسير سورة سبأ (الآية الثانية) - ثم أخبر المخاطبين بالقول وهم جميع الإنس والجن بأنه معهم حيثما كانوا.

والمراد بهذا هو إتيانه تعالى أنه يحيط بهم علما وبأعمالهم، وأنهم لا يستخفون عليه، فيحاسبهم ويجازيهم بأعمالهم، أو إنه تعالى معهم بواسطة الملائكة الكاتبين.

ثم صرح تعالى بإحاطته بأعمالهم علما بقوله «والله بما تعملون بصير» ليعلم المكلفون أنه تعالى لا تفوته من أعمالهم فائتة.

ثم عاد تعالى إلى تكرير ما سبق ذكره من خلوص ملكية السماوات والأرض له، تمهيدا لبيان أن مرجع الأمور كلها يكون إليه ليعلم المكلفون أنه محاسبهم بما علم من أمورهم يوم يرجعون إليه.

ثم ذكر من عجب فعاله الدالة على قدرته والتي هي من قبيل نعمه على الخلق، أنه الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل.

- وقد سبق بيانه كثيرا - ثم أخبر عن ذاته بأنه عليم بذات الصدور، ليعلم المكلفون أنه تعالى محاسبهم بما انطوت عليه قلوبهم ونواياهم وأنه لا يقصر محاسبته إياهم على أفعالهم الظاهرة.

ءَامِنُوا بِاللّٰهِ
وَرَسُوْلِهِۦ ۚ وَانْفِقُوْا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِيْنَ فِيْهِ ۚ فَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ
وَانْفَقُوْا لَهُمْ اُجْرٌ كَبِيْرٌ ۝۷ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ
يَدْعُوْكُمْ لَتُؤْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝۸
هُوَ الَّذِيۥ يُنَزِّلُ عَلٰٓى عَبْدِهٖ ءَايٰتٍ يَّبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ
وَاِنَّ اللّٰهَ لَبُكْرٌ رَّءُوْفٌ رَّحِيْمٌ ۝۹

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو قول رءوف رحيم، فالقول هو دعوة للكافرين أن يؤمنوا حرصا عليهم حرص الرب الراعى المتولى أمر العربيين، بأسلوب يدعو أقسى القلوب كفرا تلين إلى ما تسمع .

بدأ تعالى بأن أمر الكافرين أن يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ، وقرن هذا بأمرهم أن ينفقوا فى سبيل الله متصدقين من أموالهم، وبين لهم أنهم ليسوا المالكين هذه الأموال على الحقيقة وأنها مملوكة له تعالى وإن جعلهم عليها، ثم إنه لما كان فى الإنفاق فى الخير مصلحة للمنفق المؤمن فإنه حثهم على هذا الإنفاق بذكره لهم أن الذين آمنوا وأنفقوا يكون لهم عنده تعالى أجر كبير .

ثم إنه تعالى عاب عليهم ألا يكون منهم الإيمان بالله، والحال أنه ﷺ يدعوهم إلى الإيمان بربهم، ثم بين تعالى أنه ليس لهم من سبب يدفعهم إلى عدم الإيمان بذكره أنه تعالى قد أخذ منهم ميثاقهم، وفيه قيل إنه ما كان عندما أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم أنه ربهم فشهدوا. وقد يكون المعنى أنه تعالى أودع فيهم العقل والنظر ثم أظهر لهم آياته فى

الخلق فيكون لهم أن يستدلوا بالدليل العقلى على صدق دعوة رسول الله ﷺ، بعد أن كانت دعوته هى الدليل السمعى.

ثم بين تعالى أن من شأن دعوة رسول الله إياهم إلى الإيمان، وأخذه تعالى منهم ميثاقهم أن يؤمنوا إن كانوا ممن يؤمن للحق إذ جاءه ولم يكونوا من المصرين على الكفر عنادا واستكبارا.

ثم تبين قمة رحمته تعالى بالعباد بذكره أنه الذى ينزل على رسول الله ﷺ آيات القرآن العظيم الواضحة الدلالة على صدقه ﷺ، وذلك لغاية معينة هى أن يخرج الكافرين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فلا يعذبون بكفرهم.

ولهذا جاء قوله تعالى - فى ختام القول - « وإن الله بكم لرءوف رحيم » فكان بذكر علة فعله الرحيم بالكافرين حثا لهم على الإيمان .

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُفْقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ
مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ
وَقَتْلِ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَعْلِكَ أَوْ كَلَّا
وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ۝ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - ابتداء بمخاطبة الذين أمسكوا عن الإنفاق فى سبيل الله، يدخل فيهم الذين أمسكوا عن الإنفاق من المؤمنين، والذين أمرهم تعالى بالإيمان والإنفاق من الكافرين. فوبخهم على إمساكهم عن الإنفاق فى سبيله، وأنه تعالى بين لهم أنه ليست لهم حجة يتمسكون بها تدعى عدم إنفاقهم فى سبيله، ثم أوضح انعدام حجتهم بتقريره أن له وحده ميراث السماوات والأرض، فبين لهم أن كلا منهم يموت ويترك ماله وراءه، وأنه تعالى الذى يرث أموال الناس بحكم أولولة كل شىء فى السماوات والأرض استخلف عليه أحد إليه تعالى .

ثم إنه تعالى بين عدم تساوى منزلة الذين أنفقوا من أموالهم فى سبيل الله قبل فتح مكة حين كان الإنفاق فى الإعداد للجهاد ضرورة حيوية، ثم جاهد فى سبيل الله بنفسه بأن قاتل، عدم تساوى منزلة هذا بمنزلة من أنفق فى سبيل الله بعد فتح مكة وقاتل فى سبيله تعالى . وبين تعالى مظهر عدم تساوى الحالين بإشارته إلى الذين أنفقوا قبل الفتح وقاتلوا، وإخباره عنهم أنهم أعظم درجة من الآخرين، ثم ذكر تعالى أنه وعد كلا من الفريقين الثواب الحسن، وهو الجنة. ثم جاء قوله تعالى «والله بما تعملون خبير» ليبيان أنه تعالى يجازى الطائعين وفقا لأعمالهم الظاهرة وبواطن أحوالهم، فيكون القول حثا على الإنفاق فى سبيله ابتغاء وجهه وليس لغرض آخر.

ثم كان منه تعالى أن حث على الإنفاق فى سبيله بوصفه الإنفاق بالقرض يقرضه المنفق الله تعالى، ثم وصفه بأنه قرض حسن لبيان وجوب خلوص النية فيه لله تعالى، ثم زينه للناس ببيان أنه تعالى يضاعف للمنفق فى سبيله ما أنفق، وهو ما يكون فى صور متنوعة من النعم ثم يكون له به فى الآخرة أجر كريم مريض فى ذاته لكونه كريما من أكرم الأكرمين.

ثم يجيء قوله تعالى «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم» ظرفا للأجر الكريم فيكون المعنى أن المنفقين يعطون الأجر الكريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم. وفيه قيل إن المؤمنين والمؤمنات يؤتون نورهم بقدر أعمالهم

وهم يمرون على الصراط، يكون لهم نور من جهة الأمام ونور من جهة اليمين، والذي ذكر في النص أنه يرى هذا النور هو رسول الله ﷺ، وكل من تتأتى منه الرؤية .

وفي القول ذكر تعالى ما يفيد أنه يقال للمؤمنين والمؤمنات - بسبب إيمانهم - «بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها» بمعنى أنهم يشيرون بدخول الجنات التي تجري فيها الأنهار، وأنهم فيها يخلدون .

ثم يشير تعالى إلى ما ذكر أنه يكون للمؤمنين والمؤمنات من نور ومن تبشير بالجنة والخلود فيها، ويخبر عنه أنه هو الفوز العظيم . ويتصور في القول أن يكون من قول الملائكة للمؤمنين والمؤمنات لدى تبشيرهم بالجنة والخلود فيها .

يَوْمَ يَقُولُ

الْمُتَّقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُوا نَارَ النَّقِيسِ مِنْ نُورِكُمْ
قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ
بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم
أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ
وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَانِيَّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ
لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

التفسير:

جاء قوله تعالى «يوم يقول المنافقون والمنافقات» بدلا من «يوم ترى» فيكون القول مبينا

أنه فى ذلك اليوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أن ينتظروهم لكي يلحقوا بهم فيمكنون من الاستضاءة بنورهم أو بشيء منه، فيقول لهم المؤمنون «ارجعوا وراءكم» أى: «عودوا من حيث جئتم» ويبينون علة طلبهم بقولهم «فالتمسوا نورا» .

فيكون المعنى أن المؤمنين يرفضون انتظار المنافقين والمنافقات وأنهم يأمرونهم بالرجوع إلى حيث كانوا، وأنهم يستهزئون بهم إذ يطلبون منهم التماس النور مع معرفتهم أنه لا يكون لهم.

ثم يذكر تعالى أنه يضرب بحاجزين المؤمنين وبين المنافقين، يكون له باب، يكون جانبه المواجه للمؤمنين فيه الثواب والنعيم لوقوعه فى الجنة، ويكون جانبه من جهة المنافقين فيه العذاب لوقوعه فى النار.

ثم يخبر تعالى عن أن المنافقين يقولون للمؤمنين «ألم نكن معكم» وذلك لأنهم كانوا معهم على الظاهر بنفاقهم.

فيقول لهم المؤمنون «بلى» ثم يضيفون قولهم «لكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرركم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرركم بالله الغرور» .

فهم يقولون بأنهم كانوا معهم على الظاهر، ويخبرونهم أنهم أهلكوا أنفسهم بالنفاق، وتربصوا بالمؤمنين الدوائر وارتابوا فى أمر الدين وغرتهم الأمانى بأن يتكسب الإسلام ويقوا على هذا إلى أن جاءهم الموت، فكان أمرهم أن الشيطان غرر بهم.

ثم يذكر تعالى أن المؤمنين والمؤمنات يقولون للمنافقين إنه لا تؤخذ منهم فى ذلك اليوم فدية تقبل فيعفى عن تعذيبهم، كما لا يؤخذ ولا يقبل من الكافرين ذلك، فشانهم سواء .

كما يقولون لهم - بما أعلمهم ربهم - إن ماؤاهم هو النار وأنها التى تتولى أمورهم. ثم يذمونها بذكرهم أنه بشئ المصير هو النار التى وعدوها .



أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
 وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ
 عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾
 إِنَّ الْمُسِدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُ لَهُمْ
 وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّقُونَ
 وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّجْمِ ﴿١٩﴾

التفسير:

بدأ قوله تعالى - في الآيات - بمعاناة فئة من المؤمنين، قيل إنهم الذين أصابهم الفتور
 والتكاسل في أداء المندوب بعد أن وسع تعالى عليهم في الرزق. وقيل هو في فئة منهم دأبوا
 على المزاح فعبثوا على هذا، وقيل إنه في المنافقين، والذي نراه - والله أعلم - بقطع النظر
 عن سبب نزول الآية هو في كل من يؤدي الفريضة والواجب بحكم العادة ومن يستمع إلى
 القرآن لاهياً أو غير متدبر. فيكون القول موجهاً إلى كل امرئ من هؤلاء ومعناه «ألم يجيء بعد
 الوقت الذي تخشع فيه القلوب لذكر الله»، وذلك لأن المفترض - وفقاً للطبع السليم - أن
 يصل الأمر بالمؤمن إلى درجة خشوع القلب لله، يكون ذلك لدى ذكره الله تعالى في عبادة
 ولدى ذكره في حضرته، فكون منه السكون لانشغاله بربه وبجبه وخشيته وما يكون من أمره

معه فى آخرته، كما يكون منه هذا لدى قراءته القرآن وتلاوته ولدى سماعه يقرأ أو يتلى ترتيباً على السماع والإنصات والتدبر، فالقرآن العظيم هو ما نزل من الحق من الله الحق. ثم إنه تعالى كره عدم الخشوع لذكره تعالى للمؤمنين بذكره أن من لا يخشع قلبه لذكر الله وما نزل من الحق يكون مثل الذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وصفهم تعالى بأن الكثيرين منهم فاسقون. والمراد بهؤلاء هم بنو إسرائيل الذين أوتوا التوراة فلما مات موسى عليه السلام وامتد الزمن كان منهم الفريسيون والصدوقيون الذين تاجروا فى بيوت الله ولم يحفظوا لها حرمة ثم استعاضوا عن التوراة بالتلمود كتبوه بأيديهم ليوافق أهواءهم، فكانت قلوبهم التى مارست التجارة وقبلتها وباشرت الربا فى المعابد قاسية، وكانوا باتباعهم التلمود وطرحهم العمل بأحكام التوراة أكثرهم فاسقين. وهم النصارى الذين حين امتد بهم الزمان بعد رفع المسيح عليه السلام قالوا بألوهيته بعد أن كانوا مؤمنين بصفته فى الإنجيل «ابن الإنسان» ثم غيروا حكم الشريعة فأباحوا شرب الخمر وأكل الخنزير. ثم إنه لما كان عدم الخشوع لذكر الله هو مقدمة للاستهانة بأحكامه تعالى فقد نهى تعالى عنه وكره فيه.

ثم إنه تعالى فتح الباب أمام الذين تغافلوا عن الخشوع لله تعالى فكادت قلوبهم أن تموت بابتعادها عن الخشوع، وذلك بذكره معلماً أنه تعالى يحى الأرض بعد موتها، ثم بالتنبيه على علاقة هذا الإحياء المذكور بما أصاب قلوب الذين لم تخشع قلوبهم بقوله تعالى «قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون».

وبعد هذا جاء قوله تعالى «إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم» للحث على التصديق ابتغاء وجهه تعالى - على ما بين من وصف القرض بأنه قرض حسن - ولما كان هذا لا يكون إلا ممن خشع قلبه لذكر الله إذ يوافق فعله بتلبية الأمر باطن قلبه، فإن القول يكون متعلقاً بإظهار قيمة خشوع القلب لله. وفى القول حث تعالى على طاعته فى تنفيذ الأمر بذكره أنه يضاعف للمؤمنين والمؤمنات المنفقين فى الإحسان، وأنه يكون لهم منه تعالى أجر كريم بمعنى أنه مرض بذاته وأنهم به يرضون.

ثم إنه تعالى حدث عن المسلمين أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنهم الذين آمنوا بالله وبرسوله جميعهم دون غيرهم، أشار إليهم وأخبر عن درجاتهم فقال إنهم الصديقون والشهداء، أى أن منهم الصديقين ومنهم الشهداء، درجة الأولين فوق درجة التالين لهم ذكرا، ويبقى من لم يذكر من الصالحين، ويتصور فى القول أن يكون بمعنى أن منهم الصديقين وأن منهم من يشهدون على الأمم، أو من يتلو الشهادتين. فهذا هو مقام كل منهم عند ربه. ثم ذكر تعالى أنهم يكون لهم أجرهم ونورهم أى أجر الصديقين المعروف ونورهم المخبر عنه .

وبعد هذا فإنه تعالى أخبر عن جميع الكافرين الذين كذبوا بآياته تعالى فى عبارة موجزة أشار إليهم وأخبر أنهم أصحاب الجحيم .

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ
 وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
 أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَهُيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا
 وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ مُّغْرُورٌ ﴿٢٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى حال المؤمنين وحال الكافرين فى الآخرة، فإنه تعالى - فى الآية - أخبر عن حقيقة الحياة الدنيا التى ألهمت الكافرين عن آخرتهم، فنبه تعالى إلى أن ما يقوله من قبيل الحقيقة العلمية «اعلموا» والحقيقة التى أعلم بها هى أن الحياة الدنيا لا تعدو أن تكون لعبا ولهاوا يشغل أهلها عما فيه مصالحهم، وزينة يتزين بها إلى أجل قصير محدود، وتفاجر

بالأنساب، وتكاثر بالأموال وبالأولاد، وهذه أمور هي من الحقارة بحيث لا تشغل صاحب عقل حصيف فضلا عن أنها إلى زوال؛ ولهذا فإنه تعالى مثل للحياة الدنيا بجميع ما فيها من مباهج بمطر أعجب الزراع ما خرج به من الأرض من نبات. ثم بين تعالى أن مصير هذا النبات هو أن يجف فيراه كل وقد اصفر لونه من بعد نضرة، ثم يصبح هشيما متكسرا. فيكون القول قد شبه الكفار بالزراع، وبين أن ما يشغلهم في الدنيا هو إلى فناء، ولهذا جاء قوله تعالى «وفي الآخرة عذاب شديد» لبيان أنه يكون للكافرين الذين اهتموا بالدنيا عذاب شديد في الآخرة.

ثم جاء قوله تعالى «ومغفرة من الله ورضوان» لإثبات أنه تعالى قد يغفر لمن اهتم بالدنيا من المؤمنين فعله ويرضى عنه. وهذا بيان لرحمته تعالى وغلبتها غضبه. ثم بين تعالى بقوله «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» أنها تكون كذلك لمن اطمأن إليها فلم يعمل لآخرته، فأما إن كانت سببا لنيل رضوان الله كحال من كسب المال وأنفق في الطاعات، فإن متاعها ومالها يكون نعم المتاع.

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

التفسير:

يأمر تعالى المؤمنين - في الآية - بالمسارعة مسارعة المتسابقين في مضمار الجرى من أجل نيل مغفرته تعالى قبل الموت، ودخول جنة وصف تعالى عرضها بأنه يماثل عرض السماء والأرض مجتمعين فيما لو ألصق عرض إحدهما بعرض الأخرى، ثم بين تعالى أن هذه الجنة أعدت سلفا للذين آمنوا بالله ورسله، والمراد بهم الذين آمنوا بالرسول الذين بعث

بهم تعالى حتى زمانهم. ثم أشار تعالى إلى وعده هذا وأخبر عنه أنه فضل منه يتفضل به فيؤتيه من يشاء، ثم إنه أطمع الناس في الحصول عليه بالإخبار عن ذاته بأنه ذو الفضل العظيم.

مَا أَصَابَ
مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ
بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في الحث على الرضاء بقضائه وقدره، ذكر تعالى أنه ما من نائبة من النوائب، أو إصابة بالخير - باعتبار أن المصيبة هي كل ما يصاب به من خير أو من شر - تكون في الأرض، ومن النوائب في الأرض الجذب والتضحّر، ومن الخير خروج الزرع وازدهاره، أو تكون في أنفس الناس من مرض وغاية، أو صحة ومنزلة بين الناس، ما من شيء من هذه الأشياء إلا كان مثبتاً مكتوباً في اللوح المحفوظ أو في علمه تعالى من قبل وجوده وحدوثه.

ثم قال تعالى إن إثبات هذا في الكتاب لديه تعالى أمر عليه يسير.

ثم بين تعالى أن إعلامه الناس بهذا أريد به ألا يكون منهم الحزن إذا ما فاتهم كسب كانوا يتمنونه ولا يفرحوا بخير أصابهم الله به.

ثم جاء قوله تعالى «والله لا يحب كل مختال فخور» لبيان كراهة الفرح من جراء إصابة الخير يؤدي إلى التكبر والبطر.

ثم إنه تعالى لما بين أنه لا يحب المختال، وكان أكثر ما يبعث على الاختيال على الناس هو المال، وكان الحرص على تملكه يدفع إلى البخل فإنه تعالى بين أن المختال يبخل بماله عن الإنفاق في الصدقات ويأمر الناس بالبخل، يستحثهم على أن يكونوا مثله. وبين تعالى استغناءه عن إنفاق البخلاء بقوله «ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد» بمعنى أن من يعرض عن الإنفاق فإنه تعالى غنى عنه وعن إنفاقه، محمود في ذاته لا يضره إعراض المغرض عن الإنفاق.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ
يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

التفسير:

قد يكون قوله تعالى فيما نعتقد - والله أعلم - مرتبطا بذكره أنه الذي قدر الخير والشر، وأن تقديره تعالى أن يكون هناك الخير والشر هو لحكمة عليا تجعل في كل شر وجها للخير وإن لم يدركه العباد. دليل هذا أنه تعالى أثبت في الآية أنه أرسل رسله بالبينات - وهي الحجج الدالة على صدقهم، وأنه أنزل معهم - بمعنى بمجيئهم - جنس الكتاب المنزل من رب العالمين، وأنزل الميزان - قيل إنه الميزان الآلة المعروفة - وقيل إن المراد به هو العدل، كما ذكر أن الغاية من هذا هي أن يقوم الناس بالقسط.

والمعنى هو أن يتعاملوا بالعدل فيما بينهم، فلا يكون ظالم ولا مظلوم. وهذا من قبيل الخير المحض.

ثم ذكر تعالى أنه أنزل الحديد، والمراد بالقول أنه تعالى أوجده ومكن الإنسان من استخدامه، ثم ذكر تعالى أن من صفات الحديد أن فيه بأسا شديدا وذلك لأن آلات الحرب تصنع منه - على الغالب - والحرب - في ظاهرها - عذاب وشر.

ثم ذكر تعالى أن في الحديد منافع للناس إذ يصنعون منه آلات وأدوات يفيدون منها في معيشتهم في السلم. فيكون في الحديد شروخير.

ثم جاء قوله تعالى «وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب» مشيرا إلى أن من ينصر الله ورسله بالقتال في سبيله وإن لم يكن قد رأى الله وعاصر رسله مستخدما في قتاله الأسلحة المصنوعة من الحديد، يكون قد فعل خيرا واكتسب خيرا، وإن كان قد لجأ في سبيل هذا إلى الحديد الذي فيه عذاب شديد .

ثم جاء قوله تعالى «إن الله قوى عزيز» لإثبات أنه بقوته تعالى قد قوى المجاهدين في سبيله بالحديد وأنهم بهذا قد أعزوا دينه تعالى العزيز الذي لا يقهر .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهُتَدٍ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَيَّنَّا الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً
وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ
فَمَارَعَوْهَا حَتَّىٰ رَعَيْنَاهَا فَإِنَّا إِلَٰهِيْنَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٧٧﴾

أولاً : الأسماء :

الرهبانية : فى قوله تعالى «ورهبانية ابتدعوها» من «الرهب» وهو الخوف. فهى سلوك دفع إليه الخوف من الله أو من حاكم ظالم، أدى إلى الانعزال عن المجتمع والانشغال بالعبادة، ثم ابتدع فيه أنواع من المشاق مثل الامتناع عن المأكل والمشرب والنكاح، والعيش فى الكهوف والصوامع.

ثانياً : التفسير :

فصل تعالى قوله «لقد أرسلنا رسلنا» فذكر أنه أرسل نوحا وإبراهيم رسولين، وأنه حصر النبوة فى ذريتهما وأنزل كتبه على الأنبياء منهم واستحفظهم على كتبه، ثم ذكر تعالى أن من ذريتهما يكون مهتدون، ويكون أكثر الذرية فاسقين، خارجين عن طريق الله المستقيم .

ثم ذكر تعالى أنه أرسل بعد نوح وإبراهيم رسله واحدا بعد آخر إلى أن انتهى الإرسال - قبل إرسال محمد ﷺ - بإرسال عيسى ابن مريم عليه السلام، أثبت تعالى أنه آتاه الإنجيل، وأنه تعالى خلق فى قلوب الذين اتبعوا ما أرسل به وما علم بالحق مودة بين بعضهم والبعض وتراحم فيما بينهم. ثم جاء قوله تعالى «ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، فمارعوها حق رعايتها» وفيه قيل إن معناه هو أنهم ابتدعوا الرهبانية، وأنه تعالى لم يكتبها عليهم، وإنما كتب عليهم أن يبتغوا رضوان الله. ثم إنهم لما كانوا قد ألزموا أنفسهم بها تطوعا فوجبت عليهم. وكانوا قد أدخلوا بما ألزموا أنفسهم به فإنهم يكونون غير مراعين لها حق رعايتها، أو إنهم لم يراعوها حق رعايتها.

والذى نراه فى معنى القول - والله أعلم - أنه تعالى خلق فى قلوبهم الرهبانية، بمعنى أنه أوجد فيها الرهبة، فهم يخشون الله عقابه، ويخشون على دينهم فعل أباطرة الرومان الوثنيين، كما أنهم يرهبونهم، ولذلك فإنه تعالى كتب عليهم رهبانية العمل ابتغاء رضوان الله، وهى الفرار بدينهم بعيدا عن سلطان أباطرة الرومان الوثنيين، وهو ما كان فى العصر المسمى «عصر الاضطهاد» أو «عصر اضطهاد الكنيسة»، ثم كان منهم بعد ذلك أو ممن خلفهم الابتداع فيها بإحداث ما لم يكتبه الله عليهم، وبعدم ابتغاء رضوان الله، وهو ما كان باتخاذها وسيلة لتحقيق

مصالح دنيوية مثل إكبارهم وتعظيمهم في عيون الناس، والوصول إلى الزعامات الدينية التي تكسب الأموال والأملآك، فكان ذلك منهم ابتعادا عن رعايتها حق الرعاية .

ثم جاء قوله تعالى «فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» ليثبت أن الذين آمنوا بالإنجيل الذي أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام وبتعاليمه وعملوا بها قبل بعثة رسول الله ﷺ، والذين آمنوا له ﷺ منهم، لهم أجر إيمانهم هذا عنده تعالى، وليخبر أن أكثر الذين يقولون إنهم اتبعوا المسيح عيسى ابن مريم فاسقون، يدخل في هؤلاء الذين حرفوا الإنجيل وتعاليم المسيح عليه السلام وابتدعو في الرهبانية ما لم يكتبه الله عليهم - قبل بعثة رسول الله ﷺ - ويدخل فيهم الذين لم يؤمنوا له ﷺ بعد بعثته رسولا نبيا .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْثِرْكُمْ كَثَلَيْنِ
مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٢٨﴾ لَّا يَلْعَلْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَيْقَدُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

أولا : الأسماء :

الكفلان : في قوله تعالى «يؤثركم كفلين من رحمته»، مثنى «الكفل» وهو النصيب والحظ، وهو المثل والنظير .

ثانيا : التفسير :

ينادى تعالى الذين آمنوا، يتصور فيهم أن يكونوا هم الذين آمنوا بالإسلام من أهل الكتاب، ويتصور فيهم أن يكونوا المؤمنين من أمة رسول الله ﷺ، ثم أمرهم أن يتقوه بمعنى أن يتقوا عذابه وغضبه فلا يعصونه، وأن يؤمنوا لرسوله ﷺ بمعنى أن يثبتوا على الإيمان له. ثم وعدهم

جزاء على هذا أن يجعل لهم مثلين من الأجر على حسناتهم، يكون ذلك رحمة منه، لأنه ما من شيء هو واجب عليه تعالى. فإن كان الخطاب إلى أهل الكتاب الذين آمنوا لرسول الله ﷺ فإن الأجرين يكون لإيمانهم برسولهم الذي اتبعوه، ويكون الآخر لإيمانهم لرسول الله ﷺ. وإن كان الخطاب لأمة رسول الله ﷺ، فإن مضاعفة الأجر أو ثواب الحسنة تكون لعدم تفضيل الذين آمنوا من أهل الكتاب عليهم في الأجر.

كما ذكر تعالى أنه يجعل للمؤمنين المخاطبين بالقول نورا يمشون به، وهو النور الذي ثبت بقوله تعالى «يسعى نوزهم بين أيديهم وبأيمنهم» الذي يكون لهم يوم القيامة، وذكر تعالى أيضا أنه يغفر لهم ذنوبهم بحكم كونه الغفور الرحيم.

ثم جاء قوله تعالى «لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء» ويتصور فيه أن يكون متعلقا باليهود الذين حسدوا العرب على أن بعث الله رسولا من أبناء إسماعيل عليه السلام وليس من بنى إسرائيل.

ويتصور فيه أن يكون متعلقا بأهل الكتاب الذين آمنوا لرسول الله ﷺ، وفي القول جاءت «لا» في «لئلا» زائدة، فيكون المعنى هو «لأن يعلم» أو «ليعلم» والذي يعلمه تعالى أهل الكتاب هو أنه ليس بأيديهم أن يفضلوا غيرهم بأن تكون النبوة فيهم أو بأن يعطى الذين آمنوا منهم ضعف الثواب.

ثم أكد تعالى معنى أنه الذي يتفضل على من يشاء بما يشاء بقوله تعالى «وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء» أتبعه بتقرير واقع أنه إنما يتفضل بما يشاء من النعم على من يشاء بحكم كونه وحده ذا الفضل العظيم.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ
مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُنَّ إِلَّا الْآلِي وَلَدَنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ
الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ نُورٌ ٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ
مُرَّيْعُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْزَنُ رِقَبَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَّذِلَ لَكُمْ تَوَعُّظًا وَبَيِّنَاتٍ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ٣ مَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَتَنَاسَّزَا مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيًا ذَلِكَ لِنُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَنُفِذَ حُذُودَ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤

أولاً : الأسماء والأعلام :

التي تجادلُك في زوجها : الرأي الغالب في أمرها أنها ثعلبة بنت مالِك الخزرجية، وأن

زوجها الذى جادلت فيه رسول الله ﷺ هو أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت .

ثانيا : التفسير :

الآيات الأربع هى فى شأن «الظهار» - إذ كان الرجل فى الجاهلية يقول لامرأته «أنت على كظهر أمى» فتحرم عليه إلى الأبد لا يطؤها. بدأ قوله تعالى فى شأنه بمخاطبة رسوله ﷺ، فأعلمه أنه قد سمع قول المرأة التى راجعته القول فى شأن زوجها، والمشهور أنها ثعلبة بنت مالک قالت لرسول الله ﷺ إن زوجها قال لها «أنت على كظهر أمى» ثم أراد أن يجامعها فأبت إلى أن تسمع قول رسول الله ﷺ، ثم جادلت فى أمره رسول الله ﷺ مرات ومرات إلى أن نزلت الآية فأخبرها حكم الله. ويظهر القول أنها كانت تجادل فى أمر زوجها وهى تشتكى إلى الله فعله معها وسوء خلقه فى معاملتها. وزاد تعالى قوله «والله يسمع تحاوركما» وهو إعلام بمعلوم لأنه ما من شئ إلا وهو تعالى محيط بعلمه بحكم كونه السميع البصير الذى يسمع جميع المسموعات ويصير كل المبصرات .

ثم بين تعالى طبيعة «الظهار» قيل إيراد حكمه، فبين خطأ الذين يظاهرون من العرب من نسائهم. ويبدو أن لفظ «منكم» يشير إلى نفى «الظهار» فى العرب دون غيرهم من الشعوب. ثم بين أن «الظهار» ذاته خطأ يناقى الحقيقة لأن الزوجات لسن هن الأمهات، ثم بين أن الأمهات على الحقيقة هن اللاتى ولدن الأبناء، والمراد هو إثبات فساد الحكم بتحريم الزوجات قياسا على تحريم الأمهات. ثم أتبع تعالى هذا ببيان أن القول بالظهار هو مما ينكره الشرع والطبع السليم، فضلا عن كونه كذبا وباطلا «وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا». ثم فتح تعالى باب التوبة أمام من ظاهر من امرأته فى الإسلام فبين أنه - بالتوبة، أو بمشيئته تعالى - يعفو عن ذنب من لم يعد إلى الظهار ويعفوه له. فيكون معنى القول هو النهى عن الظهار.

وبعد هذا أورد تعالى حكم الظهار «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا» بين حكم من ظاهر من امرأته ثم أراد تدارك الأمر الذى اشتمل عليه قوله «ثم يعودون لما قالوا» وفيه قيل إن معناه هو العزم على الوطء. وحكمه هو أن يعتق رقبة قبل الجماع. ثم بين تعالى

طبيعة عتق الرقبة بقوله «ذلکم توقعظون به» فبين أنه كفارة ذنب، فيه جانب من العقوبة يزجر به ويردع، أو إنه عقوبة بكامله وليس من قبيل الإحسان الذى يثاب به ثم بين تعالى أن حكمه بالكفارة وأثره فى القضاء على رذيلة الظهار هو حكمه الناتج عن خبرته بطبيعة الناس وما يصدر عنهم من أعمال ، فجاء قوله تعالى «والله بما تعملون خبير» .

ثم أورد تعالى الكفارات البديلة بتقريره أن من لم يجد الرقبة ولا ثمنها، أو وجدها بأن كان مالكا لها إلا أنه شديد الحاجة إليها لخدمته، أو كان مالكا ثمنها إلا أنه يحتاجه لنفقاته، فإنه يكون عليه صوم شهرين متتابعين، فإن أفطرا أثناء صيامهما بغير عذر وجب عليه إعادة الصوم من البداية، وكذا لو طوى أمراته خلالهما.

ثم بين تعالى حكم من لم يستطع صيام شهرين متتابعين لسبب شرعى مثل الكبر أو المرض الذى لا يرجى زواله، وهو إطعام ستين مسكينا، وطعام الواحد منهم - على المتفق عليه - هو نصف صاع من بر، أو صاع من تمر، أو شعير ودقيق، أو تمليك ثمن ذلك. ويكون الإطعام بأن يغذى المكفر الستين وأن يعشيهم، أو بأن يغديهم مرتين أو يعشيهم مرتين بما يشبع من غير تحديد . وبعد هذا أشار تعالى إلى ما ذكر فى شأن «الظهار» وأحكامه وأخبر أن المراد بتعليم الناس أحكامه هو صحة إيمانهم بالله ورسوله، والعمل بشرائعه تعالى، ثم أشار إلى أحكام الظهار وبين مخبرا أنها حدوده التى يجب التزامها، وبين أن الذين يتعدونها ويطرحون العمل بها يكونون كافرين، ثم توعدهم تعالى بالعذاب الأليم جزاء على كفرهم .

إِنَّ الَّذِينَ

يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ رُبُّكَ أَكْثَرُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أُنْزِلَ
عَلَيْهِمُ الْبَيِّنَاتُ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥ يَوْمَ يُعَذِّبُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْتِهِمُ
بِمَا عَمِلُوا خِصَّةً اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦

التفسير:

بعد أن بين تعالى حكم الظهار وأظهر أنه من حدوده تعالى بمعنى أن كفرته محددة منه تعالى.

فإنه تعالى أخبر عن الذين يحادون الله ورسوله، وهم الذين يعادونهما ويشاقونهما فيما يحكمان به أو فيه.

فيكون من هذا الذين يستبدلون بأحكام الله أحكاما يشرعونها.

فذكر تعالى أنهم يخزون في الدنيا، شأن الذين حادوا الله ورسوله من الأمم السابقة.

ثم بين تعالى أنه أنزل في شأن هؤلاء السابقين آيات واضحة تدل على فعله تعالى فيهم بأفعالهم المذكورة ليتعبر بها.

ثم بين أنه يكون للذين يعادون الله ورسوله ويخالفون عن أحكامهما - في الآخرة - عذاب أليم.

وصفهم تعالى في القول بأنهم كافرون لبيان أن معاداته تعالى ورسوله هي كفرين يستوجب أشد العذاب.

ثم بين تعالى أن هذا العذاب الشديد يكون يوم البعث، حين يبعث الله الكافرين جميعهم وينبئهم بما عملوا من الكفر والمعاصي التي يعذبون بها.

ثم ذكر تعالى أن جميع عملهم قد أحصاه تعالى عليهم حين نسوا أنهم به يعذبون.

ثم جاء قوله تعالى «والله على كل شيء شهيد» لإثبات أن شيئاً ما من أعمال الخلق لا يغيب عنه، وأنه محاسب عباده بجميع أعمالهم.



الْمُرَرَّ

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ
 رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادُسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ
 إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ نَنبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا
 عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْرِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ
 حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ
 حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ إِلَيْهَا الرُّسُلَ ٨ ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمْ
 فَلَا تَنْتَجَبُوا بِالْإِثْرِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنْجَوا بِالْبِرِّ
 وَالْقَوَى وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٩ ۝ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ
 يَخْرُنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَرِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ١٠ ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في «النجوى» وهي «المسألة» بأن يتحدث اثنان أو أكثر في
 حضور آخرين قولاً أو بالإشارة المفهومة لهم ناجين بسرهم من أن يطلع عليه غيرهم. وحكم

النصوص عام ولو كان النزول بسبب تناجى اليهود والمنافقين دون المؤمنين مع التغامز بأعينهم عليهم.

بدأ تعالى بالتمهيد لبيان حكم «النجوى» بإثبات علمه تعالى بها تلميحا فى أول الأمر بذكره أنه يعلم كل شيء وكل حدث فى السماوات وفى الأرض، ثم صراحة بذكره أنه ما من ثلاثة يتناجون فيما بينهم إلا كان تعالى سامعا نجواهم حتى كأنه تعالى رابع الحاضرين، وما من خمسة يتناجون فيما بينهم إلا كان تعالى سامعا نجواهم حتى كأنه سادس الحاضرين، ثم أثبت تعالى أن هذا هو شأنه تعالى فى كل حال سواء أكان المتناجون أقل من ثلاثة - بمعنى أنهم اثنان - أو كانوا أكثر من خمسة إلى أى عدد. أثبت تعالى أنه يكون معهم سامعا نجواهم عالما بها فى أى مكان كانوا ولو كانوا فى أعماق الأرض أو البحر أو فى الفضاء . ثم أثبت تعالى أنه يعلم المتناجين بما كان منهم على الملأ يوم القيامة ليفضحهم به - إن كانت النجوى فى شر - وليعذبهم به مؤكدا ما سبق تقريره من أنه تعالى بكل شيء عليم.

ثم توجه تعالى بالخطاب إلى رسول الله ﷺ بقوله «ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه» وفيه جاء الاستفهام للتعجب من أمر المخبر عنهم وهم اليهود والمنافقون الذين كانوا يتناجون ويتغامزون على المسلمين فنهاهم رسول الله ﷺ عن هذا، ثم عادوا إليه ثانية، وفى القول أنبا تعالى رسوله ﷺ أنهم يتسارون فيما هو إثم فى حد ذاته يستوجب العقاب، كما أنهم يتسارون فى شأن معصية رسول الله ﷺ. وأخبره عن فعلهم معه ﷺ وهو أنهم إذا جاءوه حيوة بتحية غير تحية الإسلام، قيل إنهم دخلوا عليه ﷺ فقالوا «السام عليك» فرد عليهم ﷺ قائلا «وعليكم السام» - والسام هو الموت، من سأم الحياة - وأخبر تعالى أنهم يقولون فى أنفسهم «لولا يعذبنا الله بما نقول» بمعنى «إنه لو كان ﷺ نبيا لعذبنا الله بقولنا هذا». ثم إنه تعالى توعدهم بالعذاب «حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير» بذكره أن لهم جهنم - هى حسبهم - يدخلونها ويقاسون حرها، ثم ذمها ببيان أن بئس المصير مصير جهنم ٢٠

وبعد هذا توجه تعالى بالخطاب إلى المؤمنين فبين أن النجوى لا تكون حراما إلا إذا

كانت فى معصية، فقال إنه إذا كانت بينكم نجوى ومسارة فإنه يتعين ويتوجب ألا تكون فى أمر هوائى فى طبيعته، فيكون القول نهياً عن التناجى بالإثم، كما نهاهم عن أن تكون النجوى فى شأن معصية رسول الله ﷺ، ثم أمرهم بقصر نجواهم على ما فيه خير المؤمنين - وهو البر - وعلى تقوى الله ورسوله، ثم بين أن مخالفة نهيه وأمره تعالى تستوجب غضبه، فأمر المؤمنين أن يتقوا غضبه بالتزام نهيه وأمره مذكراً إياهم بأنهم إليه تعالى يحشرون للحساب.

ثم أخبر تعالى عن واقع التناجى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، فأثبت أنه من فعل الشيطان يزينه للناس قصد أن يحزن المؤمنين بإيهاهم أنهم يقعون فى مكروه، وبين أن قصد الشيطان لا يتحقق، لأنه ما من ضرر يصيب المرء إلا بمشيئته تعالى، وأتبع هذا بأمره المؤمنين بالتوكل عليه وعدم المبالاة بنجوى المنافقين، لأنه تعالى الذى يتوكل عليه المؤمنون.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّمُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
لِلَّهِ لَكُمْ وَادَّاعُوا أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى عن «النجوى» وهى من أسباب التنافر، فإنه تعالى - فى الآية - أخبر عن التفسح فى المجالس والتوسعة وهو من أسباب التواد، والمراد بالمجالس - فى القول - مجالس رسول الله ﷺ، كان قوم يبادرون إلى المعجى إليها للجلوس قرب رسول الله ﷺ، فإذا جاء آخرون بعدهم كرهوا أن يفسحوا لهم أماكن يجلسون فيها، فكان يأمرهم أن يفسحوا لإخوانهم أماكن قدر ما يستطيعون. ويأخذ حكم مجالس رسول الله ﷺ مجالس العلم، واتخاذ أماكن الصلاة فى الصفوف الأولى فى المساجد، وفى الروضة الشريفة فى مسجد رسول الله ﷺ.

خاطب تعالى المؤمنين، وأمرهم بأنهم إذا طلب منهم إفساح أماكن لإخوانهم في مجالس رسول الله ﷺ أن يكون منه إفساح الأماكن لهم، وحثهم على التزام أمره ببيان أنه تعالى يشيهم على هذا بأن يفسح لهم من رحمته. كما أمرهم بأنهم إذا أمرهم رسول الله ﷺ - أو المتحدث في مجلس العلم - أن ينهضوا للتوسعة على المقبلين أن ينهضوا ولا يتباطؤوا، وبين لهم أن هذه الاستجابة للطلب هي من الإيمان الذي يرفع به تعالى درجة المؤمن لديه، كما أخبر - في القول - أنه يرفع درجة المؤمن الذي أوتي العلم الشرعي درجات لديه تعالى. والقول يشير إلى أن العلم يدفع المؤمن العالم إلى المبادرة في تلبية الأمر بالنشور.

ثم جاء قوله تعالى «والله بما تعملون خبير» تهديدا لمن لا يمثل لأمره تعالى بمجازاته بعمله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
نَجَّيْتُ الرُّسُولَ فَقَدْ مُوَابِّينَ يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ
فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ
يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - عود إلى الحديث في أمر النجوى، وهو في هؤلاء الذين كانوا يحبون المناجاة مع رسول الله ﷺ، أمرهم تعالى إذا ما أرادوا هذا أن يسبقوا مناجاتهم بإعطاء الصدقات مستحقها، وفي هذا تعظيم لرسول الله ﷺ وتمييز بين المخلص في إيمانه وبين غير المخلص الذي يحب الدنيا ويحرص على متاعها. ثم بين تعالى أن تقديم هذه

الصدقات فيه خير للمتصدقين يثابتهم عليه، وللفقراء بالحصول على الصدقات، كما أن فيه تطهيراً لنفوس المتصدقين من حب الدنيا. وأتبع تعالى بالترخيص لمن لم يجد ما لا يتصدق به بعدم التصديق قبل مناجاة رسول الله ﷺ، وبين أنه تعالى يغفر له عدم أدائه الصدقات ويرحمه من المؤاخذه به .

ثم إنه لما أن كثيرين قد أحجموا عن أداء الصدقات قبل مناجاتهم رسول الله ﷺ فإنه تعالى لامهم على هذا وبين لهم خطأ اعتقادهم أنهم يفتقرون إذا ما أدوا هذه الصدقات، فأنكر عليهم خشية الفقر «أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات» ثم أخبرهم أنه إذا كان واقع ما كان منهم أنهم لم يقدموا هذه الصدقات، وكان تعالى قد تاب عليهم بأن رخص لهم بالمناجاة من غير تقديم الصدقات، بمعنى أنه تعالى نسخ هذا الحكم، فليكن منهم المثابرة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة المفروضة والتزام طاعة الله ورسوله، وأتبع تعالى هذا بذكره أنه خير بما يعملون ، لبيان أنه تعالى محاسبهم عما أمرهم به ومجازيهم به .

الْمُرَّ إِلَى

الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ١٥ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ١٦ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٧ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ
كَأَيِّحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٨

التفسير:

بدأ الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله ﷺ، والقول هو فى المنافقين، والاستفهام هو للتعجب من أمرهم ولاستنكار فعلهم، وفعلهم المتعجب منه والمنكر عليهم هو موالاتهم اليهود وصفهم تعالى بأنهم الذين غضب الله عليهم. ثم بين أن المنافقين ليسوا من المؤمنين كما أنهم ليسوا من اليهود الذين غضب الله عليهم.

ثم ذكر تعالى أنهم اعتادوا على أن يحلفوا على الكذب - وهم أنهم مؤمنون - عالمين حقيقة أمرهم أنهم كافرون فى قلوبهم. وقيل إن القول الكريم نزل فى قوم من المنافقين سبوا رسول الله ﷺ فى مجلسهم، فلما أنبأهم بهذا، حلفوا كذبا أنهم لم يفعلوا.

وقد أخبر تعالى أنه أعد لهؤلاء المنافقين عذابا شديدا بعملهم السىء الذى دأبوا عليه، ثم بين تعالى عملهم هذا بذكره أنهم اتخذوا من اليمين الفاجرة التى يحلفونها وقاية تحميهم وتمنع عنهم عقابهم بأفعالهم، وأنهم كانوا يصدون الناس عن الدخول فى الإسلام سبيل الله المستقيم، ثم إنه تعالى كرر توعدهم بالعذاب، وصفه بأنه يكون مهينا لهم ومذلا، قيل فيه هو عذاب القبر، وقيل هو عذاب الآخرة.

ثم أثبت تعالى أن شيئا مما ملكوا من أسباب القوة - ومنها الأموال والأولاد - لن يمنع عنهم عذاب الله الذى توعدهم به، ثم أشار إليهم وأخبر عنهم أنهم أصحاب النار وأنهم فيها يخلدون.

ثم بين أن هذا العذاب يكون مبدؤه يوم يعثهم الله من قبورهم جميعا، فيكون منهم أنهم يحلفون له على الكذب بقولهم «والله ربنا ما كنا مشركين» فيكون هذا منهم مثل حلفهم للمؤمنين فى الدنيا أنهم منهم، يحلفون له تعالى معتقدين أنهم بهذه اليمين الفاجرة يتمكنون من أن يحصلوا لأنفسهم على نفع هو عدم تعذيبهم، ثم بين تعالى فساد اعتقادهم هذا بتقريره أنهم هم الكاذبون، فيكون المعنى أنهم يعذبون بكفرهم لاتفعهم يمينهم الفاجرة.

أَسْتَوْدِعُهُمُ الشَّيْطَانَ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا
 إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَذَبَ اللَّهُ لَا غَلِبَ لَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

أولاً: الأسماء:

الأذليون: في قوله تعالى «أولئك في الأذلين» جمع، مفردة «الأذل» وهو أذل خلق الله من الأولين والآخرين.

ثانياً: التفسير:

ذكر تعالى السبب المباشر الذي أدى إلى نفاق المنافقين وحلفهم على الكذب فيمن أنه استحوذ الشيطان عليهم باستيلائه على قلوبهم وعقولهم، وبين أن هذا هو ما جعلهم ينسون ذكر الله في قلوبهم وهو كفيل بتجنيبهم الكفر والنفاق واليمين الفاجرة والعمل بالمعاصي. ثم أشار إليهم وأخبر أنهم حزب الشيطان بمعنى أنهم الذين اتبعوه والذين هم جنود له يضل بهم غيرهم، ثم أثبت أنهم بصفتهم هذه هم الجديرون أن يدعوا بالخاسرين، لأنهم خسروا النعيم المقيم واستبدلوا به العذاب الأليم.

ثم إنه تعالى أخبر أن الذين يشاققونه ورسوله - ومنهم المنافقون - يكونون من جملة أذل خلقه الأولين والآخرين، وأن هذا حكمه فيهم في الدنيا والآخرة، وبين علة هذا ببيان أنه قدر منذ الأزل أن يكون بعزته هو الغالب ورسله، فلزم أن يكون أعداؤه وأعداء رسله هم المغلوبين المعذبين وأكد تعالى المعنى المستفاد من هذا بالإخبار عن ذاته بأنه قوى عزيز، فهو قوى فوق كل من يرى بنفسه قوة من الأفراد والدول، قوى على نصر رسله والمؤمنين، وهو عزيز لا يغلب، ولا يغلب من يناصره.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ
حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

أولاً: الأسماء :

الروح : فى قوله تعالى « وأيدهم بروح منه » قيل هو نور القلب الذى يكون به اطمئنان
قلوب المؤمنين، وقيل هو القرآن وحججه، وقيل هو جبريل عليه السلام .

ثانياً: التفسير :

خاطب تعالى - فى الآية - رسوله ﷺ، والمراد هو إعلام جميع المؤمنين الحقيقة التى
يتضمنها القول، وهى أنه من المحال أن يجد رسول الله ﷺ أو أن يجد المؤمن قوماً مؤمنين
بالله وباليوم الآخر يوادون المشركين والذين عادوا الله ورسوله، والمراد بالقول والخبر فيه هو
النهى عن موالاة أعداء دين الله ورسوله. ثم جاءت المبالغة فى النهى ببيان أنه لا يمنع من
التزام النهى أن يكون المنهى عن موالاتهم من ذوى القرابة للمؤمنين، بدأ تعالى بذكر الآباء
لأن الأبناء مأمورون بطاعة آبائهم، ثم ثنى بذكر الأبناء لموقعهم من الحب فى قلوب الآباء، ثم
ذكر الإخوان لأنهم المناصرون، ثم ذكر العشيرة لأنه يعتمد على أفرادها فى الملمات .

ثم بين تعالى أن الفرق بين الذين يؤمنون بالله وباليوم الآخر وبين الذين يشاقون الله ورسوله
يمنع أن تكون من الأولين موالاة الآخرين، بأن أشار إلى المؤمنين بالله وباليوم الآخر، وأخبر
عنهم أنه تعالى كتب الإيمان فى قلوبهم فكان فيها ثابتاً، وأنه دعمهم بقوة منه سكنت
قلوبهم فاطمأنت بالإيمان. فيكون المستفاد هو انطواء قلوب الذين يحادون الله ورسوله على

الكفر وسيطرة الشيطان عليها. كما أخبر تعالى عن المؤمنين أنه يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار يخلدون فيها، وأنه تعالى أفاض عليهم بالنعم لرضائه عنهم وأنهم سعدوا وابتهجوا بما أنعم تعالى عليهم به، ثم أشار إليهم وأخبر عنهم أنهم حزية تعالى بمعنى أنهم جنوده وأتباعه، والقول تشريف لهم، فيكون القول مبينا للفرق بينهم وبين الذين حادوا الله ورسوله وهم حزب الشيطان، ثم جعل تعالى خاتمة القول هو الفصل في مصيرهم ببيان أنهم هم المفلحون، بمعنى أنهم الذين فازوا بخير الدنيا ونعيم ثواب الآخرة. فيكون القول مشيرا إلى الفرق بينهم وبين حزب الشيطان الذين قال تعالى فيهم إنهم هم الخاسرون.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① هُوَ الَّذِي
 أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ
 أَنْ يَخْرِجُوهُمْ ۚ وَأَنْتُمْ مَأْنَعُهُمْ ۚ فَصَوْنُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنْتُمْ مَأْنَعُهُمْ ۚ مِنَ
 حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ
 وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ② وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
 الْجَلَاحَ لَعَذَّبَهُمُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ③ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ④

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - الذين كفروا من أهل الكتاب: المراد بهم - فى معنى القول - هم بنو النضير، وهم قبيلة كبيرة من يهود خيبر من اللاويين من نسل هارون عليه السلام .

٢ - أول الحشر : المراد به هو حشر اليهود أو جميعهم فى فلسطين الذى يكون فى الدنيا، إلى أن يبعث الله عليهم عبادا له يسوؤون وجوههم ويدخلون عليهم بيت المقدس يتبرون ما علوا تتبيرا .

ثانياً : التفسير :

افتتح تعالى السورة بذكر أن جميع ما فى السماوات والأرض يسبح له تعالى تسبيح حال أو تسبيح مقال - على ما سبق بيانه - وأنه تعالى العزيز الغالب على أمره الذى يكون منه كل أمر بمقتضى حكمته .

ثم أخبر تعالى عن ذاته بأنه الذى أخرج يهود بنى النضير من ديارهم ومساكنهم فى جزيرة العرب التى عاشوا فيها من بعد أن بعث موسى عليه السلام أجدادهم فى مهمة تتعلق بقتال العماليق إلى الجزيرة فبقوا فيها وتناسلوا ولم يدخلوا فلسطين مع الذين دخلوها مع يوشع بن نون، فكان جلاؤهم عن جزيرة العرب وتوجههم إلى فلسطين هو الحشر الأول لهم فى فلسطين التى دخلها اليهود أفرادا وجماعات صغيرة من بعد إجلاء بنوخذ نصر إياهم عنها، ليكون الحشر الثانى لهم فيها هو اجتماعهم فيها كدولة قبل أن يقضى تعالى أمره المذكور فى سورة الإسراء وهو أن يبعث عليهم عبادا له يسوؤون وجوههم ويدخلون بيت المقدس عليهم فاتحين يهلكون الحرث والنسل - هذا فى رأينا والله أعلم - .

وقيل إن الحشر الآخر هو إجلاء عمر رضى الله عنه اليهود من خيبر إلى الشام، وقيل هو حشرهم قبل الساعة - كسائر الناس - من المشرق إلى المغرب .

ثم خاطب تعالى المؤمنين فأظهر لهم ما اعتقدوه وهو أنهم لا يخرجون - لشدة بأسهم - من بيوتهم ومديتهم، كما بين لهم أن بنى النضير أعداء الله اعتقدوا ذلك أيضا إذ ظنوا أن

حصونهم ترد المسلمين عنهم فلا يستطيعون إخراجهم منها. ثم بين تعالى أنه خيب أملهم بأن أتاهاهم الفزع الذي أدى إلى جلائهم عن الأرض والمسكن من حيث لم يخطر ببالهم، وهو مقتل رئيسهم كعب بن الأشرف.

فكان منه تعالى أن ألقى الخوف الشديد في قلوبهم، فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم حتى لا يفيد منها المسلمون - وهذه عادة رافقتهم إلى اليوم، يدل عليها تخريبهم المستعمرات التي عاشوا فيها فترة احتلالهم سيناء حين اضطروا إلى الجلاء عنها - كما خربوها بأيدي المسلمين الذين اقتحموا بيوتهم من الخارج.

ثم إنه لما كان السبب في هجوم المسلمين عليهم هو تحالفهم مع قريش على رسول الله والمؤمنين، ثم تأمرهم على رسول الله ﷺ ليقتلوه بالحيلة حين طلبوا منه أن يخرج لهم في ثلاثة من صحابته ويخرج منهم ثلاثة من علمائهم، فقد نسب تخريب بيوتهم بأيدي المؤمنين إليهم لكونهم المتسببين فيه.

ثم خاطب تعالى أصحاب الأبصار والبصائر بالاعتاظ من مآل هؤلاء الكافرين والاعتبار، فلا يكون توكلهم إلا عليه تعالى.

ثم بين تعالى أنه لولا أنه قدر أن يكون مصيرهم هو الإخراج من بيوتهم أو الاكتفاء بهذا، لكان قد قضى بتعذيبهم في الدنيا بالقتل والإهلاك.

ثم أخبر أن لهم في الآخرة عذاب النار، الذي هو أشد من القتل الذي لم ينلهم في الدنيا. وأعقب تعالى هذا ببيان علة تعذيبهم في الآخرة بالنار، فيبين أنه مشاقتهم الله ورسوله، وبين أن تعذيبه إياهم بالنار في الآخرة هو تطبيق لحكمه العام أن يكون لمن يعاديه تعالى أشد العقاب، على ما يستفاد من وصفه تعالى ذاته بأنه شديد العقاب.

وفي القول، قال تعالى «ومن يشاق الله» ولم يذكر رسوله ﷺ ليبان أن من يشاق الله يكون قد شاق رسوله.



مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ
 الْفَاسِقِينَ ٥ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ
 وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ
 دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا الْكُفْرُ إِلَّا عَنِ الرَّسُولِ فخذوه وما نهاكم
 عَنْهُ فَأْتُوهُ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧

أولاً : الأسماء :

١ - اللينة : فى قوله تعالى «ما قطعتم من لينة» هى النخلة، وقيل هى نوع من النخل
 يكون ثمره شديد الصفرة يشف عن نواه .

٢ - الدولة : فى قوله تعالى «كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» هو ما يتداول .

ثانياً : التفسير :

الخطاب فى مبتدئه للمؤمنين، أول الذين اقتحموا منهم على بنى النضير مساكنهم، يبين
 فيه تعالى أنه ما من فعل يأتى به الإنسان أو عمل يمتنع عنه إلا كان بإذنه تعالى، وتطبيق هذا أن
 ما كان من المؤمنين حين دخلوا مساكن بنى النضير من قطع نخلة أو تركها على حالها قائمة
 على أصولها إلا كان بإذنه تعالى، سواء أكان ذلك استجابة لأمر رسوله ﷺ أم كان من فعل
 أنفسهم بحسبانهم، ثم بين تعالى أن الأمر - على الحالين - أريد به خزى بنى النضير وصفهم

تعالى بأنهم الفاسقون، وبيان ذلك أنه إذا كان قطع النخلة، تحسر الفاسقون عليها وعلى زراعتها ورعايتها، وإذا كان تركها تحسروا على تركها قائمة على أصولها ليفيد منها المؤمنون بعد استيلائهم على الأرض بما فيها .

ثم إنه تعالى بين حكم ما أخذ من أموال بنى النضير، وصف ما أخذ بأنه فىء، ففرق بينه وبين الغنائم، ثم بين أنه ما أفاء به على رسوله ﷺ فأظهر اختصاص رسول الله ﷺ بأمر توزيعها - بلا قيد - وأنه ليس فيها تخميس شأن الغنائم، وهو ما أكدته تعالى بعد هذا بقوله فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب، بمعنى أنهم لم يحركوا فى سبيل الحصول عليه الخيل والإبل، شأن الغنائم التى يكون الحصول عليها بقتال، فيكون المعنى أن حكمه ليس هو حكم الغنائم، ثم أتبع تعالى هذا ببيان كيفية حصول المؤمنين على فىء بنى النضير، فبين أنه مما جرت به سنته تعالى من أن يسلط رسله على من يشاء من أعدائهم أعداء الله فينصرهم عليهم دون أن يقاسى أعوانهم أهوال الحرب. كذلك كان أمره تعالى إذ نصر رسوله على بنى النضير وأجلاهم عن مساكنهم دون أن يعانى المؤمنون أهوال الحرب، فلا يكون لهم فى الفىء حق .

ثم جاء قوله تعالى «والله على كل شىء قدير» مبينا أنه تعالى لا حدود لقدرته، ومن مظاهرها نصره رسله على أعدائهم بغير قتال أو بالخوف والفرع .

وبعد هذا أورد تعالى حكمه فى الفىء عموما - الذى استثنى منه فىء بنى النضير - فبين أن ما يحصل عليه رسول الله ﷺ من أهل القرى الكافرة بغير قتال وإيجاف خيل، يكون لجميع المسلمين لا يخمس، وقيل إن خمس الفىء يقسم بين المذكورين فى النص فيكون لله ورسوله سهم، ويكون لذوى قرباه ﷺ سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم ولأبناء السبيل سهم، ويتم صرف الأربعة الأخماس الباقية فى مصالح المؤمنين جميعا. ثم بين تعالى علة تقسيمه الفىء على النحو الذى ذكر وهو تجنب أن يختص به الأغنياء على نحو ما كان سائدا فى الجاهلية فيكون تداوله فيما بينهم لا يناله الفقراء .

ثم بين تعالى اختصاص رسول الله ﷺ بأمر توزيع الفىء فأوجب الانصياح لأمره فيه

بالممنوع أو بالمنع، فأمر المؤمنين أن يأخذوا راضين ما يعطيهم ﷺ من الفىء لأنه حق لهم، وأن يتنهوا عن أخذ ما لم يعطه إياهم ثم أمرهم بتقواه فبين أن التزام تقسيم رسول الله ﷺ فى الفىء هو من تقواه تعالى، وحذر من مخالفته أو عدم الرضاء به ببيان أن جزاءه هو العقاب منه تعالى بحكم كونه الشديد العقاب .

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٨ وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ
وَالْآيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ
حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ
فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ١٠

أولاً : الأسماء :

١ - الدار: المراد بها - فى معنى القول - هو المدينة المنورة، وقيل هو اسم علم لها .

٢ - الخصاصة : فى قوله تعالى «ولو كان بهم خصاصة» هى الحاجة التى تختل بها الحال، وهى الفاقة .

ثانياً: التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن حكمه في تقسيم الفىء أريد به ألا يكون تداول ماله بين الأغنياء، جاء قوله تعالى مينا أنه يكون للفقراء المذكورين، أو إنه جاء مينا ذوى القربى واليتامى والمساكين وأبناء السبيل، وذلك بيان أن الفىء يكون للفقراء المهاجرين الذين اضطهرهم كفار مكة إلى الخروج - وقيل إنهم كانوا مائة رجل - وصفهم تعالى بأنهم يتغفون فضلاً من ربهم ورضوانا، بمعنى أنهم خرجوا من ديارهم طالبين من الله رزقا فى الدنيا ورضاء منه فى الآخرة، كما وصفهم بأنهم ينصرون الله ورسوله، جاء القول فيه معطوفاً على «يتغفون» فيبين أنهم يتغفون نصر الله ورسوله. ثم أشار إليهم تعالى وأخبر عنهم أنهم الصادقون، بمعنى أنهم الصادقون فيما ادعوه من الإيمان .

ثم بين تعالى أن الفىء يكون أيضاً للذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - على ما يبين من عطف القول على «المهاجرين»، والمراد بهم الأنصار تبوءوا المدينة المنورة ونزلوها قبل أن يأتى المهاجرون إليها وآمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أن يأتىهم المهاجرون، وصفهم تعالى بأنهم يحبون المهاجرين الذى هاجروا إليهم، ولا يجدون فى نفوسهم احتياجا لما أعطى المهاجرون من الفىء ولا ضيقاً من هذا، كما أنهم يقدمون المهاجرين على أنفسهم فى كل شىء، يخصونهم بالخيرات قبل أنفسهم ولو كانوا فى حاجة ماسة إليها. ثم بين تعالى أنهم الذين وقاهم الله شح النفوس ولؤمها يؤدى إلى البخل «ومن يوق شح نفسه» وأنهم الفائزون بالخيرات والناجون من المكاره «فأولئك هم المفلحون» .

ثم بين تعالى أن الفىء يكون كذلك للذين هاجروا من بعد المهاجرين الأوائل من بعد ظهور الإسلام، وصفهم تعالى بأنهم يقدمون أخوة الإيمان على أخوة النسب، ويصفون المهاجرين الأوائل بأنهم الذين سبقوهم بالإيمان اعترافاً بفضلهم، وأنهم يستغفرون لهم مع أنفسهم «يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان»، وذكر أنهم يسألونه تعالى ألا يجعل فى قلوبهم حقداً على المؤمنين، متوسلين إليه بصفته: الرؤوف الرحيم ليستجيب لهم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
 لَخَرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ
 يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ
 قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارُ لَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ
 ۝ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
 لَا يَفْقَهُونَ ۝

أولاً : الأسماء والأعلام :

الذين نافقوا : قيل إنهم رهط من بنى عوف منهم عبد الله بن أبى ابن سلول، ووديعه بن مالك، وسويد، وداعس، بعثوا إلى بنى النضير يقولون لهم ما ورد ذكره بالآية ١١ من السورة .

ثانياً : التفسير :

الخطاب إلى رسول الله ﷺ، وموضوعه هو الإخبار بما جرى بين المنافقين وبين الكافرين من أهل الكتاب يهود بنى النضير، والمراد به هو التعجيب من أمر المنافقين على ما يبين من قوله تعالى «ألم تر إلى الذين نافقوا»، ثم إن فى الآية الأولى من الآيات ما يثبت أن القرآن العظيم منزل منه تعالى، لأن الآية نزلت قبل إجلاء بنى النضير عن مساكنهم .

وفى القول يذكر تعالى أن المنافقين قالوا لليهود بنى النضير إنهم إذا ما أخرجوا من ديارهم قسراً فإنهم يخرجون معهم ويذهبون معهم حيثما ذهبوا. وفى القول وصف تعالى يهود

بنى النصير بأنهم إخوان المنافقين لأنهم إخوة فى الكفر والصدقة. كما يذكر تعالى أن المنافقين قالوا لهم أيضا أنهم لا يطيعون فيهم أحدا أبدا وإنهم إن قوتلوا فإنهم ينصرونهم. ويتصور فى معنى قولهم إنهم لا يطيعون فيهم أحدا أبدا، أن يكون القول الذى لا يطيعونه هو قول رسول الله ﷺ أن يتركوا مناصرة بنى النصير، وهذا فرض لا يمكن تصوره إذ يكون عليه ﷺ حائذ قتالهم وليس دعوتهم إلى عدم المناصرة، فبقى أن يكون المقصود هو أن يأمرهم ﷺ بقتال بنى النصير - وهو المتصور - فيكون قول المنافقين هو أنهم لا يطيعون هذا القول. ثم أثبت تعالى كذب المنافقين فيما أخبروا به الكافرين من أهل الكتاب بقوله تعالى «والله يشهد إنهم لكاذبون».

ثم إنه تعالى فصل كذب المنافقين فى كل وعد وعده الكافرين من أهل الكتاب، فبين أنه إذا أخرج الكافرون من أهل الكتاب من ديارهم، فإن المنافقين لا يخرجون معهم - وهذا هو ما حدث من بعد - وأنه إذا قوتل الكافرون من أهل الكتاب فإن المنافقين لا يناصرونهم، ثم زاد تعالى على هذا بيانا فوق بيان فذكر أنه إذا ما حدث - على سبيل الفرض - أنه ناصر المنافقون كفار أهل الكتاب فإنه يكون منهم الفرار من القتال وتولية الأدبار، ولا يكون لهم ولا لمن ناصرهم نصر أبدا.

ثم بين تعالى علة عدم انتصار المنافقين بإظهار طبيعتهم إذ أنهم يخشون المؤمنين ويهربونهم أكثر من خشيتهم الله ورهبته، وبين علة ذلك فيهم وهى أنهم قوم لا يفقهون بمعنى أنهم لم يدركوا عظمة الله وقوته وقدرته، والتى ما كان للمؤمنين عزة إلا بها، مما مفاده وجوب خشيته.

لَا يَقْتُلُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ١٤ كَذَلِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرَّبًا دَأَوْا وَبَالَ
أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥

أولا : الأسماء والأعلام :

الذين من قبلهم : قيل إنهم قتلى يوم بدر من المشركين، وقيل هم يهود بنى قينقاع الذين غزاهم رسول الله ﷺ قبل أن يغزو بنى النضير، وقيل هم منافقو الأمم السابقة.

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى هو فى اليهود والمنافقين - وقيل هو فى اليهود فقط - بين تعالى أنهم لا يقاتلون - مجتمعين متفقين - المؤمنين إلا إذا كانوا فى قرى ذات تحصينات، أو كانوا متسترين بالحوائط والجدران، والمعنى أنهم يخشون المواجهة فى القتال لشدة جبنهم وخشيتهم المؤمنين. ثم بين تعالى أن سبب جبنهم هذا ليس ضعفا فيهم إذ أن بأسهم بينهم شديد، فهم إذا اقتتلوا كانت لهم قوة بين بعضهم والبعض، فيكون المعنى أنه تعالى الذى ألقى فى قلوبهم الرعب من المؤمنين .

ثم ذكر تعالى لرسوله ﷺ أن من يراهم فى قتالهم يحسبهم على رأى واحد وهدف واحد، حين أن الحقيقة على خلاف هذا، إذ أنهم مختلفون متفرقون بينهم إحن وعداوات، وعلّة هذا أنهم قوم بعدوا عن الحق فلم يعرفوه وهو وحده الذى يجمع القلوب .

ثم ذكر تعالى أنهم مثل الذين نافقوا والذين كفروا من قبلهم، مصيرهم يماثل مصيرهم وهو أنهم ذاقوا سوء عاقبة نفاقهم وكفرهم فى وقت قريب من عصيانهم بما أوقع الله بهم من عذاب الدنيا، مع إعداد عذاب الآخرة لهم وهو العذاب الأليم فيكون القول وعيدا للمنافقين والكافرين بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ
فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٌّ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَكَانَ
عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

التفسير:

بدأ تعالى القول في شأن المنافقين فيبين أن موقفهم مع الكافرين من أهل الكتاب هو موقف الشيطان مع الإنسان، فكما أن الشيطان زين للإنسان الكفر فكان فعله معه مثل أمره بالكفر، كذلك كان فعل المنافقين مع الكافرين من أهل الكتاب إذ وعدوهم بالمناصرة على المؤمنين، فكان وعدهم إياهم حافظاً لهم على معاداة المؤمنين وقتالهم.

ثم إنه لما كان شأن الشيطان مع الإنسان الذي يستجيب لإغوائه فيكفر بالله ورسله أنه يتبرأ من إغوائه ويذكر أنه يخاف الله رب العالمين اعتقاداً - بغير الحق - أن هذا ينجيهِ من العذاب فإن فعل المنافقين إذ يتصلون من وعدهم الكفار بالمناصرة ويتقاعسون عنهم ظناً منهم أن هذا ينجيهم من عذاب الدنيا والآخرة، فإن فعلهم هذا يكون مماثلاً لفعل الشيطان مع الذين أغواهم بالكفر.

ثم بين تعالى أن عاقبة أمر الشيطان والذين أغواهم بالكفر هي دخولهم النار وخلودهم فيها، فيكون المستفاد من القول هو أن الخلود في النار هو عاقبة المنافقين والكافرين من أهل الكتاب. ثم بين تعالى أن الخلود في النار هو عاقبة أمر الظالمين عموماً، ومنهم المنافقون والكافرون من أهل الكتاب.

يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ

أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين وأمرهم بتقواه فى أعمالهم التى يعملون وقيما يتركون عمله، ثم نصح كل نفس منهم أن تراقب أعمالها وأن تحاسب ذاتها قبل أن يحاسبها الله قصد تقديم الخير الذى تثاب عليه فى الآخرة؛ وصيغت بأنها «الغد» لبيان قربها زمنا من الدنيا، ثم أعاد تعالى أمره المؤمنين بتقواه لبيان أهميته، وأتبع ذلك بذكره إنه خير بما يعملون تحذيرا لهم من معاقبتهم على ترك تقواه بمحاسبتهم على كل عمل لم ينطو على تقواه.

ثم إنه تعالى نهاهم عن أن يماثلوا الذين نسوه تعالى بمعنى أنهم نسوا أنه الخالق الذى له حقوق على مخلوقاته يتعين أدائها، وأنه الذى إليه المرجع للحساب بما يستوجب التزام أوامره ونواهيه وعدم عصيانه. جاء ذكر هؤلاء عاما يسع الذين نسوه تعالى من أهل الأمم السابقة والذين نسوه من معاصرى رسول الله ﷺ، وفى القول بين تعالى أنه بسبب نسيان هؤلاء ربهم فإنه تعالى أنساهم أنفسهم فلم يعملوا لخيرها وبقوا على ما هم عليه من الضلال، ثم أشار تعالى إلى هؤلاء الذين نهى عن التمثل بهم وأخير عنهم أنهم هم الفاسقون.

ثم كان منه تعالى - بعد ذكره المؤمنين المتقين وذكره الذين نسوه تعالى - أن بين انعدام تساوى الحال بين الفريقين بذكره أنه لا يستوى أصحاب النار الذين نسوه تعالى وأصحاب الجنة الذين آمنوا واتقوا، ثم بين أن عدم تساوى الحال يتمثل فى أن أصحاب الجنة هم الفائزون، فيكون المعنى أن أصحاب النار هم الخاسرون.

لَوْ أُنْزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ رُخْشَعًا مُّتَصِّدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان عظمة القرآن العظيم - بما تضمنه - فى ذاته - وبحكم كونه كلام الله تعالى، وهو فى بيان مدى قسوة قلوب الذين لا تخشع قلوبهم له. فمفاد قوله تعالى - الذى جاء منظوياً على تمثيل وتخيل - أنه لو كان تعالى قد أنزل القرآن المشار إليه على جبل عظيم ذى قوة وصلابة لخشع الجبل وتصدع مما فى القرآن من الزواجر، فيكون المعنى هو أن قلوب الذين لا يتأثرون بالقرآن أشد قسوة وصلابة من الجبل. ثم أتبع تعالى هذا بأن بين أن ضربه الأمثال للناس فى القرآن ومنها هذا المثل أريد به إدراكهم معانى النصوص وتدبرها، وأن ضرب الأمثال يؤدي إلى هذا بالفعل .

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُبِينُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى ذاته المقدسة، أخبر عن ذاته بأنه لا إله إلا هو، نفى الألوهية عن غيره بعد أن أثبت لها ذاته - وهذه هى عقيدة التوحيد - ثم ذكر من صفاته أنه عالم الغيب المطلق الذى لم يطلع عليه ولم يعرف به مخلوق، وعالم الشهادة وهى كل ما يشاهده أحد من خلقه، ثم أخبر عن ذاته بأنه الرحمن الرحيم يرحم فى الدنيا ويرحم فى الآخرة رحمة تليق

بذاته لاتماثلها رحمة مخلوق أو عبد من عباده. ثم كرر تعالى قوله إنه هو الله، بمعنى أنه وحده هو الله، وأن الله واحد، وذلك لبيان أهمية عقيدة التوحيد، ثم نفى الألوهية عن غيره رغم كونها مفهومة من القول.

ثم أخبر عن ذاته بأنه الملك، بمعنى أنه الذى يملك جميع الخلق ما كان منه ذا حياة وما كان من الجمادات وأنه المتصرف فيه، وأخبر أنه القدوس، بمعنى أنه المنزه بذاته عن كل نقص، والذى له الكمال وحده، وأنه السلام، بمعنى أنه السليم من كل آفة وعيب، والذى يسلم على أوليائه فيسلمون. وأنه المؤمن، أى المصدق نفسه والمصدق رسله فيما بلغوه عنه، وأنه المهيمن، الذى هيمن على جميع الخلق بالمراقبة وبالحفظ، فكان الخلق بانطوائه تحت سلطانه فى أمان. وأنه العزيز الغالب على أمره. وأنه الجبار، الذى أجبر خلقه على الانصياع إلى مشيئته تجرى عليهم قسرا. وأنه المتكبر، الذى له وحده الكبرياء والعظمة.

وبعد هذا فإنه تعالى نزه ذاته عن شرك المشركين، وعن قولهم فيه بجهلهم وضلالهم، بقوله تعالى «سبحان الله عما يشركون» .

ثم إنه تعالى كرر الإخبار عن ذاته بأنه الله، والمعنى أنه وحده هو الله، ليس له شريك فى الألوهية.

ثم ذكر من صفاته أنه الخالق، بمعنى أنه الذى أوجد كل ما هو مخلوق فى السماوات وفى الأرض، وأنه البارى، بمعنى أنه الذى أنشأ واخترع كل ما خلق من العدم، وأنه المصور الذى أوجد لكل مخلوق صورة وهيئة يكون عليها.

ثم بين تعالى أنه له وحده الأسماء الدالة على محاسن المعانى، وأخبر عن واقع أنه ما من موجود من الموجودات فى السماوات أو فى الأرض إلا وهو مسبح لله بلسان الحال أو بلسان المقال. كما أخبر عن ذاته بأنه العزيز الحكيم الذى سبحته المخلوقات لعزته وقدرته، ودانت له على النحو الذى اقتضت حكمته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِقُوتٍ إِلَيْهِمْ
بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ
أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَلِئْغَاءِ
مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ
وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ① إِنْ يَتَقَفُواكُمْ يَكُونُوا كَكُمْ
أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا أَنْ يَكْفُرُونَ
② لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أُولَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ③

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في النهي عن موالاته الكافرين، وفي بيان أسباب النهي،
وبيان جزاء عدم الانتهاء عما نهى تعالى عنه - قيل في أسباب النزول هو ما كان من حاطب
ابن أبي بلتعة من مخاطبة مشركي مكة وإخبارهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، وقد كشف عن
هذا إرساله ﷺ علياً كرم الله وجهه والزيبر والمقداد إلى روضة عينها لهم، أخبرهم أنهم
يجدون فيها امرأة معها كتاب، وأمرهم أن يأخذوه منها ويحضره إليه، فكان منهم تنفيذ أمره
ﷺ، فلما عرضوا عليه الكتاب تبين أنه من حاطب، فسأله عنه رسول الله ﷺ، فاعتذر بأنه

وارد على قریش وليس منها، وأنه يخشى على أهله الذين تركهم فيها فاصطنع معهم يدا تحمى أهله مثبتا إيمانه وعدم ارتداده وقد سأل عمر رضى الله عنه رسول الله أن يتركه يضرب عنقه، فقال له ﷺ «إنه شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم» فنزلت الآية .

وفى القول خاطب تعالى المؤمنين ناهيا أن يتخذوا عدوه تعالى الذى هو عدو المؤمنين أولياء، وفى نسبة العدو - والمراد به المشركون - إليه تعالى بيان لجسامة خطأ الذين يتخذونهم أولياء، وإشارة إلى التعذيب بموالاتهم. ثم فسر تعالى هذه الموالة المنهى عنها فبين أنها الإفضاء إليهم بالمودة - ومنها إرسال أخبار رسول الله ﷺ إليهم - ثم بين حال أعدائه تعالى المنهى عن موالاتهم وهى كفرهم بما جاء المؤمنين من الحق فى القرآن العظيم وعلى لسان رسوله ﷺ. ثم ذكر سوء فعال أعدائه المنهى عن موالاتهم فأخبر أنهم اضطروا رسول الله ﷺ واضطروهم إلى الخروج من مكة بسبب إيمانهم بالله ربهم، ثم إنه تعالى استشار حمية المؤمنين وأهاجها لالتزام نهيهِ بقوله لهم «إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى» لأنه ما من أحد منهم إلا وهو يريد أن يثبت أنه خرج من مكة جهادا فى سبيل الله وابتغاء مرضاته. ثم إنه تعالى عاد إلى استئناف بيان كيفية موالة الكافرين من قبل المؤمنين فأخبر أن من يفعل هذا من المؤمنين يلقى إليهم خفية وسرا أنه يوادهم، أو يفعل أفعال المودة فى السر، وبين تعالى أن إسرار المؤمنين بمودة المشركين لا يخفى عليه بحكم أنه الأعلم بما يخفون وما يعلنون.

ثم أتبع تعالى هذا بتوعده من يسر إلى المشركين بالمودة بالعذاب، يستفاد هذا بتقريره تعالى أن من يفعل هذا يكون قد ضل الطريق المستوى الموصل إلى الحق، فيكون قد ضل عنه بفعله فاستوجب العقاب .

ثم إنه تعالى بين علة نهيهِ عن موالة أعدائه المؤمنين، فأعلم المؤمنين أن أعداءه وأعداءهم إذا تحقق لهم الظن بالمؤمنين، فإنه يكون منهم فعل العدو يسىء إلى عدوه ويضره - تمتد أيديهم إليهم بالقتل والجرح والضرب والأسر، وتنطلق ألسنتهم فيهم سبا

وشتما بكل ما يسيئهم، مستهدفين من هذا أن يعود المؤمنون الأحياء إلى الكفر الذي أراده الكافرون لهم من مبدأ الحال قبل أن يؤمنوا.

وبعد هذا فإنه تعالى بين للمؤمنين أن صيانة الأرحام والأولاد إذا كانت هي دافعهم على موالة المشركين وموالاتهم، بالخوف من أن يصيبهم من المشركين مكروه فإن أخدا من ذوى الأرحام والأولاد لن ينفع من والى المشركين وأسر إليهم بالمودة - حرصا عليه وخوفا - يوم القيامة الذى فيه يفصل الله بين الآباء والأبناء، وبين ذوى الأرحام عموما بين بعضهم والبعض، على ما جاء بقوله تعالى «يوم يفر المرء من أخيه»، وأتبع هذا بقوله تعالى «والله بما تعملون بصير» لبيان أنه تعالى يعلم ما يكون منهم من إلقاء المودة للكافرين فى السر، وأنه معاقب به فى الآخرة عقاب الضالين.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمْ إِبْرَاءُ أَوْ أَمْنُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۚ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُشْفِقَنَّ لَكَ
وَمَا أُمِلُّكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْرِقْنَا رَبَّنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ
كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ تَوَلَّى فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝

أولاً: الأسماء:

١- الأسوة: في قوله تعالى «قد كانت لكم أسوة حسنة» هي الخصلة التي من حقها أن يؤنس بها ويقتدى.

٢- البراء: في قوله تعالى «إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم» جمع مفردة البرىء. وهو من خلص من أمر يتعلق به.

ثانياً: التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين الذين نهاهم عن موالة الكافرين وأعلمهم أنه لهم في إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفي الذين آمنوا له فكانوا معه القدوة الحسنة والخصلة التي يؤنس بها، هذه القدوة هي تبرؤهم من أهلهم ومما كانوا يعبدون من دون الله من أصنام وأجرام سماوية، وتصريحهم لهم بهذا القول، وقولهم لهم إنهم كفروا بهم أهلاً لهم وبمعبوداتهم آلهة، وذكرهم لهم أن دأبهم معهم أن يكونوا أعداء لهم يضمنون لهم العداوة والبغضاء ماداموا على شركهم بالله، لا ينتهي منهم هذا إلا إذا آمنوا بالله ووجدوه. فيكون القول مبيناً أن الحب يجب أن يكون في الله، وأن البغض يكون له. ثم إنه تعالى استثنى مما يقتدى به مما كان من إبراهيم عليه الصلاة والسلام قوله لأبيه «لأستغفرن لك».. فيكون المعنى أنه تعالى نهى المؤمنين عن أن يستغفروا ربهم لأبائهم المشركين، وألا يتمثلوا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين استغفر لأبيه المشرك، وقد تكون علة استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه أنه كان على موعدة منه. وفي القول بين تعالى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لأبيه إنه لا يملك له من الله من شيء، بمعنى أن استغفاره له لا يفيد ولا يدفع عنه شيئاً من عذاب الله إذا ما أشرك به. ثم جاء قوله تعالى «ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير» ويتصور فيه أن يكون قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه، ويتصور أن يكون قوله تعالى الذي يعلم المؤمنين أن يقولوه. ومعناه هو أن يتبرؤا من الكفار وأن يتوكلوا عليه تعالى ويرجعوا إليه بالقلوب وبالقول بالأسنة.

ثم إنه تعالى كرر قوله للمؤمنين قوله إنه كان لهم في إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين

آمنوا معه - وقيل هو وجميع الأنبياء - الأسوة الحسنة في تبرؤهم من أهلهم الكافرين، والمراد من تكرار القول هو تأكيد المعنى وأهميته.

وبين تعالى أن الذين يقتدون بإبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه في التبرؤ من الكافرين هم الذين لهم أن يأملوا في ثواب الله وفي نعيم الآخرة. ثم أتبع تعالى هذا بذكره أن من يتولى عن الإسلام ويعرض فإنه تعالى في غنى عن إيمانهم به وعبادته بحكم أنه المحمود بذاته بغير حاجة إلى عبادة عابد.

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ
قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥ لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٦ إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٧

التفسير:

لما كان منه تعالى العلم بكل شيء، فإنه علم أن المؤمنين - بحكم الجبلة البشرية - سيئهم أن تكون بينهم وبين ذوى قرباهم، وإن كانوا لم يعصوا الله أمره في قطع مودتهم وفي معاداتهم.

ولهذا فإنه تعالى طيب قلوب المؤمنين بأن أملهم أن يجعل بينهم وبين الذين عادوا من

ذوى قرباهم مودة وذلك بإيمان هؤلاء الكافرين ودخولهم الإسلام، وقد تحقق هذا بعد أن فتح رسول الله ﷺ مكة فأسلم أقوام المؤمنين وعاد التصافى والتواد بينهم.

وقد قرن تعالى تطييبه قلوب المؤمنين بما يشبه الوعد بقوله لهم «والله قدير» لأن مفساد القول أنه تعالى قادر على أن يجعل الكافرين أقارب المؤمنين يؤمنون فتعود بينهم المودة.

وأ تبع تعالى هذا بالإخبار عن ذاته بأنه غفور ليبيان أنه إن يشأ يغفر لمن وإلى منهم الكافرين ما كان منه.

وبعد هذا فإنه تعالى فصل نهية المؤمنين عن البر بالکافرين، ببيان الصنف من الكافرين الذين لم يشملهم النهى - فى مقام أول - أتبعه بذكر الذين شملهم - فى مقام ثان - فبين تعالى أنه لم ي نه عن البر بالذين لم يقاتلوا المؤمنين بسبب الدين، ولم يضطروهم إلى الخروج من ديارهم مهاجرين من مكة بالفعل أو بالتحالف على هذا، كما بين أنه تعالى لم ي نه عن العدل معهم، وحث على هذا ببيان أنه يحب العادلين. وقيل إن حكم الآية قد نسخ بقوله تعالى «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم»، وقيل إن الحكم دام بدوام الصلح، فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي النص.

وقيل إن حكم النص خاص بمن كان بينه وبين رسول الله ﷺ حلف لم ينقضه، كما قيل إنه خاص بالنساء والصبيان لأنهم ممن لا يقاتلون.

ثم إنه فى شأن الذين نهى عن موالاتهم وعن البر بهم ذكر الذين قاتلوا المؤمنين على دينهم والذين أخرجوهم من ديارهم - وهم رؤساء الكفر فى مكة - والذين عاونوا على إخراجهم من مكة وهم سائر مشركى مكة، وبين تعالى أنه نهى عن توليهم أو موالاتهم بمعنى اتخاذهم أولياء وأنصارا، ولم يقل إنه نهى عن البر بهم. ثم إنه تعالى تهدد من يخالف عن نهيه هذا - بأن يستبدل بمعاودة هؤلاء موالاتهم - بالعذاب، بوصفه بالظلم، إذ يكون قد ظلم نفسه بتعريضها للعذاب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
 مَهْجَرَاتٍ فَأَمْحَوْنَهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
 تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا
 وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ نِكَحُوهُنَّ إِذَا أَيْمَنُوا مِنْ أَجْوَرِهِنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِهِمْ
 الْكُفَّارِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُواذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

أولاً : الأسماء :

١ - العصم : في قوله تعالى «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» جمع، مفردة «العصمة» وهي ما يعتصم به من عقد وسبب .

٢ - الكوافر : جمع، مفردة «الكافرة» وهي الوثنية، لاستثناء الكتابيات بالنص .

ثانياً : التفسير :

خاطب تعالى المؤمنين في شأن النساء اللاتي يأتين مهاجرات من مكة إلى المدينة مؤمنات بقولهن وبحسب الظاهر من فعالهن. فأمر المؤمنين أن يختبروهن قصد تبيين حقيقة أمرهن من الإيمان، وما إذا كن قد خرجن حبا لله ورسوله أم لغرض دثوى مثل استبدال أرض بأرض أو كراهة لزوج ييغضنه، ثم بين تعالى للمؤمنين أنه أعلم منهم بحقيقة أمر كل واحدة منهن. وبعد هذا فإنه تعالى أمر المؤمنين بأنه إذا ما اقتنعوا من اختبار المهاجرات واعتقدوا أنهم مؤمنات على الحقيقة، ألا يكون منهم إعادتهن للكافرين، وبين علة هذا بذكره أنه يترتب على إيمان إحداهن زوال نكاحها من زوجها الكافر بحكم النص، ولهذا فإنه لا يكون

جائزا شرعا إعادتها إليه. ثم أمر تعالى المؤمنين أن يؤدوا إلى أزواج المؤمنات المهاجرات اللاتي زال نكاحهن بإيمانهن ما دفعوا إليهن من المهور. قيل إن المأمور به واجب، وقيل هو مندوب إليه. ثم بين تعالى للمؤمنين أنه مباح لهم نكاح هؤلاء المؤمنات المهاجرات على أن تدفع لهن مهورهن، لا يعفى من هذا سبق دفع المهور التي دفعت فيهن من قبل إلى أزواجهن السابقين.

ثم جاء أمره تعالى المؤمنين بعدم الإمساك بعقود نكاحهم الكافرات الوثنيات اللاتي بقين في دار الكفر، فالقول نهى عن الإبقاء بعلقة بين المؤمن في المدينة وبين امرأته الكافرة في مكة. والراجع أن الزوج - بهذا النص - يكون قد برئ منها فلا تكون لها عدة عليه، بمعنى أنه يستطيع الزواج بخامسة دون أن ينتظر انتهاء عدتها. وأتبع تعالى هذا بأمره المؤمنين أن يطلبوا من الكفار أن يؤدوا إليهم ما دفعوا من مهور لنسائهم اللاتي لحقن بالكفار، وإثباته أن للكافرين أن يطلبوا مثل هذا من المؤمنين. ثم أشار تعالى إلى أحكامه هذه، وأخبر عنها أنها حكمه تعالى الواجب الاتباع وأتبعه بذكر أنه العليم الحكيم، للإعلام بأنها الموافقة طبيعة الناس التي هو تعالى أعلم بها، وأنه تعالى شرعها بموجب حكمته فهي التي يتحقق بها النفع والمصلحة.

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ
فَعَاقِبْتُمْ فَانْكَحُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

التفسير:

الخطاب لا يزال منه تعالى للمؤمنين، وهو في تطبيق حكم قوله تعالى «واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا» بمعنى أنه في كيفية تطبيق حكمه تعالى بأن يعطى الذين فارقتم

زوجاتهم ما دفعوا إليهن من مهور من فريقى المؤمنين والكافرين. ومعنى القول أنه إذا تركتكم إحدى زوجاتكم وتوجهت إلى الكفار، أو إذا فاتكم شيء من مهور زوجاتكم اللاتى تركنكم وتوجهن إلى الكفار، وجاءت عليكم النوبة فى أداء مهور اللاتى تركن الكفار من نسائهم المؤمنات وجئن إليكم، فليكن منكم إعطاء الذين تركتهم نساؤهم منكم وتوجهن إلى الكفار مما استحق عليكم أدائه من مهور نسائهم اللاتى جئن إليكم.

فيكون معنى «فعاقيتم» هو «فعمقتم»، وقيل إن معنى «فعاقيتم» هو «فغنمتم» وأنه كان يعطى الذين فاتتهم نساؤهم إلى الكفار ما دفعوا فيهن من مهور قبل تقسيم الفىء.

وقيل إن اللاتى تركن المؤمنات وتوجهوا إلى الكفار كن من نساء هذين: أم الحكم بنت أبى سفيان، وفاطمة بنت أبى أمية بن المغيرة، أخت أم سلمة، ويروع بنت عقبة، وغبرة بنت عبد العزى، وأم كلثوم بنت جزل، وشبهة بنت غيلان. ثم إنه تعالى أمر المؤمنين بتقواه، تكون بالتزام ما أمر به، وذلك لتلازم الإيمان والتقوى.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ
يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا
يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْكُلْنَ بِمَهْتَنٍ يَقَرِّبْنَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ
وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾

التفسير:

قيل إن النساء جئن رسول الله ﷺ مبايعات حين فتح مكة، فكان يؤخذ عليهن ألا يشركن،

وقيل إنه كانت المؤمنات المهاجرات إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقوله تعالى في الآية.

والخطاب - في الآية - هو إلى رسول الله ﷺ، يقول له ربه إذا جاءك المؤمنات قاصدات مبايعتك على ألا يشركن بعبادة الله أحدا أو شيئا، وألا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن من إملاق، أو بإجهاض الأجنة بعد أن تدب فيها الروح، ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن، وفيه قيل إنه الادعاء كذبا وبهتاناً على أحد الرجال بأنه والد من تضعه بعد حملها. وفي تفسير ذلك قيل إن المولود يسقط بين يدي أمه ورجليها، وقيل لأن البطن التي تحمل تكون بين اليدين، وأن الفرج الذي يخرج منه المولود يكون بين الرجلين. وقد يكون ذكر اليدين والرجلين كناية عن الذات، لأن معظم الأفعال تتم بالأيدي والأرجل. ومما عليه المبايعات من المؤمنات ألا يعصين رسول الله ﷺ في معروف، وفيه قيل إنه ألا يخمشن وجوههن ولا يشققن جيوبهن ولا ينشرن شعورهن ولا يحدثن من الرجال غير ذوى المحارم. وجواب الشرط في القول هو ما أمر به تعالى رسوله أن يكون منه إذا جاءه المؤمنات يبאיعهن على ما سبق ذكره، وهو أن يبأيعهن بأن يضمن لهن - بأمر الله - الثواب على الوفاء بما بايعن عليه، وأن يزيد على هذا استغفاره لهن الله. ثم إنه تعالى وعد بالغفران لهن والرحمة إذا وفين بما عاهدن عليه، بذكره أنه غفور رحيم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا قَوْمًا غَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ
الْقُبُورِ ﴿١٢﴾

أولاً: الأسماء:

القوم الذين غضب الله عليهم: في قوله تعالى «لا تتلوا قوما غضب الله عليهم» قيل إنهم

اليهود الذين ذكر تعالى أنهم المغضوب عليهم، وقيل هم كفار مكة.

ثانياً : التفسير :

خاطب تعالى المؤمنين ونهاهم عن تولي اليهود بعد أن نهى من قبل عن تولي المشركين الذين أخرجوا المؤمنين من ديارهم والذين قاتلوهم. وفي القول ذكر تعالى اليهود بأنهم قوم غضب الله عليهم. وسبب نزول الآية أن قوماً من فقراء المسلمين كانوا يصلونهم لينالوا شيئاً من الخير منهم. وفي وصفه تعالى إياهم بأنه تعالى غضب عليهم بيان لأن من يتولهم يغضب الله عليه ويستحق عذابه.

كما وصف تعالى اليهود بأنهم يشسوا من الآخرة وثوابها لمعرفة أنهم كفروا بالنبي ﷺ المبشر به في التوراة والأمور باتباعه وجاء بيان شدة يأسهم بتمثيله بيأس الكفار الأموات الذين استقروا في القبور وتحقق لهم حرمانهم من النعيم من أن ينالوا في آخرتهم خيراً. وقد يكون المعنى - والله أعلم - أن يأس الكافرين من نيل نعيم الآخرة يماثل يأسهم من أن ينالوا خيراً من أمواتهم الذين استقروا في القبور.



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ③

التفسير:

افتتحت السورة بتقرير واقع أنه ما من أحد أو شيء في السماوات أو في الأرض أو هو مسبح لله بلسان الحال أو بلسان المقال، وبالإخبار عن ذاته بأنه العزيز الذي لا يغلب والحكيم في كل ما يكون منه، ثم وجه تعالى خطابه للمؤمنين، وقيل للمنافقين الذين أظهروا الإيمان. وعلى الأول - وهو ما نراه والله أعلم - فإنه تعالى لام قوماً من المؤمنين قالوا إنهم لو علموا أي الأعمال أحب إلى الله لعملوها، فلما نزل الأمر بالجهاد كرهوه. وعلى الثاني فإن مدار التوبيخ يكون هو عدم فعل المنافقين الخير الذي يعدون بأفواههم أنهم يفعلونه، فيكون التوبيخ هو على ترك الخير وعلى الوعد الكاذب.

ثم كان منه تعالى أن ذم القول بما يخالف الفعل «كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» فالمختص بالذم في عبارة القول هو «أن تقولوا» فيكون المعنى هو «كبر القول مقتا».

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ

بَيْنَ مَرْصُوصٍ ④

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى الممقوت له من الأفعال، فإنه - في الآية - ذكر ما يحبه من الأفعال بذكر حبه تعالى فاعليه، وهم الذين يقاتلون في سبيله صافين أنفسهم في هيئة البنيان الذي تلاصقت قطعه فصارت كيانا واحدا. والمراد بهذا هو إظهار ثباتهم في القتال ولزومهم أماكنهم.

وقد يكون القول مشيرا إلى أن القول الذي بين تعالى أنه يمقته هو قول فريق من المؤمنين إنهم لم يعلموا أي فعل يحبه الله لفعلوه، فلما كتب عليهم القتال كرهوه.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتُودُونَنِي وَقَدْ
تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ ٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٧

التفسير:

قيل إن قوله تعالى في الآيتين يتعلق بهؤلاء الذين تركوا القتال، والذي نراه - والله أعلم - أنه يتعلق بالذين يقولون ما لا يفعلون وهو الأمر الممقوت منه تعالى، وهم من قوم موسى الذي وعدوه أن يتبعوا أمره فلما أمرهم بدخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم لم يمتثلوا أمره وعصوه معتذرين بأن فيها قوما جبارين. وفي قوله تعالى أن موسى عليه السلام سألهم حين عصوا أمره بدخول الأرض عن سبب إيذائه بعصيانهم رغم تأكيد علمهم بأنه رسول الله إليهم بما أجرى من المعجزات على يديه. وفي القول جاءت «قد» لتأكيد العلم وليس للتقريب. والقول منه عليه السلام أريد به التوبيخ. ثم إنه تعالى أعلم بأنه حين انصرف قوم موسى عن الحق، كان منه تعالى أن صرف قلوبهم عن الحق والصواب لاختيارهم الضلال ولأنه تعالى لا يهدي الخارجين على طاعته.

وهم من بنى إسرائيل الذين بعث الله فيهم ومنهم عيسى ابن مريم عليه السلام هؤلاء

الذين وصفوا المعجزات التي أيد بها الله بأنها سحر مبین بعد أن كانوا قد وعدوا بأنه متى بعث الله المسيح أو «المسيا» يؤمنون له. وفي القول يذكر تعالى أنه عليه السلام ناداهم بأنهم بنو إسرائيل، وفيه قيل إنه لم يقل «يا قوم» لأنه لا يتسبب إليهم إلا من جهة الأم. ونرى - والله أعلم - أن السبب هو أن البشارة كانت لهم بصفته بنى إسرائيل، وأن الوعد بالإيمان كان من اليهود بصفته بنى إسرائيل. ويذكر تعالى في القول أنه عليه السلام أخبرهم أنه رسول الله إليهم المصدق لما بين يديه من التوراة، التي جاء يصحح ما اعتري تطبيقها من التحريف والتي يعتبر مجيئه تصديقا لها بحكم ذكر مجيئه فيها، كما ذكر لهم أنه مبشرهم برسول يأتي من بعده اسمه أحمد. والقول منه عليه السلام لهم يتضمن تذكيرا لهم بما جاء في التوراة من أن موسى عليه السلام بشرهم بنبي يرسله الله من أبناء إسماعيل عليه السلام وأنه طلب منهم أن يؤمنوا له إذا جاء، مما يعتبر معه إيمانهم بالتوراة وعدا منهم بالإيمان له إذا جاء، كما يتضمن إخبارا من عيسى عليه السلام وتبشيرا بأن الله يبعث رسولا من بعده اسمه أحمد. وقد سبق أن بينا أنه لا يزال في إنجيل يوحنا الذي بين أيدينا اليوم ما يتضمن هذه البشارة رغم ناله من التحريف لإخفائها، فقد ورد في الإصحاح الرابع عشر منه أنه عليه السلام يجب أن يصعد إلى السماء ليعطيهم الله فرقليطا يبقى معهم إلى الأبد. و«الفرقليط» تعريب للفظ اليوناني القديم «باركلينوس» الذي كتب به الإنجيل في الأصل، وهو بمعنى «أفعل التفضيل» من الفعل «حمد» أي أنه «أحمد» أو «الأحمد»، وهو اسم من أسماء رسول الله ﷺ. وجدير بالذكر أنه جرى تغيير لفظ «فرقليط» في طبعات الإنجيل الحديثة إلى «المعزى» بعد أن تبين للمغالين في التعصب الديني لدينهم بغير الحق أن اللفظ يؤيد ما جاء بالقرآن، مما يدل على أن تحريف الإنجيل أمر ليس بجديد، ومعنى أنه يمكث معهم إلى الأبد هو بقاء شريعته ﷺ إلى آخر الزمان لأنه خاتم المرسلين.

ثم يذكر تعالى أن بنى إسرائيل من بعد أن أتاهم عيسى ابن مريم بالآيات الدالة على أنه المسيح أو المسيا المبشرونه كذبوه ووصفوا الآيات التي أيد بها الله بها بأنها سحر ظاهر

بين

وبعد هذا جاء الربط بين المكذبين بعيسى عليه السلام والمكذبين برسول الله ﷺ بقوله تعالى «ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام» فيبين أن أشد الناس ظلماً هو من يدعى إلى الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ، ثم يكون منه - بدلاً من الإيمان به - افتراء الكذب على الله بإنكار أن القرآن العظيم كتابه الذي أنزل على رسوله، وقوله فيه إنه سحر أو شعر أو أساطير الأقدمين.

أعقبه تعالى بيان أن ضلال من ينكر القرآن هو تطبيق لسته تعالى أنه لا يهدي الذين ظلموا أنفسهم بالإضرار على الكفر إلى ما فيه صالحهم من الحق.

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩

التفسير:

بين تعالى أن مقصد الذين يفترون على الله الكذب وهم يدعون إلى الإسلام هو إطفاء نور الله بأفواههم، بمعنى أنهم يقصدون بأقوالهم الباطلة في القرآن وفي رسول الله ﷺ أن يذهبوا بدين الله الإسلام الذي ارتضاه لعباده. ثم أتبع تعالى هذا بذكره أنه متم نوره، بمعنى أنه ناصر دينه رغم كراهة الكافرين ذلك.

ثم أتبع تعالى هذا بتأكيد أنه الذي بعث رسوله ﷺ بالهدى - وهو القرآن العظيم - وبالإسلام وهو دين الحق ليعليه على سائر الأديان بإظهار الحجج والأدلة على أنه الدين الذي اختاره الله لعباده وارتضاه لهم، رغم كراهة المشركين هذا، لإبطاله الشرك وقيامه على التوحيد.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ نَجْوَيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلَهِكُمْ ۖ تَوَمُّونَ بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ ۚ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ
 خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۚ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝

التفسير:

لما كان الإنسان قد جبل على حب الخير لنفسه ومنه أن ينال الكسب والفوز. فإنه تعالى توجه إلى المؤمنين بالسؤال عما إذا كانوا يحبون أن يدلهم الله على تجارة تنجيهم من عذاب يوم القيامة، وهذا فوز عظيم. والاستفهام أريد به التشويق إلى السماع والمعرفة. ثم أخبر تعالى عن هذه التجارة فبين أنها الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله تعالى بالأموال والأنفس، وهو ما يكون لمن سبق منهم الإيمان بالثبات عليه، ومداومة الجهاد في سبيل الله. ثم أثبت تعالى أن الإيمان والجهاد خير للناس حين يكون منهم يعلم، بالإشارة إليهما والإخبار عنهما بالخيرية.

ثم بين تعالى للمخاطبين ما يجنون من كسب بإيمانهم وجهادهم في سبيل الله، بذكره تعالى أنه يشيهم عليه مغفرة ذنوبهم وشمولهم برحمته يدخلون جنات تجري في أرضها الأنهار، تكون لهم فيها مساكن طيبة زكية ظاهرة، محلها جنات عدن. ثم أشار تعالى إلى هذا النعيم وأخبر عنه أنه الفوز العظيم الذي شوقهم إلى معرفته.

ثم إنه تعالى أطمع المخاطبين بالقول في الحصول على ثواب الإيمان والجهاد ، بذكره أنه يتفضل عليهم بنعمة أخرى يحبونها ويتمنونها ، وهي نصرهم من الله على عدوهم وفتحهم البلاد ، فتكون لهم الغنائم ، وفي القول بشرهم تعالى بأن يكون فتح البلاد قريباً زمانه ، وهو ما تحقق بفتح مكة ، وفتح البلاد التي كانت تحت سيطرة الرومان والفرس . ثم أتبع تعالى هذا بأمره رسوله ﷺ أن يبشر المؤمنين برضائه تعالى عنهم وإنجازه معهم وعده الذي وعد .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ قَامَتْ
طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين في الآية فأمرهم أن يكونوا أنصار دين الله ، ثم إنه لما كان هذا الأمر يصلهم عن طريق رسول الله ﷺ ، فقد ذكرهم تعالى بما كان من عيسى ابن مريم عليه السلام حين سأل عمن لديه استعداد أن يكون من جنوده الذين ينصرون دين الله ، والمعنى هو المناصرة بالحجة والدليل لأنه عليه السلام لم يقاتل ولم يقاتل حواريوه ، ثم أخبر تعالى عن إجابة الحواريين - وهم خاصته الاثنى عشر تلميذا - وهي قولهم له «نحن أنصار الله» فيكون المعنى المراد إيصاله هو وجوب مناصرة صحابة رسول الله ﷺ إياه لنصرة دين الله . ثم يذكر تعالى أنه كان من بعد هذا أن طائفة من بني إسرائيل آمنت لعيسى عليه السلام وأن طائفة أخرى كفرت به وكذبته ، فكان منه تعالى أن أيد الذين آمنوا لعيسى عليه السلام على الذين كفروا به فأصبحوا ظاهرين عليهم .

والقول يفيد أن من بنى إسرائيل من آمن بنبوّة عيسى ابن مريم واتبعه، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم «النصارى» وأن منهم من لم يؤمن له عليه السلام وكذبه وهم باقى اليهود، كما يفيد أنه تعالى أيد الذين آمنوا له عليه السلام وأظهرهم على اليهود، وهو ما كان حين اعتنقت روما المسيحية فارتفع شأن النصارى على اليهود. كما يشير القول فى رأينا - والله أعلم - إلى إيمان طائفة من أهل الكتاب برسول الله ﷺ المبشّره فى التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام، وكفر طائفة أخرى به، وتأييده تعالى الذين آمنوا منهم على عدوهم الذين كفروا به وإظهارهم عليهم بالحجة والبرهان، فليس لدى مكذب برسول الله ﷺ من حجة ولا دليل يؤيده فى كفره .



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْغَزِيزُ الْحَكِيمُ ①
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ②
وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ④

التفسير:

افتتحت السورة بتقريره تعالى أن جميع ما فى السماوات والأرض قائم على تسبيحه تسبيح حال أو مقال، وذكر من أسمائه المتضمنة صفات أنه الملك القدوس العزيز الحكيم.

ثم أتبع هذا بما يفيد أنه هو الله وأخبر عن ذاته بأنه الذى بعث فى الأميين رسولا منهم، والمراد بالأميين هم أمة العرب التى كانت لا تقرأ ولا تكتب، أو لأنها ليست من بنى إسرائيل - وقد كانوا يطلقون على غيرهم تعبير الأميين - .

والمعنى أنه تعالى بعث فى العرب أبناء إسماعيل عليه السلام رسولا منهم يتلو عليهم آيات الله رغم كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب، ويعلمهم كتاب الله وما تضمنه من قصص وأحكام وأخبار وعلم، كما يعلمهم الحكمة بسنته القولية والفعلية فيهديهم إلى الحق من بعد أن كانوا فى الضلال الواضح بإشرافهم بالله قبل أن يبعثه تعالى فيهم.

كما ذكر تعالى أنه بعثه ﷺ إلى آخرين من أمة العرب، وهم الذين لم يعاصروه ﷺ ممن جاءوا بعد فناء الذين عاصروه إلى يوم الدين.

وقد يكون القول مشيرا إلى وقوع واجب تعليم باقى الأقوام الكتاب والحديث على عاتق أمة العرب من بعده ﷺ.

ثم أتبع تعالى هذا بذكره أنه هو العزيز الحكيم، لبيان أنه ينصر دينه الذى بعث به رسوله العربى، وأن اصطفاه العرب لنيل هذا الشرف هو ما اقتضته حكمته.

ثم إنه تعالى صرح بأن اصطفاه رسوله ﷺ من أمة العرب هو فضل منه تعالى الذى يؤتى الفضل من يشاء، وأعلم أنه تعالى ذو الفضل العظيم فى الدنيا والآخرة، يتفضل منه بما يشاء على من يشاء.



مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ
 لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ
 أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَمَتَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٦
 وَلَا تَتَّبِعُوهُ وَابْدَأُوا قَدَمَاتِكُمْ فِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٧

أولاً : الأسماء :

الأسفار : فى قوله تعالى «كمثل الحمار يحمل أسفاراً» جمع، مفردة «السفر» وهو الكتاب الكبير.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى اليهود، وموقفهم من التوراة التى يدعون إيمانهم بها، وما طلبه تعالى من رسوله ﷺ أن يكون معهم .

بين تعالى أن مثلهم وقد علمهم الله التوراة وكلفهم العمل بها ثم كان منهم اطراح العمل بها هو مثل الحمار الذى يحمل كتباً كباراً يشقى بحملها ولا يفيد مما تضمنت من العلم شيئاً. وعلة هذا أنهم وقد كلفوا العمل بالتوراة - وقد بشرت برسول الله ﷺ وأمرت بالإيمان له - تحملوا عبء ما كلفوا به، ولم يفيدوا منه شيئاً بعدم إيمانهم لرسول الله ﷺ.

ثم إنه تعالى ذم مسلكهم هذا بقوله «بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله»، والمعنى هو «بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا بآياتنا» والمراد بآياته تعالى هو آياته المبشرة برسول الله ﷺ

فى التوراة. ثم بين تعالى أن علة إصرارهم على الضلال وعدم الإيمان بالآيات أنه تعالى لا يهدى الظالمين الذين أصروا على الكفر وعلى التكذيب بما وجب عليهم التصديق به .

وبعد هذا خاطب تعالى رسوله ﷺ فأمره - تكذيبا لزعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس جميعا - أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين، بمعنى أن يعملوا على أن يموتوا وهو ما قد يكون بالجهاد. وفى القول جاء قوله تعالى «أنكم أولياء الله» وليس «أولياء الله» لبيان أنهم ليسوا أولياءه وإنما هم يزعمون ذلك. وعلة قوله ﷺ لهم هذا هو أن من يعلم أنه ولى الله يتمنى الانتقال من دار البلية إلى حيث الكرامة والنعيم .

ثم يخبر تعالى رسوله ﷺ أنه لا يكون منهم تمنى الموت أبدا، وعلة ذلك أنهم يعلمون ما قدمت أيديهم من عصيانهم الله من بعد كفرهم واستحقاقهم أن يعذبوا به. ثم أخبر تعالى أنهم الظالمون أنفسهم بظلمهم وأنه معذبهم بكفرهم لعلمه بهم وبأعمالهم. بقوله تعالى «والله عليم بالظالمين» .

قُلْ إِنَّ

الْمُوتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٨

التفسير:

لما كان قد ثبت كذب اليهود فى ادعائهم أنهم أولياء الله، أو أنهم شعب الله المختار من عدم تمنى الموت خوف العذاب. فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن ينبئهم أنهم ملاقون الموت الذى يخافونه ويتمنون ألا يصيبهم؛ كما أنهم ملاقون العذاب، وذلك بإخبارهم أن الموت الذى يفرون منه ملاقيهم حتما وعلى الضرورة؛ وأنهم يبعثون إليه تعالى عالم الغيب والشهادة الذى اطلع على خفايا قلوبهم وعلم الظاهر من أعمالهم يحاسبهم بهذا وذلك فيكون لهم

العذاب بما كانوا يعملون، بعد أن يعلمهم به بما دون في صحف أعمالهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُورِيَ
لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي
الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٠

أولاً : الأسماء والأعلام :

الجمعة : قيل هو اسم علم لليوم المعروف. وقيل إن معناه هو «المجموع» بمعنى أن اليوم هو يوم الفوج المجموع، وقيل إن معناه هو «الجامع» وقيل إن سبب التسمية أنه تعالى جمع في هذا اليوم آدم وحواء، وقيل لأنه تعالى جمع فيه المخلوقات من بعد خلقها. وقيل إن أول من سمى الجمعة جمعة في الإسلام هو كعب بن لؤى. وأن أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ في المدينة كانت في مسجد في بني عوف .

ثانياً : التفسير :

خاطب تعالى المؤمنين - والمراد بهم المكاتب - ثم أمرهم بأنهم إذا ما سمعوا النداء للصلاة بالأذان بدخول الوقت في يوم الجمعة، أن يكون منهم المشى إلى المسجد لذكر الله، قيل إنه أداء صلاة الجمعة، وقيل لسماع الخطبة. والأمر يفيد فرضية صلاة الجمعة. ثم نهى تعالى عن الانشغال بالتعامل التجاري عن السعى إلى ذكره، وفيه استيعاض بذكر البيع عن ذكر الشراء، لأن كل تعامل بيع يتضمن شراء. وكان أمره تعالى صريحاً بترك التعامل من أجل صلاة الجمعة، بما يفيد تحريمه، وقيل بكراهته .

ثم أشار تعالى إلى ما أمر به من السعى إلى الصلاة ومن ترك التعامل لدى إقامة الأذان للصلاة وأخبر عنه أنه خير للمكلفين إذا ما كانوا يعلمون ما فيه خيرهم على الحقيقة .

ثم إنه تعالى لما كان يحب السعى إلى الرزق فإنه أمر المؤمنين أن يكون منهم من بعد فراغهم من الصلاة الانتشار في الأرض سعياً إلى الرزق مبتغين ما يتفضل به الله عليهم من الرزق، ونبههم إلى وجوب ذكره كثيراً بمعنى ألا يشغلهم طلبهم الكسب عن ذكره تعالى، وأعلمهم أن في التزامهم ما أمرهم به فلاح أمرهم في الدنيا والآخرة .

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمَنِ التِّجَارَةُ وَاللَّهُ خَيْرُ الرِّزْقِينَ ١١

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، وقد نزلت الآية بمناسبة واقعة وقعت، وهي أنه بينما كان ﷺ قائماً يخطب الجمعة على المنبر، قدمت غير المدينة، فخرج المؤمنون من المسجد يستقبلونها بالدفوف ابتهاجاً بما سيحققونه منها من الربح، فنزل قوله تعالى مخبراً عن الحدث بما يفيد جواز تكراره وتحذيراً من معاودته وتكراره .

فبين تعالى أن كان من الناس، أو إنه من شأنهم أنهم إذا استشعروا حلول تجارة يكتسبون منها المال، أولهويتلون به رغم خلوه من النفع، فإنه يكون منهم الفراغ من أمر الصلاة إلى التجارة واللهوتاركين إمامهم كما ترك المؤمنون الأوائل رسول الله ﷺ قائماً على المنبر يخطب منفضين إلى التجارة واللهو .

ثم أمر تعالى رسوله ﷺ وكل إمام يؤم المصلين أن يقول للناس إن ما عند الله تعالى هو خير من اللهو والتجارة، فهو الذي فيه نفع الدنيا ونفع الآخرة الدائم، على حين يخلو اللهو من

النفع، ويتصف نفع التجارة بالتوقيت وعدم الدوام، بخلاف نفع الآخرة الذي يدوم ولا يزول. وأن يعلمهم أنه تعالى هو خير الرازقين، بمعنى أنه الواجب أن يسعى إلى كسب رضائه لأنه وحده الرزاق الذي يطلب منه الرزق.



بسم الله الرحمن الرحيم سورة (المنافقون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ
جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝

التفسير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ في أمر المنافقين فأعلمه من تصرفاتهم أنهم إذا جاءوه ليحضرُوا مجلساً له ﷺ قالوا له «نشهد أنك لرسول الله، ومن القول يبين تواطؤهم على القول وعلى عبارته، وأنهم يؤكدون موافقة اعتقادهم قولهم على ما يبين من قولهم «إنك لرسول الله» ثم جاء قوله تعالى «والله يعلم أنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» لبيان أن قولهم -

فى حد ذاته - هو الحق وأن شهادتهم هى الكاذبة لمخالفتها اعتقادهم .

ثم إنه تعالى بين حقيقة أمرهم فبين أنهم يتخذون أيمانهم التى يخلفونها على إيمانهم ستارا يحتمون به من معاملة المؤمنين إياهم معاملة الكافرين، ثم كان منهم بعد هذا أن صدوا من أراد الدخول فى الإسلام عنه . ثم ذم تعالى نفاقهم وصددهم الناس عن الإسلام ووصفه بأنه سىء العمل .

ثم بين تعالى سبب نعت أعمالهم بالسوء فذكر أنهم آمنوا بمعنى أنهم قالوا كلمة الإيمان وهى الشهادة، ثم كفروا بمعنى أنه ظهر منهم الكفر، مثل قولهم فى رسول الله ﷺ: «أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى»، ثم بين تعالى أنه لما كان منه هذا فإنه تعالى طبع على قلوبهم الكفر وأنهم لهذا لا يعرفون حقيقة الإيمان إلى أن يموتوا كافرين .

وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ تُجْجِكُ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ
مُسْنَدَةٌ يَحْسُبُونَ كُلَّ صِحْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ
أَلَّا يَكُونَ لِلَّهِ الْيُوفُ كُونَ ٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ
لَوَّارُءٌ وَسَهُمٌ وَإِنَّهُمْ يُصَدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ٥ سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٦

التفسير:

الخطاب إلى رسول الله ﷺ وإلى كل من تتأتى منه الرؤية، يقول تعالى إن من يراهم

يعجب بأجسامهم لتناسق أعضائها وظهور مخايل القوة فيها، ومن يسمعونهم يتحدثون يصغى إليهم لفصاحة ألسنتهم وبيانهم - وقيل كانت هذه صفات عبد الله بن أبي، والجذ بن قيس، ومعتب بن قشير من المنافقين .

ثم بين تعالى أنهم كانوا يجلسون في مجالس رسول الله ﷺ مستندين إلى الجدران دون أن يفيدوا مما يسمعون، ودون أن ترجى منهم فائدة، شأنهم في هذا شأن الأخشاب التي أسندت إلى الحوائط كي لا تنقع، أو مثل الأصنام المصنوعة من الأخشاب والمستندة إلى الحوائط.

ثم وصف تعالى حالتهم النفسية فذكر أنهم يحسبون كل صيحة يسمعونها أنها موجهة ضدهم لأخذهم ومعاقبتهم، وذلك خوفا من أن يكون تعالى قد كشف أمرهم للمسلمين فهبوا لأخذهم والانتقام منهم.

وبعد هذا أخبر تعالى عنهم بأنهم العدو الذي يجب أن يتقى بأسه لتخفيه وعدم ظهوره، ثم أمر رسوله ﷺ أن يأخذ حذرهم منهم، ثم دعا تعالى عليهم باللعنة والطرده من رحمته تأكيدا لفعله معهم، وعجب من حالهم أنهم ينافقون وليس لهم ملجأ يستخفون فيه من الله هربا من عقابهم، أو من أنهم يكفرون منصرفين عن الحق وقد قامت لديهم الأدلة عليه.

ثم يذكر تعالى من فعالهم المظهرة ما في قلوبهم أنهم إذا ما قال لهم أحد المؤمنين أن يأتوا رسول الله ﷺ يستغفر لهم الله، فإنه يكون منهم تحريك رؤوسهم استهزاء بما يسمعون وعلامة على رفضه، والإعراض عن القائل مستكبرين على ما سمعوه منه.

ثم يؤكد تعالى حتمية تعذيبهم بنفاقهم بإخباره رسوله ﷺ، أنه يتساوى لديه تعالى أن يستغفر لهم رسوله ﷺ وألا يستغفر، فالمقرز والمثبت منه تعالى أنه لن يغفر لهم وأنه محاسبهم بكفرهم ونفاقهم، وذلك تطبيقا لما جرت به سنته من أنه لا يهدي الذين اختاروا أن يكونوا فاسقين، ليموتوا على حالهم مستحقين العذاب .



هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يُنْفَضُوا لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجْعًا إِلَى الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجَنَّ
الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

أولاً : الأسماء :

من عند رسول الله : قيل إن المراد بهم - فى معنى القول هم الأعراب، وقيل هم فقراء المهاجرين.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى هو فى بعض أعمال المنافقين الدالة على فسقهم، وهى قول البعض منهم بموافقة الباقيين للناس ألا ينفقوا على من هم عند رسول الله ﷺ من الأعراب أو من فقراء المهاجرين، حتى ينفض هؤلاء من عنده دون الباقيين. وقيل إن القائل هو عبد الله بن أبى، قاله عندما اشتكى إليه أنصارى اعتداء أعرابى عليه بعضا حين انتزع حجرا من حوض ماء كان يستقى منه، فغضب لذلك عبد الله بن أبى وقال هذا القول ثم أتبعه قوله «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل». ذكر تعالى فى القول أن المنافقين هم الذين قالوا هذا القول ويقولون مثله، ثم بين عدم إصابة أحد بضر من جراء تنفيذ الأمر بعدم الإنفاق ببيان أنه تعالى الذى بيده خزائن الرزق، القادر على أن يعطى الفقير فلا يحتاج الغنى من المنافقين، ثم أثبت تعالى أن المنافقين لجهلهم لا يعرفون هذه الحقيقة تصوروها أنهم المانحون والممسكون.

ثم ذكر تعالى قولاً آخر للمنافقين هو قول عبد الله بن أبي الذي وافقه عليه أشياعه المنافقون، وهو أنهم إذا رجعوا المدينة، يكون منه وأشياعه من الأنصار- الأعداء - أن يخرجوا منها الأعراب أو فقراء المهاجرين- الأذلاء - ثم بين تعالى جهل المنافقين بواقع أنه تعالى الذى له العزة والقوة بهما تكون القدرة على فعل ما يريد تعالى ورسوله، وأنهما للمؤمنين بالله ورسوله بالتبعية، فيكون المعنى أن العزة ليست للمنافقين لخروجهم من نطاق المؤمنين، ثم إنه تعالى ذكر أن المنافقين لا يعلمون هذه الحقيقة .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ⑩ وَأَنْفِقُوا
مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ⑪ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ
نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ⑫

التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين على الحقيقة فنهاهم عن أن تكون أموالهم أو أولادهم سببا يشغلهم عن ذكر الله بإقامة الصلاة وأداء العبادات، وقد يكون سبب النهي عن الاهتمام الزائد بالمصالح المالية وشئون الأولاد هو كونهما أسباب القوة فى الدنيا التى تشغل المنافقين ولا تشغل المؤمنين، ثم جاء قوله تعالى «ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون» مينا أن من يشغل عن ذكره تعالى بشئون دنياه يكون من الخاسرين ولو كسب الدنيا والمال والبنين .

ثم أتبع تعالى هذا بأمر آخر يزيد فى الشدة على نفس من لم يصح إيمانه وهو الإنفاق من المال الذى هو رزق الله، يكون فى حياة المرء حال قدرته على الإنفاق قبل أن يحضره الموت

فيتمنى أن يؤخر تعالى موته ويؤجله إلى وقت قريب يتمكن فيه من التصديق فيكون من العاملين بالصالحات. ثم بين تعالى أن تفويت فرصة الإنفاق في حياة المرء مع القدرة ليس له من جابر بيانه أنه إذا ما جاء النفس أجل الموت وقبض الروح لا يكون إمهال في هذا ولا إرجاء، ثم أعقب تعالى هذا بيان إثابته المؤمنين على الإنفاق من رزق الله الذي رزقهم بذكر أنه تعالى خير بما يعملون، بما يعنى أنه مثيب المتفق ومؤاخذ الممسك.



بسم الله الرحمن الرحيم سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ② خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ③ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ④ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ⑤ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑥

التفسير:

افتتح تعالى السورة بذكر أنه يسبح له كل ما هو كائن في السماوات وفي الأرض،

وبالإخبار عن ذاته بأنه له تعالى وحده ملك كل شيء وأنه المحمود بذاته، والقادر على كل شيء. ثم أخبر تعالى عن ذاته بأنه الذى خلق الناس ليكون البعض منهم كافرا ويكون البعض الآخر مؤمنا؛ فهو تعالى قد خلق كل مولود على الفطرة - وهى الإيمان - «فطرة الله التى فطر الناس عليها» كما خلق الكفر والإيمان، وكل منهما مكتسب للفرد وإن كان تعالى قد علم به من الأزل علمه بما يكون من اختيار الفرد ولذلك فإنه تعالى يحاسب على الكفر والإيمان على ما يبين من قوله تعالى «والله بما تعملون بصير». ثم ذكر تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق، فكان خلقهما على النحو الذى تتحقق به مصالح العباد الدنية والدنيوية، وصور الناس فى صورهم التى هى الأنسب لمعايشهم، فكان تصويرهم على النحو الأفضل فى الدنيا، ثم إنه الذى يؤول إليه الناس فى الآخرة أو فى النشأة الأخرى ليكون الحساب والجزاء والمصير الأبدى الخالد. وذكر تعالى من صفاته أنه يعلم جميع ما فى السماوات والأرض مما هو كائن ومما هو محدث وأنه يعلم ما يسر الناس بعضهم لبعض، وما يعلنونه فى الظاهر بالعمل أو القول، وما يخفون فى صدورهم لا يطلعون عليه أحدا.

أَلَمْ
يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ
يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِىٌ حَمِيدٌ ۝
زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّ لَنُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَنُنَبِّئُنَّ
بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ فَأَمَّا يُؤَاظَمُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالنُّورِ
الَّذِى أُنْزِلَ وَأَلَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝

التفسير:

خاطب تعالى الكافرين فأثبت عليهم علمهم نبأ الذين كفروا من قبل وما فعله بهم الله وأنكر عليهم بالاستفهام في قوله تعالى «ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل» أنهم لم يعتبروا بما علموا من أنبائهم.

بينه تعالى بقوله «فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم» والمعنى أنه أهلكهم بعذاب منه في الدنيا وأنهم يعذبون في الآخرة العذاب الأليم.

ثم بين تعالى سبب تعذيبه إياهم في الدنيا والآخرة، وهو أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالآيات الواضحة الدالة على صدقهم فكانوا يكذبونهم منكرين أن يكون الرسول الهادي إلى الحق بشرا من البشر، فقولهم «أبشريهدوننا» هو استنكار منهم لأن تقع هدايتهم بفعل البشر، فهم يطلبون ملائكة رسلا، وأنهم كفروا الرسل وما بعثوا به وأعرضوا عن تدبر الآيات التي أيدهم الله بها، فكان منه تعالى أن استغنى عن إيمانهم وعنهم فأهلكهم، بحكم كونه الغنى عن العالمين وعما كون منهم من إيمان وطاعة، وكونه الحميد بذاته والذي يحمده خلقه بلسان الحال أو بلسان المقال.

ثم إنه تعالى أخبر عن فئة من الكافرين هم المكذبون بالبعث والحساب فقال إنهم زعموا على خلاف الحقيقة أنهم لن يبعثوا من بعد الموت، وهذه هي عقيدتهم. ثم أمر تعالى رسوله أن يؤكد لهم بالقسم أنهم سيبعثون وأمثالهم من الكافرين وينبؤون بأعمالهم التي يحاسبون عليها ويجزون عقابهم.

ثم أخبر تعالى أن بعث الناس من الموت وحسابهم ومجازاتهم هو أمر عليه هين يسير.

وبعد هذا أمر تعالى الكافرين بما هو مترتب على ما أعلمهم به وهو أن يؤمنوا بالله ورسوله وبالقرآن العظيم النور الهادي إلى الحق، الذي أنزله تعالى على رسوله، ثم بين أنه محاسب على إطاعة أمره هذا أو عصيانه ببيان علمه تعالى بما يكون منهم في الظاهر والباطن نحو تنفيذ هذا الأمر.

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ
 ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ
 سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝

أولاً : الأسماء :

التغابن : من «الغبن» وهو نقص الحق. والتغابن هو تبادل الغبن، قيل لأن أهل الجنة بدخولهم الجنة يتركون مقاعدهم في النار لأهل النار، وأن أهل النار بدخولهم النار يتخلون عن مقاعدهم في الجنة لأهل الجنة. وقيل لأن أهل النار هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ، فخسروا وغبنوا ، على حين أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة، فغبنوا الكافرين بهذا، ويوم التغابن هو يوم القيامة .

ثانياً : التفسير :

جاء قوله تعالى «يوم يجمعكم ليوم الجمع» ظرفاً لـ «تنبؤون» والمعنى أن يكون إنباء الكافرين بما عملوا في يوم القيامة، وصفه تعالى بأنه يوم الجمع لأنه فيه يجمع الأولين والآخرين، ثم أشار إليه وأخبر أنه يوم التغابن لأنه فيه يغبن بعض الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء في الجنة التي كان لهم أن ينزلوها لو كانوا سعداء، ولأن السعداء يتخلون عن منازلهم التي كان عليهم أن ينزلوها في النار للأشقياء التي ما كان لهم أن ينزلوها لو كانوا سعداء. ثم بين تعالى حكمه في خلقه وهو أن من يؤمن بالله ويقرن إيمانه بالعمل الصالح يكفر تعالى عنه سيئاته فلا يعذبه بها، ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار يخلد فيها للأبد. ثم أشار تعالى إلى تكفير الذنب وإدخال الجنة والخلود فيها وأخبر عنه بأنه الفوز

العظيم الذى لا يستأهل كسب مقارنا به أن يدعى فوزا .

وفى المقابل أخبر تعالى عن الذين كفروا وكذبوا بآياته تعالى المنزلة على رسله فبين أنهم أصحاب النار الذين يخلدون فيها ثم ذم مصيرهم فيها بذكره أن بش المصير مصيرهم فى النار.

مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ١٢ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٣

التفسير:

الذى يبدولنا - والله أعلم - أن الآيات جاءت متعلقة ببيان ما هو من متطلبات الإيمان الحقيقى، من بعد أن بين تعالى حسن مصير المؤمنين الذين يعملون الصالحات. ففى مجال الرضاء بقضاء الله وقدره ذكر تعالى أنه ما من نازلة أو رزية تصيب أحدا من خلقه تعالى إلا وقد أذن تعالى بهذا، ثم أعقب تعالى هذا ببيان أن من يؤمن بالله يكون منه تعالى معه أنه يهدى قلبه للتيقن فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسكن قلبه ولا يجزع ويرتضى قضاء الله. ثم جاء قوله تعالى «والله بكل شىء عليم» لبيان أنه يعلم المؤمن الذى كمل إيمانه فيكون منه عند المصيبة تصيبه أنه يهدى قلبه فيطمئن بالإيمان إلى قضاء الله .

ثم إنه لما كان الرضاء بقضاء الله هو نوع من الطاعة فإنه تعالى أمر بطاعة أخرى وهى الطاعة الإيجابية أو الطاعة بأداء، فأمر بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، ثم بين أن إطاعة رسوله إطاعة له تعالى ببيان أنه ﷺ غير مكلف ولا مؤد إلى ما بعث به من الله فيكون ما يأمر به هو أمره تعالى، ويكون نهيه هو نهيه تعالى .

ولما كان الإيمان لا يكتمل إلا بالاعتماد على الله وحده وعدم الركون إلى غيره تعالى، فإنه تعالى وحد ذاته ونفى مشاركة الغير إياه تعالى في الألوهية، ثم أمر المؤمنين بالتوكل عليه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ
فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا تَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑪
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ⑫ فَاتَّقُوا
اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ ⑬
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑭

التفسير:

الذى نراه - والله أعلم - أن القول في الآيات شروع في بيان أن النفع والمصلحة يتمثلان في حب الله ورسوله فهو الحب البرى من الإثم ومن الضرر واحتماله. وقد بدأ تعالى القول بالإخبار عن شأن الأزواج والأولاد وهم الأقربون إلى القلوب، فخاطب تعالى المؤمنين وأخبرهم أن البعض من الأزواج والبعض من الأبناء يكون عدوا للزوج أو للوالد، فمن النساء من تعادى زوجها ومنه من تخونه في ماله أو عرضه ومنهم من تسعى لقتله أو إيذائه. وكذلك فإنه من الأبناء من يؤذى والديه أو أحدهما إيذاء كبيرا أو صغيرا.

وقد أمر تعالى المؤمنين أن يكونوا على حذر من الفريقين ليميزوا العدو إن كان فيهم عدو، أو إنه أمرهم بأخذ الحذر ممن يتبين لهم أنه عدو من الفريقين.

وبعد هذا فإنه تعالى - رعاية لمصلحة الأسر - وجه المؤمنين إلى استحسان العفو عن من كان ذنبه الصادر عن عداوته صغيرا، وإلى الصبح بترك العقاب والتشريب، وإلى مغفرة

الذنب بستره وعدم إظهاره، وبين أنه إذا كان من المؤمن فإنه تعالى يعامل المؤمن ذات المعاملة إذا ما أخطأ في حق من حقوق الله، وهذا بقوله تعالى «وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم».

ثم إنه تعالى بين أن الأموال والأولاد - وهما مما يحرص عليه الناس قد يكونان سببا للضرر يصيب المؤمن، فذكر تعالى أن أموال المؤمنين وأولادهم فتنة لهم، بمعنى أنهم يفتنون ويختبرون بالمال والأولاد فقد يؤدي الحرص على كسب المال، والحرص على إغناء الأولاد إلى الحصول على المال بالطرق المحرمة غير المشروعة، كما قد يؤدي كثرة المال إلى إنفاقه في الحرام ويكون حب الأولاد دافعا إلى التغاضي عن أخطائهم فيكون مآلهم إلى العصيان فيؤاخذ المؤمن الذي أشرب قلبه حب المال والولد بهذه الذنوب ويعاقب.

ولهذا قال تعالى «والله عنده أجر عظيم» لبيان أن من آثر محبته تعالى على محبة المال والولد لا يكون له إلا جماع الخير وهو الأجر العظيم.

ثم إنه لما كان قد ثبت أن حبه تعالى هو وحده الحب الذي لا يرتب إلا خيرا، وكان قد ثبت أن حب المال قد يؤدي إلى مفارقة الذنب الذي يعذب به.

فإنه تعالى أمر المؤمنين بأن يعملوا جهدهم على تجنب إغضابه بتجنب العصيان، ثم أمرهم أن يسمعوا أوامره تعالى ونواهيه وأن يطيعوها، كما أمرهم أن ينفقوا مما رزقهم في طاعته ليكون المال سببا لنفعهم وبين أن طاعته تعالى والإنفاق في سبيله هما الخير لأنفسهم.

ثم إنه لما كان الأمر بالإنفاق يخالف غريزة حب الاقتناء فإنه تعالى حذر من البخل وحث على الإنفاق في سبيله ببيان أن من يقهر غريزة حب الاقتناء فيه ويقهر البخل يكون من الفائزين.



إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا يَضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عِلْمٌ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

التفسير:

بعد أن أمر تعالى المؤمنين أن ينفقوا مبتغين وجهه ليكون الإنفاق خيرا لأنفسهم، ولما كان الخير المتحصل عليه من الإنفاق يعتبر استرداداً لما أنفق وإضافة إليه، فإنه تعالى عبر عن هذا الإنفاق بطريق الاستعارة التمثيلية بالقرض، وتطلب فيه خلوص النية لله بوصفه بالحسن، ثم حث على أدائه ببيان أنه يضاعف أجره من الحسنات، وأنه يغفر به الذنوب، ويشكر للمنفق عمله ويكون به حليماً فلا يعجل له عقاب معصية.

ثم أتبع هذا بوصف ذاته بأنه عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، ليعلم الناس أنه يعلم المنفق من الممسك، ويعلم ما إذا كان المنفق قد ابتغى بإنفاقه وجهه تعالى أم ابتغى هدفاً دنيوياً، وأنه يجازي بما شاء لقدرته على كل شيء، ووفقاً لما تقضى به حكمته .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَبَلَّغُوا حُدُودَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَإِنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَذَرُوا لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۖ فَإِذَا
بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا
ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَنْقُ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ
أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝

التفسير:

خاطب تعالى رسوله بصفته رأس الأمة الإسلامية فيكون القول موجها إلى كل فرد من أمته

ﷺ، ولهذا وجه القول إلى الجمع بعد اختصاصه ﷺ بالنداء. وفي القول أمر تعالى أن يكون طلاق النساء - والمراد بهن المدخول بهن - لعدتهن، أي لدى استقبالهن عدتهن وهو ما يكون في طهر لم يمسهن فيه الزوج. ثم أمر تعالى بإحصاء العدة - بمعنى عدها - وأتبع هذا بأمره بتقواه بمعنى أن يتقوه في حساب مدة الثلاثة القروء فتكون كاملة ولا يزداد فيها إضرارا بالمطلقات.

ثم أمر تعالى بعدم إخراجهن من البيوت، ووصف البيوت بأنها بيوت المطلقات لبيان حقهن في البقاء فيها فترة العدة، كما نهى عن خروجهن بأنفسهن أو بنفى خروجهن بمعنى أنه منع الأزواج من الإذن لهن بالخروج من البيوت في فترة العدة. ثم استثنى من هذا حال ارتكاب المطلقة فاحشة مبينة، يدخل فيها الزنى بطبيعة الحال وقيل إنه يعد فاحشة مبينة خروجها بذاتها من بيتها.

ثم أشار تعالى إلى ما ذكر من أحكام وأخبر عنها أنها حدود الله، بمعنى أنها الأحكام التي شرع لعباده، وحذر من الإخلال بها بذكره أن من يفعل هذا يؤذي نفسه ويكون مستوجبا للعقاب.

ثم أتبع هذا ببيان أن من حكمته تعالى أن تشريعه هذه الأحكام قد يؤدي إلى أن يحدث من بعد أمر أمر، بأن يغير تعالى قلب المطلق من جهة امرأته فيراجعها، أو أن يجامعها في الطلاق الرجعي وهي في البيت فتكون بهذا مراجعتها بدلا من المفارقة.

وبعد هذا أورد تعالى حكما آخر، وهو أنه إذا ما أشرفت النساء على بلوغ آخر عدتهن فإنه يكون على الرجال إحدى اثنتين، أولاهما أن يراجعوهن مع الإحسان إليهن في المعاشرة والثانية أن يفارقهن دون الإضرار بهن، كأن يراجعوهن ثم يطلقوهن لإطالة عدتهن، وأمر تعالى من قبيل التنبؤ بالإشهاد عند الفرقة وعند الرجعة، وقيل عند الفرقة كما قيل عند الرجعة وذلك بشاهدي عدل من المؤمنين.

وأمر تعالى الشهود أن يقيموا الشهادة خالصة لوجهه تعالى. ثم أتبع هذا ببيان أن أحكامه هذه قد شرعت ليفيد منها من يلتزمها وهو من يؤمن بالله واليوم الآخر، ثم بين جزاء من يتقى الله

بأن يطلق في براء لأمس فيه، دون إضرار بالمعتدة، ودون إخراج لها من بيتها مع الإشهاد تحوطاً، فذكر تعالى أنه يجعل له من الغم والضيق مخرجاً - ومنه ما يصيب المطلق بسبب الطلاق - كما ذكر أنه يرزقه من حيث لا يحتسب أن يأتيه الرزق، وقد يكون منه تزويجه أفضل ممن طلق. ثم بين تعالى فضل التوكل عليه فذكر أن من يتوكل عليه فإنه يكفيه، وأنه ماض في العباد أمره وقضاؤه، ومن يتوكل عليه ومن لا يتوكل، إلا أنه يكفر عن توكل عليه سيئاته ويعظم له أجراً، وذكر أنه جعل لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه، كيلا يغتم من راعى حدود الله وتوكل عليه.

وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ
نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ
الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝
ذَٰلِكُمْ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُعْظِمْ
لَهُ أَجْرًا ۝

التفسير:

قوله تعالى في حكم اللاتي لا يمكن حساب عدتهن من المطلقات بالحيض، وهن ثلاث فئات بدأ تعالى بذكر اللاتي يسن من المحيض لكبرهن، فأخبر تعالى أن عدتهن هي ثلاثة أشهر، وقال «إن ارتبتم» بمعنى إن جهلتم كيف تحسبون عدتهن، أو إذا ارتبتم في طبيعة الدم أيكون دم حيض أم غيره، ويكون هذا هو الحكم عند عدم الريبة في طبيعة الدم - من باب أولى - ثم عطف اللاتي لم يحضن - وهن الصغيرات اللاتي لم يبلغن سن الحيض - على اللاتي يسن من المحيض فتكون عدتهن هي الثلاثة الأشهر.

ثم ذكر تعالى الفئة الثالثة وهن أولات الأحمال أو الحوامل فبين أن منتهى عدتهن هو أن يضعن حملهن. ورغم أن النص تعلق بالمطلقات إلا أن حكمه عام يشمل المتوفى عنهن أزواجهن.

ثم جاء قوله تعالى «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من أمره يسرا» مبينا أنه تعالى يجازى من يتقى غضبه بالتزام أحكامه، بأن يسهل عليه جميع أمره.

ثم أشار تعالى إلى ما ذكر من أحكام وأخبر عنها أنها أحكامه الآمرة المنزلة إلى المؤمنين ثم حث على التزامها ببيان أن من يراعيها اتقاء لغضبه تعالى يكفر تعالى عنه سيئاته بمراعاته إياها لكونها من الحسنات، ويضاعف له أجره على إحسانه.

أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ
لِضْيَاقِ أَعْيُنِهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَرُوا بِنَتِكُمْ
بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَرَضِعْ لَهُ الْآخَرَى ① لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ
مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ
نَفْسًا إِلَّا مَاءً إِنَّهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ②

أولاً : الأسماء :

الوجد : فى قوله تعالى «أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم» هو الغنى والمقدرة، والمراد به فى معنى الآية هو «السعة» .

ثانياً : التفسير :

القول موجه للأزواج المطلقين، وهو فى حقوق المطلقات اللاتئى بن، أى اللاتئى أصبح طلاقهن بائناً، لأن المطلقات طلاقاً رجعياً تكون زوجة حكماً يتوارثن وأزواجهن، ولا يخرجن إلا بإذن أزواجهن مادمن فى العدة، ولهذا لم يؤمر أزواجهن بأن يسكنوهن لوجوب ذلك عليهم بحكم الزواج حكماً. وهو فى شأن غير الحوامل منهن.

وفى القول أمر تعالى الأزواج أن يسكنوهن من حيث سكنوا من وجدهم، والمعنى أنه يكون للمطلقة على مطلقها فى فترة العدة - فى الطلاق البائن حق السكنى على المطلق مما يطيقه أو من وسعه، فإن لم يكن لديه إلا بيت واحد، فإنه يسكنها بعض نواحيه.

ثم أمر تعالى الأزواج المطلقين بعدم استعمال الضرار فى السكنى مع مطلقاتهم ليضطروهم إلى الخروج من المسكن، كأن يسكن فيه من لا تحب المطلقات السكنى معه. والظاهر من النص أنه يكون للمطلقة طلاقاً بائناً حق السكنى فى فترة العدة دون النفقة. وقد اختلف فى شأن المطلقة ثلاثاً، فذهب مالك إلى أن لها السكنى ولا نفقة لها، وقال أبو حنيفة لها السكنى والنفقة، وقال أحمد لا نفقة لها ولا سكنى.

ثم اختص تعالى الحوامل منهن بحكم خاص فأوجب على المطلقين أن ينفقوا عليهن حتى يخرجن من العدة بالوضع. وفى شأن المتوفى عنهن أزواجهن فإن أغلب العلماء على أنه لا نفقة لهن، وقال البعض أنه تجب لهن النفقة فى التركة.

وبعد هذا بين تعالى أنه بعد أن تضع المطلقة حملها يكون لها على مطلقها أجر الرضاة إن أرضعت وليدها منه، وقال أبو حنيفة إنه لا يجوز للرجل أن يستأجر امرأته لإرضاع وليدها كما يستأجر أجنبية ما لم يكن طلاقها بائناً أو صار بائناً.

ثم أمر تعالى الزوجين أن يكون تعاملهما مع بعضهما فى شأن الرضاة والإرضاع بالمعروف، ومنه إرضاع الولد بغير أجر، ومنه توفير الأجرة للإرضاع على الأم المرضع. ثم بين تعالى حكم حالة التعاسرين الزوجين المطلقين، بأن يأبى الزوج إعطاء الأم رضاها وتأبى

الأم أن ترضع، فأمر الأمب أن يستأجر مرضعة للمولود غير أمه، جاء الخبر في القول «فسترضع له أخرى» في معنى الأمر.

ثم إنه تعالى أمر الزوج بالإنفاق على زوجته وعلى ولده الصغير قدر ما وسع الله عليه فيوسع عليهما إذا كان موسعا عليه، فإن كان فقيرا فعلى قدر حاله. بمعنى أن يكون الإنفاق بقدر احتياج المنفق عليه وفي حدود قدرة المنفق. ثم بين تعالى أن حكمه هذا هو تطبيق لمبدأ عام أو حكم عام هو أنه لا تكليف إلا بمقدور، أي أنه تعالى لا يكلف نفسا بشيء إلا بقدر ما أعطاه من الطاقة. ثم أنه أتبع هذا بأن أمّل الفقراء في التوسعة عليهم فيكون لهم من بعد عسر يسرا.

وَكَأَيِّن مِّن

قُرْبَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا
وَعَذِّبْنَهَا عَذَابًا نُكَرًا ۝ فذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ
أَمْرِهَا خُسْرًا ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - في وجوب التزام أحكام الله المأمور بها ببيان ما كان من عاقبة أمر الذين امتنعوا على أوامره تعالى. فمفاد القول أن كثيرين من أهل القرى قد تكبروا على أوامر ربهم وأوامر رسله ولم يمثلوا لها، فكان منه تعالى أن حاسبهم حسابا شديدا تناول كل صغيرة من صفات ذنوبهم بالحساب والمساءلة لم يعف عن شيء، ثم كان منه تعالى أن قدر عذابهم العذاب المنكر الشديد في الآخرة.

ثم بين تعالى أنهم ذاقوا عقوبة عتوهم واستكبارهم على أوامر ربهم ورسله فيكون المراد

بهذا هو عذاب الدنيا، كما أوضح أن عاقبة أمرهم في الآخرة هو الخسران الهائل الذي لا خسران يعدله، لأنه لا يماثل عذاب الله عذاب .

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رُسُلًا يَلْتَمِسُونَ عَلَيْكُمْ
يَا أَيُّهَا اللَّهُ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝

التفسير:

لما كان تعالى قد أمر بتقواه، ثم بين مصير الذين لم يتقوه ممن امتنعوا على أوامره تعالى ورسله وعتوا عنها، فإنه تعالى كرر وعيده بالعذاب يكون لمن لا يتقيه معدا محضرا من قبل أن يصيبه، فجاء قوله تعالى «فاتقوا الله يا أولي الألباب» مبينا أن التوعد بالعذاب المعد سلفا أريد به أن يكون داعيا إلى أن يتقى الله أصحاب العقول، وصفهم تعالى بأنهم الذين آمنوا، بياننا لأنه لا يؤمن إلا أصحاب العقول، ولتلازم التقوى والإيمان، فلا تكون تقوى الله إلا من مؤمن به إيمانا صحيحا .

ثم بين تعالى للمتقين الذين آمنوا أنه أنزل إليهم ذكرا، والمراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم المداوم على ذكر الله بتبليغ رسالته وتلاوة قرآنه الذكر الحكيم، بينه بصريح القول «رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات» وصفه تعالى — في القول بأنه يتلو آيات القرآن العظيم الموضحة كل ما يحتاج الناس إلى معرفته، وذلك ليخرج الذين قدر لهم أن يؤمنوا في علمه تعالى من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهدى والإيمان.

ثم بين تعالى أن علمه السابق بمن يؤمن لا يفيد معنى قسر من لا يؤمن على الكفر، وذلك بذكره تعالى أن من يؤمن بالله - بمعنى من يختار الإيمان - ويقرن إيمانه بعمل الصالحات، يكون أمره تعالى معه أنه يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار يخلد فيها للأبد، ثم جاء قوله تعالى «قد أحسن الله له رزقا» للتعجيب مما يرزقه الله وتعظيمه .

اللَّهُ الَّذِي

خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٦﴾

التفسير:

جاء لفظ الجلالة في جملة الآية مبتدأ، وخبره «الذي خلق سبع سموات». ومعنى القول أنه تعالى خلق السموات سبعا وأنه خلق الأرض مثلهن سبعا، أوفى كونهن طباقا بعضها فوق بعض.

وجاء قوله تعالى «يتنزل الأمر بينهن» مفيدا معنى أنه تعالى يمضي أمره وقضاه وقدره بينهن، فيكون القول - بهذا المعنى - مفيدا أنه في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه تعالى وإن لم نعلمهم جميعا.

ثم بين تعالى أنه يتعين على المكلفين إن يدركوا من هذا أن من قدر على فعل هذا قادر على كل شيء، فتكون تقواه عن إيمان، وأن يدركوا أنه ما من شيء يخرج من علمه، فتكون تقواه تقوى قلوب .



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ لَكَ مَرْضَاتُ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ① قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ②

التفسير:

نادى تعالى رسوله ﷺ بقوله «يا أيها النبي» ثم سأله عن سبب تحريمه على نفسه شيئا أحله الله له، قيل أنه أكل العسل، إذ أنه صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا، وقيل عند جويرية فتواصت عائشة وحفصة من نساءه صلى الله عليه وسلم على أن من يأتيها منهما تقول له إنها تنكر رائحة منه، وأنه صلى الله عليه وسلم دخل على إحداهما فقالت له هذا فقال «شربت عسلا عند زينب - أو عند جويرية - ولن أعود»، وقيل إنه صلى الله عليه وسلم كان يذهب إلى أمة له - قيل إنها مارية، وقيل جويرية - يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما، فنزلت الآية.

وفى القول عاتبه تعالى على أنه حرم على نفسه شيئا أحله الله له، كما عاتبه على باعته على التحريم وهو ابتغاؤه رضا زوجته الذي لا يجوز أن يكون سببا لتحريم شيء على النفس

أحله الله، وإن كان فعله صلى الله عليه وسلم لا يعد تحريماً لحلال، وإنما مجرد ترك الأولى. ثم جاء قوله تعالى «والله غفور رحيم» تعظيماً له صلى الله عليه وسلم ببيان أن «ترك الأولى» بالنسبة له هو مما يستوجب المعاتبة، وأنه تعالى قد غفر له ما أوجبها ورحمه فلم يؤاخذها عليها.

ثم إنه تعالى بين للمؤمنين - بمناسبة الحدث - حكماً يتعلق بتحلة الإيمان، فيبين أن تحليل اليمين هو كفارتها، بمعنى أنه يكون على من أحب استباحة المحلوف عليه أن يكفر عن يمينه بإطعام عشرة مساكين - على ما جاء في سورة المائدة - دون أن يعنى هذا أن المحلوف عليه يصير حراماً، فالكفارة هي لليمين. ثم ذكرت تعالى للمؤمنين أنه وليهم وناصرهم يزيل عنهم الحظر فيما يجرمونه على أنفسهم بالتخييص لهم في التحلل من أيمانهم بالكفارة ويثبتهم بما يخرجون في الكفارة، وأنه شرع لهم الكفارة بحكم علمه بطبائعهم، وعلى ما قضت به حكمته.

وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝
إِنْ تُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ
هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَّى الْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ
۝ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكَ مُمْلَكَتٍ
مُؤْمِنَاتٍ لَقِنَنْتِ تَلْبِيتَ عِيدَتِ سَبَّحْتَ ثَبَّتِ وَأَبْكَرَا ۝

أولاً : الأسماء والأعلام :

بعض أزواجه : هي حفصة رضى الله عنها على المشهور .

ثانياً : التفسير :

يروى تعالى فى مبتدأ القول ما كان منه ﷺ مع زوجته حفصة إذ أسر إليها بحديث هو قوله لها «كنت أشرب عسلاً عند زينب - أو عند جويرية - فلن أعود له وقد حلفت . لا تخبرى بذلك أحد». ثم بين تعالى أنها أخبرت بالحديث، وهو ما كان بإطلاعها عائشة عليه، وأنه تعالى أطلع رسوله على ما كان منها وأعلمه بما صدر عنها من قول كاملاً، وهذا هو المستفاد من قوله تعالى «فلما نبأت به وأظهره الله عليه»، وذكر تعالى ما كان منه صلى الله عليه وسلم مع حفصة إذ ذكر لها بعض ما أفشته من حديثه معها - وهو قوله «كنت أشرب عسلاً عند زينب ولن أعود» وأعرض عن ذكر بعض ما أفشته، وهو قوله «وقد حلفت». كما ذكر تعالى أنه كان من حفصة عندما قال لها صلى الله عليه وسلم هذا أنها سألته عمن أعلمه بحديثها مع عائشة، لتعرف ما إذا كانت عائشة قد وشت بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا، فقال لها صلى الله عليه وسلم إن الذى أعلمه ما كان منها هو الله العليم الخبير الذى لا تخفى عليه خافية .

وبعد هذا توجه تعالى بالخطاب إلى حفصة وعائشة رضى الله عنهما، فطلب منهما التوبة مما صدر منهما وبين لهما أن قلوبهما قد مالت عن الواجب عليهما وهو عدم مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيكون كمال المعنى أنه قد وقع منكما ما يستوجب التوبة وهو أن قلوبكما قد مالت عما هو واجب عليهما، ثم إنه لما كان ما صدر من الاثنين هو من قبيل التظاهر عليه صلى الله عليه وسلم والتداعى بأن دعمت إحداهما الأخرى، فإنه تعالى بين لهما أن تظاهروا عليه لا يضره. وسبب ذلك أنه تعالى هو مولاه وناصره، وكذلك ينصره بأمر الله جبريل عليه السلام وصالح المؤمنين، ثم تكون الملائكة من بعد نصر الله إياه مظاهره له ﷺ مؤيدة، فلا يتصور أن يكون لأحد غلبة عليه.

ثم إنه تعالى تهددهما وجميع زوجاته ﷺ بتطليقهن، مثبتاً لهن أنه إن طلقهن فإنه تعالى

يعطيه بدلا منهن زوجات خيرا منهن، يكن مسلمات مخلصات في إيمانهن، مواظبات على طاعة الله وطاعة رسوله، ثابتات عن الذنوب لا يرتكبنها، عابدات متذلات لأمر الله ورسوله، صائمات سائحات، يكون منهن الثيب التي زالت بكارتها، وتكون منهن البكر التي لم تفض عذريتها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ
إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧

التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين وأمرهم رعاية لمصالحهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب النار التي تنقد - عوضا عن الحطب وأنواع الوقود الأخرى - بالناس وحجارة الكبريت - وهو ما يكون بالعمل بالطاعات وتجنب المعاصي وبأمر الأهل - يدخل فيهم الزوج والولد والعبد والأمة - بهذا، والنصح به والتأديب عليه. ثم وصف تعالى النار المأمور بتجنب عذابها بأنها عليها ملائكة غلاظ القول شداد الفعل، هم الزبانية الموكلون بأمر النار ويتعذيب أهلها، وصفهم تعالى أيضا بأنهم لا يعصون الله أمرا أمرهم به وأنهم لا يفعلون إلا ما أمرهم الله أن يفعلوه.

ثم إنه وافق ذكر النار وعذابها والموكلين بتعذيب أهلها أن يخاطب تعالى الذين أعدت لهم فيبين لهم تعالى أنه لا يعفيهم من العذاب أن يقدموا يوم القيامة عذرا لكفرهم، وأنهم يعذبون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَلُّوْا إِلَى اللَّهِ
تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ
جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا
نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

التفسير:

نادى تعالى المؤمنين - فى الآية - وأمرهم أن يتوبوا إلى ربهم من الذنوب جميعا توبة نصوحا بمعنى أن تكون بالغة فى النصح تؤتى على وجهها فتشمل الندم والاعتذار والعزم على عدم العودة إلى الذنب.

فيكون القول داعيا إلى عدم تأخير التوبة وعدم التمادى فى مقارفة الذنوب.

ثم إنه تعالى أطمع المؤمنين التائبين فى ثواب التوبة بذكره لهم أنه تعالى يكفر بها عنهم سيئاتهم فلا يؤاخذهم عليها، وأنه يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار فى اليوم الذى يكرم فيه تعالى رسوله والذين آمنوا معه ويعزه ويعزهم فلا يخزيهم كما يخزي الكافرين، يكون لهم أن نورهم يكون أمامهم وعن أيمنهم وهم على الصراط تكريما منه تعالى.

ويكون منهم أن يتقربوا إلى الله بدعائه أن يتم لهم نورهم - مع تمامه - إقرارا منهم بأنه تعالى ذو الفضل العظيم، ويختمون بدعائهم بإقرارهم له تعالى بأنه القادر على كل شيء، ومنه التفضل عليهم بما يشاء فوق ما وعدهم .



يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ①

التفسير:

أمر تعالى رسوله ﷺ - في الآية - أن يجاهد الكفار والمنافقين وأن يغلظ عليهم، والمعنى أن يجاهد ﷺ الكفار بالحجة وبالسيف والقتال، وأن يجاهد المنافقين بأن يفضحهم وأن يغلظ لهم في القول، وأن يقيم عليهم الحدود فيما يقرفون من جرائم الحدود، وأن يغلظ على هؤلاء وهؤلاء بأن يتشدد في دين الله ولا يرفق بهم، ثم أعلمه تعالى أن مصيرهم في الآخرة هو جهنم تكون لهم المأوى، ثم ذمها تعالى ببيان أن بئس المصير هو مصير جهنم .

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنٍ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ① وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ
وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ② وَمَرْيَمَ
ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ
بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ③

التفسير:

لما كان تعالى قد بين لحفصة وعائشة رضى الله عنهما أنهما قد مالت قلوبهما عما توجب عليهما نحو رسول الله ﷺ، وحثهما على التوبة عن العودة لفعل ما كان منهما من تظاهر عليه ﷺ، فإنه تعالى فى الآيات بين أنه لا تتفع رابطة زوجية ولا علاقة نسب ودم فى رفع العذاب عن عاص أو عاصية. فإنه تعالى ضرب الأمثال الدالة على هذا وعلى عكسه - وهو صحيح - بما جاء فى الآيات. فذكر تعالى أنه ضرب مثلاً للذين كفروا وعصوا بأمرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام، قيل إن أسم الأولى هو والهة واسم الأخرى والعة. ذكر تعالى أن كلا منهما كانت تحت عبد من عباده الصالحين، إذ كانت كل منهما زوجاً لنبى، ثم بين تعالى أن كلا منهما قد خانت زوجها، بمعنى أنها خانته فى الدين، إذ كانت كافرة أو منافقة، أو إنها كانت تشى بأمره إلى الكفار. ثم ذكر تعالى أن زوج كل منهما لم يغن عنها شيئاً من العذاب، بمعنى أن صلتها به كزوج لم تمنع عنها عذاب الله ولم تخفف منه عنها شيئاً .

ثم إنه تعالى ذكر أنه يضرب مثلاً للذين آمنوا بأمرأة فرعون قيل إن اسمها هو آسية بنت مزاحم. وبمريم بنت عمران، والمراد بذكر أمر كل منهما هو الترغيب فى التمسك بالدين والثبات عليه وبالطاعة بدأ تعالى بذكر ما كان من أمر امرأة فرعون وهو توجهها إلى الله بقولها «رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة» قيل إنها توجهت إلى الله بهذا القول حين كان فرعون يعذبها بالشمس جزاء على إيمانها برب موسى وهارون، وأنها سألته تعالى أن ينجيها من فرعون ومن عمله الكافر أو من العمل بالكفر، وأن ينجيها من قومه الظالمين الذين ظلموا الله بعبادة فرعون وظلموا أنفسهم بكفرهم . وقيل إنه تعالى استجاب لسؤالها فأطلعها على مكانها من الجنة، وقيل إنه تعالى أراها بيتها فى الجنة .

ثم نثى تعالى بذكر أمر مريم ابنة عمران، ذكر تعالى من أمرها أنها صانت فرجها عن الفواحش أو صانت جيها الذى نفخ فيه تعالى من روحه عن الفاحشة، فكان منه تعالى أن نفخ فى جيها، بمعنى أن جبريل عليه السلام نفخ فى جيها بأمر الله، فيكون المراد بالروح فى قوله تعالى «من روحنا» هو جبريل عليه السلام ويتصور فى القول أن يكون المراد بالروح فى

القول هو عيسى ابن مريم، لقوله تعالى فيه إنه روح منه.

ثم ذكر تعالى في مريم ابنة عمران أنها صدقت بكلمات ربها وكتبه، بمعنى أنها صدقت بما أنزل من قبل من الصحف على الأنبياء والرسل، منهم إدريس عليه السلام وإبراهيم وموسى وداود، وما أنزل من الكتب، والمراد هو التوراة كتاب الله الذي أنزل على موسى عليه السلام. كما بين تعالى أنها كانت من القانتين، بمعنى أنها كانت معدودة في عداد المواظبين على الطاعة. فيكون القول حثاً على التمثل بامرأة فرعون وبمريم ابنة عمران.



بسم الله الرحمن الرحيم سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١
الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٢

التفسير:

قوله تعالى - في مفتاح السورة - «تبارك الذي بيده الملك» مفاده - على المعنى اللفظي - أنه تزايدت وتنامت خيراتة تعالى المالك كل شيء. ولما كان تعالى منزّه عن النقص فمما لا يكون معه متصوراً أن ترد زيادة أو تظراً على شيء يملكه، فإن المعنى المراد يكون هو تزايد

وتنامى الخير الذى يفيض منه تعالى على من يشاء من عباده من الملك الداخلى جميعه فى ملكه. ثم أثبت تعالى أنه على كل شىء قدير تدليلاً على قدرته تعالى أن يفيض على من يشاء بما يشاء من ملكه الذى لا ينفد .

ثم وصف تعالى ذاته ، أو أخبر عنها بأنه الذى خلق الموت والحياة، بمعنى أنه تعالى خلق الخلق للموت فى الدنيا وللحياة فى الآخرة، ثم بين تعالى أنه خلق الموت والحياة ليعامل الناس معاملة المختبرين الممتحنين، ليعين - بمعنى لقيام الحجة - من كان عمله أصوب الأعمال وأخلصه، ثم ليكون منه تعالى الجزاء على ما تقوم عليه الحجة، ومنه إثابة من حسن عمله.

ثم جاء قوله تعالى «وهو العزيز الغفور» مبيناً أنه الغالب القادر على تعذيب من ساء عمله، والذى يملك أن يغفر لمن تاب ممن ساء عمله أو يغير توبه .

الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَقْوٍ
فَإَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۖ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝

أولاً : الأسماء :

١ - الطباق : فى قوله تعالى «الذى خلق سبع سموات طباقاً» هو «التطبيق» بمعنى تطبيق الشىء تطبيقاً، وهو المطابقة تكون بمطابقة الشىء على الشىء .

٢ - التفات : فى قوله تعالى «ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت» هو التباين والتباعد، والتناقض.

٣ - الفطور : فى قوله تعالى «هل ترى من فطور» هو الخلل، وهو الشقوق .

٤ - الحسير: فى قوله تعالى «يرتد إليك البصر خاسئا وهو حسير» هو الذى بلغ الغاية فى الإعياء والتعب .

ثانيا : التفسير :

وصف تعالى ذاته «العزیز الغفور» بأنه الذى خلق سبع سماوات طباقا، ويتصور أن يكون «طباقا» نعتا للسبع فيكون المعنى أن بعضها فوق بعض فى اتصال، ويتصور أن يكون مفعولا مطلقا فيكون المعنى أنها طويقت طباقا. ثم إن القول قد يكون مشيرا إلى الحقيقة العلمية أن طبقات الغلاف الجوى أربع هى: الطبقة السطحية (التروبوسفير) التى تحدث فيها التقلبات الجوية، والطبقة ذات الطبقات (الستراتوسفير) التى ترتفع درجة الحرارة فى بدايتها إلى ٢٠ درجة مئوية، ثم تنخفض إلى ١٤٠ درجة مئوية تحت الصفر فيما علا ذلك، والطبقة الحرارية (الترموسفير أو الأيونوسفير) التى ترتفع فيها الحرارة إلى حوالى ٦٠٠ درجة مئوية لاحتوائها على بحر من الأيونات (الذرات المشحونة كهربيا) الموجبة والسالبة تسمى «البلازما»، والمحيط الخارجى (الأكسوسفير) الذى يمتد حتى نهاية الغلاف الجوى، كما يكون مشيرا إلى أن تطابق السماوات يفيد وجود تماثل بينها فى أن كل سماء منها تتعدد طبقاتها لتوافق ما فيها من خلق الله .

وقوله تعالى «ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت» قيل إنه صفة أخرى لسبع سماوات، ومعناه أنه لما كان تعالى قد خلقهن بقدرته، فإن الناظر إلى السماء لا يرى فيها اختلافا أو عدم تناسب أو عيوباً. ونرى - والله أعلم - أن المراد بخلق الرحمن هو جميع ما خلق .

ثم أمر تعالى كل من تنأت منه الرؤية أن يعيد النظر إلى السماء «فارجع البصر»، ثم بين أن إعادة النظر إلى السماء - بحثا عن وجود عيب فيها أو عدم تناسب - مؤاده عدم اكتشاف عيب فيها أو عدم تناسب «هل ترى من فطور» إذ يفيد الاستفهام معنى الإنكار .

وبعد هذا أمر تعالى بإعادة النظر مع التدبر إلى السماء مرتين آخرين للتأكد مما إذا كان فيها خلل أو عدم تناسب أم لا، وأثبت أن نتيجة هذا أنه لا يكشف النظر أو البصر خللا ما فى بناء السماوات، فيعود البصر إلى الناظر مجهدا من طول المعادة وكثرة المراجعة. ونرى - والله

أعلم - أن المراد بمغاودة النظر هو إعادة النظر بالوسائل العلمية التي يتأتى للإنسان الوصول إليها، وهو ما تحقق بواسطة سفن الفضاء التي وصلت القمر، ذلك أن ما كان يحيط به البصر من أمر السماء عند النظر إليها هو رؤية السماء الزرقاء، وما يبدو وراءها من قمر وكواكب ونجوم بالليل وشمس بالنهار، وفيه دليل على عظم نظام الكون وإحكامه وإبداعه وانعدام الخلل فيه، فلما خرج رواد الفضاء إلى الطبقات العليا ونظروا السماء تبين لهم أنه يتجاوز السماء الزرقاء ويتجاوز الغلاف الجوي، تتحول السماء الزرقاء إلى اللون الفيروزي ثم الأزرق الغامق ثم البنفسجي ثم الأسود الحالك رغم طلوع الشمس؛ ولهذا فإن إلقاء النظر يرتد إلى الناظر حسيرا لأنه لا يرى شيئا في هذا الظلام.

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ

الدُّنْيَا بِصَبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَعَتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسْأَلُونَ فِيهَا الْقَوَائِمَ سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وهي تَفُورُ ٦ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ٧ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ٨ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٩ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسَحَقْنَا أَصْحَابَ السَّعِيرِ ١٠

أولاً: الأسماء :

السَّحَقُ : في قوله تعالى «فسحقنا لأصحاب السعير» المراد به - في معنى القول - هو

البعد من رحمة الله .

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى بديع صنعه في السماوات، فإنه تعالى انتقل من هذا إلى بيان تعذيبه بالسماة العصاة عن أمره من الجن، ثم انتقل من هذا - لعلاقة السببية - إلى بيان تعذيبه العصاة جميعاً من الجن والإنس :

بدأ تعالى بذكره أنه زين السماء القريبة من أهل الأرض وأحسن منظرها وشكلها بالكواكب والنجوم - شبهها بالمصابيح وهي الأسرجة لأنها تضيء مثلها، كما بين أنه جعل من الكواكب والنجوم رجوماً للشياطين، إذ المعلوم أن الكواكب نشأت من الانفصال عن الشمس - وهي النجوم - وأن الشهب هي من مادة الكواكب المتفصلة عنها، وأنه تعالى القائل «إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب» فالرجم إنما يكون بالشهاب وليس بالكوكب، والمرجومون هم شياطين الجن الذين عصوا عن أمر ربهم فاسترقوا السمع، ثم بين تعالى أنه أعد لهؤلاء الشياطين في الآخرة عذاب السعير، وهي النار المسعرة .

ثم انتقل تعالى بالقول إلى كفار الإنس، وصفهم بأنهم الذين كفروا بربهم، وأخبر عنهم أنه أعد لهم عذاب جهنم، ووصف مصيرهم فيها بأنه ينس المصير ثم وصف ما يكون معهم في تعذيبهم فيها وما يكون منهم، فذكر أنهم حين يطرحون فيها يسمعون لها صوتاً يشبه الشهيق أو يشبه صوت شهيق الحمار - على ما ذكر - يكون لها وهي تغلى فينفصل بعضها عن بعض، ثم بين تعالى أن حالها وهي تفور يكون الغليان الذي أثاره شدة غضبها على أهلها، ثم أتبع تعالى هذا بوصف ما يكون مع الملقون فيها، فذكر أنه كلما أُلقي فيها فوج من أهلها الكافرين سألهم مالك وأعوانه خزنة جهنم مقرعين موبخين عما إذا كان قد جاءهم رسول أنذره عذاب ربهم بما تلى عليهم من آيات أم لا، فتكون إجابتهم إقراراً واعترافاً على أنفسهم أنه تعالى قد بعث فيهم الرسل المنذرين، وأنهم كذبوه وأنكروهم أنبياء مرسلين بقولهم إن الله لم ينزل على أحد من خلقه شيئاً من الأشياء ومن هذا آياته تعالى، وأنهم اتهموا رسلهم بأنهم في ادعائهم أنهم رسل قد جاوزوا الحق وغمصوا في الضلال الكبير .

ثم بين تعالى أن الكافرين يتحسرون على ما كان منهم في الدنيا مع رسلهم بذكره أنهم يقرّون على أنفسهم أنهم لم يكونوا ممن يستمعون القول فينصتون ويتدبرون معملين عقولهم «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير»، وأنهم يتحسرون على ما فرطوا في حق أنفسهم بقولهم إنهم لو كانوا قد أحسنوا السمع والتدبر لما كانوا من أصحاب السعير المعذبين فيها. وعقب تعالى على قولهم هذا ببيان أنه يكون منهم الاعتراف بأن ما كان منهم من جحد الرسل هو ذنب يستوجب العقاب، وبأنهم مذنبون، ثم إنه تعالى يدعو عليهم بالبعد من رحمته ومن نتيجته أنهم يكونون أصحاب السعير.

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى مصير الكافرين في الآخرة، فإنه ذكر ما يكون للمؤمنين المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم العلماء لقوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء» من صفاتهم أنهم يخشون عذاب يوم القيامة - وهي من الغيب - فتكون منهم التقوى. ومصيرهم هو المستفاد من أنه تعالى يغفر لهم ذنوبهم فلا يعذبهم بها، وأنه يشيهم الأجر الكبير، وهو تنعيمهم في الجنة.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيفُ الخبيرُ ﴿١٤﴾

التفسير:

يتصور أن يكون الخطاب في قوله تعالى «وأسرّوا قولكم أو أجهروا به» للكافرين الذين

كانوا يقولون في رسول الله ﷺ غير الحق، فيكون تعالى قد أعلمهم أنه يعلم ما يسر به بعضهم إلى بعض، أو يخفونه في صدورهم كما يعلم ما يجهرون به، وذلك لعلمه بما تنطوى عليه الصدور، فيكون علمه بالجهر منه مستفادا من باب أولى، ويكون المعنى أنه تعالى مُعلمُ رسوله ﷺ به وأنه معذبهم به. ويتصور أن يكون الخطاب لجميع المكلفين، يكون مرتبطا بقوله تعالى في الآية الثانية من السورة «ليولكم أيكم أحسن عملا» فيكون الابتلاء قد أظهر الكافرين كما أظهر الذين هم أحسن عملا الذين يخشون الله بالغيب، فيكون مفاد القول أنه سواء أسر المكلفون قولهم المنىء عن عقيدتهم أم جهروا به، فإنه تعالى يعلمه ويعلم الكافر منهم من المؤمن الذي يخشى ربه بالغيب، وذلك بحكم علمه بما هو كامن في صدور خلقه.

ثم بين تعالى حتمية علمه بما يسر العبد وما يخفيه بقوله «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» تضمن إنكارا ونفيا لعدم العلم، وإثباتا أنه الخالق الذي يعلم من خلق، لطف بعباده فلم يكلفهم بما هو فوق الطاقة، وأرسل إليهم الرسل، وأمهلهم فلم يعجل عذابهم لعلهم يؤمنون، وعلم أحوالهم فأعطاهم من الآيات ما يفترض معه أن يؤمنوا ويتقوا، فإن كان من المكلفين الكفر بعد هذا فإنهم يكونون مستحقين بإغصابهم من كان بهم لطيفا وبأحوالهم خبيرا.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا
 فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمِ اتُّمَّ مِّن فِي
 السَّمَاءِ أَن يَخِفَ بِكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ اتُّمَّ مِّن فِي
 السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
 كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

أولاً: الأسماء:

المناكب: في قوله تعالى «فامشوا في مناكبها» جمع، مفردة «المنكب» هو مجمع عظم العضد والكتف. والمراد بها - في معنى الآية - هو الجبال، وقيل الطرق والفجاج.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في ذكر بعض آياته في الخلق الدالة على قدرته بما يوجب الإيمان به وتوحيده، وفي بيان استحقاق الكافرين به تعالى من بعد بيان آيات عذابه، وتهديد الذين يصرون على الكفر.

خاطب تعالى المكلفين من البشر فأخبر عن ذاته أنه الذي جعل لهم الأرض ذلولا، بمعنى أنها مذللة لهم بأمره ليعيشوا عليها، فهو الذي يرد قشرتها من بعد أن كانت ملتفة، وهو الذي يسطها وسواها ليتمكنوا من السير فيها؛ ولهذا جاء أمره تعالى المرتبط بهذا هو بالمشي في مناكبها فإذا كان المراد بالمناكب هو الجبال، فهو تعالى الذي جعل فيها سبلا للسير، وهو الذي علم الإنسان كيف يرتادها وكيف يجعل فيها الأنفاق وإن كان المراد بها هو السبل والفجاج، فهو تعالى الذي أوجدها. كما جاء أمره تعالى بالأكل من رزقه الذي ذلل الأرض لتخرجه أولتخرج منه ما يعيش عليه الحيوان الذي يأكله الإنسان، ثم أعقب تعالى هذا بذكره أنه إليه تعالى يكون النشور وهو المرجع بعد البعث، ليعلم الناس أن هذه النعم تستوجب شكره الذي يكون بتوحيده وعبادته وطاعته، وأنه تعالى محاسبهم بهذا بالثواب والعقاب.

ثم إنه لما كان عذاب الآخرة مؤخرا لا يخافه الكافرون، فإنه تعالى هدّد الكافرين بعذاب الدنيا يكون ممن هو في السماء على ما كانوا يقولون به من أن الله تعالى في السماء - أو يكون من الله خالق من في السماء، فيكون مفهوما أنه خالق من في الأرض أيضا، لأن خلق السماء أجل وأعظم من خلق الأرض. وفي القول جاء التهديد بأن يكون الانتقام من الكافرين في الدنيا بخسف الأرض بهم بمعنى أن تهبط بهم إلى أسفل وهي تهترأشد الاهتزاز، فالاستفهام في قوله تعالى «أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض» هو لإنكار الاطمئنان إلى أنه تعالى لا يكون منه خسف الأرض بهم جزاء على كفرهم. كما تهددهم تعالى بإرسال الريح

الحصباء عليهم ترميهم بحجارة من السماء تفنيهم وتهلكهم، فيكون منهم العلم بصدق ما أنذرهم به وقدرته على إلحاق ما أنذرهم به بهم. وقد جاء التعبير عن إنكار الاطمئنان إلى أنه تعالى لا يرسل عليهم الريح الحاصب في صيغة الاستفهام الإنكارى أيضا بقوله تعالى «أم أمتهم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا»، وفي القول جاءت «أم» لبيان أنه وقد بان فساد السبب الأول الذى ينتج عنه الاطمئنان، فإنه لم يبق إلا سبب آخر هو الذى أظهر تعالى بالقول فساده.

ثم إن تهديده تعالى الكافرين بالعذاب يكمل بيان أن ممن قبل كفار زمانه ﷺ من كذب الرسل مثلهم وأنه تعالى أنزل بهم عذابا نكرا «ولقد كذب الذين من قبلهم، فكيف كان نكير» تضمن القول تقريرا وهو أن من السابقين من كذب الرسل، وإخبارا عن تعذيبهم بطريق الاستفهام الدال على وقوع العذاب بهم وتهويل شأنه تدليلا على فظاعته.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ
فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ
بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَدُّ لَكُمْ يَئُودُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ
إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أُمْسَكَ
رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ٢١ أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ
أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٢٢

أولا: الأسماء والأعلام:

المكب على وجهه: فى قوله تعالى «أمن يمشى مكبا على وجهه» هو الساقط على

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ فَلْيَا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ
هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا
الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا
نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ۝

أولاً: الأسماء :

الزلفة : فى قوله تعالى « فلما رأوه زلفة » هى القرب .

ثانياً : التفسير :

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكافرين إنه هو الله الذى أوجدهم من العدم والذى أنعم عليهم بالسمع والأبصار والقلوب لم يشكروا الله عليها باستعمال السمع فى سماع آياته المنزل، والبصر فى النظر فى آياته تعالى فى الخلق، والقلوب فى التدبر والتفكر فىكون معنى « قليلاً ما تشكرون » هو نفى الشكر على الإطلاق . وقيل إنه ﷺ يقول القول للمؤمنين والكافرين، فىكون معنى « قليلاً ما تشكرون » هو أن الشاكرين قليل، أو أن شكر الفريقين معا قليل لأنه شكر المؤمنين وحدهم .

كما أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم إنه هو الله الذى خلقهم وبثهم فى الأرض وكثرهم، والذى إليه يحشرون فى الآخرة . ثم بين تعالى أنه حين يقول لهم رسول الله ﷺ هذا يكون

منهم ابداء إنكارهم ما يسمعون بشأن الحشر يقولهم للمؤمنين المصدقين به والقائلين «متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» يستعجلون حدوثه تعجيزاً للمؤمنين وتذليلاً منهم على عدم صدقهم، بتخديهم أن يشتبوا صدقهم بتحقيقه؛ ولهذا أمر تعالى رسوله ﷺ أن يبين لهم أنه لا يعلم مواعده وأن العلم بوقت الحشر عند الله وحده لا يطلع عليه أحدًا من خلقه، وأنه ليس سوى منذر به موضح مأمور بهذا من ربه، فيكون المنذر به حقاً.

ثم إنه تعالى يتحدث عن يوم الحشر وعذابه بضيعة الماضي كأنه قد حدث فعلاً، بإنزاله منزلة الواقع لبيان حتمية وقوعه فيقول تعالى إنهم لما رأوا عذاب يوم القيامة قريباً سيئت وجوه الذين كفروا، غشيتها كآبة ورهقها القتر والذلة، وأنه قيل لهم منه تعالى أو من الملائكة - توبيخاً لهم - إن هذا هو ما كنتم تطلبونه وتستعجلونه في حياتكم الدنيا، أو هذا الذي كنتم تدعون أنه لا يكون.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَنْ مَعِى
أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ٢٨ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَعْمَلُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٢٩ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ٣٠

التفسير:

الآيات هي في بيان أنه لا ملجأ إلا إلى الله، وفي حب الكافرين على الإقرار بهذه الحقيقة التي قد تكون مدخلاً لإيمانهم. أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكفار مكة الذين تمنوا موته «أم يقولون شاعر نربص به ريب المنون» يقول لهم «أرأيتم إن مت أنا ومن معي من المؤمنين - ونحن هدايتكم - ما يكون عليه مصيركم إذ تموتون كافرين فتعذبون بكفركم، أو رحمتنا بنصرنا

عليكم، فتعذبون بأيدينا في الدنيا وتعذبون في الآخرة بكفركم، هل يكون لكم أيها الكافرون من يجيركم من العذاب الأليم في الآخرة .

كما أمره تعالى أن يقول لهم في الله إنه الرحمن آمنوا به وعليه توكّلوا، فهو تعالى إن مات رسول الله ﷺ والمؤمنون — كما تمنى الكافرون — فإنه يرحمهم فيدخلهم جناته، وإن أحياهم نصرهم على الكفار لتوكلهم عليه وحده، وفي الحالين فإن الخير يكون للمؤمنين، ولهذا كان قوله ﷺ للكافرين بأمر ربه «فستعلمون من هو في ضلال مبين» والمعنى أنهم سيعرفون — إذا ما أصروا على كفرهم — من عذاب الآخرة إذا مات المؤمنون على ما تمنوا، أو من نصر المؤمنين عليهم في الدنيا، ومن عذابهم في الآخرة، أنهم كانوا في ضلال واضح بين. والقول — على هذا النحو — فيه حث للكافرين على الإيمان بطريق التهديد .

ثم أمره تعالى أن يستخبر من الكافرين عمن يأتيهم بماء جار سهل المأخذ، إذا ما قدر تعالى أن يذهب ماؤهم في الأرض ويغور، يكون ذلك منه ﷺ لإلزامهم أن يقولوا كلمة الحق بإقرارهم أنه الله، لعله يكون في إقرارهم هذا مبدأ إيمانهم .



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنْتَ بِمُحْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ
لَأَجْرًا غَيْرَ مُمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝

أولاً: الأسماء:

١ - ن : قيل هو اسم لحوت عليه الأرض، وقيل هو اسم للدواة، وقيل هو لوح من نور والراجح أنه اسم حرف، وأنه من المتشابه، بدلالة أنه لم يكتب كما يتلفظ به، وأنه لم يعرف منونا.

٢ - القلم : قيل هو ما خط فى اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، وقيل هو قلم الملائكة الكرام الكاتبين، وقيل هو جنس القلم أقسم تعالى به لكثرة منافعه .

ثانياً: التفسير:

افتتحت السورة باسم الحرف «ن» والراجح أنه من المتشابه. ثم أقسم تعالى بالقلم فإن كان هو ما خط فى اللوح المحفوظ فإنه يكون مستحقاً للإعظام بالقسم به، وإن كان قلم الملائكة الكاتبين، فإنه يكون مستحقاً أن يقسم به، وإن كان ما فى أيدي الناس فإنه يكون مستحقاً للإعظام لأنه آلة تحرير كتاب الله، كما أقسم تعالى بما يسطرون، يتصور أن يكون المراد هو قلم اللوح، عبر عنه بضمير الجمع تعظيماً له، ويتصور أن يكون جنس القلم عبر عنه بضمير الجمع لتعدد، ويضمير العقلاء لقيامه مقامهم، ويتصور أن يكون الساطرون هم الملائكة الكاتبون.

وجواب القسم هو «ما أنت بنعمة ربك بمجنون» خوطب به رسول الله ﷺ والقول نفى قول المشركين فيه ﷺ إنه مجنون وتكديماً له.

ويتصور فى قوله تعالى «بنعمة ربك» أن يكون قسماً بنعمة ربه، ويتصور أن يكون إخباراً عن نعمة ربه ﷺ بالرحمة، أو بالنبوة وحصافة الرأى.

وجواب القسم أيضاً أنه ﷺ له أجر عند ربه ثواب عظيم غير مقطوع أو غير ممنون عليه به، وأنه ﷺ على خلق عظيم، إذ كان خلقه ﷺ القرآن، فكان خلقه هو الدين ودينه ﷺ هو الذى ارتضى تعالى لعباده، فهو الدين العظيم .



فَسَبِّحْهُ وَبِحَمْدِهِ
 ٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ١ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُهْتَدِينَ ٧

أولاً : الأسماء :

المفتون : اسم مفعول من «فتن - يفتن» والمراد به - فى معنى القول - هو المجنون، وقيل هو المعذب .

ثانياً : التفسير :

الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله ﷺ، والقول هو بمناسبة قول المشركين فيه إنه مجنون، فيقول تعالى إنه ﷺ والمؤمنين فريقاً، والمشركين فريقاً آخر سيعلمون يوم القيامة - حين يتبين الحق من الباطل - بأى الفريقين كان الجنون أو كانت فتنة المفتون. ثم ذكر تعالى ما هو معلوم من أنه تعالى هو أعلم بمن ضل عن سبيله المستقيم وبمن اهتدى إلى الطريق المستقيم فكان من المهتدين، والمراد بذكر هذا هو بيان أنه تعالى مثير فريق المؤمنين ومعذب فريق المشركين .

فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ ٨ وَذُوالْقُرْدِ هُنَّ فَيُدْهِنُونَ
 ٩ وَلَا تَطْعَمُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمَّيْنِ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَاءً نِّمِيٍّ ١١ مِّنَّاعٍ
 لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ ١٣ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ
 وَبَنِينَ ١٤ إِذْ أُتِيَ عَلَيْهِ إِيَّا تَنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٥
 سَنِمُهُ وَعَلَى الْحَرْطُومِ ١٦

أولاً: الأسماء والأعلام:

١- الهماز: في قوله تعالى «هماز مشاء بنميم» هو العياب في الناس، الطعان في أعراضهم وشرفهم.

٢- العتل: في قوله تعالى «عتل بعد ذلك زنيم» هو الشديد الخصومة بالباطل، وقيل هو الفاحش اللثيم. قيل هو أبو جهل، وقيل الوليد بن المغيرة، وقيل هو الأسود بن عبد يغوث.

٣- الزنيم: قيل هو ولد الزنى، وقيل هو من ألحق نسبه بمن هو ليس منه.

٤- الخرطوم: المراد به - في معنى القول - هو الأنف، والأصل فيه أنه يطلق على أنف الفيل وأنف الخنزير.

ثانياً: التفسير:

بعد أن بين تعالى لرسوله ﷺ أنه والمؤمنين على هدى من ربهم وأن الكافرين على ضلال من أمرهم، فإنه جاء نهيه تعالى رسوله ﷺ عن إطاعة الكافرين فيما يطلبونه منه أو يعرضونه عليه بمثابة النتيجة المترتبة على ما بين المؤمنين وبينهم من الفروق.

ثم أورد تعالى علة هذا النهى بقوله «ودوا لو تدهن فيدهنون» بمعنى أن الكافرين المكذبين بالدين قد رغبوا أن يتهاون رسول الله ﷺ ولا يتشدد في أمر الدين الذي يدعو إليه، وأن يصانعهم، أو أن يمالئهم ويجاملهم، فيكون منهم معه - ترتيباً على هذا - معاملته بالمثل - يصانعونهم ويمالئونهم ولا يشتدون في عداوته في الدين. ثم إنه لما كان من عرض على رسول الله ﷺ أن يدهن بأن لا يشتد في أمر الدين - كأن يتركهم يعبدون آلهتهم ولا يتعرض لها - مقابل إعطائه ما لا على ذلك قد حلف له على هذا كما اعتاد أن يحلف كثيراً، فإنه تعالى أشار إلى فاعل هذا ونهى رسوله ﷺ عن قبول عرضه، عبرته تعالى بأنه يكون طاعة له، لاستشارة حمية رسوله على عدم قبول عرضه، كما وصفه تعالى بأنه مهين الرأي حقيره بمعنى أنه عرف عنه الكذب فيما يقول. ثم ذكر تعالى من معايه أنه طعان في الناس بلسانه غياي، يمشى بين الناس بالنميمة ليفسد ما بينهم، وأنه مناع للخبر عموماً، يمنع الناس عن الدخول

فى الإسلام - وفيه خيرهم لأنه جماع الخير - ويمسك عن التصديق على الفقراء، يعتدى على عباد الله بالظلم ويكثر من مقارفة الإثم. ثم قال فيه تعالى «عتل بعد ذلك زنيـم» بمعنى أنه - بعد كل ما قيل فيه ووصف به أنفا - هو إنسان شديد الخصومة بالباطل، دعى منسوب إلى قبيلة عربية ليس فى الأصل منها، ولهذا قيل إنه الوليد بن المغيرة الذى كان دعيا فى قريش، ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده. وقيل إن المعنى أنه ابن الزنى خبثت نطفته فخبث الناشء منها. ثم بين تعالى أن من عرض على رسول الله المداينة قد فعل هذا متقويا بما لديه من المال والبنين، وأنه كافر بالحق يقول فى آيات القرآن العظيم إذا ما تلبت عليه إنها أساطير الأولين، والواضح أن المراد من ذكر هاتين الصفتين الأخيرتين هو استشارة همة رسول الله ﷺ على معادته وليس فقط على عدم الاستجابة له؛ ولهذا فإنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه لن يؤمن وأنه معذب فى الآخرة أشد العذاب بذكره تعالى أنه سيضع له يوم القيامة علامة يعرف بها أنه كافر، وذلك لأنه تعالى نهى عن تولى الكافرين وموالاتهم.

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
 إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٥﴾ وَلَا يَسْتَشْنُونَ ﴿٦﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا
 طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٧﴾ فَأَصْبَحَتِ كَالصَّرِيمِ ﴿٨﴾ فَنَادَوْا
 مُصْبِحِينَ ﴿٩﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ فَأَنطَلَقُوا
 وَهُمْ يَخْشَفُون ﴿١١﴾ أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَّرْسِكُمْ ﴿١٢﴾
 وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿١٤﴾ بَلْ نَحْنُ
 مَحْرُومُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا
 سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ ﴿١٧﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
 يَتَلَوْمُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿١٩﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن
 يُبَدِّلَنَا خَيْرَ مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٢٠﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ
 وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

أولاً : الأسماء :

١ - أصحاب الجنة : المراد بهم - فى معنى القول - ملاك بستان كبير قيل إنه كان بأرض اليمن، وقيل كانت بالحشة، وقيل كانت بفلسطين بعد أن دخلها بنو إسرائيل، ورثوها عن أبيهم، كان رجلاً صالحاً يخرج من ثمارها حصة الفقراء والمساكين، فلما مات أنكر وأفعل أبيهم فى ثمارها واتفقوا على ألا يخرجوا منها حصة الفقراء والمساكين فعاقبهم الله على هذا بإهلاكها وإفناء ثمارها .

٢ - الطائف : فى قوله تعالى « فطاف عليها طائف من ربك » هو من يحيط بالشئ أو ما يحيط به قيل إن المراد به - فى معنى القول - هو العذاب، وقيل هو جبريل عليه السلام .

٣ - الصريم : هو الليل المظلم، وهو البستان الذى صرمت ثماره فلم يبق فيها شئ .

٤ - الصارمون : فى قوله تعالى « إن كنتم صارمين » جمع، مفردة « الصارم » وهو من قصد الصرم - بمعنى قطع الثمار - وهو العازم على أمر والمصر .

٥ - الحرد : فى قوله تعالى « وغدوا على حرد قادرين » هو المنع .

ثانياً : التفسير :

بعد أن بين تعالى أن عتاة مشركى مكة قد تقووا بأموالهم وبنيتهم، فإنه تعالى بين فى الآيات أنه قادر فى الدنيا على الذهاب بأموالهم وأنه يعذبهم فى الآخرة بكفرهم، وتقريباً للمعنى فإنه تعالى ذكر - تمثيلاً لهم - قصة أصحاب الجنة التى كانت معروفة لهم .

قال تعالى إنه أصاب أهل مكة ببلية هى القحط كما أصاب أهل الجنة المعروفة ذات البساتين الواسعة - من قبل - ببلية إهلاكها وثمارها . وهم أبناء رجل صالح كان يخرج من ثمرها حصة الفقراء والمساكين، فلما ورثوها عنه بموته اتفقوا على ألا يخرجوا من ثمرها شيئاً لفقر أو مسكين فأهلكها الله .

بين تعالى - فى رواية قصتهم - أنهم أقسموا فيما بينهم على أن يقطعوا إذا ما دخلوا فى الصباح ما نضج من ثمارها، وألا يستنوا، بمعنى أنهم لا يستنون مما يأخذونه لأنفسهم حصة

الفقراء والمساكين فيها، أو بمعنى أنهم لا يقولون «إن شاء الله». ثم ذكر تعالى أنه طاف بالجنة وأحاط بها ليلا عذاب منه تعالى أثناء نوم أصحابها، قيل إنه جبريل عليه السلام أحاط بها منزلا عذاب ربه، فكان من أثر هذا أنها أصبحت مثل أى بستان لم يبق من ثماره شىء فيه، أو مثل الليل سوداء، أو مثل الرملة التى لا تنبت شيئا من الزرع. ثم ذكر تعالى أنهم حين أصبح بهم الصباح نادى بعضهم على بعض بالخروج غدوا إلى جنتهم أو بسايتهم ماداموا قد قصدوا حصد ثمارها، أو ماداموا مستمرين على عزمهم فعل ما اتفقوا عليه. ثم أثبت تعالى أنهم توجهوا إلى بسايتهم وهم يتحدثون بصوت خفى فيما عزموا عليه من عدم إدخال فقير أو مسكين بسايتهم لنيل حق الله فى ثمارها، أو ما اعتاد أن يخرج له أبوهم. ثم ذكر تعالى أنهم غدوا على منع المساكين من دخول بسايتهم قادرين «وغدوا على حرد قادرين».

ثم جاء قوله تعالى «فلما رأوها قالوا إنا لضالون» مبينا أنهم رأوا حالة البسايت بعد أن طاف عليها طائف من ربك، ومصرحا بأنهم ما أن وقع بصرهم عليها وتبينوا ما أصابها حتى قالوا «إنا لضالون» والمعنى أنهم اعترفوا أنهم ضلوا عن الحق إذ قرروا حرمان المساكين حقهم فى ثمار جنتهم، ثم إنهم أضربوا عن هذا القول وعدلوا عنه إلى قولهم «بل نحن محرومون»، بمعنى أنهم حرمو ثمار جنتهم بما جنوا على أنفسهم.

ثم ذكر تعالى أنه كان من أوسطهم - الذى قد يكون أرجحهم عقلا، وقد يكون أوسطهم سنا - أنه لامهم لعدم الأخذ برأيه إذ قال لهم «لولا تسبحون» بمعنى أنه طلب منهم تذكرا لله والتوبة إليه من نيتهم الخبيثة، كما ذكر تعالى أن باقى الإخوة قالوا آنذاك «سبحان ربنا إنا كنا ظالمين»، بمعنى أنهم ذكروا الله، وأنهم اعترفوا بذنبهم وتابوا عنه.

وذكر تعالى أنه كان بينهم بعد ذلك تلاوم، بأن أرجع بعضهم إلى بعض أنهم أصحاب الاقتراح بحرمان المساكين حقهم فى ثمار الجنة، الذى كان سبب إهلاكها، وإرجاع البعض الآخر إلى البعض خطيئة الموافقة والقبول، كما ذكر أنهم قالوا «ياويلنا إنا كنا طاغين» نادوا بالويل لهم واعترفوا بذنبهم أنهم تجاوزوا حدود الله، وأنهم تابوا إليه تعالى بدلالة أنهم قالوا «عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون» سألوا ربهم ببركة التوبة والاعتراف

بالذنب أن يدلهم بجنتهم المباداة جنة أخرى تكون خيرا منها، وأعلنوا بالاستهتيم وقلوبهم أنهم لا يرجون إلا عفور ربهم ورضائه. وقد قيل إنه تعالى استجاب لهم وأبدلهم بجنتهم جنة أخرى كانت خيرا منها.

ثم جاء قوله تعالى «كذلك العذاب، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون» والمعنى هو أنه على مثال ما عذبنا به أهل مكة من القحط، وعذبنا به أصحاب الجنة من إهلاك جنتهم يكون منا تعذيب المكذبين في الدنيا وعقابهم. وأن هذا لا يعفيهم من عذاب الآخرة الذي يكون لهم والذي هو أشد وأعظم، ثم بين تعالى أنهم إن يصبروا على كفرهم فإنهم يكونون جاهلين عن هذه الحقيقة غافلين عنها.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفْجَعَلُ الْمُسْلِينَ كَالْجُرْمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا
تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ
لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه يكون للكافرين المكذبين عذاب الآخرة محققا إذا هم لم يعدلوا عن الكفر والتكذيب، فإنه تعالى - في المقابل - ذكر أنه يكون للمتقين الذين اتقوا غضبه بإيمانهم وتجنب عصيانه جنات ليس فيها إلا كل ما يتنعم به. ثم بين تعالى أن علة اختلاف مصير الكافرين المكذبين عن مصير المؤمنين المتقين هي عدم تساوى الحال بينهما استوجب عدم تساوى المصير والمآل، فجاء الاستفهام في قوله تعالى «أفجعل المسلمين

كالمجرمين» إنكارا لأن يكون مصير المسلمين مماثلا ومصير المجرمين الذين أجزموا في حقه تعالى وحق أنفسهم بكفرهم .

ثم إنهم لما كان الكافرون يعتقدون أنهم يكرمون عند الله في الآخرة كما أكرموا بالرزق في الدنيا، فقد جاء قوله تعالى مخاطبا إياهم «ما لكم كيف تحكمون» فيه إنكار اعتقادهم هذا وتعجب من أنهم يقولون به مع عدم وجود دليل ولا حجة تدعّمه، ثم إنه تعالى فصل انعدام وجود الدليل لديهم على هذا بإثبات أن الدليل يكون أحد أمرين، كتاب من الله يذكر تساوى المطيع والعاصى فى الأجر عند الله، أو عهد موثق من الله، وينفى وجود مثل هذا الكتاب ومثل هذا العهد.

فلاستفهام فى قوله تعالى «أم لكم كتاب فيه تدرسون، إن لكم فيه لما تخيرون» هو بمثابة طلب تعجيزى من الكافرين أن يظهروا مثل هذا الكتاب المذكور فيه ما يختارون ويتمنون يكون لهم من المصير عند الله، فهو إنكار لوجود مثل هذا الكتاب، والاستفهام فى قوله تعالى «أم لكم إيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون» هو إنكار منه تعالى لوجود عهد موثق منه للكافرين سارية إلى يوم القيامة بالغة أقصى مدى فى تأكيد موضوعها الذى هو أن يكون لهم فى شأن مصيرهم فى الآخرة ما يحكمون به أن يكون لهم.

فيكون قد ثبت من انعدام الدليل لديهم على أنهم يتساوون بالمؤمنين مصيرا، أنهم كاذبون ضالون .

سَلَّمَهُ أَتَاهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ٤٠ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٤١ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ
وَيَدْعُونَ إِلَى السَّجْدِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٤٢ خَشَعَةً أَبْصَرَهُمْ رَهَقُهُمْ
ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السَّجْدِ وَهُمْ سَكُونٌ ٤٣

أولاً: الأسماء:

الزعيم: في قوله تعالى «أيهم بذلك زعيم» هو الزاعم أمراً بمعنى أنه يزعم شيئاً بالقول، وهو الضامن والكفيل.

ثانياً: التفسير:

بعد أن بين تعالى بطلان عقيدة الكافرين أنهم يكرمون في الآخرة، أو أنه يكون لهم مصير المؤمنين، وتدليله على انعدام دليلهم على زعمهم الباطل هذا، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يسأل الكافرين عن القائل منهم هذا القول أو الذي يضمن تحققه، يقدمونه إليه إن كانوا فيما زعموا صادقين. ثم إنه لما كان موثقاً من أن الكافرين لن يقدموا إليه ﷺ هذا الكفيل الضامن تحقق زعمهم في الآخرة، فإنه لم يبق إلا أن يكون لهم شركاء في قولهم قادرين على كفالة تحققه، ولهذا طلب تعالى من الكافرين، أو طلب من رسوله ﷺ أن يطلب منهم تقديم هؤلاء الشركاء وإظهارهم لو كانوا صادقين في قولهم إن لهم شركاء يضمنون تحقق قولهم. ثم جاء قوله تعالى «يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون» لبيان أن تقديمهم شركائهم المطلوب يكون يوم القيامة، ذكره تعالى بأنه يوم يكشف عن ساق لبيان شدته، لأنه عند الشدة التي تستوجب الفرار يشمر المرء عن ساقه برفع ثوبه كيلا يعرقه عن الجري، أو لا تعباً الحرائر بإسدال أثوابهن على سوقهن.

وبين تعالى أنه في هذا اليوم يدعى الكافرون إلى السجود لله الذي تركوا السجود له في الدنيا فيحاولون السجود ولا يقدرّون عليه، قيل إنه تعالى يعجزهم عنه بجعل عظامهم بغير مفاصل، وقد يكون عجزهم عن هذا بغير هذا، وإنما بإرادته تعالى وحده.

ثم ذكر تعالى حال الكافرين وقتذاك فيبين أن أبصارهم تكون ذليلة متواضعة، وأنهم تلحق بهم ذلة شديدة تغشاهم، ثم بين تعالى أنهم - وقد حاولوا السجود فلم يقدرّوا عليه يوم القيامة - فإنهم كانوا في دنياهم يدعون إليه وإلى الطاعات حال مقدرتهم على هذا، فكانوا لا يجيبون الداعي ويأبون السجود ويحلون العصيان محل الطاعة.

فَذَرْنِي وَمَنْ
يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ط سَنَسُدَّ رِجْلَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٤ وَأُمْلِي لَهُمْ
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ٤٥

التفسير:

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يستكفيه أمر الذين يكذبون بالقرآن العظيم، بمعنى أن يخلي باله منهم لا يعنى بأمرهم، وأن يترك أمرهم إليه تعالى، ثم بين له أن انتقامه منهم سيكون باستدراجهم إلى مزيد من الكفر والعصيان، يكون يأمهالهم وعدم تعجيل العذاب لهم، وزيادة نعمه تعالى عليهم فيكون منهم الكفر بها يزداد به عقابهم.

كما بين تعالى أنه سيملى لهم بمعنى أن يمد لهم أو أن يزداد في كل شيء يؤدي مده أو زيادته إلى مزيد من عصيانهم الذي يزداد لهم به عقابهم.

ثم ذكر تعالى أن كيده متين، والمعنى أن مكره تعالى بهم شديد مؤاده عقابهم العقاب الشديد.

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ٤٦
أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْبُونَ ٤٧ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ
كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ٤٨ لَوْلَا أَنْ نَذَرَكُمُ رِغْمَةً
مِّنْ رَبِّنَا لَنِدْبَ الْأَعْرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ٤٩ فَاجْبِبْهُ رَبُّهُ فَعَمَلَهُ وَمِنْ
الصَّالِحِينَ ٥٠

أولاً: الأسماء والأعلام:

صاحب الحوت: هو نبي الله يونس بن متى عليه السلام، سماه تعالى - في مجال المدح - ذا النون، وذكره في موضع التثريب صاحب الحوت.

ثانياً: التفسير:

بعد أن طلب تعالى من رسوله ﷺ أن يترك أمر المكذبين إليه تعالى ينتقم منهم وقت يشاء وعلى النحو الذي يشاء، فإنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه ليس لهم من سبب يدعوهم إلى التكذيب به ﷺ، فجاء الاستفهام في قوله تعالى «أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون» لبيان أنه لما كان ﷺ لم يسألهم أجرا دنيوياً يؤدونه إليه مقابل إبلاغهم الدعوة، فإنه لا يكون لهم أن يعرضوا عن الدعوة تخلصاً من غرامة مالية يتكلفونها ويتحملون عبأها، وكذلك جاء الاستفهام في قوله تعالى «أم عندهم الغيب فهم يكتبون» إنكاراً لأن يكون لديهم علم المغيبات والحقائق المدونة في اللوح المحفوظ يكشفون بها عن تبليغ رسول الله ﷺ وما يعلمهم. فيكون مفاد القول هو انعدام سبب لدى المكذبين يدعو إلى تكذيبهم رسول الله ﷺ.

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يضرب لقضاء ربه في المكذبين أنه يمهلهم ولا يعجل لهم عذابهم، أو أن يصبر على قضاء ربه أن يؤخر نصره عليهم، ودعاه ألا يكون منه نفاق الصبر على كفر قومه وتكذيبهم والدعاء عليهم كما فعل يونس عليه السلام الذي كان مملوءاً غيظاً على قومه - حين نادى ربه وهو في بطن الحوت - لعدم إيمانهم لما دعاهم إليه، ثم بين تعالى أنه لولا أن تداركته نعمة من ربه - قيل هي توفيقه للتوبة، وقيل قوله «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» - لكان قد ألقى بالعراء مذموماً بسبب نفاق صبره. والواقع أنه ألقى بالعراء وهو سقيم غير ملموم ولا مذموم. وقيل لكان قد ألقى في عراء يوم القيامة مذموماً لقوله تعالى «اللبث في بطنه إلى يوم يبعثون».

ويذكر تعالى أنه اجتبه بعد هذا فاصطفاه بنعمته فرد الروحى إليه وكان بنعمة ربه من الذين كمل صلاحهم فكان من الصالحين.

وَأَن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا
الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝

التفسير:

بين تعالى مبلغ كراهة المكذبين رسول الله ﷺ بتصويره أن نظرتهم إليه تكاد أن تزل قدمه عن موضعها فينزلق. فهم ينظرون إليه شزرا. وقيل إنها نظرة حسد، وقد لا يكون هذا صحيحا لأن الحسد يكون لدى استحسان الأمر وليس لدى بغضه، وهم كانوا يكرهونه ﷺ، وقد بين تعالى سبب كراهتهم إياه وهو مجيئه بالقرآن أو تلاوته القرآن إذ تكون نظرتهم المذكورة إليه وقت سماعهم القرآن، كما بين أنهم كانوا يقولون لدى سماعه يتلو القرآن إنه لمجنون. ثم كان منه تعالى أن أظهر بطلان قولهم في القرآن وعجب من جرأتهم على رسول الله ﷺ بسبب تلاوته فقال فيه «وما هو إلا ذكرى للعالمين».



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝

أولا: الأسماء:

الحاقة: هي القيامة، أو الساعة، فهي حق، وفيها تحقق الأمور، فتحق لأقوام الجنة وتحق

لأقوام النار.

ثانيا : التفسير:

افتتحت السورة بقوله تعالى «الحاقة» وهي القيامة، وقد يكون المراد هو «ذوالحاقة» ثم جاء قوله تعالى «ما الحاقة» بمعنى «أى شيء هى، فى حالها ووصفها» والقول - على هذا - تعظيم لها وشأنها وتهويل. ثم جاء قوله تعالى «وما أدراك ما الحاقة» تأكيداً لهولها وفظاعتها وأنها فوق ما يمكن لأحد أن يلم بها علماً وأن يحيط بها معرفة. والمخاطب بالقول يتصور أن يكون هو رسول الله ﷺ، وفى هذا قيل إنه فى كل موضع فى القرآن ورد قوله تعالى «وما أدراك» فإنه تعالى قد أدراه، وفى كل موضع ورد قوله تعالى «وما يدريك» فإنه تعالى لم يدره. ويتصور فى القول أن يكون لجميع الناس، أولكل واحد منهم، لبيان أن أحدا منهم لا يحيط بما يكون فيها علماً.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ
بِالْقَارِعَةِ ۚ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا ۖ وَآمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا
بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۚ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا
فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَجْمَامٌ يَخْلِخَاوِيَةٌ ۚ فَهَلْ نَرَى لَهُمْ
مِّنْ بَاقِيَةٍ ۝ ٨

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى المكذبين، ذكر تعالى أن ثمود قوم صالح، وعادا قوم هود قد كذبوا بالقيامة، دعاها تعالى القارعة لأنها تفرع الناس بأهوالها. وقيل إنهم كذبوا بالعذاب

الذى توعدهم به رسولا الله إليهما فهو القارعة، ثم بين تعالى أن ثمود أهلكت بالطاغية، أى بالصيحة الطاغية المجاوزة الحد، وقيل بطغيانها، وأن عادا أهلكت بريح باردة حارقة عنت عليهم غاضبة لغضب ربهم عليهم فقهرتهم، ذكر تعالى أنه سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتالية بغير انقطاع، فكان ما يرى فيها أن القوم موتى فى الريح كأنهم أصول نخل بالية. ثم بين تعالى أنه لم يبق من القوم نفس حية، فالاستفهام فى قوله تعالى «فهل ترى لهم من باقية» هو للإنكار لإبانه أنه لا يتأتى لناظر أن يرى فى القوم نفسا باقية .

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ① فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ②

أولاً : الأسماء :

١ - المؤتفكات: هى قرى قوم لوط، اتفكت بهم وانقلبت .

٢ - الرابية : هى العالية . والمراد بها - فى معنى القول - الزائدة على المتعارف عليه .

ثانياً : التفسير :

الحديث فى المكذبين . ذكر تعالى أن فرعون والمكذبين قبله من أهل الأمم السابقة كما ذكر أهل قرى قوم لوط عليه السلام وأخبر عنهم أنهم جاءوا بالخاطئة، بمعنى أنهم ارتكبوا الأفعال الخاطئة أو الكفر وتكذيب الرسل، فيكون قوله تعالى «فعصوا رسول ربهم» بيانا للفعلة الخاطئة، والمعنى أن كل مذكور فى النص قد عصى رسول ربه الذى بعث إليه فيشمل القول موسى عليه السلام، ويشمل لوطا عليه السلام وكل رسول بعث لأمة من الأمم التى سبقت فرعون، ثم ذكر تعالى أنه أخذ المكذبين رسلهم أخذة عذاب تزيد على ما أصاب غيرها .

إِنَّا لَنَاطِفَا الْمَاءِ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝ لَنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعَيْنٌ ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو لزج رامة رسول الله عن مماثلة المكذبين من قبلهم، ذكر تعالى أنه لما طغى الماء على خزنته، قيل هم الملائكة خزنته، وقد يكون المراد - والله أعلم - لما طغى حملة وثقله في السحاب وتحت الأرض بمشيئة الله، ثم انفجر من الأرض عيوننا ونزل من السماء سيولا كان منه تعالى أنه حمل آباء أمتي ﷺ فيمن حمل في سفينة نوح، فكانوا ذرية منهم. ثم بين تعالى أنه جعل سفينة نوح الجارية والأثر المتبقى منها تذكرة لأمة رسول الله ﷺ فلا يكون منهم تكذيب رسولهم، كما جعل قصتها وقصة الطوفان متداولة معلومة لسمعها ويتدبروها ويعوا المراد منها فلا يكون منهم تكذيبه ﷺ.

فَإِذَا أَنْفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝ يَوْمَ يُدْعَىٰ وَقْعٌ أَلْوَقِعةُ ۝ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَ يَوْمٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَ يَوْمٍ ثَمَنِيَّةٌ ۝ يَوْمَ يُتْرَضُّونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - شروع في ذكر أحداث يوم القيامة، جاء تمهيدا لبيان حال

المؤمنين الطائعين وحال الكافرين العصاة. ذكر تعالى أنه إذا نفخ في الصور نفخة واحدة لا تنثنى، بها لا يبقى أحد إلامات، وإذا حملت الأرض والجبال بمعنى أنها رفعت من أماكنها ثم بسطنا بسطة واحدة، فإنه تكون قد وقعت الواقعة وقامت القيامة. ثم يكون من السماء أنها تنشق فتكون ضعيفة واهية وتكون الملائكة على أطرافها حين تنشق لأنها لا تكون متشققة في أنفسها، ويحمل عرشه تعالى ثمانية من الملائكة فوق رؤوسهم ينزلون به، وقيل إن الملائكة الذين يحملون العرش فوق الملائكة الذين هم في السماء على أرجائها .

ثم خاطب تعالى الناس جميعاً فقال إنهم في ذلك اليوم يعرضون عليه تعالى للحساب والمجازاة لا تخفى عليه تعالى من أعمالهم عملة أو فعلة كانوا يخفونها في دنياهم عن الناس. وقيل لا تخفى عليه نفس مؤمن ولا نفس كافر، فلا يبقى إنسان لا يحاسب.

فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ يَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ۚ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ ۚ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۚ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۚ ۝٢٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۚ ۝٢٤

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في الناجين يوم القيامة أخبر تعالى عن الواحد منهم أنه من أوتي كتابه بيمينه أو من يأخذ صحيفته بيمينه حين تطير الصحف في الأيدي، وذكر أنه يقول «هاؤم اقرؤا كتابي» والمعنى أنه حين يأخذ كتابه بيمينه يمتلىء ثقة بإسلامه وسروره بنجاته، فيقول للناس «هلم اقرؤوا كتابي» أو «خذوا اقرؤوا كتابي»، كما يقول لهم إنه يتيقن أنه ملاق حسابه، والمعنى أنه آمن بيقين بالبعث والحساب واليوم الآخر، وأنه عمل على تقوى الله تجنباً لعذابه .

ثم بين تعالى أنه يكون له عيش مُرْضٍ بذاته لأنه جماع الخير، وهو رضاء، يكون في جنة عالية القدر، قطوف ثمارها قريبة من المنعمين لا يبذلون جهدا للحصول عليها. كما ذكر تعالى أنه يقال لهؤلاء الذين أوتوا كتبهم بأيمانهم في الجنان أن كلوا واشربوا ما بشئتم هائنين لا يكدر صفو حياتكم شيء، جزاء لكم على ما قدمتم في أيام الدنيا الخالية من الأعمال الصالحة .

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ
كِتَابِي ۖ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِي ۖ ۞ يَلَيْتَهَا كَانِ الْقَاضِيَةَ ۞ ٢٧
مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۖ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ۖ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ ۞ ٢٨
ثُمَّ اجْحِمِ صَلُّوهُ ۖ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ ۞ ٢٩
إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ ۞ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ
الْمُسْكِينِ ۖ ۞ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۖ ۞ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غَسْلِينَ ۖ ۞ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۖ ۞ ٣٠

أولا : الأسماء والأعلام :

١ - من أوتي كتابه بشماله : هو كل فرد من أهل الشقاوة في الآخرة. وقيل إن القول نزل في أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي وأخيه الأسود بن عبد الأسد .

٢ - الغسلان : في قوله تعالى «ولا طعام إلا من غسلين» قيل هو مثني «الغسل» وهو ما

يفسل به الرأس، فيكون هو صديد أهل النار الذى يسيل من جروحهم ومن فروجهم. وقيل هو شجراً كله أهل النار. وقيل هو «الغسل» بمعنى ما انغسل من لحوم أهل النار، ودمائهم، زيدت فيه الباء والنون، وقيل هو شر الطعام وأبشعه لا يعرف ما هو.

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - فى أهل الشقاوة الذين يتلقى الواحد منهم كتابه بشماله، يقرأ فيه سيئاته فيزداد حزناً ويزداد وجهه سواداً. يقال له أن انطلق إلى أصحابك وأخبرهم أن لكل منهم مثل ما هلك من العذاب، فينطلق وهو يقول: يا ليتنى لم أوت كتابى ولم أدر ما هو حسابى، يتمنى لو كان لم يؤت كتابه ولم يعرض عليه فلا يكون قد علم بوجود العذاب عليه وتعذبه بهذا العلم، كما يتمنى لو كان لم يعرف بأمر حسابه الذى يتحقق منه أنه لا بد معذب بما أسفر عنه، وهو علم يكون فى حد ذاته عذاباً لأن فيه انتظار العذاب. ثم إنه يقول «يا ليتها كانت القاضية» يتمنى لو كانت ميتة هى القاضية عليه نهائياً فلا تكون من بعدها حياة أخرى فيها حساب وجزاء. ثم يتبع هذا بذكره تحسره على هلاك حجته عنه أو على زوال ملكه وسلطانه فى الدنيا عنه فى الآخرة لا ينفعانه ولا يغنيانه من العذاب شيئاً.

ثم يذكر تعالى أنه يقول «خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلوكوه» يأمر الملائكة فتطيع أن يأخذوه وأن يشدوه بالأغلال بجمع يده إلى عنقه، وأن يلقوه فى الجحيم يصطلى بنارها، وأن يدخلوا فيه سلسلة طولها سبعون ذراعاً، قيل إنه لا يعلم مدى طول الذراع المقيسة به، وقيل هو طول ذراع الملك، وقيل كل ذراع سبعون باعاً، تدخل فيه من دبره لتخرج من فمه - وقيل من منخريه - وقيل تدخل من فمه وتخرج من دبره.

ثم يذكر تعالى سبب تعذيبه على هذا النحو، وهو أنه كان لا يؤمن بالله العظيم، فيكون السبب الأساسى هو كفره، وأنه لم يكن يحض على طعام المسكين، والمعنى أنه كان بخيلاً لا يتصدق كما أنه كان يأمر بالبخل، أو كان مثلاً يحتذى من الغير فى عدم الإنفاق فى الصدقات. ويتبع تعالى هذا بذكره أنه لا يجد فى موقعه فى الجحيم صديقاً قريباً يرق له

ويدفع عنه العذاب، وأنه لا يكون له طعام يغنيه وينفعه، ولا شراب إلا من صديد أهل النار ودمائهم الذى يخرج من فروجهم وجروحهم، أو أنه لا يكون له طعام إلا من ضريع هو من الغسلين، ثم بين تعالى أن من قدر عليه أن يأكل هذا الطعام لابد أن يكون من الخاطئين «لا يأكله إلا الخاطئون» فيكون تعالى قد بين سبب تعذيب أهل الشمال على هذا النحو، وهو خطؤهم بكفرهم وعصيانهم .

فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾
وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ
قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَا هُنَّ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى القرآن العظيم الذى كذب به الكافرون الخاطئون، أقسم تعالى بجميع خلقه مما يبصره الناس ومما لا يبصرونه، باعتبار أن «لا» فى قوله تعالى «فلا أقسم» صلة وليست للنفى. أو لأن جواب القسم هو من البيان بحيث لا يحتاج إلى قسم لتوكيده - وجواب القسم أو الأمر الصحيح الذى لا يحتاج تقريره إلى قسم هو أن القرآن العظيم قول تلاه وأبلغه رسول كريم من الله هو جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل إن الرسول الكريم هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى تلى القرآن على قومه وبلغ به .

ثم إنه تعالى أتبع هذا بنفيه عن القرآن أن يكون شعرا كما قال فيه الكافرون، وأثبت أن قولهم فيه بهذا هو نتيجة كفرهم وإصرارهم على الكفر لأنهم يعرفون ما هو الشعروا أن القرآن

العظيم ليس شعرا، وهذا بقوله تعالى «قليلًا ما تؤمنون» بمعنى أنهم قليلا ما يؤمنون بأنه ليس شعرا ثم تكون منهم العودة إلى الزعم بأنه شعرا، كما نفى تعالى عن القرآن أن يكون قول كاهن، وهو قول آخر للمشركين في القرآن، ثم قال «قليلًا ما تذكرون» وذلك لإثبات أنهم قليلا ما يتدبرون، يجدون في القرآن سب الشياطين وتوعدهم بالعذاب مع كونهم أعوان الكهنة فيذكرون أن يكون قول كاهن، ثم يعودون إلى قولهم ظالمين. وبعد هذا فإنه تعالى قطع في شأن القرآن العظيم الذي تلاه رسول كريم بأنه تنزيل من رب العالمين. بمعنى أن منزله هورب جميع الخلق في السماوات وفي الأرض، ليكون مطلوبا الإيمان به من جميع المكلفين.

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ
بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا نَكُنْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

أولا: الأسماء:

الوتين: هو عرق متصل بالقلب. إذا انقطع مات صاحبه، وقيل هو جبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع.

ثانيا: التفسير:

بعد أن أثبت تعالى أن القرآن العظيم هو تنزيل من رب العالمين، فإنه تعالى أبطل قول القائلين من الكافرين إن محمدا ﷺ افتراه على الله، جاء به من عند نفسه ثم نسبته إلى الله. فأثبت تعالى أن القرآن جميعه منه تعالى، بدلالة أنه لو كان رسول الله ﷺ قد جاء بالبعض القليل منه من عند نفسه ونسبه إليه تعالى لكان منه تعالى أن أخذ منه بقوته وقدرته كل ما هو

له من الخير، أولكان منه تعالى قد أخذ بيديه - وهو تعبير ينم عن العقاب - وقد يكون المعنى - والله أعلم - هو أنه كان تعالى قد رفع القرآن وأزاله وأنساه فيزيل بهذا شرف من أوضع فيه بإضافة غير الحق. ولكان منه تعالى أن أهلكه هلاك المكذبين والمفترين على الله الكذب، جاء التعبير عن هذا بقطع عرق الوتين لأنه بقطعه يتحقق الموت. ثم إنه لما كان شيء من هذا لم يحدث برسول الله ﷺ فإنه يكون قد اتضح أنه لم يزد في القرآن العظيم شيئاً من عنده، ويكون قد صح أنه جميعاً تنزيل من رب العالمين .

ثم إنه تعالى بين أنه لو كان قد وقع من رسول الله ﷺ أن اختلق شيئاً من القول ونسبه إلى الله، وكان تعالى قد عاقبه على النحو المذكور، فإنه لم يكن في مقدور أحد من قومه أن يمنع عنه عقابه تعالى بالحيلولة بينه وبينه. ثم إنه وقد ثبت أن القرآن العظيم جميعه من الله فإنه تعالى أخبر عنه مؤكداً أنه تذكرة للمتقين. بمعنى أن الذين يؤمنون به ويتدبرونه ويعملون به هم المؤمنون الذين يخشون الله ويتقون غضبه وأنهم الذين به ينتفعون .

وَأَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

التفسير:

خاطب تعالى جميع المكلفين فقال إنه يعلم أن منهم مكذبين، بمعنى أنه مقدر في علمه تعالى الأزل أن يكون منهم من يكذب بالقرآن العظيم رغم التدليل على أنه تنزيل من رب العالمين، ثم بين تعالى أن تكذيب المكذبين يكون سبباً لتحسرتهم يوم القيامة وندمهم على تكذبيهم إذ يرون ما أعد لهم من العذاب وما أعد للذين آمنوا به من النعيم. أو أن القرآن العظيم يكون حسرة عليهم يوم القيامة لتكذبيهم به. ثم عاد تعالى إلى تأكيد معنى أن القرآن العظيم تنزيل من رب العالمين بقوله «وإنه لحق اليقين وقيل إن المعنى أنه حق يقين أن

يكون القرآن حسرة على المكذبين يوم القيامة. ثم إنه وقد ثبت أن القرآن العظيم الذي هو هدى للعالمين هو تنزيل من رب العالمين، فقد جاء أمره تعالى لكل فرد من أفراد المكلفين بتزويده تعالى عما لا يليق بذاته أو بعبادته تعالى والصلاة له، بقوله تعالى «فسبح باسم ربك العظيم».



بسم الله الرحمن الرحيم سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِّنَ اللَّهِ
ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥
وَيَرَوْنَهُ قَرِيبًا ⑦

أولاً: الأسماء والأعلام:

١ - السائل: في قوله تعالى «سأل سائل» المراد به - في معنى القول - هو الداعي، قيل هو النضر بن الحارث الذي قال «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» فقتل يوم بدر، وقيل هو الحارث بن النعمان الفهري الذي اعترض على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقال لرسول الله ﷺ

«أف هذا شيء منك أم من الله» فلما أخبره رسول الله ﷺ أنه من الله انصرف قائلاً «اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» فما وصل ناقته إلا أصابه حجر وقع على دماغه فقتله. وقيل إن السائل هو أبو جهل - وقيل هو نوح عليه السلام دعا بالعذاب على الكافرين. وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله بعقاب المكذبين.

٢- الروح: قيل هو جبريل عليه السلام، وقيل هو ملك آخر عظيم الخلق، وقيل هو خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس منهم، وقيل هو روح الميت.

٣- اليوم: في قوله تعالى «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» قيل هو يوم القيامة، وقيل هو الموقف للحساب لأن يوم القيامة ليس له نفاذ.

ثانياً: التفسير:

ذكر تعالى أن داعياً سأل الله أن يوقع بالكافرين عذاباً قدر تعالى أن يقع بالكافرين حتماً، لا يدفعه ولا يبرده عنهم دافع ولا مانع. يتصور أن يكون الداعي هو أحد الكافرين أو المعترضين على رسول الله ﷺ ليكون وقوع العذاب دليلاً على صدقه ﷺ - على ما سبق بيانه في: الأسماء والأعلام - ويتصور أن يكون نوحاً عليه السلام، أو أن يكون محمداً صلى الله عليه وسلم، دعا الله أن يوقع عذابه بالمكذبين. ثم بين تعالى أن العذاب المقدر أن يقع بالكافرين هو من الله ذي المعارج، بمعنى أنه ذو العلو والدرجات، أو صاحب النعم المتدرجة في المراتب ينعم بها على خلقه، أو الذي له معارج السماء التي تصعد فيها الملائكة. ثم بين تعالى أن الملائكة تصعد في المعارج التي جعل الله لهم إلى السماء، والروح - وهي جبريل عليه السلام أو ملك آخر، أرواح من يتوفى - في يوم لديه مقداره لو كان الصعود من غيرهم لبلغ خمسين ألف سنة من سنين الأرض.

قيل إن طول هذا اليوم هو طول يوم الموقف أو وقته على الكافر، الذي يكون أخف على المؤمن من وقت أداء الصلاة المكتوبة في الدنيا.

ثم أتبع تعالى هذا بأمره رسوله ﷺ أن يصبر على أذى قومه ضبيرا جميلا فلا يجزع منه ولا يشكو لغير الله. وبين له أن الكافرين يؤذونه لأنهم يرون أن عذاب الآخرة بعيد زمنه ولهذا فإنهم لا يخشونه، وأنه تعالى يراه قريبا لحتمية وقوعه بهم، وكل ما هوات هو قريب. فيكون القول تثبيتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصبر.

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝
وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝

أولا : الأسماء :

١- المهمل : هو عكر الزيت، وهو ما أذيب من الرصاص والنحاس والفضة .

٢- العهن : هو الصوف المندوف أو المصبوغ .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى هو في بيان يوم وقوع العذاب بالكافرين، بين تعالى أنه يوم القيامة الذي تكون السماء فيه مثل دردى الزيت وعكروه، وتكون الجبال بعد تفتتها وطيرانها في الفضاء مثل الصوف المندوف أو المصبوغ الذي ضعف بسبب صباغته، يكون ذلك من بعد صيرورتها رملا مهينا. ثم بين تعالى أنه في ذلك اليوم ينشغل كل بنفسه، فلا يكون من صديق حميم أن يسأل صديقه الحميم عن شيء من حاله.

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَذُ الْجُحْرِ لَوْ يَفْقَدِي مِنْ
عَذَابٍ يَوْمَ ذِئْبِيهِ ۝ وَصَحْبِهِ ۝ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
تُؤْيِيهِ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه في يوم القيامة ينشغل كل امرئ بنفسه فلا يسأل صاحبه عن شيء، جاء قوله تعالى «يَبْصُرُونَهُمْ» بمعنى أن كلا منهم يبصر أصحابه فيراهم لكنه ينشغل عنهم بأمر نفسه، أو يتغافل عن المعارف خشية المظالم، وقيل إن الذين يبصرون، أى يقع منهم الإبصار هم الكافرون، وأن الذين يقع عليهم بصرهم هم أقاربهم وأصدقاؤهم، وقيل إن الله يبصر المؤمنين الكفار يوم القيامة، وقيل إنه تعالى يبصر الكافرين الذين أضلّوهم في الدنيا - كما قيل إن الذين يبصرون الناس يوم القيامة ما يبصرون هم الملائكة - .

ثم ذكر تعالى من أحوال الكافرين يومئذ - وصفه تعالى بالمجرم - أنه يتمنى لو استطاع أن يفتدى من عذابه بأعز من كان لديه في الدنيا من الأقارب من الأبناء والزوجات والإخوة وعموم الأقارب من العشيرة الذين كانوا يناصرونه ويناصروهم، وأكثر من هذا - لو كان له - أن يفتدى نفسه بجميع من عاش على الأرض، لو كان من شأن هذا الفداء أن ينجيه من العذاب .

كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً

لِّلشَّوْىِ ۝١٦ تَدْعُو أَمِنْ أَدْبَرَ تَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝١٨

أولاً : الأسماء :

١ - اللظى: نفي قوله تعالى «إنها لظى» المراد بها - فى معنى القول - هو جهنم التى تلتظى نيرانها، بمعنى تلتهب. وقيل هى الدركة الثانية من دركات جهنم .

٢ - الشوى : جمع، مفردة «شواة» وهى جلدة الرأس. وهو اليدان والرجلان والرأس من الأدميين، وكل ما ليس مقتلاً فيهم. وقيل هى القوائم والجلود .

ثانياً : التفسير :

يتصور فى «كلا» أن تكون بمعنى حقاً، فتكون مبدأ كلام جديد منقطع عما سبقه. ويتصور

أن تكون بمعنى «لا» فتكون متممة معنى ما سبق من الكلام، فيكون المعنى هو «ليس ينجيه من العذاب أن يفتدى نفسه». ثم أخبر تعالى عن جهنم أنها لظى بمعنى أنها تتلظى نيرانها، وحالها أنها تنزع إلى أعضاء الكافرين بدءاً من مكافم وجوههم لتفري اللحم والجلد عن العظم. ثم ذكر تعالى أن لظى تدعو إليها من أدبر في الدنيا عن طاعة الله ورسوله، وأعرض وتولى عن الإيمان وعن الدعوة له، قبل إنها تقول «إلى يا مشرك، إلى يا كافر» فيكون أنهم يلقون فيها، وقيل إنها تلتقطهم، كما قيل إن الداعي المدبرين المتولين إليها هم خزنتها أضيف قولهم إليها. كما بين تعالى أنها تدعو إليها من جمع فأوعى، وهو كل من جمع المال بكل طريق ووضعه في أوعيته التي تناسب كل صنف منه، باعتبار أن المال يشمل كل ذي قيمة وامتنع عن إخراج حق الله فيه. يتصور فيه أن يكون من الذين أدبروا وتولوا عن الإيمان، ويتصور أن يكون ممن أعلنوا إيمانهم ثم امتنعوا عن إخراج الزكاة منكربين فرضيتها فيكونون قد كفروا بهذا فدخلوا في زمرة المدبرين برجوعهم عن الحق، المعرضين عما ظهر لهم منه.

١٩. إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝

أولاً : الأسماء :

١ - الهلوع : في قوله تعالى «خلق هلوعا» هو الشديد الحرص، وقيل هو من لا يصير على خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي. وقيل هو من إذا مسه الخير لم يشكر وإذا مسه الضر لم يصبر.

٢ - الجزوع : في قوله تعالى «إذا مسه الشر جزوعا» هو الذي يظهر أسوأ الجزع وأفحشه.

ثانياً : التفسير :

قيل إن المراد بالإنسان في قوله تعالى «إن الإنسان خلق هلوعا» هو الكافر، خلق شديد

الحرص على ما يعتقد أن فيه نفعه شديد الجزع مما يرى فيه شره، أو أنه إذا أصابه الخبر لم يشكر وإذا أصابه الشر لم يصبر، وأنه إذا ناله خير من الله استأثر به ومنعه غيره. والذي نراه - والله أعلم - أن القول هو في جنس الإنسان عموماً، خلقه تعالى وفيه ضعف نتيجة غريزة حب البقاء وغريزة حب الاقتناء، يكون من شأنهما أنه يكون شديد الحرص على ما فيه صالح بقائه ودوام ملكه واقتنائه، كما يكون شديد الجزع إذا ما أصابه شرفى صحته أو فى حياة أحبابه، كما يكون منه الحرص على ما يملك، يمتنع ما يفىء به تعالى عليه من الخير غيره. وهذا بدلالة أنه استثنى تعالى من هؤلاء الذين كمل إيمانهم فاطمأنت قلوبهم فتغلبوا على ضعفهم الغريزى، وهم المذكورون من بعد.

إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ
حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ الَّذِينَ
﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ
مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾
أُولَئِكَ فِي بَحْتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير:

ذكر تعالى - فى الآيات - الذين تمكنتوا من غلبة ضعفهم الغريزى فلم يكن منهم الهلع ولا

الجزع ولا المنع والإمساك. وذلك باستثنائهم من حكمه العام في الناس.

وفي القول بدأ تعالى بتعيينهم بقوله «إلا المصلين» فبين أنهم الذين آمنوا، وحرصوا على أداء فريضة الصلاة قوام الدين وعماده. فيكون المعنى أن الهلوعين الجزعين المانعين هم الكافرون. ثم عدد تعالى صفاتهم وأفعالهم - من بعد تعيينهم - فذكر أنهم على صلاتهم دائمون، يحرصون على أدائها على أوقاتها، لا يشتغلون عن الخشوع حال أدائها. ووصفهم بأنهم الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم، بمعنى أنهم الذين يؤدون الزكاة المفروضة لأنها الحق المعلوم مقداره وكمه، بخلاف غيرها من الصدقات، ووصفهم بأنهم الذين يصدقون بيوم الدين، والمعنى أنهم يصدقون به في قلوبهم ويعملون له بجوارحهم ووصفهم بأنهم من عذاب ربهم مشفقون بمعنى أنهم يخشونه فيتجنبون ارتكاب المعاصي حتى يخلصوا منه، ثم أتبع تعالى هذا بذكره أن عذابه غير مأمون، والقول تنبيه للمؤمنين بعدم تزكية النفس على الله وأمان مكروه، وحث لهم على مداومة خشيته، ووصفهم بأنهم الذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، بمعنى أنهم لا يطمؤون ولا ينكشفون إلا على من أحل الله لهم من الزوج - بالنسبة للرجل والمرأة - والزوج وملك اليمين - بالنسبة للرجال، وقد سبق بيانه - ثم بين تعالى أن من التزم الزوج وحده أو الزوج وملك اليمين - على النحو المذكور - فإنه يكون قد استعمل حقاً فلا يكون محلاً للوم ولا مؤاخذه، ثم أكد هذا المعنى وأثبت استحقاق من جاوز المذكورين والمذكورات إلى غيرهم أو غيرهن العقاب بقوله تعالى «فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» بين فيه تعالى أنهم يكونون مجاوزين حدوده معتدين على أحكامه بما يوجب عقابهم ووصفهم بأنهم الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. بمعنى أنهم الذين يحافظون على أمانات الله وأمانات العباد فيحفظون أمانة التوحيد بالعمل بها، ويحفظون أمانات الناس بردها كما يحافظون على ما عاهدوا الله عليه من الإيمان والجهاد، وما عاهدوا عليه الناس. كما وصف تعالى المؤمنين بأنهم الذين هم بشهاداتهم قائمون، فهم يقومون على الشهادة لا يمتنعون عنها والذين يؤدونها على حقها ولو في حق أنفسهم أو الأقربين، كما وصفهم تعالى بأنهم الذين هم على صلاتهم يحافظون، بمعنى أنهم يحافظون على أركانها فيؤدونها كما علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وعلى شروط صحتها من طهارة ووضوء مع إحسان ذلك. وبعد هذا فإنه تعالى أشار إلى هؤلاء المؤمنين ذوى الصفات والأعمال الحميدة المذكورة وأخبر عن جزائهم بقوله «أولئك فى جنات مكرمون» فأعلم أن مصيرهم هو الخلود فى جناته تعالى يكونون فيها مكرمين من الله مولاهم بأعظم الكرامات .

فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُطِيعِينَ ﴿٣٦﴾
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَطِيعُوا كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلُ جَنَّةً
نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

أولاً : الأسماء :

١ - المهطعون: فى قوله تعالى «قبلك مهطعين» جمع، مفرده «المهطع» وهو المسرع الذى مد عنقه إلى أمام. وقيل هو المعرض، وقيل هو الناظر تعجباً .

٢ - العززون : فى قوله تعالى «عن اليمين وعن الشمال عزين» جمع، مفرده «عزة» من «العزوة» وهى الإضافة إلى الغير يكون بها الجمع - والمراد باللفظ - فى معنى القول - هو متحلقون فى حلقات تضم كل منها عددا من الأفراد .

ثانياً : التفسير :

خاطب تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأن تصرف للمشركين معه بقوله «فمال الذين كفروا قبلك مهطعين، عن اليمين وعن الشمال عزين» بمعنى فما يال الكافرين قد أسرعوا نحوك متجهين إليك - والمراد بهذا أنهم يسرعون نحوه صلى الله عليه وسلم فى مجلسه - وأنهم يجلسون عن يمينك وشمالك فى حلقات. فيكون الاستفهام - فى القول - هو للتعجب من أمر الكافرين وفعلهم واستفهام عن سبب فعلهم المذكور وهو الإشراغ إلى

رسول الله ﷺ والتخلق عن يمينه وشماله، أيكون هو الحرص على سماعه وطاعته أم غير هذا. ثم إنه لما كان تعالى قد ذكر الفاعلين هذا بأنهم الكافرون فقد أوضح أنهم قد فعلوا هذا لغاية غير السماع والطاعة قد تكون هي الظهور بمظهر المؤمنين من أجل السماع والاستهزاء بالمسموع، فيكون الفاعلون هم المنافقين، وقد يكون هي التعيب عليه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء بما يقول، فيكون الفاعلون هم الكافرين .

ثم جاء قوله تعالى «أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم» بيانا لبطلان قول الكافرين في فقراء المؤمنين «لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، ولئن أعطوا منها شيئا لنعتبن أكثر منه» فيكون القول منه تعالى ردا لقولهم الذي جاء تعبيراً عن طمعهم أن يدخلوا الجنة، فيكون المعنى هو «كلا لا يدخلونها» بمعنى أن الاستفهام هو للإنكار.

ثم جاء قوله تعالى «إنا خلقناهم مما يعلمون» بمعنى أنه تعالى خلقهم من ذات المادة التي خلق منها فقراء المؤمنين الذين يحتقرونهم ويستهزئون بهم وهي المني كما يعلمون، أو النطفة ثم العلق ثم المضغة، فلا يكون من موجب لتفضيلهم على فقراء المؤمنين يدخلون به الجنة مع كفرهم، التي لا يكون دخولها بغير الإيمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى الذي لا يرحم الكافرين في الآخرة .

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ
إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْنُهُمْ
يَخُونُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ
مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً
أَبْصَرُهُمْ تَرَهَقَهُمُ ذُلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

أولاً: الأسماء:

النَّصَبُ : جمع، مفردة «النَّصْب» وهو ما نصب من الأصنام فعبد من دون الله.

ثانياً: التفسير:

بعد أن وصف تعالى فعل الكافرين معه صلى الله عليه وسلم، فإنه تعالى بين استحقاقهم الهلاك بفعلهم بتأييده تعالى بالقسم بذاته رب مشارق الشمس ومغاربها قدرته على الذهاب بهم بإهلاكهم والمجىء بغيرهم يكونون خيراً منهم بالإيمان والطاعة، مثبتاً أنه ما من أحد ولا شيء يعجزه تعالى عن فعل شيء أراده ومنه إهلاك الكافرين واستبدال غيرهم بهم.

ثم أتبع تعالى هذا بأمره رسوله ﷺ أن يتركهم يخوضون في باطلهم يلعبون في أمور الدين لعبهم في أمور الدنيا إلى أن يلقوا اليوم الذي توعدوا بالعذاب فيه.

بينه تعالى بأنه هو اليوم الذي يخرجون فيه من القبور مسرعين لدى سماعهم الصيحة مستجيبين للداعى، على النحو الذى كان عليه المشركون فى الدنيا حين كانوا يسرعون إلى أصنامهم المنصوبة مبتدئين متى طلعت الشمس لتقديم العبادة لها .

ثم بين تعالى حالهم حين يخرجون من القبور سراعاً بذكره، أنهم يكونون خاشعة أبصارهم، بمعنى أنها تكون ذليلة خاضعة، وأنهم يكونون فى ذلة إذ يغشاهم الهوان.

ثم يشير تعالى إلى ذلك اليوم ويخبر عنه أنه اليوم الذى كانوا يتوعدون فى الدنيا بأنه يكون لهم فيه العذاب .



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتَهُوَ
 وَاطِيعُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۝ إِنَّ
 أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝

التفسير:

شرع تعالى في رواية قصة نوح للاعتبار بها بذكر أنه أرسله إلى قومه، فيكون نوح عليه السلام قد أرسل إلى جميع أهل الأرض - لدى من يرى أن الطوفان عم جميع الأرض - ويكون قد أرسل إلى أغلبهم فهم قومه لدى من يرى أن الطوفان لم يشمل بعض أجزاء الأرض. وبين أن ما أرسل به عليه السلام هو أن ينذر قومه بالعذاب الأليم إن لم يؤمنوا.

ثم ذكر تعالى أن نوحا أطاع ربه فقال لقومه إنه نذير لهم يخوفهم بالعذاب إن لم يؤمنوا موضح إنذاره لتحدثه بلغتهم ولأن معه الحجة، وبين لهم دعوته موجزا بأن يعبدوا الله وحده وأن يخشوه وأن يطيعوا رسوله فيما يأمرهم به. والمعنى هو الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، واتقاء غضبه بعدم مقارفة المعاصي، وإطاعة رسوله لأنها من طاعة الله، ثم إنه أظهر لهم

ما يصيبهم من الخير بالاستجابة له فذكر لهم أنه يغفر لهم من ذنوبهم، بمعنى أنه يغفر منها ما تعلق بحقوق الله دون ما تعلق بحقوق العباد، وأنه يؤخر آجالهم فبدلاً من أن يستأصلوا بالعذاب الدنيوي يتركون ليموتوا بغيره في الآجال المحددة عنده تعالى لكل منهم. ثم جاء قوله تعالى «إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون» بمعنى: إذا كنتم أهل علم علمتم أن أجل الله إذا جاءكم لم يؤخر، سواء أكان باستئصال بالعذاب أم بغيره.

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ
قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ① فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ② وَإِنِّي كُلَّمَا
دَعَوْتُهُمْ لَتُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغِيَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ وَأُتِغَفَّسُوا فِيهِمْ
وَأَصْرُوا وَأُتَكَبَّرُوا أَتَسْكَبُونَ ③ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ④ ثُمَّ
إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ⑤ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ
كَانَ غَفَّارًا ⑥ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ⑦ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ⑧ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ
وَقَارًا ⑨ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ⑩

التفسير:

مفاد قوله تعالى - في الآيات - أن نوحا عليه السلام قد بذل غاية جهده مع قومه لكي يؤمنوا فلم يكن منهم إلا الإصرار على ما هم عليه من كفر وعصيان. فيذكر تعالى ما مفاده أن نوحا عليه السلام التجأ إليه شاكية قومه فقال إنه واصل دعوتهم إلى الإيمان ليلا ونهارا، فلم

تثمر دعوته إلا عن فراهم من الإيمان وتباعدهم عنه. كما قال عليه السلام إنه كان منهم أنهم كلما دعاهم إلى الإيمان بالله وطاعته ليكون ذلك سببا لأن يغفر لهم الله من ذنوبهم، كان منهم جعل أصابعهم في آذانهم كيلا يسمعوا دعوته، وإسدال ثيابهم على وجوههم كيلا يروه، أو إظهارها لعدم استعدادهم لأن يسمعه أو يروه، وأصروا على كفرهم واستكبروا على الحق فلم يقبلوه استكبارا واستعلاء عليه، وقد يكون دليلا على استكبارهم أنهم قالوا «أنؤمن لك واتبعك الأرذلون». وقال عليه السلام إنه دعاهم إلى الإيمان والطاعة جهارا، بمعنى في العلن جهرا مفصحا عن دعوته للجميع، كما أنه أسر بها إلى أحادهم وجماعاتهم الصغيرة فيما بينه وبينهم، أو إنه كان يذهب إليهم في بيوتهم يدعوهم للإيمان. ثم بين عليه السلام ما كان يستحثهم به على الإيمان فذكر أنه كان يقول لهم «استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» يطلب منهم أن يسألوا ربهم مخلصين أن يغفر لهم بإيمانهم ذنوبهم السابقة، ويطمعهم في نيل المغفرة بذكره لهم أن ربهم غفار للذنوب. ثم إنه لما كان يعلم أنهم أهل دنيا فإنه كان يستحثهم على استغفار ربهم مخلصين له الإيمان بإعلامهم أن جزاء هذا أنه يرسل السماء عليهم بالمطر الخير تدره متواصلا فلا تحبس عنهم السماء مطرها، فيكون لهم منه ومن غيره بأمر الله الرزق بالأموال، وأنه تعالى يفتح أرحام نساءهم فينجب لهم البنين، ويجعل الأرض تخرج نباتها بساتين وجنات، ويجرى فيها أنهارا تسقى الحرت والنسل. ثم إن القول يفيد أن استغفار الله عن إخلاص مع نية الإقلاع عن الذنب، أو التوبة الصادقة، مجلبة للرزق.

ثم يذكر عليه السلام أنه قال لقومه «ما لكم لا ترجون لله وقارا، وقد خلقكم أطوارا». والاستفهام في القول يتضمن إنكارا عليهم أنهم لا يخافون الله عظمة وقدره، فيكون منهم توحيده وعبادته وإتقاء غضبه، كما يتضمن توبيخا لهم على هذا، وسبب الإنكار والتوبيخ هو ظهور قدرته وعظمته لهم ومعرفتهم بها من معرفة خلقهم أطوارا، نطفة ثم علقة ثم مضغة، طورا من بعد طور.



أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
طَبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ١٦ وَاللَّهُ
أَبْنَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَأًا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ١٨ وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا ١٩ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ٢٠

التفسير:

القول - فى الآيات - لا يزال فيما نرى - والله أعلم - هو لنوح عليه السلام فى ذكر ما بذل من جهد فى دعوة قومه للإيمان. وفيه أنه خاطبهم بالدليل العقلى المستمد من آياته تعالى فى الخلق، فدلل لهم بخلقه تعالى السماوات سبعا طباقا، بعضها فوق بعض، وكل منها مطبقة على الأخرى، وجعله القمر فى السماء منيرا إذ يعكس ضوء الشمس فيصبح للناس منيرا، وجعله الشمس سراجا متوهجا فهى مصدر الضياء، دلل لهم بهذا على وجود الله ووحدانيته وقدرته. ونرى - والله أعلم - أن القول يشير إلى حقيقة وجود أقمار أخرى فى السماء، فيكون «القمر» فى القول اسم جنس وذلك بملاحظة ضمير الجمع فى لفظ «فيهن» فيكون الاستفهام فى قوله «ألم تروا» لإثبات الرؤية عليهم ولإنكار عدم استخلاصهم الحقيقة منها عليهم. ودلل لهم على وجوده تعالى ووحدانيته وقدرته بخلقهم من طين الأرض بخلق أبيهم آدم منه، فكانه خرج من الأرض كما يخرج النبات.

ثم إنهم يولدون ضال الأجسام ثم تنمو أجسادهم مثل النبات يخرج من الأرض صغيرا ثم ينمو، وما كان نمو أجسادهم إلا بالغذاء الذى يخرج من الأرض، فهم مثل النبات. ثم إنهم يعودون إلى الأرض بدفنهم فيها بعد موتهم أو بتحليل أجسام من لا يدفن واختلاطها بالأرض، وبعد ذلك فإنهم يخرجون من الأرض بالنشور والبعث يوم القيامة. ودلل لهم على وجوده تعالى ووحدانيته وقدرته بأن جعل لهم الأرض مبسطة مع كرويتها ليتمكنوا من اتخاذ السبل

فى السهل منها، والفجاج بين جبالها يسرون فيها متنقلين من مكان إلى آخر.

قَالَ
نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدَّهُ مَالُهُ وُؤَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾
وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كُبَرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا
وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا
وَلَا تَزِرُ الظُّلُمَاتِ إِلَّا ضُلَالًا ﴿٢٤﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر: قيل هى أسماء أصنام كان يعبدها قوم نوح عليه السلام. وقيل كانت تعبدها العرب ولم يعبدوا غيرهم. وقيل كانوا - فى الأصل - خمسة أبناء لآدم عليه السلام، فكلما مات أحدهم، صور إبليس لهم مثله تمثالاً على هيئته، فلما مضى الزمان وترك الناس عبادة الله وسوس لهم الشيطان أن هذه التماثيل كانت آلهة آبائهم فعبدوها. وقيل كانوا قوما صالحين فيما بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا زين إبليس للناس أن يصوروا صورهم ليتذكروهم وأفعالهم الصالحة، ثم وسوس لمن جاؤوا بعدهم أن يعبدوها فترحمهم وتسقيهم .

ثانياً : التفسير :

القول هو الله تعالى، وهو إخبار بأحداث. ذكر تعالى أن نوحا شكى إلى ربه أن قومه عصوه ولم يتبعوا دعوته، وأنهم اتبعوا ساداتهم وكبراءهم الذين تقفوا بالمال والأتباع والأولاد كفروا وأمروا بالكفر فاتبعهم القوم، وفى القول وصف نوح عليه السلام هؤلاء الذين أمروا بالكفر

بأنهم الذين لم يزدهم مالهم وأولادهم إلا خسارة الدنيا والآخرة، وذلك بضلالهم في الدنيا وتعذيبهم في الآخرة. وذكر تعالى أن نوحا قال له تعالى في قومه إنهم مكروا به مكرا عظيما، يتصور فيه أن يكون هو تحريرهم سفلتهم أن يؤذوه عليه السلام، ويتصور فيه أن يكون إقناعهم الناس أنهم على حق وأن نوحا على الباطل بدلالة إنعام الله عليهم بالمال والولد، ويتصور أن يكون هو أمرهم الناس ألا يتخلوا عن عبادة آلهتهم، وألا يتخلوا عن أصنامهم الخمسة المسماة ودا، وسزاعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وقد يكون الأمر من السادة والكبراء بعدم التخلي عن عبادة أصنامهم، ويكون القول بالأسماء الخمسة قوله تعالى موجها إلى مشركي العرب الذين يعبدون ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا، كأنه تعالى يقول لهم إنهم كانوا يعبدون أصنامهم الخاصة بهم المماثلة لأصنامكم المذكورة أسماؤها. وقد يكون الأمر من السادة بعدم التخلي عن عبادة أصنام لها هذه الأسماء بالفعل، فتكون عبادتها قد أعيدت من بعد الطوفان في مكة بفعل الشيطان. وفي قول نوح عليه السلام لربه «وقد أضلوا كثيرا» ما يفيد أن السادة والكبراء قد أضلوا كثيرا من القوم بأمرهم ألا يتكروا عبادة أصنامهم أو أن الأصنام المعبودة كانت سببا لضلال الكثيرين من القوم. ثم يذكر تعالى أن نوحا أتبع قوله التقرير بسؤاله ربه ألا يزيد الظالمين إلا ضلالا، وهو دعاء عليهم ألا تكون لهم منه تعالى زيادة إلا فيما يضرهم ولا ينفعهم من إمعان في الكفر وإهلاك بالعذاب.

مَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ٢٥

التفسير:

أخبر تعالى - في الآية - عن أنه من أجل خطايا قوم نوح أو بسببها كان منه تعالى إغراقهم، والقول بهذا إيجاز لذكر قصة الطوفان اكتفاء بذكر نهايتها، ثم جاء قوله تعالى «فأدخلوا نارا» مينا أنهم أدخلوا النار بعد إغراقهم، فيتصور أن يكون هذا مفيدا تعذيبهم في قبورهم، أو مفيدا أنهم تعرض عليهم أماكنهم من النار، وقيل إنهم كانوا يعذبون بالنار خال إغراقهم، بأن كانوا

يغرقون في جانب، ويحترقون في جانب، وهو ما لانراه لأن الفاء في لفظ «فأدخلوا» تفيد التعاقب بمعنى أن التعذيب بالنار كان من بعد الإغراق. ثم جاء قوله تعالى «فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا» بيانا لواقع فيهم وفي كل معذب منه تعالى وهو أنه لا يجد له ناصرا يدفع عنه عذاب الله .

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي
الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَظْلُمُونَ عِبَادَكَ وَلَا
يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ٢٧ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ٢٨

أولا : الأسماء :

الديار: في قوله تعالى «لا تذرني على الأرض من الكافرين ديارا» هو من يسكن الدور .

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى أنه أهلك قوم نوح بإغراقهم وأنهم يعذبون في النار، فإنه تعالى ذكر في الآيتين ما كان من نوح عليه السلام معه تعالى قبل إهلاك قومه، وهو الدعاء عليهم، فبين تعالى أن إهلاكه القوم كان فيه استجابة لدعاء نوح عليه السلام .

ذكر تعالى أن نوحا دعاه ألا يترك على الأرض - وهي جميع الأرض لدى من يرى أن الطوفان شمل جميع الأرض، وهي الأرض التي شملها الطوفان عند من يرى أنه لم يعم الأرض جميعها - دعاه ألا يترك على الأرض من الكافرين أحدا يسكن دارا، والمعنى هو إبقاء جميع الكافرين. وقبل إنه تعالى كان قد أعقم أرحام النساء وأصلاب الرجال قبل العذاب بالإغراق أربعين سنة، فلم يكن فيهم وقته صبي. ثم إن نوحا برر دعاءه على قومه بذكر ما تبين

له منهم على مدى عمره الطويل بالتجربة والملاحظة، أو ما علمه من الله من أنه تعالى لو تركهم بغير عذاب يفنيهم ويستأصلهم لا يكون منهم إلا إضلال الناس، ولا من نسلهم إلى الفجرة الكفرة. وفي هذا قيل إنه تعالى أخرج من أصلاب الرجال كل مؤمن فلم يبق فيها إلا الكفرة الفجرة .

كما ذكر تعالى أن نوحا عليه السلام دعا لنفسه ولوالديه بالمغفرة، والمعنى أن والديه عليه السلام كانا مؤمنين، وقد سبق بيان أبيه، وقيل إن اسم أمه «منجل»، كما أنه عليه السلام دعا بالمغفرة لكل من دخل بيته مؤمنا، بمعنى من دخل مسجده وذلك لأن بيوت الأنبياء مساجد، ولأن من يدخلها مؤمنا يكون قد دخلها متعبدا أو متعلما لأجل إحسان العبادة، كما دعا بالمغفرة للمؤمنين والمؤمنات عامة إلى يوم القيامة. ثم دعا ربه على الكافرين — سماهم الظالمين — ألا تكون منه تعالى لهم زيادة إلا في هلاكهم وخسرانهم. يتصور أن يكون الدعاء على قومه الكافرين، ويتصور أن يكون على جميع الكافرين إلى يوم الدين .



بسم الرحمن الرحيم

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ أَنِّي أَنَا نَسَمُ فَأُفَرِّقُ الْجِنَّ فَقَالُوا إِنَّا نَسَمُ فَأُفَرِّقُ إِنَّا عَجَبًا ①
هَدَيْتَنِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهٖ طَوْلٌ لَّنْ نُّشْرِكَ رَبَّنَا حَدِّثْنَا ② وَأَنَّهُ يُعَلِّمُ الْكُتُبَ
رَبَّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو شروع في ذكر واقعة استماع أفراد من الجن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن وما كان منهم مع قومهم من بعد سماعهم القرآن. وقد قيل إن الواقعة حدثت قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل حدثت سنة إحدى عشرة من النبوة.

وقد تضمنت الآيات الثلاث أمره تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يروى قصة الجن معه لقومه لبيان أن مؤمنى الجن أفضل من كفارهم، لأن الأولين استمعوا القرآن فآمنوا والآخرين استمعوا له فأعرضوا، كما أن في الآيات الثلاث إظهارا لكيفية إيمان الجن وكيفية إعلانهم إيمانهم.

بدأ تعالى بأمر رسوله ﷺ أن يقول لقومه أنه أوحى إليه من ربه على لسان جبريل أن نفرا من الجن - قيل إنهم رهط بين ثلاثة وعشرة، وقيل أكثر من عشرة - استمعوا إليه ﷺ يقرأ القرآن العظيم، فكان منهم عند رجوعهم إلى أقوامهم أنهم قالوا لهم إنهم سمعوا كتابا مقروءا، أمره عجب في حسن النظم ودقة المعنى بما لا يشبه كلام الناس.

ثم إنهم وصفوا الكتاب المقروء الذى استمعوه بأن من شأنه أنه يهتدى إلى الحق، والمعنى أنه يهتدى إلى الإيمان والتوحيد.

ولهذا فإنهم قالوا بما ترتب على سماعه معهم وهو أنهم آمنوا بالقرآن جميعه الذى استمعوا إلى بعض آياته، وأنهم آمنوا بما جاء به فوجدوا الله ربهم، وزادوا بأن أبانوا أنهم لن يشركوا بربهم أحدا من خلقه.

والمعنى أنهم عزموا مستعينين بالله على ألا يشركوا به أحدا. ثم بينوا معرفتهم الله تعالى مما سمعوا بأن قالوا إنه تعالت عظمته وارتفع جلاله وشأنه عن أن تكون له صاحبة وعن أن يتخذ ولدا.

فيكون المعنى أنهم تيقنوا من كذب القائلين من قومهم إنه تعالى اتخذ صاحبة أو ولدا.

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى
 اللَّهِ شَطَطًا ۖ وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَّنَ نَقُولَ لِلْإِنسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ
 وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
 رَهَقًا ۖ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنَ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۖ

التفسير:

القول - فى الآيات - من قول الجن الذين استمعوا إلى القرآن فآمنوا لقومهم، قالوا لهم إن سفيه الجن - يعنون إبليس اللعين - كان يقول على الله غير الحق ويشتط فى القول مجاوزا كل حد، يعنون بهذا قوله فى الله إنه اتخذ صاحبة واتخذ ولدا. وبينوا أنهم خلصوا إلى هذه الحقيقة وأنهم فى تصديقهم إبليس وكفرة الجن فيما نسبوه إلى الله - من قبل - كانوا معذورين لأنهم اعتقدوا أنه لا يتأتى للإنس ولا الجن أنهم يدعون على الله الكذب، وأنهم يجرؤون على هذا فاتبعوا قولهم متأثرين باعتقادهم هذا. ثم أتبعوا هذا بذكرهم ما خبروه من أمر الإنس والجن الذين كفروا إذ كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا - وفيه قيل إن الرجل من العرب كان إذا أمسى فى واد قفر نادى عزيز الجن فيه متعوذا به من إيذاء من هم تحت إمرته من الجن، فكان هذا يملأ نفوس المتعوذ بهم تكبرا وعتوا وغرورا. والذي نراه - والله أعلم - أن القول يفيد معنى، أو إنه يشير إلى استعانة السحرة والكهنة من الإنس بشياطين الجن فى أعمال السحر والكهانة، وأن شياطين الجن كانت تشتط عليهم التقرب إليهم بالكفر وعمله، فكانوا يزيدونهم معاصى وآثاما تزيد فى عذابهم.

ثم كان منهم بيان سبب اجترأ المتعاونين والمستعيزين ببعضهم من الإنس والجن على الكفر والعمل به فيما يستعين فيه بعضهم ببعض، وهو اعتقادهم ذات الاعتقاد الذى عليه باقى الجن الذين لم يؤمنوا - وهم المخاطبون - أن الله لن يبعث أحدا للحساب والجزاء

بالثواب والعقاب ، فأمنوا أن يعذبوا، فكان منهم الكفر وعمله.

وَأَنَّا
لَمَنَّا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللِّسَمِ ۝٩ فَنُصْغِعُ أَلَّا نَبْجِدَ لَهُ وُشَبًا بَارِصًا ۝١٠
وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١١

التفسير:

فى الآيات أن رهط الجن الذى آمن قالوا لباقى أفراد جنسهم أنهم طلبوا خبر السماء بالصعود إليها - جاء التعبير عنه بلمسها - فوجدوها قد ملئت بحراس شداد من الملائكة وشهب تمنعهم من تحقيق بغيتهم - وقد كان هذا من بعد بعث محمد ﷺ رسولانبا - وبينوا لقومهم أن منعهم من طلب خبر السماء هو أمر حديث العهد يخالف ما كان عليه الحال من قبل إذ كانوا يتخذون من السماء مقاعد للسمع يجلسون فيها مستمعين إلى كلام أهل السماء آمنين، ثم بينوا لهم الأمر الحادث حديثا، وهو أن من يحاول بلوغ السماء للاستماع يجد شهابا قد رصد له يضيئه فيؤذيه ويمنعه عن بلوغ هدفه، وعلى هذا فإنه يكون القول غير نافع أن الشهب كانت منظورة فى السماء قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنها لم تكن رجوما للشياطين مرصودة لهم. ثم إن الجن الذين آمنوا أظهروا أنهم لا يدرون ما إذا كان المراد من ملء السماء حرسا شديدا وشهبا شرانيا من فى الأرض أم خيرا.

ويتصور أن يكونوا قد خلصوا إلى ارتباط ملء السماء حرسا شديدا وشهبا ببعثة صلى الله عليه وسلم رسولانبا، فأبدوا عدم معرفتهم بما إذا كان المراد بهذا شر العباد بتعذيبهم بكفرهم به أم خيرهم بإيمانهم له .

وَأَنَّا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّا
أَن لَّنُتَجَرَّ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنُتَجَرَّ وَهَرَبًا ۝١٢

أولاً : الأسماء :

القدد : فى قوله تعالى «كنا طرائق قددا» هو التفرق والتشتت والاختلاف .

ثانياً : التفسير :

القول - فى الآيتين - للجن الذين آمنوا استئفا لحديثهم مع قومهم، فيه ذكر لحالهم قبل سماعهم القرآن وإيمانهم به. ذكروا أن منهم من جيل على صالح الأعمال لا يميل إلى عمل الشر فيتعامل مع غيره بالحسنى لا يظلم أحداً، وأن منهم من هم دون درجة الصلاح هذه، والدونية تعنى أن منهم من انعدم فيه الصلاح تماماً فكانت طبيعته ميالة إلى الشر، وأن منهم من وجدت فيه خصلة أو خصال من الصلاح لكنها دون ما لدى الصالحين منهم. ولهذا فإنهم وصفوا حالهم من الصلاح بأنهم كانوا على طرق مختلفة متفرقة. وفى القول أيضاً أنهم قد علموا من بعد إيمانهم - وقت مخاطبتهم قومهم - أنهم إن كفروا فإنهم معذبون، جاء التعبير عن هذا بأنهم لن يتمكنوا من الهروب من العذاب فى الأرض والتخلص منه، كما أنهم لن يتمكنوا من الهروب من الأرض ولوجا إلى السماء .

وَأَنَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ

ءَامَنَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِمَّا
الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝١٤
وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥

التفسير:

فى القول ما يفيد أن الرهط الذى آمن من الجن بالله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، قد آمن إثر سماعه القرآن - وصفه بالهدى - على ما أخبر به باقى قومه، وما يفيد أن أفرادهم قد علموا أن من يؤمن بربه وبما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وتوكل عليه فإنه يأمن على نفسه فلا يخاف أن ينقص شيئا من أجره الذى وعده الله، ولا أن تغشاه ذلة يوم القيامة تغشى الكافرين. والقول من مؤمنى الجن هو نصيح لإخوانهم ودعوة لهم إلى الإيمان .

وبعد هذا فإنهم أخبروا قومهم بأن منهم من قدر له أن يسلم - أى من جنسهم - ومنهم من جار على طريق الحق فلا يكون له أن يسلم، ثم إنهم حشواهم على الدخول فى الإسلام بإخبارهم أن من يسلم منهم فإنه يكون قد ابتغى الرشد الذى يبلغ حسن ثواب الآخرة وحذروهم الكفر وعاقبته بأن أعلموهم أن القاسطين الجائرين على الحق الذين لا يسلمون يكونون فى الآخرة وقودا للنار مثلما الحطب هو وقود لها فى الدنيا .

وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى
الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۖ لِنُقِنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ
عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝

التفسير:

القول - فى الآيتين - الله تعالى يخبر رسوله ﷺ أن الجن لو استقاموا على الطريقة، بمعنى أنهم أسلموا وأطاعوا، لكان منه تعالى أن وسع عليهم أرزاقهم - فقوله تعالى «وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا» جاء معطوفا على قوله تعالى «أنه استمع نفر من الجن»، وفى القول «لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا» تعبيرا عن الرزق. ثم إنه تعالى بين علة الإغداق على المؤمنين منهم بالخير فيبين أنها اختبارهم لإظهار من يشكر ممن يكفر فتلهيه النعمة عن ذكر ربه، فأعلم تعالى أن من يعرض

عن ذكر ربه وعبادته، أو من يعرض عن قرآنه، يكون منه تعالى أنه يدخله عذابا يعلنوه

ويقلبوا.

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا
تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ
عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ٢٠ قُلْ إِنِّي
لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ
أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ٢٣

أولا : الأسماء :

١ - المساجد : قيل إن المراد بها - في معنى الآية - هو عموم المواضع المعدة للصلاة
وللعباداة، وقيل هي الأرض عموما لأنها جعلت للمسلمين مساجد، وقيل إن المراد هو
المسجد الحرام، أو الكعبة ذاتها .

٢ - اللبىد : فى قوله تعالى «كادوا يكونون عليه لبدا» هو التراكم والازدحام .

٣ - الملتحد : فى قوله تعالى «ولن أجد من دونه ملتحدًا» هو الملجأ، والمعدل،
والمنحرف .

ثانيا : التفسير :

القول - فى الآيات - من قوله تعالى لرسوله ﷺ الذى أوحاه إليه وأمره أن يقول له لقومه .

أخبره أن المساجد التي اتخذت للصلاة ولذكر الله هي له تعالى، وأخبر عن النتيجة المستفادة من خبره هي وجوب عدم عبادة غير الله فيها والدعاء له، وأمر رسوله ﷺ بالقيام على منع عبادة غير الله فيها بقوله تعالى «فلا تدع من الله أحدا» والقيام على تنفيذ الأمر موكول إلى المسلمين بعده ﷺ إلى أن تقوم الساعة .

ثم إنه تعالى أخبر عما كان عندما قام رسول الله ﷺ لعبادة ربه بأداء الصلاة حين اجتمعت إليه الجن تسمع القرآن، أو حين قام إلى الدعوة للإسلام، جاء ذكره ﷺ بأنه عبد الله، لأنه نقل إلى قومه ما أوحى به إليه من ربه بناء على أمر من الله، فكان عبدا لله أمر فاطاع. ويتصور أن يكون الخبر المروى أنه لما قام ﷺ للصلاة، وشاهدت الجن اجتماع المسلمين خلفه للصلاة، وسمعوا القرآن العظيم، وكانوا لم يشاهدوا مثل هذا من قبل مع رسول الله ﷺ، ولم يسمعوا مثل القرآن، كان منهم الازدحام عليه ﷺ فتراكموا بعضهم في بعض ليشهدوا ويسمعوا. ويتصور في المعنى أنه لما قام ﷺ على الدعوة إلى دين الله كان من قریش أنها تظاهروا عليه واجتمعوا متلبدين للعداوة، أو أنهم تلبدوا عليه وشياطين الجن، فيكون في القول تقابل بين دعوتهم إلى الإيمان والعبادة المستفادة من قوله تعالى «وأن المساجد لله» وبين فعلهم وهو الاجتماع على رسول الله ﷺ الداعي إلى الله.

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يعلم المتظاهرين عليه أنه لم يأت ببدع ولا مستنكر يستوجب اجتماعهم عليه فهو ﷺ يعبد ربه ولا يشرك في عبادته أحدا، وهذا فعل جميع الرسل من قبله. كما أمره أن يقول لهم إنه ﷺ لا يملك من نفسه وبنفسه أن يضرهم بشيء ولا أن ينفعهم بشيء، وقد يكون في التعبير عن الخير بالرشد ما يفيد أن المراد بالضر هو الغي يكون بالإصرار على الكفر، فيكون المعنى أنه ﷺ لا يملك قسره على الكفر ولا على الإيمان، وأن الذي يقدر على هذا هو الله تعالى .

وأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لقومه إنه لن يجيره من الله أحد إن أراد الله به سوءا، وأنه إن أراد تعالى به سوءا فإنه سيعدم ملجأ يأوى إليه فيرد عنه هذا سوء. فيكون القول مفيدا عجزه ﷺ أن يمنع عن نفسه ضرا أو أن ينفع نفسه بشيء من بعد أن بين أنه لا يملك لغيره ضرا ولا

نفعاً، وهذا تأكيد لواقع أنه ليس سوى رسول يبلغ عن ربه ما أرسل به؛ ولهذا يجيء قوله ﷺ «إلا بلاغا من الله ورسالاته» استثناء من مفعول «لا أملك» فيكون المعنى أن الذي يملكه أو يملك أمره هو أن يبلغ الناس أمر ربه ورسالاته التي يبعث بها إليه بواسطة جبريل عليه السلام، فيكون معنى أن من يعصى الله ورسوله فإن له نار جهنم أن النبي الذي يعصى الله ربه والذي يعصى رسالاته التي يبعث إليه بها بواسطة جبريل عليه السلام تكون له نار جهنم. ولما كان من المحال أن يكون من نبى هذا فإن القول يكون ردا على من عرضوا من المشركين على رسول الله ﷺ أن يجيروه إذا ما هوترك ما يدعو إليه، ثم إن معنى القول له من العموم ما يفيد معنى أن الذين يعصون الله ورسوله ﷺ تكون لهم نار جهنم يخلدون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون .

حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا ۖ وَقُلَّ عَدَدًا ۝٢٥
 قُلْ إِنِّي دَرَيْتُ قَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمَدًا ۝٢٦ عِلْمُ الْغَيْبِ
 فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٢٧ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ
 وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝٢٨ لِّيَعْلَمَ أَن قَدِ ابْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ
 وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٩

التفسير:

بدأ تعالى القول - في الآيات - في شأن الذين يعصون الله ورسوله، وقد كانوا يستضعفون أنصار رسول الله ﷺ لفقرهم وعدم تملكهم أسباب القوة ولقلة عددهم، فتوعدهم الله بعذاب الآخرة، يعلمون علم اليقين حين يرونها أنهم المستضعفون الأذلاء الذين عدموا ناصرا يمنع عنهم العذاب أو يخففه عنهم. ثم أنه لما كان من الكافرين حين توعدهم رسول الله ﷺ

بعذاب الآخرة أن استهزؤوا بما سمعوا وسألوا منكبرين له عن وقته متى يكون، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يجيبهم على سؤالهم ببيان أنه لا يعلم متى يكون يوم القيامة الذي يلقي الكافرون فيه عذابهم، أيكون قريباً أم بعيداً، بينه وبين وقتهم أمد بعيد، وسبب عدم علمه ﷺ بوقت يوم القيامة هو كونه من الغيب الذي استأثر تعالى ذاته بعلمه، فبعد أن يقول لهم ﷺ إنه لا يعلم أيكون قريباً أم يجعل له ربه أمداً، فإنه يخبر عن ربه بأنه عالم الغيب، فيكون الأصل أنه تعالى وحده الذي يعلم الغيب وأنه لا يظهر ولا يُطلع على غيبه أحداً من خلقه، ثم استثنى من الخلق من ارتضى تعالى من الرسل، والمعنى أنه يُطلع من ارتضى له من الرسل أن يعلم شيئاً من الغيب على ما ارتضى أن يطلع عليه منه، فيكون الإخبار من الرسول بهذا الغيب معجزة من المعجزات التي أمده الله بها، ومن هذا الغيب ما كان عيسى ابن مريم عليه السلام يخبره قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وما أوحى إلى رسول الله ﷺ به من أن أبا لهب لا يؤمن ولا يدعى الإيمان تظاهراً، وأن الروم من بعد غلبهم سيغلبون. ثم إنه لما كان هذا الغيب يبلغ إلى الرسول بواسطة جبريل محفوظاً، فإنه تعالى بين أنه يحفظه عندما يلقي به جبريل إلى رسول الله ﷺ بالقول من أن تسمعه الشياطين فتعرف خبره، وهو ما يكون بإيجاده تعالى حرساً من الملائكة من بين يدي الوحي ومن خلفه مرصودين لحمايته من أن تسترق الشياطين السمع له حين يقرأه جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، شأنه في هذا شأن جميع الرسل حين يطلعهم الله على ما شاء أن يطلعهم عليه من الغيب ليكون لهم آية.

ثم بين تعالى سبب سلكه من بين يدي الوحي ومن خلفه ملائكة مرصودين لحمايته، وهو علم الرسول الذي ارتضى له الله أن يعلم من الغيب ما ارتضى له، أن الملائكة - والمراد هو جبريل عليه السلام - قد أبلغ رسالات ربه وهي الغيب الموحى به إلى الرسول دون تبديل ولا تغيير، وأنه تعالى أحاط بما لدى الملائكة الرسل أو بما لديه جبريل عليه السلام علماً، والمعنى أنه لو كان قد زاد في الرسالة أو أنقص لكان تعالى قد علم بهذا؛ فهو تعالى العالم بكل شيء، فما من شيء إلا أحصاه عدداً وعلم أفراده فرداً فرداً وما يكون من كل منهم، وهو تعالى المتفرد بهذا العلم، لا يشاركه فيه أحد من خلقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْمَزْمُولُ ۝ قُمْ إِلَى الْإِلَهِ ۝ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَنِيُّ ۝ وَانْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝
أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سُلِّقَ عَلَيْكَ قَوْلًا تَشْتِيلًا ۝
إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝

أولاً : الأسماء والأعلام :

المزمل : المراد به - في معنى القول - هو محمد ﷺ وأصل اللفظ هو المتزمل، وهو من تلفف بشيابه. قيل إن مناداته به سببها أنه لما جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء وحاوره، رجع إلى خديجة يقول «زملوني زملوني». وقيل إنه لما سمع قول المشركين فيه إنه مجنون، أو إنه ساحر، تزمل في ثيابه فأتاه جبريل فتأذاه مؤانسا «يا أيها المزمل، يا أيها المدثر».

ثانياً : التفسير :

خاطب تعالى رسوله ﷺ منادياً عليه بصفته «المزمل» لما كان منه ﷺ من التلفف بشيابه بعد أن ذهب إلى زوجته خديجة بعد نزول جبريل عليه في حراء، أولما سمعه من قول المشركين فيه. ثم أمره بتكاليف دينية، خصه تعالى بها في القول، وللمؤمنين أن يتأسوا به ﷺ فيها فيشأوا. أمره تعالى أن يقوم لعبادته والصلاة مداوماً الليل طوله إلا قليلاً، ثم بين هذا

القليل بأنه نصف الليل، ثم خير رسوله ﷺ أن ينقص من هذا النصف الذي لا يقوم فيه على العبادة مقداراً قليلاً منه أو أن يزيد عليه - يتصور أن تكون الزيادة بقدر النقص المخصص فيه وهي ما لا يقل عن نصف النصف من الليل، ويتصور أن يكون تقديرها متروكاً له ﷺ. ثم أمره تعالى أن يرتل - أثناء قيامه الليل - القرآن ترتيلاً، بمعنى أن يقرأه في تودة وتمهل يتيحان تدبره، ترتيلاً بليغاً.

وبعد هذا فإنه تعالى أخبر رسوله أنه سيلقى إليه قولاً ثقيلاً، والمعنى أنه سيوحى إليه القرآن العظيم ينزل عليه وفيه من التكاليف ما هو شاق في حد ذاته، فيكون القول تحفيزاً له ﷺ على عدم المبالاة بثقلها لأنه تعالى يعينه عليها، ويتصور أن يكون المعنى هو أن القرآن العظيم يثقل على الكفار والمنافقين بإعجازه، وأنه به يثقل ميزان الذين يؤمنون به. ثم أخبر تعالى عن قدر ناشئة الليل وقيمتها، وهي النفس التي تنشأ أو تقوم من مضجعها ليلاً إلى عبادة الله، فأخبر تعالى أنها نفس يواطىء الفعل منها ما استقر في قلبها من الإيمان، لأن من يقوم الليل من أجل العبادة مع كون الليل هو وقت الراحة، يكون مدفوعاً بإيمان مستقر في قلبه، فيكون القول منه أصوب وأثبت لأنه يكون ترديداً لما في القلب.

إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا
طَوِيلًا ٧ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبَنِّلْ إِلَيْهِ بَيْلًا ٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ
وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمِهْلَهُمْ
قَلِيلًا ١١

أولاً : الأسماء :

١ - السبح : في قوله تعالى «إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا» هو الجري

والدوران، وهو القلب .

٢- التبتيل: بمعنى التبتل وهو الانقطاع، من «بتل - يتتل» بمعنى قطع .

ثانياً: التفسير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ بقيام الليل عابداً مصلباً قارئاً القرآن، فإنه تعالى بين له أنه ليس من شأن هذا شغله عن الدعوة وشئون عيشه، لأن في طول النهار متسعاً لأداء هذه الشواغل، وقد يكون المراد بيانه هو أن شواغل العيش وتحرك المرء فيها تستغرق معظم نهاره، فلا يستطيع التفريغ للعبادة، فيكون الليل أكثر ملاءمة للتفرغ للعبادة. ثم أتبع تعالى هذا البيان بأمر رسوله ﷺ بالمداومة على ذكر ربه بأسمائه الحسنى، وأن يقطع إليه تعالى بالعبادة بالقلب، فلا يشرك به في قلبه أحداً ولا شيئاً، انقطاعاً ليس فيه شغل شاغل. ثم مدح تعالى ذاته المأمور بالتبتل لها بأنه رب المشرق والمغرب وأوجدتهما وحفظهما فدأما به، ووحد ذاته نافياً الألوهية عن غيره، ثم أمر رسوله ﷺ أن يتخذة تعالى وكليلاً بمعنى أن يتوكل عليه وحده ترتيباً على خصه وحده بالألوهية والربوبية، ثم جاء أمره تعالى رسوله ﷺ بالصبر على قول الكافرين فيه إنه ساحر أو كاهن، وهو ما كان يؤذيه منهم بالقول مكتفياً بتجنبهم عن طلب مجازاتهم. والقول بهذا المعنى مترتب على التوكل عليه، ومترتب عليه أيضاً أمره تعالى رسوله أن يخلي ما بينه وبين الكافرين، بأن يترك أمرهم إليه تعالى «وذرنى والمكذبين أولى النعمة» وصفهم بأنهم المكذبون لأنهم كذبوا بالقرآن ورسول الله ﷺ، ووصفهم بأنهم أولى النعمة لأنه تعالى أنعم عليهم بنعم تمتعوا بها، ثم جاء قوله تعالى «ومهلهم قليلاً» في صيغة الأمر، وهو في حقيقته طمأنة لرسول الله ﷺ أنه تعالى معذب المكذبين، وتوعد لهم بالعذاب يكون قريباً حدوته لقصر المدة التى أمهلوها. ويتصور في العذاب أن يكون عذاب يوم بدر، كما يتصور فيه أن يكون عذاب يوم القيامة .

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَارًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝

أولاً : الأسماء :

١ - الأنكال : فى قوله تعالى «إن لدينا أنكالا» جمع، مفردة «النكل» وهو القيد الثقيل.

٢ - الغصة: فى قوله تعالى «وطعاما ذا غصة» هى عدم الاستساغة تؤدى إلى نشوب الطعام فى الحلق وامتناع بلعه وازدراده .

ثانياً : التفسير :

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك أمر المكذبين له تعالى، فإنه تعالى بين فى الآيات ما أعد لهم للانتقام منهم، فذكر تعالى أن لهم عنده قيودا ثقيلة تهبط بأحدهم إلى أسفل إذا أراد أن يرتفع عن الأرض، ونارا شديدة الإيقاد يضطلى بها وطعاما لا يكاد أحدهم يسيغه فيعلق فى حلقة كالضريع والزقوم، وعذابا أليما فوق هذا العذاب المعلوم، لم يذكر بنوعه لينشغل به فكر المتوعدين به. ثم بين تعالى أن هذا العذاب الأليم يكون يوم أن تضطرب الأرض والجبال وتترلزل ثم تفتت الجبال فتصبح رملا مجتمعاً رخوا لينا من بعد صلابه .

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۖ ﴿١٦﴾
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۖ ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ
مُنْفِطِرَةٌ ۖ وَكُنُوسٌ ۖ فَكَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۖ ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءِ اتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۖ ﴿١٩﴾

أولاً : الأسماء :

١ - الوبيل: فى قوله تعالى «فأخذناه أخذا وبيلا» هو الثقيل تحمله، الرديئة عاقبته.

٢- الشيب : جمع، مفردة «الأشيب» وهو الشيخ، وهو الشيخوخة .

ثانيا : التفسير :

قيل إن الخطاب في قوله تعالى «إنا أرسلنا إليكم رسولا» موجه إلى كفار مكة المكذبين أولى النعمة، وقد يكون الصحيح - والله أعلم - أنه موجه إلى جميع الناس لأن رسول الله ﷺ أرسل للناس جميعا. وفي القول يخاطب تعالى الناس مخبرا أنه أرسل إليهم رسولا شاهدا عليهم بمعنى أنه يشهد عليهم يوم القيامة بما كان منهم من كفر وعصيان، ثم ذكر لهم أن إرساله ﷺ ماثل إرساله تعالى موسى عليه السلام رسولا إلى فرعون، لم يذكر في القول اسم موسى لأن المراد إظهاره هو بيان نتيجة تكذيب الرسل، فذكر بصفته رسولا ثم جاء التحذير من تكذيبه ﷺ بطريق التمثيل ببيان ما أصاب فرعون بعصيان رسول الله إليه، فأثبت تعالى - في القول - أن فرعون عصى الرسول فكان منه تعالى أن أخذه بالعقاب الثقيل الوطأة السيء عاقبة وهو الإغراق في البحر. ثم جاء قوله تعالى «فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا» إنكارا لأن يكون الكافرون قادرين على اتقاء عذاب يوم القيامة أو هوله الذي من شأنه أن يضعف قوى الولدان فيدركهم الشيب، وقيل إن طول اليوم من شأنه أن يشيخ فيه من كان ولدا صغيرا. وفي معنى «إن كفرتم» فإنه إذا كان الخطاب إلى كفار مكة فإن المعنى يكون «إن دتم على ما أنتم عليه من الكفر» وإذا كان لعموم الناس، فإن المعنى يكون إن كفرتم برسول الله الذي بعث إليكم جميعا ولم تؤمنوا له .

ثم إنه تعالى ذكر من أهوال اليوم الذي لا يتمكن الكافرون من اتقاء هوله أو عذابه أن السماء تشقق من فرط شدته، فيكون كل ما هو دونها أشد تأثرا، وأعقب هذا ببيان أن وعده تعالى بالقيامة والحساب والجزاء كائن لا شك فيه بقوله تعالى «كان وعده مفعولا». وبعد هذا فإنه تعالى أشار إلى الآيات المتضمنة عذاب الكافرين والمكذبين في الدنيا والآخرة وأخبر عنها أنها تذكرة، بمعنى أنها موعظة يعتبر بها، ثم حث الناس على تجنب أن يكونوا من أصحاب هذا العذاب ببيان أن بمشيئتهم اختيار الطريق الموصول إلى رضائه تعالى وهو الإيمان به ولرسوله ﷺ وطاعة الله ورسوله .

هَإِن رَّبَّكَ يَعْلَمْ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ
 وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ
 أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَءْ وَأَمَّا يُتَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ
 أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ
 مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءْ وَأَمَّا يُتَسَّرَ
 مِنْهُ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرُضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
 وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ
 أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٠

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، يخبره تعالى أنه يعلم قيامه للعبادة والصلاة وقتاً أقل من ثلثي الليل، وقيامه نصف الليل، وقيامه ثلثه، هو ﷺ وطائفة من أصحابه ﷺ يقومون قيامه. ثم أخبره أنه يقدر الليل والنهار بمعنى أنه الذي يحدد ساعات كل منهما، فيكون الأعم بها وأن رسوله والذين يقومون الليل معه والمؤمنين جميعاً لن يتمكنوا من حساب أوقاتهم - بصفة دائمة - على نحو صحيح ولو ملكوا وسيلة ذلك بطريق العلم مما يجعل التزام قيام أوقات معينة محددة منه بصفة دائمة أمراً فوق الاستطاعة والقدرة؛ ولذلك فإنه تعالى رخص لهم في ترك القيام المقدر فلم يجعله فرضاً، أو إنه تعالى رفع فرضيته، ثم أمر بقراءة ما تيسرت قراءته من القرآن أو بصلاة ما تيسر من صلاة الليل. قيل إن الأمر يعني فرض قراءة القرآن ليلاً أو الصلاة ليلاً على ما تيسر. فإن كان الأمر كذلك فقد نسخت فرضية قراءة

القرآن ليلا بقوله تعالى «ومن الليل فتهجد به نافلة لك» ونسخت فرضية صلاة قيام الليل بما تيسر بالصلوات المفروضة.

ثم ذكر تعالى سببا آخر لرفع فرضية قيام الليل صلاة على المقدور وقتا، فقال تعالى إنه علم أنه سيكون من المؤمنين مرضى، وعاملون يسافرون في الأرض لكسب العيش، وآخرون يقاتلون في سبيل الله وهؤلاء وغيرهم يشق عليهم قيام الليل، ثم بين تعالى أن شواغل الحياة والمهام يجب ألا تشغل المؤمن عن المداومة على ذكر الله بأمره المؤمنين بقراءة ما تيسر من القرآن لهم دون تحمل مشقة وأن يقيموا الصلاة المفروضة، ويؤتوا الزكاة، وأن يتصدقوا مبتغيين وجه الله. ثم حثهم على التزام أوامره هذه بقوله تعالى «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا» فبين لهم أن ما يعملون من صالح الأعمال وما يتفقون في سبيل الله هو زاد لهم وتقدمة للأخرة يكون لهم به أجر عظيم بفضل ما بذلوه وما كانوا ينتظرون فيما لو أدخروه أو أوصوا به. ثم إنه تعالى -رحمة منه بالمؤمنين- أمرهم أن يستغفروه، فالاستغفار سبب لاستمطار الرزق ولمغفرة الذنوب التي لا ينجو من مقارفتها إلا من عصم ربك، وجنهم على الاستغفار بذكره أنه غفور رحيم إطماعا لهم في نيل المغفرة والتنعيم بالرحمة التي لا يكون غيرها دخول الجنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③ وَشِيبَاكَ فَطَهِّرْ ④
وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦

أولا : الأسماء :

المدثر : هو المتدثر، الذى لبس الدثار هو ما فوق القميص الذى يكون على البدن مباشرة. والمراد به - فى معنى القول - هو رسول الله ﷺ الذى تدثر بثيابه تعبيرا عن اغتمامه بما سمع من قول المشركين فيه .

ثانيا : التفسير :

نادى تعالى رسوله ﷺ بصفته الذى تدثر بثيابه ونام - على ما قيل - فأمره بالقيام من نومه لينذر الناس بالقرآن بدءا بعشيرته الأقربين، ويتصور أن يكون مفاد الأمر بالقيام هو الأمر بالعزم والتصميم على أداء ما كلف به من الإنذار بالقرآن، كما أمره أن يكبره به بمعنى أن يخصه وحده بالإكبار فى الاعتقاد وبالقول، وأن يطهر ثيابه، فلا يكون بثيابه أثر من نجاسة ولا من وسخ أو قدر أو دنس. والأمر يشمل تطهير النفس لأن من طهر ظاهره كان الأولى به طهر باطنه، كما أمره بهجر العذاب بمعنى تجنبه بتجنب أسبابه وهى الأثام، ثم نهاه عن يهب هبة طامعا أن يحصل ممن وهبه الهبة على ما هو أكثر منها نفعا أو قيمة. والنهى هذا خاص به ﷺ، وقيل إن الفعل منهى عنه نهى تنزيه للكل. وأتبع هذا بأمره بالصبر لربه، يتصور فيه أن يكون صبرا على أداء الفرائض والطاعات وهجر المعاصى، ويتصور فيه أن يكون صبرا على أذى الكافرين .

فَإِذَا نَقَرُ
فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمٌ مَّيْذِينٌ عَسِيرٍ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ نَاسِرٍ ﴿١٠﴾

أولا : الأسماء :

الناقور : هو الصور ينفخ فيه أو ينقر فيه للتصويت.

ثانيا : التفسير :

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ بالصبر لربه، ومنه الصبر على أذى الكافرين، فإنه تعالى بين أن الكافرين يعذبون بإيذائهم رسول الله ﷺ يوم القيامة، بذكره أنه إذا ما وقع النفخ فى الصور كان ذلك اليوم الذى وقع فيه النفخ يوما شديدا على الكافرين غير سهل ولا هين لأنهم يتنقلون من شدة إلى أخرى .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝۱۱ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝۱۲
وَبَنِينَ شُهُودًا ۝۱۳ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۝۱۴ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝۱۵

أولاً : الأسماء والأعلام :

الوحيد : في قوله تعالى «ذرنى ومن خلقت وحيداً» هو كل فرد من جنس الإنسان، يولد وحده بلا مال ولا ولد عند مولده. وقيل إن المراد به - فى معنى القول - هو الوليد بن المغيرة، كان يسمى «الوحيد» فى قومه، به دعا نفسه وقال إنه الوحيد فى العرب ليس له نظير.

التفسير :

كما قال تعالى فى الآية الحادية عشرة من سورة «المزمل» «وذرنى والمكذبين أولى النعمة» فإنه تعالى قال فى الآية الحادية عشرة من السورة «ذرنى ومن خلقت وحيداً» وفى الآيتين يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ، فيكون المتوعد بالعذاب من الله على المستفاد من أمره تعالى رسوله أن يترك أمره إليه تعالى ينتقم منه قد تعد مرتين بانتقام الله منه. ولما كان القول فى سورة المزمل قد ورد فى عموم المكذبين أولى النعمة، فإنه يكون مقبولاً القول بأن القول فى السورة خاص بمن نزل فيه القول وهو الوليد بن المغيرة، وصفه تعالى بأنه الذى خلقه الله وحيداً - رغم أن كل إنسان يولد وحيداً - لأن العرب كانت تدعوه الوحيد كما كان يقول فى نفسه اغتراراً بقوته وماله، ووصفه تعالى بأنه الذى جعل له تعالى مالا كثيراً مبسوطاً، وبنيين كثيرين يحضرونه فى كل مجلس لا يفارقونه، وأنه الذى بسط له تعالى الرئاسة فى قومه والجاه العريض، فكمّل له من الله أسباب القوة، ثم بين تعالى أنه لم يكتف بما أفاء الله عليه من النعم التى تنعم بها يشكر الله عليها، وإنما طمع أن يزيده تعالى فوقها أخرى، فيكون قوله تعالى «ثم يطمع أن أزيد» استنكاراً لطمعه .

كَلَّا ۝
إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝۱۶ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝۱۷ إِنَّهُ فُكِّرَ وَقَدَّرَ ۝۱۸
فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۱۹ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۲۰ ثُمَّ نَظَرَ ۝۲۱ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ۝۲۲ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝۲۳ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا صَحْرٌ بُوْشَرٌ ۝۲۴ إِنَّ
هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝۲۵

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الكافر المعنى بالقول، أو الوليد بن المغيرة - على المشهور - يطمع أن يزيده الله نعماً أخرى فوق ما أنعم عليه به من النعم، فإنه تعالى قطع عليه طمعه وزجره عن الاسترسال فيه ببيان أنه لن يكون، على ما يبين من قوله تعالى «كلا» ثم بين علة هذا بقوله «إنه كان لآياتنا عنيدا» فهو قد عاند آيات الله المنزلة فلم يؤمن وعاند آياته تعالى المتمثلة في النعم فلم يؤد حقها من الشكر. وقيل إن الوليد - من بعد نزول الآية - ظل في نقص من المال والولد إلى أن هلك، ثم بين تعالى أنه سيرهقه بالعذاب يكون كل نوع منه أشد من سابقه، فكانه يصعد من صعب إلى أصعب «سأرهقه صعودا» وقيل إنه يصعد في جهنم جبلا من نار سبعين خريفا، فإذا صعد هوى ليصعده متجدداً.

وبعد هذا يروى تعالى مظهر عناده مع آيات الله المنزلة بذكر ما كان منه بعد أن قال في القرآن العظيم كلمة حق حين سئله فتوجه إليه قومه معاتبين فعدل عن الحق الذي اقتنع به إلى الباطل مغاندا عقله. رواه تعالى مفصلاً على نحو يبين منه أنه تعالى معهم أينما كانوا. فقال تعالى «إنه فكر وقدّر» وهذا بيان لما كان منه عندما سأله قومه «فماذا تقول في القرآن وفي محمد ﷺ» فكان منه أن فكر فيما تكون عليه إجابته، وهياً الإجابة في نفسه قبل النطق بها. ثم قال تعالى «فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر» والقول تعجب من تهيته القول في نفسه يصيب فيه الخطأ ويحقق مقصود الكافرين من سؤالهم وهو ذكر قوله باطل تقبل - في اعتقادهم - في القرآن وفي رسول الله ﷺ، كما أن فيه دعاء عليه باللعنة أو الهلاك. ثم جاء تكرير القول للمبالغة في التعجب من تقديره ولتأكيد معنى لعنه أو إهلاكه. ثم بين تعالى تصرفه عندما وجه إليه السؤال من الكافرين، فقال تعالى «ثم نظر» يبين من «ثم» أنه انتظر برهة أو فترة قصيرة من الوقت يفكر فيها في القرآن وفي رسول الله ﷺ ماذا يقول فيهما. ثم يقول تعالى «ثم عبس وبسر» والمعنى أنه لما لم يجد في نفسه قولاً يقتنع به يسىء إليهما كان منه أن قطب وجهه لضيقه من هذا، وبسر بمعنى أنه كلع وجهه وتغير لونه لهذا. ثم بين تعالى أن عدم تبينه مطعنا على القرآن ولا على رسول الله ﷺ لم يدعه إلى الإيمان بقوله تعالى «ثم أدير واستكبر» أي أنه ولي الحق دبره معرضاً عنه واستكبر على أن يكون من متبعيه، فكان منه أن قال قوله الباطل «إن هذا إلا سحر يؤثر»، بمعنى أن القرآن الذي يتلوه محمد ﷺ ليس إلا سحراً أخذه عن غيره. قيل إنه دلل على هذا بأنه يفرق بين الأب وابنه - ثم أتبع هذا بقوله «إن هذا إلا قول البشر» رمى فيه رسول الله ﷺ بأنه يأخذ القرآن أو معانيه من إنسان من البشر ثم ينسبها إلى الله تعالى. قيل إن المشركين زعموا أنه ﷺ كان يأخذه من عبد كان لبني الحضرمي

يدعى سيارا، وقيل من عدى الحضرمى الكاهن .

سَأْصِلِيهِ سَقَرٌ ﴿٧٦﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ﴿٧٧﴾
لَا بَقِيَّ وَلَا نَذْرٌ ﴿٧٨﴾ لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٧٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ ﴿٨٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا أَمْلِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَسَيِّقَنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا امْتِلَاجٌ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى
لِلْبَشَرِ ﴿٨١﴾

أولاً : الأسماء :

- ١ - اللواح : هو من لاح الشيء أى غيره وكرر ذلك ، والمراد باللفظ - فى معنى القول -
المغبرلون بشرة المعدبين إلى السواد .
- ٢ - البشر : المراد باللفظ - فى معنى القول - هو البشرات والتجلود .

ثانياً : التفسير :

ذكر تعالى - فى الآيات - أنه سيصلى هذا الكافر المعاند سقر، بمعنى أنه سيدخله سقر
يصلى نارها، ثم جاء قوله تعالى «وما أدراك ما سقر» مبالغة فى وصفها أريد به بث الإحساس
بهول عذابها، ثم بين تعالى وصفها الذى بولغ فيه بذكر أنها لا تبقى شيئاً أو أحداً يلقى فيها إلا

أهلكته، وأنها إذا أهلكته لا تتركه هالكا، إذ يعاد صحيحا ليهلك من جديد، ويذكر أنها تغير البشرات والجلود بلفحها في مبدأ الأمر قبل الإحراق فتجعلها سوداء. ثم ذكر تعالى أنه جعل القائمين على أمر سقر تسعة عشر فردا - لم يذكر في مبدأ الأمر جنسهم - فلما قال أبو جهل لقومه إنه ﷺ أخبر أن عدد خزنة النار تسعة عشر، وسألهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، نزل قوله تعالى «وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة» فبين جهل الكافرين، كما أظهر عدم قدرتهم عليهم. ثم بين تعالى أنه قد جعل عددهم هو هذا العدد القليل ليفتن الذين كفروا بأنفسهم إذ يستقلون عددهم على أن يكفى القيام على تعذيب أهل النار الكثيرين عددا، فيكون منهم الاستهزاء بالخبر وبقائله ونرى - والله أعلم - أن القول يشير إلى افتتان البهائية والبابية بالرقم وتقديسه والربط بينه وبين معتقاداتهم الباطلة بظهور البهاء، أو الباب الذى يزعمون نبوته فى القرن التاسع عشر للميلاد - مما لا مجال لتفصيله - اكتفاء بالإشارة إليه. ثم ذكر تعالى أنه ذكر عدد خزنة جهنم من الملائكة ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أن ما ذكره تعالى للمؤمنين هو الحق، إذ أنه يوافق عدد خزنة النار كما ورد فى التوراة، والقصة أن أناسا من اليهود سألوا بعض المؤمنين عن عدد خزنة جهنم، فقالوا لهم لانعلم حتى نسأل نبينا، فجاء أحدهم رسول الله ﷺ وسأله عن عدد خزنة جهنم فقال له «تسعة عشر ملكا»، وأنه تعالى ذكر عددهم ليزداد الذين آمنوا إيمانا حين يرون تسليم أهل الكتاب بالعدد الذى ذكره القرآن ونطق به نبيهم ﷺ. ثم أكد تعالى ذات المعنى، وهو يتيقن الذين أوتوا الكتاب والمؤمنين من صحة المنبر عنه الذى هو دليل على صدق نبوة رسول الله ﷺ، ببيان أن ذكره تعالى عدد خزنة جهنم من شأنه إزالة الريبة من قلوب أهل الكتاب والمؤمنين فى صدق رسول الله ﷺ مبعوثا بالحق من ربه: ثم بين تعالى أن كلا من الذين فى قلوبهم نفاق ومن المصرين على الكفر سيجاولون التقليل من قيمة النتيجة المستخلصة من ذكر عدد خزنة جهنم ومن موافقتها ما ورد فى التوراة، وذلك بذكره تعالى أنهم سيقولون «ماذا أراد الله بهذا مثلا» بمعنى: أى شىء أراد الله بذكره هذا العبد، فيكون الاستفهام منهم إنكارا لأن يكون ذكره ذا دلالة فى إثبات صدق رسول الله ﷺ.

ثم جاء قوله تعالى «كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء»، مينا أنه على النحو

الذى كان عليه أبو جهل والمنافقون من الضلال فإنه تعالى يضل من شاء له الضلال فينأى عن الحق مع وضوحه وظهوره، وأنه على النحو الذى هدى به أصحاب رسول الله ﷺ، فإنه يهدى إلى الحق من شاء له أن يكون من المهتدين .

ثم أتبع تعالى هذا برده على الكافرين الذين قالوا لرسول الله ﷺ: «أليس لربك من جنود غير هؤلاء التسعة عشر» فجاء قوله تعالى «وما يعلم جنود ربك إلا هو» مبينا كثرة عدد جنوده تعالى من الملائكة فى السماء لا يعرف عددهم وأشخاصهم غيره تعالى، وكثرة جنوده فى الأرض من الناس يدعون إليه تعالى ويدعوته .

ثم جاء قوله تعالى «وما هى إلا ذكرى للبشر» مبينا أن سفر التى ذكرها تعالى وذكر هول التعذيب فيها، هى - على النحو الذى ذكرت به - ليست إلا تذكيرا للناس بما ينتظر المكذبين الكافرين من العذاب ليكون منهم الإيمان خوفا إن لم يكن طوعا .

كَلَّا وَالْقَرَّ ٣٢ وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَّرَ ٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ٣٤
إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ٣٥ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ٣٦ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ
أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٣٩ فِي
جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ٤٠ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ٤٢
قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ
مَعَ الْخَائِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ٤٦ حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ ٤٧
فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ٤٨

أولا : الأسماء :

أصحاب اليمين : قيل إن المراد بهم - فى معنى القول - هم المسلمون المخلصون، وقيل

هم أطفال المسلمين، وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وقيل إنهم الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق.

ثانياً : التفسير :

لما كان الكافرون قد هنىء لهم أنهم يستطيعون أن يغلبوا خزنة جهنم لقلة عددهم، وكان منهم من ينكر البعث والحساب والجنة والنار، فقد جاء قوله تعالى «كلا» ردعاً لمن اعتقد الغلبة على خزنة جهنم أو لمن كذب بوجودها. ثم أقسم تعالى بالقمر - الذي هو آية من آياته - وبالليل إذ يدبر ويخلى مكانه ووقته، وبالصبح إذا ما أسفر عن ضوئه، والمقسم عليه أو جواب القسم هو أن النار المخبر عنها هي إحدى الدواهي التي جعلها الله نذيراً للبشر، تخوفهم بعذابها فيحاولون أن يتقوها بالإيمان وعمل الصالحات. وقيل إن المراد بالقول هو أن تكذيب الكافرين برسول الله ﷺ هو كبيرة من الكبائر أو هو أمها. ثم بين تعالى أن هذا النذير هو للناس، لمن شاء منهم أن يتقدم بالإيمان فشاء الله له، ولمن شاء منهم أن يتأخر بالكفر والعصيان فشاء الله له.

ثم بين تعالى أن الأصل في الثواب والعقاب هو أن كل نفس بما كسبت رهينة بمعنى أنها مرتهنة بما كان منها في الدنيا من إيمان أو كفر، وعمل بالطاعات أو بالعصيان، ثم استثنى من هذا الحكم أصحاب اليمين، فينبأ أنهم لا يرتهنون بأعمالهم. وهم أهل الجنة الذين قدر تعالى أن يدخلوها بغير حساب. ذكر تعالى أنهم يكونون في الآخرة في جنات ينعمون، يسأل الواحد منهم الواحد من أهل النار، أو يسألون جميعهم أهل النار عن سبب دخولهم النار، فيجيب أهل النار أو يجيب كل واحد منهم بأنه أدخل النار بعد كونه من المؤمنين الذين يصلون لله، وبعد تصدقه على المساكين، وبمسايرته أهل الباطل بالخصوص معهم في الأحاديث التي تعيب القرآن وتزري برسوله ﷺ. ثم إن أهل النار يبينون أو أن كل واحد منهم يبين أنه ظل على حاله هذا فلم يثبت ولم يؤمن إلى أن أتاه اليقين - وهو الموت - فمات على ما هو عليه. ثم جاء قوله تعالى «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» مثبتاً أنه تكون شفاعة يوم الدين يدخل بها البعض الجنة بدلا من النار، ونافيا عن أهل النار انتفاعهم بشفاعة تكون فيهم تنجيهم من عذاب اليم.

فَالْهُمَّ عَنِ التَّذْكَرِ مَوْعِظِينَ

﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حَرْمُ مُسْتَفْرَةٍ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ

مِنْهُمْ أَنْ يُوتَى صُحُفًا مَنَشْرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَآ يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾

أولاً: الأسماء:

١- الحُمْر: فى قوله تعالى «كأنهم حمر مستنفرة» المراد بها- فى معنى القول - هو الحمر

الوحشية،

٢- قسورة: قيل هم الرماة الصيادون، جمع، مفردة «قسور» أى «رام». وقيل إن القسورة هو الأسد فى لغة من لغات العرب، وقيل فى لغة أهل الحبشة فى الأصل، أخذه بعض العرب .

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى الكافرين الذين أصروا على الكفر معرضين عن القرآن العظيم وعما جاءهم به خاتم الأنبياء والمرسلين، ينكر عليهم إعراضهم عما ذكروا به فى القرآن وعلى لسان رسول الله ﷺ، وعدم انتفاعهم به، ثم إنه تعالى شبههم فى عدم اتخاذهم وجهة واحدة وعدم اعتناقهم قولاً واحداً فى القرآن وفى رسول الله ﷺ، وتشتتهم فكراً وقولاً وعملاً، شبههم تعالى فى هذا بالحمرة الوحشية التى تنفر هاربة من الرماة الصيادين أو من الأسد، يتخذ كل منها وجهة أو اتجاهاً غير ما يأخذه غيره. ثم بين تعالى سبب إعراض الكافرين عن القرآن وعن رسول الله ﷺ بذكره أن كلا منهم يريد أن يأتيه من الله كتاب يقول له فيه إنه بعث محمداً رسولاً نبياً. وقد يكون القول مشيراً إلى ما طلبه أبو جهل من رسول الله ﷺ أن يأتيه بكتاب من رب العالمين مكتوب فيه أنه تعالى قد أرسل إليهم محمداً ﷺ. ثم جاء قوله تعالى «كلا» بتصويره أن يكون مفيداً أنه تعالى لن يؤتى أحدهم مثل هذا الكتاب، ويتصور فيه أن يكون مفيداً أنه لو أن الله أتى أحدهم هذا الكتاب فإنه لا يؤمن. ثم بين تعالى أن السبب الحقيقى لإصرارهم على تكذيب القرآن كتاباً منه تعالى وتكذيب رسوله ﷺ هو أنهم لا يخافون الآخرة وعذابها أو أنهم لا يؤمنون بها فلا يخافونها .

كَلَّا إِنَّهُ نَذَرَكُم مِّنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۖ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَىٰ وَأَهْلُ الْغَفْرِ ۖ

التفسير:

بعد أن بين تعالى إصرار الكافرين على عدم الإيمان بالقرآن العظيم، جاء قوله تعالى

«كلا» مثبتا بطلان عملهم ومثبتا أحقية القرآن العظيم، ثم أخبر عنه أنه تذكرة، بمعنى أنه عظة يتعظ به. ثم بين أن الإيمان به إنما يفيد من آمن وأن عدم الإيمان به لا يضر إلا الكافر به، وأن لكل امرئ أن يختار مصيره بقوله تعالى «فمن شاء ذكره» أى آمن به واعتظ. ثم أعقب تعالى هذا بإثباته أنه أهل لأن يقى من اتقاه عذاب يوم القيامة فيغفر له ما تقدم من ذنبه إذا ما آمن بقرآنه ولسوله ﷺ فتكون له منه الرحمة ودخول الجنة.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَدَرِينَا عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝
بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ۝

التفسير:

قيل فى تفسير قوله تعالى «لا أقسم بيوم القيامة» أن «لا» جاءت صلة، فيكون المعنى هو أنه تعالى يقسم بيوم القيامة، وقيل إن «لا» جاءت ردا لكلام المكذبين أنه ليس من يوم يقوم فيه الناس للحساب، ثم جاء القول بعدها مثبتا أنه تعالى أقسم بيوم القيامة. وفى تفسير قوله تعالى «ولا أقسم بالنفس اللوامة» قيل إن «لا» نافية فهو تعالى لا يقسم بها لعدم استئصالها أن يقسم بها، وقيل إنه تعالى أقسم بها كما أقسم بيوم القيامة، والمراد بالنفس اللوامة - على الراجح - أنها النفس المؤمنة، أو هى نفس المؤمن تلومه دائما لأن المؤمن دائم على محاسبة نفسه، كما تلومه على ما فاته من خير الإيمان والعمل الصالح على الوجه الكامل وعلى ما اكتسب من إثم بفعل يراه إثما.

وجواب القسم هو أنه تعالى يجمع عظام الأموات للبعث يوم القيامة، جاء التعبير عنه في صيغة الاستفهام لأن عدى بن ربيعة سأل رسول الله ﷺ منكر البعث قائلا «أويجمع الله العظام». ثم جاء قوله تعالى «بلى قادرين على أن نسوي بنانه» بمعنى «نعم نجتمعها» ثم جاء لفظ «قادرين» حالا لفاعل الفعل فيكون المعنى أنه تعالى قادر على أن يعيد تسوية جميع عظام الأموات استدلالا بقدرته على إعادة جمع أصغر العظام عظام الإصبع وتسويتها. ويتصور أن يكون القول مشيرا إلى عدم مشابهة بضما إصبع أحد من جنس الإنسان بضمات إصبع آخر، فتكون إعادة جميع الإصبع على النحو الذي كانت عليه في الدنيا دليلا على قدرته تعالى على جمع العظام وبعث الأموات.

ثم بين تعالى أن الكافر لا يريد في نفسه إلا التكذيب بما هو أمامه من بعث وحساب يفجر به وبالنطق منه، ثم إنه لا يكتفى بتكذيبه في نفسه بل يزيد عليه - سؤاله متى يكون يوم القيامة، معلنا بهذا عن تكذيبه به وإنكاره له.

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ
يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۙ كَلَّا لَا وَزَرَ ۙ إِلَىٰ رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۙ يُنْبِئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۚ

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في بيان يوم القيامة الذي سأل المكذبون عن وقته إنكارا، فكانه تعالى يجيب على سؤالهم بغير تحديد وقت بعينه، وإنما بتحديد علاماته وبيانها، فكانه تعالى يقول إنه يكون متى برق البصر، بمعنى أن فيه تبرق أبصار الناس وتلمع من طول شخوصها ناظرة لا تطرف، ويكون متى خسف القمر، بمعنى ذهب ضوءه بغير رجعة، ويكون متى جمع الشمس والقمر، بمعنى أنه فيه يجمع بينهما في ذهاب الضوء والنور، أو يجمع

بينهما ويقرن إذ يطلعان من الغرب أسودين مظلمين. ثم بين تعالى ما يكون من الكافر الذي سأل في الدنيا متى يكون القيامة، وهو أنه يسأل أين المفر، يسأل جادا على ملجأ يلتجئ إليه من العذاب يعلم أنه ليس له وجود. ثم إنه تعالى يرد على سؤاله بقوله «كلا» بمعنى أنه لا مفر، فليس من مفر من النار أو من العذاب «لا وزر». ثم يقرر تعالى واقع أنه إليه وحده يكون مصير جميع المكلفين بقوله لرسوله ﷺ «إلى ربك يومئذ المستقر»، ثم يخبر الناس جميعا بما يكون لجميع الناس وهو أن كلا منهم سواء أكان برا أم فاجرا - يخبر بما فعل في حياته في الدنيا من عمل صالح أو غير صالح - فهو ما قدم - وبما خلف وراءه بعد موته من عمل أو سنة يستن بها - فهو ما أخر - والمعنى أنه محاسب بما فعل في دنياه، وما خلف بعد موته فعمل به.

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ۝

أولا: الأسماء:

- ١ - البصيرة: في قوله تعالى «بل الإنسان على نفسه بصيرة» المراد بها - في معنى القول - هو الحجة الواضحة، وقيل جوارح الإنسان تشهد عليه يوم القيامة.
- ٢ - المعاذير: في قوله تعالى «ألقى معاذيره» جمع، مفردة معذرة، بمعنى العذر.

ثانيا: التفسير:

لما قال تعالى «يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بما قدم وأخر» فقد ثبت علم كل فرد بما عمل في الدنيا؛ ولهذا أثبت تعالى أنه وحده الحجة والدليل على ما صدر منه؛ ولهذا فإنه يحاسب بأعماله ولو جاء بجميع الأعذار ليعفى من العقاب على الذنوب. ثم إن للقول معنى آخر وهو أن كل إنسان يدري بما فعل مما يستوجب العقاب، ولو اجتهد في خداع الناس بإلقاء كل ما في جعبته من الأعذار - فيكون القول مظهرا للفرق بين نفس المؤمن اللوامة، ونفس الكافر التي هي في اللؤم حوامة.

لَا تَحْرِكْ بِهِ

لِسَانَكَ لِتَعْمَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ

قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

التفسير:

الخطاب إلى رسول الله ﷺ، نهاه تعالى عن أن يحرك بالقرآن لسانه قصد حفظه قبل أن يقضى إليه وحيه، تعجلا لحفظه وخوفا من أن يفلت منه بعضه فلا يحفظه، ثم طمأنه تعالى إلى أنه لا يذهب منه شيء ويضيق بأن أخبره أن عليه تعالى أن يجمعه في صدره ﷺ، وأن يقرأه بلسانه كما أنزل إليه. ثم أتبع تعالى هذا بأمره أن يتبع بذهنه ما يسمعه من القرآن لدى قراءته عليه من الله بواسطة جبريل عليه السلام. ثم أتبع هذا بأن بين له أنه تعالى الذي كفل له بيانه وإظهاره للناس، وقيل أن يكون تفسيره وبيان أحكامه بواسطة رسول الله ﷺ منه تعالى.

كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾

التفسير:

جاء الخطاب - في الآيتين - لجميع الناس، بدأ بقوله تعالى «كلا» لإبطال قول بعض الكافرين إنهم لا يؤمنون بأن يكون للقرآن بيان بتفسير، فيكون إيرادها متعلقا بسبق ذكره تعالى أن عليه بيان القرآن، ثم أورد تعالى قولاً تقريرياً في الناس جميعاً أنهم يحبون العاجلة، بمعنى أنهم متعجلون في جميع أمورهم، ويتركون الآخرة بمعنى أن يشغل عنها البعض ويتناساها البعض. ثم إن القول يتضمن بيانا لرسول الله ﷺ أنه لم يخرج في تعجله تحريك لسانه بالقرآن قبل أن يقضى إليه وحيه عن طبيعة البشر، ثم إن تعجله كان بقصد خير دين الله لكى

يطمئن قلبه إلى أنه تعالى لم يعتبر تعجله هذا خطأ يؤاخذ عليها .

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٧﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقَةٌ ﴿٢٥﴾

التفسير:

القول لا يزال في يوم القيامة يخبر تعالى عن وجوه المؤمنين الذين صلح إيمانهم فيه بأنها تكون نضرة، بمعنى أنه يظهر عليها الامتشار وبهاء النعيم، كما يخبر عنها بأنها تنعم فوق نعيمها بأنه يكون لها النظر إلى وجه الله الكريم بعد كشفه تعالى الحجاب، فما يكون شيء أحب إليهم من النظر إلى وجهه تعالى. وقيل إن المعنى أنهم ينتظرون مستبشرين أمره تعالى فيهم، احتجاجا بقوله تعالى «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»، وهذا ضعيف. ثم أخبر تعالى عن وجوه الكافرين فيه بأنها تكون باسرة بمعنى عابسة كالحة ترقبا لعذاب الله، وبين تعالى سبب عبوسها بأنه انتظار دواهي العذاب، جاء التعبير عنها بأنها «الفاقرة» بمعنى أنها التي تقصم فقار الظهر، جريا على القول الشائع في الداهية الجسيمة بأنها «مصبية تقصم الظهر».

كَلَّا إِذَا
بَلَغَتِ الرَّاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾

التفسير:

قوله تعالى — في الآيات — وصف لحال الاحتضار، وما يكون فيها منه ومن ذويه حاضري

الحال إلى أن يصير أمره إلى الله . بدأ تعالى القول بـ «كلا» جاءت لإبطال فكر الذين يحبون العاجلة فيعملون للدنيا دون الآخرة، ثم قال تعالى إنه ما بلغت روح المحتضر نحره - عند عظام الترقوة - ويحث الحاضرون عن طيب مداو يمنع موته، فهو الراقى في قوله تعالى «وقيل من راق» باعتبار أن الرقية تمنع من الشر والأذى، ثم كان من المحتضر أن ظن أن روحه مفارقة جسده، أو أنه مفارق الدنيا أو أحبابه فيها، ثم كان منه أن جعل يخطط بإحدى ساقه الأخرى عند مفارقة روحه جسده - وقيل تجمع الساق منه إلى الأخرى لدى تكفينه - فإنه يكون الأمر يومئذ أن ساق المحتضر إلى الله تعالى - رب رسول الله ﷺ - والمعنى أنه يكون إليه المصير فيحاسب ويجازى بالجنة والنار.

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّٰٓى ۝^{٢١}
وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝^{٢٢} ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمِطُّ ۝^{٢٣} أَوَّلَىٰ لَكَ
فَأُولَىٰ ۝^{٢٤} ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ۝^{٢٥}

التفسير:

القول هو في الكافرين أو فيمن يموت منهم، قال تعالى - في بيان استحقاقه العذاب - أنه لم يصدق بما كان يتعين عليه التصديق به من كتاب الله، ونبوة رسوله ﷺ، وأنه لم يصل الصلاة المأمور بها والمقبولة - ترتباً على عدم تصديقه - وأنه كان واقع حاله أنه كذب بما كان يجب التصديق به، وأعرض عن الدعوة للإيمان والطاعة. ثم بين تعالى أنه - بدلا من أن يخاف عذاب ربه - تملكه الفرح من إعراضه عن الحق، فكان إذا ما سار إلى أهله يمشى مزهوا بما كان منه فرحا متبخترا، جاء التعبير عن هذا بالتمطى، لأن فيه مد الجسم والخطو.

ثم جاء قوله تعالى «أولى لك فأولى» وتكريره للتأكيد تهديدا لمن يكذب بما يجب التصديق به وتوعدا له بالعذاب ببيان أن الأقرب إليه هو العذاب. وقيل هو دعاء على من مات

كافرا بالعذاب، تكرر لتأكيد بغض الله إياه، واستحقاقه العذاب .

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ
سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ
فَسَوًى ﴿٣٨﴾ فَعَمَلَ مِنَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ
بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى بيان حتمية البعث والحساب والجزاء، ووجوب خلوص المرء إلى هذه الحقيقة. فالاستفهام فى قوله تعالى «أيحسب الإنسان أن يترك سدى» هو إنكار لأن يكون من المرء اعتقاد أنه ترك ليحيى دون أن يكلف، ثم يحاسب على أداء ما كلف به أو تفريطه فيه، ثم يجازى على ما كان منه، ثم يبين تعالى من تسلسل خلق المرء أن فيه مقدمات يستخلص منها قدرته تعالى على بعث الأموات فى الآخرة وعلى وجوب حدوث ذلك للحساب والجزاء، فجاء الاستفهام فى قوله تعالى «ألنم يك نطفة من منى يمى» للإثبات والإقرار، فيكون المعنى أن الإنسان بدأ خلقه فى رحم أمه نطفة، كان مصدرها قطرة من منى أبيه أفرزها فى رحم أمه، ثم جعلها الله علقة أكمل خلقها وسوى أجزائها لتكون إنساناً مولوداً، وأنه تعالى قد جعل من هذا المنى المصبوب فى رحم الأنثى، أو من الإنسان الزوجين وهما الذكر والأنثى، وما استشكل منهما وهو الخشى، لأنه يجمع بين صفات كل منهما. ثم جاء قوله تعالى «أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى» بيانا لأن هذه الحقائق المعلومة تعتبر مقدمات يستخلص منها واقع قدرته تعالى على إحياء الموتى فى الآخرة لحسابهم ومجازاتهم بالثواب والعقاب .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝

أولاً : الأسماء :

الأمشاج : فى قوله تعالى «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج» جمع، مفردة «المشج» وهو الخليط .

ثانياً : التفسير :

الاستفهام فى قوله تعالى «هل أتى على الإنسان» هو للتقرير، فتكون «هل» بمعنى «قد» والحقيقة التى يقررها القول هى أنه كان فى عمر الدنيا وقت لم يكن للإنسان فيه وجود، وهذا هو ما يشته العلم، إذ تأخر خلق آدم أو ظهور الإنسان على الأرض طويلاً من بعد خلق النبات والطيور والحيوان. وقيل إن المراد بالقول أن آدم لم يكن شيئاً موجوداً خلال الفترة من خلقه من الطين إلى وقت نفخ الروح فيه. وبعد هذا أثبت تعالى أنه خلق الإنسان من نطفة تتكون من أخلاط، ويثبت العلم أن السائل المنوى يتكون من خليط من الإفرازات التى تأتى من غدد

مختلفة هى الخصيتان والحويصلات المنوية والبُروستاتا، والغدد الملحقة بالمسالك البولية، فهى الأمشاج، ثم إن القول يشير إلى امتزاج الحيوان المنوى الذى يقدر له أن يصير إنسانا ببويضة المرأة. ثم ذكر تعالى أن خلق الإنسان من هذه الخلائط إنما كان لابتلائه بالتكليف، ولما كان التكليف متطلبا العلم بالمكلف به، فإنه تعالى جعل الإنسان سميعا بصيرا، ليسمع آيات الله تتلى عليه ويسمع الدعوة للإيمان، وليرى آيات الله فى خلقه فيكون قادرا على فهم ما كلف به وعلى أدائه. ثم بين تعالى أنه دل الإنسان بواسطة الأدلة السمعية والبصرية على السبيل الموصل إلى الحق ورضاء الله ووجته، ليكون الإنسان بعد هذا على حال من حالين هما الإيمان وشكر الله عليه، أو الكفر وفيه كفران نعمتى السمع والبصر إذ لم يتم بهما الاهتداء .

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۝١٤ إِنَّا الْأَبْرَارَ يُشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ
مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝١٥ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجَّرُونََهَا تَجْفِيرًا ۝١٦

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الإنسان إما أن يكون مؤمنا شاكرا أنعم ربه وإما أن يكون كافرا لم يؤد حق نعم الله عليه بالإيمان والشكر، فإنه تعالى بين جزاء الكافرين بذكره أنه أعد لهم سلفا سلاسل يقادون بها وأغلالا يقيدون بها، وسعيرا يصلونها فى الآخرة، ثم أعقب هذا ببيان حال المؤمنين - وصفهم بالأبرار- لأنهم أبروه تعالى بشكره بإيمانهم، فذكر أنهم يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، والمعنى أنهم فى الجنان يشربون من كأس شرابا أو خمرا ممزوجا ببياض الكافور وبرده - لأن الكافور لا يشرب - أو أنهم يشربون شرابا من عين فى الجنة تسمى الكافور، فيكون قوله تعالى «عينا يشرب بها عباد الله» بدلا من كافور- بين تعالى أنها تفجر لهم

تفجيراً حيثما كانوا بمعنى أن الواحد منهم حينما كان في موضع من مواضع الجنة، وأراد أن يشرب انفجر له منها ما يشرب حيثما كان .

يُوفُونَ
بِالنَّدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ٧ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا
عَلَىٰ حَبِّهِ، مَسْكِينًا وَنِيْمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ١٠

أولاً : الأسماء :

القمطرير : في قوله تعالى «إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» هو العبوس الشديد في الوجه يؤدي إلى اجتماع ما بين العينين .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - في الآيات - هو في بيان ما أدخل به المؤمنون الجنة من أعمالهم وما كان سبباً لتنعمهم فيها على النحو الموصوف . بين تعالى أنهم كانوا يوفون بالنذور، فيكون المعنى أنهم أدوا جميع ما فرضه الله عليهم بدليل أدائهم ما ألزموا أنفسهم أداءه، وأنهم كانوا يخافون عذاب يوم القيامة الذي ينتشر متظايراً فلا ينجونه معذب . كما صرح تعالى بأنهم كانوا في دنياهم يطعمون الطعام الذي يحبونه أو يحتاجونه المساكين والأيتام والأسرى من الأعداء، وأنهم لا يبتغون بهذا غير وجه الله . فحالهم لدى إطعامهم هؤلاء الطعام أنهم مبتغون وجه الله تعالى وحده، لا يطعمون في أجر ينالونه من المطعمين ولا من أهل الأسرى، ولا في شكر أو ثناء يوجه إليهم من أحد من البشر، كما أن من بواعثهم على أعمالهم الخيرة خوفهم من ربهم أن يكونوا ممن تعبس وجوههم يوم القيامة، نسب إليه العبوس أو جعل صفة له . رغم أن العبوس يكون في وجوه الكافرين وظهرت شدته من هول توقع العذاب بوصفه بأنه قمطرير .

فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ⑪ وَجَزَّاهُمْ
بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ⑫ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ
فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ⑬ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ
قُطُوفُهَا نَذْلِيلًا ⑭

التفسير:

بين تعالى - فى الآيات - أنه بسبب خوف المؤمنين الشاكرين عذاب يوم القيامة وعملهم الصالحات اتقاء له أنه كان منه تعالى أنه وقاهم شره فأنجاهم من عذابه، وأبدلهم به نضرة فى وجوههم وسرورا فى قلوبهم، وأنه تعالى كافأهم على صبرهم على الطاعات وعلى تجنب أهواء نفوسهم إدخالهم الجنة، يأكلون من خيراتها.. ويلبسون فيها الحرير، ثم بين تعالى أن حالهم فى الجنة أن يكونوا متكئين على أرائكها غير مكلفين بالسعى لجنى الرزق، منعمين بجوها الذى ليس فيه حرارة شمس ولا شدة برد. ثم ذكر تعالى من مزيد نعيمهم فى الجنة أن ظلال أشجارها تكون قريبة منهم رغم عدم وجود شمس بها، وأن ثمار أشجارها ذلت لهم، يأخذون منها ماشاءوا دون جهد يبذلونه فى أخذها، ودون شك يصيبهم فبرد أيديهم عنها.

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ
كَانَتْ قَوَارِيرًا ⑮ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ⑯ وَيُسْقَوْنَ
فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ⑰ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ⑱

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيات - من صور تنعم الأبرار فى الجنة أنه يطاف عليهم من قائمين

القرآن دفعة واحدة، كما نهاه أن يطيع آثما اعتاد مقارفة الإثم يدعوه إلى إثم يفعل، وأن يطيع كافرا يدعوه إلى الكفر. والنهي هو نهى للمؤمنين وإن كان الخطاب على ظاهره إلى رسول الله ﷺ، لأنه محال أن تكون منه طاعة للداع إلى إثم أو داع إلى كفر. ثم أمره تعالى أن يداوم على ذكره في جميع الأوقات، جاء التعبير عنها بصلاة الفجر والظهر والعصر، كما أمره بالصلاة بعضا من الليل، جاء التعبير عنها بالسجود وبالتهجّد له قطعاً من الليل طويلاً.

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ
يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا
بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾

أولاً: الأسماء :

الأسر: في قوله تعالى «وشددنا أسرهم» هو- في الأصل- الشد والربط، والمراد به ربط المفاصل بواسطة الأربطة، ووصل الإحساس بالأعصاب .

ثانياً: التفسير :

يخبر تعالى - في الآيتين - عن الكافرين، يقول إنهم يحبون الدنيا فيعملون لها، ويلقون وراء ظهورهم هول يوم القيامة الذي يكون على الكافرين ثقيلاً عبّؤه شديداً.

ثم يذكر تعالى قدرته عليهم ببيان أنه تعالى الذي خلقهم، فليس من خالق إلاه، وأنه الذي أمدّهم بالقوة والقدرة على الفعل وعلى الشعور بأن جعل أربطة تصل المفاصل، والأعصاب تصل الشعور والإحساس.

وبيان أنه تعالى لو شاء لأهلكهم وأبدل بهم أمثالهم في شدة الخلق على نحو لا يكون معه شك في قدرته على البعث .

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءَ اتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ
أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ

التفسير:

لما كان تعالى قد أظهر مدى قدرته في بيان خلقه الكافرين وشد أسرهم وقدرته على أن يبدل بهم آخرين، فإنه تعالى أشار إلى هذه القدرة وما سبقها مما تعلق بخلق الإنسان وبيان مصير المؤمن والكافر في الآخرة، وأخبر عنه جميعا بأنه تذكرة، بمعنى أنه تذكير بالله وقدرته به يكون لمن شاء الفوز ينعم الآخرة أن يختار الطريق الموصل إليه. ثم بين تعالى أن الناس لا يكون لهم شيء يريدونه إلا إذا شاء الله لهم، ومنه اختيار طريق الهدى الموصل إلى رضائه تعالى. ثم جاء قوله تعالى «إن الله كان عليما حكيما» مبينا أن إرادته التي تكون بها إرادات البشر حقيقة تنبع من علمه تعالى بما يكون كل فرد أهلا له، وأن ما يريده هو ما تقتضيه حكمته تعالى.

ثم بين تعالى أثرا مترتبا على هذا المخبر به أو نتيجة من نتائجه، بذكره أنه يدخل من يشاء في رحمته، وأنه أعد للظالمين عذابا أليما، فيكون المعنى أنه بما علم من أحوال البعض، يكون منه أن يريد لهم ما أرادوه من اختيار السبيل الموصل إلى رضائه فيسهل لهم، يدخلون به الجنة بموجب رحمته، وأنه تعالى بما علم من أحوال آخرين يريد لهم ما علم أنهم يختارونه من الكفر فييسر لهم فيكون لهم العذاب الأليم. ولهؤلاء وهؤلاء فإن الأمر مقضى بحكمته تعالى.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعَصْفِ عَصْفًا ② وَالنَّشْرِ نَشْرًا ③
فَالْفُرْقَةِ فَرَقًا ④ فَالْمُلْقِي ذِكْرًا ⑤ عَذْرًا أَوْذَرًا ⑥ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ⑦ فَإِذَا الْبُحُورُ طُمِسَتْ ⑧ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِتْ ⑩ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْقِذَتْ ⑪ لِأَيِّ يَوْمٍ
أُجِلَتْ ⑫ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ⑭ وَيَلُ
يَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑮

أولاً : الأسماء :

١ - المرسلات : قيل إن المراد بها طوائف الملائكة المرسلة منه تعالى بأمر وكلفوا بتحقيقها في الأرض، وقيل هي الرياح، وقيل هم الأنبياء أرسلوا بكلمة التوحيد .

٢ - العرف : في قوله تعالى « والمرسلات عرفاً » هو عرف الدابة مثل الفرس والضبع يكون شعره متتابعاً . وقيل إن المراد به - في معنى القول - هو العرف بمعنى العادة المتعارف عليها والمعمول بها .

٣ - العاصفات : قيل إن المراد بها فى معنى القول هو الملائكة المرسلون بالعذاب فى الدنيا للمكذبين يعصفون مسرعين لتنفيذ ما أمروا به عصف الريح، وقيل إن المراد بها هو الريح العاصف.

٤ - الناشرات : قيل إن المراد بهن فى معنى القول هو الملائكة ينشرون أجنحتهم عند نزولهم إلى الأرض، وقيل ينشرون السحاب فى السماء، وقيل ينتشرون كتب الله .

٥ - الفارقات : قيل إن المراد بها - فى معنى القول - هو الملائكة يفرقون بين الحق والباطل بما ينزلون به من وحى على الأنبياء، أو بما يأتونه من إهلاك المكذبين بأمر ربهم .

٦ - الملقيات ذكرا : المراد بهن - فى معنى القول - هو الملائكة، يلقون كتب الله وصحفه إلى الأنبياء.

ثانيا : التفسير :

أقسم تعالى بطوائف الملائكة، أقسم بالذين يرسلهم إلى الأرض فى تنابع، أو لإحقاق العرف المقبول منه تعالى من عقيدة وشريعة بإهلاك المكذبين، فيكون منهم العصف بهم بالعذاب الذى يهلكهم، وأقسم بالذين يقومون منهم على نشر شريعته وأحكامه يكون بها التفرقة بين الحق والباطل، والتفرقة بين الحلال والحرام، وذلك بإلقائهم صحف الله وكتبه إلى أنبيائه ورسله - قد يكون المراد هو جبريل عليه السلام، وقد يكون القول مشيرا إلى أن لجبريل أعوانا من الملائكة فى حمل الوحي إلى الرسل والأنبياء - فيكون ما يلقي الملائكة إلى الرسل إعدارا للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وإنذارا للذين يسمعون ويعرضون. وجواب القسم أن ما وعد به تعالى أن تكون قيامة ويكون حساب وثواب وعقاب هو أمروا، أى أنه محقق الوقوع، ثم ذكر تعالى وقته ببيان ما يكون فيه من أحداث، فذكر تعالى أنه يكون حين تطمس النجوم بإعدامها - وقد سبق بيانه علميا كيف يكون، مع قدرة الله على أن يكون بغيره - وحين تفرج السماء، بمعنى أنها تشق، وحين تنسف الجبال فتصير مثل الحب الذى يذرى وينسف بالمنسف، وحين تبلغ الرسل موافقتها التى انتظرت لتشهد على أممها.

ثم جاء قوله تعالى «لأى شئ أجلت، ليوم الفصل، وما أدراك ما يوم الفصل» لبيان ماهية اليوم الذى اعتبر ميقاتا لهم للشهادة على أممهم، جاء التعبير عنه بالاستفهام عن اليوم الذى أجل فيه استحضارهم للشهادة، وبالإجابة عليه بأنه يوم الفصل بين خلقه تعالى، ثم جاء التهويل فى وصف هذا اليوم بالاستفهام المعبر عن إنكار علم أحد بأحواله ودرأيته بها، ثم إنه تعالى اكتفى بالتعبير عن مصير الكافرين فيه بقوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» وهو إثبات لدوام تعذيبهم ودعاء عليهم بهذا .

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَبْعَثُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلُومِذِّ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

التفسير:

القول فى الآيات توعده لمكذبي رسول الله ﷺ، أثبت تعالى بالاستفهام فى قوله تعالى «ألم نهلك الأولين، ثم نبعثهم الآخرين» أنه أهلك أمما من المكذبين رسلهم كانوا أسبق من أمم آخرين جاءوا بعدهم من زمن نوح عليه السلام إلى زمانه ﷺ، ثم جاء توعده المكذبين به ﷺ بقوله «كذلك نفعل بالمجرمين، ويل يومئذ للمكذبين» بين أنه كما أهلك السابقين فإنه يفعل بكل المجرمين، والمعنى بالقول هم مكذبو رسول الله ﷺ، ثم إنه تعالى أكد حكمه بإهلاكهم بذكره أن الويل يكون يوم الفصل لكل المكذبين رسلهم، ومهم الذين كذبوا رسول الله ﷺ .

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ
مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا
فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلُومِذِّ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

التفسير:

القول - في الآيات - هو لإثبات أن في مظاهر قدرته ما يظهر استحقاق المكذبين بالرسول ما توعدوا به من العذاب. والخطاب هو لجميع الناس، والاستفهام هو لتقرير واقع وبيان لنتائج مستمدة منه، والواقع هو أنه تعالى خلق كل فرد من جنس الناس من منى الرجل المهيئ القدر، حفظ النطفة منه في رحم المرأة فكان مقرا له يمكنه من النمو الذي يستمر مدة الحمل المعلومة له تعالى والتي قد تختلف من واحد لواحد، فكان تقديره ما يمكن الجنين في الرحم تقديرا من نعم القادرين المقدرين. ثم إنه لما كان العلم بهذا يؤدي إلى وجوب توحيد الله وعبادته وحده وهو ما دعا إليه جميع الرسل فإنه يكون الويل والعذاب يوم الفصل للذين يكذبون الرسل ويكفرونهم.

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ
كِفَاتًا^{٢٥} أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا^{٢٦} وَجَعَلْنَا فِيهَا رَاسِي شَجَاحٍ
وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا^{٢٧} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ^{٢٨}

أولا: الأسماء:

الكفات: في قوله تعالى «ألم نجعل الأرض كفاتا» هو الجمع والضم. والمراد به - في معنى القول - الجامع والضم.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في ذكر المزيد من آياته تعالى الدالة على وحدانيته وقدرته مما مفاده استحقاق المكذبين الرسل العذاب الذي توعدوا به. والاستفهام في القول هو لتقرير واقع لا ينكر، وهو أنه تعالى جعل الأرض للناس بمثابة الوعاء الذي يجمعهم، فهي تجمعهم على سطحها أحياء، وتجمعهم في بطنها وتربثها أمواتا، وأنه تعالى أنشأ فيها جبالا

رواسى - وقد سبق بيان معنى هذا علميا - من صفاتها الارتفاع، وأنه تعالى أوجد فيها الماء العذب وأسقاه سائر خلقه من الناس . وجاء قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» إثباتا لحلول عذابه تعالى بالمكذبين رسله وآياته فى الخلق واستحقاقهم إياه.

أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ
مَا كُنْتُمْ بِتَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ
وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ وَجِئَتْ
صُفْرًا ﴿٣٣﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَاذِبِينَ ﴿٣٤﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآيات - أنه يقال للمكذبين يوم الفصل أن ينطلقوا إلى ما كانوا به يكذبون والمعنى هو أن ينطلقوا إلى العذاب الذى كانوا ينكرونه فى دنياهم .

فيكون القول توبيخا لهم وتقريعا، ثم يفصح عن هذا الذى ينطلقون إليه بأمرهم أن ينطلقوا إلى دخان عظيم من دخان جهنم له شكل السحابة التى تظل ما تحتها، يتشعب ثلاث شعب شأن الدخان العظيم فى الدنيا، ثم يوصف لهم بحقيقته وهى أنه لا يظلل أحدا تحته كما أنه لا يحمى من لهب جهنم شيئا .

يصفها تعالى أو يصف ما يكون منها بذكره أنها ترمى بشرر من النار منها يكون حجم الشررة مثل حجم قصر من القصور المشيدة . ويكون لونه فى صفة لون الجمال، جاء ذكرها بالجماليات، وهو جمع الجمع كما يقال رجالات جمعا لرجال .

وبعد هذا فإنه تعالى أعاد مكررا توعدده المكذبين بهذا العذاب بقوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» .

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطُقُونَ ﴿٤٥﴾
وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلُوكُمُ اللَّكْذِبِينَ ﴿٤٧﴾ هَذَا يَوْمٌ
الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٤٨﴾ إِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٤٩﴾
وَيَلُوكُمُ اللَّكْذِبِينَ ﴿٥٠﴾

التفسير:

يشير تعالى إلى يوم الفصل ويخبر عنه أنه يوم لا يتطق المكذبون، والمراد هو جزء من اليوم لا يكون فيه منهم كلام، أو إنه وقت دخولهم النار حين يأخذهم الدهشة والحيرة فلا ينطقون، ثم يبين تعالى أنه لا يؤذن لهم أن يعتذروا وأنهم لا يعتذرون لانعدام العذر لديهم، وأعقب تعالى هذا بيان تحقق تعذيبهم بقوله «ويل يومئذ للمكذبين». ثم إنه تعالى أشار إلى يوم تعذيبهم وأخبر عنه بأنه يوم الفصل بين أهل الحق والإيمان وبين أهل الباطل والكفر، ثم يخاطب المكذبين مخبراً أنه جمعهم والذين سبقوهم من مكذبي الرسل، ويطلب منهم إن كان لهم كيد ومكر أن يكيدوه تعالى مستعينين بمن سبقوهم في التكذيب. والقول هو تعجيز لهم وتقريع لهم على كيدهم المؤمنين في الدنيا. ثم إنه لما كان مفاد عجزهم هو عدم دفعهم العذاب عن أنفسهم، فقد جاء قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» مثبتاً تحقق تعذيبهم.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٥١﴾ وَفَوْكَهٖ
مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنْ تَأْكُذِّبُكَ
بِخَيْرٍ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٤﴾ وَيَلُوكُمُ اللَّكْذِبِينَ ﴿٥٥﴾

التفسير:

أخبر تعالى عن المتقين الذين اتقوا الكفر والتكذيب بأنهم يكونون يوم الفصل في ظلال

كثيرة منها ظل الجنة وظل الليل، وفي عيون ماء تتفجر حولهم يتعمون بأكل الفواكه التي يشتهونها وأنه يقال لهم أن كلوا واشربوا هنيئاً لكم بما كنتم تعملون من الصالحات في دنياكم وأنتم مؤمنون. ثم إنه تعالى يطمع كل إنسان في نيل هذا النعيم بذكره أنه على مثل هذا الجزاء العظيم يكون منه تعالى مكافأة الذين حسنت أعمالهم من المؤمنين. ثم كرر تعالى توعد المكذبين بالعذاب بقوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين».

كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى إنه يقال للكافرين المكذبين حال مقاساتهم الويل «كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون» فيه تذكير لهم بما كانوا يهتفون به في الدنيا من أكل ومتاع، وتحسير لهم بيان أنه قليل حقير لا يدوم، ثم يعرفون بحقيقتهم وهي أنهم مجرمون أجزموا في حق الله وفي حقوق أنفسهم، ثم أعقب تعالى هذا بيان حلول تعذيبهم بقوله «ويل يومئذ للمكذبين».

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا
لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

التفسير:

يكاد قوله تعالى - في الآيات - أن يكون القول الفصل في بيان السبب الذي استحق به المكذبون عذاب يوم الفصل، وهو عدم استجابتهم للداعي إلى الإيمان واستكبارهم على الحق، فهم بعدم إيمانهم بما دعاهم إليه رسول الله ﷺ لا يؤدون الصلاة المفروضة في القرآن العظيم، وهم لاستكبارهم في أنفسهم لا يطيعون رسول الله ﷺ والمؤمنين إذا أمرهم

بالخشوع لله باتباع دينه وأداء صلاة المسلمين؛ ولهذا جاء قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين»
 مبينا استحقاقهم العذاب بعدم إيمانهم وباستكبارهم على الحق. ثم إنه تعالى بين عتوهم
 على الحق عنادا وصلفا ببيان أنهم لم يؤمنوا بالقرآن العظيم الذي لم يجعل له تعالى مثيلا
 فى الدنيا، فلا يكون متصورا فيهم أن يؤمنوا بما هو أدنى منه، فيكون المزاد بيانه أن المكذبين
 بالقرآن العظيم هم الذين أجبروا أنفسهم على عدم الإيمان لغير سبب سوى الإصرار على
 الكفر، فاستحقوا بذلك أن يكونوا أهل النار.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ١ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ٢ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْلِفُونَ ٣ كَلَّا
 سَيَعْلَمُونَ ٤ تَرَكَّا سَيَعْلَمُونَ ٥

أولا: الأسماء:

النبا العظيم: قيل إن المراد به - فى معنى القول - هو القرآن العظيم، وقيل هو محمد ﷺ
 وقيل هو البعث، وهذا هو ما تؤيده الآيات التالية.

ثانيا: التفسير:

بدأ تعالى السورة باستفهام «عم يتساءلون» والضمير فى «يتساءلون» يعود إلى أهل مكة،
 ومعنى القول هو: «عن أى أمر يتساءلون»، والاستفهام أريد به التشويق لمعرفة الإجابة، جاء
 بها قوله تعالى «عن النبا العظيم» وهو نأى البعث بعد الموت، جاء تفخيمه وجاء إبهامه، فلم
 يعرفه تعالى فى الإجابة، ثم بين أن أهل مكة فيه مختلفون رأيا، إذ كان البعض ينكره تماما

بيقين، وكان غيرهم يشكون في أمره بغير يقين، وكان آخرون يقولون قول النصارى إنه يكون بعثاً للأرواح وليس للأجسام، ثم كان منه تعالى أن ردع المتسائلين عن التساؤل بقوله تعالى «كلا» ثم أثبت أن الجميع سيعلم صحة البعث حين يبعثون للحساب والجزاء، فيكون القول متضمناً وعيداً بالتعذيب على عدم التصديق بالبعث، ثم كرر تعالى الردع والوعيد للتأكيد والمبالغة.

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ①
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ② وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ③ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ④
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ⑤ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ⑥ وَنَبِّئَا فُوقَكُمْ
سَبْعَ آسَافٍ ⑦ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ⑧ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ
مَاءً ثَجَّاجًا ⑨ لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ⑩ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ⑪

أولاً: الأسماء:

١ - الشجاج: في قوله تعالى «وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً» هو المنصب بكثرة، من «ثج - يثج» بمعنى أسال.

٢ - الألفاف: في قوله تعالى «وجنات ألفافاً» هو كل ما التف بعضه على بعض، أو المتداخل بعضه في بعضه.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في ذكر قدرته تعالى على البعث الذي يتساءل في أمره المتسائلون. جاء الاستفهام المنفى في قوله تعالى «ألم نجعل الأرض مهاداً» لإثبات واقع أنه تعالى خلق الأرض من العدم ومهدّها لتكون مثل المهد والفراش لتستقر عليها حياة الناس،

وأنه جعل الجبال مثل الأوتاد التي ترمخ بها الأرض وثبتت - وقد سبق بيان هذا وكيفية حدوثه علميا - وأنه خلق المخاطبين بالقول المتسائلين في أمر البعث والناس جميعا أزواجاً، ذكورا وإناثا. وجعل نومهم راحة أو انقطاعا عن الحياة المحسوسة كالموت إلا أن الروح لا تفارق الجسد، وجعل الليل يتلبسهم بظلامه فيسترهم ستر اللباس ويخرجون منه ببساطة خروج أحدهم من لباسه، وجعل النهار هو وقت التعيش والارتزاق، أو الذي يعيشون فيه من النوم تشبيه الموت، وبنى فوق أهل الأرض سبع سماوات محمكة الخلق متينة البنيان، وأنشأ موجدا خالقا الشمس سراجا متوهجا بالضوء فهي نار فيها حرارتها ووهجها وفيها الضوء، وأنزل من السحاب ماء منصبا ليكون به خروج الحب الذي يأكله الإنسان، وأنواع النبات الذي يأكله الحيوان، كما يكون به خروج البساتين ذات الأشجار الملتفة الأغصان. والدليل الذي تقيمه الآيات على قدرة الله تعالى على البعث مستمد من النتيجة المنطقية أن القادر على الإيجاد لأول مرة من العدم، يكون أهون عليه الإيجاد الثاني من بعد الفناء بالبعث .

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ
كَانَ مِيقَاتًا ۖ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝^{١٨} وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ
فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝^{١٩} وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝^{٢٠}

التفسير:

بعد أن بين تعالى حتمية البعث ووقوعه، فإنه تعالى بين في الآيات وقته ببيان أحداثه أو ما يكون فيه، فبين أنه له وقته الذي هو يوم الفصل، ثم بين أن يوم الفصل هو يوم النفخة الثانية في الصور، وذكر ما يكون آنذاك وهو أن الناس يأتون إلى الموقف أفواجا، قيل إنهم يأتون أمما، كل أمة تدعى بإمامها. وقيل إنهم يأتون مختلفي الهيئات، فالنمامون يأتون على هيئة القردة، وأهل السحت والحرام يأتون على هيئة الخنازير، وأكلة الربا يأتون منكسى رؤوسهم،

والحكام الظالمون يأتون عميانا، والمعجبون بأعمالهم يأتون صما وبكما، والعلماء الذين تخالف أعمالهم أقوالهم يأتون يمضغون ألسنتهم، والذين يؤذون الجيران يأتون مقطعي الأيدي والأرجل، والسعاة بالناس إلى السلطان يأتون مصلين على جذوع النار، والذين يتمتعون بالشهوات المحرمة يأتون أشد نتنا من الجيفة، وأهل الكبر والخيلاء يأتون لابسى جلابيب العذاب. والذي نراه - والله أعلم - أن المراد هو أن الناس يأتون أمما، كل أمة تدعى بإمامها، فليس بشيء ذى بال بالنسبة لعذاب الآخرة. وذكر أنه تفتح السماء بمعنى أنها تشق وتفتطر، فتصير شقوقها مثل الأبواب، وأن الجبال تسير فى الهواء بعد قلعها من الأرض وتفتتها غبارا غليظا متراكما يبدو من بعيد كالجبل، كما يرى السراب من بعيد نهرا أو بحرا أو ماء عين.

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ

مِرْصَادًا ۖ لِلطَّاغِينَ مَنَآبَا ۖ لِّبَشِيرٍ فِيهَا أَحْقَابَا ۖ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۖ إِلَّا حِمِيمًا وَغَسَّاقًا ۖ جَزَاءُ وِفَاقًا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذًّا بَا ۖ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
كِتَابًا ۖ فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۖ

أولا : الأسماء :

المرصاد : فى قوله تعالى «إن جهنم كانت مرصادا» اسم مكان لموضع الرصد. قيل هو رصد خزنة النار الكافرين ليعذبوهم .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان أحداث يوم الفصل المتعلقة بأهل النار وأولهم المكذبون بالبعث، فيذكر تعالى أن جهنم تكون موضع ترصد، بمعنى أنها تتابع وترقب

وتترصد أهلها لتصطادهم أو ليلقوا فيها، وقد يكون القول كناية عن ترصد خزنتها أهلها لتعذيبهم فيها، ثم بين تعالى عن جهنم بأنها تكون المرجع والمأوى للذين طغوا في دينهم فكفروا والذين طغوا في معيشتهم فظلموا وبين أن حالهم فيها يكون هو الإقامة فيها والبقاء حقبا زمنية طويلة غير محدودة الوقت والزمان، لا يدوقون فيها خلال مكثهم بها شيئا يروح عنهم وينفس حر النار، أو بردا يتنفع به، ولا يشربون ما يروى ظمأ ولا ما يتبرد به، فهم لا يشربون إلا الحميم، الماء الذي اشتدت حرارته، والغساق، الصديد الذي يقطر من جلود أهل النار، يتصور أن يكون هذا خلال لبثهم الأحقاب المذكورة، ويكون ما بعدها غير معلوم خبره، ويتصور أن يكون طوال مكثهم في النار. ثم بين تعالى أن تعذيب أهل النار على هذا النحو هو الجزاء الذي يوافق عملهم في الدنيا نوعا وقدرًا وجسامة، ثم يعلل تعالى هذه الموافقة بين الجزاء والعمل بقوله تعالى «إنهم كانوا لا يرجون حسابا» وكفى به سيبا فهو تكذيب لله وللكتاب ولرسول الله ﷺ، وهو إطراح العمل للأخرة، وبقوله تعالى «وكذبوا بآياتنا كذابا» بمعنى أنهم كذبوا بآيات الله المتلوة عليهم وبآياته في خلقه تكذيبا شديدا فكانوا هم الكاذبين.

ثم بين تعالى أنه ما من شيء وقع من أحد أو حدث حدث إلا وقيد علم به تعالى علم المحصى، ومن جملته أعمال المكذبين بالبعث والمرتابين فيه، وهو علم وإحصاء شأن ما يحافظ عليه بتدوينه بالكتابة - إذ هو تعالى مستغن عن الكتابة لتذكيره - ولهذا فإنه يقال لهؤلاء بسبب إنكارهم البعث أو ارتيابهم فيه أن يكون منهم ذوق ما ذكر من العذاب الذي لا يعدو أن يكون مقدمات عذاب يزيدهم الله إياه زيادة مطردة ليكون متزايدا أبدا.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ
وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَسَادَ هَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا كِذْبًا ۖ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ۖ

أولاً: الأسماء:

١- المفاز: فى قوله تعالى «إن للمتقين مفازاً» مضدر ميمى من «فاز- يفوز» بمعنى الفوز.

٢- الكواعب: جمع، مفردة «الكاعب» وهى الفتاة إذا ما تكعب ثدياها واستدارا فى سن البلوغ.

٣- الدهاق: فى قوله تعالى «وكأسا دهاقا»، هو الممتلىء المترع.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - ذكر لحال المؤمنين بالبعث الذين عملوا له، أجمل تعالى ما يكون لهم بقوله «إن للمتقين مفازاً» فأخبر أنه يكون لهم الفوز بالخير والنعيم، ثم فصل منه ما ذكر، وهو أنه تكون لهم حقائق يتمتعون فيها، فيها الأشجار المثمرة والرياحين والأزهار، وتكون لهم الأعناب وهى الكرم، وأنهم يزوجون النساء الكواعب اللائى تكعبت أثداؤهن وجملت، المتماثلات فى السن لا يكبرن، وأنهم يشربون الكؤوس ملاءة على نحو ما يريدون. كما ذكر أنهم فى حقائق الجنات لا يسمعون لغو الحديث الذى يعدم قيمته، ولا يسمعون قوله كذب ولا تكذيباً. ثم بين تعالى أن هذا النعيم الذى يكون لهم هو جزاء منه تعالى تفضلاً عليهم وإحساناً لهم، كان بحسب أعمالهم من بعد تضعيفه تعالى حسناتهم، فكان عطاء حساباً.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَاباً ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَبّاً ﴿٤٠﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - الروح : قيل هو ملك الملائكة لم يخلق الله بعد العرش أعظم منه، وقيل هو جبريل عليه السلام، وقيل هو جند من جنود الله ليسوا ملائكة، وقيل هو أرواح بنى آدم، وقيل هو القرآن العظيم.

٢ - الكافر : قيل إن المراد به - فى معنى القول - هو أبى بن خلف، وقيل عقبة بن أبى معيط، وقيل هو أبو جهل، وقيل هو أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى وقيل هو إبليس وهو كل كافر.

ثانياً : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ أن نعيم المؤمنين يكون من ربه عطاء حساباً، فإنه تعالى وصف ذاته بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، أى القائم على حفظها وما فيها، وبأنه الرحمن صاحب الرحمة فى الدنيا والآخرة، وبأنه الذى لا يملك أحد من خلقه أن يخاطبه يوم القيامة من تلقاء ذاته دون أن يأذن له، فلا تملك الملائكة أن تتكلم بالشفاعة بغير إذنه تعالى، ولا يملك غيرهم أن يخاطبوه تعالى فى شأن زيادة ثواب ولا إنقاص عقاب. ثم بين تعالى أن هذا اليوم الذى لا يملك أحد فيه مخاطبته تعالى من ذاته هو يوم يقوم الملائكة والروح صفاً، والمعنى هو أن الروح - الذى قد يكون ملكاً، وقد يكون جبريل، وقد يكون القرآن - والملائكة يكونون مصطفين فى صف واحد، أو فى صفين، أحدهما فيه الروح، والآخر فيه الملائكة، لا يتكلمون - هبة وإجلالاً لله - إلا أن يأذن الله لأحدهم أن يتكلم فيقول الحق وهو لا إله إلا الله، وقيل إن المراد أنهم لا يتكلمون بالشفاعة لأحد إلا من بعد إذنه تعالى، ليكون قوله صواباً، لأنه يبدأ بتوحيد الله، ويقول فى المشفوع له قوله حق، لأن الشفاعة حق.

ثم يشير تعالى إلى ذلك اليوم ويخبر عنه أنه الحق، بمعنى أنه الكائن والواقع، مبيناً أن من شاء من المكلفين - فى الدنيا - أن يكون مرجعه فيه هو إلى ثواب ربه، فإنه كان عليه أن يتخذ السبيل الموصول إلى هذا وهو الإيمان والعمل الصالح. ثم صرح تعالى بأنه أنذر المكذبين والكافرين بما أورد فى كتابه الكريم وفى السورة من آيات البعث والحساب عذاب الآخرة

القريب حلولة. لأنه محقق الِ نِوع وكل محقق الوقوع، قريب. ثم بين تعالى أن هذا العذاب يكون في اليوم الذي يشاهد فيه كل مكلف ما قدمه من خير أو شرف في دنياه، فيكون من الكافر وقد علم ما ينتظره من العذاب أنه يتمنى في قلبه لو كان قد بقى تراباً في الأرض لم يبعث ويقول ما يعبر به عن أمنيته بلسانه، وقيل إن إبليس الذي عاب على آدم أنه خلق من تراب الأرض، يقول إذ رأى مكان آدم «يا ليتني كنت تراباً» يتمنى لو كان قد خلق من تراب ولم يقل إنه خير من آدم.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ١ وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا ٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ٣
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ ٦
تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٨ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ٩
يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاوِرَةِ ١٠ أِذَا كُنَّا عِظَمًا تُخْرَجُ ١١
قَالُوا أَنْتَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٢ فِإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣ فَإِذَا هُمْ
بِالسَّاهِرَةِ ١٤

أولاً: الأسماء:

أ - النازعات: الراجع أنها الملائكة التي تنزع أرواح الكافرين، وقيل هي النفوس حية:

تغرق في الصدور، وقيل هي الموت ينزع النفوس، وقيل هي القسي تنزع بالسهم.

٢ - الناشطات : الراجح أنها الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها، وقيل هي نفوس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج .

٣ - السابحات : الراجح أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين، أو تسبح - بمعنى تسرع - لتنفيذ أوامر الله .

٤ - السابقات : الراجح أنها الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، وقيل هي نفوس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقاً إلى لقاء الله تعالى .

٥ - المدبرات : هم الملائكة نزلوا بتدبير الله في خلقه فنسب التدبير إليهم .

٦ - الراجفة : هي الزلزلة، وقيل هي الأرض، وقيل هي النفخة الأولى .

٧ - الرادفة : قيل إن المراد بها - في معنى القول - هو الصيحة، وقيل هو الساعة .

٨ - الحافرة : هي ذات الحفر، وهو تعبير عن « الطريق الذي جىء منه » أو الحالة الأولى كأن القدم تترك أثراً في الطريق الذي جاءت منه - وهي الحافر - وقيل هي العاجلة، وقيل هي الأرض المحفورة فيها القبور، وقيل هي النار .

٩ - الساهرة : هي ذات السهر، والمراد بها الأرض في الحياة الدنيا، فيها نوم الحيوان وسهره .

ثانياً : التفسير :

أقسم تعالى - في الآيات - بجملة أشياء على أشياء أو أمور أنها تتحقق، فأقسم تعالى بالملائكة الذين ينزعون أرواح الكافرين ثم يغرقونها ثم يجرونها ثم يقدفون بها في النار، أو يغرقونها بإعادتها ثانية إلى أجسامهم لينزعوها مرة أخرى، والذين ينشطون بجذب أرواح المؤمنين برفق، وبالملائكة الذين يسبحون بأرواح المؤمنين - أي يسرعون بها - أو يسرعون بالنزول من السماء لإنفاذ أوامره تعالى، وبالملائكة الذين يسبقون بالوحي إلى أنبياء الله، وبالملائكة الذين ينزلون بتدبيره تعالى في شئون خلقه، أقسم تعالى بهذا على أنه يكون ما

جاء بجواب القسم، وهو أنه يكون فى اليوم الذى ترجف فيه الراجفة أى تتحرك وتتزلزل الأجرام الساكنة ومنها الأرض، وهو ما يكون عند النفخة الأولى، والذى يحدث فيه من بعد الرجفة واقعة أخرى تتبعها - هى الصيحة الثانية - تنشق معها السماء وتحمل الأرض والجبال فتدك دكة واحدة - يكون فى هذا اليوم أن قلوب الكافرين تجف وجيفا، أى أنها تخفق بشدة خوفا وجزعا، وأن أبصارهم تكون ذليلة من شدة الخوف ومن الإحساس بالهوان، فيكون من هؤلاء الكافرين الذين كذبوا من قبل بالبعث أنهم يسألون عما إذا كانوا راجعين إلى من حيث أتوا، أى إلى الأرض التى عاشوا فيها حياتهم، فيكون سؤالهم تعبيراً عن استغرابهم ما شاهدوا من أمر البعث الذى أنكروه فى حياتهم، ويكون موضوع سؤالهم هو ما إذا كانوا يعودون إلى الدنيا ثانية من بعد بعثهم، ثم يزيد منهم إبداء استغرابهم أن يعيشوا بأجسامهم ثانية من بعد الفناء بقولهم «أئذا كنا عظاما نخرة» فهو تعجب من أن يعودوا سالمين فى أعضائهم من بعد فنائها وضرورة عظامهم بالية نخرة. وقد يكون قولهم كله هو قولهم الذى قالوا فى دنياهم والذى أنكروا فيه أن يعيشوا إلى ما كانوا عليه فى الدنيا من سلامة الأعضاء من بعد فناء أجسامهم وضرورة عظامهم نخرة.

ثم يبين تعالى أن المكذبين بالبعث يدركون أن رجوعهم إلى الحياة بالبعث هو رجوع ليس منه إلا الخسران المبين، لأنه لا يكون فيه إلا العذاب، بقوله تعالى «قالوا تلك إذا كرة خاسرة». ثم أتبع تعالى هذا ببيان أن بعثهم إلى الحياة هو أمر سهل هين عليه تعالى، بذكره أنه يتحقق بجزرة واحدة - أى بصيحة واحدة - يكون أثرها أنهم يعودون أحياء كما كانوا على وجه الأرض، أو أنهم يخرجون إلى وجه الأرض من بعد أن كانوا مدفونين فى جوفها.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ
طُوًى ۖ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ أَن نُّزَكِّيَ
ۙ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ ۖ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۖ فَكَذَّبَ
وَعَصَىٰ ۖ فَاذْبَرَ نِيسَىٰ ۖ فُحْشَرَ فَادَّىٰ ۖ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ
الْأَعْلَىٰ ۖ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۖ

التفسير:

بعد أن بين تعالى مصير المكذبين، فإنه تعالى توجه - في الآيات - بالخطاب إلى رسوله ﷺ - الذي كُذِّب من كفار قومه - ذاكرا له خبر مكذِّبين من قبله، تسلياً له ببيان أن الرسل قبله قد كُذِّبوا . بدأ تعالى بتشويق رسوله إلى معرفة قصة موسى عليه السلام مع مكذبيه . ورد به الاستفهام في قوله تعالى «هل أتاك حديث موسى»، ثم بين أن ظرف هذا الحديث هو الوادي المقدس طوى، وأنه كان ببدء الله عليه وأمره أن يتوجه إلى فرعون، وبين له علة الأمر وهي طغيان فرعون، ثم بين ما يعمل به وهو أن يسأله إن كان يميل إلى تطهير نفسه من الكفر والطغيان، وأن يقلل من موسى عليه السلام أن يهديه إلى طريق ربه من بعد تعريفه به لكي يخشى غضبه فيتنجب ما يغضبه . ثم جاء قوله تعالى «فأراه الآية الكبرى» مفيداً معنى توجه موسى عليه السلام إلى فرعون، وقوله له ما أمره الله أن يقوله له، وأنه أراه معجزة ربه الكبرى وهي قلب العصا حية تسعى، ثم ذكر تعالى أن فرعون كذب بالآية والمعجزة ودعاها سحراً، وأنه عصى موسى فيما دعاه إليه فكان بهذا عاصياً ربه، كما ذكر تعالى أنه تولى معرضاً عن دعوة موسى، وسعى في إقناع الناس بادعائه النبوة كذبا . كما بين تعالى أن سعيه في هذا تمثل في جمعه السحرة وندائه فيهم بأنه هو ربهم الأعلى، ليكون عليهم إثبات كذب قول موسى أنه ليس سوى الله تعالى الإله والرب . ثم بين تعالى أنه نكل بفرعون بقوله وفعله في الدنيا وفي الآخرة، وذلك بإهلاكه غرقاً وبتعذيبه في الآخرة . وأتبع هذا بأن بين أن فيما فعل بفرعون وقومه عبرة وعظة لمن كان له قلب يعي الحدث ودلالته فتكون منه خشية الله .

أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بُنِيَهَا ۖ رَفَعَ ۙ
سَمَكُهَا فَسَوَّيْهَا ۖ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۖ وَالْأَرْضَ ۖ
بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۖ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۖ وَالْجِبَالَ
أَرْسَلَهَا ۖ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ كَرَمًا ۖ

التفسير:

خاطب تعالى المكذبين من أهل مكة بالبعث مثبتا عليهم بُعد عقيدتهم عن مقتضى العقل، فيبين لهم أن إعادة خلقهم بالبعث أهون عليه تعالى من خلق السماء والأرض، فلاستفهام في قوله تعالى «أأنتم أشد خلقا أم السماء» أريد به إنكار أن يكون البعث أشد عليه تعالى من خلق السماء لأول مرة، وإثبات أن خلق السماء هو الأمر الأشد والأصعب. ثم بين تعالى أنه بنى السماء، فهي بما فيها بناء كامل عظيم، وبين كيفية البناء بما يفهمه الناس فذكر أنه رفع ثخنها فجعله مرتفعا عالياً، وأنه سواها، فهي من جهة تبدو للناظر مستوية، وهي - من جهة أخرى - محكومة بقوانين إلهية اقتضتها الحكمة الربانية منها الطواف، ومنها الجاذبية تتساوى في الخضوع إليها أجرامها، كما ذكر تعالى أنه الذي أغطش ليل السماء فجعله مظلماً - وقد سبق بيان أنه لا يكون غير الظلام من بعد مائتي كيلومتر فوق سطح الأرض - ليخرج تعالى من هذا الظلام ضحى الشمس تنير كواكبها في إعجاز لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

ثم ذكر تعالى أنه - من بعد ما تقدم ذكره من خلق السماء - كان منه تعالى أن دحى الأرض، بأن جعلها مبسوطة مستوية لخلقها عليها مع أنها كرة غير مستوية تشبه البيضة «الدحية» وهذه حقيقة لم يدركها العلم إلا مؤخراً يدل الإخبار بها على أن القرآن العظيم من الله الخالق. كما ذكر تعالى أنه الذي أخرج من الأرض ماءها، وهو ماء البحار والأنهار والعيون، وأخرج منها المراعى، قد يكون المراد بها ما يخرج مأكول الحيوان، وقد يكون المراد بها ما يخرج مأكول الإنسان والحيوان. وسبحان الله العظيم فإن عملية وجود المياه في الأرض، المشتركة بين الأرض وبين الغلاف الجوى مرتبطة بدحى الأرض وبدورانها حول محورها في هذا الشكل. ثم ذكر تعالى أنه أرسى الجبال على الأرض لتحفظ بتوازنها في دورانها حول محورها. ثم بين تعالى أن خلقه السماء والأرض على هذا النحو البديع، وإخراجه الماء والمرعى إنما كان سبباً لتمتع الناس وتمتع أنعامهم بما تخرج الأرض مما يأكل الناس والأنعام.

فَإِذَا جَاءَ بِ الطَّامَّةِ الْكُبْرَى ﴿٣٦﴾
يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرْزُفِ الْجَحِيمِ لِمَن يَرَى ﴿٣٦﴾
فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ
هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾

أولاً : الأسماء:

الطامة : هى أعظم الدواهى ، من «طم - يطم» بمعنى علا، فهى تعلو على جميع الدواهى . والمراد بها - فى معنى القول - هو القيامة، حتى أصبحت بمثابة اسم من أسمائها .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - فى ذكر أحداث الآخرة، وما يكون مشتركاً بين الناس جميعاً فيه، وما يختلف فيه أمر الكافر المكذب عن أمر المؤمن المتقى .

أخبر تعالى أنه إذا ما جاء يوم القيامة الذى أعظم الدواهى التى تصيب الكافر، وهو اليوم الذى يتذكر فيه كل شخص ما كان منه فى حياته، يخلق الله فيه ذاكرة تتذكر، أو يرى هذا فى صحيفة عمله، والذى تظهر فيه الجحيم بأمره تعالى فيراها كل من تنأتى منه الرؤية، فإن شأن الذين عتوا فى دنياهم وتمردوا على الطاعة وجاوزوا الحد فى العصيان فكفروا، واختاروا الحياة الدنيا وزينتها وفضلوها على الآخرة، يكون أن الجحيم تكون هى المكان الذى يأوون إليه، لا يأوون إلى غيره. ويكون شأن الذين خافوا مقامهم عند ربهم يوم القيامة فكان منهم أن نهوا أنفسهم عن اتباع أهوائها فلم يعصوا الله جهدهم، فإن شأنهم أن تكون الجنة هى المأوى الذى يصيرون إليه.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَا أَنْتَ مِنْ
ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ نَّحْشِهَا ﴿٤٥﴾
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَرَّيْلَتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوُضْحُهَا ﴿٤٦﴾

التفسير:

القول - في الآيات - هو في يوم القيامة الذي يكذب به منكرو البعث، يخبر تعالى رسوله ﷺ عن واقع سؤال المنكرين إياه عن وقتها متى يكون إرساؤه بمعنى متى تقوم، والسؤال منهم هو إنكار معزز بتعجيز عن استعجال وقتها.

ثم إنه تعالى ينكر عليهم سؤالهم ببيان أنهم سألوا من لا يحيط بوقتها علما، إذ يقول تعالى لرسوله ما معناه «من أنت حتى تعلم وقتها فتخبره» فإذا كان خير البشر لا يعلمه فإنه ليس لأحد أن يكون له به علم.

ولهذا جاء قوله تعالى «إلى ربك منتهاها» بمعنى أن اكتمال العلم بها هو عند الله وحده، ثم بين لرسوله ﷺ أنه ليس إلا منذريها من قدر له أن تكون منه خشيتها فاختار الإيمان.

ثم إنه لما كان من المكذبين بها من يبقى على تكذيبه فإنه تعالى أثبت وقوع القيامة حتما ببيان أن هؤلاء المكذبين سيشهدون الساعة لا محال.

ثم بين أنهم يوم يرونها ويتيقنون أنهم يخلدون في العذاب يحسبون أن حياتهم الدنيا لقصر زمانها لم تكن غير عشية يوم وضحي يوم آخر، أو إنها لم تدم إلا وقت عشية أو وقت وضحي من يوم واحد. فيكون القول وعيدا للمكذبين بالعذاب فيه يخلدون.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ زُرَّى ۝٣
أَوْ يَدَّكَرُ فَنَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤ أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ۝٥ فَآفَكَ لَهُ
تَصَدَّى ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكَّى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨
وَهُوَ يَخْشَى ۝٩ فَآفَكَ عَنْهُ تِلْكَ ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَنْ
شَاءَ ذَكَرْهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي
سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - الأعْمَى : المراد به فى معنى القول هو ابن أم مكتوم، عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب، وهو ابن خال خديجة رضى الله عنهما .

٢ - من استغنى : المراد به - فى معنى القول - من استغنى عما لدى رسول الله ﷺ من العلم، وقيل من استغنى بماله وثروته عن الهدى والإيمان . وهم الذين كانوا عند رسول الله ﷺ من عتاة قريش : عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل، والعباس بن عبد المطلب، وأمّية بن خلف،

والوليد بن المغيرة .

ثانيا : التفسير :

بدأ تعالى القول متعابا رسوله ﷺ على أفعال فعلها هي أنه ﷺ عبس وجهه وأعرض دون أن يعر التفاتا حين جاءه الأعمى - وهو ابن أم مكتوم - جاء رسول الله ﷺ وعنده صناديد كفار قريش يحادثهم داعيا إلى الإسلام، فساء رسول الله ﷺ أن يقطع عليه حديثه ابن أم مكتوم وأعرض عن طلبه أن يعلمه رسول الله ﷺ مما علمه الله شيئا . وربما كانت الإشارة إلى ابن أم مكتوم بذكر عاهته - وهي ضعف - أريد بها التحض على البر بالضعفاء وملاطفتهم على وجه الخصوص . ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أن عبوسه وإعراضه قد يكونان سببا لتفويت مصلحة دينية هي أن يطهر الأعمى نفسه من الإثم حين يلم بأحكام الشرع، أو أن يكون له فيما يتعلم ما يتذكره فيتجنب به المعاصي ويعمل به بالطاعات، فيتفع بهذا .

ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه بحفاظه على دوام محادثة صناديد الكفر في قريش إنما كان مقبلا على الذين استغنوا بأموالهم عن الإيمان وعما لدى رسول الله ﷺ من العلم، كما بين له أنه ﷺ حرص على دوام محادثتهم رغم أنه ليس عليه من ذنوبهم شيء إذا هم لم يطهروا نفوسهم بالإسلام وبقوا على كفرهم .

ثم عاد تعالى لذكر ما كان منه ﷺ مع الأعمى - في مقارنة بما كان منه مع صناديد الكفر - فأخبر عن الأعمى أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ساعيا إلى العلم النافع وهو يخشى الله، وأخبر عن فعل رسول الله ﷺ معه بأنه الانشغال عنه، وربما جاء التعبير عن هذا بالتلهي لبيان أنه لا يجدى مع صناديد الكفر شيء يجعلهم يؤمنون .

ثم إنه تعالى بين اعتراضه على فعل رسوله ﷺ بقوله «كلا» ثم أتبع هذا بإخباره عن القرآن العظيم بأنه تذكرة، يرسخ في الأذهان فيتعظ به ويعمل . ثم جاء الحث منه تعالى على الإيمان بالقرآن والمداومة على قراءته وذكره والعمل به بقوله تعالى «فمن شاء ذكره» فيبين أن الإفادة منه تكون لمن شاء أن يؤمن به . ثم كان منه تعالى تعظيم شأن القرآن ببيان أنه في صحف منسوخة من اللوح المحفوظ، أو أنه في صحف اللوح المحفوظ، وعلى الحالين فهو

فى صحف مكرمة من الله تعالى، وصفها تعالى بأنها مرفوعة القدر منزهة عن الدنس، وأنها إنما تنسخ من اللوح المحفوظ بأيدى ملائكة يكتبون الأسفار. وهى كتب الله - من صفاتهم أنهم مكرمون من الله تعالى معظمون، وأنهم أتقياء بررة، لا يضيفون إليها شيئاً، ولا هم منها شيئاً ينقصون.

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ

شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَّانَهُ وَفَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٣﴾

أولاً : الأسماء والأعلام :

الإنسان : المراد به - فى معنى القول - هو الإنسان الكافر، وقيل إن القول الكريم أنزل فى عتبة بن أبى لهب، كان قد أسلم فلما نزلت «والنجم» بعث إلى رسول الله ﷺ أنه كفر برب النجم، وقيل إنه كفر بالسورة.

ثانياً : التفسير :

دعا تعالى على الكافر باللعن يكون فيه هلاك روحه وجسده، وربما جاء التعبير عنه بالقتل لأن الكافر لا يرى ضرراً يصيبه أشد من أن يموت مقتولاً. وجاء بيان تماديه فى الكفر بالتعجب منه «ما أكفره»، ثم بين تعالى أن هذا التمادى فى الكفر هو بإحلاله الكفر محل الشكر؛ ولهذا فإنه تعالى بين نعمه عليه، فبدأ ببيان أنه خلقه من نطفة من ماء مهين، وأنه هياه وشكله فى بطن أمه ليكون على الهيئة التى تكفل له تحقيق مصالحه. جاء التعبير عن هذا باستفهام - تشويقاً لمعرفة الإجابة - «من أى شيء خلقه»، وجواب «من نطفة خلقه فقدرة» وفى القول بيان لانعدام الموجب للاستكبار، إذ ليس لمن خلق من ماء مهين أن يعلو فى نفسه ويتكبر. ثم بين تعالى أنه سهل له السبيل للخروج من رحم أمه إلى الحياة. بوضعه فى

الرحم على هيئة معينة وفتح الرحم، وتمكين جسد الأم من إخراجها أو بمساعدة الغير، ويتصور أن يكون المعنى أنه تعالى يسرله الاختياريين طريق الهدى وطريق الضلال. ثم إنه تعالى يميته، ثم لا يتركه مطروحا في الأرض، وإنما يقبره في جوف الأرض تكريما لأدميته، إذ الأمر بالدفن قائم منه تعالى منذ أن قتل ابن آدم أخاه. ثم يكون منه تعالى إذا جاء وقت النشر الذي تحدد بإرادته تعالى بعثه من الموت إلى الحياة ونشره.

ثم إنه تعالى اعترض على كفر الإنسان نعم ربه بقوله «كلا»، ثم بين أن إنسانا ما من خلق آدم إلى أن تقوم الساعة لا يقضى ما أمره الله به كاملا غير منقوص، ويتصور في القول أن يكون في الكافر يكون المعنى أنه لم يؤد ما أمره تعالى به وهو الإيدان والتوحيد.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا
الْأَرْضَ شَقًّا ۚ ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ ﴿٢٧﴾ وَعَبَا وَقَضًّا ۚ ﴿٢٨﴾ وَزَيُّونًا
وَنَخْلًا ۚ ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۚ ﴿٣٠﴾ وَفَلَكَهًى وَأَبَّا ۚ ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لَّكُمْ وَلِيَعْمَلَكُمْ ۚ ﴿٣٢﴾

أولا : الأسماء :

١ - القضب : هو ما إذا قطع من النبات وترك جذره في الأرض عاد ونما مثل القث، والكراث والقصب. وقيل هي الرطبة. أو هو كل ما يقال عنه أنه يتكاثر بالعقلة.

٢ - الغلب : في قوله تعالى «وحدائق غلبا» جمع، مفردة «الأغلب» وهو - في الأصل - الغليظ العنق، يقال للرجل، كما يقال للأسد، والمراد به - في معنى القول - صفة العظم والضخامة للأشجار.

٣ - الأب : في قوله تعالى «وفلكه وأبا» قيل هو ما تأكله البهائم من العشب، وقيل هو كل ما تنبت الأرض ولا يأكله الناس. وقيل هو الشمار الرطبة، وقيل هو التين الرطب.

ثانيا : التفسير :

لما كان تعالى قد ذكر نعمه على الإنسان المتعلقة بخلقه وتسويته وإكرامه بعد موته بالدفن، ثم أثبت أنه لا يقضى ما أمره الله به، فإنه تعالى أتبع هذا بذكر نعمه عليه الخارجة عن ذاته ليين أن الإنسان لا يقضى حق النعم من الشكر. ذكر تعالى نعمة المأكل فأمر الإنسان أن ينظر إلى طعامه الذى به حياته، خرج بخلق سبيه وهو الماء الذى صبه تعالى من السحاب من جهة العلو صبا عجيبا، ثم كان منه تعالى أن شق الأرض بالنبات شقا بديعا ليخرج منه، ثم يكمل نمو النبات فمنه ما يخرج حبا، ومنه يكون الكرم ويكون القصب الذى يتكاثر بالعقلة، وكلما قطع نما، ويكون الزيتون والنخل، ومنه تتكون الحدائق والرياض العظيمة الأشجار، ومنه تخرج الفاكهة ويخرج كل ما لا يأكل الإنسان، فيكون ما يخرج من الأرض متاعا يتمتع به الناس وتمتع به أنعامهم. فيكون مما لا يأكل الإنسان ما تأكله الأنعام، وليكون غير المأكول ظلا أو ريحا طيبا يستمتع به .

فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاحَةُ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٣﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ ذِشَانٍ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾
وُجُوهُ يَوْمَ ذِئْصَفَرَةٍ ﴿٣٨﴾ ضَاكَّةٌ مُسْبِثَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهُ يَوْمَ ذِئْقَلَبٍ ﴿٤٠﴾
غَابِرَةٌ ﴿٤١﴾ تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٣﴾

أولا : الأسماء :

١- الصاخة : المراد بها - فى معنى القول - هو الصيحة أو النفخة الثانية تصيخ الأسماع، بمعنى أنها تصمها.

٢- المسفر : فى قوله تعالى «وجوه يومئذ مسفرة» هو المضىء المتهلل، يسفر عن نور.

٣- القتره : فى قوله تعالى «ترهقها قتره» هى السواد والظلمة .

ثانيا : التفسير :

القول - فى الآيات - هو فى مصير الناس أو جنس الإنسان فى الآخرة، يقول تعالى إنه إذا كانت النفخة الثانية التى هى صيحة القيامة الداهية العظيمة. فإنه يكون قد جاء اليوم الذى يعرض كل إنسان عمن كان يحبه فى الدنيا، فيعرض الأخ عن أخيه، ويعرض الابن عن أمه وأبيه، ويعرض كل امرئ عن زوجته وعن أبنائه، إذ يكون كل امرئ منشغلا عن غيره بنفسه. ثم يذكر تعالى مصير الناس فى هذا اليوم بما يبين منه أنهم يكونون فريقين، جاء بيان مصير كل منهما ببيان أثره على وجوه أصحابه، فقال تعالى إنه تكون هناك وجوه مضيئة متهللة هى وجوه السعداء، ترى ضاحكة مستبشرة خيرا مما شاهدت من علاماته أو عرفت من قراءة صحفها، كما تكون هناك وجوه يعلورها الغبار والكدر، يغطاها السواد وتظلمها الظلمة، يشير إليها تعالى مخبرا أن أصحابها هم الكفرة الفجرة، بمعنى أنهم الذين جمعوا بين الكفر والفجور.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التكويس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ

٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِحَارُ

سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النَّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ٨

بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ

١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِثَتْ ١٣ عَلَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ ١٤

أولاً: الأسماء :

العشار : هى النوق الحوامل، وأحدثها «عشراء»، وقيل هى السحاب - فى معنى القول -
وقيل هى الأرض، وقيل هى الديار.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - جملة شرطية تصف أحداث القيامة، أداة الشرط فيها «إذا»
وفعلها جملة أفعال أولها تكوير الشمس، قيل إن معناه هو ذهاب ضوئها، وقد يكون معناه
- والله أعلم - هو طيها إيذاناً بانتهاء مهمتها، والمعروف علمياً أن الشمس وسائر النجوم
تنقبض متكررة عند شيخوختها ووفاتها، وثانى الأفعال هو انكدار النجوم، قيل إن معناه هو
انقضاء النجوم وسقوطها، بمعنى أن النجوم تهوى منكماشة على نفسها وينحسر ضوؤها،
وثالث الأفعال أو الأحداث هو تسير الجبال، وهو ما يكون من تسيرها فى الفضاء من بعد
رفعها من الأرض، ورابع الأفعال والأحداث هو تعطيل النوق العشار بمعنى إهمالها، وهو ما
يكون من انشغال أصحابها عنها حين يرونها، والمراد هو إثبات إهمال أمرهم كان العرب
ينشغلون به فى دنياهم وهو رعاية النوق العشار، وخامس الأفعال أو الأحداث هو حشر
الروحوس والمراد هو حيوان البر الذى لا يستأنس أو جنس الحيوان عموماً يتم جمعها - قيل إنه
يكون ليقص لبعضها من بعض، ثم يقال لها كونى تراباً فتموت - وسادس الأفعال أو
الأحداث هو تسجير البحار، بمعنى أنها تشتعل بالنار، وسابع الأفعال أو الأحداث هو تزويج
النفوس، بمعنى قرن بعضها ببعض، فيقرن الرجل الصالح بالرجل الصالح، ويقرن الرجل
السوء بالرجل السوء، وقيل تقرن نفوس المؤمنين بأزواجهم من الحور، وتقرن نفوس الكافرين
بالشياطين. وثامن الأفعال أو الأحداث هو سؤال البنت التى دفنت حية عن سبب قتلها على
هذا النحو، وفى القول تعريض بما كانت العرب تفعله من وأد البنات خوف الفقر أو خوف
أسرهن إذا ما كبرن فى إغارة قبيلة على قبيلة، وسؤال المؤودة دون الوائد مع كونه الجانى فيه
تحقير له ببيان أنه ليس أهلاً لأن يوجه إليه السؤال. وتاسع الأفعال أو الأحداث هو نشر
الصحف وهى صحف الأعمال التى تطوى عند الموت ثم تشريوم القيامة لتقع كل صحيفة
فى يد صاحبها، وعاشر الأفعال أو الأحداث هو كشط السماء، وهو إزالتها إزالة الغطاء عن
الشيء، أو إزالة الجلد عن الذبيحة، والفعل الحادى عشر هو تسعير الجحيم بإيقادها بإقادات
شدّيداء، والفعل الثانى عشر هو إزلاف الجنة - بمعنى تقريبها من المقيمين - وهو ما يكون

بتقريب المؤمنين المتقين منها . وجواب الشرط في الجملة جاء به قوله تعالى « علمت نفس ما أحضرت » والمعنى أنه ما من نفس من الأنفس إلا تكون قد علمت ما عملت في دنياها من خير ومن شر .

فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ١٧
وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي
الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢

أولا : الأسماء :

١ - الخنوس : جمع، مفردة «خانوس» من الخنوس وهو الاختفاء، والمراد بها - في معنى القول - هو النجوم والكواكب، لأنها تختفى في النهار فلا ترى مع وجودها - بسبب ضوء النهار.

٢ - الكنس : جمع، مفردة «الكانس» والكانسة وهو ما دخل الكناس - وهوييت الحيوان البري - من الوحش، وصف تعالى النجوم والكواكب به، لأنها تختفى في نور النهار كما يختفى الحيوان البري في الكناس فلا يرى.

ثانيا : التفسير :

مفاد قوله تعالى - في الآيات - أنه تعالى يقسم بالنجوم والكواكب التي لا ترى في النهار مع وجودها، ثم وصفها بأنها الجوارى الكنس لبيان أنها تجري في أفلakها وتجري في مجراتها لمستقر لها، فيكون القول مظهرا علة القسم بها وهو عظمة القدرة الإلهية على خلقها وعلى إجرائها في أفلakها. ثم أقسم تعالى بالليل إذا عسس، بمعنى أدبر، أو أقبل، وفي كل آية عظيمة من آيات قدرته تعالى، وأقسم بالصبح إذا تنفس، بمعنى أنه بدأ خافتا له ربح خاص ونسيم، ثم يمتد نوره إلى أن يصبح نهارا، وهو أيضا من دلائل عظم قدرته تعالى .

وجواب القسم هو قوله تعالى «إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين» أخبر فيه تعالى عن القرآن العظيم بأنه ما قاله جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، وصف تعالى جبريل فيه بأنه رسول من الله كريم عليه، ثم بين أن القرآن منه تعالى بإخباره عنه أنه تنزيل من رب العالمين، ثم عاد إلى وصف جبريل عليه السلام فذكر أنه ذو قوة - ودليل هذا معروف من أنه قلع مدائن قوم لوط بقوادم جناحه - وأنه ذو مكانة رفيعة عند ذي العرش جل وعلا، وأنه في السماء مطاع من الملائكة - ومن دلائل هذا أنه - في المعراج - قال لرضوان خازن الجنان «افتح» ففتح، وقال لمالك خازن النار «افتح» ففتح، كما وصفه تعالى بأنه أمين، ائتمنه تعالى على الوحي فحفظه، وأداه إلى رسول الله ﷺ .

ومن جواب القسم أيضا ما جاء بقوله تعالى «وما صاحبكم بمجنون» وفيه يعود الضمير في «صاحبكم» إلى كفار مكة الذين نعتوا رسول الله ﷺ بالجنون، مع كونه ﷺ أرجح الناس عقلا، رد تعالى عليهم قولهم وأبطله، وأثبت كذبهم وبهتانهم .

وَلَقَدْ
رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَإِنَّ نَازِعَاتِهِنَّ يَنْهَوْنَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾
لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

أولا : الأسماء :

١ - الضنين : هو البخيل، وقيل إن المراد به - في معنى القول - هو «الظنين» وهو المتهم

بشيء .

٢ - الأفق المبين : هو الأفق من قبل المشرق يكون مينا لأن من جهته ترى الأشياء، وقيل هو أقطار السماء ونواحيها، وقيل من جهة أحياد مشرق مكة .

ثانيا : التفسير :

أكد تعالى صحة المخبر عنه تأكيد القسم بقوله «ولقد»، ثم أخبر عن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل عليه السلام بالصورة التي خلقه الله عليها وهو بالأفق الأعلى من ناحية المشرق، ثم جاء قوله تعالى «وما هو على الغيب بضنين» - وفيه جاء التعبير عن القرآن العظيم بأنه الغيب - يتصور أن يكون في جبريل عليه السلام، فيكون المعنى أنه لا يخل بشيء من القرآن لا يبلغ به رسول الله ﷺ، لأنه لا يقصر في التبليغ، ويتصور فيه أن يكون في رسول الله ﷺ، فيكون المعنى أنه ليس محلا لأن يتهم باختلاق القرآن، فيكون القول إبطالا للذين كذبوه ﷺ. ثم نفى تعالى أن يكون القرآن قول شيطان رجيم، فيه تكذيب لقول الكافرين إن شيطانا كان يأتيه ﷺ في صورة جبريل فيخبره بما استرق إليه السمع في السماء.

ثم إنه تعالى بين إمعان المكذبين في الضلال بقوله لهم «فأين تذهبون» بمعنى إلى أي مدى بعيد في الضلال تذهبون إذ تنكرون أن القرآن العظيم موحى به من الله. ثم أثبت تعالى للقرآن صفته الأساسية وهي أنه ذكر للعالمين، بمعنى أنه عظة وتذكير لجميع المكلفين من الإنس والجن، ثم بين أنه لا يتعظ به ويتذكر فينفعه هذا إلا من أراد أن يكون على طريق الله المستقيم .

ثم إنه لما كان البعض قد يتصور أن أمر الهدى معلق بإرادة المكلف وحده، فإنه تعالى بين أن مشيئة الفرد هي أثر لمشيئته تعالى، فلولا أنه يشاء الهدى لمن اهتدى، لما كان له أن يهتدى، وصف تعالى ذاته في القول بأنه رب العالمين، لبيان أنه يهدي إلى الطريق المستقيم بحكم ربوبيته، وأنه يهدي المكلفين من الإنس والجن أجمعين .



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ② وَإِذَا الْبُحَارُ فُجِّرَتْ
③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - ورد في شكل جملة شرطية، أداة الشرط فيها «إذا» وفعل الشرط يتمثل في جملة أحداث، هي انفطار السماء، بمعنى تشققها لنزول الملائكة، وانتشار النجوم، وهو تساقطها متفرقة، وتفجر البحار يكون بتفجر بعضها في بعض وزوال ما بينها من حواجز، ثم يكون ذهاب ماؤها وتبيسها، وبعثرة القبور، بمعنى أن يقلب ترابها ويزال تهيتها لإخراج ما تحته، فيكون القول مشيراً إلى البعث. وجواب الشرط - في الجملة - هو قوله تعالى «علمت نفس ما قدمت وأخرت» والمعنى أنه يكون محققاً أنه عندما تنشر الصحف من بعد البعث أن كل نفس تعلم ما كان منها من خير أو شر عملته في حياتها، أو خلفته وراءها بعد موتها فعمل به، لتجزى به خيراً كان أم شراً.

يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ① الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ②
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ③

التفسير:

خاطب تعالى - فى الآيات - جنس الإنسان فأنكر عليه - بالاستفهام الإنكارى - تجرؤه على عصيانه تعالى ، وصف تعالى ذاته بأنه رب الإنسان الكريم ليبان أن البغض قد يغتر بما علم من كرمه تعالى فيمعن فى مقارفة المعاصى مرجئا التوبة طمعا فى كرمه تعالى حتى يموت على العصيان. ثم إنه تعالى وصف ذاته بأنه الذى خلق الإنسان بأن أوجده من العدم، والذى سوى أعضائه لتناسب ما أعد له من المهام، وعدل بعضها ببعض فاعتدل قوامه، فكان أن أصبح على الصورة التى قضت بها مشيئته تعالى وحكمته. ووصفه تعالى ذاته بهذا أريد به بيان انعدام سبب انخداع الإنسان فى ربه وتجترئه عليه، لأن من فعل هذا يكون قادرا على التعذيب على عصيانه.

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
حَفَظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَتَبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى الفئة من المتجربين على الله التى بلغ بها الأمر حد الكفر ردهم تعالى شأنه عن الاغترابه والتجرؤ على عصيانه بقوله «كلا» ثم بين أنهم يزيدون على عدم الارتداع تكذيبهم بالدين، يتصور فيه أن يكون هو تكذيبهم بيوم الدين، ويتصور فيه أن يكون هو تكذيبهم بالإسلام دين الله الحق.

ثم بين تعالى أنهم يعذبون بتكذيبهم هذا ببيان أن عليهم ملائكة يحفظون عليهم أعمالهم ليجازوا بها، وصف تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم كرام لديهم تعالى وبأنهم يكتبون أعمال المخاطبين بالقول، كما وصفهم بأنهم يعلمون جميع أفعال المخاطبين التى يدونونها عليهم، بما يعنى أنهم إنما يدونون عليهم الحق الذى علموه علم الشاهد والمعاين .

إِنَّ الْأَبْرَارَ
لَفِي نَعِيمٍ ۝ (١٣) وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ۝ (١٤) يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ (١٥) وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ ۝ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۝ (١٩) وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝ (٢٠)

التفسير:

بدأ تعالى قوله - فى الآيات - ببيان نتيجة تدوين الأعمال الذى يكون للناس جميعا، وإن كان تعالى قد خاطب به - من قبل - المكذبين بالدين.

فذكر أن الذين أبروا الله بالإيمان والعمل الصالح يكون جزاؤهم هو النعيم، وأن الفجار يكون جزاؤهم أن يلقوا فى الجحيم، يكون حالهم أنهم يصلونها يحترقون بحرها يوم الدين.

ثم أخبر تعالى عن دوامهم فيها بذكره أنهم لا يغيبون عنها. ثم جاء تفخيمه تعالى يوم الدين الذى يصلى فيه الفجار النار بقوله تعالى «وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين» فيه تفخيم له وتعجيب من أمره، وجاء تكريره تأكيدا لبيان مدى هولته الذى لا يدرى به سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ذاته .

ثم أخبر تعالى عن يوم الدين بأنه اليوم الذى لا تملك نفس لنفس شيئا، فبين أن نفس أحد من خلقه ولو كان ملكا من الملائكة أو رسولا من الرسل لا تملك بذاتها أن تفيد نفسا أخرى بشيء، ثم أعقب تعالى هذا ببيان اختصاصه وحده بالحكم فى هذا اليوم، يذكره أن جميع الأمر يكون مرجعه إليه وحده .



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المطففين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا
كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥

أولاً : الأسماء والأعلام :

المطففون : فى قوله تعالى «ويل للمطففين» جمع، مفردة «المطفف» وهو من يتكرر منه فعل التطفيف، وهو الأخذ خلسة من حق الغير الشئ الطفيف، من «طف الشئ» وهو جانبه. قيل إن القول نزل فى أهل المدينة كانوا يطففون الكيل والميزان حين قدم المدينة رسول الله ﷺ، فلما نزلت الآية زجعوا عنه، وقيل إنه نزل فى رجل يعرف بأبى جهينة، واسمه عمرو.

ثانياً : التفسير :

قيل إن الويل فى قوله تعالى «ويل للمطففين» هو العذاب الشديد فى الآخرة، وقيل هو واد فى جهنم توعده تعالى المطففين، وعموم اللفظ يدخل فيه كل من يتقص فى شئ يكون فيه وفاء، ومنه الوضوء، والصلاة، والحديث. ثم خص تعالى بالقول - من بين عموم المطففين - الذى يطففون فى حقوق العباد ببيان أنهم الذين إذا اكْتَالُوا من الناس استوفوا

عليهم الكيل أو الميزان، فاسترفوا منهم حقوقهم، والذين إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم أخسروهم الكيل أو الميزان بمعنى أنهم الذين ينقصون - فيما هو مستحق للناس من المكيل أو الموزون - بعضه .

ثم إنه تعالى أنكر على المطففين فعلهم وعجب منه بقوله تعالى «ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم» فيكون المراد هو إثبات أنهم فعلوا فعل من ينكر البعث والحساب يوم الدين . وقد يكون المعنى - والله أعلم - هو بيان أن فعلهم أشد جسامة منه لو فعله الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب أو الذين يشكون فيه، فيكون معنى «ألا يظن» هو تحقيق علمهم بأنهم مبعوثون للحساب والجزاء، وتكون شدة جسامة فعلهم مستمدة من إقدامهم على التطفيف مع علمهم بالبعث والحساب، وصفه تعالى بأنه يوم عظيم، ثم بين أن فيه يقوم الناس خاضعين لحكم الله تعالى وقضائه فيهم . وتبلغ عظمة التعبير أقصى مدى يتصور لغويا، إذا ما عرفنا أن القيام يفترض فيه الانتصاب، وأن «اللام» في «لرب العالمين» تفيد الخفض والخشوع، فيكون قيام الناس وانتصابهم هو خفضهم أنفسهم وإذلالها لله، وربما لهذا كان العبد على أشد ما يكون عليه الإحساس بعلو القدر حين يضع جبهته على الأرض ساجدا لله خاشعا شاعرا بحلاوة العبودية لله .

كَلَّا إِن كُتِبَ

الْفَجَارِ لَنِي سَجِينٌ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَسْجِينُ ٨ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ٩

وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ١٠ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ أَيَّامَ الدِّينِ ١١ وَمَا

يُكْذَّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢

أولا : الأسماء والأعلام :

سجين : قيل هو اسم علم لكتاب جامع هو ديوان الشر، تدون فيه أسماء الكفرة والفجرة

من الإنسان والجن، وتلدن أعمالهم، وقيل إنه يهبط به إلى الأرض السابعة آخر سلطان إبليس فيوضع فيها، وقيل هو خد إبليس يوضع تحته، وقيل هو محبس أو سجن في الأرض السابعة، وقيل هو كناية عن حبس النفس وضيقها الشديد .

ثانياً : التفسير :

جاءت «كلا» في مبتدأ القول لردع المطففين عما هم عليه من التطفيف، ثم جاء قوله تعالى «إن كتاب الفجار لفي سجين» دالاً على أن المطففين يدخلون في زمرة الفجار أو إنهم يكون لهم ذات حكمهم، ومنه أن أسماءهم وأفعالهم تكون مدونة في سجين، ثم خاطب تعالى رسوله ﷺ فقال «وما أدراك ما سجين» فأثبت أنه ﷺ لم يكن له به علم من قبل، ثم بينه تعالى بأنه كتاب مرقوم، والمعنى أنه كتاب رُقم لهم بالشر تضمن أسماءهم وأعمالهم، قيل إنه يكون سجينا في الأرض السابعة، وقيل تحت خد إبليس - وليس في النص ما يشير إلى هذا - غاية ما في الأمر أن إثباته تعالى أن كتاب الفجار يكون في سجين، ثم تعريفه «سجين» بأنه كتاب مرقوم، قد يكون مفيداً أن صحف أعمال الفجرة لا تقبل في السماء، فتعود بها الملائكة إلى الكتاب المدون سلفاً المثبتة فيه أسماءهم وأعمالهم شبه الرقم في الثوب لا يمحي، والذي جعله الله في مكان مثل السجن - تدليلاً على أنه لا يتم فيه تغيير ولا تعديل - فما كتب لهم فيه من شر لابد أن ينالهم .

ثم إنه تعالى توعد بالعذاب - من بعد - المكذبين، ثم بين أنهم الذين يكذبون بيوم الدين، ثم أثبت صفة لازمة لكل من يكذب بيوم الدين هي صفة المعتدى الأثيم، أي أنه يتجاوز حدود النظر والاعتبار، ويكثر من مقارفة الآثام، فيكون إنكاره يوم الدين لإقناع نفسه أنه لا يعذب بأفعاله .

ثم يذكر تعالى فعلاً غالباً له يكون منه دائماً، وهو أنه إذا ما تليت عليه آيات الله المنزل، قال فيها إنها أساطير الأولين، أباطيلهم وقصصهم .



إِذَا تَسَالَىٰ عَلَيْهِ أَيْنُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
 الْأَوَّلِينَ ۝ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ
 عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
 الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝

التفسير:

جاءت «كلا» لردع كل معتد أثيم عن التكذيب بيوم الدين، ثم بين تعالى سبب تكذيب
 المكذبين بذكره أنه قد طمس قلوبهم ما علاها من وسخ كفرهم - شبهه تعالى بالرين وهو
 الصدأ - فلم تبصر الحق ولم تبصره، فأدى هذا إلى أن قالوا كلمة الكفر في القرآن بوصفه أنه
 أساطير الأولين . ثم جاءت «كلا» في قوله تعالى «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون»
 بمعنى «حقاً» لإثبات استحقاقهم المذكور وهو أنهم يخرمون رؤية ربهم يوم القيامة، فيكون
 القول دليلاً على أن المؤمنين يرونه تعالى يوم القيامة، فإذا نظر إليهم سبحانه وتعالى كانت
 نظرتهم إليهم نظرة غضب، وأعقب تعالى هذا بتأكيد أنهم يصلون الجحيم يقاسون نارها فيكون
 عذاباً ثانياً من بعد تعذيبهم بعدم رؤية وجهه الكريم تعالى شأنه. ثم ذكر تعالى أنه يقال لهم
 - ليدى معاناتهم حر الجحيم - إن هذا هو ما كنتم به تكذبون، فيكون القول تقريراً لهم
 وتوبيخاً.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ۝
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝

أولاً: الأسماء والأعلام:

١ - عليون: في قوله تعالى «إن كتاب الأبرار لفي عليين» قيل هي السماء السابعة تكون

فيها أرواح المؤمنين، وقيل هي سدرة المنتهى، وقيل هي فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى، وقيل هي لوح معلق بالعرش، مكتوبة فيه أعمال المؤمنين، وقيل هم الملائكة الملائكة الأعلى.

٢ - المقربون : قيل إن المراد بهم - فى معنى القول - هم مقربو كل سماء من الملائكة، وقيل هو إسرافيل .

ثانياً : التفسير :

جاءت «كلا» فى مبتدأ القول بمعنى «حقاً» ثم أخبر تعالى عن كتاب الأبرار الذين يوفون الناس حقوقهم - مؤكداً - أنه فى عليين، والمعنى هو أن أعمالهم تكون فى كتاب الله فى السماء، وأنه عندما توضع الملائكة بأرواحهم بعد أن يقبضوا بأنبيائهم كتاب من الله مختوم بأمانهم من العذاب ثم خاطب تعالى رسوله ﷺ قائلاً «وما أدراك ما عليون» فبين أنه ﷺ لم يكن له بذلك علم من قبل . ثم بينه تعالى له فقال «كتاب مرقوم، يشهده المقربون» وفى معناه قيل إن : «كتاب مرقوم» ليس تفسيرا لعلين، بل تم الكلام عند «عليون» ثم ابتدأ بقول «كتاب مرقوم» أى كتاب الأبرار كتاب مرقوم . ونرى - والله أعلم - غير هذا، وهو أنه يصعد بصحف أعمال الأبرار إلى عليين متى قبلها الله لموافقتها ما فى قلوبهم من إخلاص، فتوضع فيه وهو الكتاب المرقوم الذى كتب فيه تعالى منذ الأزل أسماء السعداء وأعمالهم، كما دون أسماء أهل الشقاء وأعمالهم فى سجين، فيكون معنى قوله تعالى «يشهده المقربون» مفيداً أن أعمال الأبرار يشهدها أثناء صعودها الملائكة المقربون فى كل سماء، وأنها متى وضعت فى عليين الكتاب المرقوم شهدها الملائكة المقربون حيث هو فى سماء أو فى الجنة.

إِنَّ
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرْوَاحِ يَنْظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ
نُصْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ۝ خِتَمُهُمْ مِنْ نَارٍ ۝ وَفِي
ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ ۝ وَمِنْ رَاجِهِمْ مَنْ تُنْفِخُ عَيْنَايَ شَرْبُهَا
الْمُقَرَّبُونَ ۝

أولاً: الأسماء :

١ - الرحيق : فى قوله تعالى «يسقون من رحيق مختوم» قيل هو أجود الخمر، وقيل هو الخمر الصافية النيرة .

٢ - تسنيم : أصل التسنيم فى اللغة هو الارتفاع؛ ولهذا قيل إن التسنيم عين تجرى فى هواء الجنة بقدرة الله فتصب فى أوانى أهل الجنة .

ثانياً : التفسير :

أخبر تعالى عن الأبرار وهم أهل البر والطاعة الذين يوفون الناس حقوقهم بأنهم يكونون فى نعيم، والمعنى أنهم ينعمون فى الجنة بنعمها، ثم ذكر من أحوالهم أنهم يجلسون على الأرائك ينظرون إلى ما شملهم به الله من كرمه، وبين تعالى ما تكون عليه نفوسهم من الرضاء من ذكره أن من ينظر إليهم يشاهد على وجوههم غضارة النعيم ونوره، ثم ذكر من نعيمهم أنهم يسقون من رحيق مختوم، ختامه مسك، بمعنى أنهم يسقون خمرًا صافية مختومة بمعنى أن آخر طعمها يبقى فى الفم، أو بمعنى أنها ممزوجة بشيء آخر، ثم بين أن آخر طعمها الذى يبقى فى الفم هو طعم المسك، أو أن ما يمزج بها هو المسك، ثم عقب تعالى على هذا بقوله «وفى ذلك فليتنافس المتنافسون» بمعنى أنه فيما وصف من أمر نعيم الجنة الذى يكون للأبرار ليرغب الراغبون، وليعمل العاملون، فالقول تحريض على العمل الذى يورث الجنة ونعيمها. ثم عاد تعالى إلى وصف الرحيق الذى يشربه الأبرار فى الجنة فيبين أن له مزاج، وذلك بذكره أن المزاج هو من تسنيم، وبين ماهية هذا التسنيم فأخبر أنه عين فى الجنة يشرب بها المقربون، قيل إنهم السابقون يكون شربهم من هذه العين، أما الأبرار فإنه تمزج لهم خمر كؤوسهم منها فقط .

إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا مِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾
وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ
حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَاَلْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

التفسير:

أخبر تعالى عن الكافرين الذين أجزموا في حق الله تعالى ورسوله ﷺ وفي دينه، وفي حق أنفسهم بأنهم كانوا يضحكون من المؤمنين استهزاء بهم في الدنيا. قيل إن هذا كان فعل مشركى مكة أمثال أبى جهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل بفقراء المسلمين مثل عمار وصهيب وبلال. ونرى أن الحال قائم في كل زمان أو مكان يعلم فيه سلطان الكافرين، كما ذكر تعالى أنهم كانوا - إذا ما مريهم المؤمنون أثناء سيرهم - يتغامزون عليهم سخرية بهم واستهزاء، وأنهم - أى الكافرون - إذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا متتشين سعداء بسخريتهم من المؤمنين، وأنهم إذا رأوا المؤمنين في مكان قالوا فيهم إنهم ضالون. ثم أثبت تعالى انعدام حق المجرمين في أن يقولوا في المؤمنين كلمة سوء، وذلك بنفيه تعالى أن يكونوا قد أرسلوا عليهم من جهته تعالى حافظين موكلين بحسابهم والشهادة برشد هم أو ضلالهم.

ثم بين تعالى تغير حال الفريقين في الآخرة، فذكر تعالى أنه يوم القيامة أو في كل وقت من زمان الحياة الآخرة يكون من الذين آمنوا أنهم يضحكون من الكفار إذ يرونهم في ذل العذاب وهوانه يرسفون، يضحكون منهم حال كونهم جالسين في الجنة على الأرائك ينظرون إلى الكافرين وما يعانون من صنوف العذاب.

ثم يجيء قوله تعالى - بعد بيان حال الكافرين في الآخرة - «هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون» يتصور فيه أن يكون خطاباً للمؤمنين الذين كان الكافرون يسخرون منهم في الدنيا، فيكون المعنى هو «هل نال الكافرون جزاء سخريتهم بكم جزاء هم الحق، سخريتهم بهم وهم أذلاء». ويتصور فيه أن يكون من قبيل التهكم بالكافرين فيكون المعنى هو «هل نال الكافرون خيراً جزاء لهم على كفرهم وسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا».



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى أحداث يوم القيامة، جاء ذكرها أو وصفها فى شكل جملة شرطية، أداة الشرط فيها «إذا» وفعل الشرط هو جملة الأفعال أو الأحداث التى وردت فى الآيات الخمس، وهى انشقاق السماء، أو تشققها بالغمام.

كما جاء بقوله تعالى «ويوم تشقق السماء بالغمام» أو تشققها من هول يوم القيامة، وسماعها أمر ربها وانقيادها له وطاعته مأخوذة بالحق وبالحقيقة التى جبلت عليها وهى الطاعة، وهى امتداد الأرض، بمعنى زيادة انبساطها وسعتها، ونرى - والله أعلم - أنه ما يكون من زيادة مساحة اليابسة نتيجة لتبخير مياه البحار ولاشتعالها بالنار فىبقى فقط قاعها الصلب، وهى إلقاء الأرض ما فيها وتخليها عنه، قيل إنه يتعلق بإلقاء الموتى.

وزاد البعض فقال إلقاء ما فيها من كنوز، ونرى والله أعلم أنه لما كان باطن الأرض نارا ملتهبة، فإنها تنفجر بإذن ربها يوم القيامة فتلقى ما فى جوفها من معادن وأحجار وتخلي عنه، فتكون قد سمعت أمر ربها وأطاعت مأخوذة بالحق وبالحقيقة التى جبلت عليها.



يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
 إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًا حَافِلًا ١ فَمِمَّا مَنُوتِي كِتَابَهُ
 يَمِينُهُ ٢ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حَسَابًا يَسِيرًا ٣ وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ
 مَسْرُورًا ٤ وَأَمَّا مَنُوتِي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ٥ فَسَوْفَ يَدْعُوا
 ثُبُورًا ٦ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ٧ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٨ إِنَّهُ
 ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ٩ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٠

التفسير:

جاء قوله تعالى «يا أيها الإنسان إنك كادح كدحا فملاقيه» تمهيدا لذكر جواب الشرط، نادى تعالى جنس الإنسان أو كل فرد من أفرادهِ وأخبره عن واقع حاله وهو أنه جاهد مجد فيما يعمل في دنياه من خير أو من شر باذلا غاية جهده، وهو في هذا يجاهد للقاء ربه بالموت الذي يمضي إليه مقتريا كلما اجتهد في عمله ممضيا وقتا في هذا، ثم أثبت تعالى أنه ملاق ربه حتما من بعد كدحه هذا .

ثم يأتي جواب الشرط في شكل جملة شرطية، فيذكر تعالى أن من يؤتى كتابه بيمينه، فإنه يحاسب حسابا يسيرا، بمعنى أنه لا يناقش وأنه يتجاوز فيه عن سيئاته، ثم يكون أن يعود إلى أهله المؤمنين مبتهجا يقول «هاؤم اقروا كتابي» وقيل ينقلب إلى من أعدّه الله له في الجنة من الحور كما يذكر تعالى أن من يؤتى كتابه وراء ظهره بشماله يكون منه أنه يدعو الثبور - وهو الهلاك - ويناديه، وأنه يقاسى حر السعير. ثم بين تعالى أن حاله هذه كانت جزاء على فرحه بكفره وظلمه في الدنيا بذكره أنه كان في أهله فرحا بطرا لا يشغل باله بأمر الآخرة ولا يخشى

عذابها، كما يبين علة اغتراره بالدنيا وإهماله الآخرة بيان أنه اعتقد أنه لن يرجع إلى الله في الآخرة. والمعنى أنه كذب بالبعث فعمل بالهوى. ثم عقب تعالى على عقيدته بعدم الرجوع بقوله «بلى» والمعنى هو إيجاب أنه يعود إلى ربه، ثم بين أنه كان به بصيرا، فدل على أنه محاسبه ومعاقبه بجميع ما كان منه.

فَلَا أَقْسَمُ
بِالشَّفَقِ ۝ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ
طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۝ فَمَاهِمٌ لَا يَوْمُنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ
لَا يَسْجُدُونَ ۝

أولا: الأسماء:

الشفق: هو الحمرة التي تكون عند مغيب الشمس، فإذا غابت وجبت صلاة العشاء.

ثانيا: التفسير:

جاءت «لا» في قوله تعالى «فلا أقسم» صلة، فيكون المعنى هو «أقسم»، وقسمه تعالى كان بالشفق وهو الحمرة التي تكون عند الغروب وتستمر إلى وقت صلاة العشاء، وكان بالليل وما وسق بمعنى ما جمع من أصناف الوحش والحيوان والطيور والإنسان فيه يكون سكنهم من بعد انتشار في النهار، وكان بالقمر إذا تم واستوى وصار بدرا. وجواب الشرط جاء به قوله تعالى «لتركبن طبقا عن طبق» قيل فيه إن الخطاب هو لرسول الله ﷺ أخبره ربه أنه سيركب سماء بعد سماء، ويقترّب من الله رتبة بعد رتبة، وقيل إن الخطاب هو لجنس الإنسان يقول له تعالى إنه سيركب في الدنيا حالا بعد حال بدءا من كونه نقطة إلى أن يموت، وقيل إنه له في الآخرة يخبره تعالى أنه سيركب حالا من بعد حال من شدائد يوم القيامة ونرى - والله أعلم - أن ورود القول من بعد قوله تعالى «والقمر إذا اتسق» يتضمن ضمن ما يتضمن من معان

تصريحا بركوب الإنسان طبقات الفضاء الجوى - غير هذه الممثلة بشواظ من نار ومن نحاس - ليصل إلى القمر.

ثم إنه لما كان شيء قد ذكر من أفعال الشرط ومن جوابه هوفى حد ذاته آية من آياته تعالى الدالة على قدرته، وكان المشهود يخبر بصحة المتلو والمقروء من آياته تعالى فى قرآنه ويدل على أنها من الخالق القادر، فقد جاء قوله تعالى «فما لهم لا يؤمنون» بمعنى أى شيء يمنع الكافرين أن يؤمنوا، فالاستفهام إنكار لعدم إيمانهم وتعجب منه، ثم شمل الإنكار والتعجب ما يكون منهم حين يتلى عليهم القرآن فلا يكون منهم السجود خشوعا لله لعدم تأثر قلوبهم به وقيل «لا يصلون» فيكون الإنكار متعلقا بعدم إيمانهم ثم بعدم أدائهم الفرائض.

• بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

التفسير:

ذكر تعالى واقع حال الذين كفروا مبينا علة عدم سجودهم لدى قراءة القرآن عليهم، فبين أنهم يكذبون بالقرآن وبرسول الله ﷺ، ثم بين تعالى أنه أعلم بما وعت صدورهم من حقد وكرهية لرسول الله ﷺ أدى بهم إلى الإصرار على البقاء على الكفر رغم ظهور الحق لهم، ثم أمر تعالى رسوله ﷺ أن ينذرهم بالعذاب الأليم جزاء على ما فى قلوبهم من حقد أو جزاء على كفرهم، جاء التعبير عن الإنذار بالتبشير تهكما بهم أو مراعاة لرحمته ﷺ بالناس فلم يأمره تعالى بأن ينذر قومه بالعذاب قطييا لقلبه. ثم استثنى تعالى من المنذرين بالعذاب الأليم الذين يؤمنون ويعملون الصالحات، وعدهم تعالى أن يكون لهم أجر المؤمنین جميعا

وهو الثواب الدائم نعيمه في الآخرة، لا يكون له انقطاع .

بسم الله الرحمن الرحيم سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③
قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥
وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ
يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑨

أولاً : الأسماء :

١ - البروج : سبق بيانها، وفي إيجاز فإنه يتصور أن يكون المراد بها أشكال بعض تجمعات النجوم التي رآها الأقدمون وأعطوا لها أسماء تتمشى مع مهتتى الرعى والزراعة، وقسموها اثني عشر برجاً بعدد شهور السنة، تبدأ بظهور برج الحمل في ٢١ مارس، ويتصور أن يكون المراد بها هو منازل القمر، وقد سبق بيانها :

٢ - الأخدود : هو الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق، والمراد به - فى معنى القول - هو الأخدود الذى ألقى فيه ملك كافر بالذين آمنوا باللام هدى إلى الحق بعد أن كان

الملك يعده ليخلف كاهنا كافرا، وذلك بعد أن أوقده نارا، وقد سبق ذكر قصته.

ثانيا : التفسير :

أقسم تعالى بالسما ووصفها بأنها ذات البروج، يتصور فى معنى البروج أن يكون المقصود بها البروج التخيلية لأشكال مجموعات النجوم، ويتصور أن يكون المراد بها منازل القمر. ولعل القسم بهذا يدل على أن النتائج العملية المستخلصة منها فى شئون الزراعة والرعى صحيحة، وإن لم تكن هناك بروج مشيدة فى هيئة كيانات مادية، كما أقسم تعالى باليوم المشهود وهو يوم القيامة، ومن حضره ف شاهد أحداثه وما شوهد فيه من أحداث وأحوال، فيكون المراد بالقسم إرهابا لمنكرى البعث والقيامة، وقيل إن الشاهد هو يوم الجمعة والمشهود هو يوم عرفة، وقيل إن الشاهد هو الله لقوله تعالى «وكفى بالله شهيدا»، وقيل هو رسول الله ﷺ لقوله تعالى «وجئنا بك على هؤلاء شهيدا». وجواب القسم هو قوله تعالى «قتل أصحاب الأخدود» ويتصور فيه أن يكون إخبارا تقريرا بواقع لعنه تعالى أصحاب الأخدود، وهم الملك الكافر الذى ألقى المؤمنين فى أخدود أوقده نارا ومن عاونوه على هذا فى القصة المعروفة السابق ذكرها. ويتصور فيه أن يكون دعاء عليهم باللعنة والهلاك. وعلى الحالين فإن القول يكون توعدا لكفار مكة الذين عذبوا ضعفاء المسلمين المقيمين بينهم بالهلاك على ما حدث فى بدر وبالطرد من رحمة تعالى. ثم عاد تعالى إلى بيان ماهية الأخدود فى القصة، والمشبّه به فعل الكافرين بضعفاء المسلمين، فبين أنه النار ذات الوقود وهو الحطب الذى تشتعل به نار الدنيا، والناس والحجارة وقود نار الآخرة، ثم ذكر تعالى أن اللعنة قد حلت بأصحاب الأخدود الكافرين أثناء عودهم حول النار مشرفين عليها، يحضرون مشاهدين عرض بعضهم البعض الكفر على المؤمنين لئلا يلقوا بهم فى الأخدود، أو أنهم كان بعضهم يشهد لبعض عند الملك بالتزام أوامره بإلقاء المؤمنين فى الأخدود.

ثم ذكر تعالى علة اشتداد نقمة أصحاب الأخدود على المؤمنين. وهى إيمان المؤمنين بالله العزيز الحميد، فيكون القول مبيّنا أنه لم تكن بالمؤمنين علة تبرر التنكيل بهم على النحو الذى كان، وأن العلة إنما كانت كفر الكافرين وظلمهم، ثم وصف تعالى ذاته بأنه الذى له

ملك السماوات والأرض، فيبين أن المؤمنين الذين ألقوا في الأخدود قد آمنوا بهذا: ثم أتبع تعالى هذا بقوله «والله على كل شيء شهيد» بيانا لأنه معذب أصحاب الأخدود بفعلهم ومجازي المؤمنين الشهداء جزاء الشهداء الذين جاهدوا في سبيله.

إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ
يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ⑪ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ⑫ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑬ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي
وَيُعِيدُ ⑭ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ⑮ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ⑯ فَعَالٌ
لِمَا يُرِيدُ ⑰

التفسير:

بدأ تعالى القول - في الآيات - بأن أخبر عن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا عما فعلوا وعن الكفر ويندموا، يتصور فيهم أن يكونوا أصحاب الأخدود، ويتصور فيهم أن يكونوا كفار مكة الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بالعذاب ليرتدوا عن الإسلام، ومثلهم الكافرون في كل زمان ومكان الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات بأسباب كثيرة ليرتدوا عن الإسلام. والذي أخبر به تعالى عنهم هو أنه يكون لهم في الآخرة عذاب جهنم، ويكون لهم فوقه عذاب الحريق في نار أخرى والقول - على هذا النحو - فيه إطماع للذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات في نيل العفو عنهم بالتوبة الصحيحة وبالإيمان.

ثم أخبر تعالى عن المؤمنين الذين قرنوا إيمانهم بعمل الصالحات، فيبين أنه تكون لهم في الآخرة جنات تجري فيها الأنهار، ووصف ما يكون لهم في الآخرة بأنه الفوز الذي يكون صغيره هو المستحق أن يدعى فوزاً، بما يعنى أنه لا يعدله فوز آخر، ثم وصف ما يكون لهم منه بأنه كبير. وعموم لفظ «الذين آمنوا» يشمل المؤمنين عموماً بما فيهم الذين تابوا وآمنوا من بعد فتنهم المؤمنين والمؤمنات .

ثم إنه تعالى عاد إلى توعده كفار مكة الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بالعذاب الشديد، بأنه خاطب رسوله ﷺ مخبراً أن بطشه بالكافرين الظالمين شديد، ثم دلل على قدرته على البطش بهم بالتذكير بأنه الذى يبدأ الخلق، والذى يعيده فى الآخرة بعد فناءه، ثم أتبع هذا بفتح السبيل أمام الكافرين للخلوص من بطشه بهم بالإخبار عن ذاته بأنه الغفور الودود، والمعنى أنه يغفر لمن تاب منهم وآمن، وأنه يكون ممن يحبهم من التائبين الذين يدخلون بتوبتهم وإيمانهم فى عداد عباده الصالحين. ثم وصف تعالى ذاته بأنه ذو العرش المجيد وبأنه فعال لما يريد، بين مدى عظمته ببيان أنه مالك العرش الذى هو أعظم المخلوقات وبأنه المجيد بذاته، فدل على عدم احتياجه إيمان المؤمنين أو انتفاعه بإيمانهم، وعلى أنهم هم الذين يفيدون من إيمانهم، وأثبت أنه تعالى هو الذى يفعل ما يريد بمجرد المشيئة، فيكون المستفاد أنه تعالى كان قادراً على أن يقسر الكافرين على الإيمان، فإذا كان قد خيرهم بين الإيمان والكفر— مع علمه بما يكون منهم — فلكنى يقيم عليهم الحجة من أنفسهم بعذابهم، ثم إن القول يؤمل التائبين فى المغفرة لدخولها فى محيط الأعمال التى يقدر عليها تعالى شأنه بمشيئته .

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۖ فِرْعَوْنٌ وَشِمُودٌ ۖ بَلِ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۖ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۖ بَلِ
هُوَ قَرِيبٌ أَنْ مَجِيءٌ ۖ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۖ

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن بطشه بالكافرين شديد وأنه فعال لما يريد، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ فأخبره بطريق التلميح أنه معذب الذين يصرون على تكذيبه من قومه كما عذب المكذبين من قبل، فدلل له على ذلك بتذكيره بما كان منه تعالى مع الجنود، فالاستفهام في قوله تعالى «هل أتاك حديث الجنود» هو لإقرار أنه ﷺ قد أتاه حديثهم، ثم بين تعالى أن الجنود المعنيين بالقول هم فرعون وجنوده وثمود.

ثم أخبر تعالى رسوله ﷺ أن الذين كفروا من قومه قد ماثلوا فرعون وجنوده وماثلوا ثمودا في التكذيب فاستحقوا جزاءهم. ثم أعقب هذا بذكر قدرته تعالى على إهلاكهم بقوله «والله من ورائهم محيط» فدل على أنهم لا يملكون منه فرارا إن أراد أن يهلكهم بعذاب.

ثم بين ضلالهم عن الحق ببيان أن ما كذبوا به هو قرآن مجيد. فهو كلام الله المحفوظ في الصدور والمقروء، وهو المجيد بذاته الذي لا يبلغ قدر شرفه وبركته شيء، حفظه الله قبل أن يحفظه في الصدور وفي المصاحف في اللوح المحفوظ، ثم نزل محفوظا إلى خير خلق الله، ليبقى محفوظا كما كان في اللوح المحفوظ.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ الْجَنَّمَ الشَّاقِبِ ۝
إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝

أولاً: الأسماء :

الطارق : قيل هو زحل الكوكب الذى فى السماء السابعة، وهو ما نراه غير صحيح - والله أعلم - فزحل ليس بنجم وإنما هو كوكب، ثم إنه من مجموعة كواكب الشمس التى هى أقرب النجوم إلينا فلا يتصور أن يكون فى السماء السابعة، وقيل هو الثريا. وقيل هو نجم رمى به تعالى الأرض فامتلأت نوراً فزع منه أبوطالب وكان جالساً فى حضرة رسول الله ﷺ، فقال له ﷺ: هذا نجم رمى به.

وإذا صح الخبر فإنه يكون نيزكاً ولا يكون نجماً. والذى نراه - والله أعلم - أنه تعالى قذ بين ماهيته بذكره أنه النجم الثاقب، فيكون هو النجم الميت الذى يسمى «الثقب الأسود» يتلغ بشدة جاذبيته أى جرم يقترب منه وهو ثاقب لأنه يثقب الفضاء الكونى أثناء جريانه، فهو يكنس جاذباً إليه كل ما يصادفه مخلفاً وراءه نفقا أو ثقباً عظيماً خالياً من المادة والطاقة فيكون ثاقبا للفضاء فعلاً.

ثانياً : التفسير :

أقسم تعالى بالسماء قسماً وبالطارق قسماً آخر، ثم بين لرسوله أنه لم يكن يعلم شيئاً عن الطارق، ثم بينه له بذكر ماهيته وهو أنه النجم الثاقب - على ما بينا آنفاً - ثم جاء جواب القسم فى قوله تعالى «إن كل نفس لما عليها حافظ»، بمعنى أن كل نفس من أنفس البشر قد وكل بها حفظة من الملائكة يحفظون عليها رزقها وعملها وأجلها، وقيل إن المراد بالحافظ هو الله تعالى، وقيل عقل الإنسان يرشده إلى صالحه ويبعده عن ضرره .

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ رُمِّ خُلِقَ ٥
خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧ إِنَّهُ عَلَى
رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى حث الناس على العمل للأخرة بتذكروا ما يكون فيها من حساب وجزاء، بدأ تعالى بتذكير كل فرد من جنس الإنسان بكيفية خلقه أو بطلبه منه أن يتفكر فى هذا، ثم بين ما يفترض أن يستخلصه كل فرد وهو أنه خلق من منى يتدفق من الرجل فى المرأة فيمتزج بيوضة تكون منها ليكون مبدأ خلق الفرد من جنس الإنسان - فيما خلا عيسى عليه السلام الذى لم يخلق من ماء رجل - ثم بين تعالى أن الحيوان المنوى الذى يكون فى ماء الرجل يجد مصدره فيما يكون بين صلب الرجل وهو ظهره، وفيه إشارة إلى دور حبال الأعصاب ودور النخاع العظمى، وبين تراثه وهى عظام صدره، ويتصور فى القول أن يكون المراد به أن مبدأ الخلق يكون باختراق الحيوان المنوى للرجل الذى يكون مصدره صلب الرجل بيوضة المرأة التى يكون مصدر وجودها من جهة تراثها. وأتبع تعالى هذا بذكره ما يجب أن يخلص إليه كل فرد من جنس الإنسان، وهو أنه تعالى قادر على أن يبعثه للحساب والجزاء من بعد موته. ثم بين تعالى أن هذا البعث والرجوع إليه تعالى يكون يوم اختبار ما خفى فى القلوب من العقائد والنيات، إذ يكون الحساب على الأعمال بمدى موافقتها النيات المعقودة عليها القلوب. وهذا اليوم هو اليوم الذى لا يكون للإنسان قوة من نفسه يدفع بها ما قدره الله له من عذاب إن كان من المعذبين، ولا يكون له ناصر من الغير، أو من خارج نفسه.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُكَ
فَصَلِّ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ
كَيْدًا ۝ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُودًا ۝

أولاً: الأسماء:

١ - الرجوع: هو المطر، لأن السماء ترجع به مرة بعد مرة، أو لأن السحاب يكون من ماء الأرض ثم يكون رجوعه إليها مطراً.

٢- الصدع : هو الشق العميق - فى الأصل - واستعمل فى كل شق ولو كان هينا بسيطا مثل ما يكون فى الأرض بخروج النبات منها .

٣- الرويد : فى قوله تعالى «أمهلهم رويدا» تصغير «رود» وهو الإمهال، فيكون الرويد هو الإمهال القليل .

ثانيا : التفسير :

أقسم تعالى بالسماء - والمراد بها الغلاف الجوى للأرض - التى يكون منها المطر، وبالأرض التى يكون فيها الصدع أو الشق بفعل النبات - على ما قيل - يخرج منه . ونرى - والله أعلم - أن المراد به هو الشق العظيم الذى يصبح بحرا مثل البحر الأحمر الذى هو فلق حدث فى قشرة الأرض، ومثل المحيط الذى فصل استراليا عن العالم، وقبله الصدع العظيم الذى فصل القارات عن بعضها، فيكون قوله تعالى مشيرا إلى الدورة المسخرة المستمرة بين المحيطات والبحار والأنهار وبين سحب الغلاف الجوى والمطر . وجواب القسم هو أن القرآن هو القول الفصل فى كل ما اختلف فيه لكونه الحق الذى لا يناله شك . وهو بهذا الفيصل بين الحق والباطل، ثم إنه تعالى نفى عن القرآن أن يكون منطويا على هزل، وقد يكون المراد - والله أعلم - هو بيان علو شأنه عن أن يكون مادة هزل ومزاح من الفجار أو سخرية من جانب الكفار على نحو ما كان من التارحين اقتحموا مساجد بغداد وأعدوا على قدسية المصاحف . ومثل ما يحدث من أعداء الله من اجتراء على تمزيق المصاحف فى الأقصى ومساجد فلسطين فيكون مفاد القول أنه تعالى ينتقم من كل من لا يرعى قدسية القرآن العظيم .

ثم جاء قوله تعالى «إنهم يَكِيدُونَ كيدا وأَكِيدُ كيدا» مثبتا أن الكافرين يكيدون لإطفاء نور الله الذى بتلاؤه قرآنه، وأنه تعالى يكيد لهم، قد يكون بإرخاء العنان لهم ليزدادوا إثما فيكون أخذه إياهم أخذًا ويلا؛ ولهذا فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ، والأمر يسرى على كل من ولى أمر المسلمين فى كل أن يمهل الكافرين، بعدم تعجل الانتقام منهم، وأن يكون إمهال إياهم قليلا، فيكون القول بمثابة توجيه إلى عدم تعجل فعل الانتقام وإمهال الكافرين إلى أن يتم الاستعداد الجيد لقتالهم، دليل هذا أنه بعد نزول النص أمر تعالى رسوله بقتال الكافرين .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى
③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَ نُجُشًا ⑤ أَحْوَى ⑥

أولاً : الأسماء :

١ - الغشاء : هو - فى الأصل - ما يرمى به السيل على جانب الوادى من الحشيش والنبات، والمراد به - فى معنى القول - هو المختلط، المتعدد الأنواع .

٢ - الأحوى : هو ما مال لونه إلى السواد، أو ما به سمرة من «الحوة» وهى السواد .

ثانياً : التفسير :

أمر تعالى رسوله ﷺ، والأمر ينصرف إلى كل مؤمن أن يتزه أسماء الله تعالى عما لا يليق بها، فمن ذلك مثلاً عدم إطلاق اسم مما اختص تعالى به ذاته على أحد، مثل اسم الخالق، والرحمن، وعدم تأويل اسم بغير مقتضى، وعدم إبقاء اسم على ظاهره إذا كان قد ذكر لأمر خاص لا يتعداه، وكان فى غيره لا يليق به تعالى، ومنه عدم النطق به فى محل لا يليق به. ثم وصف تعالى ذاته بأنه الذى خلق فسوى، بمعنى أنه الذى خلق كل نوع من أنواع خلقه، وسوى أعضائه لتكون هى الأنسب لمباشرة شئون حياته، وأنه الذى قدر فهدى، بمعنى أنه الذى قدر الأقدار لكل خلق من خلقه - كبراً أم صغراً - ثم هدها إلى ما ينبغى أن يكون عليه سلوكه وتصرفه. وآية ذلك مثلاً أنه قدر لحبة القمح أن يأكلها طير، فأسقطها فى الأرض، وأنزل

عليها المطر، وهياها لأن تنتفخ وتخرج جذرها يشتها في الأرض، وليخرج ساقها فيخترق التربة، ثم ينمو ويخرج سنبله يجف بفعل الشمس وتذروه الريح فيسقط على الأرض، ثم يجعل غريزة حب الحياة تدفع طيرا بذاته إلى البحث في الأرض فيجد حبة القمح فيأكلها مهتديا إليها من الله . وأنه إذا قدر للإنسان أن يكون من المهتدين، فإنه يخلق له الظروف التي تهيب له أن يستعمل عقله على نحو صحيح فيكون منه الإيمان، ونضرب مثلا لهذا ما كان من «فاتك» الشاعر الذي كان قاطع طريق، حين كان يعد سلاحه ليخرج به في إغارة له ثم سمع قارئاً يتلو قوله تعالى «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» فقال «بلا» ورمى سلاحه وتاب وأصلح. قدر له تعالى الهدى، فهداه إلى أن يهتدى. ثم وصف تعالى ذاته بأنه الذي أخرج مرعى الحيوان من الأرض وعدده ليكون خليطا من نباتات وحشائش متنوعة، يأكلها الحيوان خضراء ويأكلها يابسة مال لونها إلى السواد. وقد يكون وصفه تعالى هذا هو بيان لهيئته تعالى على جميع خلقه، حتى إذا كان قد اختار لهم دينا وكتابا، كان المتعين قبوله أنه اختيار من ينقطع كل قول إذا كان قوله.

سَقَّرُكَ

فَلَا نَسَى ① إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ② وَيُخَوِّفُ ③ وَيُنِيرُ ④
لِلْيُسْرَى ⑤ فَذَكِّرْ ⑥ إِنْ نَفَعِ الذِّكْرَى ⑦

التفسير:

أعلم تعالى رسوله ﷺ أنه سيقرؤه القرآن بمعنى أن جبريل عليه السلام سيقراه عليه وطمأنه إلى أنه لن ينساه، وإنما يحفظه في قلبه ليعلمه المؤمنين بعد أن يشربه الناس أجمعين، ثم جاء قوله «إلا ما شاء الله» بمعنى أنه إذا أراد الله أن ينسبك منه شيئا، فعل ولم يشأ تعالى هذا. ونرى - والله أعلم - أن الاستثناء هو من القراءة كان القرآن العظيم قد تضمن

كل شيء إلا ما شاء الله أن يختص ذاته بعلمه - فإنه كان منه تعالى - أنه لم يقرء به رسوله ﷺ، فكان هذا هو ما لم يشأ تعالى أن يعلمه به، ثم أخبر تعالى عن ذاته بأنه يعلم ما يجهر به ويفصح عنه من القول، وما أخفى في الصدور والمعنى أنه تعالى يعلم أن ما يجهر به رسول الله ﷺ من القرآن على الناس يوافق ما أودعه الله في قلبه منه، فيكون القول زيادة في طمأنته ﷺ أنه لا ينسى من القرآن شيئاً. ثم زاده الله طمأنة بأن أعلمه أنه سيسر عليه كل صعب ليكون الانتقال منه يسيراً إلى ما هو أسير منه، فمن بعد تحفيظه القرآن يعلمه معانيه، ثم يسر له الإبلاغ به. ومن بعد معاداة المشركين له، يكون من أبنائهم وإخوتهم من يؤمن له فتضعف شوكة الباقين على الكفر، فيسهل عليه إقناع البعض منهم بالدين، ويسهل عليه قتال الآخرين. ثم إنه لما كان من هذا التيسير أنه يعلم الناس بالقرآن العقيدة الصحيحة، والشرعة التامة الصلاح، الكاملة النفع، فإنه تعالى أمره أن يذكر بالقرآن، فيؤمن به من ينفعه هذا التذكير تبشيراً وإنذاراً، وهو من يخاف وعيداً.

سَيَذَكِّرُكَ مِنْ يُخَشِي ⑩
وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪ الَّذِي يَصْلِي النَّارَ الْكُبْرَى ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬

التفسير:

لما كان منه تعالى أن أمر رسوله ﷺ بالتذكير بالقرآن، فإنه أعلم رسوله ما سيكون من الناس مع هذا التذكير، فذكر له أنه سيتفع بهذا التذكير فيكون منه التذكر من كان من شأنه أن يخشى الله حق خشيته، وأنه سيتجنب الذكرى، ويعرض عن سماع آيات الذكر من كتب عليه الشقاء الأبدى، وهو الكافر المصر على الكفر، الذي يصم أذنيه عن السمع، وهو من قدر الله عليه بشقوته أن يصلى في الآخرة النار الكبرى - قيل إنها الدركة السفلى من دركات النار - يخلد فيها، لا يموت فلا يشعر بالعذاب، ولا يحيا حياة الناس التي يكون فيها الخير والشر، بل يحيا للعذاب وحده وفيه، فلا تكون حياته فيه حياة.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝
 بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَفِي
 الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝

التفسير:

القول - فى الآيات - هو فى بيان ما يكون من الناس مع التذكير بالقرآن، وفى بيان أثر ذلك معهم. بدأ تعالى بإيراد الحكم العام وهو أن من تطهر من دنس الكفر والشرك بالإيمان بالقرآن، ورسخ فى قلبه الإيمان فاستقر فيه ذكر الله ثم نطق لسانه، ولم يفرط فى العبادات المأمور بها وأما الصلاة - وهى صلاة المسلمين - فإنه يكون قد حقق الفلاح بنجاته من العذاب وظفره بالنعيم الموعود به فى القرآن .

ثم بين تعالى أنه لا يكون من الناس جميعهم ما يكسبهم هذا الفلاح، لأن الناس قد جبلوا على حب الحياة الدنيا، فهم يسعون لكسبها دون الآخرة، فيكون من زكى نفسه بالتطهر من حب الدنيا هو الجدير أن يكون له خير الآخرة التى عمل لها؛ ولهذا جاء قوله تعالى «والآخرة خير وأبقى» تقريرا لواقع، وتوبييحا وعتابا للذين يؤثرون الحياة الدنيا وبيانا لفساد اختيارهم ووعدا للذين آثروا الآخرة بأن يكون لهم ثوابها الذى هو خير من ثواب الدنيا وأبقى لأنه يدوم ولا يفنى .

ثم إنه تعالى أخبر أن خيرية ثواب الآخرة على ثواب الدنيا فى النوع وفى الدوام، هو أمر قد أثبتته تعالى فى الصحف الأولى التى أنزلها على رسله، فسرهما وبينها أنها صحفة التى أنزلها على إبراهيم فبشر بها وأنذر هو ومن جاء بعده من الرسل، وأنها صحفة التى أنزلها على موسى عليه السلام، والتى بعث بها إلى فرعون وقومه. وهى غير التوراة التى بعث بها إلى بنى إسرائيل. فيكون المراد إثباته هو سبق إيلاح الناس بهذه الحقيقة وثوارثهم العلم بها.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ① وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ② عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ ③ تَصَلَّى نَارًا أَحَامِيَةً ④ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ ⑤ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ
إِلَّا مِنْ ضَرِيرٍ ⑥ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ⑦

أولاً : الأسماء :

١ - الغاشية : هي القيامة، تغشى الناس بأهوالها، وقيل هي النار يغشاها أهلها ويقحمون فيها .

٢ - الناصب : في قوله تعالى «عاملة ناصبة» هو من نال منه التعب والإرهاق حد النصب .

٣ - الأني : في قوله تعالى «تسقى من عين آية» هو ما تنأى حره .

٤ - الضريع : في قوله تعالى «ليس لهم طعام إلا من ضريع» هونبت ذو شوك يسمى «الشبرق» إذا كان رطباً، فإذا ما يسس فهو الضريع .

ثانياً : التفسير :

الخطاب - في الآيات - إلى رسول الله ﷺ - والاستفهام في القول جاء للتعجب مما في القول وللتشويق إلى سماعه . وهو في شأن القيامة التي تغشى الناس أهوالها، ذكر تعالى أنه تكون فيه وجوه أقوام ذليلة كالحة، وهي وجوه الكافرين والمكذبين، وقيل وجوه اليهود والنصارى، وأنها تكون عاملة ناصبة تعب، والمراد أن أصحابها يكونون قائمين على أشق الأعمال من جر السلاسل والأغلال صاعدين بها تلال النار تعين مرهقين . وقيل إن هذا هو شأنهم في الدنيا عملوا وتعبوا في عبادة غير الله وفقاً لما ليس من دينه الذي ارتضى لعباده

فلم تنفعهم عبادتهم ولم ينفعهم عملهم، ثم بين تعالى أن أصحاب هذه الوجوه يصلون نارا حميت فاشتد حرها، وأنهم يسقون من عين تنهى حرسائها الذي يشربون، ثم أتبع تعالى هذا بذكره أنهم لا يكون لهم طعام وقذاك إلا من نبت الشوك الجاف المسمى بالضريع، قد يكون هو الغسلين والزقوم يتغير حاله من شيء إلى آخر، وقد يكون ضربا فى وقت ويكون زقوما أو غسلينا فى وقت آخر. ثم وصفه تعالى بأنه لا يفيد شيئا - والمراد أنه لا يكون من وراء أكله إلا التعذيب به - فلا هو يسمن ولا هو يذهب الإحساس بالجوع .

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعَةٌ ۝
لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةٌ ۝ فِيهَا
عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ
مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزُرَّابِي مَبْشُوثَةٌ ۝

أولا : الأسماء :

- ١ - النمارق : فى قوله تعالى «ونمارق مصفوفة» جمع، مفردة «نمرقة» وهى الوسادة .
- ٢ - الزرابى : فى قوله تعالى «وزرابى مصفوفة»، جمع مفردة «زربية» وهى البساط الذى فيه مخمل رقيق.

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى ذكر أحوال أهل الجنة يوم القيامة عبر تعالى عن سعادتهم وبشرهم بما يكون على وجوههم من بهاء ونضارة كنى عنهما بالنعومة، ثم بين تعالى أن أصحاب هذه الوجوه كانوا بسبب سعيهم فى الدنيا من أجل الآخرة راضين بعاقبة أمرهم فى الآخرة، إذ رضى الله عنهم وأرضاهم، كما بين أنهم يكون لهم الرضا وهم مستقرون فى جنة عالية المكانة والمكان، لا يقال فيها حديث لغو لا يفيد «لاتسمع فيها لاغية» ثم وصف تعالى بعض ما هو كائن فى هذه الجنة، فذكر أن فيها عينا تجرى بالماء لا ينقطع جريانه، وأن فيها سررا مرفوعة مكانة، ورفيعة قدرا أعدت لأهل الجنة، وأكوابا موضوعة بين أيديهم، ووسائد صف بعضها جوارى بعض ليتكىء عليها أهل الجنة، كما أن فيها أبسطة مبسوطة متفرقة فى المجالس حيث يجلسون. والمراد بهذا هو الإخبار عن مدى تنعم أهل الجنة بذكر ما يعلمه الناس من مظاهر النعيم، ويبقى ما ليس لهم أن يدركوه مما يكون لهم مما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال بشر.

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾
وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان مدى قدرته على الفعل التى لاحد لها، ذلك أنه لما نزل قوله تعالى فى بيان حال الكافرين والمؤمنين إذ تغشاهم الغاشية، تندر منكرو البعث على ما سمعوا أن السرر تكون مرفوعة بقولهم «كيف يصعد عليها» فجاء قوله تعالى «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت» لإثبات أنهم لو كانوا أصحاب عقول لأدركوا قدرته تعالى على فعل كل عجيب بحكمة لا متناهية، ضرب لهم الأمثال بما يخبرونه ويعايشونه فى بيئتهم، فهذه الإبل الضخمة لو تأملوا فى خلقها وكيف جعلها الله تكتفى لطعامها بما يخرج فى الصحراء من نبات لا تأكله آكلات العشب، وتصبر على الظمأ صبرا ليس لغيرها من جنس الحيوان، ثم هى من ضخامتها وقوتها مذلة منه تعالى فتنقاد لطفل صغير، ثم إنها مع ارتفاعها تترك ليركها، أفلا يكون من فعل هذا قادرا على أن يذل السرر العالية لأهل الجنة، ثم ذكر تعالى السماء التى لو تفكروا فى كيفية رفعها وإمسакها لأدركوا أن من خلقها ورفعها قادر على أن يبعث الأموات فينعم منهم المؤمنين ويعذب الكافرين، ثم ذكر لهم الأرض التى يعيشون عليها ويسرون فى طرقها، لو تفكروا فى كيفية بسطها وتمهيدها ليسهل عليهم العيش عليها، لأدركوا أن الذى فعل هذا قادر على أن يحيى الموت، وأن ينعم منهم من يشاء ويعذب من يشاء.

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ
عَلَيْهِمْ مُصِيطِرٌ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الكافرين لو نظروا وتدبروا لأدركوا أن ما يدعوهم إليه رسول الله ﷺ هو الحق، فإنه أمر رسوله أن يذكرهم بالقرآن العظيم، ليكون عليهم دليلاً من آيات الله، ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه غير مكلف بغير هذا، وعلّة هذا أنه ﷺ ليس بمتسلط عليهم وعلى قلوبهم يأمرهم بالإيمان فيؤمنوا. ثم بين تعالى أنه يفترض بعد أن ينذرهم رسول الله ﷺ أن يؤمنوا بقوله تعالى «إلا من تولى وكفر، فيعذبه الله العذاب الأكبر» جاءت «إلا» فى القول بمعنى «لكن» لبيان أن من يكون منه بعد الإنذار بالقرآن الإعراض عن الإيمان والإصرار على الكفر، فإنه تعالى يعذبه العذاب الأكبر، وهو عذاب الآخرة.

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - تفسير لكيفية تعذيبه الكافرين العذاب الأكبر فى الآخرة، فبين أن مرجعهم حين يبعثون من بعد الموت إنما يكون إليه تعالى، يحاسبهم على كفرهم وعلى أعمالهم على وجه حتمى بدلالة أنه تعالى شبهه بما هو واجب عليه، فيترتب على هذا الحساب تعذيبهم العذاب الأكبر.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ﴿٤﴾
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴿٥﴾

أولاً : الأسماء :

١ - الفجر : المراد به - فى معنى القول - جنس الفجر وليس فجر يوم معين ، وهو الفجر الصحيح ، أول انشقاق النور ، وقيل عمود الفجر وضوؤه .

٢ - الليالى العشر : هى العشر الأوائل من الأضحى التى قال ﷺ إنه ما من أيام فيها العمل أحب إلى الله من أيام العشر .

٣ - الشفع : قيل هو يوم النحر ، وقيل هو بعض الصلاة ، وقيل هو الخلق لأنه تعالى خلق من كل شئ زوجين .

٤ - الوتر : قيل هو يوم عرفة ، وقيل هو بعض الصلاة ، وقيل إنه تعالى هو الوتر .

٥ - الحجر : فى قوله تعالى «هل فى ذلك قسم لذى حجر» هو العقل يحجر صاحبه - بمعنى يمنعه - عن التهافت على هوى النفس .

ثانياً : التفسير :

أقسم تعالى بالفجر جنسه ، وبالليالى العشر الأوائل من الأضحى ، وبالصلاة ، الشفع منها والوتر ، وبالليل إذا أدبر ، ثم بين فخامة المقسم به بيان أن القسم بهذه المذكورات العظيمة عظيم القدر لعظم المقسم به عند كل ذى عقل سليم .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۖ^٦
إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۖ^٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۖ^٨ وَثُمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۖ^٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۖ^{١٠} الَّذِينَ طَغَوْا
فِي الْبِلَادِ ۖ^{١١} فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ۖ^{١٢} فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ
سَوْطَ عَذَابٍ ۖ^{١٣} إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ ۖ^{١٤}

التفسير:

مضمون قوله تعالى - فى الآيات - هو جواب القسم، وهو أنه تعالى يعذب الكافرين المكذبين فى الدنيا مع تعذيبهم فى الآخرة العذاب الأكبر، جاء بيان هذا بذكره ما فعل بالمكذبين استشهد تعالى بعلم رسوله ﷺ بما فعله بقبيلة عاد - وقد سبق التعريف بها وبيانها - ثم بين أن المراد هو عاد الأولى بقوله «إرم ذات العماد» بمعنى أن القبيلة هى سبط إرم بن سام بن نوح التى امتاز أفرادها بالعماد وهو طول القامة ومثانة البنيان مثل الأعمدة - وقيل هى دمشق - ثم وصفها تعالى بأنه لم يخلق مثلها فى البلاد، بمعنى أنه لم يخلق مثل أفراد القبيلة فى ضخامة الأجسام والقوة آخرين فى البلاد، وقيل إنه لم يخلق فى بهاء دمشق وجمالها بلدا آخر.

ثم استشهد تعالى بعلم رسوله ﷺ بما فعل تعالى بقبيلة ثمود - وقد سبق التعريف بها وبيانها - وصف تعالى أفرادها بفعلهم وهو قطعهم صخر الجبال واتخاذهم فيها بيوتا منحوتة، وبين أن هذا كان بمكان يعرف بالوادى - قيل هو وادى القرى - وقيل إنهم قطعوا الصخر بمعنى أنهم شقوه وأجروا فيه واديا فيه الماء يجرى، فيكون الفعل مظهرا من مظاهر قوتهم .

ثم استشهد تعالى بعلم رسوله ﷺ بما فعل بفرعون، وصفه بأنه ذو الأوتاد لكثرة جنوده الذين كانوا ينصبون خيامهم كثيرة على أوتادها. وقيل لأنه معذب عذاب من يقيد فى أوتاد أربعة لينال مطروحا من صنوف العذاب ما ينال .

ثم وصف تعالى هؤلاء الكافرين المعذبين بأنهم الذين طغوا فى البلاد، بمعنى أنهم أفرادا وجماعات قد ارتكبوا الطغيان فى بلادهم، وبأنهم أكثروا فى بلادهم الفساد بإشاعة الكفر ونشر العصيان .

ثم بين تعالى - فى إيجاز - فعله فيهم بقوله «فصب عليهم ربك سوط عذاب» بمعنى أنه أنزل على كل منهم صنفا من العذاب، جاء تشبيه العذاب بالسوط الذى يضرب به، لبيان استمرارية العذاب استمرار الضرب بالسوط إلى أن يكون الهلاك بالتعذيب ثم بين تعالى أن تعذيبه المكذبين الكافرين هو أثر من آثار ترصده المكذبين بعذابه لا يفلتون منه. والقول - بهذا المعنى - هو توعده للمكذبين من قومه ﷺ بالعذاب .

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
رَبُّهُ فَانْكَرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝^{١٥} وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝^{١٦}

التفسير:

لما كان تعالى قد بين بقوله «إن ربك لبالمرصاد» أنه تعالى يحب من المرء أن يعمل لأخوته، فإنه أثبت في الآيتين أن الإنسان لا يهتم إلا بالدنيا، دلل تعالى على هذا بما يكون من الإنسان حين يبتليه ربه ويختبره بإكرامه وبالإلزام عليه بالخير في جميع صورته وأشكاله، وبما يكون منه إذا ما كان ابتلاؤه واختباره بالإمساك عليه بأن يقدر عليه رزقه. فذكر تعالى أنه إذا ما كان الابتلاء بالخير فإن الإنسان يقول إن ربه أكرمه، لا يذكر أنه تعالى أنعم عليه وتفضل، فيكون الإكرام متصورا فيه أن يكون لأفضلية خاصة له عند ربه، وإذا ما كان الابتلاء بالشر، فإنه يكون منه أنه يقول إن ربه أهانه، والمعنى أنه لا يصبر، وأن سوء فكره يدفعه إلى اعتبار إمساك الرزق إهانة له، غافلا عما يكون وراء ذلك من حكمة.

كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۝^{١٧}
وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝^{١٨} وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا
لَمًّا ۝^{١٩} وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمَاهُ ۝^{٢٠}

أولا: الأسماء:

١ - التراث: هو الميراث. ٢ - اللمم: في قوله تعالى «أكلالما» هو الجمع.

التفسير:

جاءت «كلا» لتكذيب قول الإنسان في الحالين، حال اختباره بالنعمة، وحال اختباره

التفسير:

مضمون قوله تعالى - فى الآيات - هو جواب القسم، وهو أنه تعالى يعذب الكافرين المكذبين فى الدنيا مع تعذيبهم فى الآخرة العذاب الأكبر، جاء بيان هذا بذكره ما فعل بالمكذبين استشهد تعالى بعلم رسوله ﷺ بما فعله بقبيلة عاد - وقد سبق التعريف بها وبيانها - ثم بين أن المراد هو عاد الأولى بقوله «إرم ذات العماد» بمعنى أن القبيلة هى سبط إرم بن سام بن نوح التى امتاز أفرادها بالعماد وهو طول القامة ومتانة البنيان مثل الأعمدة - وقيل هى دمشق - ثم وصفها تعالى بأنه لم يخلق مثلها فى البلاد، بمعنى أنه لم يخلق مثل أفراد القبيلة فى ضخامة الأجسام والقوة آخرين فى البلاد، وقيل إنه لم يخلق فى بهاء دمشق وجمالها بلداً آخر.

ثم استشهد تعالى بعلم رسوله ﷺ بما فعل تعالى بقبيلة ثمود - وقد سبق التعريف بها وبيانها - وصف تعالى أفرادها بفعلهم وهو قطعهم صخر الجبال واتخاذهم فيها بيوتا منحوتة، وبين أن هذا كان بمكان يعرف بالوادى - قيل هو وادى القرى - وقيل إنهم قطعوا الصخر بمعنى أنهم شقوه وأجروا فيه واديا فيه الماء يجرى، فيكون الفعل مظهراً من مظاهر قوتهم .

ثم استشهد تعالى بعلم رسوله ﷺ بما فعل بفرعون، وصفه بأنه ذو الأوتاد لكثرة جنوده الذين كانوا ينصبون خيامهم كثيرة على أوتادها. وقيل لأنه معذب عذاب من يقيد فى أوتاد أربعة لينال مطروحا من صفوف العذاب ما ينال .

ثم وصف تعالى هؤلاء الكافرين المعذبين بأنهم الذين طغوا فى البلاد، بمعنى أنهم أفراداً وجماعات قد ارتكبوا الطغيان فى بلادهم، وبأنهم أكثروا فى بلادهم الفساد بإشاعة الكفر ونشر العصيان .

ثم بين تعالى - فى إيجاز - فعله فيهم بقوله «فصب عليهم ربك سوط عذاب» بمعنى أنه أنزل على كل منهم صنفاً من العذاب، جاء تشبيه العذاب بالسوط الذى يضرب به، لبيان استمرارية العذاب استمرار الضرب بالسوط إلى أن يكون الهلاك بالتعذيب ثم بين تعالى أن تعذيبه المكذبين الكافرين هو أثر من آثار ترصده المكذبين بعذابه لا يفلتون منه. والقول - بهذا المعنى - هو ترعد للمكذبين من قومه ﷺ بالعذاب .

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
رَبُّهُ فَقَرَّمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ⑤
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ⑥

التفسير:

لما كان تعالى قد بين بقوله «إن ربك لبالمرصاد» أنه تعالى يحب من المرء أن يعمل لآخرته، فإنه أثبت في الآيتين أن الإنسان لا يهتم إلا بالدنيا، دلل تعالى على هذا بما يكون من الإنسان حين يبتليه ربه ويختبره بإكرامه وبالإنعام عليه بالخير في جميع صوره وأشكاله، وبما يكون منه إذا ما كان ابتلاؤه واختباره بالإمساك عليه بأن يقدر عليه رزقه. فذكر تعالى أنه إذا ما كان الابتلاء بالخير فإن الإنسان يقول إن ربه أكرمه، لا يذكر أنه تعالى أنعم عليه وتفضل، فيكون الإكرام متصورا فيه أن يكون لأفضلية خاصة له عند ربه، وإذا ما كان الابتلاء بالشر، فإنه يكون منه أنه يقول إن ربه أهانه، والمعنى أنه لا يصبر، وأن سوء فكره يدفعه إلى اعتبار إمساك الرزق إهانة له، غافلا عما يكون وراء ذلك من حكمة.

كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَهُونَ الْيُسْرَ ⑦
وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ⑧ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا
لَمًّا ⑨ وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ⑩

أولا: الأسماء:

١ - التراث: هو الميراث. ٢ - اللم: في قوله تعالى «أكلأ لماً» هو الجمع.

التفسير:

جاءت «كلا» لتكذيب قول الإنسان في الحالين، حال اختباره بالنعمة، وحال اختباره

بالإمسك عليه رزقه. وجاءت «بل» لبيان أن من أفعال الإنسان ما هو أشد سوءاً من هذا القول الخاص. ذكر تعالى منها أن الناس لا يكرمون اليتيم، والمعنى أنه حين ينعم الله عليهم بالمال، لا ينفقون على اليتيم الذي يبين من القول أنه تعالى حث على إكرامه وتكريمه. وذكر تعالى منها أنهم لا يتحاضون على إطعام المساكين، فبين أنه يفترض في الناس أن يتناصحوا بإطعام المساكين. كما ذكر تعالى أنهم يأكلون الميراث بالسعى لجمعه لصوالحهم، يجمعون ما هو حق لهم فيه وما هو ليس لهم بحق، وما يكون ذلك منهم إلا لجلبهم الدنيا وزينتها؛ ولهذا صرح تعالى بهذا بقوله تعالى «وتحبون المال حبا جما» بمعنى أنهم يحبون المال كثيراً فيجمعونه بالجلال والحرام ولا ينفقونه في الأوجه الخيرة التي أمر تعالى أن ينفق فيها.

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۚ
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ
يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۚ

التفسير:

جاءت «كلا» لردع الناس عن الأفعال القبيحة التي أخذها ربهم عليهم، ثم بين لهم كيف أنها تكون وبالا عليهم في الآخرة، بأن بين أنه إذا ما دكت الأرض دكا متتاليا متتابعة بالزلزلة الهائلة فلا يبقى عليها بنيان ولا جبل، وجاء أمره تعالى وجاءت الملائكة صفوفاً، وجاء بجحهم يظهرها الله ويعلم المعذنين بها أنهم واقعوها. يكون من الإنسان الذي قال ما قال عند الاختبار وفعل ما فعل من القبائح المذكورة أنه يتذكر خطأه وخطاياها، وما فرط في حق الله وحقوق العباد، نادماً على ما كان منه حين لا ينفعه ندم ولا تقبل منه توبة، يفصح عن هذا قوله تعالى «وأنى له الذكرى» والمعنى هو من أين تفيده الذكرى، فهي عقيمة لانفع لها.

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ

لِحَيَاتِي ﴿٢٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا ﴿٢٨﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن من فرط في حق الله وفي حقوق العباد يتذكر حين لا تنفع الذكرى يوم القيامة، بين تعالى أنه يبدى ندمه بتمنيه لو كان قد قدم لحياته في الآخرة الأعمال الصالحة التي لم يأتها في دنياه. ثم أعقب هذا ببيان أنه يعذب بعذاب الله الذي لا يعذب مثل عذابه أحد، وأنه يوثق ويقيد بالأغلال والأصفاد على نحو لا يماثله وثاق وتقييد من غيره تعالى.

يَتَأَيَّسُ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً

﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلْ فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلْ جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

أولاً: الأسماء:

النفس المطمئنة: قيل هي المطمئنة بثواب الله، وقيل هي النفس المؤمنة الموقنة.

ثانياً: التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أحوال أهل العذاب من الذين لم يشكروا عند النعمة ولم يصبروا عند الاختبار يأمساك الرزق، فإنه تعالى ذكر ما يكون لأصحاب النفوس المطمئنة إلى الله تعالى التي سلمت إليه أمرها وتوكلت عليه، والتي شكرت عند النعمة وصبرت عند النعمة، فبين تعالى أن الملائكة تناديها «يا أيتها النفس المطمئنة» بمعنى الموقنة بالله والراضية بقضائه فالنداء هو للنفوس والأرواح، يقال لها «ارجعي إلى ربك راضية مرضية» بتصويره أن يقال لها يوم القيامة فيكون معنى الرب في قوله تعالى «ارجعي إلى ربك» هو صاحبها ترجع إلى جسده ويتصور فيه أن يقال لها حين تغادر الجسد عند الموت فيكون المعنى أنها ترجع إلى رب العزة وثوابه وكرمه، ثم يكون منها يوم القيامة أن تدخل في أجساد أصحابها الصالحين، وصفهم تعالى بأنهم عباد «فادخلي في عبادي». وقيل إن المعنى هو أن تدخل في زمرة عباد الله الصالحين، ليكون بعد ذلك دخولها جنته تعالى التي هي مصير عباده تعالى الصالحين.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - البلد : المراد به - في معنى القول - هو مكة المكرمة .

٢ - الوالد : في قوله تعالى «ووالد وما ولد» قيل إن المراد به - في معنى القول - هو آدم عليه السلام، وقيل هو رسول الله ﷺ فهو لأمته في مرتبة الوالد، وقيل هو كل والد.

٣ - ما ولد : قيل هم كل مولود من ذرية آدم، وقيل هم كل صالح من ذريته، وقيل هم جميع ولد إبراهيم، وقيل هم أمة رسول الله ﷺ. وقيل هو من لم يلد ولدا من ذرية آدم .

ثانياً : التفسير :

أقسم تعالى بمكة المكرمة البلد الحرام، أشار إليها وأخبر أنه يقسم بها، فتكون «لا» صلة، أوزائدة، بدلالة أنه تعالى قال «وهذا البلد الأمين» وهو قسم صريح بمكة، فلا يتصور أن يكون قد أقسم بها وأنه تعالى أخبر أنه لا يقسم بها.

ثم جاء قوله تعالى «وأنت حل بهذا البلد» جملة اعتراضية سبقت جواب القسم وفي معناه فإنه يتصور أن يكون «وأنت حالٌ مقيم في هذا البلد»، أو أن يكون «وأنت مستحل في هذا البلد» بمعنى أنه تستحل حرمتك في هذا البلد بالإساءة إليك من الكفار، ويتصور أن يكون «وأنت في حل من التمسك بحرمه هذا البلد» فيكون تعالى قد أحل له قتل الكافر

والمنافق في الحرم. وقد استدل على أن هذا هو معنى القول بضربه ﷺ عنق عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، الذي ارتد وشنع على رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ قال إنه أحل له هذا ساعة من نهار وأنها حرام إلى أن تقوم الساعة.

ثم أقسم تعالى بالوالد وما ولد، قيل إنه أقسم بآدم عليه السلام وبذريته، لما أودع فيهم من العقل، ففي خلقهم آية، وقيل غير هذا مما سبق بيانه في معنى الوالد وما ولد.

وجواب القسم أنه تعالى خلق الإنسان في كبد، والمعنى أنه خلقه تعالى ليكابذ المشاق والشدائد في الدنيا، وقد يكون من المكابذة الاختيار بين الهدى والضلال.

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكَ مَا لَا بُدَّ ١ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ٧

أولاً: الأسماء:

اللبد: في قوله تعالى «يقول أهلك ما لا بد» هو الكثير، من التلبد، وهو اجتماع الشيء إلى الشيء.

ثانياً: التفسير:

جاء قوله تعالى «أيحسب أن لن يقدر عليه أحد» من بعد قوله تعالى «لقد خلقنا الإنسان في كبد» مشيراً إلى مكابذة رسول الله ﷺ من إيذاء المشركين، ومبينا أن منهم من غالى في معاداته ﷺ وإيذائه كأنه يعتقد أن أحداً لن يقدر على الانتقام منه لهذا قيل إنه أبو الأشد أسيد بن كلفة الجهمي، وقيل عمرو بن عبد ود، وقيل الوليد بن المغيرة. ثم ذكر تعالى - من تباهيه بعداوته رسول الله ﷺ وبفضلته على الناس - قوله إنه أهلك ما لا كثيراً، فهو يتباهى بإنفاق المال في عداوة رسول الله ﷺ وفي الإنفاق على الناس تباهاً واغتراراً بدلالة وصفه بإنفاقه المال بإهلاكه، لأنه لا يرتجى به ثواب الله.

وبعد هذا فإنه تعالى توعّد هذا المشتد في عداوة رسوله ﷺ بالانتقام منه بقوله «أيحسب أن لم يره أحد» والمعنى هو إثبات إحاطة علم الله بما كان منه من إنفاق المال في سبيل إيذاء

رسول الله، وإنفاقه رثاء الناس، وإثبات أنه تعالى مجازيه بفعله وما أضمر في قلبه.

أَلَمْ
 نجعل له عَيْنَيْنِ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ١٠
 فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ١٢ فَكُ رَقَبَةً ١٣
 أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مِسْكِينًا
 ذَا مَرْئِيَةٍ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا
 بِالْمَرْحَمَةِ ١٧ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ١٨

أولاً: الأسماء:

١ - النجد: في قوله تعالى «وهديناه النجدين» هو الطريق المرتفع، والمراد به - في معنى القول - هو الطريق إلى الهدى أو إلى الضلال. فالنجدان هما طريقا الخير والشر.

٢ - المسغبة: هي المجاعة، والمراد بها - في معنى القول - هو الجوع، وقيل الجوع مع التعب.

٣ - المثرية: من التراب. والمراد بها - في معنى القول - هو الافتقار لا يجد معه الفقير مأوى فيفترش التراب.

ثانياً: التفسير:

قوله تعالى هو في الكافر الذي أنفق في عداوة رسول الله ﷺ والذي أنفق رثاء الناس، قيل إنه تعالى أثبت له قدرته على العلم بأفعاله ومجازاته بها بتذكيره أنه خلق فيه عينين يبصر بهما، ولساناً ينطق به، وشفتين يستران ثغره. والذي نراه - والله أعلم - أن الاستفهام في قوله تعالى «ألم نجعل له عينين، ولساناً وشفتين، وهديناه النجدين» هو لإثبات أنه تعالى أنعم عليه بهذه النعم، وأنه لم يؤد حقها من الشكر، بأن ينظر في آيات الله في الخلق فيؤمن، وأن

ييهج لسانه بذكر الله وحمده، وأن يتدبر آيات الله المنزلة فيختار طريق الهدى، ثم كان منه كفران هذه النعم بتوجيهها الوجهة الخاطئة باستعمالها في المكر برسول الله ﷺ والمبالغة في عداوته.

ثم جاء قوله تعالى «فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة» لبيان أن هذا الكافر الذي استعمل نعم الله في معاداة رسوله ﷺ وأهلك ماله لإيذائه، لم يستعملها في اقتحام العقبة ولم ينفق ماله في اقتحامها، والقول - إلى هذا الحد - لا يبين إلا شيئا واحدا هو وجوب اقتحام العقبة - والاقتحام هو الرمي بالنفس في الشيء المقتحم - لكنه لا يبين ماهية العقبة المقصودة؛ ولهذا جاء قوله تعالى «وما أدراك ما العقبة» ليعلم رسول الله ﷺ ما هيتهب وهو ما تضمنه قوله تعالى «فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا مرتبة» والمعنى أنها تخلص نفس من الأسر، وقيل من الرق، وذلك بأداء الفدية أو دفع الثمن. أو إطعام في يوم عز فيه الطعام - على الناس عموما أو على الفقراء منهم - يتيما من ذوى قرباه، أو مسكينا بلغ به سوء الحال حد اقتراس الطريق. وجاء قوله تعالى «ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة» لبيان أن اقتحام العقبة بالمعنى المذكور وهو الإنفاق في الصدقات لا يقبل ولا يعد طاعة إلا إذا كان فاعله من الذين آمنوا، والذين تواصوا فيما بينهم على الصبر على الطاعات وعلى ما أصابهم من الشدائد، وتواصوا على الرحمة بالخلق، إذ أن هؤلاء هم الذين يتبنون بإنفاقهم في الصدقات وجه الله، أما الكافر الذي ينفق في الخير فلا يثاب على عمله في الآخرة. ثم أشار تعالى إلى هؤلاء المؤمنين الذين أنفقوا في الصدقات وأخبر عنهم أنهم أصحاب الميمنة، بمعنى أنهم الذين يؤتون كتبهم بإيمانهم، فأعلم بما يكون لهم من خير من سبق ذكره تعالى مصير أصحاب الميمنة في الآخرة، ولهذا اكتفى في النص ببيان أنهم يكونون منهم.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الشَّعْمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

أولا: الأسماء:

المؤصدة: في قوله تعالى «عليهم نار مؤصدة» هي المغلفة، وهي المطبقة على ما بها: من «أصد - يأصد إصادا» أو «أوصد - يروصد وصادا»

ثانيا : التفسير :

بعد أن أشار تعالى إلى حال المؤمنين الذين أنفقوا في الصدقات في الآخرة، ذكر حال الكافرين، وصفهم بأنهم الذين كفروا بآياته المنزلة بمعنى أنهم كفروا بالقرآن العظيم، وأخبر عنهم أنهم أصحاب المشأمة، أى أنهم أصحاب الشمال، ثم بين مقتضى كونهم أصحاب المشأمة في قول موجز يرخى العنان للفكر في تصور مدى ما يكون لهم من سوء المصير ومن العذاب بقوله تعالى «عليهم نار مؤصدة» بمعنى أنهم يكونون في نار مطبقة عليهم مغلقة .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ③ وَاللَّيْلُ
إِذَا غَشَاهَا ④ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ
خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩

التفسير :

أقسم تعالى - في الآيات بجملة أشياء هي من عظام أفعاله في الخلق، ثم أورد جواب القسم. بدأ تعالى بأن أقسم بالشمس وبضوئها، أو بوقت الضحى الذى يكون عند تباعد الشمس عن الأفق الشرقى وبرزها للناظرين، وأقسم بالقمر يتبع الشمس بأن يلى طلوعه فى أول الشهر طلوعها من الأفق الشرقى، لكنه لا يرى إلا بعد غروبها، ويلي طلوعه غروبها فى ليلة

البدر رابع عشر الشهر، وأقسم بالنهار إذا جلى الشمس فأظهرها أو جلى الأرض بنوره، وأقسم بالليل يغشى الشمس أو يغشى الأرض بظلامه، وأقسم بالسما ومن خلقها - وهو الله جل وعلا - وأقسم بالأرض ومن بسطها - وهو الله - وبالنفس - يتصور أن تكون نفس آدم عليه السلام، أو أن تكون كل نفس لأحد من البشر - وبمن سواها فعذلتها لتكون ضالحة للتكليف، ثم كان منه تعالى أن ألهمها بما أودع فيها من عقل ومن فطرة الإيمان التمييز بين الفجور وبين التقوى أو بين طريق الفجور وطريق التقوى .

ثم جاء جواب القسم بقوله تعالى «قد أفلح من زكاها»، وقد خاب من دساها» وهو في بيان الأثر المترتب على إلهام النفس التمييز بين الفجور والتقوى، فبين تعالى أن من اختار طريق التقوى فزكى نفسه بالطاعة وتجنب المعاصي يكون قد أكسب نفسه الخير وزادها فيه، وأن من اختار طريق الفجور يكون قد أهضم نفسه الخير وأنقصها ما جبلت عليه منه بالفطرة فيكون من الخاسرين .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ۖ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا ۖ ^{١٧} فَقَالَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ ^{١٨} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۖ ^{١٩} وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۖ ^{٢٠}

أولاً: الأسماء والأعلام :

١ - الطغو : في قوله تعالى «كذبت ثمود بطغواها» هو الطغيان بمعنى مجاوزة الحد في العصيان. وقيل إن المراد به - في معنى القول - هو العذاب الذي توعدت به ثمود .

٢ - أشقى القوم : في قوله تعالى «إذ أنبئت أشقاها» هو أشقى الناس في ثمود قيل إن اسمه هو قدار بن سالف .

ثانياً : التفسير :

بعد أن بين تعالى أن من اختار طريق الفجور يكون قد ظلم نفسه بصيرورته بهذا من

الخاسرين، فإنه تعالى ذكر من الخاسرين ثمود وفي ذكرهم وما حاق بهم تحذير لمن اختار الفجور وطريقه من قوم رسول الله ﷺ بمصير يماثل مصير ثمود. أخبر تعالى عن ثمود أنها كذبت صالحا عليه السلام رسول الله إليها طغيانا منها، وقيل إنها كذبت بالعذاب الذي توعد بها، ثم بين تعالى آية هذا التكذيب بذكره أن أشقى أفرادها خرج من جموع أهلها ليقتل الناقة فكان من صالح عليه السلام أن أعاد عليهم تحذيره من التعرض لها أولاً أيام المخصصة لشربها بإيذائها أو بحرمانها من الشرب فيها لئلا يتعرضون لعذاب الله، ثم يذكر تعالى أن القوم كذبوه بمعنى أنهم كذبوا ما توعدهم به من العذاب إن هم آذوا الناقة التي نسبها في القول إلى الله لبيان حرمتها، كما بين الصورة العملية التي اتخذها تكذيبهم وهي عقروهم الناقة، عقروا أشقاهم بموافقتهم فنسب الفعل والجرم إليهم جميعا. ثم بين تعالى أنه أخذهم بذنبهم بأن أطبق عليهم عذابه دفعات متتالية على ما بين من: «دمدم» والمراد بالذنب هو كفرهم وتكذيبهم رسولهم وعقروهم الناقة، كما بين عاقبة أخذهم بالعذاب أو الأثر الذي ترتب عليه بقوله «فسواها» بمعنى أنه تعالى سوى بهم الأرض، أو سوى الأرض عليهمهلكى. ثم جاء قوله تعالى «ولا يخاف عقباها» وفيه قيل إن المعنى أنه تعالى لا يخاف عاقبة إهلاكه ثمود بتحميله تبعة فعله، ونستغفر الله أن يظن به تعالى خشية أحد، وقيل إن المعنى هو أن صالحا لم يخش عاقبة العذاب أن يكون من المعذبين. ونرى - والله أعلم - أن المعنى هو أن الفاجر الشقى لا يخشى عاقبة فعله، وأنه لهذا يأتيه، فيحق عليه العذاب.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝
إِنْ سَعَيْكُمْ لَسِئَتِي ۝

التفسير:

الآيات قسم من الله تعالى وجوابه. أقسم تعالى بالليل يغشى النهار - بمعنى يغطيه - أو يغشى الأرض، أو الأحياء عليها، وبالنهار إذا تجلى فوضح وظهر بضوئه خارجا عن ظلمة الليل، وأقسم بذاته العليا، فهو من خلق الذكور والأنثى، خلق آدم وحواء ذكرا وأنثى، وخلق جنس الإنسان ذكورا وإناثا، وخلق الحيوان ذكرا وأنثى. وجواب القسم جاء به قوله تعالى «إن سعيكم لشتى» والقول له معنيان: أولهما أن أعمال الناس وحرفهم ومهنتهم في الدنيا مختلفة بالضرورة لوجوب احتياج البعض إلى البعض ودوام العلاقات التبادلية بين الناس أفرادا وجماعات. والثاني أن سعيهم في كسب خير الآخرة مختلف بينهم بالضرورة إذ يكون منهم من يختار طريق الضلال ليكون من الخاسرين، ويكون منهم من يختار طريق الهدى فيكون من الفائزين.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥
فَسَنِّيَرُهُ وَلِّلِيسِرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَلَكَّذِبَ بِالْحُسْنَى ⑨
فَسَنِّيَرُهُ وَلِّلْعُسْرَى ⑩

أولا: الأسماء والأعلام:

من أعطى واتقى: قيل إن المقصود بالقول هو أبو بكر رضى الله عنه، كان يعتقد في إسلامه مسنين ونساء لا يتفعونه بعد عتقهم بشيء مبتغيا وجه الله.

ثانيا: التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الناس مختلفون في سعيهم في كسب رضا الله أو استحقاق غضبه، فإنه تعالى بين أن من أعطى الصدقات مبتغيا وجه الله واتقى غضبه فتجنب المعاصي، وكان ذلك منه على إيمان صحيح فصدق بالجنة وعمل لها عملها - فهي الحسنى - أو صدق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فإنه يكون منه تعالى أنه يسرله سبيل الحساب اليسير في الآخرة بأن يرشده لأسباب الخير والصالح الموصلة إلى الجنة، ويسرله العمل بها ليكون من

أصحاب النعيم .

ثم أخبر عمن ضمن بماله فلم ينفق منه في الصدقات وفي فعل الخيرات، مستغنيا بهذا عما وعد تعالى به المنفقين في الخيرات من الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، ثم كان من المكذبين بالحسنى إنكاره البعث والثواب والعقاب، أو المكذبين بكلمة التوحيد فأشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا، أخبر عنه تعالى بأنه يسره للعسرى ، بمعنى أنه تعالى يسر له سبيل الشر وأمه النار يصلها يوم القيامة، يكون ذلك بتهيئة السبيل أمامه للإمعان في مقارفة المعاصي ليزيد الله من عذابه يوم القيامة .

وَمَا يَغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَى ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۝١٣

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن الذي بخل بماله فلم ينفق منه في الخير مستغنيا عن أجر المنفقين طاعة لله، وإن - مع بخله وضمنه بالإنفاق - من المكذبين بالحسنى، فإنه تعالى أثبت واقع أن ماله الذي جمعه وبخل بالإنفاق منه لا يغني عنه شيئا إذا هلك بالموت، فهو لا يدفعه عنه، كما أنه لا يغني عنه شيئا من عذاب جهنم في الآخرة إذا ما تردى فيها .

ثم أخبر تعالى عما جرى به قضاؤه في الناس وهو أن يبين لهم طريق الهدى، جاء التعبير عنه بتشبيهه بالواجب «إن علينا للهدى» لقوله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» فهو تعالى لا يعذب الناس إلا من بعد أن يبين لهم سبيل الهدى، والقول يبين أن الإنسان يختار بين طريق الهدى وطريق الضلال، وأنه إذا كان تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فإنه يكون لجريان مشيئته تعالى بما هو في علمه تعالى الأزلي باختيار الإنسان بين الطريقين .

ثم عقب تعالى على هذا بذكره أن له الآخرة والأولى، فهو تعالى بحكم ملكيته الآخرة يثيب من اهتدى وأنفق في الخيرات، ويعذب من كفر وبخل عن الإنفاق، وهو تعالى بحكم ملكيته الأولى - وهي الحياة الدنيا - لم يضره ضلال الكافر، ولم ينفعه إيمان المؤمن .

فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾
 لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَيَجْنِبُهَا
 الْأَتَقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ
 تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هوفى بيان الآثار المترتبة على توليه تعالى أمر هداية الناس إلى الخير، الذى ثبت بقوله تعالى «إن علينا للهدى» أوفى بيان ما ارتبط به، فذكر تعالى أنه كان منه أن خوف الناس بنار جهنم التى تلتظى، فيكون هذا هو الإنذار منه، ثم بين لهم من قدرله أن يصلها ليعمل أصحاب العقول على ألا يكونوا منهم، فذكر أنه لا يصلها إلا الأشقى، والمقبول أن المراد به هو الكافر لأنه أشقى من الفاسق، وقد بينه تعالى بالنص الصريح بأنه الذى كذب بالقرآن العظيم كتابا من الله، وبرسول الله ﷺ رسولانبا، وأعرض عن الإيمان بالإسلام دينا.

ثم ذكر تعالى أنه سيبعد بالأتقى عن هذه النار التى تلتظى - والمعنى أن النجاة منها هى أول خير الآخرة - ثم بين تعالى من هو «الأتقى»، فأخبر عنه بأنه الذى يؤتى ماله يتزكى، يطلب أن يكون عند الله زاكيا، أو ينفق ماله مبتغيا وجه الله الذى يزكى الحسنات بمضاعفتها، ثم أكد تعالى معنى ابتغائه بالإنفاق وجهه تعالى لاغير ببيان أن إنفاقه لم يكن بمشابهة جزاء إحسان أحسن به إليه أحد، أو مقابل نعمة أنعم بها عليه - ومنه رد الهدية بمثلها أو بأحسن منها - ثم صرح تعالى بغاية الإنفاق لدى هذا الأتقى، من بعد الإرشاد إليها بمضمون القول، وذلك بقوله تعالى «إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى» والمعنى أنه لم يستهدف بإنفاقه شيئا من أحد من خلقه تعالى، وإنما استهدف رضاه ربه والمعنى أنه لم يطمع فى غيره ولو كان يعلم أنه تعالى يربى الصدقات؛ ولهذا جاء قوله تعالى «ولسوف يرضى» فأخبر تعالى أنه سيعطيه فى الجنة ما يرضيه، لأنه ما رضى به ربه .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالضُّحَى ۝^١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝^٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى ۝^٣
وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝^٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَرَضَى ۝

التفسير:

أقسم تعالى بالضحى، والمراد به - فى معنى القول - هو النهار، قيل إن سبب تعظيمه والقسم - أنه الوقت الذى خرف فيه سحرة فرعون سجدا. وقيل لأن الناس يحشرون ضحى، وقيل لأن القسم هو برب الضحى، وأقسم تعالى بالليل إذا سكن، والمراد إذا ما سكنت الخلائق فيه، أو غطى بظلامه الخلائق. ثم جاء جواب القسم بنفى أنه تعالى ودع رسوله ﷺ أو قلاه. والمعنى أنه تعالى لم يتخل عن رسوله ولم يبغضه، وسبب نزول القول بجواب القسم هذا أن جبريل عليه السلام كان قد أبطأ على رسول الله ﷺ الهبوط بالوحي فقال الكافرون، وقيل قالت أم جميل زوج أبى لهب إن رب محمد ﷺ قد تركه وأبغضه، فنزل قوله تعالى مكذبا قول الكافرين، وقد ورد جواب القسم خطابا إلى رسول الله ﷺ، فكان - فى مقام أول - طمأننة لنفس رسوله ﷺ إلى واقع أنه تعالى لم يتخل عنه كما زعم المشركون. ثم أتبع تعالى هذا بأن بين له ﷺ أن له الخير فى الأولى وفى الآخرة، وأن الخير الذى يكون له فى الآخرة أفضل وأكثر خيرية منه فى الأولى. ومن ذلك مثلا أنه تعالى تفضل على رسوله ﷺ بالخير العظيم فى الدنيا ويكفى بنعمة الاصطفاء للنبوة خيرا لا يدانيه فى الدنيا خيرا، إلا أنه يشوب هذا الخير ما يلقي ﷺ من عنت الكافرين وإيذائهم بالفعل والقول، على حين يصفو خير

الآخرة من مثل هذا الأذى فلا يكون إلا خيرا محضا. وقيل إن المعنى أنه تعالى يتفضل على رسوله ﷺ بالفلاح فى الدنيا والثواب فى الآخرة .

ثم جاء قوله تعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضى» والقول يتعلق بما يؤتيه تعالى رسوله ﷺ فى الآخرة - على ما بين من «سوف»، وهو تأكيد لأنه تعالى يعطى رسوله ﷺ عطاء يفضل عطاءه فى الدنيا، وبيان لأن هذا العطاء يرضى به ﷺ ويرضاه، والراجح فيه أنه الشفاعة، وقيل - تأكيدا لهذا - أنه لما نزل هذا القول قال ﷺ «إذا والله لا أرضى وواحد من أمتى فى النار» .

الْمَجْدُكَ يَتِيمًا فَاَوْىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١

التفسير:

الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله ﷺ، وهو مجموعة من الأوامر أعقبت ذكر أسباب تؤدى إليها لارتباطها بها بعلاقة سببية، ورغم أن الأسباب تخصه ﷺ إلا أن المأمور به يسرى على جميع المؤمنين .

بدأ تعالى بتذكير رسوله ﷺ بأنه كان يتيما صغيرا فكان منه تعالى أن آواه بأن كفله عمه أبو طالب فكان بيته له مأوى، فالاستفهام فى قوله تعالى «ألم يجدك» هو لتقرير الخبر وإثباته، كما ذكر تعالى رسوله ﷺ - مانا عليه - بأنه كان ضالا عن حقيقة اصطفائه للنبوّة غافلا عن هذا، أو غافلا عن الشرائع والأحكام لايحيط بها، فكان منه تعالى أن هداه إلى العلم الكامل بما أوحى إليه من القرآن، وقيل إن القول يتعلق بحادثة وقعت له ﷺ إذ ضل طريقه فرآه أبر جهل ورده إلى جده. كما ذكر تعالى رسوله ﷺ ومنّ عليه بفعله معه، إذ كان ﷺ فقيرا لا مال له فأغناه بتزويجه من خديجة، أو بما فتح الله على يديه من القرى .

ثم جاءت أوامره تعالى المرتبطة بالأحداث المذكورة بعلاقة سببية، والتي تسرى على جميع المؤمنين. أمره تعالى بعدم قهر اليتيم، وهو ما يكون بظلمه وعدم دفع حقوقه إليه، وأمره ألا يزجر سائلا، وألا يغلظ لسائل قولا، بل يكون منه الإعطاء أو الرد الجميل. كما أمره أن يحدث بنعمة ربه عليه، يعترف بها ويشكر الله عليها، ومنه له ﷺ - على وجه الخصوص - التبليغ بالقرآن، وأداء تكاليف النبوة، ولغيره أن يكون بإخبار الإخوان عما ناله من الخير أو عما عمل به منه.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَنْشُرُ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۝
الَّذِي أَنتَقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝

التفسير:

الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله ﷺ، والاستفهام المنفى هو لإثبات وقوع المخبر عنه، وأول المخبر عنه هو أنه تعالى شرح صدر رسوله ﷺ وإفساحه ليدخل فيه الإسلام. وذلك لقوله تعالى «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه»، وقيل إن المعنى هو أنه تعالى ملأ صدر رسوله ﷺ حكما وعِلما. وقيل إن المراد به هو ما روى من أن ملكين جاءاه ﷺ، فتح أحدهما صدره وفتح الثانى قلبه وغسله. وثانى ما أخبر عنه تعالى هو حطه تعالى عن رسوله ﷺ ذنبه الذى كان منه قبل أن يوحى إليه، وهو ما كان يثقل عليه حمله، بمعنى أنه ﷺ كان يتألم لذكر هذا الذنب. والمعلوم أنه ﷺ لم يعبد قبل بعثته وثنا وأنه كان يعرف بالأمين؛ ولهذا فقد يكون وزره وذنبه ﷺ هو ما ذكره تعالى فى سورة الضحى من غفلة عن

الأحكام والشرائع قبل أن يوحى إليه، وهو ما كان ﷺ يراه ذنباً كبيراً. وثالث المخبر عنه في القول هو أنه تعالى رفع لرسوله ﷺ ذكره. بذكره مع الله تعالى في الشهادة والأذان والإقامة والشهد، ويوم الجمعة وفي غيرها، ومن قبل بذكره والإخبار عنه في الكتب المنزلة من قبله ﷺ.

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨

التفسير:

أخبر تعالى رسوله ﷺ أنه يكون مع العسر الذي يعاني منه يسر، والمعنى أنه يعقبه يسر. وفيه قيل إن العسر هو فقره ﷺ الذي عيره به المشركون حتى اقترحوا عليه أن يجمعوا له من أموالهم ليكف عن الدعوة، يعقبه اليسر بفتح البلاد على يديه. وقيل إن العسر هو فقر المؤمنين الأولين، وأنه تعالى وعدهم باليسر من بعده والاعتناء، وقيل إن تكرار القول هو لتأكيد المعنى، كما قيل إن ذكره الأول خاص برسول الله ﷺ، وتكراره خاص بالمؤمنين، وقيل إن ذكره الأول خاص بالدنيا وتكراره متعلق بالآخرة، وقيل إن القول تضمن ذكر يسرين وعسرا واحدا وأن عسرا واحدا لا يغلب يسرين. والذي نراه - والله أعلم - أن القول يثبت معاناة المؤمنين وقت نزول النص من العسر، يدخل فيه عسر العيش للفقر ونقصان الموارد ويدخل فيه عسر المعاناة من أذى المشركين، وأنه يطمئن المؤمنين إلى أنه يعقب هذا العسر يسر منه اغتناؤهم في الدنيا بما يفتح الله على أيديهم من القرى والبلاد ومنه انتصارهم على الكافرين، وأن التكرار أريد به تأكيد المعنى والوعد، أو إثبات أنه يكون لهم في الآخرة يسر الحساب حين يعاني الكافرون عسره.

وبعد هذا فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ بوصفه المثل والقُدوة للمسلمين بمداومة عبادة الله، وذلك بأمره أن يكون منه إذا فرغ من أداء عبادة أن يقبل على عبادة أخرى، أو أن يكون منه إذا فرغ من أداء الفرض أن ينصب على أداء النفل والتطوع، وأن يكون في جميع فعله راغباً التقرب من الله راجياً رضاه عنه، بمعنى أن يكون متبغياً وجه الله بعبادته وفعله.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥

أولاً : الأسماء :

١ - التين : الراجح أنه الثمرة المعروفة، قيل إنه تعالى أقسم به لأنه من فاكهة الجنة، وقيل لأن ورقه كان ستر آدم في الجنة. وقيل هو مسجد نوح عليه السلام على الجودي، وقيل هو مسجد دمشق، وقيل هو مسجد أصحاب الكهف .

٢ - الزيتون : الراجح أنه الزيتون المعروف الذي يعصر منه الزيت، وقيل هو مسجد بيت المقدس، وقيل المسجد الأقصى، وقيل مسجد إيلياء، وقيل إنه تعالى أقسم به لأنه مثل به إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى «يوقد من شجرة مباركة زيتونة» .

٣ - طور سينين : الراجح أنه جبل سيناء أو طور سيناء، وأنه تعالى أقسم به لأنه تعالى نادى منه موسى عليه السلام. وقيل إن معنى سينين هو الحسن أو المبارك، وقيل هو كل جبل فيه شجر مثمر، وقيل هو شجر واحدته سينيئية .

ثانياً : التفسير :

أقسم تعالى بالتين - وهو الثمرة المعروفة على الراجح - وبالي الزيتون، وبجبل سيناء أو طور سينين الذي نادى منه موسى عليه السلام، وبمكة المكرمة «وهذا البلد الأمين» أثر إبراهيم

ودار محمد عليهما صلوات الله وسلامه. والمقسم عليه أو جواب القسم أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، معتدلاً مستوياً، له لسان يعبر به وعقل يميز به بين الخير والشر، وبين الهدى والضلال، سميعاً بصيراً، مدبراً حكيماً، وذلك لأن المعروف أنه تعالى خلق آدم على صورته. ثم كان منه تعالى - بعد هذا - أن رده أسفل سافلين، يكون بالنسبة للعامة برد من يبلغ به العمر أرذله إلى الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة فيعود كالصبي - ويكون بالنسبة للكافر أنه يطغى بما حباه الله من جليل الصفات، معتقداً أن قضاءه صادر من نفسه، فيرده الله إلى الضلال وإلى النار.

ثم إنه تعالى استثنى من الرد أسفل سافلين هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فهم - لدى من قال إن الرد هو الخرف في أرذل العمر والعودة لجهل الطفولة - لا يخرفون ولا تذهب عقولهم. وهم - لدى القائلين إن الرد يكون إلى الضلال والنار - تكتب لهم حسناتهم وتمحى عنهم سيئاتهم، ويكتب لهم ثواب العبادات التي عجزوا عن أدائها في شيخوختهم؛ ولهذا جاء قوله تعالى «فلهم أجر غير ممنون» فهم يؤتون أجر عبادات لم يؤديوها بسبب عجزهم عن أدائها، وهو أجر يدوم مادامت حياتهم لا ينقطع.

فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الدِّينِ ۖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

التفسير:

يتصور أن يكون الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ ويتصور أن يكون موجهاً إلى الكافر الذي كذب بما بلغ به رسول الله ﷺ. فعلى الأول يكون المعنى هو «فمن الذي يستطيع أن يكذبك فيما أبلغت به من أمر الدين» فهو إنكار لأن يكون في مقدور أحد أن يكذب بالدين أو بالبعث والحساب من بعد إقامته تعالى الحجة مما أورد في شأن خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده أسفل سافلين، على تكذيب رسول الله ﷺ فيما أبلغ به عن ثواب الله وعقابه بالحجة والدليل. وعلى الثاني فإن القول يكون توبيخاً للكافر على تكذيبه بالدين الذي جاء به رسول الله ﷺ من ربه وقد قام الدليل واستقامت الحجة على أنه الدين الذي ارتضاه الله لعباده.

ثم جاء قوله تعالى «أليس الله بأحكم الحاكمين» مثبتاً لرسوله ﷺ ما علمه ﷺ من أنه

تعالى يفعل كل شيء ويقضى في كل شيء بموجب حكمته التي لاتدانيها حكمة، ومن مظاهرها خلقه الإنسان في أحسن تقويم ورده الكافر أسفل سافلين، أو مثبتا للكافرين قضاءه فيه برده أسفل سافلين بإضلاله وإلقائه في النار هو القضاء بالحق والعدل الذي هو قضاء أعظم من يقضى بين العباد، وأكثرهم عدلا.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤

التفسير:

قيل إن الآيات هي أول ما نزل على رسول الله ﷺ من القرآن العظيم، وأول ما أقرأه جبريل عليه السلام منه في حراء. وفيه الأمر بأن يبدأ ﷺ قراءة القرآن بذكر اسم ربه تعالى، وصف ذاته بأنه الذي خلق، والمعنى أنه الذي أوجد الخلق جميعه من العدم، ثم أتبع هذا بذكره أنه خلق الإنسان - وهو كل فرد من ذرية آدم، من علق. قيل إنه الدم الجامد، وقد أثبتنا من قبل أن المراد به هو البويضة المخصبة حين تستقر وتعلق بجدار الرحم. ثم كرر تعالى أمره لرسوله ﷺ بالقراءة، رابطا بين الأمرين كونه تعالى هو الأكرم، وقد يكون المراد بهذا طمأنة رسوله ﷺ إلى أنه تعالى يحفظ القرآن في قلبه، ويفهم معانيه رغم كونه غير قارئ، بمعنى أنه لا يعرف القراءة. وقد يكون لهذا صلة بقوله تعالى - من بعد - «الذي علم بالقلم»، لأنه ﷺ قدر له أن يقرأ القرآن وأن يحفظه في قلبه فلا يضيع منه شيء، وأن يفهم معانيه دون الاستعانة

بمدونة كتبت بقلم. وهذا مع إفادة القول أن التعلّم يكون في الأصل بالكتابة التي تدون بالأقلام أي بالخط والكتاب والرسم ذات المعاني، فيها علم الناس أخبار الذين سبقوهم من الأمم، وبها علم العباد ما لم يكونوا يعلمون. وقد يكون القول مشيراً إلى أن من كرمه تعالى أنه علم الناس بواسطة الكتابة، فيكون القول حثاً للناس على طلب العلم يبدأ بمعرفة الكتابة ليكون انتقالهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

ثم جاء قوله تعالى «علم الإنسان ما لم يعلم» وله من العموم ما يشمل تعليمه تعالى آدم الأسماء كلها، وتعليمه تعالى رسوله ﷺ ما لم يكن يعلم من أحكام الشريعة، وتعليمه جميع الناس ما لم يكونوا يعلمون.

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۖ أَن رَّاهُ أَسْتَغْنَى ۖ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ۖ ۝٨

التفسير:

جاءت «كلا» في مبتدأ القول بمعنى «حقاً» والحق المخبر عنه هو أن الإنسان يظنّ ويجاوز الحد فيكون منه الظلم وعدم محاسبة النفس إذا هو استغنى بماله وولده وأتباعه عن غيره، فينسى أن المنعم عليه هو الله ويغتر بماله وولده وأنصاره فيكون منه الطغيان على ربه بعدم أداء حق المنعم من الشكر، وعلى العباد بظلمهم.

وقيل إن القول نزل في أبي جهل، فهو المقصود بالإنسان في معنى النص قال لرسول الله ﷺ: «يا محمد تزعم أن من استغنى طغى، فاجعل لنا جبال مكة ذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك».

وبعد هذا أثبت تعالى أنه يؤاخذ الطاغى بظغواه وطغيانه بذكره أن مرجع جميع الناس يكون إليه تعالى، والمعنى أنه يكون للحساب والثواب والعقاب، فيكون منه تعالى معاقبة الطاغى.

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ
كَانَ عَلَى الْهُدَى ١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٣
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ١٤

التفسير:

بدأ تعالى القول - في الآيات - مخاطبا رسول الله ﷺ في شأن أبي جهل الذي نزل فيه النص، والاستفهام في القول هو للتعجب من فعله والزراية به، وفعله هو نهيه رسول الله ﷺ عن الصلاة لربه بقوله «إن رأيت محمدا يصلي لأطأن على عنقه». والقول يسرى على كل من ينهى مؤمنا عن أداء فرض ربه.

ثم انتقل تعالى بالخطاب إلى الناهي عن الصلاة بقوله «أرأيت إن كان على الهدى، أو أمر بالتقوى» والمعنى هو: أرأيت ما يكون عليه مصيرك أيها الناهي إذا ما كان محمد ﷺ، أو كل مقيم الصلاة على هدى من ربه، من أهل التقوى. فالقول - بهذا المعنى - هو توعده للناهي عن الصلاة بالعذاب أو الهلاك.

ثم عاد تعالى إلى مخاطبة رسوله ﷺ في شأن أبي جهل أو في شأن الناهي عن الصلاة بقوله «أرأيت إن كذب وتولى، ألم يعلم بأن الله يرى» وفي القول يستشهد تعالى برسوله ﷺ على تكذيب أبي جهل أو الناهي عن الصلاة بالحق وإعراضه عنه بإعراضه عن الإيمان، وهو ما يستدل عليه بنهيه المصلي عن إقامة الصلاة، وفيه أيضا توبيخ للناهي عن الصلاة وتوعده بالعذاب على فعله على المستفاد من تقرير علم الله تعالى بفعله علم من يرى، بما يعنى المحاسبة عليه والتعذيب له.

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٥
نَاصِيَةٍ كَذِبٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ
١٨ كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَاتَّجِدُ وَاقْرَب ١٩

التفسير:

جاءت «كلا» لردع الناهي عن الصلاة وزجره، ثم تهدده تعالى بإهانتة وتعذيبه في قوله لرسوله ﷺ إنه إذا لم ينته عن إيذائه ونهيه عن الصلاة فإنه يكون منه تعالى إذلاله في الدنيا بأن يؤخذ من ناصيته - وهي مكان الشعر في الرأس - ويسحب، وهو ما حدث لأبي جهل بعد أن قطع ابن مسعود رأسه وسحبه من ناصيته، أو يكون منه تعالى ذلك معه في الآخرة على ما جاء بقوله تعالى «فيؤخذ بالنواصي والأقدام» ثم أخبر تعالى عن ناصية أبي جهل أو الناهي عن الصلاة عموماً بأنها ناصية كاذبة خاطئة. والقول فيه مبالغة أريد بها بيان أنه لشدة ما جبل عليه من الكذب والخطأ، كان كل عضو من أعضائه كاذباً خاطئاً.

ثم إنه تعالى تحدى أبا جهل أو الناهي عن الصلاة عموماً أن يدعو أصحاب المنتدى الذي يرتاده ليرى إن كان في مقدرتهم تخليصه من عذاب الهون الذي أعد له أم لا، ثم توعد به بالعذاب ورهبه منه بقوله «سندع الزبانية» بمعنى أنه تعالى سيدعو ملائكة العذاب ليجروه إلى النار فلا يخلص من أيديهم.

ثم إنه تعالى طمأن رسوله ﷺ إلى أن هذا الناهي عن الصلاة لن يضره شيئاً بقوله تعالى «كلا لا تطعه واسجد واقترب» بدأ القول بردع الناهي وزجره «كلا» ثم أمر رسوله ﷺ بالاستمرار على عصيان الناهي عن الصلاة، وبالمواظبة على صلاته دون أن يأبه له، فيكون منه السجود لله في صلاته، يزداد فيه قرباً من الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝

التفسير:

ذكر تعالى أنه أنزل القرآن العظيم في ليلة القدر، والمعنى أنه تعالى أنزله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة الحكم والتقدير التي يقدر فيها تعالى ما يشاء إلى مثلها في السنة القادمة، ليكون بعد هذا نزوله منجما، على ما كان في مدة ثلاث وعشرين سنة على الراجح.

ثم شوق تعالى رسوله إلى معرفة ماهية ليلة القدر، وأثبت عدم معرفته بها بقوله «وما أدراك ما ليلة القدر»، ثم أخبر عنها بأنها خير من ألف شهر، بمعنى أنها تفضل الدهر كله لأن نهاية العدد عند العرب هو الألف، وقيل إنها خير من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، وقيل إنه يقسم فيها خير يزيد على ما في ألف شهر. ثم بين تعالى منافع فضلها على الألف شهر بذكره أن الملائكة والروح - قد يكون هو جبريل عليه السلام، وقد يكون ملك آخر - على ما سبق بيانه - ينزلون بإذن ربهم في هذه الليلة من أجل كل أمر قدرة الله تقديرا، وقيل إنهم ينزلون بالسلام على كل امرئ يتعبد ويقرأ القرآن يسلمون عليه ويدعون له.

ثم جاء ختام القول في ليلة القدر «سلام هي حتى مطلع الفجر» بمعنى أنها كلها سلامة وخير وأنه تعالى لا يقدر فيها إلا السلامة، وقيل إن كل مسلم ومسلمة يسلم فيها من الشيطان، وقيل إن الملائكة تسلم على أهل المساجد، يدوم هذا من مغرب الشمس إلى طلوع الفجر.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رُسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتِبَ
قِيَمَةٌ ۝ وَمَا نَفَرَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۝

أولاً: الأسماء :

المنفكون : فى قوله تعالى «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين» جمع، مفردة المنفك وهو المتهى عن شىء ما يعمله، وهو الزائل .

ثانياً: التفسير:

يقول تعالى إنه لم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من بعد رسلهم، مثل المشبهة من اليهود والقائلين بألوهية المسيح أو نبوته لله من النصارى، ولا للمشركين أن ينتهوا عما هم عليه من الكفر أو من الشرك إلى أن تأتيم البينة، وهى دليل الحق والمرشد إليه. وقد يكون قوله تعالى ذكراً لقول الكافرين من أهل الكتاب إنهم لن ينتهوا عما هم عليه من عقيدة إلا بعد أن تأتيم البينة المذكورة فى كتبهم، وقد يكون المشركون شايعوهم فى هذا القول تأثراً بهم. ثم بين تعالى ماهية هذه البينة بذكره أنها رسول من الله يتلو صحفا مطهرة، يتلوها عن ظهر قلب دون أن يقرأ كتاباً، وهى صحف مطهرة من الكذب والتحريف والتبديل، ينبغى ألا يمسها إلا المطهرون، فيها كتب قيمة، بمعنى أن فيها أحكاماً مستقيمة محكمة .

ثم بين تعالى أن الكافرين من أهل الكتاب حين أتهم هذه البينة التى كان مفترضا أن يكون منهم عند مجيئها الاجتماع على الإيمان، أو إنهم كانوا يقولون هذا، كان منهم حين جاءتهم هذه البينة ببعثة رسول الله ﷺ وقع منهم التفرق بدلا من الاجتماع، ذلك أنهم كانوا من قبل مجمعين على أنه يبعث الله رسولا على النحو الموصوف فى كتبهم، فلما جاءهم رسول الله ﷺ كان منهم من أنكر أنه النبى المبشر به بغيا وحسدا، وكان منهم من تشكك فى دينه، ولا نستطيع أن نسلم بأن التفرق كان بإيمان البعض منهم، لأن قوله تعالى «وما تفرق» هو ذم لهم جميعا، ولا يتصور أن يذم تعالى الذين آمنوا لرسول الله ﷺ.

وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ٥

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان ابتعاد الذين كفروا برسول الله ﷺ من أهل الكتاب عما

أمروا به في كتبهم، فيذكر تعالى أنهم لم يؤمروا في التوراة والإنجيل بغير عبادة الله وحده أي بتوحيده، وأن يخلصوا له الدين مائلين عن الباطل إلى الحق دين الإسلام، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ثم وصف تعالى هذا الذي أمروا به في كتبهم بأنه دين الملة المستقيمة :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ
الْبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٧
جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ٨

التفسير:

أخبر تعالى عن الذين كفروا من أهل الكتاب من بعد رسلهم بما جاؤوهم به بتحريفه أو بالانحراف عنه، والذين كفروا منهم - من بعد - برسول الله ﷺ، وعن المشركين الذين لم يتبعوا ديننا من قبل وبلغتهم دعوة رسول الله ﷺ، بأن مصيرهم هو نار جهنم تكون لهم المأوى، وإنهم يخلدون فيها. ثم أشار إليهم تعالى وأخبر عنهم أنهم شر الخليقة، فيكون القول بمثابة تعليل لخلودهم في النار.

ثم ذكر تعالى - في المقابل - الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأخبر عنهم أنهم خيار البرية فأعلم ما يكون لهم من دخول الجنة والخلود فيها بطريق الاستدلال العقلي، أو بمفهوم المخالفة ثم أفصح تعالى عن مصيرهم أوبينه بصريح العبارة فذكر أن جزاءهم على إيمانهم وعملهم الصالحات عند ربهم أنه تعالى يدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، وأنهم يخلدون فيها للأبد. ثم جاء قوله تعالى «رضى الله عنهم» وفيه يتصور أن يكون رضاؤه تعالى عنهم جزاء آخر لهم، أو زيادة لهم في التكريم، ويتصور أن يكون بيان لما تنعموا فيه في

جنات عدن وكونه من رضا الله تعالى عنهم. كما جاء قوله تعالى «ورضوا عنه» مبينا أنهم نالوا من الخيرات ما أرضاهم، ثم أشار تعالى إلى جميع هذا النعيم وأخبر عنه أنه يكون لمن خشى ربه، فبين أن ملاك الفوز بالنعيم الأبدى هو خشية الله، لأنها المانع من اتباع هوى النفس، وصدق تعالى القائل «إنما يخشى الله من عباده العلماء».

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③

التفسير:

الآيات هي أداة شرط وفعله في جملة شرطية، أداة الشرط «إذا» وفعلها جملة أحداث منها تحريك الأرض وهزها تحريكا عنيفا أو زلزلتها الزلزال الذي لا يعد زلزالا مستحقا أن يطلق عليه أنه زلزال إذا ما قيس به، والمشهور أنه الزلزال الذي يكون عند النفخة الثانية وهو ما بينه قوله تعالى «وأخرجت الأرض أثقالها» إذ تلفظ عند النفخة الثانية موتها وما في جوفها من المعادن، وهذا هو الحدث الثاني، والحدث الثالث من أحداث فعل الشرط في الجملة الشرطية هو تساؤل الناس فيما بينهم أو قول كل منهم «مالها؟» أي ما للأرض حتى تزلزلت هذه الزلزلة وأخرجت ما فيها من الأثقال. والقول استعظام لشأن ما يرى كل فرد من أفراد جنس الإنسان.

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو جواب الشرط فى الجملة الشرطية، والمعنى أنه فى هذا اليوم - وهو يوم الزلزلة وإخراج الأثقال - نتحدث الأرض مخبرة بالأخبار، وأن إخبارها هذا يكون بوحى الله إليها. قيل إنها تخبر عن أعمال العباد أفرادا وأمما على ظهرها، وقيل إنها تخبر أن أمر الدنيا قد انتهى وأمر الآخرة قد أتى، وأنه فى هذا اليوم يخرج الناس من قبورهم متفرقين بحسب أقدارهم، منهم الآمنون ومنهم الفزعون، أو منهم السعداء ومنهم الأشقياء، يخرجون ليصروا جزء أعمالهم خيرا كان أو شرا. قيل إن الرؤية تكون بصرية، وقيل هى رؤية الكتب أو الصحف.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨

التفسير:

مفاد القول على ظاهره أن المرء يرى جميع ما عمل من خيرات مهما ضؤل أو صغر ولو كان فى حجم الذرة من المادة، وأنه يثاب به، وأنه يرى جميع ما عمل من سيئات مهما ضؤل أو حقرو، ولو كان فى حجم ذرة من المادة. إلا أن هذا الظاهر يخالف ما هو ثابت من أن الكافر لا يثاب فى الآخرة بخير عمله فى الدنيا، ويخالف أيضا ما هو ثابت من أن المؤمن الذى اجتنب الكبائر لا يعاقب بالصغائر، وأنه تعالى يكفرها عنه بعمله الصالح؛ ولهذا كان تفسير القول على ضوء قوله تعالى «يصدر الناس أشتاتا» فىكون المراد بمن يعمل مثقال ذرة خيرا هو السعيد الآمن، وبمن يعمل مثقال ذرة شرا هو الشقى الفزع، كان كل منهما قد أخذ وجهة غير وجهة الآخر حين خرج من قبره، ثم رأى كل منهما عمله على النحو الموصوف

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيدِ ضُبْحًا ۝١ فَاَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا ۝٢ فَاَلْمُغِيرَتِ صُبْحًا ۝٣

فَاتَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥

أولاً : الأسماء :

١ - العاديات : هى - فى الأصل - « العادوات » من العدو وهو الجرى، والمراد بها - فى معنى القول - الخيل، وخيل الغزاة على وجه التخصيص لأنها تعدو مسرعة فى اتجاه العدو.
٢ - الضبح : فى قوله تعالى «والعاديات ضبحا» هو صوت حممة الخيل حين تعدو أو صوت أنفاسها المتلاحقة .

٣ - الموريات : جمع، مفردة «المورية» من «الإبراء» وهو إخراج النار من شىء يخرجها.
٤ - القدح : فى قوله تعالى «فالموريات قدحا» هو الضرب أو الصك .
٥ - النقع : فى قوله تعالى «فأثرن به نقعا» هو الغبار .

ثانياً : التفسير :

أقسم تعالى - فى الآيات - بخيل الغزاة فى سبيله، وصفها بعدة أوصاف، أقسم بها بصفته التى تعدو فى اتجاه العدو مخرجة ضبحها وهو صوت أنفاسها المتلاحقة، وبأنها التى تخرج شرر النار نتيجة ضرب الحجر بحوافرها أثناء عدوها، وبأنها التى تغير بأصحابها فى وقت الصباح على الأعداء لأخذهم على غرة فيكون منها أن تثير عدوها وأثناء إغارتها بأصحابها على الأعداء الغبار يرى نهاراً، ثم يكون منها أن تتوسط بفرسانها جموع الأعداء الذين يجدون فرسان الله بخيلهم وسط معسكرهم أو وسط ديارهم .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ
لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُ لَكَبِيرُ الْأُنْثَىٰ
لَشَدِيدٌ ٨

أولاً : الأسماء :

الكنود: هو الكفور الجحود .

ثانياً : التفسير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو جواب القسم، أخبر تعالى فيه عن الإنسان بأنه كفور لربه،

والمعنى أنه كفور بنعم ربه، ثم بين المراد بكفرانه نعم ربه بقوله «وإنه على ذلك لشهيد» بمعنى أنه يشهد على نفسه بكفران النعمة، وهو ما يكون - على الغالب - بلسان الحال إذ يكفر بنعمة السلطة والسلطان بأن يظلم ولا يعدل، ويكفر بنعمة المال بأن يمسك ولا ينفق في الخير، فيكون قد شهد على نفسه بكفران النعمة، كما بينه بقوله «وإنه لحب الخير لشديد» والمعنى أنه من فرط حبه للمال - وهو الخير في معنى القول - يكون شديدا في الإنفاق، بمعنى أنه يكون يخيلا:

ه أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۖ وَحُصِّلَ
مَا فِي الصُّدُورِ ۚ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ۝

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - تهديد ووعيد للكافرين نعم الله، الباخلين بأموالهم عن الإنفاق في الخيرات، والقول يتصور فيه معنيان، أولهما أن يكون في شأن الإنسان أو الواحد منه، أنكر عليه تعالى عدم عمله بما علمه من أنه حين يبعثر ما كان مدفونا في القبور من الموتى، والمعنى أنه عند التشور، وحين يتم تمييز ما كان مخفيا في الصدور في الدنيا من النوايا الخيرة عما كان مخفيا فيها من النوايا الشريرة، أو حين يكشف تعالى عن دوافع الأعمال، أنه تعالى يكون قد أحاط بكل شيء عن ابن آدم متعلقا بذاته، وصفاته، وأعماله، ونواياه فيحاسبه بهذا ويجازيه - والمعنى الثاني يكون فيه القول متعلقا بالله تعالى، يكون القول قد أثبت في مبتدئه أنه يعلم مآل كل فرد من أبناء آدم منذ أن يبعثر ما في القبور، فيكون القول إنكارا لعدم علمه تعالى بهذا في هذا الوقت وبعده في وقت تحصيل ما انطوت عليه الصدور من النوايا والعزائم.

أتبعه تعالى بالإخبار مع التأكيد على إحاطته بجميع أمور العباد في ذلك اليوم، فيكون القول تهديدا بالحساب والجزاء على ما كان من جاحدى النعم الباخلين بأموالهم عن الإنفاق في أوجه الخير والصدقات .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣

أولاً : الأسماء :

القارعة : اسم فاعل مؤنث من «قرع - يقرع قرعا» والقرع هو الضرب بشدة، والمراد بها - فى معنى القول - هو القيامة، تبدأ من النفخة الأولى، وتنتهى عند فضل القضاء بين الخلائق. وقيل هو صوت النفخة .

ثانيا : التفسير :

ذكر تعالى القيامة فى افتتاح السورة باسم «القارعة» للإشعار بهولها، ثم جاء الاستفهام فى قوله تعالى «ما القارعة» للتشويق إلى معرفة ماهيتها، ثم جاء قوله تعالى «وما أدراك ما القارعة» ليثبت لرسوله ﷺ أنه لم يكن يعلم جميع أحوالها من قبل، كما جاء تفخيما لها.

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥

أولاً : الأسماء :

١ - الفراش : جمع، مفردة «الفراشة» وهى الحشرة الطائرة المعروفة التى تتحول إليها اليرقة ليكون بين ذكورها وإناثها التزاوج، ثم تضع الإناث منها البيض لمعاودة دورة حياة الحشرة، إذ تخرج من البيض اليرقات .

٢- المعن : هو الصوف، وقيل هو الصوف المصبوغ .

ثانيا : التفسير :

القول هو الإخبار عن القارعة، والمعنى أنها تكون يوم يكون الناس مثل الفراش المنتشر في أنحاء مختلفة ليس له وجهة واحدة، وهذا هو شأن الفراش، يتفرق في طيرانه، وتكون الجبال في هذا اليوم مثل الصوف الذي يتفش باليد أوبا لآلة فيصير شعيرات خفيفة واهية تذروها الرياح فتصير هباء ممتورا .

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ① فَهُوَ فِي
عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ② وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ③ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ
④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ⑤ نَارٍ حَامِيَةٍ ⑥

أولا : الأسماء :

الهاوية : في قوله تعالى «فأمه هاوية» هي الجحيم، سميت هاوية لأن المعذب بها يهوى به فيها إلى قعرها .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - في الآيات - هو إجمال لأحوال العباد يوم القيامة، فيه قسم تعالى العباد فريقين، وصف فريق الأولين بأنهم الذين ثقلت موازينهم من الذين يحاسبون - لأن هناك عبادا لا يحاسبون منهم الأنبياء - على الأولى - ومنهم غيرهم مثل من أذن تعالى لرسوله ﷺ أن يدخلهم الجنة بغير حساب، ولأن أهل الصبر لا توزن أعمالهم وإنما يصب لهم الأجر صبا - والذين ثقلت موازينهم هم الذين رجحت حسناتهم سيئاتهم من الذين آمنوا، وقد أخبر تعالى عن هؤلاء بأن الواحد منهم يكون في عيشة راضية، بمعنى أنها تعطى الرضا من نفسها بما سخرها الله عليه، إذ تنيل من يحياها كل ما يريد دون جهد ولا تعب .

ثم ذكر تعالى فريق الآخرين بأنهم الذين خفت موازينهم وهم الذين لهم حسنات لم تقبل فلم يعتد بها، والذين رجحت سيئاتهم أعمالهم . أخبر عنهم تعالى بأن الواحد منهم

تكون أمه هاوية، والمعنى أنه يسقط في حضنها فتحضنه كما يأوى الطفل إلى حضن أمه فتأخذه فيه. ثم شوق تعالى رسوله ﷺ والناس إلى معرفة ماهية هذه الهاوية بقوله «وما أدراك ما هي» أي «وما هو مبلغ علمك بما هي هاوية». ثم أخبر عنها بقوله «نار حامية» بمعنى أنها نار شديدة الحرارة تتضاءل إلى جوارها نار الدنيا المعروفة لنا.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمُلْكُ الْمَكْتُومُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝

التفسير:

قيل إن قوله تعالى نزل حين تفاخر بنو عبد مناف مع بنى سهم فى أيهم أكثر عددا، فلما عدوا الأحياء انتقلوا إلى القبور ليعدوا موتى كل منهم. وعلى هذا يكون الخطاب فى القول إلى هؤلاء المتفافرين ومن حذوا حذوهم، ويكون معنى القول أن تفاخرهم هذا قد شغلهم انشغال سعادة فكان ضريا من الله، كان من إمعانهم فيه أنهم زاروا القبور ليعدوا الموتى ليعرفوا لمن تكون الغلبة فى لهوهم الشاغل. ويتصور فى القول أن يكون له معنى عام، فيكون الخطاب لكل من شغله التباهى بكثرة المال والولد فاستغرق عليه هذا الانشغال حياته إلى أن مات مقصرا فى حق ربه، يدفن فيها ثم ينبعث منها فيكون فى فترة مكثه فى القبر مثل الزائر يقيم حيناً ثم يبرح.

كَأَلَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّاسَوْفَ تَعْمَلُونَ ۝

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - وعيد بعد وعيد لمن لا ينتهى عن التكاثر بالمال والولد يشغله

عن ذكر الله والقيام بحقوقه، ومعنى القول هو للمخاطبين «إنكم سوف تعلمون عاقبة هذا» وتكراره لتأكيد الوعيد وتشديده. ويتصور أن يكون العلم بالعاقبة الأول هو فى القبر، وأن يكون الثانى يوم القيامة.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ
الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ
۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو زيادة فى تأكيد الوعيد وتشديد فى التهديد للصرف عن السلوك، فمعنى قوله تعالى «كلا لو تعلمون علم اليقين» هو «إنكم لو علمتم عاقبة أمركم علمكم بما أنتم متيقنين منه من الأمور، لكان ما علمتموه قد شغلكم عن هذا التكاثر بالأموال والأنفس. ثم بين تعالى ما هو الأمر المتيقن منه واللازم وقوعه، والذي من شأنه أن يشغل عن التفاخر بالتكاثر بالأموال والأنفس، وهو أنهم سيرون الجحيم فى الآخرة، سيراه المؤمن والكافر على ما جاء بقوله تعالى «وما منكم إلا واردة» فتكون للمؤمنين ممرا، وتكون للكافرين دارا، ثم يراها الكافرون عين اليقين، والقول إخبار عن دوام مقامهم فى النار، إذ تكون رؤيتهم إياها دائمة متصلة. وقيل إن المعنى هو إنكم لو علمتم فى دنياكم علم اليقين مما وصفت لكم فإنكم ترون الجحيم بعيون قلوبكم، فيشغلكم هذا عن لهوكم بالتكاثر بالأموال والأنفس، إلى الانشغال بما يجنبكم أن تكونوا من أهل الجحيم.

وقوله تعالى «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» يتصور فيه أن يكون توبيخا للكفار واستهزاء بهم إذ يسألون لدى دخولهم الجحيم أو لقائهم فيها عن رأيهم فى هذا النعيم الذى أعد لهم. ويتصور فيه أن يكون توبيخا لهم على انشغالهم بأمر نعيم الدنيا الذى ألهاهم عن ذكر الله، فيكون الارتباط بينه وبين افتتاح السورة قائما واضحا.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝

أولاً : الأسماء :

العصر: قيل إن المراد به - في معنى القول - هو صلاة العصر، أقسم بها الله لفضلها ولأنها الصلاة الوسطى. وقيل هو «بكرة، وعشيا»، وقيل هو عصر النبوة، شرف برسول الله ﷺ.

ثانياً : التفسير :

أقسم تعالى بالعصر، والراجح بشأنه أن المراد به هو صلاة العصر، أقسم بها تعالى لفضلها، وجواب القسم هو إن الإنسان في خسران، إذ يسعى في عمله قصد النجاح فيه وكسب المال معتقداً أن ربحه في عمله هو الفلاح، فيأخذه سعيه للربح ويشغله عن ذكرربه. ثم استثنى تعالى من جنس الإنسان الذين آمنوا بالله وأخلصوا إيمانهم لله تعالى، وقرنوا ذلك بعمل الصالحات، وتواصوا فيما بينهم بالحق وهو الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما تواصوا فيما بينهم بالصبر على شهوات النفس والمعاصي، والصبر على الطاعات. ومعنى الاستثناء هو أن تجارتهم تكون هي الفوز المبين، لأنهم في تجارة لا تبور.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الهمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَنُفِّلْ كُلَّ مَرْغُومٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدْدَ لَهُ ۝ يَحْبِبُ
أَنْ مَالَهُ وَأَخْلَدَهُ ۝

أولاً: الأسماء:

١- الهمزة: هو المشاء بالنميمة، وقيل هو العياب في المواجهة بالكذب.

٢- اللزمة: هو الباغي على البريء بالعيب فيه. وقيل هو من يغتاب المرء من خلفه، وقيل هو الذى يتغامز على جلسه.

ثانياً: التفسير:

توعد تعالى بالخزى والعذاب والهلاك كل مشاء بنميم يسعى للإفساد بين الناس، وكل عياب فى الغيبة أو متغامز على جلسه للحط من شأنه. وتوعد بذات الشرور من جعل جل همه جمع المال وانشغل بإحصاء عدده أو فاخر بكثرته، أو أعدده لمن يرثه من ورثته. أخبر تعالى عنه بأنه يحسب أن ماله أخلده، بمعنى أنه يزيد فى عمره، إذ يعتقد البعض أنه بماله يستطيع أن يسخر الطب لمد أجله، أو أنه يكون فى استمرار أعماله التى يستثمر فيها ماله امتداداً لحياته بعد موته، فجاء القول لإثبات أنه لا يخلد، وأن ماله يفنى.

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝

أولاً: الأسماء:

الحطمة: هى النار، قيل إنها سميت «الحطمة» لأنها تحطم ما يلقى فيها وتهشمه.

ثانياً: التفسير:

جاءت «كلا» لرد من حسب أن ماله يخلده عن توهمه، ثم أثبت تعالى أنه بكفره وما توهم يطرح ويلقى منبواً فى الحطمة، شوق تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين العلم بها وفخم من أمرها بقوله «وما أدراك ما الحطمة» ثم أخبر عنها بأنها نار الله الموقدة دائمة التى لاتخمد، ثم ذكر من أوصافها أنها تتطلع على الأفئدة، بمعنى أنها بعد أن تأكل أجساد المعذبين فيها ثم بلغت أفئدتهم خلقوا خلقاً جديداً، فكان منها مع قلوبهم الاطلاع عليها، ومع باقى أجسادهم أكلها مع تكررها.

إِنهَآ عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩

التفسير:

مفاد قوله تعالى - في الآيتين - هو أن النار تكون على الملقون فيها مطبقة مغلقة، وأن غلقها يكون بعمد ممددة بها يتم إحكام الغلق والإطباق على أهل النار. وقيل إن العمد هي الأغلال التي تكون في أعناقهم والقيود التي في أرجلهم، وقيل هي عمد يضربون بها.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥

أولاً: الأسماء والأعلام:

١ - أصحاب الفيل: المراد بهم أبرهة الذي ولي اليمن من قبل نجاشي الحبشة في زمنه، بنى كنيسة في اليمن لأنه كان نصرانياً وأراد أن يصرف الناس عن الكعبة إليها، وكتب إلى نجاشي الحبشة بذلك، فقام رجل من العرب إلى كنيسة أبرهة فأحدث فيها فأتجه أبرهة بجيشه لهدم الكعبة، دعى وأصحابه وجيشه بأصحاب الفيل لأنهم نقلوا على مراكبهم حين أتوا من الحبشة أفيا لآلم تكن للعرب مغرفة بها فأنزلت الرعب في قلوبهم .

٢ - الأبابيل: في قوله تعانى «وأرسل عليهم طيراً أبابيل» هي المجتمعة بعضاً إلى بعض، أو المتتابعة مجموعة في إثر مجموعة .

٣ - العصف: في قوله تعالى «كعصف مأكول» هو قشر القمح تعصف به الريح لفرط خفته .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى في السورة هو في بيان مدى قدرته تعالى على الانتقام ممن اعتدى على حرمانه ومقدساته . خاطب تعالى رسوله ﷺ بقوله « ألم تر » والاستفهام أريد به إثبات أنه ﷺ قد أخبر بما هو موضوع الاستفهام وعلم ، فكأنه رأى . وموضوع الاستفهام هو ما فعل تعالى بأصحاب الفيل وهم أفراد جيش أبرهة الذين تقووا بالأفيال لدى محاولتهم اقتحام الكعبة البيت الحرام لهدمها وتحويل الناس عنها إلى كنيسة بناها أبرهة في اليمن . ثم إنه تعالى أثبت أنه جعل كيد أفراد جيش أبرهة في تضليل ، بمعنى أن ما كادوا به لقريش من أخذ نفوسها بالقتل والسبي ، وأموالها بالاستلاب ، وما كادوا لبيت الله الحرام من تخريب وهدم ، كان مصير كل هذا إلى الضياع والإبطال ، ثم بين تعالى كيف كان منه أمر جعل عاقبة كيدهم ضياعا لهم أرواحا وأموالا ، فذكر أنه أرسل عليهم طيرا من السماء مجتمعة في إغارات متتالية ، كانت ترميهم بحجارة من طين قيل إنها طبخت بنار جهنم وإن كل حجر منها كان مدونا عليه اسم من يصيبه فيقتله ، ثم بين تعالى عاقبة رمى أصحاب الفيل بهذه الحجارة بقوله تعالى « فجعلهم كعصف مأكول » والمعنى أن أجسادهم قد ماثلت غلاف القمح أوقشره من بعد استخراج الحب منه ، لأكله ، والمعنى أنها درست وتفتتت إلى أن لم يصبح لها وزن حتى إن الريح تعصف بها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَيْلَى قُرَيْشٍ ١ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ٢ فَلْيَعْبُدُوا
رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ٤

أولاً : الأسماء والأعلام :

- ١ - الإيلاف : فى قوله تعالى «إيلاف قريش» هو الاجتماع مع الالتام . وهو الائتلاف .
٢ - قريش : سبق بيانه والتعريف به ، والراجح فى القول أنه فهرين مالك بن النضر بن كنانة ، سمى قريشا تشبيها له بسمكة القرش لشدته ، فكل من هو من ولده فهو قرشى .
ثانيا : التفسير :

بين السورة وبين قوله تعالى فى سورة الفيل السابقة عليها فى ترتيب المصحف علاقة فى المعنى ، إذ يكون القول أنه تعالى أهلك أصحاب الفيل لكى تأتلف قريش على أمر واحد لا تختلف هو شكره تعالى على إنعامه عليهم بالأمن لاتغير عليهم القبائل فى رحلاتهم التجارية ولا قطاع الطرق احتراماً لكونهم أصحاب البيت ، فلما أغار أبرهة وجيشه على البيت ، وقبل أن يقره استولى على مائتى بعير لعبد المطلب سيد قريش كان منه تعالى أن أهلك أبرهة وجيشه . ثم بين تعالى هذا الإيلاف أو بين مظهرها له نتيجة الشعور بالأمن وهو بقاؤهم على ما ألفوه من الخروج رحلتين فى السنة ، رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى بصرى فى أرض الشام . ثم إنه لما كان من قريش - بدلا من شكر الله على نعمه وعبادته - أنهم انصرفوا عن عبادته فكان منه تعالى أن أمرهم أن يعبدوا الله رب الكعبة التى حماها الله من أصحاب الفيل ، الذى أطعمهم من هاتين الرحلتين من جوع كانوا عليه من قبل ، أو كان مصيهم لو لم يخرجوا إليهما ، والذى آمنهم من إغارة الأقوام عليهم فى بلادهم بإقامتهم على البيت الحرام ، ومن الخوف الذى نالهم من أصحاب الفيل .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ
وَلَا يَمْنَحُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ قَوْلُ اللَّصِيقِينَ ۚ
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرْءَاوْنَ ۚ وَيَكْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۚ

أولاً: الأسماء والأعلام:

١ - الذى يكذب بالدين : هو المكذب بيوم القيامة، قيل إن المراد به - فى معنى القول - هو العاص بن وائل السهمي، وقيل هو الوليد بن المغيرة، وقيل أبو جهل، وقيل أبو سفيان.

ثانياً: التفسير:

الاستفهام فى قوله تعالى «أرأيت» هو لتشويق السامع إلى معرفة صفات المكذب بالدين أوبيوم القيامة للاحتراز منه، ثم بين تعالى أنه ذلك الذى يدع اليتيم بدفعه يقره ويزجره بعنف إذا سأله طعاماً لأنه لا يرجو بالإطعام وجه الله، فإن أطعم فرياء، ولا يحث أحداً على إطعام المسكين بقول أوبجعل نفسه قدوة. ثم إنه لما كان الدين هو ما قرفى القلب وصدقه العمل وليس منه المراءاة بالفعل، فإنه تعالى توعّد بالعذاب المصلين الذين يغفلون عن الصلاة ولا يبالون بها فتفوتهم أويخرج وقتها، والذين يراؤون بها يتركونها سرا ويؤدونها علانية، والذين يمنعون الماعون، بمعنى أنهم لا يخرجون الزكاة. ولا شك أن المرائي بصلاته والذى يمتنع عن أداء الزكاة، هو كافر إن جحد الصلاة أو الزكاة، وفاسق إن فعل هذا غير مبال بتقصيره، مستحق ما توعّد به من العذاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③

أولاً: الأسماء:

١ - الكوثر: قيل هو نهر أعطاه الله رسوله فى الجنة، وقيل هو حوض له عليه الصلاة والسلام فى المحشر، وقيل هو الفضائل الكثيرة التى اتصف بها ﷺ.

٢ - الشانئ: فى قوله تعالى «إن شانئك هو الأبر» هو المبغض.

٣ - الأبر: هو الذى لا عقب له، لا يبقى له نسل يذكره، ولا عمل حسن يذكر. فينقطع صيته بموته.

ثانياً: التفسير:

أخبر تعالى رسوله ﷺ أنه تفضل عليه بإعطائه الكوثر، نهراً فى الجنة أو حوضاً فى

المحشر، أو الفضائل التي جعلها الله خلال صفاته، ثم جاء أمره تعالى المترتب على هذا الإنعام بالصلاة لربه شكراً لأنعمه، وبنحر البدن باسمه تعالى وبالتصدق بها على أهل الحاجة. ثم كان منه تعالى أن أخبر رسوله ﷺ أن يبقى على بغضه ﷺ لا يؤمن مستبدلاً ببغضه حبا ينقطع ذكره من بعد موته فلا يبقى له نسل.

ويلاحظ أن في الصورة مقابلة بين المنافق الموصوف في سورة الماعون وبين المؤمن، إذ وصف تعالى المنافق في سورة الماعون بالخل، وترك الصلاة، والرياء، ومنع الزكاة، وفي السورة قابل بخل الكافر بعطائه تعالى أكرم الأكرمين، وقابل ترك الصلاة بالمداومة عليها، وقابل الرياء بالصلاة لله وليس لغيره رضاه، وقابل منع الماعون بالنحر والتصدق. وقيل إن المراد بالصلاة صلاة العيد، وبالنحر التضحية.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ
عَبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ④ وَلَا أَنْتُمْ
عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤

التفسير:

أمر تعالى رسوله ﷺ أن ينادي قوماً من الكافرين معينين بذواتهم علم تعالى أنهم يموتون على الكفر قيل هم الوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، والعاص بن وائل، وأمّية بن خلف - كانوا قد عرضوا على رسول الله أن يعبدوا ما يعبدون وأن يعبدوا ما يعبد ثم يروا أيهما على الحق. وأمره أن يقول لهم «لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد». قيل في التكرار إنهم كرروا قولهم فكان منه تعالى ومن رسوله

التكرار، وقيل إن التكرار للتغليظ. وقد يكون الصحيح هو ما قاله الزمخشري من أن «لا أعبد» أريد به نفى العبادة في المستقبل - لأن «لا» تدخل على مضارع في معنى المستقبل - فيكون المعنى أنه ﷺ لا يفعل في المستقبل ما يطلبونه منه من عبادة آلهتهم، كما أنهم ليسوا فاعلين في المستقبل ما يطلبه منهم من عبادة إلهه - لأن «ما» تدخل على المضارع في معنى الحال، ويكون باقى المعنى أنه ﷺ ما كان عابدا في الماضي ما عبدوا، وأنهم ما عبدوا في وقت ما هو على عبادته.

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ①

التفسير:

القول ختام قوله ﷺ للكافرين المغنيين بالقول، قيل إنه تهديد لهم بمعنى أنه لكم جزاء دينكم ولنا جزاء ديننا. وقيل هو تقرير لقوله ﷺ السابق، بمعنى أن إشراكهم محصور فيهم لا يتجاوزهم إليه ﷺ، وأن توحيده ربه مقصور عليه والذين قدر تعالى أنهم يؤمنون لا يتجاوزهم إليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③

التفسير:

يقول تعالى لرسوله ﷺ أنه متى جاءك العون منه تعالى ونصرك على عدوك كفار مكة -

وقيل فى النصر هو صلح الحديبية - ثم فتح الله على يديك مكة - وقيل إن الفتح هو فتح المدائن - ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفوجا من بعد فوج، وذلك لأن الناس لما وجدوا أنه تعالى أهلك جيش أبرهة حين حاول اقتحام البيت، ثم رأوا رسول الله ﷺ يدخله فاتحا آمنوا أنه رسول الله فدخلوا فى الإسلام أفوجا متلاحقة، يقول له تعالى متى رأيت هذا فليكن منك أن تكثر من الصلاة ومن التسيب لله حمدا له وثناء عليه، وليكن منك استغفاره، ثم أخبر عن ذاته أنه التواب، يتوب على التائبين التوابين ويغفر لهم. والأمر يعم جميع المسلمين، لأنه إذا شمل المعصوم عن الخطايا، الموعود مغفرة الذنب، فإنه يشمل من باب أولى من هم دونة ﷺ. وقيل إن قوله تعالى «إذا جاء نصر الله والفتح» كان إخبارا له ﷺ بأن مجيء نصر الله والفتح هو علامة موته، ولهذا طلب منه الإكثار من تسيب ربه واستغفاره.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بَنَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢
 سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٤ فِي
 جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسْكٍ ٥

أولاً : الأسماء والأعلام :

١ - أبو لهب : هو عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وأعدى أعدائه.

٢ - امرأة أبي لهب : فى قوله تعالى «وامراته حمالة الحطب» هم أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان زوج أبى لهب، كانت تحمل الحزمة من الشوك والحسك والسعدان

فتنشرها ليلا في طريقه ﷺ ليطأه بقدميه الشريفتين .

٣- المسد : في قوله تعالى « في جيدها حبل من مسد » هو ما قتل من الجبال فتلا شديدا من ليف المقل .

ثانيا : التفسير :

خص تعالى يدى أبى لهب فى مبتدأ القول بالدعاء عليها بالهلاك أو بالإخبار عن هلاكها المقدر أن يكون، لأنه حين أنذر ﷺ عشيرته الأقربين قال له أبو لهب « تبا لك، ألهذا جمعتنا » ثم أخذ حجرا بيديه ليرميه به . ثم دعا عليه تعالى بالهلاك كله، أو أخبر عن هذا . والمعلوم أن أبا لهب هلك بمرض العدسة أصاب يديه ثم انتقل إلى جسمه كله فمات، وترك حتى أتنن، ثم دفن رجما بالحجارة خوفا من الاقتراب منه للعدوى .

ثم إنه تعالى أثبت أن أمواله وما اكتسب لا يغنيان عنه شيئا مما قدر له من الهلاك على هذا النحو . وأتبع تعالى هذا بالإخبار بأنه فى الآخرة سيدخل نارا ذات اشتعال وتوقد .

ثم إنه تعالى ذم امرأة أبى لهب بما يهينها وهو أنها تحتطب من شدة غناها، إظهارا لشدة بخلها أولسعها بين الناس بالنميمة، أو لاكتسابها الأثام والذنوب .

ثم زاد تعالى فى إهانتها وتخسيس حالها بذكر حالها وقت الاحتطاب وهو ربطها حبلا من مسد فى عنقها .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

أولاً : الأسماء :

الصمد : هو من يصمد إليه، أى الذى يقصد إليه ويلتجأ عند الحاجة، وهو السيد العظيم.

ثانياً : التفسير :

أمر تعالى رسوله ﷺ - بصفته رأس المؤمنين - أن يقول بلسانه عن قلبه إن ربه هو الواحد التوالتى لاشبيه له، وأنه الذى يصمد إليه ويلتجأ عند الحاجة، والذى لم يلد ولم يولد، لأنه لا يموت، وكل من يلد ويولد هو للموت. وأن يبين أنه ليس كمثل شىء، بنفى أن يكون له شبيه ولا عدل. وقيل إن القول كان إجابة لطلب المشركين من رسول الله أن ينسب لهم ربه.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

أولاً : الأسماء :

١ - الفلق : قيل هو سجن فى جهنم، وقيل بيت فيها، وقيل هو الصبح، وقيل هو الرحم ينفلق بالمولود. وقيل هو كل ما انفلق عن خلق من خلقه تعالى.

٢ - الغاسق : فى قوله تعالى «ومن شر غاسق» ؛ قيل هو الليل، والغسق أول ظلمته، وقيل هو البارد.

٣ - النفاثات : هن الساحرات ينفثن فى عقد الخيط حين يرقين عليها.

ثانياً : التفسير :

أمر تعالى رسوله والمؤمنين بالتعوذ به وصف ذاته بأنه رب الصبح أو كل ما انفلق عن مخلوق، من شر إبليس وذريته وكل ذي شر من خلقه، ومن شر الليل تخرج فيه الوحوش الضواري ويخرج شرار الناس للقتل والسلب، ومن شر الساحرات اللائي ينفثن في عقد الخيط تاليات عبارات السحر، ومن شر الحاسد الذي يتمنى زوال نعمة المحسود. والمفهوم من القول أنه تعالى يعيذ من استعاذ به عن إيمان .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①
مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤
مِنَ الْبَغْثَةِ وَالنَّاسِ ⑥

أولاً : الأسماء :

١ - الوسواس : هو ذو الوسواس الذي يوسوس للنفس . وقيل هو الشيطان .

٢ - الخناس : هو المختفي من بعد ظهور . وقيل هو ابن لإبليس جاء به إلى حواء لتكفله فقطعه آدم أربعة أجزاء، ثم ناداه إبليس «يا خناس» فقام، فأعاده لحواء. فحرقه آدم وذراه في البحر، فناده إبليس «يا خناس» فقام، فأعاده إلى حواء، فذبحه آدم وشواه وأكله وحواء، فجاء إبليس وقال هذا ما أردت، يكون مسكنه صدر بني آدم .

ثانيا : التفسير :

أمر تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بالتعوذ به، وضمف ذاته بأنه رب الناس، بمعنى أنه راعيهم والمتولى أمورهم، وبأنه ملكهم مهما عظموا فهو ملك ضعفائهم وملك ملوكهم، وبأنهم إلههم المستحق وحده العبادة فهو الرب الملك الإله. والمتعوذ منه هو الوسواس الخناس، وهو حديث النفس توسوس بالشر دون أن يظهر الموسوس به، ثم بين تعالى أن الموسوس للنفس هو الشيطان المخفى في الصدر أو الذي يجري في الإنسان مجرى الدم، فتكون وسوسته في الصدور.

ثم بين أن الشيطان شيطانان شيطان الجن الذي يوسوس في الصدور وشيطان الإنس الذي يأتي في العلن، يث وسوسته فتسكن في صدر الموسوس له ولهذا أمر تعالى بالتعوذ من هذا ومن ذاك .

تم بعون الله وحسن توفيقه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرسة المجلد الخامس من النفيس فى معانى الاسماء وبيان الاعلام بتفسير القرآن

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٤٤ ﴿تحتيم يوم يلقونه سلام﴾	٢٤	تابع تفسير سورة الأحزاب	
الآية ٤٥ ﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك﴾	٢٤	الآية ٢٠ ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾	٢
الآية ٤٦ ﴿وداعيا إلى الله﴾	٢٤	الآية ٢١ ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة	
الآية ٤٧ ﴿وبشر المؤمنين﴾	٢٤	حسنة﴾	٤
الآية ٤٨ ﴿ولا تطع الكافرين﴾	٢٤	الآية ٢٢ ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾	٥
الآية ٤٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾	٢٥	الآية ٢٣ ﴿من المؤمنين رجال﴾	٥
الآية ٥٠ ﴿يا أيها النبى إنا أحللت لك أزواجك﴾	٢٧	الآية ٢٤ ﴿ليجوزى الله الصادقين﴾	٦
الآية ٥١ ﴿ترجى من تشاء﴾	٢٠	الآية ٢٥ ﴿ورد الله الذين كفروا﴾	٧
الآية ٥٢ ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾	٢١	الآية ٢٦ ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾	٧
الآية ٥٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا﴾	٢٣	الآية ٢٧ ﴿وأورثكم أرضهم﴾	٨
الآية ٥٤ ﴿إن تبدوا شيئا أو تخفوه﴾	٢٦	الآية ٢٨ ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك﴾	٩
الآية ٥٥ ﴿لا جناح عليهن﴾	٢٦	الآية ٢٩ ﴿وإن كنن تردن الله ورسوله﴾	٩
الآية ٥٦ ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى﴾	٢٧	الآية ٣٠ ﴿يا نساء النبى من يأت﴾	١٠
الآية ٥٧ ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾	٢٨	الآية ٣١ ﴿ومن يقتل منك﴾	١١
الآية ٥٨ ﴿والذين يؤذون المؤمنين﴾	٢٨	الآية ٣٢ ﴿يا نساء النبى لستن﴾	١٢
الآية ٥٩ ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك﴾	٤٠	الآية ٣٣ ﴿وقرن فى بيوتكن﴾	١٣
الآية ٦٠ ﴿لئن لم يتنه المنافقون﴾	٤١	الآية ٣٤ ﴿واذكرن ما يتلى فى بيوتكن﴾	١٥
الآية ٦١ ﴿لملعونين أيضا ثقفوا﴾	٤١	الآية ٣٥ ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾	١٦
الآية ٦٢ ﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل﴾	٤١	الآية ٣٦ ﴿وما كان لمؤمن﴾	١٧
الآية ٦٣ ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾	٤٣	الآية ٣٧ ﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه﴾	١٨
الآية ٦٤ ﴿إن الله لعن الكافرين﴾	٤٣	الآية ٣٨ ﴿ما كان على النبى من حرج﴾	٢٠
الآية ٦٥ ﴿خالدین فيها أبدا﴾	٤٣	الآية ٣٩ ﴿الذين يلقون رسالات الله﴾	٢٠
الآية ٦٦ ﴿يوم تقلب وجوههم فى النار﴾	٤٤	الآية ٤٠ ﴿ما كان محمد أيا أحد﴾	٢١
الآية ٦٧ ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا﴾	٤٤	الآية ٤١ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا﴾	٢٣
الآية ٦٨ ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾	٤٤	الآية ٤٢ ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾	٢٣
الآية ٦٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين﴾		الآية ٤٣ ﴿هو الذى يصلى عليكم﴾	٢٣

الآيات	الآيات	الصحيفة	الصحيفة
آفوا موسى ﴿	شركاء ﴿	٦٨	٦٨
الآية ٧٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴿	الآية ٢٨ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴿	٧٠	٧٠
الآية ٧١ ﴿يصلح لكم أعمالكم ﴿	الآية ٢٩ ﴿ويقولون متى هذا الوعد ﴿	٧٠	٧٠
الآية ٧٢ ﴿إنا عرضنا الأمانة ﴿	الآية ٣٠ ﴿قل لكم ميعة يوم ﴿	٧٠	٧٠
الآية ٧٣ ﴿ليمذب الله المنافقين ﴿	الآية ٣١ ﴿وقال الذين كفروا ﴿	٧١	٧١
تفسير سورة سبا	الآية ٣٢ ﴿قال الذين استكبروا ﴿	٧٢	٧٢
الآية ١ ﴿الحمد لله ﴿	الآية ٣٣ ﴿وقال الذين استضعفوا ﴿	٧٣	٧٣
الآية ٢ ﴿يعلم ما يلج في الأرض ﴿	الآية ٣٤ ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال	٧٤	٧٤
الآية ٣ ﴿وقال الذين كفروا ﴿	مترفوها ﴿	٧٤	٧٤
الآية ٤ ﴿ليجزى الله ﴿	الآية ٣٥ ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا ﴿	٧٥	٧٥
الآية ٥ ﴿والذين سعوا ﴿	الآية ٣٦ ﴿قل إن ربي يسط الرزق ﴿	٧٥	٧٥
الآية ٦ ﴿ويرى الذين أوتوا العلم ﴿	الآية ٣٧ ﴿وما أموالكم ولا أولادكم ﴿	٧٦	٧٦
الآية ٧ ﴿وقال الذين كفروا ﴿	الآية ٣٨ ﴿والذين يسمون في آياتنا	٧٧	٧٧
الآية ٨ ﴿أفترى على الله كذبا ﴿	معاجزين ﴿	٧٧	٧٧
الآية ٩ ﴿أفلم يروا ﴿	الآية ٣٩ ﴿قل إن ربي يسط الرزق ﴿	٧٧	٧٧
الآية ١٠ ﴿ولقد آتينا داود ﴿	الآية ٤٠ ﴿ويوم يحشرهم جميعا ﴿	٧٩	٧٩
الآية ١١ ﴿إن أعمل سابقات ﴿	الآية ٤١ ﴿قالوا سبحانك ﴿	٧٩	٧٩
الآية ١٢ ﴿ولسليمان الريح ﴿	الآية ٤٢ ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا	٨٠	٨٠
الآية ١٣ ﴿يعملون له ما يشاء ﴿	ولا ضرا ﴿	٨٠	٨٠
الآية ١٤ ﴿فلما قضينا عليه الموت ﴿	الآية ٤٣ ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا ﴿	٨١	٨١
الآية ١٥ ﴿ولقد كان لسيا في مسكنهم آية ﴿	الآية ٤٤ ﴿وما آتيناكم من كتب ﴿	٨٢	٨٢
الآية ١٦ ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل	الآية ٤٥ ﴿وكذب الذين من قبلهم ﴿	٨٢	٨٢
العرم ﴿	الآية ٤٦ ﴿إنما أعظكم بواحدة ﴿	٨٣	٨٣
الآية ١٧ ﴿ذلك جزاؤهم بما كفروا ﴿	الآية ٤٧ ﴿قل ما سألتكم من أجر ﴿	٨٥	٨٥
الآية ١٨ ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى ﴿	الآية ٤٨ ﴿قل إن ربي يقذف بالحق ﴿	٨٥	٨٥
الآية ١٩ ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴿	الآية ٤٩ ﴿قل جاء الحق ﴿	٨٥	٨٥
الآية ٢٠ ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ﴿	الآية ٥٠ ﴿قل إن ضللت ﴿	٨٥	٨٥
الآية ٢١ ﴿وما كان له عليهم من سلطان ﴿	الآية ٥١ ﴿ولو ترى إذ فرعوا ﴿	٨٧	٨٧
الآية ٢٢ ﴿قل ادعوا الذين زعمتم ﴿	الآية ٥٢ ﴿وقالوا آمنا به ﴿	٨٧	٨٧
الآية ٢٣ ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده ﴿	الآية ٥٣ ﴿وقد كفروا به ﴿	٨٨	٨٨
الآية ٢٤ ﴿قل من يرزقكم ﴿	الآية ٥٤ ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴿	٨٩	٨٩
الآية ٢٥ ﴿قل لا تسألون عما أجرمتنا ﴿	تفسير سورة فاطر	٩٠	٩٠
الآية ٢٦ ﴿قل يجمع بيننا ربنا ﴿	الآية ١ ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴿	٩٠	٩٠
الآية ٢٧ ﴿قل أرونى الذين الحقن به	الآية ٢ ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة ﴿	٩٢	٩٢

الآيات	الآيات	الصحيحة	الصحيحة
الآية ٣ ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله﴾	الآية ٣٧ ﴿وهم يصطرون فيها﴾	٩٢	١١٥
الآية ٤ ﴿وإن يكذبوك﴾	الآية ٣٨ ﴿إن الله عالم الغيب﴾	٩٣	١١٧
الآية ٥ ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾	الآية ٣٩ ﴿هو الذي جعلكم خلائف﴾	٩٤	١١٧
الآية ٦ ﴿إن الشيطان لكم عدو﴾	الآية ٤٠ ﴿قل أرايتم شركاءكم﴾	٩٤	١١٨
الآية ٧ ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد﴾	الآية ٤١ ﴿إن الله يمسك السموات﴾	٩٥	١١٩
الآية ٨ ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾	الآية ٤٢ ﴿واقسموا بالله﴾	٩٦	١٢٠
الآية ٩ ﴿والله الذي أرسل الرياح﴾	الآية ٤٣ ﴿استكبارا في الأرض﴾	٩٧	١٢٠
الآية ١٠ ﴿من كان يريد العزة﴾	الآية ٤٤ ﴿أولم يسيروا﴾	٩٨	١٢٢
الآية ١١ ﴿والله خلقكم من تراب﴾	الآية ٤٥ ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾	٩٩	١٢٢
الآية ١٢ ﴿وما يستوى البحران﴾	تفسير سورة يس	١٠٠	
الآية ١٣ ﴿يولج الليل في النهار﴾	الآية ١ ﴿يس﴾	١٠١	١٢٣
الآية ١٤ ﴿إن ندعوهم لاسمعوا﴾	الآية ٢ ﴿والقرآن الحكيم﴾	١٠٢	١٢٣
الآية ١٥ ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء﴾	الآية ٣ ﴿إنك لمن المرسلين﴾	١٠٤	١٢٣
الآية ١٦ ﴿إن يشأ يذهبكم﴾	الآية ٤ ﴿على صراط مستقيم﴾	١٠٤	١٢٣
الآية ١٧ ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾	الآية ٥ ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾	١٠٤	١٢٣
الآية ١٨ ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾	الآية ٦ ﴿لتنذر قوما﴾	١٠٥	١٢٤
الآية ١٩ ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾	الآية ٧ ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾	١٠٦	١٢٤
الآية ٢٠ ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾	الآية ٨ ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا﴾	١٠٦	١٢٤
الآية ٢١ ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾	الآية ٩ ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا﴾	١٠٦	١٢٥
الآية ٢٢ ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾	الآية ١٠ ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم﴾	١٠٦	١٢٥
الآية ٢٣ ﴿إن أنت إلا نذير﴾	الآية ١١ ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾	١٠٧	١٢٥
الآية ٢٤ ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾	الآية ١٢ ﴿إنا نحن نحى المونى﴾	١٠٧	١٢٧
الآية ٢٥ ﴿وإن يكذبوك﴾	الآية ١٣ ﴿واضرب لهم مثلا﴾	١٠٧	١٢٧
الآية ٢٦ ﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾	الآية ١٤ ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾	١٠٧	١٢٧
الآية ٢٧ ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾	الآية ١٥ ﴿وقالوا ما أنتم إلا بشر﴾	١٠٨	١٢٩
الآية ٢٨ ﴿ومن الناس الدواب والأنعام مختلف﴾	الآية ١٦ ﴿قالوا ربنا يعلم﴾	١٠٨	١٢٩
الآية ٢٩ ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾	الآية ١٧ ﴿وما علينا إلا البلاغ﴾	١١١	١٢٩
الآية ٣٠ ﴿ليوفيهم أجورهم﴾	الآية ١٨ ﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾	١١١	١٣٠
الآية ٣١ ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾	الآية ١٩ ﴿قالوا طائركم معكم﴾	١١٢	١٣٠
الآية ٣٢ ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾	الآية ٢٠ ﴿وجاء من أقصى المدينة﴾	١١٢	١٣١
الآية ٣٣ ﴿جنات عدن﴾	الآية ٢١ ﴿اتبعوا من لا يسألكم اجرا﴾	١١٢	١٣١
الآية ٣٤ ﴿وقالوا الحمد لله﴾	الآية ٢٢ ﴿ومالئ لا أعبد الذي فطرني﴾	١١٢	١٣١
الآية ٣٥ ﴿الذي أحلنا﴾	الآية ٢٣ ﴿أأخذ من دونه آلهة﴾	١١٢	١٣١
الآية ٣٦ ﴿والذين كفروا﴾	الآية ٢٤ ﴿إني إذا لفى ضلال مبين﴾	١١٥	١٣١

الآيات	الآيات	الآيات	الآيات
الآية ٢٥ ﴿إني آمنت بربكم﴾	الآية ٥٩ ﴿وامتازوا اليوم﴾	١٤٥	١٣١
الآية ٢٦ ﴿قبل ادخل الجنة﴾	الآية ٦٠ ﴿ألم أعهد إليكم﴾	١٤٥	١٣٢
الآية ٢٧ ﴿بما خفرتني ربي﴾	الآية ٦١ ﴿وأن اعبدونني﴾	١٤٥	١٣٣
الآية ٢٨ ﴿وما أنزلنا على قومك من بعده﴾	الآية ٦٢ ﴿ولقد أضل منكم جبلا﴾	١٤٥	١٣٣
الآية ٢٩ ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾	الآية ٦٣ ﴿هذه جهنم﴾	١٤٥	١٣٣
الآية ٣٠ ﴿يا حسرة على العباد﴾	الآية ٦٤ ﴿اصلوها اليوم﴾	١٤٥	١٣٤
الآية ٣١ ﴿ألم يروا كم أهلكنا﴾	الآية ٦٥ ﴿اليوم نختم﴾	١٤٧	١٣٥
الآية ٣٢ ﴿وإن كل لما جميع﴾	الآية ٦٦ ﴿ولو نشاء لطمسنا﴾	١٤٨	١٣٥
الآية ٣٣ ﴿وآية لهم الأرض﴾	الآية ٦٧ ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾	١٤٨	١٣٦
الآية ٣٤ ﴿وجعلنا فيها جنات﴾	الآية ٦٨ ﴿ومن نعمه ننكسه﴾	١٤٩	١٣٦
الآية ٣٥ ﴿ليأكلوا من ثمره﴾	الآية ٦٩ ﴿وما علمناه الشعر﴾	١٤٩	١٣٦
الآية ٣٦ ﴿سبحان الذي خلق الأزواج﴾	الآية ٧٠ ﴿لينذر من كان حيا﴾	١٤٩	١٣٦
الآية ٣٧ ﴿وآية لهم الليل﴾	الآية ٧١ ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم﴾	١٥٠	١٣٨
الآية ٣٨ ﴿والشمس تجري﴾	الآية ٧٢ ﴿وذللناهم﴾	١٥٠	١٣٨
الآية ٣٩ ﴿والقمر قدرناه﴾	الآية ٧٣ ﴿ولهم فيها منافع﴾	١٥٠	١٣٨
الآية ٤٠ ﴿لا الشمس ينبغي لها﴾	الآية ٧٤ ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾	١٥١	١٣٨
الآية ٤١ ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم﴾	الآية ٧٥ ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾	١٥١	١٤٠
الآية ٤٢ ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾	الآية ٧٦ ﴿فلا يحزنك قولهم﴾	١٥١	١٤٠
الآية ٤٣ ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾	الآية ٧٧ ﴿أولم ير الإنسان﴾	١٥٢	١٤٠
الآية ٤٤ ﴿إلا رحمة منا﴾	الآية ٧٨ ﴿وضرب لنا مثلا﴾	١٥٢	١٤٠
الآية ٤٥ ﴿وإذا قيل لهم اتقوا﴾	الآية ٧٩ ﴿قل يحييها﴾	١٥٢	١٤١
الآية ٤٦ ﴿وما تأتيهم من آية﴾	الآية ٨٠ ﴿الذي جعل لكم﴾	١٥٣	١٤١
الآية ٤٧ ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا﴾	الآية ٨١ ﴿أوليس الذي خلق﴾	١٥٣	١٤١
الآية ٤٨ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾	الآية ٨٢ ﴿إنما أمره﴾	١٥٣	١٤١
الآية ٤٩ ﴿ما ينظرون إلا صيحة﴾	الآية ٨٣ ﴿فنبيحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾	١٥٣	١٤١
الآية ٥٠ ﴿فلا يستطيعون توصية﴾	تفسير سورة الصافات	١٥٣	١٤٣
الآية ٥١ ﴿ونفخ في الصور﴾	الآية ١ ﴿والصافات صفا﴾	١٥٥	١٤٣
الآية ٥٢ ﴿قالوا يا ويلنا﴾	الآية ٢ ﴿فالزاجرات زجرا﴾	١٥٥	١٤٣
الآية ٥٣ ﴿إن كانت إلا صيحة﴾	الآية ٣ ﴿فالتاليات ذكرا﴾	١٥٥	١٤٣
الآية ٥٤ ﴿فاليوم لا تظلم نفس﴾	الآية ٤ ﴿إن الحكم لواحد﴾	١٥٥	١٤٤
الآية ٥٥ ﴿إن أصحاب الجنة﴾	الآية ٥ ﴿رب السموات والأرض﴾	١٥٥	١٤٤
الآية ٥٦ ﴿هم وأزواجهم﴾	الآية ٦ ﴿إنا زينا السماء﴾	١٥٦	١٤٤
الآية ٥٧ ﴿لهم فيها فاكهة﴾	الآية ٧ ﴿وحفظنا من كل شيطان﴾	١٥٦	١٤٤
الآية ٥٨ ﴿سلام قولا﴾			

الآيات	الصحيحة	الآيات	الصحيحة
الآية ٨ ﴿لا يسمعون إلى الملا الأعلى﴾	١٥٦	الآية ٤٢ ﴿فواكه وهم مكرمون﴾	١٦٣
الآية ٩ ﴿دحورا ولهم عذاب واصب﴾	١٥٦	الآية ٤٣ ﴿فى جنات النعيم﴾	١٦٣
الآية ١٠ ﴿إلا من خطف﴾	١٥٧	الآية ٤٤ ﴿على سرر متقابلين﴾	١٦٣
الآية ١١ ﴿فاستغفهم أهم أشد خلقا﴾	١٥٧	الآية ٤٥ ﴿يطاف عليهم بكأس﴾	١٦٣
الآية ١٢ ﴿بل عجب ويسخرون﴾	١٥٨	الآية ٤٦ ﴿بيضاء للذة﴾	١٦٣
الآية ١٣ ﴿وإذا ذكروا لا يذكرون﴾	١٥٨	الآية ٤٧ ﴿لانيها غول﴾	١٦٣
الآية ١٤ ﴿وإذا راوا آية﴾	١٥٨	الآية ٤٨ ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾	١٦٤
الآية ١٥ ﴿وقالوا إن هذا﴾	١٥٨	الآية ٤٩ ﴿كانهن يبيض﴾	١٦٤
الآية ١٦ ﴿أنذامتنا﴾	١٥٨	الآية ٥٠ ﴿فأقبل بعضهم﴾	١٦٥
الآية ١٧ ﴿أو آبائنا﴾	١٥٨	الآية ٥١ ﴿قال قائل منهم﴾	١٦٥
الآية ١٨ ﴿قل نعم﴾	١٥٩	الآية ٥٢ ﴿يقول أأنك لمن المصدقين﴾	١٦٥
الآية ١٩ ﴿فأنما هى زجرة﴾	١٥٩	الآية ٥٣ ﴿أنذامتنا﴾	١٦٥
الآية ٢٠ ﴿وقالوا يا ويلنا﴾	١٥٩	الآية ٥٤ ﴿قال هل أنتم مظلومون﴾	١٦٥
الآية ٢١ ﴿هذا يوم الفصل﴾	١٥٩	الآية ٥٥ ﴿فأطلع فرأه﴾	١٦٥
الآية ٢٢ ﴿احشروا الذين ظلموا﴾	١٦٠	الآية ٥٦ ﴿قال تالله﴾	١٦٦
الآية ٢٣ ﴿من دون الله﴾	١٦٠	الآية ٥٧ ﴿ولولانعمة ربي﴾	١٦٦
الآية ٢٤ ﴿وقفهم إنهم مسئولون﴾	١٦٠	الآية ٥٨ ﴿أنما نحن بعبتين﴾	١٦٦
الآية ٢٥ ﴿مالكم لاتنصرون﴾	١٦٠	الآية ٥٩ ﴿ألا موتنا الأولى﴾	١٦٦
الآية ٢٦ ﴿بل هم اليوم﴾	١٦٠	الآية ٦٠ ﴿إن هذا ليهو الفوز العظيم﴾	١٦٧
الآية ٢٧ ﴿وأقبل بعضهم﴾	١٦٠	الآية ٦١ ﴿لمثل هذا﴾	١٦٧
الآية ٢٨ ﴿قالوا إنكم﴾	١٦٠	الآية ٦٢ ﴿أذلك خير نزلا﴾	١٦٨
الآية ٢٩ ﴿قالوا بل لم تكونوا﴾	١٦٠	الآية ٦٣ ﴿إنا جعلناها﴾	١٦٨
الآية ٣٠ ﴿وما كان لنا عليكم﴾	١٦٠	الآية ٦٤ ﴿إنها شجرة﴾	١٦٨
الآية ٣١ ﴿فحق علينا قول ربنا﴾	١٦٠	الآية ٦٥ ﴿طلعها كأنه رءوس الشياطين﴾	١٦٨
الآية ٣٢ ﴿فأخويناكم إنا كنا غاوين﴾	١٦٠	الآية ٦٦ ﴿فأنهم لأكولون منها﴾	١٦٩
الآية ٣٣ ﴿فأنهم يومئذ فى العذاب﴾	١٦٠	الآية ٦٧ ﴿ثم إن لهم عليها لشوبا﴾	١٦٩
الآية ٣٤ ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾	١٦٠	الآية ٦٨ ﴿ثم إن مرجعهم﴾	١٦٩
الآية ٣٥ ﴿أنهم كانوا إذا قيل لهم﴾	١٦٢	الآية ٦٩ ﴿أنهم القوا﴾	١٧٠
الآية ٣٦ ﴿ويقولن أنا لشاركوا ألهتنا﴾	١٦٢	الآية ٧٠ ﴿فهم على آثارهم﴾	١٧٠
الآية ٣٧ ﴿بل جاء بالحق﴾	١٦٢	الآية ٧١ ﴿ولقد ضل قبلهم﴾	١٧٠
الآية ٣٨ ﴿إنكم لداثقوا العذاب﴾	١٦٢	الآية ٧٢ ﴿ولد أرسلنا فيهم﴾	١٧٠
الآية ٣٩ ﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾	١٦٢	الآية ٧٣ ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنظرين﴾	١٧٠
الآية ٤٠ ﴿إلا عباد الله﴾	١٦٣	الآية ٧٤ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾	١٧٠
الآية ٤١ ﴿أولك لهم رزق﴾	١٦٣	الآية ٧٥ ﴿ولقد نادانا نوح﴾	١٧١

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٧٦ ﴿ونجيناه وأهلكه﴾	١٧١	الآية ١١٠ ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾	١٧٩
الآية ٧٧ ﴿وجعلنا ذريته﴾	١٧١	الآية ١١١ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾	١٧٩
الآية ٧٨ ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾	١٧١	الآية ١١٢ ﴿وبشرناه بإسحاق﴾	١٨٠
الآية ٧٩ ﴿سلام على نوح﴾	١٧١	الآية ١١٣ ﴿وباركنا عليه﴾	١٨٠
الآية ٨٠ ﴿إنا كذلك نجزي﴾	١٧١	الآية ١١٤ ﴿ولقد منّا﴾	١٨١
الآية ٨١ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾	١٧١	الآية ١١٥ ﴿ونجيناهما وقومهما﴾	١٨١
الآية ٨٢ ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾	١٧١	الآية ١١٦ ﴿ونصرناهم فكانوا هم الغالبين﴾	١٨١
الآية ٨٣ ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾	١٧٣	الآية ١١٧ ﴿وأتيناهما الكتاب﴾	١٨١
الآية ٨٤ ﴿إذا جاء ربه بقلب سليم﴾	١٧٣	الآية ١١٨ ﴿وهديناهما الصراط﴾	١٨١
الآية ٨٥ ﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾	١٧٣	الآية ١١٩ ﴿وتركنا عليهما﴾	١٨١
الآية ٨٦ ﴿أتفكرا آلهة﴾	١٧٣	الآية ١٢٠ ﴿سلام على موسى وهارون﴾	١٨١
الآية ٨٧ ﴿نما ظنكم برب العالمين﴾	١٧٣	الآية ١٢١ ﴿إنا كذلك نجزي﴾	١٨١
الآية ٨٨ ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾	١٧٣	الآية ١٢٢ ﴿إنهما من عبادنا﴾	١٨١
الآية ٨٩ ﴿فقال إني سقيم﴾	١٧٣	الآية ١٢٣ ﴿وإن إلياس﴾	١٨٢
الآية ٩٠ ﴿فتولوا عنه﴾	١٧٣	الآية ١٢٤ ﴿إذ قال لقومه﴾	١٨٢
الآية ٩١ ﴿فراخ إلى آلهتهم﴾	١٧٥	الآية ١٢٥ ﴿أتدعون بعلا﴾	١٨٢
الآية ٩٢ ﴿ما لكم لا تنطقون﴾	١٧٥	الآية ١٢٦ ﴿الله ربكم﴾	١٨٢
الآية ٩٣ ﴿فراخ عليهم ضربا﴾	١٧٥	الآية ١٢٧ ﴿فكذبوه فأنهم لمحضرون﴾	١٨٣
الآية ٩٤ ﴿فأقبلوا إليه﴾	١٧٥	الآية ١٢٨ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾	١٨٣
الآية ٩٥ ﴿قال أتعبدون ما تتحتون﴾	١٧٥	الآية ١٢٩ ﴿وتركنا عليه﴾	١٨٣
الآية ٩٦ ﴿والله خلقكم﴾	١٧٥	الآية ١٣٠ ﴿سلام على إل ياسين﴾	١٨٣
الآية ٩٧ ﴿قالوا ابتوا له﴾	١٧٦	الآية ١٣١ ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾	١٨٣
الآية ٩٨ ﴿فأرادوا به كيدا﴾	١٧٦	الآية ١٣٢ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾	١٨٣
الآية ٩٩ ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي﴾	١٧٦	الآية ١٣٣ ﴿وإن لوطا لمن المرسلين﴾	١٨٤
الآية ١٠٠ ﴿رب هب لي﴾	١٧٦	الآية ١٣٤ ﴿إذ نجيناه﴾	١٨٤
الآية ١٠١ ﴿فبشرناه بغلام﴾	١٧٦	الآية ١٣٥ ﴿إلا عجزوا﴾	١٨٤
الآية ١٠٢ ﴿فلما بلغ معه السعي﴾	١٧٧	الآية ١٣٦ ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾	١٨٤
الآية ١٠٣ ﴿فلما أسلما﴾	١٧٨	الآية ١٣٧ ﴿وإنكم لتمرن عليهم مصحين﴾	١٨٥
الآية ١٠٤ ﴿ونادينا أن يا إبراهيم﴾	١٧٨	الآية ١٣٨ ﴿وبالليل أفلا تعقلون﴾	١٨٥
الآية ١٠٥ ﴿فقد صدقت الرؤيا﴾	١٧٨	الآية ١٣٩ ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾	١٨٥
الآية ١٠٦ ﴿إن هذا الهو البلاء المبين﴾	١٧٩	الآية ١٤٠ ﴿إذ أتى إلى الفلك﴾	١٨٥
الآية ١٠٧ ﴿وفدناه بذبح عظيم﴾	١٧٩	الآية ١٤١ ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾	١٨٥
الآية ١٠٨ ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾	١٧٩	الآية ١٤٢ ﴿فالتقمه الحوت﴾	١٨٥
الآية ١٠٩ ﴿سلام على إبراهيم﴾	١٧٩	الآية ١٤٣ ﴿فلولا أنه كان من المسحين﴾	١٨٥

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ١٤٤ ﴿للب في بطنه﴾	١٨٥	الآية ١٧٨ ﴿وتول عنهم حتى حين﴾	١٩٤
الآية ١٤٥ ﴿فنبذناه بالمرء﴾	١٨٦	الآية ١٧٩ ﴿وأبصر فسوف يبصرون﴾	١٩٤
الآية ١٤٦ ﴿وأنبتنا عليه شجرة﴾	١٨٦	الآية ١٨٠ ﴿سبحان ربك﴾	١٩٤
الآية ١٤٧ ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾	١٨٦	الآية ١٨١ ﴿وسلام على المرسلين﴾	١٩٤
الآية ١٤٨ ﴿فأسأوا فاستجابهم إلى حين﴾	١٨٦	الآية ١٨٢ ﴿والحمد لله رب العالمين﴾	١٩٤
الآية ١٤٩ ﴿فأسفتهم الربك النبات﴾	١٨٨	تفسير سورة ﴿ص﴾	
الآية ١٥٠ ﴿أم خلقنا الملائكة إنانا﴾	١٨٨	الآية ١ ﴿ص والقرآن ذى الذكر﴾	١٩٦
الآية ١٥١ ﴿الأنهم من إنكهم ليقولون﴾	١٨٨	الآية ٢ ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾	١٩٦
الآية ١٥٢ ﴿ولد الله وإنهم لكاذبون﴾	١٨٨	الآية ٣ ﴿كم أهلكتنا من قبلهم من قرن﴾	١٩٧
الآية ١٥٣ ﴿أصطفى النبات على البنين﴾	١٨٩	الآية ٤ ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر﴾	١٩٧
الآية ١٥٤ ﴿مالكم كيف تحكمون﴾	١٨٩	الآية ٥ ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾	١٩٧
الآية ١٥٥ ﴿أفلا تذكرون﴾	١٨٩	الآية ٦ ﴿وانطلق الملائكة منهم﴾	١٩٨
الآية ١٥٦ ﴿أم لكم سلطان مبين﴾	١٨٩	الآية ٧ ﴿ما سمعنا بهذا﴾	١٩٨
الآية ١٥٧ ﴿فأنوا بكتابكم﴾	١٨٩	الآية ٨ ﴿أنزل عليه الذكر من بيننا﴾	١٩٩
الآية ١٥٨ ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا﴾	١٩٠	الآية ٩ ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾	١٩٩
الآية ١٥٩ ﴿سبحان الله عما يصفون﴾	١٩٠	الآية ١٠ ﴿أم لهم ملك السموات والأرض﴾	١٩٩
الآية ١٦٠ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾	١٩٠	الآية ١١ ﴿جند ما هنالك مهزوم﴾	١٩٩
الآية ١٦١ ﴿فأنكم وما تعملون﴾	١٩١	الآية ١٢ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾	٢٠١
الآية ١٦٢ ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾	١٩١	الآية ١٣ ﴿وثمود وقوم لوط﴾	٢٠١
الآية ١٦٣ ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾	١٩١	الآية ١٤ ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾	٢٠١
الآية ١٦٤ ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾	١٩١	الآية ١٥ ﴿وما ينظر هؤلاء﴾	٢٠١
الآية ١٦٥ ﴿وإنا لنحن الصافون﴾	١٩١	الآية ١٦ ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطانا﴾	٢٠٢
الآية ١٦٦ ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾	١٩١	الآية ١٧ ﴿أصبر على ما يقولون﴾	٢٠٢
الآية ١٦٧ ﴿وإن كانوا ليقولون﴾	١٩٢	الآية ١٨ ﴿إنا سخرنا الجبال معه﴾	٢٠٢
الآية ١٦٨ ﴿لو أن عندنا ذكرا من الأولين﴾	١٩٢	الآية ١٩ ﴿والطير محشورة﴾	٢٠٢
الآية ١٦٩ ﴿لكننا عباد الله المخلصين﴾	١٩٢	الآية ٢٠ ﴿وشددنا ملكه﴾	٢٠٢
الآية ١٧٠ ﴿فكفروا به﴾	١٩٢	الآية ٢١ ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾	٢٠٣
الآية ١٧١ ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾	١٩٣	الآية ٢٢ ﴿إذ دخلوا على داود﴾	٢٠٣
الآية ١٧٢ ﴿إنهم لهم المتصورون﴾	١٩٣	الآية ٢٣ ﴿إن هذا أخى﴾	٢٠٥
الآية ١٧٣ ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾	١٩٣	الآية ٢٤ ﴿قال لقد ظلمك﴾	٢٠٦
الآية ١٧٤ ﴿فتول عنهم حتى حين﴾	١٩٤	الآية ٢٥ ﴿ففقرنا له ذلك﴾	٢٠٨
الآية ١٧٥ ﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾	١٩٤	الآية ٢٦ ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة﴾	٢٠٩
الآية ١٧٦ ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾	١٩٤	الآية ٢٧ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما﴾	
الآية ١٧٧ ﴿فإذا نزل ربناحتهم﴾	١٩٤	باطلا﴾	٢١٠

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٢٨ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	٢١٠	الآية ٦٢ ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رِجَالًا﴾	٢٢٢
الآية ٢٩ ﴿كُتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾	٢١١	الآية ٦٣ ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُمْ سَحَرِيًّا﴾	٢٢٢
الآية ٣٠ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾	٢١٢	الآية ٦٤ ﴿إِنْ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾	٢٢٢
الآية ٣١ ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ﴾	٢١٢	الآية ٦٥ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مِثْلُ﴾	٢٢٣
الآية ٣٢ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾	٢١٢	الآية ٦٦ ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا﴾	
الآية ٣٣ ﴿رَدَّوْهَا عَلَيَّ﴾	٢١٢	بينهما﴾	٢٢٣
الآية ٣٤ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾	٢١٤	الآية ٦٧ ﴿قُلْ هُوَ بَأْسٌ عَظِيمٌ﴾	٢٢٣
الآية ٣٥ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾	٢١٤	الآية ٦٨ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مَعْرُضُونَ﴾	٢٢٣
الآية ٣٦ ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾	٢١٤	الآية ٦٩ ﴿مَا كَانَ لِي عِلْمٌ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾	٢٢٣
الآية ٣٧ ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾	٢١٤	الآية ٧٠ ﴿إِنْ يَوْحَىٰ إِلَيَّ﴾	٢٢٣
الآية ٣٨ ﴿وَأَخْرَيْنَ مَقْرَنَيْنِ﴾	٢١٤	الآية ٧١ ﴿إِذْ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾	٢٢٤
الآية ٣٩ ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾	٢١٤	الآية ٧٢ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ﴾	٢٢٤
الآية ٤٠ ﴿وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾	٢١٤	الآية ٧٣ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾	٢٢٤
الآية ٤١ ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾	٢١٦	الآية ٧٤ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾	٢٢٤
الآية ٤٢ ﴿أَرَكُضَ بِرَجُلِكَ﴾	٢١٦	الآية ٧٥ ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾	٢٢٥
الآية ٤٣ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾	٢١٦	الآية ٧٦ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾	٢٢٥
الآية ٤٤ ﴿وَخَذَ بَيْنَكَ ضَعْفًا﴾	٢١٦	الآية ٧٧ ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾	٢٢٥
الآية ٤٥ ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ﴾	٢١٨	الآية ٧٨ ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾	٢٢٥
الآية ٤٦ ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾	٢١٨	الآية ٧٩ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾	٢٢٧
الآية ٤٧ ﴿وَوَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا﴾	٢١٨	الآية ٨٠ ﴿قَالَ فَمَنْكَ مِنَ الْمُظْطَرِّينَ﴾	٢٢٧
الآية ٤٨ ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ﴾	٢١٩	الآية ٨١ ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾	٢٢٧
الآية ٤٩ ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾	٢١٩	الآية ٨٢ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾	٢٢٧
الآية ٥٠ ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾	٢١٩	الآية ٨٣ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ﴾	٢٢٧
الآية ٥١ ﴿مُتَكئين فِيهَا﴾	٢١٩	الآية ٨٤ ﴿قَالَ فَالْحَقُّ﴾	٢٢٧
الآية ٥٢ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرْفِ﴾	٢١٩	الآية ٨٥ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾	٢٢٧
الآية ٥٣ ﴿هَذَا مَا تَوْعَدُونَ﴾	٢٢٠	الآية ٨٦ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾	٢٢٨
الآية ٥٤ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا رِزْقُنَا﴾	٢٢٠	الآية ٨٧ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	٢٢٨
الآية ٥٥ ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾	٢٢٠	الآية ٨٨ ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَ بَعْدِ حِينٍ﴾	٢٢٨
الآية ٥٦ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا﴾	٢٢٠	تفسير سورة الزمر	
الآية ٥٧ ﴿هَذَا فِيلٌ قُوَّةٌ﴾	٢٢٠	الآية ٨٩ ﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ﴾	٢٢٩
الآية ٥٨ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ﴾	٢٢٠	الآية ٩٠ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾	٢٢٩
الآية ٥٩ ﴿هَذَا فِرْعَاقٌ﴾	٢٢١	الآية ٩١ ﴿إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَالَصَ﴾	٢٢٩
الآية ٦٠ ﴿قَالُوا بَلَىٰ أَنْتُمْ﴾	٢٢١	الآية ٩٢ ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾	٢٣٠
الآية ٦١ ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا﴾	٢٢١	الآية ٩٣ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾	٢٣١

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٦ ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾	٢٢٢	الآية ٤٠ ﴿من يأتيه عذاب﴾	٢٥٢
الآية ٧ ﴿إن تكفروا فإن الله غنى عنكم﴾	٢٢٣	الآية ٤١ ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾	٢٥٣
الآية ٨ ﴿وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه﴾	٢٢٤	الآية ٤٢ ﴿الله يتوفى الأنفس﴾	٢٥٣
الآية ٩ ﴿أمن موقات﴾	٢٢٥	الآية ٤٣ ﴿أم اتخولوا من دون الله شفعاء﴾	٢٥٥
الآية ١٠ ﴿قل يا عباد الذين آمنوا﴾	٢٢٧	الآية ٤٤ ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾	٢٥٥
الآية ١١ ﴿قل إني أشرت أن أعبد الله﴾	٢٢٨	الآية ٤٥ ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾	٢٥٦
الآية ١٢ ﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾	٢٢٨	الآية ٤٦ ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض﴾	٢٥٦
الآية ١٣ ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾	٢٢٨	الآية ٤٧ ﴿ولأن للذين ظلموا﴾	٢٥٧
الآية ١٤ ﴿قل الله أعبد﴾	٢٢٨	الآية ٤٨ ﴿ويدنا لهم سيئات ما كسبوا﴾	٢٥٧
الآية ١٥ ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾	٢٢٩	الآية ٤٩ ﴿فإذا مس الإنسان ضرر﴾	٢٥٨
الآية ١٦ ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾	٢٢٩	الآية ٥٠ ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾	٢٥٨
الآية ١٧ ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾	٢٤٠	الآية ٥١ ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾	٢٥٨
الآية ١٨ ﴿الذين يستمعون القول﴾	٢٤٠	الآية ٥٢ ﴿أولم يعلموا أن الله يسط الرزق﴾	٢٥٨
الآية ١٩ ﴿أفمن حق عليه العذاب﴾	٢٤١	الآية ٥٣ ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾	٢٦٠
الآية ٢٠ ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾	٢٤٢	الآية ٥٤ ﴿وأنبيوا إلى ربكم﴾	٢٦٠
الآية ٢١ ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾	٢٤٢	الآية ٥٥ ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل﴾	٢٦٠
الآية ٢٢ ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾	٢٤٣	الآية ٥٦ ﴿أن تقول نفس﴾	٢٦٠
الآية ٢٣ ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا﴾	٢٤٤	الآية ٥٧ ﴿أو تقول لو أن الله هداني﴾	٢٦٠
الآية ٢٤ ﴿أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب﴾	٢٤٦	الآية ٥٨ ﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾	٢٦٠
الآية ٢٥ ﴿كذب الذين من قبلهم﴾	٢٤٦	الآية ٥٩ ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾	٢٦٠
الآية ٢٦ ﴿فأذا هم الله الخزي﴾	٢٤٦	الآية ٦٠ ﴿ويوم القيامة﴾	٢٦٢
الآية ٢٧ ﴿ولقد ضربنا للناس﴾	٢٤٧	الآية ٦١ ﴿وينجي الله﴾	٢٦٢
الآية ٢٨ ﴿قرأنا عربيا﴾	٢٤٧	الآية ٦٢ ﴿الله خالق كل شيء﴾	٢٦٤
الآية ٢٩ ﴿ضرب الله مثلا﴾	٢٤٧	الآية ٦٣ ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾	٢٦٤
الآية ٣٠ ﴿إنك ميت﴾	٢٤٨	الآية ٦٤ ﴿قال أغفر الله تأمروني أعبد﴾	٢٦٦
الآية ٣١ ﴿ثم إنكم يوم القيامة﴾	٢٤٨	الآية ٦٥ ﴿ولقد أوحى إليك﴾	٢٦٦
الآية ٣٢ ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾	٢٤٩	الآية ٦٦ ﴿يل الله فاعبد﴾	٢٦٦
الآية ٣٣ ﴿والذي جاء بالصدق﴾	٢٤٩	الآية ٦٧ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾	٢٦٦
الآية ٣٤ ﴿لهم ما يشاءون﴾	٢٤٩	الآية ٦٨ ﴿ونفخ في الصور﴾	٢٦٧
الآية ٣٥ ﴿ليكفر الله عنهم﴾	٢٤٩	الآية ٦٩ ﴿وأشرفت الأرض بنور ربها﴾	٢٦٧
الآية ٣٦ ﴿أليس الله بكاف عبده﴾	٢٥٠	الآية ٧٠ ﴿ووفيت كل نفس﴾	٢٦٧
الآية ٣٧ ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾	٢٥٠	الآية ٧١ ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم﴾	٢٦٩
الآية ٣٨ ﴿ولئن سألتهم﴾	٢٥١	الآية ٧٢ ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم﴾	٢٦٩
الآية ٣٩ ﴿قل يا قوم اعملوا﴾	٢٥٢	الآية ٧٣ ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى﴾	

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الجنة ﴿﴾	٢٧٠	الآية ٢٩ ﴿يا قوم لكم الملك﴾	٢٨٧
الآية ٧٤ ﴿وقالوا الحمد لله﴾	٢٧٠	الآية ٣٠ ﴿وقال الذي آمن﴾	٢٨٩
الآية ٧٥ ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾	٢٧١	الآية ٣١ ﴿مثل دأب قوم نوح﴾	٢٨٩
تفسير سورة غافر		الآية ٣٢ ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم﴾	٢٨٩
الآية ١ ﴿حم﴾	٢٧٢	الآية ٣٣ ﴿يوم تولون مدبرين﴾	٢٨٩
الآية ٢ ﴿تنزيل الكتاب﴾	٢٧٢	الآية ٣٤ ﴿ولقد جاءكم يوسف﴾	٢٨٩
الآية ٣ ﴿غافر الذنب﴾	٢٧٢	الآية ٣٥ ﴿الذين يجادلون﴾	٢٩١
الآية ٤ ﴿ما يجادل في آيات الله إلا اللذين كفروا﴾	٢٧٤	الآية ٣٦ ﴿وقال فرعون يا هامان﴾	٢٩٢
الآية ٥ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾	٢٧٤	الآية ٣٧ ﴿أسباب السموات﴾	٢٩٢
الآية ٦ ﴿وكذلك حق كلمة ربك﴾	٢٧٤	الآية ٣٨ ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون﴾	٢٩٣
الآية ٧ ﴿الذين يحملون العرش﴾	٢٧٦	الآية ٣٩ ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا مآخ﴾	٢٩٣
الآية ٨ ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن﴾	٢٧٦	الآية ٤٠ ﴿من عمل سيئة﴾	٢٩٣
الآية ٩ ﴿ونهم السينات﴾	٢٧٦	الآية ٤١ ﴿ويا قوم مالي أدعوكم﴾	٢٩٥
الآية ١٠ ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾	٢٧٨	الآية ٤٢ ﴿تدعونني لأكفر بالله﴾	٢٩٥
الآية ١١ ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين﴾	٢٧٨	الآية ٤٣ ﴿لأجرم أن ما تدعوني إليه﴾	٢٩٥
الآية ١٢ ﴿ذلك بأنه إذا دعى الله وحده﴾	٢٧٩	الآية ٤٤ ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾	٢٩٥
الآية ١٣ ﴿هو الذي يريكم آياته﴾	٢٨٠	الآية ٤٥ ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾	٢٩٦
الآية ١٤ ﴿فادعوا الله مخلصين﴾	٢٨٠	الآية ٤٦ ﴿النار يغرضون عليها﴾	٢٩٦
الآية ١٥ ﴿رفع الدرجات﴾	٢٨٠	الآية ٤٧ ﴿وإذا يتحاجون في النار﴾	٢٩٧
الآية ١٦ ﴿يوم هم بارزون﴾	٢٨٠	الآية ٤٨ ﴿قال الذين استكبروا﴾	٢٩٧
الآية ١٧ ﴿اليوم تجزى كل نفس﴾	٢٨٠	الآية ٤٩ ﴿وقال الذين في النار﴾	٢٩٧
الآية ١٨ ﴿وانذرهم يوم الآزفة﴾	٢٨٢	الآية ٥٠ ﴿قالوا أولم تك تأتكم رسلكم﴾	٢٩٧
الآية ١٩ ﴿يعلم خاتمة الأعين﴾	٢٨٢	الآية ٥١ ﴿إننا لننصر رسلنا﴾	٢٩٨
الآية ٢٠ ﴿والله يقضى بالحق﴾	٢٨٢	الآية ٥٢ ﴿يوم لا يضع الظالمين معزتهم﴾	٢٩٨
الآية ٢١ ﴿أولم يسيروا في الأرض﴾	٢٨٣	الآية ٥٣ ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾	٢٩٩
الآية ٢٢ ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم﴾	٢٨٣	الآية ٥٤ ﴿هدى وذكرى﴾	٢٩٩
الآية ٢٣ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾	٢٨٥	الآية ٥٥ ﴿فأصبر إن وعد الله حق﴾	٢٩٩
الآية ٢٤ ﴿إلى فرعون وهامان وقارون﴾	٢٨٥	الآية ٥٦ ﴿إن الذين يجادلون﴾	٣٠١
الآية ٢٥ ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾	٢٨٥	الآية ٥٧ ﴿لخلق السموات والأرض﴾	٣٠١
الآية ٢٦ ﴿وقال فرعون﴾	٢٨٦	الآية ٥٨ ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾	٣٠١
الآية ٢٧ ﴿وقال موسى﴾	٢٨٦	الآية ٥٩ ﴿إن الساعة لآتية﴾	٣٠١
الآية ٢٨ ﴿وقال رجل مؤمن﴾	٢٨٧	الآية ٦٠ ﴿وقال ربكم ادعوني﴾	٣٠٣
		الآية ٦١ ﴿الله الذي جعل لكم الليل﴾	٣٠٣
		الآية ٦٢ ﴿ذلكم الله ربكم﴾	٣٠٣

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٦٣ ﴿كذلك يوفك﴾	٢٠٢	الآية ١١ ﴿ثم استوى إلى السماء﴾	٢١٨
الآية ٦٤ ﴿الله الذي جعل لكم الأرض﴾	٢٠٥	الآية ١٢ ﴿ففضاهن سبع سموات﴾	٢١٨
الآية ٦٥ ﴿هو الحي لا إله إلا هو﴾	٢٠٥	الآية ١٣ ﴿فإن أعرضوا﴾	٢١٨
الآية ٦٦ ﴿قل إني نهيته﴾	٢٠٥	الآية ١٤ ﴿إذ جاءتهم الرسل﴾	٢٢١
الآية ٦٧ ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾	٢٠٦	الآية ١٥ ﴿فأما عاد فاستكبروا﴾	٢٢١
الآية ٦٨ ﴿هو الذي يحيى ويميت﴾	٢٠٦	الآية ١٦ ﴿فأرسلنا عليهم ريحا﴾	٢٢١
الآية ٦٩ ﴿ألم ترأى الذين يجادلون﴾	٢٠٨	الآية ١٧ ﴿وأما ثمود﴾	٢٢١
الآية ٧٠ ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾	٢٠٨	الآية ١٨ ﴿ونحنيا الذين آمنوا﴾	٢٢٣
الآية ٧١ ﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾	٢٠٨	الآية ١٩ ﴿ويوم يحشر أعداء الله﴾	٢٢٣
الآية ٧٢ ﴿في الحميم﴾	٢٠٨	الآية ٢٠ ﴿حتى إذا ما جاء ومها﴾	٢٢٣
الآية ٧٣ ﴿ثم قيل لهم﴾	٢٠٨	الآية ٢١ ﴿وقالوا لجلودهم﴾	٢٢٣
الآية ٧٤ ﴿من دون الله﴾	٢٠٨	الآية ٢٢ ﴿وما كنتم تستترون﴾	٢٢٥
الآية ٧٥ ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون﴾	٢٠٨	الآية ٢٣ ﴿وذلكم ظنكم﴾	٢٢٥
الآية ٧٦ ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾	٢٠٨	الآية ٢٤ ﴿فإن يصيروا فالتار مشوى لهم﴾	٢٢٦
الآية ٧٧ ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾	٢١٠	الآية ٢٥ ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾	٢٢٦
الآية ٧٨ ﴿وقلد أرسلنا رسلا﴾	٢١١	الآية ٢٦ ﴿وقال الذين كفروا﴾	٢٢٧
الآية ٧٩ ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام﴾	٢١٢	الآية ٢٧ ﴿فلندينن الذين كفروا﴾	٢٢٧
الآية ٨٠ ﴿ولكم فيها منافع﴾	٢١٢	الآية ٢٨ ﴿ذلك جزاء أعداء الله﴾	٢٢٧
الآية ٨١ ﴿ويردكم آياته﴾	٢١٢	الآية ٢٩ ﴿وقال الذين كفروا﴾	٢٢٨
الآية ٨٢ ﴿أنتم يسيروا في الأرض﴾	٢١٣	الآية ٣٠ ﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾	٢٢٩
الآية ٨٣ ﴿فلما جاءتهم رسلهم﴾	٢١٣	الآية ٣١ ﴿نحن أولياؤكم﴾	٢٢٩
الآية ٨٤ ﴿فلما رأوا بأسنا﴾	٢١٣	الآية ٣٢ ﴿نزلنا من غفور رحيم﴾	٢٢٩
الآية ٨٥ ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم﴾	٢١٣	الآية ٣٣ ﴿ومن أحسن قولاً﴾	٢٣٠
تفسير سورة فصلت		الآية ٣٤ ﴿ولا تستوى الحسنة﴾	٢٣١
الآية ١ ﴿حم﴾	٢١٥	الآية ٣٥ ﴿وما يلقاها﴾	٢٣١
الآية ٢ ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾	٢١٥	الآية ٣٦ ﴿وإما ينزغنها﴾	٢٣١
الآية ٣ ﴿كتاب فصلت آياته﴾	٢١٥	الآية ٣٧ ﴿ومن آياته الليل والنهار﴾	٢٣٢
الآية ٤ ﴿بشيرا ونذيرا﴾	٢١٥	الآية ٣٨ ﴿فإن استكبروا﴾	٢٣٢
الآية ٥ ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة﴾	٢١٥	الآية ٣٩ ﴿ومن آياته أنك ترى﴾	٢٣٤
الآية ٦ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾	٢١٧	الآية ٤٠ ﴿إن الذين يلحدون﴾	٢٣٤
الآية ٧ ﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾	٢١٧	الآية ٤١ ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾	٢٣٥
الآية ٨ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٢١٨	الآية ٤٢ ﴿لآياتيه الباطل﴾	٢٣٥
الآية ٩ ﴿قل أنتم لتكفرون﴾	٢١٨	الآية ٤٣ ﴿ما يقال لك﴾	٢٣٦
الآية ١٠ ﴿وجعل فيها رواسي﴾	٢١٨	الآية ٤٤ ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا﴾	٢٣٦

الآيات	الصحيحة	الآيات	الصحيحة
الآية ٤٥ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾	٣٣٩	الآية ٢٣ ﴿ذلك الذي يشتر الله عباده﴾	٣٥٧
الآية ٤٦ ﴿من عمل صالحا﴾	٣٣٩	الآية ٢٤ ﴿أم يقولون افترى على الله﴾	٣٥٨
الآية ٤٧ ﴿إليه يرد علم الساعة﴾	٣٤٠	الآية ٢٥ ﴿وهو الذي يقبل التوبة﴾	٣٥٨
الآية ٤٨ ﴿وضل عنهم﴾	٣٤٠	الآية ٢٦ ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾	٣٥٨
الآية ٤٩ ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾	٣٤١	الآية ٢٧ ﴿ولو بسط الله الرزق﴾	٣٦٠
الآية ٥٠ ﴿ولئن أذقناه رحمة﴾	٣٤١	الآية ٢٨ ﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾	٣٦١
الآية ٥١ ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾	٣٤١	الآية ٢٩ ﴿ومن آياته خلق السموات﴾	٣٦١
الآية ٥٢ ﴿قل أرأيتم﴾	٣٤٢	الآية ٣٠ ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾	٣٦١
الآية ٥٣ ﴿سزيهم آياتنا﴾	٣٤٢	الآية ٣١ ﴿وما أنتم بمعجزين﴾	٣٦١
الآية ٥٤ ﴿ألا إنهم في مرية﴾	٣٤٢	الآية ٣٢ ﴿ومن آياته الجوان﴾	٣٦٢
تفسير سورة الشورى		الآية ٣٣ ﴿إن يشأ يسكن الريح﴾	٣٦٢
الآية ١ ﴿حم﴾	٣٤٤	الآية ٣٤ ﴿أو يوبقن بما كسوا﴾	٣٦٢
الآية ٢ ﴿عسق﴾	٣٤٤	الآية ٣٥ ﴿ويعلم الذين يجادلون﴾	٣٦٢
الآية ٣ ﴿كذلك يوحى إليك﴾	٣٤٤	الآية ٣٦ ﴿فما أوتيت من شيء﴾	٣٦٤
الآية ٤ ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾	٣٤٤	الآية ٣٧ ﴿والذين يحبون كياتر الإثم﴾	٣٦٤
الآية ٥ ﴿نكاد السموات يتفطرن﴾	٣٤٤	الآية ٣٨ ﴿والذين استجابوا لربهم﴾	٣٦٤
الآية ٦ ﴿والذين اتخذوا من دونه﴾	٣٤٦	الآية ٣٩ ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾	٣٦٤
الآية ٧ ﴿وكذلك أوحينا إليك﴾	٣٤٦	الآية ٤٠ ﴿وجزاء سيئة﴾	٣٦٤
الآية ٨ ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾	٣٤٦	الآية ٤١ ﴿ولمن انصر بعد ظلمه﴾	٣٦٦
الآية ٩ ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾	٣٤٧	الآية ٤٢ ﴿إنما السبيل﴾	٣٦٦
الآية ١٠ ﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾	٣٤٨	الآية ٤٣ ﴿ولمن صبر﴾	٣٦٦
الآية ١١ ﴿فاطر السموات والأرض﴾	٣٤٨	الآية ٤٤ ﴿ومن يضل الله﴾	٣٦٨
الآية ١٢ ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾	٣٤٨	الآية ٤٥ ﴿وتراهم يعرضون﴾	٣٦٨
الآية ١٣ ﴿شرع لكم من الدين﴾	٣٥٠	الآية ٤٦ ﴿وما كان لهم من أولياء﴾	٣٦٨
الآية ١٤ ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾	٣٥٠	الآية ٤٧ ﴿استجيبوا لربكم﴾	٣٦٩
الآية ١٥ ﴿فلذلك فادع﴾	٣٥٠	الآية ٤٨ ﴿فإن أعرضوا﴾	٣٦٩
الآية ١٦ ﴿والذين يحتاجون فى الله﴾	٣٥٣	الآية ٤٩ ﴿الله ملك السموات والأرض﴾	٣٧٠
الآية ١٧ ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق﴾	٣٥٤	الآية ٥٠ ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾	٣٧٠
الآية ١٨ ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون﴾	٣٥٤	الآية ٥١ ﴿وما كان لبشر﴾	٣٧١
الآية ١٩ ﴿الله لطيف بعباده﴾	٣٥٥	الآية ٥٢ ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا﴾	٣٧١
الآية ٢٠ ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾	٣٥٥	الآية ٥٣ ﴿صراط الله﴾	٣٧١
الآية ٢١ ﴿أم لهم شركاء﴾	٣٥٦	تفسير سورة الزخرف	
الآية ٢٢ ﴿ترى الظالمين مشفقين﴾	٣٥٧	الآية ١ ﴿حم﴾	٣٧٣
		الآية ٢ ﴿والكتاب المبين﴾	٣٧٣

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٣٧ ﴿وإنهم ليصدونهم﴾	٢٨٥	الآية ٣ ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾	٢٧٢
الآية ٣٨ ﴿حتى إذا جاءنا﴾	٢٨٥	الآية ٤ ﴿وإنه في أم الكتاب﴾	٢٧٢
الآية ٣٩ ﴿ولن ينفعكم اليوم﴾	٢٨٥	الآية ٥ ﴿فانضرب عنكم الذكر﴾	٢٧٢
الآية ٤٠ ﴿أفأنت تسمع الصم﴾	٢٨٧	الآية ٦ ﴿وكم أرسلنا من نبي﴾	٢٧٥
الآية ٤١ ﴿فإما نذهبن بك﴾	٢٨٧	الآية ٧ ﴿وما يأتيهم من نبي﴾	٢٧٥
الآية ٤٢ ﴿أو نرينك الذي وعدناهم﴾	٢٨٧	الآية ٨ ﴿فأهلكنا أشد منهم﴾	٢٧٥
الآية ٤٣ ﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك﴾	٢٨٧	الآية ٩ ﴿ولئن سألتهم﴾	٢٧٥
الآية ٤٤ ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾	٢٨٧	الآية ١٠ ﴿الذي جعل لكم الأرض﴾	٢٧٥
الآية ٤٥ ﴿واسأل من أرسلنا﴾	٢٨٨	الآية ١١ ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾	٢٧٥
الآية ٤٦ ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾	٢٨٩	الآية ١٢ ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾	٢٧٥
الآية ٤٧ ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾	٢٨٩	الآية ١٣ ﴿لتستووا على ظهوره﴾	٢٧٥
الآية ٤٨ ﴿وما نريهم من آية﴾	٢٨٩	الآية ١٤ ﴿وإنا إلى ربنا لمقلبون﴾	٢٧٥
الآية ٤٩ ﴿وقالوا يا أيها الساحر﴾	٢٨٩	الآية ١٥ ﴿وجعلوا له من عبادہ جزءا﴾	٢٧٦
الآية ٥٠ ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب﴾	٢٨٩	الآية ١٦ ﴿أم اتخذوا مما يخلق بنات﴾	٢٧٦
الآية ٥١ ﴿ونادى فرعون فى قومه﴾	٢٩٠	الآية ١٧ ﴿وإذا بشر أحدهم﴾	٢٧٧
الآية ٥٢ ﴿أم أنا خير﴾	٢٩٠	الآية ١٨ ﴿أو من ينشأ فى الحلية﴾	٢٧٨
الآية ٥٣ ﴿فلولا لقي عليه أسورة﴾	٢٩٠	الآية ١٩ ﴿وجعلوا الملائكة﴾	٢٧٩
الآية ٥٤ ﴿فاستخف قومه﴾	٢٩٠	الآية ٢٠ ﴿وقالوا لو شاء الرحمن﴾	٢٧٩
الآية ٥٥ ﴿فلما أسبقونا انتقمنا منهم﴾	٢٩٠	الآية ٢١ ﴿أم آتيناهم كتابا﴾	٢٧٩
الآية ٥٦ ﴿فجعلناهم سلفا﴾	٢٩٠	الآية ٢٢ ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا﴾	٢٧٩
الآية ٥٧ ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا﴾	٢٩٢	الآية ٢٣ ﴿وكذلك ما أرسلنا﴾	٢٨٠
الآية ٥٨ ﴿وقالوا آللهتنا خير﴾	٢٩٢	الآية ٢٤ ﴿قل أولوجتكم﴾	٢٨٠
الآية ٥٩ ﴿إن هو إلا عيد أنعمنا عليه﴾	٢٩٢	الآية ٢٥ ﴿فانتقمنا منهم﴾	٢٨٠
الآية ٦٠ ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة﴾	٢٩٣	الآية ٢٦ ﴿وإذا قال إبراهيم لأبيه﴾	٢٨٠
الآية ٦١ ﴿وإنه لعلم للساعة﴾	٢٩٣	الآية ٢٧ ﴿إلا الذى فطرني﴾	٢٨١
الآية ٦٢ ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾	٢٩٣	الآية ٢٨ ﴿وجعلها كلمة﴾	٢٨١
الآية ٦٣ ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾	٢٩٤	الآية ٢٩ ﴿بل تمتع هؤلاء﴾	٢٨٢
الآية ٦٤ ﴿إن الله هودى وريك﴾	٢٩٤	الآية ٣٠ ﴿ولما جاءهم الحق﴾	٢٨٢
الآية ٦٥ ﴿فاختلف الأحزاب﴾	٢٩٤	الآية ٣١ ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن﴾	٢٨٢
الآية ٦٦ ﴿هل ينظرون إلا الساعة﴾	٢٩٤	الآية ٣٢ ﴿أمهم يقسمون رحمة ربك﴾	٢٨٢
الآية ٦٧ ﴿الأخلاء يومئذ﴾	٢٩٦	الآية ٣٣ ﴿ولولا أن يكون الناس﴾	٢٨٤
الآية ٦٨ ﴿يا عباد لا خوف عليكم﴾	٢٩٦	الآية ٣٤ ﴿وليبوئتهم أبوابا﴾	٢٨٤
الآية ٦٩ ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾	٢٩٦	الآية ٣٥ ﴿وزخرفا وإن كل ذلك﴾	٢٨٤
الآية ٧٠ ﴿ادخلوا الجنة﴾	٢٩٦	الآية ٣٦ ﴿ومن يمش عن ذكر الرحمن﴾	٢٨٥

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٧١ ﴿يطاف عليهم﴾	٣٩٦	الآية ١٢ ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾	٤٠٥
الآية ٧٢ ﴿وتلك الجنة﴾	٣٩٦	الآية ١٣ ﴿أني لهم الذكرى﴾	٤٠٦
الآية ٧٣ ﴿لكم فيها فاكهة﴾	٣٩٦	الآية ١٤ ﴿ثم تولوا عنه﴾	٤٠٦
الآية ٧٤ ﴿إن المعصمين قى عذاب جهنم		الآية ١٥ ﴿إننا كاشفوا العذاب﴾	٤٠٦
خالدون﴾	٣٩٧	الآية ١٦ ﴿يوم نبطش﴾	٤٠٦
الآية ٧٥ ﴿لا يفترونهم﴾	٣٩٧	الآية ١٧ ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾	٤٠٧
الآية ٧٦ ﴿وما ظلمناهم﴾	٣٩٧	الآية ١٨ ﴿أن أدوا إلى﴾	٤٠٧
الآية ٧٧ ﴿ونادوا يا مالك﴾	٣٩٨	الآية ١٩ ﴿وأن لاتعلموا على الله﴾	٤٠٧
الآية ٧٨ ﴿لقد جئناكم بالحق﴾	٣٩٨	الآية ٢٠ ﴿وإني عدت بربي﴾	٤٠٧
الآية ٧٩ ﴿أم أبرموا أمرا﴾	٣٩٩	الآية ٢١ ﴿وإن لم تؤمنوا﴾	٤٠٧
الآية ٨٠ ﴿أم يحسبون﴾	٣٩٩	الآية ٢٢ ﴿فدعاه ربه﴾	٤٠٩
الآية ٨١ ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول		الآية ٢٣ ﴿فأسر بعبادى﴾	٤٠٩
العابدين﴾	٤٠٠	الآية ٢٤ ﴿واترك البحر﴾	٤٠٩
الآية ٨٢ ﴿سبحان رب السموات والأرض﴾	٤٠٠	الآية ٢٥ ﴿كم تركوا﴾	٤١٠
الآية ٨٣ ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾	٤٠٠	الآية ٢٦ ﴿وزروع ومقام كريم﴾	٤١٠
الآية ٨٤ ﴿وهو الذى فى السماء إله﴾	٤٠٠	الآية ٢٧ ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾	٤١٠
الآية ٨٥ ﴿وتبارك الذى له ملك السموات		الآية ٢٨ ﴿كذلك وأورثناها﴾	٤١٠
والأرض﴾	٤٠٠	الآية ٢٩ ﴿فما بكت عليهم﴾	٤١٠
الآية ٨٦ ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه﴾	٤٠٠	الآية ٣٠ ﴿ولقد نجينا بنى إسرائيل﴾	٤١١
الآية ٨٧ ﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾	٤٠٢	الآية ٣١ ﴿من فرعون﴾	٤١١
الآية ٨٨ ﴿وقيله يا رب﴾	٤٠٢	الآية ٣٢ ﴿ولقد اخترناهم﴾	٤١١
الآية ٨٩ ﴿فاصفح عنهم﴾	٤٠٢	الآية ٣٣ ﴿وآتيناهم من الآيات﴾	٤١١
تفسير سورة الدخان		الآية ٣٤ ﴿إن هؤلاء ليقولون﴾	٤١٢
الآية ١ ﴿حم﴾	٤٠٢	الآية ٣٥ ﴿إن هى إلا موتتنا الأولى﴾	٤١٢
الآية ٢ ﴿والكتاب المبين﴾	٤٠٢	الآية ٣٦ ﴿فأتوا بآياتنا﴾	٤١٢
الآية ٣ ﴿إننا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾	٤٠٢	الآية ٣٧ ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾	٤١٣
الآية ٤ ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾	٤٠٢	الآية ٣٨ ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما	
الآية ٥ ﴿أمر من عندنا﴾	٤٠٢	بينهما لاعبين﴾	٤١٣
الآية ٦ ﴿رحمة من ربك﴾	٤٠٢	الآية ٣٩ ﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾	٤١٣
الآية ٧ ﴿رب السموات والأرض﴾	٤٠٤	الآية ٤٠ ﴿إن يوم الفصل ميقاتهم﴾	٤١٤
الآية ٨ ﴿لا إله إلا هو﴾	٤٠٤	الآية ٤١ ﴿يوم لا يغنى مولى﴾	٤١٤
الآية ٩ ﴿بل هم فى شك يلعبون﴾	٤٠٥	الآية ٤٢ ﴿إلّا من رحم الله﴾	٤١٤
الآية ١٠ ﴿فارتقب يوم تأتى السماء﴾	٤٠٥	الآية ٤٣ ﴿إن شجرة الزقوم﴾	٤١٥
الآية ١١ ﴿يفشى الناس﴾	٤٠٥	الآية ٤٤ ﴿طعام الأتيم﴾	٤١٥

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٤٥ ﴿كالمهل يغلى فى البطون﴾	٤١٥	الآية ١٦ ﴿ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب﴾	٤٢٦
الآية ٤٦ ﴿كغلى الحميم﴾	٤١٥	الآية ١٧ ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾	٤٢٦
الآية ٤٧ ﴿غذوه فاعتلوه﴾	٤١٥	الآية ١٨ ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾	٤٢٧
الآية ٤٨ ﴿ثم صبوا فوق رأسه﴾	٤١٥	الآية ١٩ ﴿إنهم لن يغفوا عنك﴾	٤٢٧
الآية ٤٩ ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾	٤١٥	الآية ٢٠ ﴿هذا بصائر للناس﴾	٤٢٧
الآية ٥٠ ﴿إن هذا ما كنتم به تمترون﴾	٤١٦	الآية ٢١ ﴿أم حسب الذين اجترحوا	
الآية ٥١ ﴿إن المتقين فى مقام أمين﴾	٤١٦	السيئات﴾	٤٢٨
الآية ٥٢ ﴿فى جنات وعيون﴾	٤١٦	الآية ٢٢ ﴿وخلق الله السموات والأرض﴾	٤٢٨
الآية ٥٣ ﴿يلبسون من سندس﴾	٤١٦	الآية ٢٣ ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾	٤٣٠
الآية ٥٤ ﴿كذلك وزوجناهم﴾	٤١٦	الآية ٢٤ ﴿وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا﴾	٤٣١
الآية ٥٥ ﴿يدعون فيها﴾	٤١٧	الآية ٢٥ ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا﴾	٤٣١
الآية ٥٦ ﴿لا يذوقون فيها الموت﴾	٤١٧	الآية ٢٦ ﴿قل الله يحييكم﴾	٤٣١
الآية ٥٧ ﴿فضلا من ربك﴾	٤١٧	الآية ٢٧ ﴿وله ملك السموات والأرض﴾	٤٣٢
الآية ٥٨ ﴿فإنما يرناه بلسانك﴾	٤١٨	الآية ٢٨ ﴿وترى كل أمة جاثية﴾	٤٣٣
الآية ٥٩ ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾	٤١٨	الآية ٢٩ ﴿هذا كتابنا﴾	٤٣٣
تفسير سورة الجاثية		الآية ٣٠ ﴿فأما الذين آمنوا﴾	٤٣٤
الآية ١ ﴿حم﴾	٤١٨	الآية ٣١ ﴿وأما الذين كفروا﴾	٤٣٤
الآية ٢ ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز		الآية ٣٢ ﴿وإذا قيل لهم﴾	٤٣٤
الحكيم﴾	٤١٨	الآية ٣٣ ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾	٤٣٦
الآية ٣ ﴿إن فى السموات والأرض لايات		الآية ٣٤ ﴿وقيل اليوم تناسك﴾	٤٣٦
للمؤمنين﴾	٤١٩	الآية ٣٥ ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله	
الآية ٤ ﴿وفى خلقكم﴾	٤١٩	هزوا﴾	٤٣٦
الآية ٥ ﴿واختلاف الليل والنهار﴾	٤١٩	الآية ٣٦ ﴿فله الحمد﴾	٤٣٧
الآية ٦ ﴿تلك آيات الله﴾	٤٢٠	الآية ٣٧ ﴿وله الكبرياء﴾	٤٣٧
الآية ٧ ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾	٤٢١	تفسير سورة الأحقاف	
الآية ٨ ﴿يسمع آيات الله﴾	٤٢١	الآية ١ ﴿حم﴾	٤٣٨
الآية ٩ ﴿وإذا علم من آياتنا﴾	٤٢١	الآية ٢ ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز	
الآية ١٠ ﴿من ورائهم جهنم﴾	٤٢١	الحكيم﴾	٤٣٨
الآية ١١ ﴿هذا هدى﴾	٤٢٢	الآية ٣ ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما	
الآية ١٢ ﴿والله الذى سخر لكم البحر﴾	٤٢٣	بينهما إلا بالحق﴾	٤٣٨
الآية ١٣ ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى		الآية ٤ ﴿قل أرأيتم﴾	٤٣٩
الأرض﴾	٤٢٣	الآية ٥ ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله﴾	٤٣٩
الآية ١٤ قل للذين آمنوا يغفروا﴾	٤٢٤	الآية ٦ ﴿وإذا حشر الناس﴾	٤٣٩
الآية ١٥ ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾	٤٢٤	الآية ٧ ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا﴾	٤٤١

الآيات	الآيات	الآيات	الآيات
الآية ٨ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأ﴾	الآية ٤ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	الآية ٤٤١	الآية ٤٦١
الآية ٩ ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرِّسْلِ﴾	الآية ٥ ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾	الآية ٤٤٢	الآية ٤٦١
الآية ١٠ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	الآية ٦ ﴿وَيَدْخُلْهُمْ الْجَنَّةُ﴾	الآية ٤٤٢	الآية ٤٦١
الآية ١١ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	الآية ٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	الآية ٤٤٤	الآية ٤٦٣
الآية ١٢ ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى﴾	الآية ٨ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾	الآية ٤٤٤	الآية ٤٦٣
الآية ١٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾	الآية ٩ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾	الآية ٤٤٦	الآية ٤٦٣
الآية ١٤ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾	الآية ١٠ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	الآية ٤٤٦	الآية ٤٦٤
الآية ١٥ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾	الآية ١١ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾	الآية ٤٤٧	الآية ٤٦٤
الآية ١٦ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ﴾	الآية ١٢ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	الآية ٤٤٧	الآية ٤٦٥
الآية ١٧ ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ﴾	الآية ١٣ ﴿وَكَايُنْ مِنْ قَرِيَةٍ﴾	الآية ٤٤٨	الآية ٤٦٥
الآية ١٨ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾	الآية ١٤ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾	الآية ٤٤٨	الآية ٤٦٦
الآية ١٩ ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ﴾	الآية ١٥ ﴿مِثْلَ الْجَنَّةِ﴾	الآية ٤٤٩	الآية ٤٦٧
الآية ٢٠ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾	الآية ١٦ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾	الآية ٤٥٠	الآية ٤٦٨
الآية ٢١ ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا أَخَا عَادَ﴾	الآية ١٧ ﴿وَالَّذِينَ امْتَدَّوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾	الآية ٤٥٠	الآية ٤٦٩
الآية ٢٢ ﴿قَالُوا اجْتَنِبْنَا﴾	الآية ١٨ ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾	الآية ٤٥١	الآية ٤٦٩
الآية ٢٣ ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾	الآية ١٩ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	الآية ٤٥١	الآية ٤٧٠
الآية ٢٤ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾	الآية ٢٠ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	الآية ٤٥١	الآية ٤٧٠
الآية ٢٥ ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾	الآية ٢١ ﴿طَاعَةَ وَقَوْلَ مَعْرُوفَ﴾	الآية ٤٥٣	الآية ٤٧١
الآية ٢٦ ﴿وَلَقَدْ مَكَنَاهُمْ﴾	الآية ٢٢ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾	الآية ٤٥٣	الآية ٤٧٢
الآية ٢٧ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا﴾	الآية ٢٣ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾	الآية ٤٥٣	الآية ٤٧٢
الآية ٢٨ ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ﴾	الآية ٢٤ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾	الآية ٤٥٤	الآية ٤٧٣
الآية ٢٩ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا﴾	الآية ٢٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾	الآية ٤٥٤	الآية ٤٧٣
الآية ٣٠ ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا﴾	الآية ٢٦ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾	الآية ٤٥٥	الآية ٤٧٣
الآية ٣١ ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾	الآية ٢٧ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾	الآية ٤٥٥	الآية ٤٧٣
الآية ٣٢ ﴿وَمَنْ لَا يَجِبُ دَاعِيَ اللَّهِ﴾	الآية ٢٨ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْتَخَطَّ اللَّهُ﴾	الآية ٤٥٥	الآية ٤٧٣
الآية ٣٣ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾	الآية ٢٩ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضَ﴾	الآية ٤٥٥	الآية ٤٧٥
الآية ٣٤ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾	الآية ٣٠ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ﴾	الآية ٤٥٧	الآية ٤٧٥
الآية ٣٥ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُوا الْعِزْمَ﴾	الآية ٣١ ﴿وَلِنُؤْمِنَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾	الآية ٤٥٧	الآية ٤٧٦
تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم	الآية ٣٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	الآية ٤٥٨	الآية ٤٧٧
الآية ١ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾	الآية ٣٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	الآية ٤٥٩	الآية ٤٧٧
الآية ٢ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	الآية ٣٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	الآية ٤٥٩	الآية ٤٧٨
الآية ٣ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾	الآية ٣٥ ﴿فَلَا تَهْنُوا﴾	الآية ٤٥٩	الآية ٤٧٩
	الآية ٣٦ ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَبْ﴾		الآية ٤٧٩

الآيات	الآيات	الآيات	الآيات
الآية ٣٧ ﴿إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا﴾	الآية ٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا﴾	٥٠٥	
الآية ٣٨ ﴿هَآ أَنْتُمْ هَؤْلَاءَ تَدْعُون﴾	الآية ٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ﴾	٥٠٦	
تفسير سورة الفتح	الآية ٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك﴾	٥٠٦	
الآية ١ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾	الآية ٥ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾	٥٠٦	
الآية ٢ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾	الآية ٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾	٥٠٨	
الآية ٣ ﴿وَيَنْصِرَكَ اللَّهُ﴾	الآية ٧ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾	٥٠٨	
الآية ٤ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾	الآية ٨ ﴿فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾	٥٠٨	
الآية ٥ ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾	الآية ٩ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٥١٠	
الآية ٦ ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾	الآية ١٠ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	٥١٠	
الآية ٧ ﴿وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	الآية ١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ﴾	٥١١	
الآية ٨ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾	الآية ١٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ		
الآية ٩ ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	الظن﴾	٥١٣	
الآية ١٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَآمَنُونَكَ﴾	الآية ١٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾	٥١٤	
الآية ١١ ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾	الآية ١٤ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾	٥١٦	
الآية ١٢ ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾	الآية ١٥ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾	٥١٦	
الآية ١٣ ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	الآية ١٦ ﴿قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾	٥١٦	
الآية ١٤ ﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	الآية ١٧ ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ﴾	٥١٨	
الآية ١٥ ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾	الآية ١٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ		
الآية ١٦ ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾	وَالْأَرْضِ﴾	٥١٨	
الآية ١٧ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾	تفسير سورة ق		
الآية ١٨ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الآية ١ ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدُ﴾	٥١٩	
الآية ١٩ ﴿وَمِغْنَمٍ كَثِيرَةٍ﴾	الآية ٢ ﴿بَلْ عَجَبُوا﴾	٥١٩	
الآية ٢٠ ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مِغْنَمٍ كَثِيرَةٍ﴾	الآية ٣ ﴿أَنذَانَا﴾	٥١٩	
الآية ٢١ ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾	الآية ٤ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ﴾	٥١٩	
الآية ٢٢ ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	الآية ٥ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾	٥١٩	
الآية ٢٣ ﴿سَنَسْأَلُ اللَّهَ﴾	الآية ٦ ﴿أَنلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ﴾	٥٢١	
الآية ٢٤ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾	الآية ٧ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾	٥٢١	
الآية ٢٥ ﴿هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	الآية ٨ ﴿تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ﴾	٥٢١	
الآية ٢٦ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	الآية ٩ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾	٥٢١	
الآية ٢٧ ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ﴾	الآية ١٠ ﴿وَالنَّخْلَ بِاسْقَاتٍ﴾	٥٢١	
الآية ٢٨ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾	الآية ١١ ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾	٥٢١	
الآية ٢٩ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾	الآية ١٢ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾	٥٢٣	
تفسير سورة الحجرات	الآية ١٣ ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾	٥٢٣	
الآية ١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾	الآية ١٤ ﴿وَأَصْحَابُ الْاَيْكَةِ﴾	٥٢٣	

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ١٥ ﴿أفعمينا بالخلق الأول﴾	٥٢٣	الآية ١٦ ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾	٥٢٤
الآية ١٧ ﴿إذ تلقى المتلقيان﴾	٥٢٤	الآية ١٨ ﴿ما يلفظ من قول﴾	٥٢٤
الآية ١٩ ﴿وجاءت سكرة الموت﴾	٥٢٤	الآية ٢٠ ﴿ونفخ في الصور﴾	٥٢٦
الآية ٢١ ﴿وجاءت كل نفس﴾	٥٢٦	الآية ٢٢ ﴿لقد كنت في غفلة﴾	٥٢٦
الآية ٢٣ ﴿وقال قرينه﴾	٥٢٧	الآية ٢٤ ﴿ألقيا في جهنم﴾	٥٢٧
الآية ٢٥ ﴿مناع للخير﴾	٥٢٧	الآية ٢٦ ﴿الذي جعل مع الله إلها آخر﴾	٥٢٧
الآية ٢٧ ﴿قال قرينه﴾	٥٢٨	الآية ٢٨ ﴿قال لا تخصصوا﴾	٥٢٨
الآية ٢٩ ﴿ما يذل القول لدى﴾	٥٢٨	الآية ٣٠ ﴿يوم نقول لجهنم﴾	٥٢٩
الآية ٣١ ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾	٥٢٩	الآية ٣٢ ﴿هذا ما توعدون﴾	٥٢٩
الآية ٣٣ ﴿من غشى الرحمن بالغيث﴾	٥٢٩	الآية ٣٤ ﴿ادخلوها بسلام﴾	٥٢٩
الآية ٣٥ ﴿لهم ما يشاءون فيها﴾	٥٢٩	الآية ٣٦ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾	٥٣١
الآية ٣٧ ﴿إن في ذلك لذكرى﴾	٥٣١	الآية ٣٨ ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما﴾	٥٣٢
الآية ٣٩ ﴿فاصبر على ما يقولون﴾	٥٣٢	الآية ٤٠ ﴿ومن الليل فسبحه﴾	٥٣٢
الآية ٤١ ﴿واستمع يوم ينادى المنادى﴾	٥٣٣	الآية ٤٢ ﴿يوم يسمعون الصيحة﴾	٥٣٣
الآية ٤٣ ﴿إنا نحن نحى ونميت﴾	٥٣٣	الآية ٤٤ ﴿يوم تشقق الأرض عنهم﴾	٥٣٣
الآية ٤٥ ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾	٥٣٣	تفسير سورة الذاريات	
الآية ١ ﴿والذاريات ذروا﴾	٥٣٥		
الآية ٢ ﴿فالحاملات وقرا﴾	٥٣٥		
الآية ٣ ﴿فالجاريات يسرا﴾	٥٣٥		
الآية ٤ ﴿فالمقسمات أمرا﴾	٥٣٥		
الآية ٥ ﴿إنما توعدون لصادق﴾	٥٣٥		
الآية ٦ ﴿وإن الدين لواقع﴾	٥٣٥		
الآية ٧ ﴿والسما ذات الجبك﴾	٥٣٦		
الآية ٨ ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾	٥٣٦		
الآية ٩ ﴿يؤفك عنه من أفك﴾	٥٣٦		
الآية ١٠ ﴿قتل الخراصون﴾	٥٣٦		
الآية ١١ ﴿الذين هم في غمرة﴾	٥٣٦		
الآية ١٢ ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾	٥٣٦		
الآية ١٣ ﴿يوم هم على النار﴾	٥٣٦		
الآية ١٤ ﴿ذوقوا فتنتكم﴾	٥٣٦		
الآية ١٥ ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾	٥٣٨		
الآية ١٦ ﴿أخذين ما آتاهم ربهم﴾	٥٣٨		
الآية ١٧ ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾	٥٣٨		
الآية ١٨ ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾	٥٣٨		
الآية ١٩ ﴿وفي أموالهم حق﴾	٥٣٨		
الآية ٢٠ ﴿وفي الأرض آيات﴾	٥٣٩		
الآية ٢١ ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾	٥٣٩		
الآية ٢٢ ﴿وفي السماء رزقكم﴾	٥٣٩		
الآية ٢٣ ﴿فويرب السماء والأرض إنه لحق﴾	٥٣٩		
الآية ٢٤ ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾	٥٤٠		
الآية ٢٥ ﴿إذ دخلوا عليه﴾	٥٤٠		
الآية ٢٦ ﴿ففرغ إلى أهله﴾	٥٤٠		
الآية ٢٧ ﴿فقربه إليهم﴾	٥٤٠		
الآية ٢٨ ﴿فأرجس منهم خيفة﴾	٥٤٠		
الآية ٢٩ ﴿فأقبلت امرأته﴾	٥٤٠		
الآية ٣٠ ﴿قالوا كذلك قال ربك﴾	٥٤٠		
الآية ٣١ ﴿قال فما خطبكم﴾	٥٤٢		
الآية ٣٢ ﴿قالوا إنا أرسلنا﴾	٥٤٢		
الآية ٣٣ ﴿لنرسل عليهم حجارة﴾	٥٤٢		
الآية ٣٤ ﴿مسومة عند ربك﴾	٥٤٢		

الآيات	الصحيحة	الآيات	الصحيحة
الآية ٥ ﴿والسقف المرفوع﴾	٥٥١	الآية ٣٥ ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾	٥٤٢
الآية ٦ ﴿والبحر المسجور﴾	٥٥١	الآية ٣٦ ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾	٥٤٢
الآية ٧ ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾	٥٥١	الآية ٣٧ ﴿وتركنا فيها آية﴾	٥٤٢
الآية ٨ ﴿ماله من دافع﴾	٥٥١	الآية ٣٨ ﴿وفى موسى﴾	٥٤٤
الآية ٩ ﴿يوم تمور السماء﴾	٥٥٣	الآية ٣٩ ﴿فتولى بركته﴾	٥٤٤
الآية ١٠ ﴿وتسير الجبال﴾	٥٥٣	الآية ٤٠ ﴿فأخذناه وجنوده﴾	٥٤٤
الآية ١١ ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾	٥٥٣	الآية ٤١ ﴿وفى عاد﴾	٥٤٥
الآية ١٢ ﴿الذين هم فى خوض﴾	٥٥٣	الآية ٤٢ ﴿ما تذر من شيء﴾	٥٤٥
الآية ١٣ ﴿يوم يدعون﴾	٥٥٣	الآية ٤٣ ﴿وفى نود﴾	٥٤٥
الآية ١٤ ﴿هذه النار﴾	٥٥٣	الآية ٤٤ ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾	٥٤٥
الآية ١٥ ﴿أفسح هذا﴾	٥٥٣	الآية ٤٥ ﴿فما استطاعوا من قيام﴾	٥٤٥
الآية ١٦ ﴿أصلوها فاصبروا أو لا تصبروا﴾	٥٥٣	الآية ٤٦ ﴿وقوم نوح﴾	٥٤٦
الآية ١٧ ﴿إن المتقين فى جنات ونعيم﴾	٥٥٤	الآية ٤٧ ﴿والسماء بنيناها﴾	٥٤٧
الآية ١٨ ﴿فاكهين بما آتاهم ربهم﴾	٥٥٤	الآية ٤٨ ﴿والأرض فرشناها﴾	٥٤٧
الآية ١٩ ﴿كلوا واشربوا هنيئا﴾	٥٥٤	الآية ٤٩ ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾	٥٤٧
الآية ٢٠ ﴿متكئين على سرر﴾	٥٥٤	الآية ٥٠ ﴿ففرروا إلى الله﴾	٥٤٨
الآية ٢١ ﴿والذين آمنوا﴾	٥٥٥	الآية ٥١ ﴿ولا تجعلوا مع الله إلها آخر﴾	٥٤٨
الآية ٢٢ ﴿وأمددناهم بقاكة﴾	٥٥٥	الآية ٥٢ ﴿كنذك ما أتى الذين من قبلهم﴾	٥٤٨
الآية ٢٣ ﴿يتنازعون فيها كأسا﴾	٥٥٥	الآية ٥٣ ﴿أتواصوا به﴾	٥٤٨
الآية ٢٤ ﴿ويطوف عليهم غلمان﴾	٥٥٥	الآية ٥٤ ﴿فتول عنهم﴾	٥٤٨
الآية ٢٥ ﴿وأقبل بعضهم﴾	٥٥٧	الآية ٥٥ ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾	٥٤٨
الآية ٢٦ ﴿قالوا إنا كنا﴾	٥٥٧	الآية ٥٦ ﴿ومما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾	٥٥٠
الآية ٢٧ ﴿فمن الله علينا﴾	٥٥٧	الآية ٥٧ ﴿ما أريد منهم من رزق﴾	٥٥٠
الآية ٢٨ ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾	٥٥٧	الآية ٥٨ ﴿إن الله هو الرزاق﴾	٥٥٠
الآية ٢٩ ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن﴾	٥٥٧	الآية ٥٩ ﴿وإن للذين ظلموا ذنوبا﴾	٥٥٠
الآية ٣٠ ﴿أم يقولون شاعر﴾	٥٥٧	الآية ٦٠ ﴿فويل للذين كفروا﴾	٥٥٠
الآية ٣١ ﴿قل ترصوا﴾	٥٥٧	تفسير سورة الطور	
الآية ٣٢ ﴿أم تامرهم أحلامهم﴾	٥٥٨	الآية ١ ﴿والطور﴾	٥٥١
الآية ٣٣ ﴿أم يقولون تقوله﴾	٥٥٨	الآية ٢ ﴿وكتاب مطور﴾	٥٥١
الآية ٣٤ ﴿فغياأنا بحديث مثله﴾	٥٥٨	الآية ٣ ﴿فى رقى منشور﴾	٥٥١
الآية ٣٥ ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾	٥٦٠	الآية ٤ ﴿والبيت المعمور﴾	٥٥١
الآية ٣٦ ﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾	٥٦٠		
الآية ٣٧ ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾	٥٦١		
الآية ٣٨ ﴿أم لهم سلم﴾	٥٦١		

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٣٩ ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ﴾	٥٦٢	الآية ٢٣ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾	٥٧١
الآية ٤٠ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾	٥٦٢	الآية ٢٤ ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى﴾	٥٧١
الآية ٤١ ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾	٥٦٢	الآية ٢٥ ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾	٥٧١
الآية ٤٢ ﴿أَمْ تَرِيدُونَ كَيْدًا﴾	٥٦٢	الآية ٢٦ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾	٥٧١
الآية ٤٣ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾	٥٦٢	الآية ٢٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٥٧٢
الآية ٤٤ ﴿وَأِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾	٥٦٤	الآية ٢٨ ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾	٥٧٢
الآية ٤٥ ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَاوَ يَوْمَهُمُ﴾	٥٦٤	الآية ٢٩ ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ تَوَلَّى﴾	٥٧٢
الآية ٤٦ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُهُمْ كَيْدُهُمْ﴾	٥٦٤	الآية ٣٠ ﴿ذَلِكَ مِثْلَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾	٥٧٢
الآية ٤٧ ﴿وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا﴾	٥٦٥	الآية ٣١ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٥٧٤
الآية ٤٨ ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾	٥٦٥	الآية ٣٢ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ﴾	٥٧٤
الآية ٤٩ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾	٥٦٥	الآية ٣٣ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾	٥٧٦
تفسير سورة النجم		الآية ٣٤ ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾	٥٧٦
الآية ١ ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى﴾	٥٦٦	الآية ٣٥ ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾	٥٧٦
الآية ٢ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾	٥٦٦	الآية ٣٦ ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ﴾	٥٧٦
الآية ٣ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾	٥٦٦	الآية ٣٧ ﴿وَوَيْلٌ لِلرَّاسِمِ الَّذِي وَفَى﴾	٥٧٦
الآية ٤ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾	٥٦٦	الآية ٣٨ ﴿الْأَنْزِيلِ وَازْرَعْ﴾	٥٧٦
الآية ٥ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾	٥٦٦	الآية ٣٩ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ﴾	٥٧٦
الآية ٦ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾	٥٦٦	الآية ٤٠ ﴿وَأَنْ سَعِيهِ﴾	٥٧٦
الآية ٧ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾	٥٦٦	الآية ٤١ ﴿ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾	٥٧٦
الآية ٨ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾	٥٦٦	الآية ٤٢ ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾	٥٧٦
الآية ٩ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾	٥٦٦	الآية ٤٣ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾	٥٧٨
الآية ١٠ ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ﴾	٥٦٦	الآية ٤٤ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾	٥٧٨
الآية ١١ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾	٥٦٨	الآية ٤٥ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ﴾	٥٧٨
الآية ١٢ ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾	٥٦٨	الآية ٤٦ ﴿مَنْ نَفْثَ﴾	٥٧٨
الآية ١٣ ﴿وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى﴾	٥٦٨	الآية ٤٧ ﴿وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ﴾	٥٧٩
الآية ١٤ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾	٥٦٨	الآية ٤٨ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾	٥٧٩
الآية ١٥ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾	٥٦٨	الآية ٤٩ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾	٥٧٩
الآية ١٦ ﴿إِذْ يَفْشَى الْسَدْرَةُ﴾	٥٦٨	الآية ٥٠ ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾	٥٧٩
الآية ١٧ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾	٥٦٨	الآية ٥١ ﴿وَتَنُودُ فَمَا أَبْقَى﴾	٥٧٩
الآية ١٨ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ﴾	٥٦٨	الآية ٥٢ ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ﴾	٥٧٩
الآية ١٩ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ﴾	٥٧٠	الآية ٥٣ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾	٥٧٩
الآية ٢٠ ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ﴾	٥٧٠	الآية ٥٤ ﴿فَفَتَشَاهَا مَا غَشَى﴾	٥٧٩
الآية ٢١ ﴿الْكَمِ الذَّكَرُ﴾	٥٧٠	الآية ٥٥ ﴿فَبَايَ آلَاءَ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾	٥٧٩
الآية ٢٢ ﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَ ضَرِيءُ﴾	٥٧٠		

الصحيفة

الآيات

- الآية ٢٧ ﴿إنا أرسلنا الناقة﴾ ٥٩١
 الآية ٢٨ ﴿وننبئهم أن الماء قسمة﴾ ٥٩١
 الآية ٢٩ ﴿فنادوا أصحابهم﴾ ٥٩١
 الآية ٣٠ ﴿فكيف كان عذابى﴾ ٥٩١
 الآية ٣١ ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة﴾ ٥٩١
 الآية ٣٢ ﴿ولقد يسرنا القرآن﴾ ٥٩١
 الآية ٣٣ ﴿كذب قوم لوط﴾ ٥٩٢
 الآية ٣٤ ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ ٥٩٢
 الآية ٣٥ ﴿نعمة من عندنا﴾ ٥٩٢
 الآية ٣٦ ﴿ولقد أنذرهم بطشتا﴾ ٥٩٢
 الآية ٣٧ ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ ٥٩٢
 الآية ٣٨ ﴿ولقد صبحهم بكرة﴾ ٥٩٢
 الآية ٣٩ ﴿فذوقوا عذابى﴾ ٥٩٢
 الآية ٤٠ ﴿ولقد يسرنا القرآن﴾ ٥٩٢
 الآية ٤١ ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ ٥٩٤
 الآية ٤٢ ﴿كذبوا بآياتنا﴾ ٥٩٤
 الآية ٤٣ ﴿أكفاركم خير﴾ ٥٩٤
 الآية ٤٤ ﴿أم يقولون﴾ ٥٩٤
 الآية ٤٥ ﴿سبهزم الجمع﴾ ٥٩٤
 الآية ٤٦ ﴿بل الساعة موعدهم﴾ ٥٩٤
 الآية ٤٧ ﴿إن المجرمين فى ضلال﴾ ٥٩٦
 الآية ٤٨ ﴿يوم يسحبون فى النار﴾ ٥٩٦
 الآية ٤٩ ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ ٥٩٦
 الآية ٥٠ ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ ٥٩٦
 الآية ٥١ ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ ٥٩٦
 الآية ٥٢ ﴿وكل شىء فعلوه فى الزبر﴾ ٥٩٦
 الآية ٥٣ ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ ٥٩٦
 الآية ٥٤ ﴿إن المتقين فى جنات ونهر﴾ ٥٩٧
 الآية ٥٥ ﴿فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ ٥٩٧
 تفسير سورة الرحمن
 الآية ١ ﴿الرحمن﴾ ٥٩٨
 الآية ٢ ﴿علم القرآن﴾ ٥٩٨
 الآية ٣ ﴿خلق الإنسان﴾ ٥٩٨
 الآية ٤ ﴿علمه البيان﴾ ٥٩٨

الصحيفة

الآيات

- الآية ٥٦ ﴿هذا نذير﴾ ٥٨١
 الآية ٥٧ ﴿أزفت الآفة﴾ ٥٨١
 الآية ٥٨ ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ ٥٨١
 الآية ٥٩ ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون﴾ ٥٨٢
 الآية ٦٠ ﴿وتضكون ولا تبكون﴾ ٥٨٢
 الآية ٦١ ﴿وأنتم سامدون﴾ ٥٨٢
 الآية ٦٢ ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ ٥٨٢
 تفسير سورة القمر
 الآية ١ ﴿اقربت الساعة﴾ ٥٨٢
 الآية ٢ ﴿وإن يروا آية﴾ ٥٨٢
 الآية ٣ ﴿وكذبوا واتبعوا أهواءهم﴾ ٥٨٢
 الآية ٤ ﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ ٥٨٢
 الآية ٥ ﴿حكمة بالغة﴾ ٥٨٢
 الآية ٦ ﴿فتول عنهم﴾ ٥٨٢
 الآية ٧ ﴿خسعا أبصارهم﴾ ٥٨٢
 الآية ٨ ﴿مضطحين إلى الداع﴾ ٥٨٢
 الآية ٩ ﴿كذب قبلهم قوم نوح﴾ ٥٨٧
 الآية ١٠ ﴿فدعاربه﴾ ٥٨٧
 الآية ١١ ﴿فتفتحن أبواب السماء﴾ ٥٨٧
 الآية ١٢ ﴿وفعرجنا الأرض عيوننا﴾ ٥٨٧
 الآية ١٣ ﴿وحملناه على ذات ألواح﴾ ٥٨٧
 الآية ١٤ ﴿تجرى بأعيننا﴾ ٥٨٧
 الآية ١٥ ﴿ولقد تركناها آية﴾ ٥٨٧
 الآية ١٦ ﴿فكيف كان عذابى﴾ ٥٨٧
 الآية ١٧ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ ٥٨٨
 الآية ١٨ ﴿كذبت عاد﴾ ٥٨٩
 الآية ١٩ ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحا﴾ ٥٨٩
 الآية ٢٠ ﴿تنزع الناس﴾ ٥٨٩
 الآية ٢١ ﴿فكيف كان عذابى﴾ ٥٨٩
 الآية ٢٢ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ ٥٨٩
 الآية ٢٣ ﴿كذبت ثمود﴾ ٥٩٠
 الآية ٢٤ ﴿فقالوا أبشرنا﴾ ٥٩٠
 الآية ٢٥ ﴿ألقي الذكر عليه﴾ ٥٩٠
 الآية ٢٦ ﴿سيعلمون غدا﴾ ٥٩٠

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٥ ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾	٥٩٨	الآية ٣٩ ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه﴾	٦٠٨
الآية ٦ ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾	٥٩٨	الآية ٤٠ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٨
الآية ٧ ﴿والسماء رفعها﴾	٥٩٨	الآية ٤١ ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾	٦٠٩
الآية ٨ ﴿الأنطفوا﴾	٥٩٨	الآية ٤٢ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٩
الآية ٩ ﴿وأقيموا الوزن﴾	٥٩٨	الآية ٤٣ ﴿هذه جهنم﴾	٦٠٩
الآية ١٠ ﴿والأرض وضعها﴾	٦٠٠	الآية ٤٤ ﴿يطوفون بينها﴾	٦٠٩
الآية ١١ ﴿فيها فاكهة﴾	٦٠٠	الآية ٤٥ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٩
الآية ١٢ ﴿والحب ذو العصف﴾	٦٠٠	الآية ٤٦ ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾	٦١٠
الآية ١٣ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٠	الآية ٤٧ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٠
الآية ١٤ ﴿خلق الإنسان﴾	٦٠١	الآية ٤٨ ﴿ذواتا أُنثان﴾	٦١٠
الآية ١٥ ﴿وخلق الجن﴾	٦٠١	الآية ٤٩ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٠
الآية ١٦ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠١	الآية ٥٠ ﴿فيهما عينان تجريان﴾	٦١٠
الآية ١٧ ﴿ورب المشرقين ورب المغربين﴾	٦٠١	الآية ٥١ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٠
الآية ١٨ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠١	الآية ٥٢ ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾	٦١٠
الآية ١٩ ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾	٦٠٢	الآية ٥٣ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٠
الآية ٢٠ ﴿بينهما برزخ﴾	٦٠٢	الآية ٥٤ ﴿متكئين على فرش﴾	٦١٠
الآية ٢١ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٢	الآية ٥٥ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٠
الآية ٢٢ ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾	٦٠٣	الآية ٥٦ ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾	٦١٠
الآية ٢٣ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٣	الآية ٥٧ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٠
الآية ٢٤ ﴿وله الجوار المنشئات﴾	٦٠٣	الآية ٥٨ ﴿كانهن الياقوت والمرجان﴾	٦١٠
الآية ٢٥ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٣	الآية ٥٩ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٠
الآية ٢٦ ﴿كل من عليها فان﴾	٦٠٤	الآية ٦٠ ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾	٦١٠
الآية ٢٧ ﴿ويبقى وجه ربك﴾	٦٠٤	الآية ٦١ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٠
الآية ٢٨ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٤	الآية ٦٢ ﴿ومن دونهما جنتان﴾	٦١٢
الآية ٢٩ ﴿يسأله من فى السموات والأرض﴾	٦٠٤	الآية ٦٣ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٢
الآية ٣٠ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٤	الآية ٦٤ ﴿مدهامتان﴾	٦١٢
الآية ٣١ ﴿سفرغ لكم﴾	٦٠٥	الآية ٦٥ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٢
الآية ٣٢ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٥	الآية ٦٦ ﴿فيهما عينان نضاختان﴾	٦١٢
الآية ٣٣ ﴿بأعشر العن والعن﴾	٦٠٦	الآية ٦٧ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٢
الآية ٣٤ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٦	الآية ٦٨ ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾	٦١٢
الآية ٣٥ ﴿يرسل عليكم شواظ من نار﴾	٦٠٦	الآية ٦٩ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٢
الآية ٣٦ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٦	الآية ٧٠ ﴿فيهن خيرات حسان﴾	٦١٢
الآية ٣٧ ﴿فإذا انشقت السماء﴾	٦٠٨	الآية ٧١ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦١٢
الآية ٣٨ ﴿فيأبى آلاء ربكما تكذبان﴾	٦٠٨	الآية ٧٢ ﴿حور مقصورات فى الغيام﴾	٦١٢

الآيات	الصحيحة	الآيات	الصحيحة
٦١٨ الآية ٢٧ ﴿وأصحاب اليمين﴾	٦١٢ الآية ٧٣ ﴿فبأى آله ربكما تكذبان﴾	٦١٢ الآية ٧٤ ﴿لم يطمئنن إنس قبلهم ولا جان﴾	٦١٢ الآية ٧٥ ﴿فبأى آله ربكما تكذبان﴾
٦١٨ الآية ٢٨ ﴿فى سدر مخضود﴾	٦١٢ الآية ٧٦ ﴿متكئين على رفرف خضر﴾	٦١٢ الآية ٧٧ ﴿فبأى آله ربكما تكذبان﴾	٦١٢ الآية ٧٨ ﴿بشارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام﴾
٦١٨ الآية ٢٩ ﴿وطلح منضود﴾	٦١٢ الآية ٧٩ ﴿تفسير سورة الواقعة﴾	٦١٤ الآية ١ ﴿إذا وقعت الواقعة﴾	٦١٤ الآية ٢ ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾
٦١٨ الآية ٣٠ ﴿وظل مدود﴾	٦١٤ الآية ٣ ﴿خافضة رافعة﴾	٦١٤ الآية ٤ ﴿إذا رجبت الأرض رجاً﴾	٦١٤ الآية ٥ ﴿وبست الجبال﴾
٦١٨ الآية ٣١ ﴿وماء مسكوب﴾	٦١٤ الآية ٦ ﴿فكانت مياه﴾	٦١٥ الآية ٧ ﴿وكنتم أزواجاً﴾	٦١٥ الآية ٨ ﴿فأصحاب الميمين﴾
٦١٨ الآية ٣٢ ﴿وفاكهة كثيرة﴾	٦١٥ الآية ٩ ﴿وأصحاب المشأمة﴾	٦١٥ الآية ١٠ ﴿والسابقون السابقون﴾	٦١٥ الآية ١١ ﴿أولئك المقربون﴾
٦١٨ الآية ٣٣ ﴿لامقطوعة﴾	٦١٥ الآية ١٢ ﴿فى جنات النعيم﴾	٦١٥ الآية ١٣ ﴿ثلاثة من الأولين﴾	٦١٥ الآية ١٤ ﴿وقليل من الآخرين﴾
٦١٨ الآية ٣٤ ﴿وفرش مرفوعة﴾	٦١٥ الآية ١٥ ﴿على سرر موضونة﴾	٦١٥ الآية ١٦ ﴿متكئين عليها﴾	٦١٥ الآية ١٧ ﴿يطوف عليهم ولدان﴾
٦١٨ الآية ٣٥ ﴿إنا أنشأناهم﴾	٦١٥ الآية ١٨ ﴿بأكواب وأباريق﴾	٦١٥ الآية ١٩ ﴿لا يصدعون عنها﴾	٦١٥ الآية ٢٠ ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾
٦١٨ الآية ٣٦ ﴿فجعلناهم أبقاراً﴾	٦١٥ الآية ٢١ ﴿ولحم طير﴾	٦١٥ الآية ٢٢ ﴿وحور عين﴾	٦١٥ الآية ٢٣ ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾
٦١٨ الآية ٣٧ ﴿عرباً أتراباً﴾	٦١٥ الآية ٢٤ ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾	٦١٥ الآية ٢٥ ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾	٦١٥ الآية ٢٦ ﴿إلا قليلاً سلاماً﴾
٦١٨ الآية ٣٨ ﴿لأصحاب اليمين﴾	٦١٥ الآية ٢٧ ﴿نحن خلقناكم﴾	٦٢١ الآية ٥٨ ﴿أقرايم ما تمنون﴾	٦٢١ الآية ٥٩ ﴿أنتم تخلقونه﴾
٦١٨ الآية ٣٩ ﴿ثلاثة من الأولين﴾	٦١٥ الآية ٢٨ ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾	٦٢١ الآية ٦٠ ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾	
٦١٨ الآية ٤٠ ﴿وثلاثة من الآخرين﴾			
٦١٩ الآية ٤١ ﴿وأصحاب الشمال﴾			
٦١٩ الآية ٤٢ ﴿فى سموم وحميم﴾			
٦١٩ الآية ٤٣ ﴿وظل من يحموم﴾			
٦١٩ الآية ٤٤ ﴿لابارد ولا كريم﴾			
٦١٩ الآية ٤٥ ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾			
٦١٩ الآية ٤٦ ﴿وكان يصرون على الحنث﴾			
٦١٩ الآية ٤٧ ﴿وكانوا يقولون﴾			
٦١٩ الآية ٤٨ ﴿أوبأؤنا﴾			
٦١٩ الآية ٤٩ ﴿قل إن الأولين﴾			
٦١٩ الآية ٥٠ ﴿لمجموعون إلى ميقات﴾			
٦١٩ الآية ٥١ ﴿نم إنكم﴾			
٦١٩ الآية ٥٢ ﴿لا تكون من شجر﴾			
٦١٩ الآية ٥٣ ﴿فمالتون منها البطون﴾			
٦١٩ الآية ٥٤ ﴿فشاربون عليه﴾			
٦١٩ الآية ٥٥ ﴿فشاربون شرب الهيم﴾			
٦١٩ الآية ٥٦ ﴿هذا أنزلهم﴾			
٦٢١ الآية ٥٧ ﴿نحن خلقناكم﴾			
٦٢١ الآية ٥٨ ﴿أقرايم ما تمنون﴾			
٦٢١ الآية ٥٩ ﴿أنتم تخلقونه﴾			
٦٢١ الآية ٦٠ ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾			

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٦١ ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾	٦٢١	الآية ٩٥ ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾	٦٢٧
الآية ٦٢ ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾	٦٢١	الآية ٩٦ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾	٦٢٧
الآية ٦٣ ﴿أفأنتم ما تحرثون﴾	٦٢٢	تفسير سورة الحديد	
الآية ٦٤ ﴿أنتم تزرعونه﴾	٦٢٢	الآية ١ ﴿سبح لله﴾	٦٢٨
الآية ٦٥ ﴿لئن نشاء لجعلنا من حطاما﴾	٦٢٢	الآية ٢ ﴿له ملك السموات والأرض﴾	٦٢٨
الآية ٦٦ ﴿إنا لمغرمون﴾	٦٢٢	الآية ٣ ﴿هو الأول والآخر﴾	٦٢٨
الآية ٦٧ ﴿بل نحن محرومون﴾	٦٢٢	الآية ٤ ﴿هو الذي خلق السموات والأرض﴾	٦٢٩
الآية ٦٨ ﴿أفأنتم الماء﴾	٦٢٢	الآية ٥ ﴿له ملك السموات والأرض﴾	٦٢٩
الآية ٦٩ ﴿أنتم أنزلتموه﴾	٦٢٢	الآية ٦ ﴿يولج الليل في النهار﴾	٦٢٩
الآية ٧٠ ﴿لئن نشاء لجعلنا من أجاجا﴾	٦٢٢	الآية ٧ ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾	٦٣١
الآية ٧١ ﴿أفأنتم النار﴾	٦٢٢	الآية ٨ ﴿وما لكم لا تؤمنون﴾	٦٣١
الآية ٧٢ ﴿أنتم أنشأتم شجرتها﴾	٦٢٢	الآية ٩ ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات﴾	٦٣١
الآية ٧٣ ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾	٦٢٢	الآية ١٠ ﴿وما لكم ألا تنفقوا﴾	٦٣٢
الآية ٧٤ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾	٦٢٢	الآية ١١ ﴿من ذا الذي يقرض﴾	٦٣٢
الآية ٧٥ ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾	٦٢٤	الآية ١٢ ﴿يوم ترى المؤمنين﴾	٦٣٢
الآية ٧٦ ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾	٦٢٤	الآية ١٣ ﴿يوم يقول المنافقون﴾	٦٣٤
الآية ٧٧ ﴿إنه لقرآن كريم﴾	٦٢٤	الآية ١٤ ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾	٦٣٤
الآية ٧٨ ﴿في كتاب مكنون﴾	٦٢٤	الآية ١٥ ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم﴾	٦٣٤
الآية ٧٩ ﴿لا يبسه إلا المطهرون﴾	٦٢٤	الآية ١٦ ﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾	٦٣٦
الآية ٨٠ ﴿تنزل من رب العالمين﴾	٦٢٤	الآية ١٧ ﴿اعلموا أن الله يحيى﴾	٦٣٦
الآية ٨١ ﴿ألمن هذا الحديث أنتم مدهنون﴾	٦٢٥	الآية ١٨ ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾	٦٣٦
الآية ٨٢ ﴿وتجعلون رزقكم﴾	٦٢٥	الآية ١٩ ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾	٦٣٦
الآية ٨٣ ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾	٦٢٥	الآية ٢٠ ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب﴾	٦٣٨
الآية ٨٤ ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾	٦٢٥	الآية ٢١ ﴿سابقوا إلى مفقرة﴾	٦٣٩
الآية ٨٥ ﴿ونحن أقرب إليه﴾	٦٢٥	الآية ٢٢ ﴿ما أصاب من مصيبة﴾	٦٤٠
الآية ٨٦ ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾	٦٢٥	الآية ٢٣ ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾	٦٤٠
الآية ٨٧ ﴿ترجعونها إن كنتم صادقين﴾	٦٢٥	الآية ٢٤ ﴿الذين يبخلون﴾	٦٤٠
الآية ٨٨ ﴿فأما إن كان من المقربين﴾	٦٢٧	الآية ٢٥ ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾	٦٤١
الآية ٨٩ ﴿فروح وريحان﴾	٦٢٧	الآية ٢٦ ﴿ولقد أرسلنا نوحا﴾	٦٤٢
الآية ٩٠ ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾	٦٢٧	الآية ٢٧ ﴿ثم قمنا على أنارهم﴾	٦٤٢
الآية ٩١ ﴿فسلام لك﴾	٦٢٧	الآية ٢٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾	٦٤٤
الآية ٩٢ ﴿وأما إن كان من المكذبين﴾	٦٢٧	الآية ٢٩ ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾	٦٤٤
الآية ٩٣ ﴿فنزل من حميم﴾	٦٢٧	تفسير سورة المجادلة	
الآية ٩٤ ﴿وتصلية جحيم﴾	٦٢٧	الآية ١ ﴿قد سمع الله﴾	٦٤٦

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٢ ﴿الذين يظاهرون﴾	٦٤٦	الآية ٨ ﴿للفقراء المهاجرين﴾	٦٦٣
الآية ٣ ﴿والذين يظاهرون﴾	٦٤٦	الآية ٩ ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان﴾	٦٦٣
الآية ٤ ﴿فمن لم يجد﴾	٦٤٦	الآية ١٠ ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾	٦٦٣
الآية ٥ ﴿إن الذين يحادون الله﴾	٦٤٨	الآية ١١ ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾	٦٦٥
الآية ٦ ﴿يوم يبعثهم﴾	٦٤٨	الآية ١٢ ﴿لئن أخرجوا﴾	٦٦٥
الآية ٧ ﴿ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض﴾	٦٥٠	الآية ١٣ ﴿لأنتم أشد رهبة﴾	٦٦٥
الآية ٨ ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾	٦٥٠	الآية ١٤ ﴿لا يقاتلونكم جميعا﴾	٦٦٦
الآية ٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم﴾	٦٥٠	الآية ١٥ ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾	٦٦٦
الآية ١٠ ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾	٦٥٠	الآية ١٦ ﴿كمثل الشيطان﴾	٦٦٧
الآية ١١ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا﴾	٦٥٢	الآية ١٧ ﴿فكان عاقبتهما﴾	٦٦٧
الآية ١٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول﴾	٦٥٢	الآية ١٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾	٦٦٨
الآية ١٣ ﴿أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾	٦٥٢	الآية ١٩ ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾	٦٦٨
الآية ١٤ ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوما﴾	٦٥٤	الآية ٢٠ ﴿لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾	٦٦٨
الآية ١٥ ﴿أعد الله لهم عذابا﴾	٦٥٤	الآية ٢١ ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾	٦٦٩
الآية ١٦ ﴿اتخذوا أيمانهم﴾	٦٥٤	الآية ٢٢ ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب﴾	٦٧٠
الآية ١٧ ﴿لن تغنى عنهم أموالهم﴾	٦٥٤	الآية ٢٣ ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو الملك﴾	٦٧٠
الآية ١٨ ﴿يوم يبعثهم الله﴾	٦٥٤	الآية ٢٤ ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾	٦٧٠
الآية ١٩ ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾	٦٥٦	تفسير سورة الممتحنة	
الآية ٢٠ ﴿إن الذين يحادون الله﴾	٦٥٦	الآية ١ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾	٦٧٢
الآية ٢١ ﴿كتب الله لأغلبن﴾	٦٥٦	الآية ٢ ﴿إن يثقوكم﴾	٦٧٢
الآية ٢٢ ﴿لا تجد قوما﴾	٦٥٧	الآية ٣ ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾	٦٧٢
تفسير سورة العنبر		الآية ٤ ﴿قد كانت لكم أسوة﴾	٦٧٤
الآية ١ ﴿سبح لله﴾	٦٥٨	الآية ٥ ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة﴾	٦٧٤
الآية ٢ ﴿هو الذى أخرج الذين كفروا﴾	٦٥٨	الآية ٦ ﴿لقد كان لكم فيه أسوة﴾	٦٧٤
الآية ٣ ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾	٦٥٨	الآية ٧ ﴿عسى الله﴾	٦٧٦
الآية ٤ ﴿ذلك بأنهم شاقوا﴾	٦٥٨	الآية ٨ ﴿لأنهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم﴾	٦٧٦
الآية ٥ ﴿ما قطعتم من لينة﴾	٦٦١	الآية ٩ ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم﴾	٦٧٦
الآية ٦ ﴿وما آفأ الله على رسوله منهم﴾	٦٦١	الآية ١٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات﴾	٦٧٨
الآية ٧ ﴿ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى﴾	٦٦١	الآية ١١ ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم﴾	٦٧٩
		الآية ١٢ ﴿يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات﴾	٦٨٠

الآيات	الآيات	الصحيفة	الصحيفة
الآية ١٣ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم﴾	الآية ١ ﴿إذا جاءك المنافقون﴾	٦٨١	٦٩٥
تفسير سورة الصف	الآية ٢ ﴿اتخذوا أيمانهم﴾		٦٩٥
الآية ١ ﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض﴾	الآية ٣ ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا﴾		٦٩٥
الآية ٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا	الآية ٤ ﴿وإذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم﴾	٦٨٢	٦٩٦
تفعلون﴾	الآية ٥ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا﴾	٦٨٢	٦٩٦
الآية ٣ ﴿كبر مقتا عند الله﴾	الآية ٦ ﴿سواء عليهم﴾	٦٨٢	٦٩٦
الآية ٤ ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون﴾	الآية ٧ ﴿هم الذين يقولون﴾	٦٨٢	٦٩٨
الآية ٥ ﴿وإذا قال موسى﴾	الآية ٨ ﴿يقولون لنن رجعا إلى المدينة﴾	٦٨٢	٦٩٨
الآية ٦ ﴿وإذا قال عيسى﴾	الآية ٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم	٦٨٤	٦٩٩
الآية ٧ ﴿ومن أظلم ممن افترى﴾	أموالكم﴾	٦٨٤	٦٩٩
الآية ٨ ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾	الآية ١٠ ﴿وألقوا مما رزقناكم﴾	٦٨٤	٦٩٩
الآية ٩ ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى﴾	الآية ١١ ﴿ولن يؤخر الله نفسا﴾	٦٨٤	٦٩٩
الآية ١٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم﴾	تفسير سورة التغابن	٦٨٦	
الآية ١١ ﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾	الآية ١ ﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى	٦٨٦	٧٠٠
الآية ١٢ ﴿يفقر لكم ذنوبكم﴾	الأرض﴾	٦٨٧	٧٠٠
الآية ١٣ ﴿وأخرى تخبونها﴾	الآية ٢ ﴿هو الذى خلقكم﴾	٦٨٧	٧٠٠
الآية ١٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار	الآية ٣ ﴿خلق السموات والأرض﴾	٦٨٧	٧٠٠
الله﴾	الآية ٤ ﴿يعلم ما فى السموات والأرض﴾	٦٨٧	٧٠٠
تفسير سورة الجمعة	الآية ٥ ﴿ألم يأتكم نيا الذين كفروا﴾	٦٨٨	٧٠١
الآية ١ ﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى	الآية ٦ ﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم﴾		٧٠١
الأرض﴾	الآية ٧ ﴿زعم الذين كفروا﴾	٦٨٩	٧٠١
الآية ٢ ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولا﴾	الآية ٨ ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾	٦٨٩	٧٠١
الآية ٣ ﴿وأخرين منهم لما يلحقوا﴾	الآية ٩ ﴿يوم يجمعكم﴾	٦٨٩	٧٠٣
الآية ٤ ﴿ذلك فضل الله﴾	الآية ١٠ ﴿والذين كفروا﴾	٦٨٩	٧٠٣
الآية ٥ ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾	الآية ١١ ﴿ما أصاب من مصيبة﴾	٦٨٩	٧٠٤
الآية ٦ ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾	الآية ١٢ ﴿وأطيعوا الله﴾	٦٩١	٧٠٤
الآية ٧ ﴿ولا يمتنونه أبدا﴾	الآية ١٣ ﴿الله لا إله إلا هو﴾	٦٩١	٧٠٤
الآية ٨ ﴿قل إن الموت الذى تفرون منه﴾	الآية ١٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من	٦٩٢	٧٠٥
الآية ٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة	أزواجكم﴾	٦٩٢	٧٠٥
من يوم الجمعة﴾	الآية ١٥ ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾	٦٩٣	٧٠٥
الآية ١٠ ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾	الآية ١٦ ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾	٦٩٣	٧٠٥
الآية ١١ ﴿وإذا رأوا تجارة﴾	الآية ١٧ ﴿إن تقرضوا الله﴾	٦٩٣	٧٠٧
	الآية ١٨ ﴿عالم الغيب﴾	٦٩٤	٧٠٧

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
تفسير سورة الطلاق		الآية ٧ ﴿إِذَا أَلْقَا فِيهَا﴾	٧٢٦
الآية ١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتَ النِّسَاءَ﴾	٧٠٨	الآية ٨ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾	٧٢٦
الآية ٢ ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَہُنَّ﴾	٧٠٨	الآية ٩ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾	٧٢٦
الآية ٣ ﴿وَيَرْزُقْہُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾	٧٠٨	الآية ١٠ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾	٧٢٦
الآية ٤ ﴿وَاللَّائِي يَنْسَنَ﴾	٧١٠	الآية ١١ ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾	٧٢٦
الآية ٥ ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾	٧١٠	الآية ١٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾	٧٢٨
الآية ٦ ﴿أَسْكُنُوا مِنْ حَيْثُ سَكْتُمْ﴾	٧١١	الآية ١٣ ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ﴾	٧٢٨
الآية ٧ ﴿لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ﴾	٧١١	الآية ١٤ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾	٧٢٨
الآية ٨ ﴿وَكَايُنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾	٧١٣	الآية ١٥ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾	٧٢٩
الآية ٩ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾	٧١٣	الآية ١٦ ﴿أَلَأَنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ﴾	٧٢٩
الآية ١٠ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا﴾	٧١٤	بِكُمُ الْأَرْضِ﴾	٧٢٩
الآية ١١ ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾	٧١٤	الآية ١٧ ﴿أَلَأَنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ﴾	٧٢٩
الآية ١٢ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾	٧١٥	عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾	٧٢٩
سورة التحريم		الآية ١٨ ﴿وَلَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	٧٢٩
الآية ١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾		الآية ١٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ﴾	٧٣١
الآية ٢ ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	٧١٦	الآية ٢٠ ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ﴾	٧٣١
الآية ٣ ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ﴾	٧١٦	الآية ٢١ ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾	٧٣١
الآية ٤ ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ﴾	٧١٧	الآية ٢٢ ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكِيدًا﴾	٧٣١
الآية ٥ ﴿عَسَى رَبِّهِ﴾	٧١٧	الآية ٢٣ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾	٧٣٤
الآية ٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾	٧١٩	الآية ٢٤ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾	٧٣٤
الآية ٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَلُوا﴾	٧١٩	الآية ٢٥ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾	٧٣٤
الآية ٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ﴾	٧٢٠	الآية ٢٦ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾	٧٣٤
الآية ٩ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ﴾	٧٢١	الآية ٢٧ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾	٧٣٤
الآية ١٠ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٧٢١	الآية ٢٨ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾	٧٣٥
الآية ١١ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾	٧٢١	الآية ٢٩ ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾	٧٣٥
الآية ١٢ ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ﴾	٧٢١	الآية ٣٠ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾	٧٣٥
سورة الملك		سورة القلم	
الآية ١ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ﴾	٧٢٣	الآية ١ ﴿ن وَالْقَلَمُ﴾	٧٣٦
الآية ٢ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾	٧٢٣	الآية ٢ ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾	٧٣٦
الآية ٣ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾	٧٢٤	الآية ٣ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾	٧٣٦
الآية ٤ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ﴾	٧٢٤	الآية ٤ ﴿وَإِنَّكَ لَمَلِي خَلْقٍ عَظِيمٌ﴾	٧٣٦
الآية ٥ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾	٧٢٦	الآية ٥ ﴿فَنَسْبُحُ وَنُصَيِّرُ﴾	٧٣٨
الآية ٦ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾	٧٢٦	الآية ٦ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُفْتُونُ﴾	٧٣٨
		الآية ٧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾	٧٣٨

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٨ ﴿فلا تطع المكذبين﴾	٧٣٨	الآية ٤٢ ﴿يوم يكشف عن ساق﴾	٧٤٤
الآية ٩ ﴿ودوا لو تدهن﴾	٧٣٨	الآية ٤٣ ﴿خاشعة أبصارهم﴾	٧٤٤
الآية ١٠ ﴿ولا تطع كل حلاف﴾	٧٣٨	الآية ٤٤ ﴿نفذنى ومن يكذب﴾	٧٤٦
الآية ١١ ﴿هماز مشاء﴾	٧٣٨	الآية ٤٥ ﴿وأملئ لهم﴾	٧٤٦
الآية ١٢ ﴿مناع للخير﴾	٧٣٨	الآية ٤٦ ﴿أم تسألهم أجرا﴾	٧٤٦
الآية ١٣ ﴿عتل بعد ذلك﴾	٧٣٨	الآية ٤٧ ﴿أم عندهم الغيب﴾	٧٤٦
الآية ١٤ ﴿أن كان ذا مال﴾	٧٣٨	الآية ٤٨ ﴿فأصبر لحكم ربك﴾	٧٤٦
الآية ١٥ ﴿إذا تلى عليه آياتنا﴾	٧٣٨	الآية ٤٩ ﴿فلولا أن تداركه﴾	٧٤٦
الآية ١٦ ﴿سنسمه على الخرطوم﴾	٧٣٨	الآية ٥٠ ﴿فاجتياه ربه﴾	٧٤٦
الآية ١٧ ﴿إنا بلوناهم﴾	٧٤٠	الآية ٥١ ﴿ولأن يكاد الذين كفروا﴾	٧٤٨
الآية ١٨ ﴿ولا يستنون﴾	٧٤٠	الآية ٥٢ ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾	٧٤٨
الآية ١٩ ﴿فطاف عليها﴾	٧٤٠	سورة الحاقة	
الآية ٢٠ ﴿فأصبحت كالصريم﴾	٧٤٠	الآية ١ ﴿الحاقة﴾	٧٤٨
الآية ٢١ ﴿فتنادوا مصبحين﴾	٧٤٠	الآية ٢ ﴿ما الحاقة﴾	٧٤٨
الآية ٢٢ ﴿أن اغدوا﴾	٧٤٠	الآية ٣ ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾	٧٤٨
الآية ٢٣ ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾	٧٤٠	الآية ٤ ﴿كذبت ثمود وعاد﴾	٧٤٩
الآية ٢٤ ﴿ألا بدخلتها اليوم﴾	٧٤٠	الآية ٥ ﴿فأما ثمود﴾	٧٤٩
الآية ٢٥ ﴿وغدوا على حرد﴾	٧٤٠	الآية ٦ ﴿وأما عاد﴾	٧٤٩
الآية ٢٦ ﴿فلما رأوها﴾	٧٤٠	الآية ٧ ﴿سخرها عليهم﴾	٧٤٩
الآية ٢٧ ﴿بل نحن محرومون﴾	٧٤٠	الآية ٨ ﴿فهل ترى لهم﴾	٧٤٩
الآية ٢٨ ﴿قال أوسطهم﴾	٧٤٠	الآية ٩ ﴿وجاء فرعون﴾	٧٥٠
الآية ٢٩ ﴿قالوا سبحان ربنا﴾	٧٤٠	الآية ١٠ ﴿فبعصوا رسول ربهم﴾	٧٥٠
الآية ٣٠ ﴿فأقبل بعضهم﴾	٧٤٠	الآية ١١ ﴿إنا لما طغيا الماء﴾	٧٥١
الآية ٣١ ﴿قالوا يا ويلنا﴾	٧٤٠	الآية ١٢ ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾	٧٥١
الآية ٣٢ ﴿عسى ربنا﴾	٧٤٠	الآية ١٣ ﴿فلإذا نفخ فى الصور﴾	٧٥١
الآية ٣٣ ﴿كذلك العذاب﴾	٧٤٠	الآية ١٤ ﴿وحملت الأرض﴾	٧٥١
الآية ٣٤ ﴿إن للمتقين عند ربهم﴾	٧٤٣	الآية ١٥ ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾	٧٥١
الآية ٣٥ ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾	٧٤٣	الآية ١٦ ﴿وانشقت السماء﴾	٧٥١
الآية ٣٦ ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾	٧٤٣	الآية ١٧ ﴿والملك على أرجائها﴾	٧٥١
الآية ٣٧ ﴿أم لكم كتاب﴾	٧٤٣	الآية ١٨ ﴿فيومئذ تعرضون﴾	٧٥١
الآية ٣٨ ﴿إن لكم فيه﴾	٧٤٣	الآية ١٩ ﴿فأما من أوتى كتابه يمينه﴾	٧٥٢
الآية ٣٩ ﴿أم لكم إيمان﴾	٧٤٣	الآية ٢٠ ﴿إنى ظننت﴾	٧٥٢
الآية ٤٠ ﴿سلهم أيهم﴾	٧٤٤	الآية ٢١ ﴿فهو فى عيشة راضية﴾	٧٥٢
الآية ٤١ ﴿أم لهم شركاء﴾	٧٤٤	الآية ٢٢ ﴿فى جنة عالية﴾	٧٥٢

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٤ ﴿تخرج الملائكة﴾	٧٥٨	الآية ٢٣ ﴿قطوفها ذنية﴾	٧٥٢
الآية ٥ ﴿فأصبر صبيرا جميلا﴾	٧٥٨	الآية ٢٤ ﴿كلوا واشربوا﴾	٧٥٢
الآية ٦ ﴿إنهم يرونه بعيدا﴾	٧٥٨	الآية ٢٥ ﴿وأما من أوتى كتابه بشماله﴾	٧٥٢
الآية ٧ ﴿ونراه قريبا﴾	٧٥٨	الآية ٢٦ ﴿ولم أدر ما حسابه﴾	٧٥٢
الآية ٨ ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾	٧٦٠	الآية ٢٧ ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾	٧٥٢
الآية ٩ ﴿وتكون الجبال كالمنهن﴾	٧٦٠	الآية ٢٨ ﴿ما أغنى عنى ماله﴾	٧٥٢
الآية ١٠ ﴿ولا يسأل حميم﴾	٧٦٠	الآية ٢٩ ﴿هملك عنى سلطانيه﴾	٧٥٢
الآية ١١ ﴿يصرونهم يود المجرم﴾	٧٦٠	الآية ٣٠ ﴿خذوه فقلوه﴾	٧٥٢
الآية ١٢ ﴿وصاحبت وأخيه﴾	٧٦٠	الآية ٣١ ﴿ثم الجحيم صلوه﴾	٧٥٢
الآية ١٣ ﴿وفصيلته التي تأويه﴾	٧٦٠	الآية ٣٢ ﴿ثم فى سلسلة﴾	٧٥٢
الآية ١٤ ﴿ومن فى الأرض﴾	٧٦٠	الآية ٣٣ ﴿إنه كان لا يؤمن﴾	٧٥٢
الآية ١٥ ﴿كلا إنها لظى﴾	٧٦١	الآية ٣٤ ﴿ولا يحض﴾	٧٥٢
الآية ١٦ ﴿نزاعة للشوى﴾	٧٦١	الآية ٣٥ ﴿فليس له اليوم﴾	٧٥٢
الآية ١٧ ﴿تدعوا من أدير﴾	٧٦١	الآية ٣٦ ﴿ولا طعام﴾	٧٥٢
الآية ١٨ ﴿وجمع فأوعى﴾	٧٦١	الآية ٣٧ ﴿لا يأكله﴾	٧٥٢
الآية ١٩ ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾	٧٦٢	الآية ٣٨ ﴿فلا أقسم﴾	٧٥٥
الآية ٢٠ ﴿إذا مسه الشر جزوعا﴾	٧٦٢	الآية ٣٩ ﴿وما لا تبصرون﴾	٧٥٥
الآية ٢١ ﴿وإذا مسه الخير منوعا﴾	٧٦٢	الآية ٤٠ ﴿إنه لقول رسول كريم﴾	٧٥٥
الآية ٢٢ ﴿إلا المصلين﴾	٧٦٣	الآية ٤١ ﴿وما هو بقول شاعر﴾	٧٥٥
الآية ٢٣ ﴿الذين هم على صلاتهم﴾	٧٦٣	الآية ٤٢ ﴿ولا يقول كاهن﴾	٧٥٥
الآية ٢٤ ﴿والذين فى أموالهم﴾	٧٦٣	الآية ٤٣ ﴿تنزيل من رب العالمين﴾	٧٥٥
الآية ٢٥ ﴿للسائل والمحروم﴾	٧٦٣	الآية ٤٤ ﴿ولو تقول علينا﴾	٧٥٦
الآية ٢٦ ﴿والذين يصدقون﴾	٧٦٣	الآية ٤٥ ﴿لأخذنا منه باليمين﴾	٧٥٦
الآية ٢٧ ﴿والذين هم من عذاب ربهم﴾	٧٦٣	الآية ٤٦ ﴿ثم لقطنا منه الوتين﴾	٧٥٦
الآية ٢٨ ﴿إن عذاب ربهم﴾	٧٦٣	الآية ٤٧ ﴿فما منكم من أحد﴾	٧٥٦
الآية ٢٩ ﴿والذين هم لفروجهم﴾	٧٦٣	الآية ٤٨ ﴿وإنه لتذكرة﴾	٧٥٦
الآية ٣٠ ﴿إلا على أزواجهم﴾	٧٦٣	الآية ٤٩ ﴿وإننا لنعلم﴾	٧٥٧
الآية ٣١ ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾	٧٦٣	الآية ٥٠ ﴿وإنه لحسرة﴾	٧٥٧
الآية ٣٢ ﴿والذين هم لأماناتهم﴾	٧٦٣	الآية ٥١ ﴿وإنه لحق﴾	٧٥٧
الآية ٣٣ ﴿والذين هم بشهادتهم﴾	٧٦٣	الآية ٥٢ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾	٧٥٧
الآية ٣٤ ﴿والذين هم على صلاتهم﴾	٧٦٣	سورة الصعارج	
الآية ٣٥ ﴿أولئك فى جنات﴾	٧٦٥	الآية ١ ﴿سأل سائل﴾	٧٥٨
الآية ٣٦ ﴿فمال الذين كفروا﴾	٧٦٥	الآية ٢ ﴿للكافرين ليس له دافع﴾	٧٥٨
الآية ٣٧ ﴿عن اليمين﴾	٧٦٥	الآية ٣ ﴿من الله﴾	٧٥٨

الآيات	الصحيحة	الآيات	الصحيحة
الآية ٣٨ ﴿أيطمع كل امرئ﴾	٧٦٥	الآية ٢٧ ﴿إنك إن تذرهم﴾	٧٧٤
الآية ٣٩ ﴿كلا إنا خلقناهم﴾	٧٦٥	الآية ٢٨ ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾	٧٧٤
الآية ٤٠ ﴿فلا أقسم برب المشارق﴾	٧٦٦	سورة الجن	
الآية ٤١ ﴿على أن نبذل خيرا منهم﴾	٧٦٦	الآية ١ ﴿قل أوحى﴾	٧٧٥
الآية ٤٢ ﴿فذرهم يخوضوا﴾	٧٦٦	الآية ٢ ﴿يهدي إلى الرشد﴾	٧٧٥
الآية ٤٣ ﴿يوم يخرجون﴾	٧٦٦	الآية ٣ ﴿وأنه تعالى جذ ربنا﴾	٧٧٥
الآية ٤٤ ﴿خاشعة أبصارهم﴾	٧٦٦	الآية ٤ ﴿وأنه كان يقول سفيها﴾	٧٧٧
سورة نوح		الآية ٥ ﴿وأننا ظننا﴾	٧٧٧
الآية ١ ﴿إنا أرسلنا نوحا﴾	٧٦٨	الآية ٦ ﴿وأنه كان رجالا﴾	٧٧٧
الآية ٢ ﴿قال يا قوم﴾	٧٦٨	الآية ٧ ﴿وأنهم ظنوا﴾	٧٧٧
الآية ٣ ﴿أن اعبدوا الله﴾	٧٦٨	الآية ٨ ﴿وأننا لمسنا السماء﴾	٧٧٨
الآية ٤ ﴿يفغر لكم﴾	٧٦٨	الآية ٩ ﴿وأننا كنا نقعد منها﴾	٧٧٨
الآية ٥ ﴿قال رب﴾	٧٦٩	الآية ١٠ ﴿وأننا لاندري أشر﴾	٧٧٨
الآية ٦ ﴿فلم يزدهم﴾	٧٦٩	الآية ١١ ﴿وأننا منا الصالحون﴾	٧٧٩
الآية ٧ ﴿وإني كلما دعوتهم﴾	٧٦٩	الآية ١٢ ﴿وأننا ظننا أن لن نعجز﴾	٧٧٩
الآية ٨ ﴿ثم إني دعوتهم﴾	٧٦٩	الآية ١٣ ﴿وأننا لما سمعنا الهدى﴾	٧٧٩
الآية ٩ ﴿ثم إني أعلنت﴾	٧٦٩	الآية ١٤ ﴿وأننا منا المسلمون﴾	٧٧٩
الآية ١٠ ﴿فقلت استغفروا﴾	٧٦٩	الآية ١٥ ﴿وأنما القاسطون﴾	٧٧٩
الآية ١١ ﴿يرسل السماء﴾	٧٦٩	الآية ١٦ ﴿والواستقاموا﴾	٧٨٠
الآية ١٢ ﴿ويمددكم بأموال﴾	٧٦٩	الآية ١٧ ﴿لنفتنهم فيه﴾	٧٨٠
الآية ١٣ ﴿مالك لاترجون﴾	٧٦٩	الآية ١٨ ﴿وأن المساجد لله﴾	٧٨١
الآية ١٤ ﴿وقد خلقكم﴾	٧٦٩	الآية ١٩ ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾	٧٨١
الآية ١٥ ﴿ألم تروا كيف خلق الله﴾	٧٧١	الآية ٢٠ ﴿قل إنما أدعوا ربي﴾	٧٨١
الآية ١٦ ﴿وجعل القمر﴾	٧٧١	الآية ٢١ ﴿قل إني لأملك﴾	٧٨١
الآية ١٧ ﴿والله أنبتكم﴾	٧٧١	الآية ٢٢ ﴿قل إني لن يجيرني﴾	٧٨١
الآية ١٨ ﴿ثم يعيدكم﴾	٧٧١	الآية ٢٣ ﴿إلا بلاغا من الله﴾	٧٨١
الآية ١٩ ﴿والله جعل لكم الأرض﴾	٧٧١	الآية ٢٤ ﴿حتى إذا رآوا﴾	٧٨٢
الآية ٢٠ ﴿لتسلكوا منها سبلا﴾	٧٧١	الآية ٢٥ ﴿قل إن أدري﴾	٧٨٢
الآية ٢١ ﴿قال نوح رب﴾	٧٧٢	الآية ٢٦ ﴿عالم الغيب﴾	٧٨٢
الآية ٢٢ ﴿ومكروا مكرا﴾	٧٧٢	الآية ٢٧ ﴿إلا من ارتضى﴾	٧٨٢
الآية ٢٣ ﴿وقالوا لا تذرنا﴾	٧٧٢	الآية ٢٨ ﴿ليعلم أن قد أبلغوا﴾	٧٨٢
الآية ٢٤ ﴿وقد أضلوا﴾	٧٧٢	سورة المزمل	
الآية ٢٥ ﴿مما خطيئاتهم﴾	٧٧٣	الآية ١ ﴿يا أيها المرسل﴾	٧٨٥
الآية ٢٦ ﴿وقال نوح رب﴾	٧٧٤	الآية ٢ ﴿قم الليل﴾	٧٨٥

الآيات	الآيات	الآيات	الآيات
الآية ٣ ﴿نصفه أو انقص﴾	الآية ١٦ ﴿كلا إنه كان﴾	٧٩٣	٧٨٥
الآية ٤ ﴿أورد عليه﴾	الآية ١٧ ﴿سأرمقه صعودا﴾	٧٩٣	٧٨٥
الآية ٥ ﴿إنا سنلقى﴾	الآية ١٨ ﴿إنه فكر﴾	٧٩٣	٧٨٥
الآية ٦ ﴿إن ناشئة الليل﴾	الآية ١٩ ﴿فقتل كيف قدر﴾	٧٩٣	٧٨٥
الآية ٧ ﴿إن لك في النهار﴾	الآية ٢٠ ﴿ثم قتل﴾	٧٩٣	٧٨٦
الآية ٨ ﴿وإذ كر اسم ربك﴾	الآية ٢١ ﴿ثم نظر﴾	٧٩٣	٧٨٦
الآية ٩ ﴿رب المشرق والمغرب﴾	الآية ٢٢ ﴿ثم حبس﴾	٧٩٣	٧٨٦
الآية ١٠ ﴿وأصبر على ما يقولون﴾	الآية ٢٣ ﴿ثم أدبر﴾	٧٩٣	٧٨٦
الآية ١١ ﴿وذرنى والمكذبين﴾	الآية ٢٤ ﴿فقال إن هذا﴾	٧٩٣	٧٨٦
الآية ١٢ ﴿إن لدينا﴾	الآية ٢٥ ﴿إن هذا﴾	٧٩٣	٧٨٧
الآية ١٣ ﴿وطعما ذا غصة﴾	الآية ٢٦ ﴿سأصلبه سقر﴾	٧٩٥	٧٨٧
الآية ١٤ ﴿يوم ترجف﴾	الآية ٢٧ ﴿وما أدراك ما سقر﴾	٧٩٥	٧٨٧
الآية ١٥ ﴿إنا أرسلنا إليكم﴾	الآية ٢٨ ﴿لا تبقى﴾	٧٩٥	٧٨٨
الآية ١٦ ﴿فنعصى فرعون﴾	الآية ٢٩ ﴿لواحة للبر﴾	٧٩٥	٧٨٨
الآية ١٧ ﴿فكيف تتقون﴾	الآية ٣٠ ﴿عليها تسعة عشر﴾	٧٩٥	٧٨٨
الآية ١٨ ﴿السماء مقطوعة﴾	الآية ٣١ ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا﴾	٧٩٥	٧٨٨
الآية ١٩ ﴿إن هذه تذكرة﴾	ملائكة﴾	٧٩٥	٧٨٨
الآية ٢٠ ﴿إن ربك يعلم﴾	الآية ٣٢ ﴿كلا والقمر﴾	٧٩٧	٧٩٠
سورة الصنث	الآية ٣٣ ﴿والليل إذا أدبر﴾	٧٩٧	
الآية ١ ﴿يا أيها المدثر﴾	الآية ٣٤ ﴿والصبح إذا أسفر﴾	٧٩٧	٧٩١
الآية ٢ ﴿قم فأنذر﴾	الآية ٣٥ ﴿إنها لإحدى الكبر﴾	٧٩٧	٧٩١
الآية ٣ ﴿وربك فكبر﴾	الآية ٣٦ ﴿نذيرا للبر﴾	٧٩٧	٧٩١
الآية ٤ ﴿وثيابك فطهر﴾	الآية ٣٧ ﴿لمن شاء منكم﴾	٧٩٧	٧٩١
الآية ٥ ﴿والجز فاهجر﴾	الآية ٣٨ ﴿كل نفس﴾	٧٩٧	٧٩١
الآية ٦ ﴿ولا تمنن تستكثر﴾	الآية ٣٩ ﴿إلا أصحاب اليمين﴾	٧٩٧	٧٩١
الآية ٧ ﴿ولربك فاصبر﴾	الآية ٤٠ ﴿فى جنات﴾	٧٩٧	٧٩١
الآية ٨ ﴿فإذا نقر﴾	الآية ٤١ ﴿عن المجرمين﴾	٧٩٧	٧٩٢
الآية ٩ ﴿فذلك يومئذ﴾	الآية ٤٢ ﴿ما سلككم فى سقر﴾	٧٩٧	٧٩٢
الآية ١٠ ﴿على الكافرين﴾	الآية ٤٣ ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾	٧٩٧	٧٩٢
الآية ١١ ﴿وذرنى ومن خلقت﴾	الآية ٤٤ ﴿ولم نك نطعم﴾	٧٩٧	٧٩٣
الآية ١٢ ﴿وجعلت له﴾	الآية ٤٥ ﴿وكننا نخوض﴾	٧٩٧	٧٩٣
الآية ١٣ ﴿وبين شهودا﴾	الآية ٤٦ ﴿وكننا نكذب﴾	٧٩٧	٧٩٣
الآية ١٤ ﴿ومهدت له﴾	الآية ٤٧ ﴿حتى أتانا اليقين﴾	٧٩٧	٧٩٣
الآية ١٥ ﴿ثم يطعم﴾	الآية ٤٨ ﴿فما تنفعهم﴾	٧٩٧	٧٩٣

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٤٩ ﴿فما لهم عن التذكرة﴾	٧٩٨	الآية ٢٦ ﴿كلا إذا بلغت﴾	٨٠٤
الآية ٥٠ ﴿كأنهم حمى﴾	٧٩٨	الآية ٢٧ ﴿وقيل من راق﴾	٨٠٤
الآية ٥١ ﴿فرت من قسورة﴾	٧٩٨	الآية ٢٨ ﴿وطن أنه الفراق﴾	٨٠٤
الآية ٥٢ ﴿بل يريد كل امرئ﴾	٧٩٨	الآية ٢٩ ﴿والتفت الساق﴾	٨٠٤
الآية ٥٣ ﴿كلا بل لا يخافون﴾	٧٩٨	الآية ٣٠ ﴿إلى ربك﴾	٨٠٤
الآية ٥٤ ﴿كلا إنه تذكرة﴾	٧٩٩	الآية ٣١ ﴿فلا صدق﴾	٨٠٥
الآية ٥٥ ﴿فمن شاء ذكره﴾	٧٩٩	الآية ٣٢ ﴿ولكن كذب وتولى﴾	٨٠٥
الآية ٥٦ ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾	٧٩٩	الآية ٣٣ ﴿ثم ذهب إلى أهله﴾	٨٠٥
سورة القيامة		الآية ٣٤ ﴿أولى لك﴾	٨٠٥
الآية ١ ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾	٨٠٠	الآية ٣٥ ﴿ثم أولى لك﴾	٨٠٥
الآية ٢ ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾	٨٠٠	الآية ٣٦ ﴿أيحسب الإنسان﴾	٨٠٦
الآية ٣ ﴿أيحسب الإنسان﴾	٨٠٠	الآية ٣٧ ﴿ألم يك نقطة﴾	٨٠٦
الآية ٤ ﴿بلى قادرين﴾	٨٠٠	الآية ٣٨ ﴿ثم كان علقه﴾	٨٠٦
الآية ٥ ﴿بل يريد الإنسان﴾	٨٠٠	الآية ٣٩ ﴿فجعل منه الزوجين﴾	٨٠٦
الآية ٦ ﴿يسأل أيان﴾	٨٠٠	الآية ٤٠ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى﴾	٨٠٦
الآية ٧ ﴿فإذا برق البصر﴾	٨٠١	سورة الإنسان	
الآية ٨ ﴿وخسف القمر﴾	٨٠١	الآية ١ ﴿هل أتى على الإنسان﴾	٨٠٧
الآية ٩ ﴿وجمع الشمس والقمر﴾	٨٠١	الآية ٢ ﴿إنا خلقنا الإنسان﴾	٨٠٧
الآية ١٠ ﴿يقول الإنسان﴾	٨٠١	الآية ٣ ﴿إنا هديناه السبيل﴾	٨٠٧
الآية ١١ ﴿كلا لا وز﴾	٨٠١	الآية ٤ ﴿إنا اعتدنا للكافرين﴾	٨٠٨
الآية ١٢ ﴿إلى ربك﴾	٨٠١	الآية ٥ ﴿إن الأبرار﴾	٨٠٨
الآية ١٣ ﴿نبأ الإنسان﴾	٨٠١	الآية ٦ ﴿عينا يشرب بها﴾	٨٠٨
الآية ١٤ ﴿بل الإنسان﴾	٨٠٢	الآية ٧ ﴿يوفون بالنذر﴾	٨٠٩
الآية ١٥ ﴿ولولقى﴾	٨٠٢	الآية ٨ ﴿ويطمعون الطعام﴾	٨٠٩
الآية ١٦ ﴿لا تحرك به﴾	٨٠٣	الآية ٩ ﴿إنما نطمعكم لوحه الله﴾	٨٠٩
الآية ١٧ ﴿إن علينا جمعه﴾	٨٠٣	الآية ١٠ ﴿إنا نخاف من ربنا﴾	٨٠٩
الآية ١٨ ﴿فذا قرأناه﴾	٨٠٣	الآية ١١ ﴿فوقاهم الله﴾	٨١٠
الآية ١٩ ﴿ثم إن علينا بيانه﴾	٨٠٣	الآية ١٢ ﴿وجزاهم بما صبروا﴾	٨١٠
الآية ٢٠ ﴿كلا بل تحبون﴾	٨٠٣	الآية ١٣ ﴿متكئين فيها﴾	٨١٠
الآية ٢١ ﴿وتذرون الآخرة﴾	٨٠٣	الآية ١٤ ﴿ودانية عليهم﴾	٨١٠
الآية ٢٢ ﴿وجوه يومئذ﴾	٨٠٤	الآية ١٥ ﴿ويطاف عليهم﴾	٨١٠
الآية ٢٣ ﴿إلى ربها﴾	٨٠٤	الآية ١٦ ﴿قواريرا من فضة﴾	٨١٠
الآية ٢٤ ﴿ووجوه يومئذ﴾	٨٠٤	الآية ١٧ ﴿ويسقون فيها﴾	٨١٠
الآية ٢٥ ﴿نظن أن يفعل بها﴾	٨٠٤		

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ١٨ ﴿عينا فيها﴾	٨١٠	الآية ٢٠ ﴿الم نخلقكم﴾	٨١٧
الآية ١٩ ﴿ويطوف عليهم﴾	٨١١	الآية ٢١ ﴿فجعلناه في قرار﴾	٨١٧
الآية ٢٠ ﴿وإذا رأيت﴾	٨١١	الآية ٢٢ ﴿إلى قدر﴾	٨١٧
الآية ٢١ ﴿عليهم ثياب﴾	٨١١	الآية ٢٣ ﴿نقتلنا فنعم القادرون﴾	٨١٧
الآية ٢٢ ﴿إن هذا كان لكم جزاء﴾	٨١١	الآية ٢٤ ﴿ويل يومئذ﴾	٨١٧
الآية ٢٣ ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن﴾	٨١٢	الآية ٢٥ ﴿الم نجعل الأرض﴾	٨١٨
الآية ٢٤ ﴿فاصبر لحكم ربك﴾	٨١٢	الآية ٢٦ ﴿أحياء وأمواتا﴾	٨١٨
الآية ٢٥ ﴿واذكر اسم ربك﴾	٨١٢	الآية ٢٧ ﴿وجعلنا فيها رواسي﴾	٨١٨
الآية ٢٦ ﴿ومن الليل فاسجد﴾	٨١٢	الآية ٢٨ ﴿ويل يومئذ﴾	٨١٨
الآية ٢٧ ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾	٨١٣	الآية ٢٩ ﴿انطلقوا إلى ما كنتم﴾	٨١٩
الآية ٢٨ ﴿نحن خلقناهم﴾	٨١٣	الآية ٣٠ ﴿انطلقوا إلى ظل﴾	٨١٩
الآية ٢٩ ﴿إن هذه تذكرة﴾	٨١٤	الآية ٣١ ﴿لا ظليل﴾	٨١٩
الآية ٣٠ ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾	٨١٤	الآية ٣٢ ﴿إنها ترمي﴾	٨١٩
الآية ٣١ ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾	٨١٤	الآية ٣٣ ﴿كانه جمالات﴾	٨١٩
سورة المرسلات		الآية ٣٤ ﴿ويل يومئذ﴾	٨١٩
الآية ١ ﴿والمرسلات عرفا﴾	٨١٥	الآية ٣٥ ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾	٨٢٠
الآية ٢ ﴿فالعاصفات عصفاف﴾	٨١٥	الآية ٣٦ ﴿ولا يؤذن لهم﴾	٨٢٠
الآية ٣ ﴿والناشرات نشراف﴾	٨١٥	الآية ٣٧ ﴿ويل يومئذ﴾	٨٢٠
الآية ٤ ﴿فالفارقات فرقا﴾	٨١٥	الآية ٣٨ ﴿هذا يوم الفصل﴾	٨٢٠
الآية ٥ ﴿فالملقىات ذكرا﴾	٨١٥	الآية ٣٩ ﴿فإن كان لكم كيد﴾	٨٢٠
الآية ٦ ﴿عذرا أو نذرا﴾	٨١٥	الآية ٤٠ ﴿ويل يومئذ﴾	٨٢٠
الآية ٧ ﴿إنما توعدون﴾	٨١٥	الآية ٤١ ﴿إن المتقين في ظلال﴾	٨٢٠
الآية ٨ ﴿فإذا النجوم﴾	٨١٥	الآية ٤٢ ﴿وفواكه مما يشتهون﴾	٨٢٠
الآية ٩ ﴿وإذا السماء﴾	٨١٥	الآية ٤٣ ﴿كلوا واشربوا﴾	٨٢٠
الآية ١٠ ﴿وإذا الجبال﴾	٨١٥	الآية ٤٤ ﴿إنا كذلك نجزي﴾	٨٢٠
الآية ١١ ﴿وإذا الرسل﴾	٨١٥	الآية ٤٥ ﴿ويل يومئذ﴾	٨٢٠
الآية ١٢ ﴿لأي يوم﴾	٨١٥	الآية ٤٦ ﴿كلوا وتمتعوا﴾	٨٢١
الآية ١٣ ﴿ليم الفصل﴾	٨١٥	الآية ٤٧ ﴿ويل يومئذ﴾	٨٢١
الآية ١٤ ﴿وما أدراك﴾	٨١٥	الآية ٤٨ ﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾	٨٢١
الآية ١٥ ﴿ويل يومئذ﴾	٨١٥	الآية ٤٩ ﴿ويل يومئذ﴾	٨٢١
الآية ١٦ ﴿الم نهلك الأولين﴾	٨١٧	الآية ٥٠ ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾	٨٢١
الآية ١٧ ﴿ثم نتبعهم﴾	٨١٧	سورة النبأ	
الآية ١٨ ﴿كذلك نفعل﴾	٨١٧	الآية ١ ﴿عم يتساءلون﴾	٨٢٢
الآية ١٩ ﴿ويل يومئذ﴾	٨١٧	الآية ٢ ﴿عن النبأ العظيم﴾	٨٢٢

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٣ ﴿الذى هم فيه مختلفون﴾	٨٢٢	الآية ٣٧ ﴿رب السموات والأرض﴾	٨٢٧
الآية ٤ ﴿كلا سيعلمون﴾	٨٢٢	الآية ٣٨ ﴿يوم يقوم الروح﴾	٨٢٧
الآية ٥ ﴿ثم كلا سيعلمون﴾	٨٢٢	الآية ٣٩ ﴿ذلك اليوم الحق﴾	٨٢٧
الآية ٦ ﴿ألم نجعل الأرض﴾	٨٢٢	الآية ٤٠ ﴿إنا أنذرناكم﴾	٨٢٧
الآية ٧ ﴿والجبال أوتادا﴾	٨٢٢	سورة النازعات	
الآية ٨ ﴿وخلقناكم أزواجا﴾	٨٢٢	الآية ١ ﴿والنازعات غرقا﴾	٨٢٩
الآية ٩ ﴿وجعلنا نوميكم﴾	٨٢٢	الآية ٢ ﴿والناشطات نشطا﴾	٨٢٩
الآية ١٠ ﴿وجعلنا الليل﴾	٨٢٢	الآية ٣ ﴿والسابحات سبحا﴾	٨٢٩
الآية ١١ ﴿وجعلنا النهار﴾	٨٢٢	الآية ٤ ﴿فالسابقات سبقا﴾	٨٢٩
الآية ١٢ ﴿وبنينا فوقكم﴾	٨٢٢	الآية ٥ ﴿فالمديرات أمرا﴾	٨٢٩
الآية ١٣ ﴿وجعلنا سراجا﴾	٨٢٢	الآية ٦ ﴿يوم ترجف الراجفة﴾	٨٢٩
الآية ١٤ ﴿وأنزلنا من المعصرات﴾	٨٢٢	الآية ٧ ﴿تتبعها الرادفة﴾	٨٢٩
الآية ١٥ ﴿لنخرج به حيا﴾	٨٢٢	الآية ٨ ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾	٨٢٩
الآية ١٦ ﴿وجنات ألفافا﴾	٨٢٢	الآية ٩ ﴿أبصارها خاشعة﴾	٨٢٩
الآية ١٧ ﴿إن يوم الفصل﴾	٨٢٤	الآية ١٠ ﴿يقولون أئنا لمردودون﴾	٨٢٩
الآية ١٨ ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾	٨٢٤	الآية ١١ ﴿إذا كنا عظاما﴾	٨٢٩
الآية ١٩ ﴿وفتحت السماء﴾	٨٢٤	الآية ١٢ ﴿قالوا تلك﴾	٨٢٩
الآية ٢٠ ﴿وسيرت الجبال﴾	٨٢٤	الآية ١٣ ﴿فإنما هي﴾	٨٢٩
الآية ٢١ ﴿إن جهنم﴾	٨٢٥	الآية ١٤ ﴿فإذا هم﴾	٨٢٩
الآية ٢٢ ﴿لللطاغين مآبا﴾	٨٢٥	الآية ١٥ ﴿هل أتاك﴾	٨٣١
الآية ٢٣ ﴿لابش فيها أحقابا﴾	٨٢٥	الآية ١٦ ﴿إذ ناداه ربه﴾	٨٣١
الآية ٢٤ ﴿لا يذوقون فيها بردا﴾	٨٢٥	الآية ١٧ ﴿أذهب إلى فرعون﴾	٨٣١
الآية ٢٥ ﴿إلا حميما﴾	٨٢٥	الآية ١٨ ﴿فقل هل لك﴾	٨٣١
الآية ٢٦ ﴿جزاء وفاقا﴾	٨٢٥	الآية ١٩ ﴿وأهديك إلى ربك﴾	٨٣١
الآية ٢٧ ﴿إنهم كانوا لا يرجون حسابا﴾	٨٢٥	الآية ٢٠ ﴿فأراه الآية﴾	٨٣١
الآية ٢٨ ﴿وكذبوا بآياتنا﴾	٨٢٥	الآية ٢١ ﴿فكذب وعصى﴾	٨٣١
الآية ٢٩ ﴿وكل شيء أحصيناه﴾	٨٢٥	الآية ٢٢ ﴿ثم أدبر﴾	٨٣١
الآية ٣٠ ﴿فلذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا﴾	٨٢٥	الآية ٢٣ ﴿فحشر فنادى﴾	٨٣١
الآية ٣١ ﴿إن للمتقين مفازا﴾	٨٢٦	الآية ٢٤ ﴿فقال أنا ربكم﴾	٨٣١
الآية ٣٢ ﴿حدائق وأعنانا﴾	٨٢٦	الآية ٢٥ ﴿فأخذه الله﴾	٨٣١
الآية ٣٣ ﴿وكواكب أثرابا﴾	٨٢٦	الآية ٢٦ ﴿إن فى ذلك لعبرة﴾	٨٣١
الآية ٣٤ ﴿وكأسا دهاقا﴾	٨٢٦	الآية ٢٧ ﴿أنتم أشد خلقا﴾	٨٣٢
الآية ٣٥ ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾	٨٢٦	الآية ٢٨ ﴿رفع سمكها﴾	٨٣٢
الآية ٣٦ ﴿جزاء من ربك﴾	٨٢٦	الآية ٢٩ ﴿وأغطش ليلها﴾	٨٣٢

الآيات	الصحيحة	الآيات	الصحيحة
الآية ٣٠ ﴿والأرض بعد ذلك﴾	٨٣٢	الآية ١٧ ﴿فخل الإنسان﴾	٨٣٨
الآية ٣١ ﴿أخرج منها﴾	٨٣٢	الآية ١٨ ﴿من أى شئ خلقه﴾	٨٣٨
الآية ٣٢ ﴿والجبال أرساما﴾	٨٣٢	الآية ١٩ ﴿من نقطة﴾	٨٣٨
الآية ٣٣ ﴿متاعا لكم﴾	٨٣٢	الآية ٢٠ ﴿ثم السيل يسره﴾	٨٣٨
الآية ٣٤ ﴿فإذا جاءت الطامة﴾	٨٣٤	الآية ٢١ ﴿ثم أماته﴾	٨٣٨
الآية ٣٥ ﴿يوم يتذكر الإنسان﴾	٨٣٤	الآية ٢٢ ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾	٨٣٨
الآية ٣٦ ﴿وبرزت الجحيم﴾	٨٣٤	الآية ٢٣ ﴿كلالما يقض﴾	٨٣٨
الآية ٣٧ ﴿فأما من ظفى﴾	٨٣٤	الآية ٢٤ ﴿فلينظر الإنسان﴾	٨٣٩
الآية ٣٨ ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾	٨٣٤	الآية ٢٥ ﴿أنا صبينا الماء﴾	٨٣٩
الآية ٣٩ ﴿فإن الجحيم هى المأوى﴾	٨٣٤	الآية ٢٦ ﴿ثم شققنا الأرض﴾	٨٣٩
الآية ٤٠ ﴿وأما من خاف﴾	٨٣٤	الآية ٢٧ ﴿فأنبتنا فيها حبا﴾	٨٣٩
الآية ٤١ ﴿فإن الجنة هى المأوى﴾	٨٣٤	الآية ٢٨ ﴿وعنينا وقضيا﴾	٨٣٩
الآية ٤٢ ﴿يسألونك عن الساعة﴾	٨٣٥	الآية ٢٩ ﴿وزيتونا ونخل﴾	٨٣٩
الآية ٤٣ ﴿فيم أنت من ذكرها﴾	٨٣٥	الآية ٣٠ ﴿وحداق غلبا﴾	٨٣٩
الآية ٤٤ ﴿إلى ربك متهاها﴾	٨٣٥	الآية ٣١ ﴿وفاكهة وأبا﴾	٨٣٩
الآية ٤٥ ﴿إنما أنت منن﴾	٨٣٥	الآية ٣٢ ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾	٨٣٩
الآية ٤٦ ﴿كانهم يوم يرونها﴾	٨٣٥	الآية ٣٣ ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾	٨٤٠
سورة عبس		الآية ٣٤ ﴿يوم يفر المرء﴾	٨٤٠
الآية ١ ﴿عبس وتولى﴾	٨٣٦	الآية ٣٥ ﴿وأمه وأبيه﴾	٨٤٠
الآية ٢ ﴿أن جاءه الأعمى﴾	٨٣٦	الآية ٣٦ ﴿وصاحبه وبنيه﴾	٨٤٠
الآية ٣ ﴿وما يدريك﴾	٨٣٦	الآية ٣٧ ﴿لكل امرئ منهم﴾	٨٤٠
الآية ٤ ﴿أويذكر﴾	٨٣٦	الآية ٣٨ ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾	٨٤٠
الآية ٥ ﴿أما من استغنى﴾	٨٣٦	الآية ٣٩ ﴿ضاحكة مستبشرة﴾	٨٤٠
الآية ٦ ﴿فأنت له تصدى﴾	٨٣٦	الآية ٤٠ ﴿وجوه يومئذ﴾	٨٤٠
الآية ٧ ﴿وما عليك ألا يذكى﴾	٨٣٦	الآية ٤١ ﴿فترهقها فترة﴾	٨٤٠
الآية ٨ ﴿وأما من جاءك يسعى﴾	٨٣٦	الآية ٤٢ ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾	٨٤٠
الآية ٩ ﴿وهو يخشى﴾	٨٣٦	سورة التكويد	
الآية ١٠ ﴿فأنت عنه تلهى﴾	٨٣٦	الآية ١ ﴿إذا الشمس كورت﴾	٨٤١
الآية ١١ ﴿كلانها تذكرة﴾	٨٣٦	الآية ٢ ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾	٨٤١
الآية ١٢ ﴿فمن شاء ذكره﴾	٨٣٦	الآية ٣ ﴿وإذا الجبال سيرت﴾	٨٤١
الآية ١٣ ﴿فى صحف مكرمة﴾	٨٣٦	الآية ٤ ﴿وإذا المشار عطلت﴾	٨٤١
الآية ١٤ ﴿مرفوعة مطهرة﴾	٨٣٦	الآية ٥ ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾	٨٤١
الآية ١٥ ﴿بأيدي سفر﴾	٨٣٦	الآية ٦ ﴿وإذا البحار سجرت﴾	٨٤١
الآية ١٦ ﴿كرام بررة﴾	٨٣٦	الآية ٧ ﴿وإذا النفوس زوجت﴾	٨٤١

الآيات	الآيات	الصحيفة	الصحيفة
الآية ٨ ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾	الآية ١٢ ﴿يعلمون ما يفعلون﴾	٨٤١	٨٤٧
الآية ٩ ﴿بأى ذنب قتلت﴾	الآية ١٣ ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾	٨٤١	٨٤٨
الآية ١٠ ﴿وإذا الصحف نشرت﴾	الآية ١٤ ﴿وإنما العجبار لفي جحيم﴾	٨٤١	٨٤٨
الآية ١١ ﴿وإذا السماء كشطت﴾	الآية ١٥ ﴿يصلونها يوم الدين﴾	٨٤١	٨٤٨
الآية ١٢ ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾	الآية ١٦ ﴿وما هم عنها بغائبين﴾	٨٤١	٨٤٨
الآية ١٣ ﴿وإذا الجنة أزلقت﴾	الآية ١٧ ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾	٨٤١	٨٤٨
الآية ١٤ ﴿علمت نفس﴾	الآية ١٨ ﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾	٨٤١	٨٤٨
الآية ١٥ ﴿فلا أقسم﴾	الآية ١٩ ﴿يوم لا تملك نفس﴾	٨٤٣	٨٤٨
الآية ١٦ ﴿الجوار الكنس﴾	سورة المطففين	٨٤٣	
الآية ١٧ ﴿والليل إذا عسعس﴾	الآية ١ ﴿ويل للمطففين﴾	٨٤٣	٨٤٩
الآية ١٨ ﴿والصبح إذا تنفس﴾	الآية ٢ ﴿الذين إذا اکتالوا﴾	٨٤٣	٨٤٩
الآية ١٩ ﴿إنه لقول رسول كريم﴾	الآية ٣ ﴿وإذا كالوهم﴾	٨٤٣	٨٤٩
الآية ٢٠ ﴿ذى قوة عند ذى العرش﴾	الآية ٤ ﴿الأيظن أولئك﴾	٨٤٣	٨٤٩
الآية ٢١ ﴿مطاع ثم أمين﴾	الآية ٥ ﴿ليوم عظيم﴾	٨٤٣	٨٤٩
الآية ٢٢ ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾	الآية ٦ ﴿يوم يقوم الناس﴾	٨٤٣	٨٤٩
الآية ٢٣ ﴿ولقد رآه﴾	الآية ٧ ﴿كلا إن كتاب العجبار﴾	٨٤٤	٨٥٠
الآية ٢٤ ﴿وما هو على الغيب﴾	الآية ٨ ﴿وما أدراك﴾	٨٤٤	٨٥٠
الآية ٢٥ ﴿وما هو يقول شيطان﴾	الآية ٩ ﴿كتاب مرقوم﴾	٨٤٤	٨٥٠
الآية ٢٦ ﴿فأين تذهبون﴾	الآية ١٠ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾	٨٤٤	٨٥٠
الآية ٢٧ ﴿إن هو إلا ذكر﴾	الآية ١١ ﴿الذين يكذبون﴾	٨٤٤	٨٥٠
الآية ٢٨ ﴿لمن شاء منكم﴾	الآية ١٢ ﴿وما يكذب به﴾	٨٤٤	٨٥٠
الآية ٢٩ ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾	الآية ١٣ ﴿إذا تتلى عليه﴾	٨٤٤	٨٥٢
سورة الانفطار	الآية ١٤ ﴿كلا بل ران﴾		٨٥٢
الآية ١ ﴿إذا السماء انفطرت﴾	الآية ١٥ ﴿كلا إنهم﴾	٨٤٦	٨٥٢
الآية ٢ ﴿وإذا الكواكب انتشرت﴾	الآية ١٦ ﴿ثم إنهم﴾	٨٤٦	٨٥٢
الآية ٣ ﴿وإذا البحار﴾	الآية ١٧ ﴿ثم يقال﴾	٨٤٦	٨٥٢
الآية ٤ ﴿وإذا القبور﴾	الآية ١٨ ﴿كلا إن كتاب الأبرار﴾	٨٤٦	٨٥٢
الآية ٥ ﴿علمت نفس﴾	الآية ١٩ ﴿وما أدراك ما عليون﴾	٨٤٦	٨٥٢
الآية ٦ ﴿يا أيها الإنسان﴾	الآية ٢٠ ﴿كتاب مرقوم﴾	٨٤٦	٨٥٢
الآية ٧ ﴿الذى خلقتك﴾	الآية ٢١ ﴿يشهده المقربون﴾	٨٤٦	٨٥٢
الآية ٨ ﴿فى أى صورة﴾	الآية ٢٢ ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾	٨٤٦	٨٥٢
الآية ٩ ﴿كلا بل تكذبون﴾	الآية ٢٣ ﴿على الأرائك ينظرون﴾	٨٤٧	٨٥٢
الآية ١٠ ﴿وإن عليكم لحافظين﴾	الآية ٢٤ ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾	٨٤٧	٨٥٢
الآية ١١ ﴿كراما كاتبين﴾	الآية ٢٥ ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾	٨٤٧	٨٥٢

الآيات	الصحيحة	الآيات	الصحيحة
الآية ٢٣ ﴿والله أعلم﴾	٨٥٩	الآية ٢٦ ﴿ختامه مسك﴾	٨٥٢
الآية ٢٤ ﴿فيشرهم بمذاب﴾	٨٥٩	الآية ٢٧ ﴿ومزاجه من تسنيم﴾	٨٥٢
الآية ٢٥ ﴿إلا الذين آمنوا﴾	٨٥٩	الآية ٢٨ ﴿عينا يشرب بها المقربون﴾	٨٥٢
سورة البروج		الآية ٢٩ ﴿إن الذين أجروا﴾	٨٥٤
الآية ١ ﴿والسما ذات البروج﴾	٨٦٠	الآية ٣٠ ﴿وإذا مروا بهم﴾	٨٥٤
الآية ٢ ﴿واليوم الموعود﴾	٨٦٠	الآية ٣١ ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم﴾	٨٥٤
الآية ٣ ﴿وشاهد مشهود﴾	٨٦٠	الآية ٣٢ ﴿وإذا رآوهم﴾	٨٥٤
الآية ٤ ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾	٨٦٠	الآية ٣٣ ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾	٨٥٤
الآية ٥ ﴿النار ذات الوقود﴾	٨٦٠	الآية ٣٤ ﴿فاليوم الذين آمنوا﴾	٨٥٤
الآية ٦ ﴿إذ هم عليها قعود﴾	٨٦٠	الآية ٣٥ ﴿على الأرائك﴾	٨٥٤
الآية ٧ ﴿وهم على ما يفعلون﴾	٨٦٠	الآية ٣٦ ﴿هل ثوب الكفار﴾	٨٥٤
الآية ٨ ﴿وما نعموا منهم﴾	٨٦٠	سورة الانشقاق	
الآية ٩ ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾	٨٦٠	الآية ١ ﴿إذا السماء انشقت﴾	٨٥٦
الآية ١٠ ﴿إن الذين فتوا﴾	٨٦٢	الآية ٢ ﴿وأذنت لربها﴾	٨٥٦
الآية ١١ ﴿إن الذين آمنوا﴾	٨٦٢	الآية ٣ ﴿وإذا الأرض﴾	٨٥٦
الآية ١٢ ﴿إن بطش ربك لشديد﴾	٨٦٢	الآية ٤ ﴿وألقت ما فيها﴾	٨٥٦
الآية ١٣ ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾	٨٦٢	الآية ٥ ﴿وأذنت لربها﴾	٨٥٦
الآية ١٤ ﴿وهو الغفور الودود﴾	٨٦٢	الآية ٦ ﴿يا أيها الإنسان﴾	٨٥٧
الآية ١٥ ﴿فوالعرش المجيد﴾	٨٦٢	الآية ٧ ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه﴾	٨٥٧
الآية ١٦ ﴿فعل لما يريد﴾	٨٦٢	الآية ٨ ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾	٨٥٧
الآية ١٧ ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾	٨٦٢	الآية ٩ ﴿ويقلب إلى أهله مسرورا﴾	٨٥٧
الآية ١٨ ﴿فرعون وثمود﴾	٨٦٢	الآية ١٠ ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره﴾	٨٥٧
الآية ١٩ ﴿بل الذين كفروا﴾	٨٦٢	الآية ١١ ﴿فسوف يدعوا ليورا﴾	٨٥٧
الآية ٢٠ ﴿والله من وراءهم محيط﴾	٨٦٢	الآية ١٢ ﴿ويصلى سميرا﴾	٨٥٧
الآية ٢١ ﴿بل هو قرآن مجيد﴾	٨٦٢	الآية ١٣ ﴿إنه كان في أهله مسرورا﴾	٨٥٧
الآية ٢٢ ﴿في لوح محفوظ﴾	٨٦٢	الآية ١٤ ﴿إنه ظن﴾	٨٥٧
سورة الطارق		الآية ١٥ ﴿بلى إن ربه كان به بصيرا﴾	٨٥٧
الآية ١ ﴿والسما والطارق﴾	٨٦٤	الآية ١٦ ﴿فلا أقسم بالشفق﴾	٨٥٨
الآية ٢ ﴿وما أدراك ما الطارق﴾	٨٦٤	الآية ١٧ ﴿والليل وما وسق﴾	٨٥٨
الآية ٣ ﴿النجم الثاقب﴾	٨٦٤	الآية ١٨ ﴿والقمر إذا اتسق﴾	٨٥٨
الآية ٤ ﴿إن كل نفس﴾	٨٦٤	الآية ١٩ ﴿لنركين طبقا عن طبق﴾	٨٥٨
الآية ٥ ﴿فلي نظر الإنسان﴾	٨٦٥	الآية ٢٠ ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾	٨٥٨
الآية ٦ ﴿خلق من ماء﴾	٨٦٥	الآية ٢١ ﴿وإذا فرغ عليهم القرآن﴾	٨٥٨
الآية ٧ ﴿يخرج من بين الصلب﴾	٨٦٥	الآية ٢٢ ﴿بل الذين كفروا﴾	٨٥٩

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٨ ﴿إنه على رجعه لقادر﴾	٨٦٥	الآية ٤ ﴿تصلى نارا﴾	٨٧٢
الآية ٩ ﴿يوم تلى السرائر﴾	٨٦٥	الآية ٥ ﴿تسقى من عين آنية﴾	٨٧٢
الآية ١٠ ﴿فماله قوة﴾	٨٦٥	الآية ٦ ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾	٨٧٢
الآية ١١ ﴿والسما ذات الرجوع﴾	٨٦٦	الآية ٧ ﴿لا يسمن﴾	٨٧٢
الآية ١٢ ﴿والأرض ذات الصلح﴾	٨٦٦	الآية ٨ ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾	٨٧٢
الآية ١٣ ﴿إنه لقول فصل﴾	٨٦٦	الآية ٩ ﴿لسعيها راضية﴾	٨٧٢
الآية ١٤ ﴿وما هو بالهزل﴾	٨٦٦	الآية ١٠ ﴿فى جنة عالية﴾	٨٧٢
الآية ١٥ ﴿إنهم يكيلون﴾	٨٦٦	الآية ١١ ﴿لا تسمع فيها لأغية﴾	٨٧٢
الآية ١٦ ﴿واكيد كيدا﴾	٨٦٦	الآية ١٢ ﴿فيها عين جارية﴾	٨٧٢
الآية ١٧ ﴿فمهل الكافرين﴾	٨٦٦	الآية ١٣ ﴿فيها سر﴾	٨٧٢
سورة الأعلى		الآية ١٤ ﴿واكواب موضوعة﴾	٨٧٢
الآية ١ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾	٨٦٨	الآية ١٥ ﴿ونمارق مصفوفة﴾	٨٧٢
الآية ٢ ﴿الذى خلق قسوى﴾	٨٦٨	الآية ١٦ ﴿وزراى مبثوثة﴾	٨٧٢
الآية ٣ ﴿والذى قدر قهدى﴾	٨٦٨	الآية ١٧ ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل﴾	٨٧٤
الآية ٤ ﴿والذى أخرج المرعى﴾	٨٦٨	الآية ١٨ ﴿وإلى السماء﴾	٨٧٤
الآية ٥ ﴿فجعل غشاء﴾	٨٦٨	الآية ١٩ ﴿وإلى الجبال﴾	٨٧٤
الآية ٦ ﴿ستفرك فلا تنسى﴾	٨٦٩	الآية ٢٠ ﴿وإلى الأرض﴾	٨٧٤
الآية ٧ ﴿إلا ما شاء الله﴾	٨٦٩	الآية ٢١ ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾	٨٧٤
الآية ٨ ﴿وينسرك لليسرى﴾	٨٦٩	الآية ٢٢ ﴿لست عليهم﴾	٨٧٤
الآية ٩ ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾	٨٦٩	الآية ٢٣ ﴿إلا من تولى﴾	٨٧٤
الآية ١٠ ﴿سيزكر من يخشى﴾	٨٧٠	الآية ٢٤ ﴿فيمدبه الله﴾	٨٧٤
الآية ١١ ﴿ويتجنبها الأشقى﴾	٨٧٠	الآية ٢٥ ﴿إنا إنا إياهم﴾	٨٧٥
الآية ١٢ ﴿الذى يصلى النار﴾	٨٧٠	الآية ٢٦ ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾	٨٧٥
الآية ١٣ ﴿ثم لا يموت فيها﴾	٨٧٠	سورة الفجر	
الآية ١٤ ﴿قد أفلح من تزكى﴾	٨٧١	الآية ١ ﴿والفجر﴾	٨٧٥
الآية ١٥ ﴿وذكر اسم ربه﴾	٨٧١	الآية ٢ ﴿وليل عشر﴾	٨٧٥
الآية ١٦ ﴿بل تؤثرون﴾	٨٧١	الآية ٣ ﴿والشفع والوتر﴾	٨٧٥
الآية ١٧ ﴿والآخرة خير﴾	٨٧١	الآية ٤ ﴿والليل إذا يسر﴾	٨٧٥
الآية ١٨ ﴿إذ هذالقى الصحف﴾	٨٧١	الآية ٥ ﴿هل فى ذلك قسم﴾	٨٧٥
الآية ١٩ ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾	٨٧١	الآية ٦ ﴿ألم تركيف﴾	٨٧٦
سورة الفاشية		الآية ٧ ﴿إرم ذات العماد﴾	٨٧٦
الآية ١ ﴿هل أذاك حديث الفاشية﴾	٨٧٢	الآية ٨ ﴿التي لم يخلق مثلها﴾	٨٧٦
الآية ٢ ﴿وجوه يومئذ﴾	٨٧٢	الآية ٩ ﴿وئمود الذين جاؤا﴾	٨٧٦
الآية ٣ ﴿عاملة ناصبة﴾	٨٧٢	الآية ١٠ ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾	٨٧٦

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ١١ ﴿الذين طفوا﴾	٨٧٦	الآية ١٤ ﴿أو أطعم في يوم﴾	٨٨٢
الآية ١٢ ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾	٨٧٦	الآية ١٥ ﴿يتيما ذا مقربة﴾	٨٨٢
الآية ١٣ ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾	٨٧٦	الآية ١٦ ﴿أو مسكينا ذا متربة﴾	٨٨٢
الآية ١٤ ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾	٨٧٦	الآية ١٧ ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾	٨٨٢
الآية ١٥ ﴿فأما الإنسان﴾	٨٧٨	الآية ١٨ ﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾	٨٨٢
الآية ١٦ ﴿وأما إذا ما ابتلاه﴾	٨٧٨	الآية ١٩ ﴿والذين كفروا﴾	٨٨٤
الآية ١٧ ﴿كلا بل لا تكرمون اليتم﴾	٨٧٨	الآية ٢٠ ﴿عليهم نار﴾	٨٨٤
الآية ١٨ ﴿ولا تحاضون﴾	٨٧٨	سورة الشمس	
الآية ١٩ ﴿وأناكلون التراث﴾	٨٧٨	الآية ١ ﴿والشمس وضحاها﴾	٨٨٥
الآية ٢٠ ﴿وتحيون المال﴾	٨٧٨	الآية ٢ ﴿والقمر إذا تلاها﴾	٨٨٥
الآية ٢١ ﴿كلا إذا دكت الأرض﴾	٨٧٩	الآية ٣ ﴿والنهار إذا جلاها﴾	٨٨٥
الآية ٢٢ ﴿وجاء ربك﴾	٨٧٩	الآية ٤ ﴿والليل إذا يشاها﴾	٨٨٥
الآية ٢٣ ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾	٨٧٩	الآية ٥ ﴿والسماء وما بناها﴾	٨٨٥
الآية ٢٤ ﴿يقول يا ليتني﴾	٨٨٠	الآية ٦ ﴿والأرض وما طحاها﴾	٨٨٥
الآية ٢٥ ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾	٨٨٠	الآية ٧ ﴿ونفس وما سواها﴾	٨٨٥
الآية ٢٦ ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾	٨٨٠	الآية ٨ ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾	٨٨٥
الآية ٢٧ ﴿يا أيها النفس المطمئنة﴾	٨٨٠	الآية ٩ ﴿قد أفلح من زكاها﴾	٨٨٥
الآية ٢٨ ﴿ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾	٨٨٠	الآية ١٠ ﴿وقد خاب من دساها﴾	٨٨٥
الآية ٢٩ ﴿فادخلي في عبادي﴾	٨٨٠	الآية ١١ ﴿كذبت ثمود﴾	٨٨٦
الآية ٣٠ ﴿وادخلي جنتي﴾	٨٨٠	الآية ١٢ ﴿إذ أنبعث﴾	٨٨٦
سورة البلد		الآية ١٣ ﴿فقال لهم رسول الله﴾	٨٨٦
الآية ١ ﴿لأقسم بهذا البلد﴾	٨٨١	الآية ١٤ ﴿فكذبوه فعقروها﴾	٨٨٦
الآية ٢ ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾	٨٨١	الآية ١٥ ﴿ولا يخاف عقباها﴾	٨٨٦
الآية ٣ ﴿ووالد وما ولد﴾	٨٨١	سورة الليل	
الآية ٤ ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾	٨٨١	الآية ١ ﴿والليل إذا يغشى﴾	٨٨٧
الآية ٥ ﴿أيحسب أن لن نقدر﴾	٨٨٢	الآية ٢ ﴿والنهار إذا تجلى﴾	٨٨٧
الآية ٦ ﴿يقول أهلك﴾	٨٨٢	الآية ٣ ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾	٨٨٧
الآية ٧ ﴿أيحسب أن لم يره﴾	٨٨٢	الآية ٤ ﴿إن سميعك لحشي﴾	٨٨٧
الآية ٨ ﴿ألم نجعل له عينين﴾	٨٨٣	الآية ٥ ﴿فأما من أعطى﴾	٨٨٨
الآية ٩ ﴿ولسانا وشفهتين﴾	٨٨٣	الآية ٦ ﴿وصدق بالحسنى﴾	٨٨٨
الآية ١٠ ﴿وهديناه النجدين﴾	٨٨٣	الآية ٧ ﴿ففسيره لليسرى﴾	٨٨٨
الآية ١١ ﴿فلا اقتحم العقبة﴾	٨٨٣	الآية ٨ ﴿وأما من بخل﴾	٨٨٨
الآية ١٢ ﴿وما أدراك ما العقبة﴾	٨٨٣	الآية ٩ ﴿وكذب بالحسنى﴾	٨٨٨
الآية ١٣ ﴿فك رقبة﴾	٨٨٣	الآية ١٠ ﴿ففسيره للعسرى﴾	٨٨٨

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ١١ ﴿وما يغني عنه ماله﴾	٨٨٩	الآية ٢ ﴿وطور سين﴾	٨٩٥
الآية ١٢ ﴿إن علينا للهدى﴾	٨٨٩	الآية ٣ ﴿وهذا البلد الأمين﴾	٨٩٥
الآية ١٣ ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾	٨٨٩	الآية ٤ ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾	٨٩٥
الآية ١٤ ﴿فأنذرتكم نارا﴾	٨٩٠	الآية ٥ ﴿ثم رددناه﴾	٨٩٥
الآية ١٥ ﴿لا يصلاها إلا الأشقى﴾	٨٩٠	الآية ٦ ﴿إلا الذين آمنوا﴾	٨٩٥
الآية ١٦ ﴿الذي كذب﴾	٨٩٠	الآية ٧ ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾	٨٩٦
الآية ١٧ ﴿وسيجنبها الأتقى﴾	٨٩٠	الآية ٨ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾	٨٩٦
الآية ١٨ ﴿الذي يؤتي ماله﴾	٨٩٠	سورة العلق	
الآية ١٩ ﴿وما لأحد عنده﴾	٨٩٠	الآية ١ ﴿اقرأ باسم ربك﴾	٨٩٧
الآية ٢٠ ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾	٨٩٠	الآية ٢ ﴿خلق الإنسان﴾	٨٩٧
الآية ٢١ ﴿ولسوف يرضى﴾	٨٩٠	الآية ٣ ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾	٨٩٧
سورة الضحى		الآية ٤ ﴿الذي علم بالقلم﴾	٨٩٧
الآية ١ ﴿والضحى﴾	٨٩١	الآية ٥ ﴿علم الإنسان﴾	٨٩٧
الآية ٢ ﴿والليل إذا سجي﴾	٨٩١	الآية ٦ ﴿كلا إن الإنسان﴾	٨٩٨
الآية ٣ ﴿ما وعدك ربك﴾	٨٩١	الآية ٧ ﴿أن رآه﴾	٨٩٨
الآية ٤ ﴿وللاخرة خير لك﴾	٨٩١	الآية ٨ ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾	٨٩٨
الآية ٥ ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾	٨٩١	الآية ٩ ﴿أرايت الذى ينهى﴾	٨٩٩
الآية ٦ ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾	٨٩٢	الآية ١٠ ﴿عبدا إذا صلى﴾	٨٩٩
الآية ٧ ﴿ووجدك ضالافهذى﴾	٨٩٢	الآية ١١ ﴿أرايت إن كان على الهدى﴾	٨٩٩
الآية ٨ ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾	٨٩٢	الآية ١٢ ﴿أو أمر بالتقوى﴾	٨٩٩
الآية ٩ ﴿فأما اليتم فلا تنهر﴾	٨٩٢	الآية ١٣ ﴿أرايت إن كذب﴾	٨٩٩
الآية ١٠ ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾	٨٩٢	الآية ١٤ ﴿ألم يعلم﴾	٨٩٩
الآية ١١ ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾	٨٩٢	الآية ١٥ ﴿كلا لمن لم يت﴾	٨٩٩
سورة الشرح		الآية ١٦ ﴿ناصية كاذبة﴾	٨٩٩
الآية ١ ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾	٨٩٣	الآية ١٧ ﴿فليدع ناديه﴾	٨٩٩
الآية ٢ ﴿ووضمنا عنك وزرك﴾	٨٩٣	الآية ١٨ ﴿ستدع الزبانية﴾	٨٩٩
الآية ٣ ﴿الذى أنقض ظهرك﴾	٨٩٣	الآية ١٩ ﴿كلا لا تطعم﴾	٨٩٩
الآية ٤ ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾	٨٩٣	سورة القدر	
الآية ٥ ﴿فلان مع العسرى﴾	٨٩٤	الآية ١ ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾	٩٠٠
الآية ٦ ﴿إن مع العسرى﴾	٨٩٤	الآية ٢ ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾	٩٠٠
الآية ٧ ﴿فإذا فرغت فانصب﴾	٨٩٤	الآية ٣ ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾	٩٠٠
الآية ٨ ﴿وإلى ربك فارغب﴾	٨٩٤	الآية ٤ ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾	٩٠٠
سورة التين		الآية ٥ ﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾	٩٠٠
الآية ١ ﴿والتين والزيتون﴾	٨٩٥		

الآيات	الآيات	الصحيفة	الصحيفة
سورة البينة	الآية ٤ ﴿يوم يكون الناس﴾	٩٠٨	٩٠٨
الآية ١ ﴿لم يكن الذين كفروا﴾	الآية ٥ ﴿وتكون الجبال﴾	٩٠٨	٩٠٨
الآية ٢ ﴿رسول من الله﴾	الآية ٦ ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾	٩٠٩	٩٠٩
الآية ٣ ﴿فيها كتب قيمة﴾	الآية ٧ ﴿فهو في عيشة راضية﴾	٩٠٩	٩٠٩
الآية ٤ ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾	الآية ٨ ﴿وأما من خفت موازينه﴾	٩٠٩	٩٠٩
الآية ٥ ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾	الآية ٩ ﴿فأما هاهوية﴾	٩٠٩	٩٠٩
الآية ٦ ﴿إن الذين كفروا﴾	الآية ١٠ ﴿وما أدراك ما هية﴾	٩٠٩	٩٠٩
الآية ٧ ﴿إن الذين آمنوا﴾	الآية ١١ ﴿نار حامية﴾	٩٠٩	٩٠٩
الآية ٨ ﴿جزأؤهم عند ربهم جنات عدن﴾	سورة التكاثر	٩٠٩	٩٠٩
سورة الزلزلة	الآية ١ ﴿ألهاكم التكاثر﴾	٩١٠	٩١٠
الآية ١ ﴿إذا زلزلت﴾	الآية ٢ ﴿حتى زرتم المقابر﴾	٩١٠	٩١٠
الآية ٢ ﴿وأخرجت الأرض﴾	الآية ٣ ﴿كلا سوف تعلمون﴾	٩١٠	٩١٠
الآية ٣ ﴿وقال الإنسان﴾	الآية ٤ ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾	٩١٠	٩١٠
الآية ٤ ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾	الآية ٥ ﴿كلا لو تعلمون﴾	٩١١	٩١١
الآية ٥ ﴿بأن ربك أوحى لها﴾	الآية ٦ ﴿لترون الجحيم﴾	٩١١	٩١١
الآية ٦ ﴿يومئذ يصدر الناس﴾	الآية ٧ ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾	٩١١	٩١١
الآية ٧ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾	الآية ٨ ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾	٩١١	٩١١
الآية ٨ ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾	سورة العصر	٩١١	٩١١
سورة العاديات	الآية ١ ﴿والعصر﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ١ ﴿والعاديات ضبحا﴾	الآية ٢ ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ٢ ﴿فالمعريات قدحا﴾	الآية ٣ ﴿إلا الذين آمنوا﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ٣ ﴿فالمغيرات ضبحا﴾	سورة الهزرة	٩١٢	٩١٢
الآية ٤ ﴿فأثرن به تقعا﴾	الآية ١ ﴿ويل لكل همزة﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ٥ ﴿فوسطن به جمعا﴾	الآية ٢ ﴿الذي جمع مالا﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ٦ ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾	الآية ٣ ﴿يحسب أن ماله﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ٧ ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾	الآية ٤ ﴿كلا لينبذ﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ٨ ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾	الآية ٥ ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ٩ ﴿أفلا يعلم﴾	الآية ٦ ﴿نار الله﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ١٠ ﴿وحصل ما في الصدور﴾	الآية ٧ ﴿التي تطلع﴾	٩١٢	٩١٢
الآية ١١ ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾	الآية ٨ ﴿إنها عليهم﴾	٩١٤	٩١٤
سورة القارعة	الآية ٩ ﴿في عمد﴾	٩١٤	٩١٤
الآية ١ ﴿القارعة﴾	سورة الفيل	٩١٤	٩١٤
الآية ٢ ﴿ما القارعة﴾	الآية ١ ﴿الم تر﴾	٩١٤	٩١٤
الآية ٣ ﴿وما أدراك ما القارعة﴾	الآية ٢ ﴿الم يجعل﴾	٩١٤	٩١٤

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٣ ﴿وأرسل عليهم﴾	٩١٤	سورة النصر	
الآية ٤ ﴿ترسيهم بحجارة﴾	٩١٤	الآية ١ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾	٩١٩
الآية ٥ ﴿فجعلهم كعصف﴾	٩١٤	الآية ٢ ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله﴾	٩١٩
سورة قريش		الآية ٣ ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾	٩١٩
الآية ١ ﴿إيلاف قريش﴾	٩١٥	سورة الصمد	
الآية ٢ ﴿إيلانهم﴾	٩١٥	الآية ١ ﴿تبت يدا أبي لهب﴾	٩٢٠
الآية ٣ ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾	٩١٥	الآية ٢ ﴿ما أغنى عنه ماله﴾	٩٢٠
الآية ٤ ﴿الذي أطعمهم﴾	٩١٥	الآية ٣ ﴿سيمضى نارا﴾	٩٢٠
سورة الماعون		الآية ٤ ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾	٩٢٠
الآية ١ ﴿أرأيت الذي يكذب﴾	٩١٦	الآية ٥ ﴿في جيدها﴾	٩٢٠
الآية ٢ ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾	٩١٦	سورة الإخلاص	
الآية ٣ ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾	٩١٦	الآية ١ ﴿قل هو الله أحد﴾	٩٢١
الآية ٤ ﴿فويل للمصلين﴾	٩١٦	الآية ٢ ﴿الله الصمد﴾	٩٢١
الآية ٥ ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾	٩١٦	الآية ٣ ﴿لم يلد ولم يولد﴾	٩٢١
الآية ٦ ﴿الذين هم يراءون﴾	٩١٦	الآية ٤ ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾	٩٢١
الآية ٧ ﴿ويمنعون الماعون﴾	٩١٦	سورة الفلق	
سورة الكوثر		الآية ١ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾	٩٢٢
الآية ١ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾	٩١٧	الآية ٢ ﴿من شر ما خلق﴾	٩٢٢
الآية ٢ ﴿فصل لربك وانحر﴾	٩١٧	الآية ٣ ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾	٩٢٢
الآية ٣ ﴿إن شانئك هو الأبر﴾	٩١٧	الآية ٤ ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾	٩٢٢
سورة الكافرون		الآية ٥ ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾	٩٢٢
الآية ١ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾	٩١٨	سورة الناس	
الآية ٢ ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾	٩١٨	الآية ١ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾	٩٢٣
الآية ٣ ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾	٩١٨	الآية ٢ ﴿ملك الناس﴾	٩٢٣
الآية ٤ ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾	٩١٨	الآية ٣ ﴿إله الناس﴾	٩٢٣
الآية ٥ ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾	٩١٨	الآية ٤ ﴿من شر الوسواس الخناس﴾	٩٢٣
الآية ٦ ﴿لكم دينكم ولي دين﴾	٩١٩	الآية ٥ ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾	٩٢٣
		الآية ٦ ﴿من الجنة والناس﴾	٩٢٣

تمت الفهرسة